

مَجْلَدٌ

المجمع العالمي العربي

دمشق



١ كانون الثاني سنة ١٩٥٩ م

٢٠ جادى الآخرة سنة ١٣٧٨ هـ

مجلة
المجمع العلمي العربي
دمشق

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي { في جميع البلاد العربية ١٠٠٠ قرش سوري
وفي سائر الاقطار ١٢٠٠ قرش سوري }

تدفع مقدماً

قصيدة

منصور النّري في الرشيد

منصور بن الزُّبرقان^(١) بن سَلَمَة النّمري^(٢) ، ينسب إلى قبيلة النّحر بن قاسط من ربيعة بن نزار ، من العرب العدنانية . وهو من رأس العين في الجزيرة ؛ وتليذ كاثوم بن عمرو العتّابي وراوته ، عنه أخذ ومن بحره استقى ، معدود من لحول شعراء الدولة العباسية في القرن الثاني . قرّظه العتّابي عند الفضل بن يحيى البرمكي فاستقدمه من الجزيرة إلى بغداد واستصحبه ثم وصله بهرون الرشيد ، فدحه بالمدايح الجياد وقال كثيراً من عطاياه ، وكان يثب إلى الرشيد بالخطوة من جهة ثقيفة النخبة أم العباس بن عبد المطلب . وتوفي بالرفقة^(٣) في خلافة الرشيد (١٧٠ - ١٩٣) .

كان علي بن الجهم يقول : « أنا أشعر من امرئ القيس ، والنّري أشعر مني^(٤) » . وأحسن شعره قصيدته العينية التي مدح بها الرشيد ، فهي من أحسن القصائد في الشعر العربي في جميع عصوره . قال ابن المعتز في طبقات الشعراء : « هذه القصيدة عجيبة ، وتشبيها في الشيب لم يقل مثله أحد » . وقال أيضاً : « قد أقام القيامة في تشبيب هذه القصيدة بالشباب » . والنقاد الذين قرظوا هذه القصيدة وامتنشهدوا بعدد من أبياتها وجعلوها أمثلة في الإحسان كثيرون .

(١) وقيل منصور بن سلمة بن الزُّبرقان . الأغاني ١٤٠/١٣

(٢) النسبة إلى النمر بن قاسط النّمري .

(٣) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٤٤

(٤) طبقات الشعراء ص ٤٣٨

وهذه القصيدة - على حسنها - لا يعرف منها حتى الآن إلا أبيات موزعة في كتب الأدب والتراجم . ولا توجد كاملة إلا في مخطوطة « جهرة الإسلام ذات النثر والنظام » لأمين الدين أبي الفنائم مسلم بن محمود بن رسلان الشيزري ^(١) . وعدد أبيات هذه القصيدة تسعة وستون بيتاً لا يعرف منها إلا نحو من عشرين بيتاً متفرقة هنا وهناك غير سلسلة ولا مرتبة ، فلما ظفرنا بها كاملة بذلنا الجهد في تحقيقها ونشرها ، وتصحيح ما حُرِّف من ألفاظها .

أما مصادر ترجمة منصور النحري التي أخذنا منها هذه النبذة المختصرة في التعريف به فهي :

طبقات الشعراء لابن المعتز ، طبعة دار المعارف بالقاهرة ص ٢٤٢ - ٢٤٨
وص ٤٣٨

الأغانى لأبي الفرج الأصفهاني طبعة دار الكتب المصرية ج ١٣
ص ١٤٠ - ١٥٧

تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ج ١٣ ص ٦٥ - ٦٩
ونرجو أن نعود الى ترجمة هذا الشاعر وأخباره وما بقي من شعره ونسعين
بها على كتابة دراسة وافية له في وقت قريب إن شاء الله .

خليل مردوم بك

(١) انظر مقالنا في التعريف بهذه المخطوطة في مجلة المجمع العلمي العربي ٣٣ م ص ٢٣

قال منصور التمري بمدح هرون الرشيد :

ما تَنْقُضِي حَسْرَةً مِنِّي وَلَا جَزَعُ إِذَا ذَكَرْتَ شَبَابًا ^(١) لَيْسَ مُتَجَمِّعُ ^(٢)
 بَانَ ^(٣) الشَّبَابُ وفَاتَنَتْنِي بِشْرَتِهِ ^(٤) صُرُوفُ دَهْرٍ وَأَيَّامُ ^(٥) لَهَا خُدَعُ
 مَا كُنْتُ أَوْ فِي شَبَابِي كُنْهَ عِزَّتِهِ ^(٦) حَتَّى انْقَضَى نَازِدَا الدُّنْيَا لَهُ تَبَعُ
 تَعَجَّبْتُ أَنْ رَأَتْ أَسْرَابَ دَمْعَتِهِ فِي حَلَابَةِ الْحَدِّ أَجْرَاهَا حَشًا وَجَمُ
 إِنْ كُنْتُ لَمْ تَطْعِمِي مُكْلَ الشَّبَابِ وَلَمْ تَشْجِي بِمُصْنَتِهِ فَأَلْمَذُرُ لَا يَقَعُ
 لَوْ قَدْ لَبِستِ قِنَاعَ الشَّيْبِ كَانَ لَنَا عُذْرٌ لَدَيْكَ وَرَاحَ اللُّؤْمُ وَالْوَلَعُ ^(٧)
 أَبْكِي شَبَابًا سُلْبِنَاهُ وَكَانَ وَلَا تُوفِي بِقِيَّتِهِ الدُّنْيَا وَمَا تَسْمَعُ
 مَا كُنْتُ أَوَّلَ مَنْسُوبٍ شَيْبَتَهُ مَكْسُوسِيبٍ فَلَا يَذْهَبُ بِكَ الْجَزَعُ

(١) في الأصل : شبابًا .

(٢) في الأصل : تَرْتَجِعُ .

(٣) أودى الشباب طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٤٥

(٤) شِرَّةُ الشباب : نشاطه ، وفي الأغاني : بلذته .

(٥) وأيامٌ لنا خُدَعُ . ديوان المعاني لأبي هلال العسكري ١٥٣/٢ .

(٦) بِشْرَتُهُ ، طبقات الشعراء والأغاني والإعجاز والإيجاز للشعالبي ص ١٦٦

وديوان المعاني .

(٧) وَلَعُ فلان بفلان يُولَعُ وَلَعًا : إذا لَجَّ في أمره وحرص على إبدائه :

تَمْلِكُ أَلْأَسَى ^(١) مِنْ لَدَاتِي ^(٢) فِي رُؤُوسِهِمْ
 لَا تَعْذِلْنِي فَإِنِّي غَيْرُ كَاذِبِي
 قَدْ كُنْتُ فَيَكُنْ ذَا جَاهٍ وَذَا مِقَّةٍ ^(٣)
 إِنِّي لَمُعْتَرِفٌ مَا فِيَّ مِنْ أَرْبٍ
 مَا وَاجَهَ الشَّيْبَ مِنْ عَيْنٍ وَإِنْ وَمَقَتْ ^(٤)
 قَدْ كَدْتُ تَقْضِي عَلَى قَوْتِ الشَّبَابِ أَسَى
 لَا بَلْ بَقَاءُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَنَا
 إِنَّا خَلَفْنَا الْغَيْثَ لَمْ يُخْلَفْ خَلَايِلُهُ ^(٥)
 إِنَّا الْخَلِيفَةُ هُرُونُ الَّذِي أَمْتَلَأَتْ

عَمَائِمُ الشَّيْبِ مُنْجَابٌ ^(٦) لَهَا الْعَلَمُ
 عَنْكَ الْكَذُوبُ ^(٧) وَلَا فِي وَدِّكُمْ طَمَعُ
 أَيَّامُ عُصْنُ شَبَابِي كَيْنُ تَرَعُ ^(٨)
 لِلْفَانِيَاتِ قَمَا لِلنَّفْسِ تَنْغَدُ
 إِلَّا لَهَا نَبْوَةٌ عَنْهُ وَمُرْتَدَعُ ^(٩)
 لَوْلَا تَعْزِيكَ أَنْ الْعَيْشَ مُنْقَطِعُ
 فِيهِ النَّيِّ وَحَيَاةُ الدِّينِ وَالرَّفْعُ
 أَوْ صَاقَ أَمْرُ ذِكْرَنَاهُ فَيَتَّسِعُ
 مِنْهُ الْقُلُوبُ رَجَاءُ تَحْتَهُ فَرْعُ

(١) الأُسى : واللامى : جمع أسوة وهي القدوة وما يتعزى به الحزين .

(٢) اللدات : جمع لدة وهو التراب الذي ولد معك وترعى .

(٣) النجاء : انشق وانكشف .

(٤) الكذوب : النفس لأنها تحدث الإنسان بالأمر التي لا يبلغها دمه . وفي الأصل :

اللدوب وهو من سهو الناسخ .

(٥) المقة : الحبة .

(٦) الترع : الفص . يقال عشب ترع إذا كان غصاً (الناج) .

(٧) ومقت : أحببت .

(٨) في الأصل : ومرنجم ، والتصحيح من أمالي القاضي ١١٢/١ وحامسة ابن الشجري

ص ٢٣٩ .

(٩) الخاييل من السحب : المنطرة بالمطر . أنامله : العمدة ١١٠/٢ .

مَفْرُوضَةٌ فِي رِقَابِ النَّاسِ طَاعَتُهُ
 أَيُّ أَمْرِي^(٢) بَاتَ مِنْ هُرُونٍ فِي سَخَطِ
 أَثْمِي عَلَى اللَّهِ إِحْسَانًا وَأَشْكُرُهُ
 أَصْفَيْتُ وَدَّيْ لِهُرُونٍ وَشَيْعَتِهِ
 لَمَّا أَخَذْتُ بِكَفِّي حَبْلٌ^(٤) طَاعَتِهِ
 هُوَ الْإِمَامُ الَّذِي طَابَ الْجِهَادُ بِهِ
 حِصْنٌ بَنَتْهُ يَمِينُ اللَّهِ يَسْكُنُهُ أَلَا
 يَقْرِي الْعَدُوَّ وَالنَّيَا وَالْعَفَاةَ نَدَى
 صَبَّ إِلَى اللَّهِ زَوَادُ لِكَمْبَتِهِ
 لَا يَحْفَلُ الْبُعْدَ مِنْ دَارٍ وَلَا وَطَنٍ
 عَزَافَةٌ^(٦) النَّفْسِ لَا يَلْوِي عَلَى دَعَا

عَاصِيهِ مِنْ رِبْقَةِ الْإِسْلَامِ مُنْقَطِعُ^(١)
 فَلَيْسَ بِالصَّلَوَاتِ الْخَنَسِ يَنْتَفِعُ
 أَنْ لَيْسَ لِي عَنْ وَلِيٍّ الْأَمْرِ مُنْقَطِعُ^(٣)
 لَمَّا تَفَرَّقْتَ الْأَحْزَابُ وَالشَّيْعُ
 أَيْقَنْتُ أَنِّي مِنَ الْأَحْدَاثِ مُنْتَفِعُ
 وَالْحَجُّ لِلنَّاسِ وَالْأَغْيَادُ وَالْجَمْعُ
 إِسْلَامُ صَعْبُ الْمَرَاقِي لَيْسَ يُطْلَعُ
 مِنْ كُلِّ ذَلِكَ الدَّيْ^(٥) أَحْوَاضُهُ تَرْغُ
 فِي كُلِّ عَامٍ وَإِنْ زَوَارُهَا شَسَعُوا
 إِذَا سَرَى بِوُقُودِ اللَّهِ وَاتَّبَعُوا
 وَقَدْ يَرَى خَفَضَ مَنْ يَلْهُو وَيَتَدَعُ^(٧)

(١) كذا ولعل الصواب مُنْتَغَلِبُ .

(٢) من لم يكن بأمين الله معتصماً العمدة ٢ / ١١٠ .

(٣) كذا ولعل الصواب مُنْتَفِعُ .

(٤) في الأصل : جُلَّ طَاعَتِهِ .

(٥) القَوَى . ديوان المعاني لأبي هلال العسكري ١ / ٥٩ .

(٦) في الأصل : عَزَافَهُ .

(٧) يَتَدَعُ : يسكن إلى الدعة والخفض والراحة . وفي الأصل : يبتدع . وهو تجرئف .

بِرَّ بِمَكَّةَ لَمْ يُجْتَمِعْ إِلَى بَلَدٍ إِلَّا تَحَرَّقَ (١) فِيهِ الرَّيُّ وَالشَّبَعُ
 تُرْمَى بِهِ عَرَافَاتُ (٢) حِينَ يَنْزِلُهَا وَالْمَشْعَرَانِ (٣) وَتَأْسَى حِينَ يَنْدَفِعُ
 تِلْكَ الْمَنَازِلُ إِنْ غَبَّتْ زِيَارَتُهُ حَذَتْ كَمَا يَسْتَحِينُ الْوَالِدُ النُّزْعُ
 يَقْظَانُ لَا يَتَعَايَا بِالْخَطُوبِ إِذَا نَابَتْ وَلَا يَعْتَرِيهِ الضِّيقُ وَالزَّمْعُ (٤)
 مُسْتَحْكِمُ الرَّأْيِ مُسْتَعْنٍ بِوَحْدَتِهِ عَنِ الرِّجَالِ بِرَيْبِ الدَّهْرِ مُضْطَلِعُ
 لَا يَمْلِكُ الْبُخْلُ مِنْ هَرُونَ أُنْمَلُهُ (٥) وَالْجُودُ يَمْلِكُهُ وَالْمَالُ يُنْتَزَعُ
 إِذَا بَلَغْنَا جَمَالَ (٦) الدِّينِ لَمْ تَرَنَا لِلْحَادِثَاتِ بِحَمْدِ اللَّهِ تَخْتَشِعُ
 أَدَى إِلَيْكَ مَطَايَاَنَا وَأَرْحَلُنَا (٧) تَقَافُ السَّيْرِ إِنَّ الْخَيْرَ مُتَّبِعُ
 مِنْ كُلِّ سَنَحٍ الْخَطَى أَوْ كُلِّ يَمَلَةٍ (٨) خُرْطُومُهَا بِاللَّنَامِ الْجَمْعُ مُلْتَفِعُ

(١) تَحَرَّقَ : نَوَسِعَ .

(٢) عَرَافَاتُ : مَوَاقِفُ الْحَاجِّ عَلَى اثْنِي عَشَرَ مِيلًا مِنْ مَكَّةَ . وَأَرَادَ بِالْمَشْعَرَيْنِ : الْمَشْعَرُ الْحَرَامَ وَهُوَ مُزْدَلِفَةُ وَجَمْعُ وَهُوَ مِنْ مَنَاسِكَ الْحَجِّ .

(٣) الزَّمْعُ : الدَّهْشُ .

(٤) كَذَا وَلَعَلَّهَا أُنْمَلَةُ لِأَنَّ جَمْعَ أُنْمَلَةٍ أَتَمَلُ وَأُنْمَلَاتٌ لَا أُنْمَلُ .

(٥) إِذَا بَلَغْنَا جَمَالَ الْأَرْضِ دِيْوَانُ الْمُعَاوِي ١ / ٥٩ .

(٦) فِي الْأَصْلِ : وَأَرْجَلُنَا وَهُوَ تَجْرِيفُ .

(٧) الْيَعْمَلَةُ : النَّافَةُ النِّجِيَّةُ .

رَكِبْتُ مِنَ النَّعْرِ ^(١) غَاذُوا بِأَبْنِ عَمَّتِهِمْ ^(٢) مِنْ هَانِمٍ حِينَ لَجَّ الْأَزْلَمُ الْجَذْعُ ^(٣)
 مَتَوْا إِلَيْكَ بِقُرْبَى مِنْكَ تَعْرِضُهَا ^(٤) لَهُمْ بِهَا فِي سَنَامِ الْمَجْدِ مُطْلَعُ
 قَوْمٌ هُمْ وَلَدُوا الْعَبَّاسَ وَالِدَكُمُ وَأَنْتَ بَرٌّ وَعِنْدَ الْمَرْءِ مُضْطَمَعُ
 يُدْشِي ^(٥) أُمُيُونَ إِذَا هَرُونُ وَاجِبَهَا نُورٌ تَكَادُ لَهُ الْأَبْصَارُ تَأْتِمِعُ ^(٦)
 مُبَاشِرٌ لِأُمُورِ الْمَلِكِ مُبْتَدِلٌ ^(٧) فِيهَا قَرِيحَةٌ رَأْيٍ مَا بِهِ طَبَعُ ^(٨)
 تَهْدِيهِ فِي ظُلُمَاتِ الرَّأْيِ تَجْرِبُهُ ^(٩) عَيْنٌ مِنَ الْحَزْمِ مَا فِي مَا قِهَا قَتَمُ ^(١٠)
 إِنَّ الْمَكَارِمَ وَالْمَعْرُوفَ أَوْدِيَهُ أَحْلَكَ اللَّهُ مِنْهَا حَيْثُ تَجْتَمِعُ ^(١١)

(١) النعير : قبيلة الشاعر ونسكين الميم للضرورة .

(٢) يشير بذلك إلى أن أم العباس بن عبد المطلب جد بني العباس كانت غريبة واسمها

نُعَيْلَةُ النعمرية (طبقات الشعراء ص ٢٤٤) .

(٣) الأزلم الجذع : الدهر الشديد الكثير البلبا .

(٤) كذا ولعلها (تعرضها) أي توجبها وتقدرها أو (تعرفها) .

(٥) في الأصل : يغشى .

(٦) تلتمع : تذهب .

(٧) كذا ولعلها مُبْتَدِلٌ .

(٨) الطَّبَعُ : الشين والعيب والكسل .

(٩) كذا ولعلها تَجْرِبُهُ أي تشدد عليه والضمير راجع الى ظلمات الرأي .

(١٠) القَتَمُ : فساد في موق العين وقلة النظر عمشا .

(١١) تنسج ، الاغاني .

إِذَا رَفَتَ أَمْرًا فَاللَّهُ يَرْفَعُهُ ^(١) وَمَنْ وَضَعَتْ مِنَ الْأَقْوَامِ يَتَضَعُ ^(٢)
 نَفْسِي فِدَاؤُكَ وَالْأَبْطَالُ مُعَلَّمَةٌ يَوْمَ الْوَعَى وَالْمَنَابَا ^(٣) بَيْنَهُمْ قُرْعُ
 كَمْ ضَرْبَةٌ لَكَ تَحْكِي فَا ^(٤) قُرَاسِيَّةٌ ^(٥) مِنْ الْمَصَاعِبِ فِي أَشْدَاقِهَا شَمْعُ
 أَوْ طَلْعَةٌ تَقْذَتْ حَتَّى بَدَا وَصَحَّ مِنَ السَّنَنِ وَرَاءَ الْمَتْنِ مُذَرَّعُ ^(٦)
 يَارُبِّ قِرْنٍ تَحْطِيطُ الْخُتُوفِ إِلَى حَوْبَانِهِ ^(٧) وَعَجَاجُ الْمَوْتِ يَرْتَفِعُ
 كَمْ شِدَّةٌ لَكَ لَوْ كَانَتْ عَلَى جَبَلٍ لَا نَهْدَ مِنْ رَزْنِهَا ^(٨) أَوْ كَادَ يَنْقَلِعُ
 لَيْلٌ مِنَ النَّعْمِ لَا تَجْمُ وَلَا قَمَرٌ إِلَّا جَبِينُكَ وَالْمَذْرُوبَةُ الشَّرْعُ ^(٩)
 أَلْقَى بَنُو ^(١٠) الْأَصْفَرِ الْأَذْقَانِ وَاشْتَمَلُوا ذُلَّ الْخُنُوعِ وَكَانُوا قَطْ مَا خَفَعُوا

(١) رافعه . العمدة .

(٢) مُتَضَعٌ ، الأغانى وتاريخ بغداد والعمدة .

(٣) في الأغانى : « والمنابا صاحبها فزع » ؟

(٤) أي تشبه فم قراسية .

(٥) في الأصل « قُرَاشِيَّة » وهو تحريف والصواب ما أثبتناه والقراسية : الضخم الشديد

من الإبل ، والمصاعب : جمع مُصْعَب وهو الفحل .

(٦) في الأصل : مُذَرَّعُ والصواب ما أثبتناه . يقال : اذَّرَعَ ذراعيه من الجبة : أخرجها .

(٧) الحوباء : النفس .

(٨) المراد بالوزن : الفعل ، يقال رَزَنَهُ رَزْنًا : رفعه لينظر ما ثقله .

(٩) في الأصل : الشَّرْعُ . وهو تحريف . والمذروبة الشرع : الأئمة المشرعة .

(١٠) بنو الأصفر : الروم .

وَالَّتِ حَوْلًا^(١) مُعَارَا فِي بِلَادِهِمْ
لَمَّا أَنَاخَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِهِمْ
خَاصَتْ إِلَيْهِمْ خَابِجَ الْبَحْرِ هَيْبَتُهُ
عَاذُوا بِسَبْعَةِ حِيطَانٍ فَسَوَّرَهَا
حُكْمُ الْخَلِيفَةِ هُرُونٍ يُذَكِّرُنَا
مِثْلَهُ مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ تَنْزِعُهُ^(٢)
وَمِنْ إِمَامِ الْهُدَى الْمَنْصُورِ يَاحِقُهُ
وَتُشْبِهُ الْقَائِمَ الْمَهْدِيَّ مَرَحَمَةً
وَمَا أَخْلَى وَصِيُّ الْأَوْصِيَاءِ بِهِ
ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ أَصْطَفَيْتَ
يَا بَنَ الْأَئِمَّةِ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ وَيَا بَنَ
الْأَوْصِيَاءِ أَقْرَأَ النَّاسَ أُمَّ^(٥) دَفَعُوا

وَالْمَنَايَا سَحَابٌ لَيْسَ يَنْقَشِعُ
وَالْحَنَيْلُ عَابِسَةٌ وَالْمَوْتُ مُكْتَنِعٌ^(٣)
فَادْعُونُوا بِأَدَاءِ الْخَرْجِ وَأَنْتَجِبُوا
جُنْدٌ مِنَ الرُّعْبِ لَمَّا فَالَهُمْ خَضَمُوا
أَحْكَامَ أَحْمَدَ بْنِ أَخْلَاقِهِ جُمِعَ
إِلَى الْمَحَاسِنِ وَالْأَشْبَاهُ تُنْتَزَعُ
قَهْرُ الْأُمُورِ وَحَزْمٌ حِينَ يَقْتَرِعُ
مِنْهُ وَبَحْرُ نَوَالٍ حِينَ يُنْتَجِعُ
مُحَمَّدُ بْنُ^(٤) عَلِيِّ نُورِهِ الصِّدِّيقِ
فَالْحَقُّ مَا نَطَقُوا وَالْحَقُّ مَا سَرَعُوا
يَا بَنَ الْأَوْصِيَاءِ أَقْرَأَ النَّاسَ أُمَّ^(٥) دَفَعُوا

(١) في الأصل : جولاً معاراً .

(٢) مكتنع : حاضراً دافعاً .

(٣) تَزَعُ الولد أباه وإلى أبيه : أشبهه .

(٤) محمد بن علي : هو والد السفاح والمنصور .

(٥) في الأصل : « أد » واختارنا رواية طبقات الشُّعْرَاءِ .

إِنَّ الْخِلَافَةَ كَانَتْ إِذْثَ وَالِدِكُمْ مِنْ دُونِ تَيْمٍ ^(١) وَعَفَوُ اللَّهِ مُتَّسِعٌ ^(٢)
 لَوْلَا عَدِيٌّ ^(٣) وَتَيْمٌ لَمْ تَكُنْ وَصَلَتْ إِلَى أُمِّيَّةٍ تَمْرِهَا ^(٤) وَتَوْتَضِعُ
 تِسْعِينَ عَامًا إِلَى عَشْرِ مُجْرَمَةٍ ^(٥) مِنْ السَّيِّئِ وَأَنْفُ الْحَقِّ يُجْتَدَعُ
 وَمَا لِيَّ عَلَى فِي إِمَارَتِكُمْ حَقٌّ وَمَا لَكُمْ فِي إِرْثِكُمْ طَمَعُ
 يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَغْزُبْ عُقُوبُكُمْ وَلَا تُضِفْكُمْ إِلَى أَكْنَافِهَا أَلْبَدُ
 أَلَعَمْ أَوْلى مِنْ أَزْنِ أَلَعَمْ فَاسْتَمِعُوا قَوْلَ ^(٦) النَّصِيحِ فَإِنَّ الْحَقَّ يُسْتَمَعُ

قال أبو العباس ^(٧) : هذه القصيدة من نادر شعره ، وسيد مدحه ، وفيها
 أشياء فحن ذا كروها إن شاء الله ، ومنهون على ما فيها ، ومفسرون ذلك أجمع .
 أما ما ذكره فيها من البكاء ، فكلام متقدم لا يعرف لحدث مثله ،
 من ذلك قوله :

ما تنفسي حسرةً [مني ولا جزعُ] إذا ذكرتُ شباباً ليس يرتجعُ]

- (١) بنو تيم بن 'مرّة' : من قريش منهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه .
- (٢) في الأصل : « بتسع » واختارنا رواية طبقات الشعراء وموضع هذا البيت في الطبقات بعد الذي يليه هنا .
- (٣) بنو عدي بن كعب : من قريش منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه .
- (٤) مَرَى النافّة : مسح ضرعها لئلا تدر .
- (٥) في الأصل : « محرمة » والصواب ما أثبتناه . ومعنى المجرمة : التامة .
- (٦) في الأصل : « قول النصيحة إن الحق مستمع » واختارنا رواية طبقات الشعراء .
- (٧) لعله عبد الله بن المعتز فقد كان بكني بأبي العباس .

وقوله :

ما كنت أوفي شبابي [كنه عزته حتى انقضى فإذا الدنيا له تبع]

وقوله :

إن كنت لم تطعمي [نكل الشباب ولم تشجي بغضته فالعذر لا يقيم]
معنى هذا البيت : أفي وإن اعتذرت من جزعي عليه ، ووصفت الرزية فأسببت
وأطببت ، فغير بالغ حقيقة وصفه ، وإنما يفهم منه مثل ما فهمت ، من بلي
بمثل ما بليت ، فكأنه شيء لا يعرف حقيقته إلا من شاهده ، دون من وصف له .
وما يستحسن من خروجه قوله :

قد كدت تقضي على فوت الشباب [أمي] لولا تعزبك أن العيش منقطع
يقول : إن الناس ماضون ، فلما خرجون عن الشباب من السن ثم الموت ،
وإما ميتون قبل ذلك .
وقوله : لولا تعزبك أن العيش منقطع ^(١) .
وخروجه أيضاً :

لا بل بقاء أمير المؤمنين لنا فيه النقى وحياة الدين والرفق
الرفق : جمع رقة .
وقوله : يمين الله ^(٢) : قوة الله وكذلك قيل في تفسير هذه الآية « والسماوات
مطويات بيمينه » .

انتهى من « الجمهرة »

(١) كذا ولعل هذا السطر زائد .

(٢) في قوله :

حصن بيمينه يمين الله يسكنه //

إسلام صب المراتي ليس يطالع

أسماء الشهور في العربية^(١)

كثيراً ما تسأل الذين يؤرخون بالتاريخ الميلادي ، عن حقيقة أسماء الشهور التي نستخدم في الأقطار العربية الشرقية ، وأسماء الشهور التي نستخدم في الأقطار العربية الإفريقية . وكثيراً ما تسألوا عن أيها أصلح للبقاء . وهذا الموضوع واسع ربما ملأ كتاباً برأسه . وانني أخلصه بالكلمات التالية ، وأنها برأيي في جواب ما سأل السائل عنه .

أسماء الشهور العربية :

كان أجدادنا العرب الأقدمون ، سواء في جنوب جزيرة العرب أو في شماليها ، قبل الميلاد وبعده ، يستخدمون للشهور أسماء شتى منها (ذو حجين وذو تمح وذو برم الخ .) في الجنوب ، ومنها (المؤمّر وناجر وخوّاف وصوان الخ) في الشمال . وقد دثرت هذه الأسماء وأشباهها .

ولم تمش إلا أسماء الشهور العربية التي كانت شائعة عند عرب الحجاز خاصة قبيل ظهور الإسلام فاستعملها المسلمون في التاريخ الهجري وهي : (المحرم وصفر وربيع الأول وربيع الآخر الخ) وكلها اليوم معروفة وشائعة في جميع البلاد العربية والإسلامية . وهي خارجة عن نطاق بحثنا هذا .

أسماء الشهور السامية الأصول :

من المعلوم أن السنة الهجرية هي سنة قمرية ، وأن الفصول لا تثبت إلا في السنة الشمسية . فعندما شملت الفتوحات الإسلامية الشام والعراق مست الحاجة ،

(١) سألت وزارة التربية والتعليم عن رأي الجمع في موضوع أسماء الشهور السامية الأصول ، وأسماء الشهور اللاتينية النجارية التي تستعمل في التاريخ الميلادي ، فوضع الأمير مصطفى الشكاني هذا البحث ووافق الجمع عليه .

في الأعمال الزراعية خاصة ، الى استعمال أسماء شهور تسائر التقويم الشمسي ، فانتسبت الأسماء التي كان يستعملها السريان والكلدان وغيرهم من الأقوام السامية وهي : كانون الثاني وشباط وآذار ونيسان وأيار وحزيران وتموز وآب وأيلول وتشرين الأول وتشرين الثاني وكانون الأول .

وعندما نقلت كتب الفلك والزراعة وغيرها من اليونانية ومن السريانية الى العربية استعملت فيها أسماء الشهور المذكورة ، ثم عمّ استعمالها الكتب التي ألفها القدماء فصار المرء يراها حتى في كتب الأدب وفي الآيات الشعرية . وسكان البلاد العربية الآسيوية لا يعرفون اليوم غيرها . وهي ذاتمة على ألسنتهم وفي كتبهم .

وهذه الأسماء ليست عربية . وقد سميتها الأمهات من معجاناتنا أسماء رومية . والصحيح أنها أسماء سريانية ، وأنها تمت الى أصول سامية قديمة ، وأن كثيراً منها اشتهرت فيها الآرامية والسريانية والعبرية وغيرها . والبحث في أصل كل اسم من هذه الأسماء طويل . وكذلك البحث في التقويم وفي بدء السنة لدى الأقوام القديمة المذكورة وغيرها .

أسماء الشهور اللاتينية في البلاد العربية الأفريقية :

ليست أسماء الشهور اللاتينية النجار مقتبسة من الفرنسية أو الانكليزية على ما ظنّه صاحب الاقتراح ، بل هي قديمة اقتبسها العرب في الأندلس من أعجمية سكانها أي من اللهجة الأندلسية للغة قشتالة القديمة وهي لغة متحدرة من اللاتينية . ثم عمّ استعمال تلك الألفاظ الأقطار العربية الإفريقية لصلات الأقطار المذكورة بالشعوب اللاتينية ، ولبعدها يومذاك عن الشرق العربي الذي ظل مقتصرأ على استعمال أسماء الشهور السامية أي كانون الثاني وشباط وآذار الخ .

وقد وردت أسماء الشهور اللاتينية في كتب زراعية أندلسية ومغربية قديمة ، وذكرها المسعودي (٣٤٦ هـ) في (مروج الذهب) ، والبيروني (٤٤٠ هـ) في (الآثار الباقية عن القرون الخالية) فقال نقلاً عن غيره : إن المغاربة يسمون الشهور بالأسماء الآتية : (مايه ، بونيه ، يوليه ، أغست ، ستنبر ، أكتوبر ، نونبر ، دخبير ، بنبر ، فبرير ، مرمه ، ابريز) . وقال : أما الروم فأسماء شهورهم (ينواريوس ، فبراير يوس ، صراطيوس ، افريل يوس ، مايوس ، يونيوس ، يوليوس ، أغسطس ، سبتمبر يوس ، طمبر يوس ، نوابر يوس ، دمبر يوس) .
ويمن ذكروا أسماء الشهور اللاتينية الأصل القلقشندي (٨٢١ هـ) في (صبح الأعشى) وسماها شهور الروم ، وبدأها بنشرين الأول وهي : (أكتوبر ، نوفمبر (وكذلك نونبر) دجنبر ، بنبر ، فبرير ، مارس ، أبريل ، مايه ، بونيه ، يوليه ، أغست ، ستنبر ، (وكذلك شتنبر) .

وينضح من ذلك أن العربية اقتبست من القديم في الأندلس والمغرب أسماء الشهور اللاتينية مثلاً اقتبستها الفرنسية والإسبانية والبرتغالية والإيطالية وغيرها من اللغات . أما الأسماء اللاتينية التي 'تستعمل اليوم في مصر فهي أحدث تعريباً ، وقد اختلف في نطقها عن الأسماء المغربية القديمة على ما هو واضح .
وهاكم الأصول اللاتينية للأسماء المعربة التي 'تستعمل اليوم في الأقليم المصري :
الاسم المعرب

في مصر	الأصل اللاتيني	الملاحظات
يناير	Januārius	حرف ز (ج) الفرنسي والانكليزي حديث وهو بلفظ ياء باللاتينية .
فبراير	Febrārius	وهو Februārius باللاتينية الكلاسيكية .
مارس	Martius	وهو Marzo بالإيطالية والإسبانية
	Mars	و Mars بالفرنسية .

الامم العرب في مصر	الأصل اللاتيني	الملاحظات
ابريل	Aprilis	وهو Aprile بالاطالوية وAbril بالاسبانية .
مايو « وكذلك مايه »	Majus	حرف ز بلفظ باء . وهو بالاسبانية Mayo .
يونيو « وكذلك يونيه »	Junius	حرف ز بلفظ باء . وهو بالبرتغالية Junho .
يوليو « وكذلك يوليه »	Julius	على اسم يوليوس قيصر لأنه ولد في هذا الشهر .
أغسطس	Agustus	باللاتينية الشائعة و Augustus باللاتينية الكلاسيكية .
سبتمبر	September	الشهر السابع لأن السنة الرومانية كانت تبدأ في مارس .
اكتوبر	October	الشهر الثامن Octo أي ثمانية لأن السنة الرومانية كانت تبدأ في مارس .
نوفمبر	November	الشهر التاسع لأن السنة الرومانية كانت تبدأ في مارس .
ديسمبر	December	الشهر العاشر (Decem أي عشرة) لأن السنة الرومانية كانت تبدأ في مارس .

الخلاصة :

يتضح مما مر ذكره أن أسماء الشهور المستعملة في الأقطار العربية في التاريخ المسيحي كلها غير عربية ، تستوي في ذلك الأسماء السامية الأصول والأسماء اللاتينية الأصل . ولكنها جميعاً معرّبات قديمة دخلت في العربية وأصبح لها حكم الكلمات العربية الصحيحة .

ومن المعلوم أن الأولى (كانون الثاني ، شباط ، آذار الخ .) هي أقدم تعريباً ، وأعم وروداً ، وألصق بترائنا العلمي والأدبي القديم من الثانية .
فجميع الكتب التي ترجمها أو ألفها علماؤنا وأدباؤنا القدماء في الشرق العربي لا تذكر غير تلك الأسماء الشرقية . وقد ذكرت أيضاً إلى جانب الشهور القبطية (طوبة ، أمشير ، برمات الخ .) في كتب ألفت في مصر في زمن الفاطميين والأيوبيين ككتاب قوانين الدواوين لابن عمّار وغيره .

ومها يكن الأمر في الماضي فالعالم العربي في أيامنا هذه فربقان : فربق في جزيرة العرب والشام والعراق لا يعرف ولا يستعمل في التاريخ الميلادي إلا الشهور السامية الأصول ، وفربق في الأقطار العربية الإفريقية لا يستعمل إلا أسماء الشهور التي هي من أصل لاتيني . ومن أشق الأمور حمل أحد هذين الفريقين على إهمال ما ألف استعماله من الأسماء .

ولا أرى من الحكمة ، في الجمهورية العربية المتحدة على الأقل ، أن تتيح الحكومة في أعمالها الرسمية إلى ترجيح أحد النوعين من الأسماء على النوع الآخر فتكتفي بواحد ونهمل الثاني . بل أرى أن فكرة توحيد الثقافة في الأقطار العربية كافة تقتضينا استعمال النوعين من الأسماء المذكورة في المراسلات الرسمية والتدريس الرسمي والإذاعات والكتب والمجلات والجرائد التي للحكومة سلطة عليها . فإذا أرخت إحدى الوزارات في سورية مثلاً رسالة في نيسان تضع إلى جانبها كلمة (أبريل) بين حاصرتين . والعكس بالعكس عندما تصدر إحدى الوزارات في مصر رسالة من رسائلها ، حتى لو كانت تلك الرسالة مختصة بالإقليم الجنوبي دون الشمالي .

وأرى أنه لا يجوز في القوانين خاصة إلا ذكر الاسمين لكي لا يستغلق التاريخ على أحد من أبناء الإقليمين في الجمهورية . ولعله من المفيد إحالة

الموضوع على المراجع العليا لكي تنظر في أمر إصدار قرار جمهوري يحتم على الوزارات والمؤسسات الحكومية استعمال اسم الشهر الشرقي واسم الشهر الغربي جميعاً في التاريخ الميلادي ، بحيث يذكر في الإقليم الشمالي الاسم الشرقي مضافاً إليه الاسم الغربي بين حاصرتين ، وبذكر في الإقليم الجنوبي الاسم الغربي مضافاً إليه الاسم الشرقي بين حاصرتين وهكذا .

وربما كان من الوسائل الناجعة إصدار تعليمات الى محطات الإذاعة في الجمهورية خاصة بأن تستعمل التسميتين ، على غرار ما تفعل بعض المحطات الأجنبية للإذاعة . ومن المعلوم أن أسماء الشهور العربية في التاريخ الهجري هي مشتركة بعرفها ويستعملها أبناء جميع الأقطار العربية . وهي خارجة عن نطاق هذا البحث على ما مرّ ذكره .

مصطفى الشهابي

العلاقات الجوهرية (*)

بين اللغتين العربية والآرامية « السريانية »
في النواحي التاريخية والفنية واللغوية والأدبية

- ٢ -

وهنا يجدر بنا الإلماع إلى اللهجتين الآراميتين الكبيرتين ، واللهجات المتفرعة عنها ، واليك ذلك :

١ - اللهجة الشرقية :

إن اللهجة الآرامية الشرقية هي اللهجة الفصحى النقية التي انتشرت يوماً ما في بلاد بابل ، وما جاورها من الأمصار ، وفيها نزل جانب من سفر النبي دانيال وغيره من أسفار العهد القديم ^(١) . وهي عينها التي تعلمها اليهود في السبي أيام نبوخذنصر م . م . بسبعة قرون ، واستعملوها كذلك بعد رجوعهم من الجلاء ^(٢) . إلا أن هذه اللهجة عينها تفرعت إلى لهجتين متباينتين : الأولى ، وهي الفصحى ، وكانت لغة الخاصة ، والثانية ، وهي لغة العامة ، وتمازجها ألفاظ واصطلاحات غريبة كثيرة ^(٣) .

ويسمى الكتاب المقدس هذه اللهجة عامة (آرامية) ^(٤) . وصماها ربانيو اليهود (سريانية) ^(٥) . ودعاها العهد الجديد (العبرانية) ^(٦) .

(*) انظر القسم الأول من هذا المقال في ص ٥٦٨ - ٥٨٧ من المجلد السابق (٣٣) من هذه المجلة .

(١) القصة الشبهة ص ٥١ .

(٢) فيه أيضاً .

(٣) تاريخ شعوب الشرق القديم لسبيرو ص ٧٧٥ .

(٤) سفر الملوك الثاني ١٨ ، ٢٦ وسفر أشعيا ٣٦ ، ١١ وسفر عزرا ٤ ، ٦ و ٧ .

وسفر دانيال ٢ ، ٤ .

(٥) القصة الشبهة ص ٥١ .

(٦) القصة الشبهة ص ٥١ .

وأهم اللهجات المتفرعة عن اللهجة الشرقية في بلاد بابل هي اللهجة المانوية ^(١) ، واللهجة الماندية وهي لهجة الصابئة في بلاد بابل . وما زالت موجودة الى الآن بنغبيير ضئيل ^(٢) ، وبلحق علماء الساميات بها اللهجة النبطية أيضاً ^(٣) .

ومن فروع اللهجة الشرقية أيضاً اللهجة اليهودية بقسميها ، القسم اليهودي والقسم الجليلي ، ثم اللهجة السامرية واختص بها سكان مدينة السامرة وما جاورها ، وقد أشبعنا هذا الموضوع درساً في مقال (الثقافة السريانية) الذي نشرناه تباعاً في مجلتنا (المشرق) سنة ١٩٤٦ ص ٧٥٠ - ٧٥٦ .

٢ - اللهجة الغريبة :

كانت هذه اللهجة منتشرة في سورية كلها اعتباراً من مدينة الرها الشهيرة ، ومن نهر الفرات شرقاً الى البحر المتوسط غرباً ، وتشتمل ربوع لبنان كلها ، وكانت لغة الآداب منذ أول عهد الأدب الآرامي ، وفيها تركت المؤلفات النفيسة ، وقد ظهرت آثار هذه اللهجة قبل العصر المسيحي بقرون عديدة ، ونقلت عن الهياكل الوثنية والتماثيل والصخور والأسطوانات وغيرها ، ولم نجد لها فروعاً هامة خلافاً للهجة الشرقية .

ويحدثنا العلامة ابن العبري عن تشعب اللغة الآرامية على أثر انتشار أبنائها في الأصقاع ، واختلاطهم بالأمم المجاورة لهم ، وابتعاد اللهجات الآرامية بعضها عن بعض ابتعاداً عظيماً ، يقول : « يجب أن نعلم أن اللغة الآرامية انتشرت في بلاد قاصية أكثر من جميع اللغات ، وهو الذي سبب تشعبها حتى إن الذين كانوا يتكلمونها كانوا لا يفهمون إلا بترجمان . وكانهم يسمعون

(١) شاو ص ٣٢ .

(٢) المشرق السنة الأولى ص ٦٩٥ .

(٣) المشرق السنة الأولى ص ٦٩٧ - ٧٠٠ .

بعضهم من بعض لغة عربية ، فإن سكان سورية يتكلمون لهجة غربية عن لهجة فلسطين ، وكذلك المشاركة الذين ابتعدوا كثيراً عن الأصل أكثر من هؤلاء ، واتبعوا اللهجة السكندانية وانسجوا اليها» ^(١) .

وإذا اعتبرنا هذه الناحية حسبا يرد بها هذا اللغوي الفيلسوف نجد الفروق التي نشأت بين اللهجات الآرامية أكثر تأثيراً من الفروق الناشئة بين اللهجات العربية ، ونقر أن هذه اللهجات ابتعدت بعضها عن بعض بعداً شديداً ، إلا أننا نعتقد أن الفروق نشأت بين اللهجات المحكية فقط دون لغة الكتابة والأدب ، لأن الآثار الآرامية المكتشفة تدل على أن تلك الفروق لم تكن فاصلة بين اللهجات الآرامية المختلفة بالشكل الذي شرحه الفيلسوف اللغوي . ومما يمكن فانا نجد أن جميع اللهجات ثلاثت ولم يبق إلا اللهجتان المعروفتان ، وهاتان أيضاً لا تختلفان إلا باللفظ فقط ، وهما تتفقان في كل شيء سواء .

ومن مراكز الثقافة الآرامية التي أفاد منها أكثر ما يكون الفكر العربي مدينة حران الآرامية الوثنية التي ازدهرت في كثير من نواحي المعرفة الإنسانية من علم وأدب ودين ، واتصلت بالفلسفة اليونانية القديمة ، واستخدمها علماؤها في البلاط العباسي في نقل القسم الكبير من الفلسفة اليونانية ، من اللغتين اليونانية والآرامية (السريانية) الى العربية ^(٢) .

ونصيبنا من بحث اللهجات العربية والآرامية في موضوعنا هذا هو النظر الى التطورات المتأصلة التي طرأت على هاتين اللغتين الشقيقتين من جهة ، والتأثير الذي خلفته إحداهما في الأخرى ، وعلى الأخص في القسم الشمالي من الجزيرة

(١) المدخل لابن السري في الكلام عن اختلاف الحركات السريانية - الشرح -

(٢) أخبار العلماء وأخبار الحكماء لابن الفطحي ص ٧٧ - ٨٠ و ص ١٣٠ - ١٣٣ ،

والفهرست لابن النديم ص ٣٨٠ .

العربية ، وفي أنحاء فلسطين والشام وتدمر ، بتأثير مملكتي تدمر والبطراء ، وهو ما كان سبباً في حيازة اللغة العربية مفردات كثيرة ليس في الشمال فقط بل في جميع أنحاء الجزيرة العربية ، على ما أنبأنا به علماء الساميات ^(١) .

ومما تجب الإشارة إليه أن اللغة العربية الشمالية ، القريبة من العمرات والمدنية ، استطاعت ابتلاع بقية اللهجات المنتشرة في أواسط الجزيرة وفي جنوبها ، وانفردت بالسيادة المطلقة آخذة مادتها من جميع اللهجات القديمة البائدة ، ومستفيدة من شقيقتها القريبتين الآرامية والعبرية ، مما أغناها بالألفاظ الغريبة ، وجعلها بالمادة اللغوية التي لا تنضب ، إلا أن الآرامية وإن تلاثت لهجاتها الفرعية ، فإن لهجتها الأساسية الشرقية والغربية لم تزال في قيد الحياة ، وفيها مادة لغوية وأدبية صالحة ، وهما تسيران جنباً إلى جنب منذ العصور الأولى للمسيحية ، لما أفادتهما من غذاء أمدهما به العلماء الكبار الذين نبغوا في شتى العصور .

والشيء المهم الذي نقرره ، بعد المرور على جميع اللهجات العربية والآرامية ، هو أن هاتين اللغتين خضعتا لظروف واحدة ، وسارتا تحت تأثيرات متشابهة ، وتماوتتا في جميع عصورهما ، على ما نراه في السطور التالية ، ولذلك لا يمكن دراسة نشوء كل منهما بمفردها ما لم يُبحث في نشوء الثانية منذ مطلع وجودها إلى عصر النضج والازدهار والانتاج .

وما خلا امتزاج لهجات كل من اللغتين وتكوين لغة عربية موحدة ، ونشوء لغة آرامية واحدة أيضاً في المادة مختلفة في اللفظ ، نجد اللغتين الكبيرتين العربية والآرامية تتقاربان في فترات كثيرة من فترات تاريخهما ، وذلك بتأثير الاتصالات التجارية وغيرها ، فتؤثر إحداها في الأخرى وتكون فيها مادة جديدة ، وقد تكون أيضاً أساليب جديدة في اللفظ والتعبير . ولولا انتشارهما

(١) تاريخ اليهود في بلاد العرب ص ٧٩ - ٨٩ .

الواسع وتزاورهما المستمر لما رأينا هذه الوحدة الى الآن بينهما ، ولحرمنا أموراً وفوائد جنيئناها من ذلك التزاور وذيالك التقارب ، ولا ينبغي أن كثرة لهجات كل من اللغتين ، واستمدادها مواد جديدة بفعل الزمن كل ذلك أضعفها بالقوة والحياة ، ووسع نطاقها ، وسما بها الى مستوى أرقى اللغات في العالم القديم . وبعد هذه النظرات العاجلة نتقدم الى تحري موضوعنا بأقسامه الكبرى ، واليك ذلك :

٤ — العلاقات التاريخية بين العربية والآرامية

علما سابقاً أن هاتين اللغتين أبصرتا الوجود كلتاهما في نحو مطلع الألف الثاني قبل الميلاد ، ولا يمكن تقديم احدهما على الأخرى تاريخياً ، وإن كانت الآرامية تركت آثاراً بنفسه سبقت فيها الآثار العربية بمهد طويل ، وذلك لأسباب اجتماعية تخص الأمتين الساميتين العربية والآرامية ، فإن العربية بقيت وقتاً طويلاً منزلةً في فلواتها الواسعة بعيدة عن أعين التاريخ ، ويظهر أن العرب في تلك الأيام لم يميلوا الى تدوين أخبارهم لأسباب نجهلها ، وربما كان ذلك لعدم انتشار الكتابة عندهم الى حين ظهور مدينيات عربية في أعماق الجزيرة العربية ، حيث تركت لنا آثاراً وإن كانت قليلة إلا أنها تدل على مستوى هام في الحضارة والمدنية ، وأما اللغة الآرامية فقد تبعت أهلها الآراميين ، فاحتكت بالأمم المجاورة ، ونشأت فيها حضارات باذخة في وادي الرافدين وسهول سورية ، وأصبحت لغة دولية بالمعنى الصحيح منذ منتصف الألف الثاني قبل الميلاد ، وهذا هو السبب في ظهور آثارها سابقةً للآثار العربية بزمان طويل . لما كانت العربية والآرامية تنحدران من أصل سامي واحد كان لا بد لها من التعاون التاريخي في مختلف عصورهما ^(١) . فعملاً تم الاتصال بين القبائل

(١) عاضرة الأستاذ ديبون سورس في الجامعة السورية سنة ١٩٥١ .

العربية الشمالية وبين أمم سورية والعراق الناطقين بالآرامية منذ أقدم العصور التاريخية ، لأسباب كثيرة قد تكون حربية أو تجارية أو اجتماعية ، وبهذه الوساطة تبادلت اللغتان القوة والحيوية من الوجهتين العلمية والأدبية ، وتوثقت بينهما العلاقات اللغوية ، وهو ما أكسب اللغة العربية على الأخص مادة غزيرة لاستطيع حصرها الآن لتقدم العهد عليها ^(١) .

ونجد ، عدا ذلك ، قبائل حمة آرامية تتوغل في الجزيرة العربية ، وتمتزج بالعرب أنفسهم حاملة معها لغتها وحضارتها وسأكتب إياها في جدول اللغة العربية ، وقد وجد علماء الساميات في اللهجات العربية المنتشرة عصرئذ مادة لغوية غزيرة جزموا أنها ليست عربية لأنهم تدل على معان دينية وعلمية وعمرانية لم تكن مألوفة عند العرب ، بل هي خاصة بالأقوام العبرية والآرامية ، وقد أفادت العربية من ذلك قوة جديدة ^(٢) .

على أن أقدم ذكر لبداية العلاقات بين القبائل العربية القديمة وسكان سورية الآراميين والعبريين ، ورد في النصوص الآشورية ، وتسميهم هذه النصوص باسم « قدري » كما يسميهم العهد القديم باسم قيدر أو بني قيدر ، وهم من ذرية اسماعيل بن ابراهيم الخليل ، وكانوا رعاة يربون قطعان الضأن والأبل ويبيعونها لأهل صور خصوصاً ، ويسكنون الخيام السود المؤلفة من الشقق ، وذكر أشعيا النبي بعض مساكنهم (أش ٤٢ ، ١) وذكر أرميا النبي العبراني قبائل أخرى من بني قيدر فسمها (حاصور) مستمدة من الكلمة العبرية (حصيريم — الحضائر) وهم سكان حضائر حجرية مغطاة بالعوصج والشوك لحماية السكان والقطعان من الوحوش والصوص .

(١) إسرائيل ولفسون ص ١٦٢ .

Die aramäischen Fremdwörter in Altarabischen : S. Fraenkel

(٢)

وتذكر النصوص الآشورية قبائل أخرى وتسببهم (بني قدم) ومعنى ذلك بالعبرية القديمة (بني المشرق) . ويطلق هذا الاسم على البدو الضاربين عصرئذ في الصحراء السورية العراقية . وأطلق عليهم فيما بعد اسم (Sarakimai) وهي مشتقة من كلمة (الشرقيين) العربية ، ومثلها كلمة *سَكِيمَا* الآرامية ، وقد رافقوا النبطيين دهرأ طويلاً . ويذكر بنو قيدار أيضاً في الرقم الآشورية في أخبار حروب أسرحدون (٦٨١ - ٦٦٩ ق م) ، وفي أخبار ابنه وخلفه اشور بانيبال (٦٦٨ - ٦٢٦ ق م) ويتتابع ذكر القبائل العربية في الرقم الآشورية ، وكثيراً ما سموا بالعرب (*أَرِبِي* Aribi) . ويتوارد ذكرهم في العصور التالية ^(١) .

ومن هذه اللحظة الوجيزة نستنتج حصول علاقات متواصلة بين القبائل العربية ، والأمم الآرامية التي كانت منتشرة في تلك العصور على ضفاف دجلة والفرات وفي سهول سورية وما جاورها من المناطق ^(٢) ، وهو ما أوجد علاقات متواصلة بين اللغتين العربية والآرامية منذ أقدم عصورهما .

هذا ما رأيناه في شمالي الجزيرة العربية ، أما في الجنوب فنن الرامن ازدهار أربع ممالك منحصرة فيه أقدمها معين ، ثم سبأ وحضرموت ، ثم قتيبان . وأقدم اتصال يذكره لهم المؤرخون بسكان وادي الرافدين - ومنهم الآراميون - كان في الألف الثاني ق م ، وقد اتصلت لغتهم بلغة أولئك الأقوام وروحيتهم بروحيتهم ، فقد رأيناهم يعبدون آلهة عبدها الآراميون وغيرهم قبلهم ، وأكبرها الآله (سين) أي القمر ، ولا نذكر أن اللغة العربية عرفت (القمر) باسم (سين) ، والمعلوم أن هذه التسمية للقمر قديمة جداً وما زالت موجودة في

(١) مقال الأستاذ M. Rodenson : الكتابات الصفوية ، سور المجلد الثاني سنة ١٩٤٦

ص ١٣٧ - ١٤٢ .

(٢) Barton. op. cit. P. 204.

اللغة الآرامية الحاضرة . وقد مموه أيضاً (سهر) والمعلوم أن القمر بالآرامية الحاضرة يسمى (سهر أو سهر) . وما عدا ذلك فقد وجد المنقبون معبداً للإله (سين) في موضع من حضرموت يدعى (حريصة) ، ووجدوا بعض النقوش الحضرمونية تشير إلى أنه معبد الإله (سين) ^(١) ، وكذلك عبد القنبايون الإله (عم حم) ومعناه شعب وقوم في الآرامية ، وهو أيضاً من ألهتهم .

ومما يؤيد علاقة العرب بالآراميين أكثر من هذا محالفة الأمير العربي (جندب Gindibu) لمدد عزيز ملك دمشق الآرامي على الملك الآشوري شلنصر الثالث الذي حاربهم سنة ٨٥١ ق . م في موقعة (القرقر) شمالي حماة ^(٢) . ومما لا شك فيه أن محالفة مثل هذه تخالف وحدة والفة بين المتحالفين سواء من الوجهة الحربية أو الاجتماعية أو اللغوية الأمر الذي يؤيد اتصال العربية بأختها الآرامية اتصالاً متواصلاً .

وإذا وجهنا أنظارنا إلى الرقم التاريخية التي ظهرت نتيجة تنقيبات العلماء في خرائب المدن العربية المندسة وغيرها ، نجد ما يدهشنا من العلاقات الوثقى بين العربية والآرامية ، وهو ما يؤيد تعاون هاتين اللغتين الشقيقتين في جميع عصورهما ، ويبرهن على استمرار الاتصال اللغوي والدللي والاجتماعي بين ذبلك الشعبين العظيمين . هذه قبائل ثمود وداراتها في شمال الحجاز ، فهي قد تركت لنا كتابات هامة تفيدنا في بحثنا هذا ، وقد تركتها إما في مواطنها هذه أو في غيرها ، ولوحظ أن خطوطها وتماييزها كانت مستعملة عند قبائل عربية أخرى ، كبلاد نجد وهضاب طور سبنا ، ولا يعلم هل انتقل هذا الخط من الثموديين

G. Gatton Thompson : The Tompes and Temple of Horeidha
« Hadramaut » 1944

(١)

Luckenbill. op. cit. 1. sec 611.

(٢)

الى تلك المناطق أو القبائل ، أو أن الثموديين أخذوه منهم . ومما يمكن الأصر فالهم في موضوعنا وجودها لا أما كنه .

وأهم رقيم من الرقم الثمودية ، وتاريخه سنة ١٥٦ م ^(١) ، نراه مزيجاً من الكلمات العربية والآرامية . واليك ذلك حسباً حله العالم لثان وثبته بالحروف العربية . « دنه قبور صنعه كعبو ير حرتب للقص يرث عبد منوتي أمه دو هلكت في الحجر شنة ماه وشنين وترين ويرح تموز ، ولعن مصرى علما من يشنا القبور دا ، ومن يفتحه حشى بلده ، ولعن من يغير دا على منه » .

وترجمته في العربية : « هذا القبر صنعه كعب بن حارثة للقيظ بنت عبد مناة أمه التي هلكت في الحجر سنة مئة واثنين وستين من شهر تموز ، ولعن رب العالمين من غير هذا القبر ، ومن فقه يمس بأولاده (يمس) ولعن من غير الذي كتب أعلاه » .

في هذا الرقيم ثمان وثلاثون كلمة ، عشر كلمات منها آرامية صرفة ، والبقية عربية وثمودية ، وذلك يؤيد ما نحن بصدده ، فكلمات « ير و يرث وشنة وشنين وترين ويرح وشنا وحشى » كلها آرامية ، وما عدا ذلك ففي هذا النص ورد عدد السنين بالأسلوب الآرامي وهو تقديم العدد الكبير على الصغير كقوله « شنين وترين » ، وعن الآرامية أخذت العربية هذا الأسلوب في العدد واستعمله العرب القدماء كثيراً .

ولدى تأمل بسيط في هذا الرقيم نجد العربية والآرامية متحدتين فيه كأنها لغة واحدة . وقد نجد رقماً أخرى غيره جرت هذا المجرى ، وربما جرى غيرها مجرى اللغة العبرية ، فمزج بين اللغات الثلاث العربية والآرامية والعبرية ^(٢) .

(١) أي سنة ٢٦٢ وفقاً لتاريخ بصرى ، وكانت بصرى تؤرخ حوادثها من تاريخ القراض مملكة النبط سنة ١٠٦ م .

(٢) ١١٥-١١٩ Semitic Inscriptions وفي كتابه من ٢٨ Thamudenische Inschriften

ولكن بما لا شك فيه أنه في القرن الرابع الميلادي كانت اللغة الأدبية لم تزال اللغة الآرامية^(١) .

هذا ما يلزمنا قوله في صدد الرقم التهودية . وهو كاف ليدلنا على التلاقي المكين بين اللغتين العربية والآرامية ، وبفسر لنا تأثير العربية بأختها الآرامية . وهناك في منطقة بين جبل الدروز وتلؤل أرض الصفا (تسمى الحرة) وجدت كتابات عربية كثيرة اتفق علماء الساميات على أن يسموها (الكتابات الصفوية) نسبة إلى الصفا حيث ساح كثيرون من المستشرقين فجمعوا قسماً عظيماً من هذه الكتابات وحلوا أعجديتها ، ولكنها بقيت غامضة إلى أن زارها العالم (ليتان) وجمع منها أكثر من ألف وأربعمائة كتابة ، وعاد إلى بلاده ودرسها ، فتوصل إلى نتائج هامة عجز عنها غيره ، فحل جميع رموزها وفك معجمات أعجديتها التي تتألف من ثمانية وعشرين حرفاً ، كما هي في العربية . ويعتقد الأستاذ ليتان أن هذه الكتابات ترجع إلى القرون الثلاثة الأولى بعد الميلاد ، وعرف أن أصحابها كان لهم اتصال بالمذنبات المعاصرة لأنهم يؤرخون بحدوث مشهورة كحروب النبط ، أو حرب الفرس مع الروم ، أو تاريخ بصرى^(٢) .

ان الكتابات الصفوية هذه هي بلا شك كتابات عربية إلا أنها تحوي كلمات آرامية كثيرة ، وتذكر آلهة آرامية واصطلاحات آرامية لا عهد للعربية بها . ففي أحد النقوش الصفوية مثلاً كلمة (داد) معناها (غم)^(٣) وهذه مادة آرامية قديمة وإن كان لها نفس المعنى بالعربية .

(١) اللغات السامية ص ١٧٨ .

Littman (١) Zur Enturiferung der Safa Inschriften

(٢) Semitic inscriptions.

(٣)

Dussaud : Les Arabes en Syrie avant l'Islam

(٣) ص ١٣٨

وكذلك نجد في نقش آخر أسماء آلهة آرامية مثل (بعل شمين ، ودشر ، وشيع القوم) . ومعنى (بعل شمين : الهة السموات) و (أودشر دمر : حارس النبات) ، و (شيع القوم) من آلهة الأنباط وهو لا يشرب الخمر (دي لاشناجر) ، وقد اختلف المستشرقون في معنى هاتين الكلمتين ، فذهب (ليتمان) الى أن الأولى (آرامية) والثانية (عربية) . وقال غيره إنها عبريتان ، أما نحن فنقول إنها كلمتان آراميتان ، الأولى مستمدة من فعل (سَمِعَ) ومعناها عَضَدَ ك (أبد ، نهر) لتساوي السين والشين في الأبيديات الصفوية . والثانية (قوم) هي آرامية أيضاً وبالمعنى العربي المعروف (قوم ، شعب ، جماعة) ^(١) ومعنى الجملة المركبة (نصير القوم) .

وأنت ترى في هذه النقوش مادة آرامية لا تمت الى العربية بصلة ، وهذا ما يؤيد تلاقي اللغتين الشقيقتين في هذه المنطقة أيضاً شأنها في غيرها . ومصادقاً لما ذهبنا اليه ان الأستاذ ليتمان وجد في تحرياته الكثيرة للهجة الصفوية هذه مادة غريبة غير مألوفة في العربية ، أخذت من الآرامية والعبرية ، ولاحظ أسماء أعلام كثيرة غير معروفة في العربية ، كما وجد أفعالاً غريبة عن العربية ، وأصاليب أعجمية كلها استمدت من الآرامية أو العبرية أحياناً ^(٢) .

واكتشف الاثريان الفرنسيان فرديريك ماكليز Frederic Macler وربنه دوسو René Dussaud نقشاً مهماً آخر في منطقة الحرة نفسها ، في وادي السوط الذي يصب في وادي الشام بالنارة وذلك في الرابع من نيسان سنة ١٩٠١ ، وهذا النقش بالأبجدية النبطية وباللغة العربية نتجّله بعض كلمات آرامية واليك كلماتها ومقاطعها :

(١) قاموس منا السرياني العربي ص ٦٦٤ .

(٢) ليتمان Semitic Inscriptions

- (١) في نفس مر القيس ير عمرو ملك العرب كله ذو امر التاج .
 - (٢) وملك الاسدين ونزارو وملوكهم وهرب مذحجو عكدي وجاء .
 - (٣) يزجاي في حبج نجران مدينت شمر وملك معدو وبين بنيه .
 - (٤) الشعوب وكاهن فارسو لروم فلم يبلغ ملك مبلغه .
 - (٥) عكدي هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ بكسلول بلسعد ذو ولده .
- وهذه ترجمتها العربية كما قرأناها نحن بعد تحريات ومقابلات كثيرة باللغة السريانية الحاضرة وهي ولا شك الآرامية بثوبها الجديد :

- (١) هذا قبر امرئ القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذي عقد له التاج .
 - (٢) وأخضع الأسدين ونزاراً وملوكهم وهزم مذحج و (منعه أو عطله أو صده) وجاء .
 - (٣) شنت (يزج) وأسقط نجران مدينة شمر وأخضع معداً وسلط بنيه .
 - (٤) (على) الشعوب فسحوا الى العلى فلم يبلغ ملك مبلغه .
 - (٥) وذريته وهلك سنة ٢٢٣ في اليوم السابع من شهر كسلول (كانون الأول) .
- فليسعد الذين خلفهم (فليسعد ولده) .

واليك شرح ذلك وتعليل مخالفتنا في قراءة هذا النص لجميع علماء الساميات الذين استعرضوه وترجموه حسبما نراه لهم :

ان كلمة (ني) من استعمال قبيلة طي وهي ضمير الإشارة القريب للمؤنث ، و (نفس) بمعنى (قبر) في اللغة النبطية ، (وامرؤ القيس) لا حاجة لنا يبحث من هو لأنه خارج عن نطاق موضوعنا ، و (ير) كلمة آرامية بمعنى (ابن) و (ذو) بمعنى (الذي) في لهجة طي ، و (امر تاج) هي المعنى الدقيق للعبارة الآرامية ~~امرتاج~~ أي ربط التاج أو عقد له التاج .

وقد خالفنا العلماء بخمس نقاط من هذه القراءة ، واليك تعليل ذلك نقطة فنقطة :

(١) ان الكلمة التي قبل الأخيرة من السطر الثاني في النقش (عكدى) أثبتتها الدكتور ولفنسون^(١) كما يلي :

« وهزم مذحج بقوة » ، تبعاً لما قرأها الأستاذ ليدزبارسكي^(٢) ، وأثبتها الأستاذ م . رودنسون « تماماً » ، وقد أورد الأستاذ المشار إليه رأي جوزيف هالفي بأن لا تقرأ (عكدى) بل (كعدى) مقابلةً لكلمة الترجوم العبراني التي معناها حتى الآن (عد كدون) . إلا أنه نبذ هذا الرأي وقرأها تبعاً للأستاذ ليدزبارسكي (عكرى) ، وذهب الى أن (عكرى) في النص في محل (عكارى) وهي - عنده - كلمة على وزن (فعال) من الأسماء المستعملة في معنى « الحال » . وهكذا تكون - بحسب رأيه الأخير - « عكار » تعادل « عكرا » أي أصلاً^(٣) .

أما نحن فنخالف الأستاذين ليدزبارسكي وولفنسون بكونها بمعنى « القوة » . وكذلك نخالف « هالفي » بكونها مستمدة من الكلمة الترجومية « كعدى » (حتى الآن) ونوافق الأستاذ رودنسون بقراءتها « عكرى » . ولكننا نخالفه بكون معناها (أصلاً أو تماماً) ، ولدينا كلمة مبريانية هي (حنة) بمعنى حجر ، منع ، عطل ، صد ، عاق^(٤) الخ . وما عدا ذلك نجد تقارباً شديداً بين (راء والدال) في النبطية ، فيمكن أن تقرأ هذه الكلمة (عكدى أو عكرى) وهو الأصح .

٢ - هناك كلمة (يزجي أو بزجاي) ، لقد ألحق بها الأستاذ ولفنسون الكلمة الأخيرة من السطر الثاني وأثبتها هكذا : (وجاء الى يزجي أو عرجي)^(٥) ،




(١) لغات السامية ص ١٩٠

(٢) ج ٢ ص ٣٥ Lidzbarski : Ephemeris


(٣) مقالة في سومر ، الكتابات الصفوية ص ١٤٧ المدد الثاني لسنة ١٩٤٦ .

(٤) قاموس منا السرياني العربي ص ٥٤١ .

(٥) لغات السامية ص ١٩٠ .

بينما قال الأستاذ م . رودنسون إن كلمة (بزجي) ليست قراءتها مؤكدة ، إلا أنه يأخذ برأي دوسو الذي يقرأها (بزجاي) أي (بتوفيق) ، إلا أننا لم نرتح لما أورداه ، ولدينا كلمة سريانية هي () ومعناها (فرد . فرق . شئت) ^(١) فإذا جعلنا مطلع هذا السطر على النحو الذي أثبتناه أي (شئت) ، (نجران الخ) يستقيم المعنى ، أو إذا أردنا أن نقول غير ذلك لدينا كلمتان سريانيتان يمكن تركيب كلمة منها ويستقيم المعنى أيضاً وهما كلمة () بمعنى غيب ، صلب (ذل) ، وكلمة () بمعنى (تعجرف ، تكبر) ، فنستطيع أن نقول أيضاً (أذل عجرفة نجران الخ) .

ونصر على رأينا بقراءتها (شئت) لأن الكلمة السريانية مطابقة للمعنى ، ولأن الأستاذ رودنسون يؤكد أن قراءتها السابقة ليست مؤكدة بعد .

٣ - في السطر الثالث نفسه نجد كلمة (حبج) ، وقد أثبتنا الأستاذ ولفنسون (في حبج نجران) ، بينما قرأها الأستاذ رودنسون (حبج) بمعنى (حاصر) استناداً على ما ورد في شرح المحيط الذي يفسرها (دنا . اكتنف سار شديداً . حبج) (في محاصرة نجران) . أما نحن فنخالف الدكتور ولفنسون ونوافق الأستاذ رودنسون على كونها (حاصر) ، وتزيد على ذلك كلمة سريانية بمعناها ، وهي () أي (صرع . أسقط . جندل) ، إذ يمكن أن تقرأ هكذا أيضاً لتقارب صورتي (الجيم) و (الطاء) في الأبيجدية النبطية .

٤ - في السطر الرابع نجد جملة هي (وكلهي فرسو لروم) أثبتنا الأستاذ ولفنسون بقوله : (وكله الفرس والروم) ، بينما قرأها الأستاذ رودنسون (ونظهم فوارس للروم) . ونجد اختلافاً بين القراءتين ، فالأولى تجعل (امراً القيس) (وكله الفرس والروم) فعلى ماذا وكله ؟ لا ندري . وفي

الثانية نجد (امرأ القيس) بنظم بنيه (فوارس للروم) . ولا يستبعد أن تكون علاقة لهذه القبائل العربية بالفرس أو الروم ، أو أن يجعلها أحد الجانبين حليفة له ضد الجانب الثاني ، إلا أن مما قيل عنه في الجملة التالية (فلم يبلغ ملك مبلغه) لا يظنه يجعل بنيه (فوارس) للروم أو لغيرهم ، وقد تحبط علماء الساميات في قراءة هذه الجملة ، وأورد الأستاذ رودنسون آراءهم فقال : إن يبدو ومارتين وهارتبان وكليمون غانو ، وتبعهم دوسو أحياناً ، ذهبوا إلى أن (فرسو) تعني الفرس ، وعلى بيزر ذلك بقوله « لأن الفرس كانوا قد خذلوا القبائل العربية أمام الرومان » ، وترجم كليرمون غانو ذلك بقوله : « وانتدبهم لدى الفرس والرومانيين » ، والرأي الأول يفترض أن امرأ القيس كان تابعاً للرومانيين ، ويفترض الرأي الثاني أن هذا الأمير العربي كان يمثل دوراً مستقلاً على وجه المعادلة بين الفرس والروم ، ولكن « ليدز بارسكي » رفض الرأي القائل بأن (فرسو) تعني الفرس ، بل رأى أن كلمة (فرسو) تعني (الفوارس) جمع فارس ، واعتنق دوسو هذا الرأي أولاً ، وترجم الاثنان هذه الجملة بما ترجمها الأستاذ روندسون .

(يتبع) (الموصل)
غريغوريوس بولس بهنام

مهرجان أحمد شوقي

درج مجمعا العلي العربي بدمشق على سنة حميدة في الاحتفاء بعلماء العربية وأدبائها ، وتكريمهم وتأييدهم ، من قدماء ومحدثين ، فأحيوا لهم حفلات عدد فيها محاسنهم وخدماتهم للغة العربية وآدابها ، وذكر أيايدهم على الثقافة ، ووفاهم حقهم في التعريف والتكريم والنقد . وقد قام بتأبين الأستاذة الشيخ طاهر الجزائري ، وأحمد كمال المصري ، ومحمود شكري الآلوسي ، ومصطفى لطفي المنفلوطي ، ومحمد حافظ ابراهيم ، وأحمد شوقي ، ومحمد رشيد رضا^(١) .

وخص من القدماء المتنبى والمعري بحفلات ألفية ، كانت مهرجانا للشعر والأدب ، تكلم فيها المستشرقون والعرب في فضل الرجلين خلال أسبوع لكل منهما ، فكان الأسبوعان عكاز الشعر والخطابة . وقد طبع المجمع مهرجان المعري في كتاب جمع فيه ما قيل عن فيلسوف المعرة وشاعر العرب سنة ١٩٤٥ ، بعده النقاد مرجعا نافعا في هذا الباب ، وبذكره القراء للمجمع بالحمد والثناء ، ويرجون أن يعهد إلى طبع ما قيل في المتنبى امهرجانه ، في كتاب مستقل خدمة للأدب وتخليداً للشاعر الفحل الذي ينطق شعره بكل جنات ، ويتحدث بكل لسان ، ويرفع للشعر العربي منارا بين الأمم على الأزمان والأوطان .

ودرج المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالقاهرة ، على خطة حميدة كذلك ، فعمل على تكريم الشعراء والأدباء والفنانين الذين

(١) راجع « تاريخ المجمع العلمي العربي » تأليف الأستاذ أحمد الفتيح ، دمشق ١٩٥٦ ،

بالصفحات ٨٢ - ١٠٨ .

رفعوا للفتنا وآدابنا وفنوننا علماً بين أعلام العالم . فقام باحياء ذكرى الشاعر محمود سامي البارودي ، ثم باحياء ذكرى محمد حافظ ابرهيم^(١) ، ونشر ما كان في المهرجانيين من كلمات ودراسات وقصائد في كتابين اثنين .

وقام المجلس هذا العام باحياء ذكرى الشاعر الخالد أحمد شوقي في مهرجان حافل ، لمرور خمس وعشرين سنة على سكوت هذا البلبل الذي غردت قوائمه بفضل العرب والإسلام ، وجلجلت قصائده في ذكرى مصائبهم وأفراحهم ، فكان ديوان العرب في كل قطر . ودعا المجلس إلى إقامة هذا المهرجان في القاهرة من ١٥ - ٢٢ تشرين الأول ١٩٥٨ (أكتوبر) ، وندب له من الأقطار العربية خطباء يتكلمون في عميد الشعر العربي للقرن العشرين^(٢) . وكانت القاهرة خلال هذا الأسبوع موضعاً لتلاقي رجالات الأدب من العراق ولبنان واليمن والجزائر والمغرب والسعودية والسودان والجمهورية العربية المتحدة باقليميهما السوري والمصري .

وكان موضع المهرجان القاعة الذهبية بقصر محمد علي السابق (في المنيل) ، وهي قاعة جميلة موقفة ، تزينت جدرانها بالذهب ، وطليت أعمدها بأجمل النقوش الفنية والمصابيح الزاهية ، وكتبت على جدرانها أبيات البوصيري في مدح النبي الأعظم ، وزها سقفها برائع الوشي والحلي ، فكان شوقي يعيش بروحه من جديد في قصور الملوك من أبناء اسماعيل ، يشهد تكريم الأدياء لنبوغته واحتفاءهم بذكراه .

وكانت ساعات الاحتفال من السادسة مساء حتى الثامنة أو التاسعة ،

(١) طبع ذكرى محمد حافظ ابرهيم ، سنة ١٩٥٧ ، بالقاهرة ، في ٢٥٤ صفحة متوسطة .

(٢) اعتذر عن المشاركة في هذا المهرجان الدكتور جبل صليبا بسبب انشغاله في رئاسة الجامعة بدمشق آنذاك ، لحرم المستمعين من كلفة رصينة في هذا الباب .

خلال أربعة أيام ، تكلم فيها الأدباء في موضوعات معينة من جوانب الشاعر ، كل فبا خصّ به ، من غير أن يكون ترديد أو إعادة على قدر ما يستطیع المتحدث في شوقي التزام جانب دون العدوان على جانب آخر .

وكانت حفلة الافتتاح برعاية الوزير المركزي للتربية والتعليم ورئيس المجلس الأعلى سيادة كمال الدين حسين ، فافتتح المهرجان بكلمة قوية ، تحدث فيها عن أثر شوقي في العرب والعروبة ، ورأى في ديوان الشاعر برهاناً من براهين قوميتنا ، ودليلاً لأمانيتنا ، ورائداً لكثير من المكلفين في أقطارنا فقد كان نداء الثورة الصحيحة ، وكان على قربه من الحكم ينتهز كل فرصة خيرة في خدمة أمته ، يعبر عن أمانيتها وإحساسها في رسم الصورة التي ينبغي أن تكون للمثل الأعلى العربي ، ولم يكن في العربية منذ عهد المتنبي والمعري شاعر مثل شوقي يتغنى بشعره كل عربي ، لأنه كان شاعر العرب في كل قطر من أقطار هذا الوطن .

وتكلم بعده الكاتب الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد ، عضو مجمعنا العلمي ومقرر الشعر في المجلس الأعلى ، فالتفت إلى شوقي ليقول فيه : « كان علماً للمدرسة التي انتقلت بالشعر من دور الجلود والمحاكاة الآلية إلى دور التصرف والابتكار ، فاجتمعت له جملة المزايا والخصائص التي تفرقت في شعراء عصره » وبذلك فضله على شعراء زمانه بعد أن ذكر مزاياهم جميعاً . وتحدث الناقد الشاعر عن فضل شوقي في التاريخ والمسرحية والمواظ والأمثال ، وشهد بأنه « كان علماً لمدرسة الشعر في مطلع النهضة الأدبية » . ولكنه رأى أن شوقي كان رسول « شعر الناذج » ، وآبته « تلك القدرة الباهرة في تجويد الصناعة التي لا تفوقها قدرة في عصره ، ونكاد نقول في عصور الأقدمين والمحدثين » . وانتهى مندوبو الدول العربية ، يفتتحون باسم أقطارهم هذا المهرجان

فيذكرون فضل شوقي وأباديه على أهلهم وربوعهم ، فكانت كلمة لمندوب الجزائر الشيخ محمد بشير الإبراهيمي ، عضو مجعنا ، الذي أثنى على فضل شوقي وعُتِب عليه « مدحه لفرنسا وافتنانه بحضارتها المزيفة » . ثم تعاقبت كلمات لبنان واليمن والجامعة العربية ، والعراق والسودان والمغرب والسعودية ، فقصيدة للشاعر محمود عماد ، ثم دراسة للأستاذ أحمد التاجي مندوب الجامعة العربية في « شوقي والعروبة » تتحدث فيها عن فترات النضال وموقف شوقي من الاستعمار ومن كفاح العرب في الوطن والمنفى ، وأباديه على الأبطال المكافحين من العرب ، وخدمته للقومية العربية وتحسسه بجراح أُمته في نوائها . ثم جاءت قصيدة شاعر الشام الأستاذ شفيق جبري ، عضو مجعنا العلمي ، وعنوانها « شاعر العرب » فهزت القلوب وأثارت الإعجاب ، فقد كرمت شوقي وأشارت إلى عبقرته في ديوانه وصنيعه للعرب وموضع من الشعر العربي (وهي منشورة في هذا العدد) .

وفي اليوم الثاني ، تكلم الأستاذ جمال الآلومي مندوب العراق ، عن

« شوقي في الشعر العراقي » فذكر ما وقع من تكريم وقول وحفاوة بشعر شوقي وأدبه على السنة الأدباء والشعراء في العراق ، وما تحدثت عنه الصحف خلال الأحداث التي مرت بشوقي بعد وفاته ، فنقل في أمانة ودقة وجبيل سعي صدي الشاعر في الرافدين وأثره في أدب العرب بهذه الجمهورية الفتية . وتحدث الأستاذ عادل الفضبان عن « نشأة شوقي وأطوار حياته » فرسم شريطاً حياً في ألوان زاهية من الأدب ، مراحل الشاعر منذ الفجر ومطلع الشباب ، فالجهاد في سبيل الوطن ، فعودة البابل إلى مقناه ، فمرحلة الاصيل حيث غاب سيفه هوة العدم . وأشد خلال هذه المراحل شعر الشاعر في حنان وموسيقا وبراعة كما ينشد الشاعر قصائد أبيه الشاعر ، وينتقد مكانه من صدّة الشعر . ودرس الدكتور محمد مندور « مسرحيات شوقي » وعرض للتاريخ والمراجع والمزايا ، وأثار رأي الغرب في المسرحية وموقع شوقي من الفن الدرامي ، وكان في ذلك

مثال الأستاذ المحاضر والدارس المتمكن والناقد الفني . وعرض الأستاذ عبد الرحمن صدقي « حياة الشاعر من شعره » منذ ولادته حتى الوفاة ، فاستخلص ما كان للرجل من قوة وتجديد في أبواب الشعر والمسرحية ، وما كان من أثر الغرب في قصائده وآثاره في تفصيل طويل وشواهد شعرية كثيرة أنشدها عنه الأستاذ عادل الغضبان . وتكلم بعده الدكتور علي جواد الطاهر مندوب العراق عن « اللوحة في الشوقيات » فقال ان شوقي كان يستعين بالمبالغة ، وان وصف الطبيعة عنده ليس على درجة عالية « وان كثيراً من لوحاته التي حاول أن يجمع على سطحها أكثر من منظر واحد أقرب إلى الكليشة والقوة وخراف منها باللوحة » . ورجع إلى النقاد القدامى فرأى أن همهم كان ينحصر في الجزء الصغير من الصورة مما ينطوي عليه البيت الواحد ، وأن هذا ظل قائماً في دراساتنا الحديثة . وشوقي « لا يبدو أنه تأثر بالشعر الغربي بالرسم الغربي » « وانما هي مبالغات تكاد تكون تعليلية ، يقولها التلميذ في وصف أيّ واد بل أيّ منظر من الطبيعة يطلبه المعلم في درس الإنشاء » .

وفي اليوم الثالث ، تكلم الأستاذ علي الجندي عن « الفنون البلاغية في شعر شوقي » فعدّد الألفاظ والمفردات والصور التي تدل على هذه الفنون ، وعدّد الحلي البديعية ، وأخذ على شوقي بعض أخطائه في هذا الباب . ثم كانت كلمة الأستاذ طاهر الطناحي « ذكريات عن شوقي » روى فيها أخباراً أدبية جمعها عن شوقي ، فقد عرفه منذ ثلاثين عاماً ، وفي هذه الأخبار أحاديث طريفة وآراء جديرة بالذكر والتنويه والجمع ، وخاصة فيما كان بين شوقي ومصطفى كامل . وفي كلمة الدكتور محمد صبري عن « التاريخيات والوطنيات في شعر شوقي » تطرق الباحث إلى دراسة الديوان من ناحية التاريخ والآثار المصرية ، ووازن بين الشعر والعلم ، وعرض الأحداث التاريخية ونظر إلى ما يباطئها في الديوان . وجمع ما قاله الغربيون وما وصفوا من هذه الآثار ، ثم رسم ما كان في المسرحية ،

فاستوفى دراسته وأطال البحث في تتبعه ، فجمع بيان الأدب إلى دقة المؤرخ في موضوع ليس بالبسير ولا بالهين .

وفي اليوم الرابع ، تكلمت عن « الوصف والغزل في شعر شوقي » فعرضت لألواح الوصف عنده من أحجار وأنهار وآلات ، وبسطت الغزل على ألوانه في الديوان والمسرحيات (وهي منشورة في غير هذا المكان) . وأنشد الشاعر ابراهيم الواصل مندوب العراق قصيدة في الوفاء لمصر والربوع التي عاش فيها ودرس في جنباتها وتغنى بالثورة في العراق ومصر ، وأثنى على بلد شوقي في خدمة العرب والرافدين . وكانت كلمة الأستاذ كامل الشناوي « ذكرت عن شوقي » صفحات طيبة اقتطفها من فصول الحياة لا تزويها صحيفة ولا بوردها كتاب ولا يحويها إلا صدر هذا الأدب ، وهي تنير السبيل إلى كثير من دقائق عبثه وظروف نظمه ، وصلات شوقي بمجتمعه ، فهي جديرة بالجمع والحفظ . وتكلم الدكتور شكري فيصل عن « نثر شوقي » فتحدث عن النثر المطلق ، وأبرز صفات السجع وألوانه ، وما بثير في نفسه من نفرة ، ورأى « أن شوقي الشاعر غطى على شوقي الناثر ، كما كسف عصر شوقي المطلق المرسل شمس السجع التي كانت متوهجة » ؛ وعلى هدي هذا راح يتحدث عن مسالك النثر عند شوقي في آثاره ، وعرض لأسواق الذهب ووازن بينهما وبين مقامات الزمخشري ، ثم مال إلى بواعث السجع وموضوعاته وعناصره ، فقسم العناصر ووصفها ، ورسم الأسلوب في الآثار الفنية ، فاتهى إلى « أن شوقي أراد من السجع كما قال حلالة الفواصل وهديل الحمام بأكثر مما أراد إلى القيد والتكلف والالتزام » (مما تجده في غير هذا المكان) .

وختم المهرجان بزيارة بيت شوقي « كرمة ابن هاني » والحج إلى قبره بالقرافة قرب المقطم ، وانتهى بحفلة شاي خطب فيها سيادة يوسف السباعي سكرتير

المجلس الأعلى فاقترح بأن بكرم الأحياء كالعقاد وطه حسين ونوفيق الحكيم
 وأم كلثوم ليروا بأنفسهم وفاء الأمة لصنيعهم وأعلامهم ، وانفضت الوفود على
 اقتراحات مكتوبة في العمل للديوان وصاحبه وفاء لأبياديه وإكباراً لشاعريته .
 وهكذا ، كانت الحديث في شوقي منشعباً يمثل أدب القائلين وآراءهم
 ومذاهبهم ، ونظراتهم إلى الشعر والنقد والدراسة والخطبة ، بحيث تصلح أقوالهم
 أنفسهم موضوعاً لتعليق أو بحث لسنا في صدد الآن ؛ وإنما همنا أن نصور
 المهرجان كما كان ، وأن نرجو للعربية شاعراً يسد المكان ، ويقوم في غمرة
 الأحداث التي يمر بها العرب من ثورة وانتفاضة ونهضة بما قام به شوقي في
 ظل الأسوار والأغلال والكبت والجور ، فيعيد على مسامعنا شعراً كشعره
 خالداً على الزمان .

الدكتور سامي الدهان

شاعر العرب^(١)

ما الذي هتج الحمى والعربا أنسيم من شاعر العرب هبّا
فشوا في مواكب الفنّ زهوا وتهادوا على المواكب عجباً
أخذت فيهم الأغاريد والـحـنـ فراحوا منها نشاوى شرّبا
سائل العرب يوم كان دويّ الشعر يزجي الى المعالي العربا
كتبوا المجد بالسيوف وبالشعر فكان القريض أخذ كتباً
لغة القلب طالما خاطب القلب فهزّ الشعور جنباً جنباً
تارة يملأ المدارك جدّاً وراه يفيض حيناً لعباً
يبسط السلم إن أردت سلاماً وبشّ الحروب إن شئت حرباً
قد تحول الصحراء في روعة الشعر فتغدو منه حدائق غلباً
كرم الله دولة كرمته فما في ظلالها وأستتباً

**

ايه شوقي ! لو كان للشعر ربّ جعلتك الأذواق للشعر ربّاً
ياغذاء القلوب إن تجذب الأرواح فلنسنا نظنّ فيك الجديداً

(١) قصيدة الأستاذ السيد شليق جبري عميد كلية الآداب في الجامعة السورية وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق ألغاه في مهرجان أسبوع شوقي في القاهرة في تشرين الأول ١٩٥٨ .

شاعر العرب كان شعرك حيناً كنسيم الصبا وحيناً عضباً
كلما طال عهده وتراخى رفّ في مسع الزمان وشبّا

*
**

كم هززت الرجال في ثورة الشام فتأروا ولم يبالوا الخطباً
نفخت فيهم القلائد روحاً جعلت في الشدائد الموت عذبا
فاستطاروا مثل الرياح إلى الموت فكانوا فيه رياحاً نكباً
نففضنا عن المربع ضياءً سال فيه النجيع مزناً وسحباً
غصبوا الشام واستباحوا حماه ثم طاحوا وما تملّوا غصباً
كيف نفسى في غوطة الشام يوماً كنت فيه نوراً وكنت اللهباً
جأت بالشعر جولة فحسبنا طيف مروان في النواظر دبا
وكأننا نرى الخلافة تختال وملكاً مع الخلافة صلباً
هكذا الشعر ثورة كلّمها هاجت شعوب أوحى اليهم غلباً

*
**

ضحك الشعر في بيانك وابتضت حواشيه ما شاهد كرباً
فغدا مسرح الأطباء إذا ما نذّ سرب فتنت منها سرباً
غزل ينفذ القلوب فتلقي بهواها فيصبح القلب صعباً
فتظّل العيون تغمز غمزاً وتظّل الشفاه ترضب رضباً

ويكاد النسيب ينطق سحراً ويكاد الهوى يشقّ الحجباً
وترى قبلة النغور على الحدّ وتلقى مزاحها والدعياً
يتلاقى العناق والضمّ والشمّ وهـدب يلزّ فيها هـدياً
لا تلمّ الشباك من كل درب لم تغادر في غمرة الحب دربا
لو يسيل الهوى خلال القوافي سلسبيلاً غمرت منه الهضبا
قد ملأت الشباب حباً وفاضت جارة الوادي في فؤادك حبا
فاذا جفّ في الشيوخ هوام هجت فيهم هوى الشيوخ فأبا
فتنادوا إلى الكؤوس وصاحوا هاتوا يانديم صرناً وصبا
أنت لا تدري ما يمكن الليالي ان توات وما تكون العقبى !

**

أدموع بأرض أندلس جـدت بها ، ووت روضها والتربا
فكأن العيون تلمح شجواً وكأن الآذان تسمع ندبا
أم غناء كالعندليب طوى الأر ض فخلنا بعد المنازل قربا
فكان السنين لما ترامت وثبت نصب أعين القوم وثبا
فرأينا القصور تلمع في الليل فتهدى فوق البطاح الركبا
وقطعنا الرياض بين رفيف الدوح نجتاز سروه والدلبا
ولمسنا النعيم في جنة الأرض يروي الشباب شعباً شعبا

فبكينا ملكاً تفاذنته الليالي غرسوا فوقه الثنا والتضبا
ركبوا الموج والعباب وطاروا يقطعون العباب كتباً كتباً
رفعوا الملك والحضارة والفن وكانوا الرحي لها والقطباً
فهوى الملك والدموع ترويه وساءت تلك الأوائل غباً
وكذاك الأيام تعصف بالناس ويبقى ما أودعوه الكتب
صور تقطر البلاغة حتى تحسب الصدق في البلاغة كذا
كلما رث أو تقادم عهد جدد الشعر وشبهه والعصا

**

كذب الدمع ما وفي حقك الدمع وإن ماج كالحضم وأربي
قد حبوت التاريخ ما ليس يبلى لؤلؤاً من لآلي الشعر وطباً
فشهدنا فرعون قد نفى القبر وهز الأحقاب حقاً حقاً
وأثوه بالأكل والشرب حتى رأيت العين أكله والشربا
لبست مصر من بياضك بوداً لم ترده الأيام إلا رجبا
هدرت كالعباب تحطم قيداً أنقض الظهر حمله والصلبا
فتغنيت بالهدى فهاجت لم يفل الحديد منها غربا
وقفت كالأهرام في ثورة الضيم وطالت سماءها والشهباً
وانتنى الضيم عن حماها ونالت من رقاب العدو طعناً وضرباً

ثورة في الديار غنى بها الشعر وألقى غراسها والحبا
 فزكا فرسها وطاب ثراها وسقاها الإيمان هطلاً وسكبا
 أكلتك الذئاب إن لم تكن في ثورة العرب والعروبة ذنباً

ايه شوقي ! أسمع صيحة العرب وقد دوَّى الصوت شرقاً وغرباً
 مادعوناً إلهامك السمع إلا حشد السحر والبيان ولبيّ
 ليتك اليوم في الجماهير والشعب تغني جمهورنا والشعبا
 فإذا ماسجاً فؤاد ولبّ هجت منا فؤادنا واللبا
 إرم عنك الأكفان واطرح ثرى القبر وشاهد ملكاً على النيل رحباً
 تلتقي الشام فيه تراباً لمصر كلّ ترب يشدّ في الملك تراباً
 وغداً ترحف الديار ديار العرب تحت الدرفس روحاً وقلبا
 انما العرب وحدة فاذا صال عدو كانوا عليه إلبا

درجوا حقه وأوطانهم أيدي سبها والخيرات في الأرض نهى
 وعليهم سلاسل من حديد تمنع الأسد صولة ومهبها
 فكان التاريخ لم يملأوه روعة أو لم يملأوا الدهر رعباً

لا تعدّ السيوف غير فتوح لهم في مناصب الأرض ذنباً
 صحبوا اليهم والبطاح وهمّوا أن تكون الجوزاء يوماً صحبا

✧✧

سيّد الشعر! هل ترى ربك اليوم يشقّ الحديد إرباً
 بعثوا من مدافن العزّ تاريخاً فما هزه غناء وخصبها
 فكأنّ نزي ابن حمدان ينثي الروم جرّاً عن الحمى أو سحبا
 هكذا المجدهبة سلك العرب إليها درباً على النار صعبا

✧✧

نم هنيئاً يا مرسل الشعر نوواً شبع القلب من سناه وعبّأ
 أرايت البيان والسحر منه أيّ مجد نبى وجيل ربى !

شفيق جبري

الوصف والغزل

في شعر شوقي^(١)

ولدت دنيانا من سحر خالد ، وفنتنة لا تنفذ ، فعشقها الناس على العصور ،
وتعلقوا بها تقديساً وإكباراً ، وهتفوا باسمها سرّاً وجهاراً . استبدت بعقول
الفلاسفة والمفكرين وعبثت بقلوب الشعراء ، فحملوا قيثاراتهم بفنون على أوتارها
أناشيدهم كترانيم تتصاعد عبر التاريخ شذى يعطر الكون ، وموسيقا تسجر
الآذان ، فكأنها جوقات من لغات تتآلف بالسحر والإلهام ، وتجدد بالخلود
والعبقريّة لأنها لغات القلوب ، نبعت من اللهجات واجتمعت على صلوات .

وهذه اللغات العالمية تجمع الشعراء من كلّ حذب وصوب ، في ذرى
(أولمب) الشعر حيث تتلاقى أرواحهم وتحدث ، في جوّ عطر مسحور ،
ثم تعود الى الأرض لتحمل من أجوائها أناشيد علوية ، تفهمها حيناً على وجهها
وحيناً آخر على وجه مختلف ، فتنبأين نظراتنا ومقاييسنا في الإحساس بها وفي
تذوقها ، ومن هنا جاء الاختلاف بين النقاد ، فلبس للشعر العالمي تعريفات
أو موازين يقاس بها الشعر ، كتعريفات الأشياء الجامدة الملموسة أو موازين
الآلات الموسيقية .

وقد اجتمع في رحاب الشعر العالمي عرب وعجم ، مشاركة ومغاربة ، قدماء
ومحدثون ، لأن الشعر يعلو على الأجناس والعروق ، والأوطان والأزمان ،
واشتركت بذلك أمتنا منذ قرون على ألسنة النوابيع الخالدين ، ودوت أغانيها
في تقديس الطبيعة الفاتنة ووصف المرأة الجميلة فتخلف أجدادنا ألواحاً خالدة
في الطبيعة المينة والطبيعة الحيّة ، سمّاها النقاد وصفاً وسموها غزلاً ، ولكنها

(١) الكلمة التي ألقيت في مهرجان أحمد شوقي بالقاهرة .

في واقع الأمر الى باب واحد يفد إلى تقديس الجمال أنى وجد وتصيد
أنى كان .

وهذه الألواح العربية تشير إلى أن العرب فتحوا قلوبهم للطبيعة والمرأة
وتملأوا منها جميعاً ، كما فعل شعراء الأمم ، فأرسلوا الدموع في بكاء الديار
والأحبة ، وسكبوا نفوسهم على ترائب الحجر وترائب القيد ، وخفقت قلوبهم
لنسايم الغدران ولقاء الحسان ، فكان منهم ديوان ضخيم موسيقي جميل ،
منسجم في معناه ، متقارب في مبناه ، كأنه خرج من عشيرة واحدة وقبيلة
واحدة على تعدد أقطارنا وسعة أمارنا ووفرة عصورنا .

وهذا الديوان في الوصف والغزل واضح الملامح ، بسيط ليس فيه تعقيد
أو التواء أو تفلسف أو تشكك ، نسيل فيه نفوس المحبين جزعاً للبعد وحرقة
للوجد ، وحذراً من الحساد ، وخوفاً من الوشاة ، وإعجاباً بالروعة ، ونشوة
بالدهشة ، واكباراً للنقش والفن ؛ يصور القرون الأولى في جمال الحب
وبساطة الرسم ، على خطوط لا ظلال لها في أكثر الأحيان ، وسطور ناصعة
لا غموض وراءها ، لأنه غناء وإنشاد ، والفن بفسده التعقيد والشرح والتفلسف .
ولعل شوقياً 'فن مبكراً يجال الشعر وجلاله ، فعكف على قيثارته بأوتار
ضعيفة أول الأمر ، عكوف العاشق العابد ، بتحنى أن يصبح في الشعراء ،
فقدّم قلبه قرباناً ، وسفح روحه على مذبح الشاعرية ، وراح ينشد ويترنم ،
فيتعثر ويتعثر ، ثم ينهض ويستوي ، ثم يقف للفحول ، فيقع منه ديوان
كبير فيه الرفيع والعادي ، كما في دواوين غيره من الفحول . فن الخير أن
'ينثى وأن 'يتدخل ، وأن 'تشهد بالخير منه في يوم ذكراه . فقد كسب
العرب قانوناً طلق الأحكام ، وترديد الدساتير والمواد ، ليدخل في ربوع
الخيال ، ويعيش بين مراتب الجمال ، ويكون منه في الحب والوصف ما كان .

ولقد وهبه الله لساناً لافظاً ، وروحاً ملهمة ، فعاش بقلب كثير الخفوق ، وعينين حالمتين في رجرجة وفي حركة عجيبة ، وصدر عاصر بالشعر بعجـ بما يحفظ ، وبشور بما يضطرم في نفسه ، حتى سالت في أحناؤه قلبه معاني القدماء مع المعاني الجديدة ، فأصبح كأنه صورة للجيل من الأديباء الذين عاصروه ، بل صورة للأدب الذي يعيش في أيامنا ، بتجاذبه تياران يتأرجح عليهما بين الشرق والغرب .

ولقد حاول شوقي أن ينطلق بالأدب العربي الى ميادين الشعر الغربي ، ووعد مخلصاً بأن ينقلنا إلى مرابعه ، ولكن الشعر العباسي كان يجذبه إلى أحضانه ويلفه بجياله ، فعاد به إلى تاريخ العرب وأبجادهم وصورهم أكثر الأحيان ، فكان لثقافته في الصبا والشباب على أيدي العباسيين أثر بعيد فيما نظم وفيما أبدع .

لذلك وقف أمام مشاهد الغرب كما وقف أمام مشاهد الشرق بنظر إلى القصور والأشجار والحدائق والأنهار ، وإلى السماء والماء ، بعينين يدفعهما الحنين أكثر ما يدفع إلى الماضي العربي ، فيقفان عنده ، ويستعيدان صورته العزيزة العالية ، سواء حين نظر شوقي إلى تماثيل مصر وقصورها أو تماثيل الغرب في باريس ومدريد واستانبول . حتى قيل : إنه لم يفد كثيراً من مقامه بين الشعراء الغربيين في قلب الحبي اللاتيني إلا كما يفيد المتنقل في قطار مربع من مشاهد الطريق .

ونحن حين نسمى إلى جمع ألواحه في الغزل والوصف واختيارها من متحفه الواسع ، تقع على أناشيده في أمنا الأرض^(١) ، وفي بناتها الحسان العبقات قد انتشرت في سماء ديوانه كالنجوم . وصوره الوصفية كثيرة في هذا الديوان ، لأنه كان في أكثر شعره يركب على عبارة مجنحة الخيال وصفية التركيب لصحبة الصورة .

ولهذا صنفنا بعض المقاطع الخالصة للوصف والغزل شواهد للحديث عن

(١) انظر « لزوم ما لا يلزم » لأبي العلاء الميري ، في صدر الكتاب .

توفيته في هذين البابين ، نَحْشِدْهَا باقة لذكره ، بعد أن قضى الجسد ، ومات
الجسد ، ودُفِنَ الحقد ، وأصبحت روحه في الخالدين ، ترفرف في مرابع الشعر
العربي وقمعه ، مع رصيفاتها من عهد الواليد وسليمان بدمشق ، والرشيد والمأمون
بيفداد ، وآل حمدان ومرداس في حلب ، وملوك الطوائف في الأندلس .
والغريبيون يقولون : يحسن أن ينبغ في القطر شاعر ولو تأخر به الزمان فيحسب
من خيراته وبعد من حسناته يوم الحساب .

ولعلكم تأذنون في رحلة قصيرة الى متحف شوقي ، نستعرض فيها أجنحة
الوصف ، فننظر الى ألواحه في القصور والأحجار قبل كل شيء ، لنرى كيف
صنع وكيف رسم . فقد وقف أمام أبي الهول بتغنى ^(١) :

أبا الهول ويحك لا يستقل مع الدهر شيء ولا يحتقر
تهزأت دهر أبديك الصباح ^(٢) فنقر عينيكَ فيما تقرر
أسالَ البياضَ وسلَّ السوادَ وأوغلَ منقاره في الحُفَرِ
فمدتَ كأنك ذو الحبسينِ قطعَ القيام سلب البصر
كأنَ الرمال على جانبيكَ وبين يديكَ ذنوبُ البشر
كأنك فيها لواءُ القضا ، على الأرض أو ديدبانُ القَدَرِ

فرسم أبا الهول في قلب الصحراء الصامتة على مقربة من أبواب الأهرام ،
رابضاً يحرس الكنز الخبوء والأجساد الغالية ، ناشب الظفر في هدوء المتوئب ،
والقرون تمر ، والعوادي تجري ، والحروب تنشب حوله ، فتجدع أنفه وتسلب
عينية ، وبغدد قطع القيام ، فعيداً ، لا يرمي بسمع اللغظ الدائر حوله في

(١) النوقيات ١/ ١٥٥ .

(٢) ديك الصباح يريد به الزمن .

لغات ما عرفها حين كان أصحابه ، واصنبيح حماء ، وكان السيد المهيّب فأصبح
منالاً لكل زائر .

فاتخذ منه العبرة الجميلة والصورة البديعة ، وكان يستطيع ، إلى ذلك ،
أن يرسم الأسد وجشومه ، وأن يصف الروعة الهائلة التي يلقاها زائر أبي الهول ،
وأن يأمر له ، وأن يرثي لحاله وقد شدّ إلى الصخر أسطورة خالدة على الأيام .
فلما عاد إليه بالذكرى وهو في الأندلس صنع لوحة أخرى لهذا التمثال يقول فيها ^(١) :
ورهن الرمال أفطسُ الآ أَنَّهُ صنع جنة غير فطس
تتجلّى حقيقة الناس فيه سبع الخلق في أساره إنسي
رَكِبْتُ صَيْدُ الْمُقَادِمِ عَيْنِيهِ لَنَقْدِ وَمُخْلِبِيهِ لَفَرَسِ
فَأَكْمَلُ فِي هَذِهِ اللُّوْحَةِ مَا نَقَصَ فِي الْأَوَّلَى ، ورسوم الأنف وذكر الخلبين ،
وقربنا من الأسد ، ثم عاد ليقول مع البحري إنه صنع جنة لهوله وعظمته وبارع
صنعه ، كما قال العرب حين أذهلهم البنيان وأدهشهم أن يكون من صنع الإنسان .
وليس من سبيل إلى لوم شوقي ، فقد أراد أن يقف للقضاء وأن يعارضهم ،
وأن بعدت فيهم ، وليس ذلك بالقليل ولا الهين في مثل عصره .

فاذا وقف أمام حمراء الأندلس ، ليس ثوب البحري حيال إيواف
كسرى ، فاتعظ كذلك بالتاريخ ، وتأمّن للاحداث ، وبكى الماضين ، فرسم
الأعمدة المستوية كألفات الوزير في طرس ، وقاعة السباع خالية إلا من
أشبال تجمعت حول فوارة جميلة ترسل الماء حبيا ، تنشد على الزمان حزينة
كثيرة فيقول ^(٢) :

(١) الشوقيات ٥٦ / ٢

(٢) الشوقيات ٦٠ / ٢

وترى مجلسَ السَّباعِ خلاءً مقفر القاع من ظباءٍ وخُنسٍ
مَرمرٌ قامتِ الأسودُ عليه كَلَمَةُ الظُّفْرِ لِيناتِ المَجَسِّ
تنثر الماء في الحِياضِ جماناً يتنزى على ترائبِ مُلسٍ

وهذا جانب واحد من الصورة ، لم يمرض فيها شوقي ما قام من نقوش على الجدران ، وما اختلف الى الأعمدة من جمال اللون وتعاقب النور والظل ، وما سال تحتها من ماء ، وما حفها من خير وهمس ، فكأنه لم يستوح الأندلسيات وقد رتعت أشباحهن في كل زاوية ، وتساعد غناؤهن بموشحات تسمعه الآذان عبر التاريخ . ولكن الشاعر - كما نرى بعد قليل - لا يرسم كل شيء ، وإنما يركز عدسته على أمر واحد دون سائر الأمور ، فكأنه يرسم الأشياء من وجه واحد مسطحة - كما يقول المهندسون - .

واذا دلف الى «أسوان» ووقف أمام «نصر أنس الوجود» ، ترك في لوحته عنه ما أدهشه من جمال وجلال فقال ^(١) :

أيها المنتحي بأسوان داراً كالثرى تريد أن تنقضا
اخلع النعل واخفض الطرف واخشع لا تحاول من آية الدهر غضا
قف بتلك الفصور في اليم غرقى ممسكاً بعضها من الدُّعر بعضاً
كعذارى أخفين في الماء بضاً ساججات به وأبدین بضاً
مشرفات على الزوال وكانت مشرفات على الكواكب نهضا
شاب من حولها الزمان وشابت وشباب الفنون ما زال غضا
رب نقشٍ كأنما نفض الصا نغ منه اليدين بالأمس نقضا

وهي صورة جميلة بارعة تصف الأبحار تتماصك من الذعر خوفاً من الفرق ،
وقد أشرفت على الزوال ، فكأنها عذارى أخفين بضاً وأظهرن بضاً . ثم عرض
للفن فرأى أنه لا يشيب مع الزمان ولا يهرم مع الدهر ، ومهارة الصانع ما تزال
تبهير العين على تقدم الفنون ، وتستبد بالأكبر والدهشة . وهذه اللوحة من أجل
ما يزين مخف شوقي في الوصف ، بل هي آية أوصافه في الحبر والنحت ،
تشير إلى حبه العظيم وإخلاصه لهذه التربة التي حَضَّتْ أباه ورعت مجده
وحفظت بيته ، فهو يحثي بتاريخها ويقول :

وأنا المحتفي بتاريخ مصر من يَصْنُ مجدَ قومه صانَ عرضاً

فصان التاريخ بهذه الألواح وخَلَّدَ الأبحار بهذه الأوصاف ، واقنعد الى جانب
القدماء من وصافينا مكاناً لا يقل عنهم ولا يزل عن عروشهم ، في بيان
يختلط ببيانهم ، وأساليب تمتاز بأساليبهم فكأنه انسلَّ عبر الزمان فاستعار
ريشتهم وفنونهم ليرسم ما لم يرسموا .

ولعلكم توازنون بعد هذا بين ألواح في القصور والأبحار وبين ألواح القدماء
لتجدوا مبلغ التوفيق عنده ، مما لا نستطيعه في هذه الدقائق ، لأننا نحب أن
نطوف بكم جناحاً آخر من مخف شوقي في وصف الآلات ، فقد رسمها
كذلك كما رسم الحبر ، وخصَّها بشعره فجعل للمراكب البخارية والغواصات
والطائرات ألواحاً تنطلق مع أوصاف الشعر الحديث خطى غير قليلة ، ولكنها
تجمع في برديها صوراً موروثة للحيوان ، برع في نقلها حين وصف الطائرة فقال ^(١) :

مركب لو سلف الدهر به كان إحدى معجزات القدماء
نصفه طير ونصف بشر يالها إحدى أعاجيب القضاء

مرسجٌ في كلِّ حينٍ ملجمٌ كاملُ العدَّة مرموقُ الرِّواءِ
كبساطِ الريحِ في القدرة أو هدهد السيرة في صدق الهلاء
فقلِّب على الطائرة الصور التي تخطر على البال ، فهي مركب نصفه طير ونصفه
بشر ، وهي فارس ملجم ، بل إنها بساط الريح أو الهدهد المعروف أو الحوت
في الماء أو الكوكب المذنب أو الطاوس يجر ذيله على الأرض نيباً وخيلاً .
والطائرة معجزة العصر ، فأين معجزة الشعر ، نصفها بأكثر مما وصف ! ان-
« بساط الريح » راجت وأعجبت فاستعارها فوزي المعلوف شعاراً للمحتمة وهو في
المهجر . والغريون لا يجدون غير الطير شبيهاً للطائرة ، بل يردّون اختراعها
إلى الطيور الكامرة حين تملأ باسطة في السماء جناحين من حديد .

وبرع حين رسم الغواصة ^(١) ، فشبهها بالحوت تدب تحت الموج ترى ولا
تُرى ، وتبث الموت في كلِّ مكان ، وهي خثون ملعنة لأنها تزرع الشر
والفناء . ونحن حتى الساعة لا نجد من الصور ما نسلحه إلى أبنائنا في الاستظهار
غير آيات شوقي ، فهي في موسيقا وبسطة ويسر بحيث تدخل على الآذان
بغير استئذان - كما يقول القدماء - ، وهذا كسبٌ للجيل على اختلاف ألسانه ،
ننتظر من شعرائنا المجددين بدءاً يضيفونها إلى أباديه في غنى المتحف الأدبي للعرب .

* * *

وإذا ما انتهينا من جناح الحجر والحديد في ألواحه انقلبنا إلى جناح الطبيعة
في رياضها وأنهارها وأشجارها ، لنرى إلى صوره ورسومه عنها ، فقد خلف شوقي
ألواناً بديعة كما خلف القدماء ، فرسم الماء والسماء وما بينهما ، ولبث بتصديق
الجمال في كلِّ درب ، فلنتظر إلى قوله في نهار جميل ^(٢) :

(١) الشوقيات ٢ / ١٣٣ .

(٢) الشوقيات ٢ / ٢٥ .

وترى الفضاء كحائط من مرمر نضدت عليه بدائع الألواح
القيم فيه كالنعام بدينة بركت وأخرى حلقت بجناح
والشمس أبهى من عروس برقت يوم الزفاف بمسجد وضاح
والماء بالوادي يخال مسارباً من زئبق أو مقلقيات صفاح^(١)
رسم فيه الفضاء والسماء والشمس ثم عرض للسواقي فقال :

وجرت سواقي كالنوادب بالقرى وعن الشجي بأنة ونواح
الشاكيات وما عرفن صباة الباكيات بمدمع سحاح
من كل بادية الضلوع غليلة والماء في أحشائها ملواح^(٢)
تبكي اذا ونيت وتضحك إن هفت كالعين بين تدرج ووزاح^(٣)
هي في السلاسل والغلول وجارها أعمى ينوء بنيره الفداح

وهذا شعر جميل بذكرنا بأخيه في العراق والشام ، لا يكاد ينخفض عنه في بيان ورقة وعذوبة وتوفيق ، أكثرنا من روايته عامدين وأفضنا في أبياته لشهد السامعين معنا أن الشاعر جرى في ميادين الشعر الفحل ، واستطاع على تأخر الزمان ، وسكوت الخناجر المبدعة ، وقلق الشعر أن يلحق بركب الفحول من شعرائنا ، وأن يرفع لمصر راية عالية بين شعراء العرب ، وأن يدفع إلى تكريمه وفاء لشاعريته ، فهذا الجديد يصبح في التراث العظيم إذا تقلب الزمان ، وافترق الناس الشعر الجميل الجزل .

(١) الصفاح : عرض السيف .

(٢) ملواح :- سريع العطش .

(٣) وزاح : رزحت الناقة ألقت نفسها إعياء .

فالمدهش في شوقي - كما قلنا - أنه نجح في قطر غلب عليه الركوند ،
وفي مصر صمت قروناً في الشعر ، فلم يلهم ولم يبدع ، وإنما روج لنوابغ الشعراء
من جيرانه ، فلما غنى شوقي ولصق بالفحول ضحككت في قوافيه أماني الأدباء ،
وتهللت في أوصافه متانة الشعر ، فأعاد للناس شراباً معتقاً في الوصف وفي الغزل ،
فتوجهت الى مصر أنظار العرب وأصفت اليها أفئدتهم وقدمت اليها وفودهم تبارك
القبيلة التي نبغ فيها ، وتنبئ العشيرة التي لمع في ربوعها ، كما كان العرب
يهنئون في عكاظ سواء بسواء .

وقد رأينا أنه استعرض صور القدماء ، وطمع أن يكون أميراً في الشعراء ،
وأن يصبح لعصره كما كان جرير والمجترى وأبونواس لعصورهم ، فلم يضره
عرقه ، ولم يفسده القانون ، ولم يجبسه زمانه وحساده وتقاده عن امتلاك مكان
رحب في جنان الخلود ، فكسب المعركة سواء أوقع في التقليد أم انقرد في
الابتداع ، وذلك لأنه شق الطريق ، ومهد لشعراء قومه سبيل الابتكار بعده ،
فلم نسجم بمن ينسبنا ذكره ، حتى لكان الشواغل صرفت شبابنا عن هذا اللون
من منع الشعر ولذائذه المترفة الى شعر الكفاح والنضال ، فكأنهم آمنوا
بالالتزام وحده ، فهبوا الى ينبوعه ينهلون منه لنسمع منهم بعد قليل ،
وإننا لغنائهم لمنتظرون .

وسبقي شوقي وتبقى هذه القصائد وأمثالها منضودة كبداية الألواح في
منحف الشعر العربي ، وفي مكان رحب منه هو « جناح شوقي » إذا صح التعبير ،
يمر به الأدباء معجبين يستعرضون الجمال والجلال . ويقرءون شعره مثلاً في
الربيع فيجدون أن الطبيعة هي الطبيعة وأن الغيم هو الغيم ، نرسمه كالنعام حين
نستسلم لأحلام الطفولة ، ونشبه الشمس بمسجد وضاح أو كمروس يوم الزفاف ،
ونجد السواقي نوادب نشكو خلودها على الزمان ، تدور وتدور فما تعرف الهدوء
والقرار ، تغرق الماء وتسكبه ، وما تدري ما تفعل ، لأنها كالعبيد في العصور

الوسطى أو كالأمرى في وحول القولغا القيصرية ، تغني باكية حفظها .
بل هي كهذا الحيوان معصب العينين بنوء بنيره الثقيل .

ويقراون شعره كذلك في وصف القمر ، وقد رسمه متهللاً في الماء قد بدا
نصفه ، وأسفر عن قفل ماس في سوار نضار ، ورمم الفلك على الماء يتبعها
ذبل من الأنوار تخطر في لجين مانج أو عسجد زخار .

فاذا وقفنا أمام وصفه للنيل ، رأينا الألوان والأصباغ حين يسود النهر
أو يخضر ، فيجوك برودة على الضفتين لا تخلق على الأيام لأنه شريان مصر ،
وغذاء أرضها وأهلها ، وهبة الخير والنماء التي لا تعدلها هبة ^(١) :

ومن السماء نزلت أم فجّرت من عليا الجنان جداولاً تترقرق
وبأي عين أم بأية مزنة أم أي طوفان تفيض وتنق

فاذا حفظ المصريون بد النيل ، فهم يحفظون بد شوقي ويرددون شعره ،
وينقشونه في قاعاتهم شارة على الوفاء لشاعر النيل ، وينشدون أبياته كما ينشد
الغرييون أغانيهم في الدانوب الأزرق وفي القولغا وغيرهما ، فالنهر ماء الحياة
ودفقة العزة وشراب الخصب ونعمة الدهر .

ونحن في الشام نحفظ لشوقي بده علينا حين خصنا بألواح في هذا المتحف
الجميل ، فرسم من اقليمنا ما وصف ، وخلّد من آثارنا ما خلّد ، فسكب الجمال
في قوائمه وأراق في أبياته من مسجدنا وما آذنا ما أراق . فلما دخل دمشق
عاصمة العروبة ومسرح الوليد مروان ، هبت دمشق لاستقباله ، وجرى
« بردى » يصفى للقاءه ، فكأنه رضوان يستقبل اليوم شاعرنا في جنان الخلد ،
والشمس فوق لجين الماء كأنها عقيان ، وشجر الحور في قرية دمر أو سيف

«الهامة» كالحُور في الجنان قد كشفت عن ساقها وخفت ثرقصُ لمقدمه ،
ولعل شوقي قد عرف أن النهر صغير قليل ، ولكنه نشيط جميل ، يكاد
يكون صورة للشعب ، يضج بالحركة وبثور بالسعي ، ويتعلق بالحربة والنفع ،
يندفع على صفه كما يندفع النيل والفرات ودجلة ، ليفذي العرب بآياته ويتمهم
بخصبه ، فنحن نتغنى بقوله ^(١) :

أمنتُ بالله واستئنيتُ جنته دمشقُ رَوْحُ وجنات وريحان
قال الرفاق وقد هبت خائلها الأرضُ دارٌ لها الفيحاءُ بستان
جرى وصفُ بلقانا بها «بردى» كما تلقاك دون الخلد وضوان
دخلتها وحواشيها زمردة والشمس فوق لجين الماء عقيانُ
والحور في «دمر» أو حول «هامتها» حور كواشف عن ساق وولدان
لأننا لم نقرأ لنهر دمشق وصفاً كوصف شوقي منذ حسان بن ثابت فنعترف
لذلك بيده على أبنائنا منذ أرسل فينا هذه الأنظام العلوية .

والألواح في المتحف ما تزال كثيرة ، في الربيع والشرب والشاربين ،
تشبه ما في ديواننا من البحري وابن المعتز وأبي نواس ، بل تزيد عليها فتثير
البلايل وتحرك الورق كأنها جوفة من راهبات في صحن كنيسة يوم عيد الفصح ،
وقد انتشر الجور وعلا النشيد الجميل . وأحمد شوقي يستعير صورته من الأديان
جميعاً ، وفيها الدين المسيحي ، كما فعل الحمدانيون . ويعدّد النبات وألوانه
والزهر وأصنافه كما عدّها أولئك في روضياتهم ، فيرسم الخائل مرحة ، والرجس
والأقاح ، والمنثور والورد والزهر ، كأنها في موكب جميل تنهادي في
أوضاعها ، هذه خفضت رأسها ، وتلك تمالت شاحخة ، وثالثة ضحكت مرحة ،

وهذه عبثت في العرس الخافل ، فكأنه يرسم عرس الطبيعة ، ويجرك الزهر
على المسرح كما يجرك الفنانون دماهم بخيوط خفية يرقصونها وينطقونها بأجمل
الحديث في مسارح باريس وموسكو .

* * *

وهذه الألواح خالية في أكثرها من التوقيت والتأريخ ، لا ندلنا على صبي
أو كهولة ، فلن نستطيع أن نصف منها أطواره ، ولن نصور قلبه وتقدمه في
شعره . ولعلها لبست أجمل ما قال ، ولكنها في رأينا من أجمل ما يقال ،
بل اننا نراه يحاول أن ينطقها كما فعل دهقشي في لوحته عن موسى الحكيم
صلوات الله عليه ، ولكنه عجز في باب الألوان والأصباغ والحركة فنظر إليها
كما ينظر الفوتوغراف من وجه واحد - كما قلنا - .

وقد نظر إليها نقادنا المعاصرون على اختلاف غير يسير في الرأي فانتقصها
بعض على أنها تقليد ونقل ، وأكبرها بعض على أنها آفة الآيات . فقال
الرافعي : « ان شوقي صاحب الآيات البدئية في الوصف ، وهذه الناحية هي
أقوى نواحيه » . ونقدتها العقاد وعرف التشبيه : « أن تطبع في وجدان
سامعك وفكره صورة واضحة مما انطبع في ذات نفسك » . ورأى غيرهما أن
الشاعر أخفق في مجازاة عصره فاستعار آلات القدماء وأوصافهم .

ونحن لا نحمل شوقي معرة نقصيره في اللحاق بشعراء الغرب في العصر الحديث ،
وقد عاش بينهم في باريس وغير باريس ، فلم يرسم أثر المشاهد في نفسه
ولم يحاول أن يطبعها في نفوس قرائه ، ولم يجعل كالشاعر لامارتين من الخليج
ساعدين يضمن الماء كما يضم العاشق حبيبته في نفور حيناً وفي استسلام أحياناً .
وذلك لأن شاعرنا كان يديم النظر إلى الشعر العربي القديم أكثر ما يديم
ويسعى في اللحاق به وخاصة في الوصف .

فلما أراد أن يصف دقائق قلبه من جمال النساء بعدما وصف من جمال الأرض والسماء وقف أول الأمر عند غزل القدماء ، وتعلّق بصور القرنين الثالث والرابع ، ولاذ حيناً بأسباب المدرسة العذرية ، وأخذ أحياناً بالغزل الصناعي ، ولكنه كان في ذلك كله يجاري الفحول من الغزلين القدماء ، فلما أوغل في الفن استطاع أن يولد وأن يبتكر ، فكانت منه تعابير وصور بلغت مبلغاً عظيماً من الصيغة والموسيقا ، فكان شعره في هذا الباب موضع الغناء في عصرنا لحن كله أو كاد ، ودار على الأسماع لرقته وعذوبته .

أما أنه وقف عند غزل القدماء أول الأمر ، فهو واضح في ألفاظه يكرر ذكر البان والعلم والريم والمها والمرض والبعاد والقتل والفتك ، في مطالع قصائده وفي المقطعات الخاصة بالنسب والتشبيب . فوصف ماء الخلد يشفّ عن اللهب ، والشادن في غلائل قشب ، قد قرّ منه النهد واضطرب ، فاذا مشى أخجل القضب ، بين عينيه والمها نسب ، يمس قده ، ويسفر عن البدر وجهه ، ويقتل يجفنه وفيه سقم ، ويدعى عشاقه بالسيف والسحر والطلّي ، يرمي الشباك ويصيد العشاق ييسم عن نضيد ، ويرنو بطرف أحور . وكان في هذا مقلداً من غير شك حتى إذا انطلق إلى باريس وغير باريس راح ينشد شعراً جيلاً ينبعث من قرارة نفسه ، فيقول ^(١) :

نظرة فابتسامة فسلام فكلام فوعود فلقاء
يوم كنا ولا تسلك كيف كنا نتهادى من الهوى ما نشاء
وعلينا من العفاف وقيب تعبت في مراسه الأهواء
فصور الحب جنيئاً منذ ولادته حتى بلغ أشده ، وأثر الثمر المرجو ، فكان

لقاء وما وراء اللقاء . وهو في غزله عفيف حيناً ، وغير عفيف أحياناً ،
 أمين على الحب وخئون في العشق ، يقسم ويقسم ، ويحمل للحبيب من قلبه
 معبداً وسفحاً وملعباً ومنهلاً عذبا ومرعى طيباً .
 وكم تغنينا في شبابتنا بألحان شعره في قصيدته السائرة التي وصف فيها لقاء
 الحبيب وما وقع بينه وبينه فقال ^(١) :

لم أدر ما طيب العناق على الهوى حتى تفرق ساعدي فطواك
 ودخلت في ليلين فرعك والدجى ولنمت كالصبح المنور فاك
 وتعطلت لغة الكلام وخاطبت عيني في لغة الهوى عيناك
 لا أمس من عمر الزمان ولا غد جمع الزمان فكان يوم رضاك
 وأعجبنا آنذاك بلغة الكلام حين تعطلت ، وذهبت الكلمة فينا مثلاً ، وردتناها
 في سن كانت ترقص لهذه المعاني والصيغ ، ولعلها تبعث فينا اليوم ما يبعث
 الناقوس في النساء - كما قال شوقي - ولكنها لم تفقد عذوبتها في أفواهنا ،
 ورقتها في أسماعنا ، لأنها تصور الغزل الجميل وقد سكت الكون وتكلمت
 الأنفاس في الصدور ، وتقطعت الحسرات بالقبل ، وبرقت العيون في
 الظلام ، وازداد حديث القلوب كلما سادت العنمة - كما يقول بول جبرالدي -
 في باريدياته ، فكيف نصدق الحبشاء من النقاد حين يرمون شوقي بالبعد عن
 هذا ، ويرون أنه ما تكلفه ولا سعى إليه . وكيف يستطيع شاعر لم يذق
 الجوى والالام أن يقول :

إذا طاف قلبي حولها جن شوقه كذلك يطفي الغلة المنهل المذب
 يحن إذا شطت ويصبو إذا دنت فيا ويح قلبي كم يحن وكم يصبو

ولو عرفوا أية حسناء سفع عليها حنينة وشكواه ، وأراق على نحرها دمه وبكاء ،
 لآمنوا بما يقول ، ولكن شوقي سكت عن ذكرياته في هذا الباب فلم يحدث
 عن باريس ومونبليه وغيرهما كما فعل غيره . وإنما أراد أن الرجل كان يتقمص
 ثياب الأبطال العشاق في مسرحياته ، فيفي باسمهم ألم قلبه وجروح صدره
 وذكريات أيامه ، ويوفى في التعبير والتصوير حتى ليقع من ألسنتهم موقع الشقيق
 الرقيق ، فيختلط شعره بشعرهم ، ويصبح مع المجنون في صيغة واحدة :

مُنَى النفس ليلي قربي فاك من في كما لف منقاريهما غردان
 نذق قبة لا يعرف البؤس بعدها ولا السقم روحانا ولا الجسدان
 فكل نعيم في الحياة وغبطة على شفتينا حين تلتقيان
 ويخفق صدرانا خفوقاً كأنما مع القلب قلب في الجوانح ثان

ولعل ليلي المجنون هي ليلي شوقي لقيها في الشرق أو الغرب ، فما نطن أنه خلا
 من حب عفيف فاتك ، لأن أشعاره تصور عاشقاً لقي الحب وخبر الفراق ،
 وأحسن بهذا لكل جراحة من جوارحه كما أحسه العباسيون والأمويون قبلهم ،
 فاستطاع أن يقف لشعرهم لا عن تقليد بل عن إحساس وشعور وفهم وذوق ،
 ويرع في وصف الغرام في الصبا والشباب فرسم في المسرحية مشهداً رائعاً نطن
 أنه بلغ فيه الذروة تصويراً وتعبيراً حين قال :

هذه الربوة كانت ملعباً لشبابينا وكانت مرتما
 كم بنينا من حصاها أربما وانثنينا فحونا الأربما
 وخططنا في تقا الرمل فلم تحفظ الريح ولا الرمل وعى

لم تزل ليلي بعيني طفلة لم تزد عن أمس إلا أصبعا
قد يهون العمر إلا ساعة وتضييق الأرض إلا موضعا

وهذه الأبيات تقع من موسيقا الشعر الغزلي وروعته وجماله بحيث تشهد لشوقي ببراعة الغزل فهي تنضح بالحب البريء ، ونصف الهوى في أجل صفحاته ، حين يرسم العاشق على الرمل ويخط على الماء ، ويبني على الهواء ، فتحمل الريح أحلامه وقصوره الى كل مهب وفي كل سبيل ، فاذا شبّ ذكر ما كان من الصبا في أسي جميل ولوعة صادقة ، وحرقة يعرفها المحبون ، لأنها صورة الحب في الإنسانية . وهذا هو الشعر الإنساني الذي وفق شوقي إلى رسمه وبلغ الغاية فيه فلم يصح مع «موسى» : أن الأماني لا تبنى على الرمال ولا تعتمد على الرياح . والنقاد يرون أن شوقي لم يلبح على الغزل إلحاحه على الأبواب الأخرى فلم يعالج منه لوصف حياته ومن حوله ومن عرفه ، ومن أحبه ، ولذلك جاء قليلاً بالنسبة الى شعره في الألوان الأخرى ، ويرون أنه سكت لموقعه من السلطان والمجتمع ، ولو قد فعل لكان له في الغزل ديوان كبير ، ولكنه صرف أكثره الى المسرحية فوفق فيه وبرع به ، ورفع فيه لواء مصره وعصره . على أننا نجد أنه صرّح بهذا الغزل حين تحمّل الى لبنان ، ووقع في «بكفيا» على صيد جميل ، فجرى وراءه وخادعه وخادعه حتى انتصر عليه ، ومشى الصيد اليه وليس أول جوذر وقعت عليه حياته (١) :

قد جاء من سحر العيون فصادني وأتيت من سحر البيان فصدته
لما ظفرت به على حرم الهدى لابن البتول وللصلاة وهيبته

ولكننا لا ندرى بعد ذلك كم وهب وكم اصطاد ، وكم من الشباك ألقى وكم لم ؟
 حتى إذا تعبت بداه ترك الشباك وألقى القيثارة ، وعزف عن الغناء في الغزل ،
 وجلس يرقب الصيد والصيداء وبذكر أيامه الحلوة في بسمة راضية وعيشة هانية ،
 حتى دلف إليه الملاك بين محر المناظر وعطر المفاتن ، فاحتمله الى جنان النعيم
 حيث الحور والولدان المخلدون ، قوير العين بما كسب للشعر العربي ، ناعم
 النفس بما وهب من صور وألوان ، عظيم الشهرة فيما خلد من وصف كان تاج
 شعره ، ومن غزل كان موضع الغناء في مطارح أنسنا ونجوى نفوسنا ، حلق
 فيها كما حلق الفحول من قدمائنا فاستحق الإعجاب والتكريم والذكر الماطر ،
 على مر الدهر وتقلب الأجيال .

الدكتور سامي الدهان

— — — — —

نثر شوقي (*)

أكان شوقي الشاعر الذي ملأ شعره مسجع الدنيا ، وخفت له قلوب الناس ، وردت إلى الشعر العربي رونقه وبهاءه ، وجلت عنه - بعد البارودي وصبري - ظلمة عصور الانحطاط ، أكان شوقي هذا الذي فعل الأعاجيب في الحياة الفنية الشعرية ، ناثراً من الناثرين الذي يقف عندهم تاريخ الأدب مشيراً إلى أثرهم في سوامهم ، دالاً على مكانتهم فيمن حولهم ، مبيناً عما كان من تجديدهم في الأسلوب العربي أو تنقيحهم له ، أو دفعه في مساريه الجديدة ؟

أغلب الظن أننا لن نستطيع أن نكتشف شوقي الناثري في شيء من اليسر . . . لأنه لم تكن له هذه القدرة على النثر الفني المتمكن من الصنعة حتى لتكاد تكون فيه عفواً . . . ولا لأن أثره لم تكن فيه هذه القدرة على الإمتاع . . . لا شيء من هذا أو ذاك ، وإنما يتجاوز الأمر شوقي نفسه إلى العصر الذي عاش فيه ، وإلى العصر الذي نعيش فيه ، وإلى المواضع التي نطعن فيها في العمل الفني ، والأسس التي نركز عليها في التقدير والتقييم . . . فنحن نحيا في عصر هو أقرب إلى الإطلاق منه إلى التجديد ، وإلى العفوية منه إلى التصنع ، وإلى الإرسال منه إلى القيد ، وإلى الانسجام مع المعنى بأكثر من الانسجام مع اللفظ . . . ونحن اليوم نحب النثر رهواً ، رخاءاً ، طلقاً ، كهذه الأشرطة الخفيفة التي تجري مع النيل ، لا تسمع لها صلصلة ولا جلبة ، ولا تحس لها ضجيجاً ولا عجبجاً ، وإنما هي وسوسة ناعمة كأنما هي همس الموج إلى الجداول ، وتحية الجداول إلى الموج ، ثم لا يكون بعد ذلك إلا هذا التقدم المنطقي على صنعة الماء .

(*) الكلمة التي ألفت في مهرجان أحد شوقي بالقاهرة .

كذلك نحن نحب النثر اليوم ، وانما تولد عندنا هذا الإعجاب بهذا اللون من النثر المطلق ، وتكون فينا الميل إليه ، واستقر عندنا الأخذ به بعد ذلك والتزامه والانصياع إليه والرضا به - أثراً لسلسلة طويلة متشابهة من العوامل والأسباب . . . بعضها يعود إلى تراثنا العربي النثري في القرون الأولى قبل أن تطفئ الصناعة ، وبعضها يعود إلى طبيعة العصر وروحه العامة ، وبعضها يعود إلى غلبة الفكرة وتمهق اللفظة التي لا ترتبط بالفكرة ارتباطاً وثيقاً ، وبعضها يعود إلى عوامل أخرى اصطلاحية جميعاً على أن تكون عندنا ذوقاً جديداً ، ومقاييس جديدة ، وأساليب تخضع لهذا الذوق وتغني مع هذه المقاييس .

وأبرز ما في ذلك أننا أدركنا ظهورنا للسجع . . بل أوشك أن أقول إننا كرهنا هذا السجع في كل ما يكون من صوره وألوانه . . وسواء أكان السجع طرياً ندباً أم كان جافاً قاسياً فنحن لا نؤخذ به ولا نطرب له إلا أن يكون ذلك عارضاً أو كالعارض . وعلى ذلك لا تكاد تنعاقب سمعتان في أسلوب كاتب من كتابنا ، أبرز كتابنا إن شئت ، حتى نتوقف ونثور في نفوسنا النفرة من السجعة قبل أن بشور عندنا الإحساس بجمالها . . إننا حين نمر بنا السجعة في صفحة من الصفحات ينبعث عندنا من الإحساس بانكار السجع كله أكثر مما ينبعث من الاطمئنان إليها .

ولقد مضى السجع في طريقه إلى أن ننكره ونفرق منه في مرحلة الصحافة اليومية أولاً ، ثم في مرحلة الأدب الإنشائي كله بعد ذلك في أي لبوس بدا هذا الأدب الإنشائي . . ولم يبق للسجع إلا مجال الخطابة يحنى بها ويحفظ على نفسه بعض مكانته عند الخطباء الموقنين . . فلما أضحت الخطابة من نحو ، واتخذت سبيلها إلى التبسيط الذي يقرتها من العامة ، وغلبت فيها حرارة المشكلة السياسية أو الاجتماعية على اللبوس الفني ، كما نلاحظ في الأعوام الأخيرة ،

خسر السجع آخر معافله التي التجأ إليها واحتجى بها ، فلم يبق هنالك من
بنفسه فيه أثراً فنياً جديداً .

وحين نقول السجع لا نعني السجع وحده ، وإنما نعني كل هذه الطاقة من
الحسنات البدعية التي تواكب السجع في كثير من الأحيان : الطباق والمقابلة
ومراعاة النظير والجناس والتورية وهذا الحشد من ألوان البدع في معناه
الذي نعرفه به في كتب البلاغة المجددة . . فقد ارتبطت هذه كلها بالسجع
فكان لا يكون - غالباً - إلا معها . . فعافتها أذواقنا أو عافت أكثرها
بصورها القديمة مع ما عافت من أمر السجع سواء بسواء .

وفي هذا الانصراف عن المقيد إلى المطلق ، وعن المسجوع إلى المرسل ،
تمثل أكبر منعطف في طريق النثر الفني في حياتنا العربية المعاصرة . . ومن
المؤكد أن هذا الانعطاف كان من القوة ومن التأثير في ثمرنا الحديث وفي تذوقنا
الحديث بحيث نملك أن نفترض مطمحين أن أقوى نص أدبي مُعجب من إنشاء
أدبائنا المتميزين لو قدر له أن يصاغ سجعاً لانصرف الناس عنه ولفشوا عن
غيره ، ولقالوا في أنفسهم مُسرّين وفي ألسنتهم جاهرين : إنه السجع . .
كأنما يركزون في هذه الجملة كل أفعال عصور الانحطاط يلبسونها هذا النص ،
ويحمّلونه كل ركازات اللفظ وفقر المعنى الذي نعرفه في إنتاجنا الأدبي خلال
أكثر فترات الضعف والتردي .

ومن هذا ، فيما أحسب ، كانت أعظم الغبن الذي لحق نثر شوقي . .
وإذا كانت مواضع العصر ومقاييسه هي التي ألقت على نثر شوقي ، أعني على
النثر المسجوع ، هذه الظلال الكثيفة التي تحول بيننا وبين أن نذوقه ، وبيننا
وبين أن نستجيب له ، وبيننا وبين أن نتفاعل معه - إذا كان هنالك هذا السبب
الخارجي الذي لا سلطان لشوقي عليه . . فثمة سبب آخر كان شوقي نفسه هو
مرده وهو مصدره . . هو فيه المبدأ وهو فيه النهاية ، وأعني به شعر شوقي . .

فقد ظني هذا الشعر حتى ما يكاد يذكر معه نثر ، وعني الناس بالقصائد ولكنهم ماردوا المقالات ، ونهلوا من الشوقيات ولكن «أسواق الذهب» كانت - في شيء من التجاوز - كالأسخ المنفي بين أجزاء ديوان شوقي ، عليه شكل إخوته وله مثل طابعهم الخارجي ، ولكنه لا ينزل من قلوب الناس وأفئدتهم ولا يكون له في تقديرهم مثل منزلة أخيه ولا قريب منها .

ومن المؤكد أنه لو لم يكن هنالك الديوان ، والشاعر الإنسان الذي غنى روائع النشيد وبارع النغم . . وكان هنالك شوقي الذي يتحدث عن الحياة والأمس واليوم والغد ، وعن الأمومة والقلب ، وعن الشهادة والصلاة والزكاة والحج ، وعن القناة والجندي المجهول ، وعن الشمس والظبي - لو كان هنالك شوقي هذا فحسب لكان له في حساب الحياة الأدبية شيء آخر . . .

ولكن شوقي الشاعر غطى على شوقي النثر ، كما كسف عصر شوقي المطلق المرسل شمس السجع التي كانت متوهجة .

وكذلك نرى أننا نستطيع أن نقول في الشعر : هذا عصر شوقي . . في كثير من الاطمئنان . . ولكننا لانملك بحال أن نقول في النثر : هذا عصر شوقي . . . فللنثر أمراؤه الآخرون : طه حسين والعقاد والمازني والرافعي والزيات ومن في طبقتهم في اقليةهم والاقاليم الأخرى . .

* * *

على هدي من هذه الحقائق الأولى نستطيع أن نتحدث عن نثر شوقي ، وأن نتساءل ماذا كان من أمر هذا النثر وما سيده فيه ؟ ماهي مسالكة التي اتخذها وألوانه التي تسربل بها ؟ . . . أهناك وراء هذا النثر مذهب معين يتجه إليه شوقي ويبشر به أم كان الأمر لا يخضع لغاية ولا يتضي في مذهب ؟ . . . أهناك مراحل مر بها هذا النثر ؟ وماذا كانت دوافع شوقي إليه وعناصره في تكوينه وأسلوبه في بنائه وموضوعاته التي صباها فيه ؟ .

وليس في وسعنا أن نعرض كل آثار شوقي الثرية ، فبعض هذه الآثار يعود إلى مطالع حياته ، وتلك 'خطى' قد يعنى بها مؤرخو حياة الأديب وراصدو مسالكه . . . ولكننا نريد اليوم أن نكتفي بالإشارة إليها دون الوقوف عندها . . . ونعني بها هذه الآثار التي كتبها أو ترجمها في صدر حياته : لادياس - عذراء الهند - دلّ وتبان - وبعض هذه الآثار هي التي تتوج انتباهه النثري وتعبّر عنه في أكل صوره وتلك هي التي سفتوقف عندها ونعني بها « أميرة الأندلس » وأسواق الذهب . . . غير أن أميرة الأندلس عمل مسرحي خالص فيه شوقي من نثره المسجوع إلى النثر المطلق فليس لها إلا هذه الدلالة الضخمة على تطور نثر شوقي ولذلك لن نقف عندها إلا من هذا النحور .

وقد كان لابد لهذا البحث ، كي يأخذ أبعد آفاقه ، ويسير في أصدق اتجاهاته ، أن يظفر بشيء من رسائل شوقي الخاصة فيما كتب إلى خلّص أصدقائه في الشؤون العامة أو في شؤونه الخاصة ، ولكننا لا تزال في دراسة الأدب من هذه الغاية على بعد . . . لأننا لم نتعود أن نجتمع كل آثار أدبائنا ، ولم نتمكن بعد من النظر إليهم - من خلال آثارهم الخاصة - في غير الصورة التي أرادوا أن يظهروا بها للناس في آثارهم العامة التي نشروها .

* * *

ما الذي نجده في أسواق الذهب ، أبرز آثار شوقي الثرية ؟ حين قدم شوقي لكتابه هذا أشار إلى كتابين آخرين : أحدهما أطواق الذهب للزخشرى والآخر أطباق الذهب للأصنهاني فقال : « فهذه فصول من النثر ما زعمت أنها غرر زياد ، أو فقر الفصيح من إبداع . . . ولا توهمت حين أنشأتها أني صنعت أطواق الذهب للزخشرى ، أو طبعت أطباق الذهب

للأصفهاني ، وإن سميت هذا الكتاب بما يشبه اسميهما ، ووسمته بما يقرب في الحسن من اسميهما . . . »

هذه الجملة التي جاءت في مقدمة أسواق الذهب دفعت بعض الذين كتبوا عن شوقي إلى القول بأنه جرى في كتابه على نمط أطواق الذهب وأطباق الذهب . . . أو أن عمله في الأسواق يتطابق مع المقامات وأنه يذهب فيه مذهب الزمخشري من حيث الوعظ والارشاد ^(١) .

فهل ذهب شوقي مذهب الزمخشري والأصفهاني ، وهل جرى على نمط الأطباق والأطواق ؟ أكان عمله يتطابق مع المقامات ؟

قد نستطيع أن نجاري الذين قالوا بهذا إذا نحن تناولنا الأمور تناولاً عاماً ، ووقفنا لا نتجاوز الشكل إلى ما وراءه . . . إن الأطباق والأطواق قائمة في مظهرها الخارجي على السجع ، وكذلك أسواق شوقي . . . غير أن هذا وحده لا ينفع لنا أن نفرق في المقارنة حتى نصل إلى حدة المطابقة بين هذه الأعمال الثلاثة . وصحيح أن شوقي أشار إلى الأصفهاني والزمخشري ، ولكننا يجب أن لا ننسى أنه أشار كذلك إلى زياد بن أبيه وفس بن ساعدة الإيادي ، وأنه سرد هذه الأسماء كلها لا على أساس فني ، بمعنى أنه لم يقصد إلى أن يقيم هذه المقارنة أو المطابقة بين صنيعه وبين هؤلاء الذين تحدث عنهم ، وإنما قصد إلى شيء من الزينة الفنية فحسب حين سمى ضرر زياد وفقر الفصيح من إياد . . . إنه في الواقع كان في نطاق تعداد هو إلى ذكر طائفة من

(١) انظر ما كتبه العلامة المرحوم الأستاذ محمد كرد علي في كتاب ذكرى الشاعرين « الأستاذ أحمد عبيد - ج ٢ ص ٤٣٦ » ، وإشارة الأستاذ الدكتور شوقي ضيف في كتابه الرائع عن شوقي ص ٢٩٢ « الطبعة الثانية » .

الاسماء اللامعة في النثر العربي ، بعضها إسلامي وبعضها من القرون المتأخرة -
أقرب منه إلى أي شيء آخر .

وإذن فليس هنالك هذا النمط المشترك - إن شئت الدقة - بين الأسواق
وبين الأطواق والأطباق . . . وليس هنالك هذه الرغبة في تقليد أثر بعينه . .
إن لكل من هذين بناءه وأساسه ووجهته التي يخالف بها عن وجهة الآخر
وبناؤه وأساسه .

ولذلك ، أعني لهذه المقارنة بين شوقي وبين الرمضاني والأصنافي فضل
حديث نذكره لكتاب عن نثر شوقي فلنتجاوز به إلى ما وراءه متسائلين
- في سبيل التعرف الأصيل على أسلوب شوقي - عن الدوافع التي دفعت بالشاعر
أن يقول هذا النثر المسجوع .

بواعث السجع

في ذهن كل الذين يقرأون نثر شوقي تحوُّك هذه الأسئلة المختلفة :
لِمَ لجأ شوقي إلى هذا النثر وقد عُرف تميّزه بالشعر وتقدمه فيه سائر طبقات
المحدثين ؟ ما الذي كان وراء هذا الطريق الذي شقه من بواعث ؟ ألم يكن له
في المجال الشعري ما يبدّ كل ظمأ النفي ؟ . . أكان يحسّ أن ثمة دفقة
من نفسه في حاجة إلى أن تبدو للناس في غير قالب الشعر الذي ارتضاه
سبيلًا ومضى فيه وصقله أروع صقل في تاريخنا الأدبي الحديث ؟ . . ألم يكن
يجزي شوقيًا أن يقال عنه إنه أمير الشعراء ، وأن يقال بحق عن عصره في
التاريخ الأدبي إنه عصر شوقي ؟ أكان هنالك دوافع خاصة تدفعه إلى هذه
المزاوجة بين الشعر وبين النثر ؟ .

وقفت طويلاً عند هذه الأسئلة التي كانت تجلجل في صدري وأنا أعالج

نثر شوقي ، ولكنني لم أجد الجواب الذي أطمئن اليه وأرضيه . . وأحسب أنه ما لم 'يتج' للذين عاصروا شوقيًا وخالطوه أن يتحدثوا عن كل ما عرفوا من سيرته أو خبروا من سريره أو شهدوا من تشابه العلائق في حياته أن يقولوا هذا الذي عرفوا أو خبروا أو شهدوا ، وأن يكشفوا عن كل وجوه هذه السيرة والسريرة والعلائق . فان حديث المتحدثين اليوم وغداً ان ينكشف عن شيء وإنما سيظل يدور حبيس الحسد والتظني .

ومرد ذلك إلى ما نعرف جميعاً من أمر شوقي . . كان شوقي للناس كما يكون البحر إذ تراه هادئاً الصفحة على حين يضطرم داخله بالموج ، وبثور بالحركة ، وبغلي بالانفعال . . والموجة التي تضطرب في داخله لم يكن شوقي ليكتبها وإنما كان ينبغي لها أن تتحرك هنا وهناك ذات اليمين وذات الشمال . . ولكن ما أقل ما أتاح لها أن تنطلق فتملاً سطح هذا البحر الذي يراه الناس فيأخذهم انبساطه الهادئ وانطلاقه البعيد ووسوسته الناعمة - ضجيجاً وصخباً وحركة . . . ويبدو كأنه في حكم المؤكد أن شوقي كان لا يخرج على الناس إلا بالجانب الخليم العاقل من ذاته العاقلة وذاته الثائرة . . إن نفس شوقي جوهر واحد للذين يلتمسونها من هذا السطح الظاهري فقد استطاع أن يخفي جواهره الأخرى . وكما كان في سلوكه الاجتماعي كان كذلك في سلوكه الفني . . فالذين عاصروا شوقيًا يجمعون على أن سلوكه الاجتماعي كان غابة في اللين والدمائة ، والرفقة والسلاسة . . وما نحسب أن انساناً ، بله أن يكون شاعراً ، شهد كل أحداث الوطن العربي والاسلامي ، ومدّ يده إلى ما وراء الأفق الانساني فانقطف هذا الشعر الخالد ، ما نحسب أن انساناً هذا شأنه كان حلقاً خالصاً ورقة خالصة . . فمؤكد أنه كان كذلك ثورة داخلية عارمة بعانها ، وبشكلها بها ، وتنال من عقله ، وتأخذ نفسه انفعالاتاً مبهجاً أو محزناتاً . . . غير أن شوقي

الذي استطاع أن يختص سلوكه الاجتماعي من الغضب والطيش والجاهلية وفلتات القول ، وأن يصفى حقد الناس بحلمه ، وطول لسانهم بتهذيب لسانه ، ونطاوهم إلى أن يتألوا منه بمجادلته أن يبلغ اليهم نَيْلُهُ ، هو شوقي الذي استطاع كذلك في سلوكه الفني أن يحيل كل انفعالاته الداخلية صنيعةً فنيًا معجبةً تغطيه الحكمة على حين كانت حروف هذه الحكمة تشتمل أطرافها بالقلق كما تشتمل أطراف الشموع بالنور .

ومن هنا نغادر التعرف إلى مرة هذا المنعطف النثري في طريق شوقي الشاعر . . . وليس لنا بعد هذا إلا سلسلة من الاقتراضات .
فحين نستطيع أن نرى في صنيعة هذا امتداداً لما استقر ، تقريباً ، في تراثنا الأدبي القديم من الجمع بين الشعر والنثر عند كثيرين . . . حتى الذين عرفناهم شعراء كان لهم نثر لم يصلنا منه شيء ، وأبو الفرج في الأغاني يحددنا أن بشاراً كان صاحب منشور ومزدوج ورسائل . . . ويبدو أن جهرة من أدبائنا على مدى تاريخنا الأدبي الطويل حرصوا على أن يجمعوا بين هذين القالبين . . . وكأنما استقر عند شوقي أن من تمام التميز في الأدب العربي أن يماشي موكب الشعر عنده موكب من النثر ، وأن تحفه من حوله ، من يمينه وشماله آلهة الشعر وربات النثر . . . وذلك كله - فيما أحسب - استمراراً للتقاليد الأدبية العربية . . . وما من شاعر كشوقي استطاع أن يمدّ خيوط هذه التقاليد من نحو ، وأن يوجهها وجهة جديدة من نحو آخر ، وأن يقيم هذا التوازن بين القديم والجديد من نحو ثالث . . . بل لعل حياته ، سيرةً وإنتاجاً ، ليست إلا هذا الجمع المتوازن .
وقد لا يكون هذا التقليد الأدبي هو الذي دفع شوقي في هذا السبيل . . . قد يكون في واقع حياته ، حياته الداخلية التي لا نعرف عنها إلا القليل ، هذا الدافع . . . أنرام عبّروا شوقي ذات يوم بنقص زاده اللغوي فأراد هذه

المقالات تمثيلاً لفناء في هذا النحو ؟ . . أترام عبّروه بالقصور في النثر فردّ عليهم مقالاتهم ؟ . . أكان هنالك من حبّب إلى شوقي السجع فضى فيه ؟ . . من بدري ؟ ولعله على كل حال شهد تطور النثر نحو الانطلاق ، ولحظ أن هذا التطور مقرون بالكراهة للسجع والانحراف عنه والعيب عليه فأراد أن يعيد لهذا اللون الأدبي ألقه ، وأن يردّ عليه حرمة ، وأن يجعل منه هذه القصائد المنشورة ، وأن يخرج به عن نطاقه التقليدي وعن موضوعاته التقليدية في المقامات أو ما في حكمها . فوسّع صاحته ، ونوع موضوعاته ، وأراد أن ينسج لكل هوائف النفس ، وأصوات المجتمع ، ومشاكل العصر .

ويبدو أن هذا هو الذي كان . . فقد كتب شوقي نفسه في « أسواق الذهب » يكشف عن صنيعة ، وبرزة ، ويعرض لهذا السجع الذي صبّ فيه بعض انتاجه الأدبي ، ويبين عن مكانته وقيّمته ، ويقول عنه إنه يقف على الطرف الآخر من الشعر ليلقي به لقاء لونين قتيين متماثلين « السجع شعر العربية الثاني » .

وفي هذه القطعة التي كتبها شوقي نلمح قصة السجع في العصر الحاضر كلها . كيف كان ، وكيف دال ، وما الذي رمي به . . ولكنها قصة موجزة مركزة وقف شوقي عند خطوطها الكبرى . . أبان عن مكانة السجع ، ثم تحدث عن دوره في الأدب ، ثم بدأ يصور إنكار الناس في عصره له ويقول ان مردّة ذلك إلى الخلط بين السجع المشرق والسجع المظلم ، بين ما سماه الجليل المنفرد وما سماه القبيح المزدول . . وهو على كل حال يريد أن يكون السجع منظوباً على فكرة ، متصلاً برأي ، بعيداً عن الحشو والثرثرة :

« السجع شعر العربية الثاني ، وقواف مرنة ريضة خصت بها الفصحى ،
يستريح اليها الشاعر المطبوع ، ويرسل فيها الكاتب المتفنن خياله
وقد ظلم العربية رجال قبحوا السجع وعدّوه عيباً فيها ، وخططوا الجميل
المتفرد بالقبيح المردول منه يوضع عنواناً لكتاب ، أو دلالة على
باب ، أو حشواً في رسائل السياسة ، أو ثروة في المقالات
العلمية »

ونلح في تبرير شوقي للسجع شبين اثنين أساسيين ربما كان فيها بعض
التعبير عن الدافع التي حدثت به إلى اصطناعه والأخذ به ، وهما الحفاظ الديني
والحفاظ اللغوي . . . إنه يرى أن القرآن الكريم لجأ إلى هذه الفواصل^(١)
وما كان أحلاها ، وفي الحديث الشريف من هذا اللون مثل ما في سجع
الحمام من حلالة ، وفي كلام السلف الصالح منه المأثور الخالد ، فما ينفع
الناشئة أن تتخلّى عنه أو ننكر له : « فيانشء العربية ، ان لغتكم لسرية
مثرية ، ولن يضيرها غائب بنكر حلالة الفواصل سيف الكتاب الكريم ،
ولا سجع الحمام في الحديث الشريف ، ولا كل مأثور خالد من كلام
السلف الصالح » .

الموضوعات

لم تكن الموعظة والزهد الغرض الأساسي عند شوقي ، ولم تكن
الحكمة والمثل كذلك من هدفه الأول وإن أشار إليهما وأشاد بهما في مقدمة
الأصواق « الحمد لله الذي علّم بالقلم ، وألهم نوابغ الكلم ، وجعل الأمثال
والحكم ، أحسن آداب الأمم » على كثرة ما تقع له الحكمة . . وواضح

(١) كان شوقي شديد الدقة شديد البراعة حين استعمل هذا التعبير في مقطوعة عنوانها :
السجع . . لم يشأ أن يسمي ما في القرآن سجعاً ارتفاعاً به عن أحلوت البشر
من نحو ، وتزيئاً له عما نزه عنه نفسه حين اتهم بأنه قول كهان . .

أن شوقي لم يقصد كذلك الى موضوع واحد - أو موضوعات متقاربة -
يمثله أو يعبر عنه عدد من الشخصيات على مثال ما أنشأ بديع الزمان
والحريري في القرن الرابع والخامس والمبطلحي واليازجي في العصر الحاضر
مقاماتهم . . وإنما نوع شوقي بين موضوعاته تنوعاً كبيراً ، وكان في
أسواق الذهب ، مثله في الشوقيات ، يتراوح بين الموضوعات الذاتية والموضوعات
الاجتماعية في ألوانها المختلفة . . وإطالع الإنسان في كتابه صورته من المدعي
العمومي إلى حديث عن الزهرة ، ووصف للشمس وحديث عن الطلاق ،
ووقفه طويلة عند الحياة ووقفه قصيرة عند الموت . . إن آفاق شوقي في
الأسواق من التنوع ومن الامتداد في هذه الوجهة أو تلك بحيث تدفعنا
الى القول بأنه لم يكن يقصد إلى الانشاء من حيث هو إنشاء بقدر ما كان
يقصد إلى التعبير عما حوله وعما في نفسه .

على أن هذه الموضوعات لم ترتب وفاق شكل معين ، فلم تفرد الموضوعات
ذات الصبغة المعينة في قسم خاص وإنما جاءت ، شأنها في ذلك شأن الشوقيات ،
متداخلة متعاقبة .

ولست هذه الموضوعات جديدة كلها ، وليست كذلك قديمة كلها . .
بعضها من هذه الموضوعات الانسانية المشتركة التي لا يفنى فيها القول ، وبعضها
من هذه الموضوعات الطارئة التي توحى بها الساعة وإن كان شوقي ، على ما نعرف
من أمره في الشعر ، أقدر الناس على أن يستخلص من الحادثة الطارئة المعنى
الثابت ، وأن يعتمر من البارقة الخاطفة الضوء المديد .

وقد وفق شوقي في تجديد موضوعاته الثرية توفيقاً بارعاً . . . تجاوز
النطاق التقليدي أو الذي آل أن يكون تقليدياً في اختيار الموضوع ،
فاستبد موضوعاته من كل ما حوله : من الدين ، ومن المجتمع ، ومن

السياسة ، ومن صراع الفكر ، ومن هذه القضايا التي كانت تثيرها روح العصر ...
فمحدث عن الشهادة والصلاة والصيام والزكاة والحج ، وعن العدل والظلم وشاهد
الزور ، وشهادة الدراسة وشهادة الحياة ، وعن الأهرام والبحر المتوسط والجندي
المجهول ، وعن الظبي والأسد والشمس ، وأشار الى الوطن والوطنية ،
والاشتراكية والشيوعية ، والحرية والاستقلال .

ولكن يجب ان نستدرك .. فشوقي حين طرق هذه الأشياء كلها إنما
طرقها ليصنع منها عملاً فنياً لا ليعالجها أو يشرحها ... إن بناء الأثر الفني
هو الذي كان يستبد بكل قواه ، ومن هنا مصدر أكبر الفرق بينه وبين الذين
عاصروه من الناثرين المرسلين .

العناصر

واذا كانت موضوعات شوقي في هذا النوع فما هي العناصر التي كانت
تدخل في تركيب مقالات شوقي وفي إقامة بنائها .

العنصر التاريخي :

نستطيع أن نلمح بوضوح أن ثقافة شوقي التاريخية تؤلف عنصراً أساسياً في
تكوين موضوعاته .. بل ان هذه الثقافة التاريخية هي التي كانت تبسج لبعض
مقالاته أن يطول ... وحيث يكون التاريخ يمتد نفس شوقي ، كأن التاريخ
نبعة يرتوي منها ويتزود ما وسعه الارتواء والتزود .

ونحن نظفر بهذا العنصر التاريخي في شكلين :

أحدهما هذا الشكل الاستعراضي الذي يمضي فيه شوقي مع مراحل الزمن ،
كما فعل في قطعة القناة وفي الجندي المجهول إذ بنشئ المشاهد ويعرض الصور .
والآخر هذا الشكل الموجز الذي يكتفي فيه ببعض الأقباس فيذكر بعض

الأشخاص أو بلغت إلى بعض الأمكنة ، أو بقي بعض الأسماء ، ليكون لهذه الأسماء والأمكنة والأشخاص دور الإيجاء والإثارة .

وهذا الاحتفاء بالعنصر التاريخي في نثر شوقي ليس بدءاً جديداً . . . فنحن إذا كنا نراه أو نلحه في نثر شوقي فقد لحناه كذلك من قبل في شعره .
إنه ركيزة أساسية من ركائز العمل الفني عند شوقي الشاعر وشوقي الناثر .

العنصر اللغوي :

إفراغ الأثر الفني في قالب السجع يقتضي بطبيعته مادة لغوية ثرة . .
ونحن لا نستطيع أن نتصور نثراً مسجوعاً لا يكون لغزارة اللغة ووفرة مفرداتها نصيب كبير فيه .

وإذا كان هذا صحيحاً فنحن لا نحتاج أن نقف وقفة طويلة عند هذا العنصر الذي يدخل في عمل شوقي النثري . . غير أننا لا نملك السكوت عن ملاحظة أن شوقي استطاع أن يجاري الفحول في استخدام المادة اللغوية واستثمارها . .
إن مقالاته في أسواق الذهب كشفت عن مقدرته اللغوية الباهرة . . وإذا كان هذا شيئاً طبيعياً من أمثال الحريري وبدیع الزمان والزمخشري واليازجي من الذين نشأوا في رحاب المعاجم العربية واتصلوا بالثقافة اللغوية اتصالاً مستمراً دائماً - فإنه من الأمر الخارق الذي بلغت النظر حقاً أن استطاع شوقي - وبنيته هي بيئته التي تتمازج فيها العناصر الأعجمية وتغلب فيها اللغات الأجنبية : التركية والفرنسية - أن يستعلي على هذه البيئة من نحو وأن يمك بزمام اللغة العربية وأن يسخرها كيف يشاء ، فتلين له بين يديه وتطاعه في نثره في انطلاق واستساعة ومثي من عفوية كثير ، وأن يضرب في هذه اللغة بطلب ما يقتضيه السجع فلا يفوته اللفظ وإنما يسلس له كما يريد في نطاق الصنيع الفني الذي أخذ نفسه به .

إنه ليس شيئاً عادياً أن يمتلك شوقي كل هذه القدرة اللغوية التي دل عليها نثره بأكثر مما دل عليها شعره نتيجة لتبعه الشخصي ومطالعته الخاصة وحسه المرهف ، دون أن يكون واحداً من الذين نشأوا في رحاب الأزهر أو درسوا على أساتذته أو كانوا قريبين من معادل الفصحى .

العنصر التأملی :

وتأملات شوقي عنصر ثالث من عناصر مقالاته . . . وإذا كان بعض هذه المقالات كما يقول هو « من شؤون المجتمع وأحواله ، وصفات الانسان وأفعاله ، أو ماله علاقة بأشياء الزمن ورجاله - ص ٤ » فإن بعضها كذلك كما يقول « قد نبع من القلب وهو عند استحيام عفوه ، وطلع في الذهن وهو عند تمام صوره وصفوه » .

وليس معنى هذا العنصر التأملی في بعض هذه المقالات أنها تنحدر عن الدافع الاجتماعي أو الباعث النفسي ، فإلى ذلك قصدت . . . وإنما أردت أن حظها من التأمل الفكري واستملائه أكثر من حظها من مشاهدة الواقع واستمداده . . . إن الكثرة الكثيرة من مقالات الزمخشري تعود إلى هذا التأمل ، ولكن بعضها كالحديث عن الوطن مرد التأمل فيه إلى باعث نفسي ، وبعضها يعود إلى دافع من الحياة . . . ومقالات شوقي يرجع بعضها إلى هذا العنصر التأملی كما في حديثه عن البيان ، واللسان ، والمال ، والحياة ، والموت وما إلى ذلك .

العنصر الواقعي :

ومع ذلك فإن الجانب الأكبر من مقالات شوقي يرتد في أصله الذي نجم عنه أو في تفاصيله التي بنشعب فيها ، إلى هذا العنصر الواقعي من حياة الشاعر أو مما يشاهد في مجتمعه ، مما يفرح به أو يشكوه منه ، مما ينكره أو مما يمتناه . . . ولو رحنا نستقصي هذا العنصر من مواضع شوقي لطلال بنا الطريق ، ذلك أنك

نجدّه في أكثر المقالات . . وقد يكون هو الذي بولّد بعض معانيه أو بلّون الحديث عنه . . ففي قطعه عن « الجندي المجهول » نستطيع أن نلح بوضوح كيف انعكس بعض العناصر الواقعي في حياة شوقي أو مجتمعه على هذه القطعة فولد فيها بعض معانيها . . إن شوقي يشهد كيف يسير الناس في الجنائز ، وبنالون وهم يشيعون الأموات ، من الأموات والأحياء على السواء ، وبلغون في الأعراس والحرمات وهم يرون عاقبة الحياة . . إن هذه الصورة الاجتماعية المنقّرة ولدت عند شوقي في حديثه عن الجندي المجهول هذه الفكرة : (. . .) إلاّ هذا الجندي المجهول ، فقد خلت جنازته من الهامس والهاضر ، والفاطم والغامر ، فقل لمن لم يعرفه الناس : طوبى لك ، ما أنعم بالاك ، وما أنقى كفنك ومبرالك - ص ٢٤) .

وشوقي كذلك يشهد في مجتمعه كيف يكون تجنّي الشيع والاحزاب ، وكيف ينسلح غير ذي مجد بأذيال ذوي المجد ، وكيف يحاول الفاشلون من الأبناء أن يستغلوا سمعة آبائهم . . فاذا ذلك كله انعكس كذلك في مقالاته وبولّد عنده هذا المعنى الذي صاغه في الجمل التالية : (. . . ذهب رحمه الله لا عن ولد يرمينا بجنادل أبيه ، ولا أخ يسحب علينا أكفان أخيه ، وكفانا تجنّي الشيعة ، وإدلال الصنيعة ، وكلّ حرباء ينساق الناس شجراً إلى الشمس ، يعبدونها على مناكبهم من المهد إلى الرمس - ص ٢٥ » .

الأسلوب

حين نتحدث عن الآثار الفنية التي أنشئت في قالب السجع بغلب على أذهاننا معنيان اثنان : أحدهما هذه المحسنات البديعية المختلفة التي تواكب السجع من مثل الجناس والطباق والتورية ومراعاة النظير وما إلى ذلك . . والآخر هذا الفقر المعنوي الذي نلحه في كثير من الآثار المسجوعة ، وهذا التغليب للجانب

اللفظي الذي يخرج الأثر الفني عن هدفه الأول الى شيء من الثروة أو الحشو كما عبر عن ذلك شوقي نفسه .

أفتجد مثل هذا عند شوقي حين نقرأ أسواق الذهب ؟ وهل استطاع أن يتجنب العيوب التي رمي بها السجع أو التي أضفيت عليه ؟ وما بلغ من أمره في هذا السبيل ؟

من الحق أن نفيه قبل كل شيء إلى أن شوقي استطاع أن ينجو مما سماه الثروة ، وارتفع بأثره الأدبي عن مستوى الآثار المسجوعة التي سيطرت في بعض فترات الانحطاط . . . وبوجه خاص استطاع أن يسود المعنى ، وأن لا يغمط الفكرة ، وأن يجعل نقطة انطلاقه التعبير عما في نفسه ، لا مجرد التعبير . . . إن كثيرين من الذين كتبوا صحيحاً لم تكن تعيش في أذهانهم فكرة معينة ، وإنما كانت تعيش في ذاكرتهم ثروة لغوية خصبة تنبع لهم هذا السجع وما يتصل به من محسنات . . . فلما أرادوا لهذه الثروة اللغوية أن تبدو ، ولهذه القدرة أن تتضح للناس ، أخذوا بفشئون . . . بمعنى أن الدافع الأول - أغلب الظن - كان يكن في الرغبة في استعمال هذه الثروة والإبانة عنها ، وكان يمثل بعد ذلك في هذا الأثر الأدبي أو ذاك . . . إن نقطة الانطلاق كانت في كثير من المرات اللغة نفسها . . . ولكن شوقي لم يكن كذلك ، فلم تكن الرغبة في الإبدال بقوته اللغوية - فيما يبدو حقاً - مصدر هذا العمل الفني ، وإنما كان هنالك فكرة معينة تطيف بذهنه ، أو تأمل يسيطر عليه ، أو انفعال يخامر فؤاده ويغمره ، فإذا هو يعبر عنه هذا التعبير المسجوع ، تماماً كما كان يعبر عن هذه الأشياء بالشعر .

ولكي نؤكد هذه الحقيقة بكمي أن نذكر ما فعله الأصمغاني في أطباق الذهب . . . إن مقاماته كانت عرضاً لفناء اللغوي . . . ذلك لأننا نعدم عنده الفكرة فأفكاره هي أفكار الزمخشري ، ونعدم عنده الانفعال فأنفعاله يأتي طارئاً ،

يأتي متأخراً لا ينبع من ذاته وإنما بآتيه من قراءة الزمخشري عن طريق العدوى ، ولا نكاد نجد عنده إلا هذه التوسعة اللغوية - إن صححت التسمية - لما قاله الزمخشري .

ولعلّ شيئاً من هذا أو هذا كله هو الذي فعله البازجي في مقاماته « مجمع البحرين » فقد كانت عرضاً لبراعته اللغوية في أكثر المرات ، وفي مقامة كالمقامة اللبنانية مثلاً نجد أنه استعرض الأفعال التي تدل على معاني القطع والأفعال التي تدل على معاني الكسر والفروق الدقيقة بينها ثم نظّمها . .

ومما يمكن من أمر فحن لاستطيع أن ننفي - حتى في الآثار التقليدية الصرفة - وجود الفكرة ووجود الانفعال أحياناً . . غير أننا نفرق بين فكرة وفكرة وانفعال وانفعال بالدرجة أولاً والأصالة والتقدم ثانياً . . فالزمخشري أعدى الأصهباني بانفعاله ، ولكن من المؤكد أن الأصهباني عانى نوعاً من الانفعال ، هو على الأقل انفعال الرغبة في إنجاز الأثر الفني ، وانفتح له بعض الجديد في المعنى ، هو على الأقل الشرح والتوسعة . . ولكننا في تقويم الأثر الفني لا ننظر إلى وجود هذا العنصر أو ذاك وإنما نلتفت إلى درجته من نحو كما نلتفت إلى أصله ومكانته من نحو آخر : أكان عنصراً أصيلاً دافعاً أم كان عنصراً ثانوياً لاحقاً ؟ . . أكان له دور الإثارة والتفتيح أم كان له دور التقليد والمتابعة . . ومن هنا نؤكد ما لاحظناه من أن شوقي وضع الرغبة في إنشاء أثر فني بكل ما يحتاج إليه هذا الأثر من فكر وانفعال وصنع ، قبل أن يضع الرغبة في اظهار البراعة اللغوية . . على حين كانت البراعة اللغوية موجّهة أولاً في بعض الآثار المسجوعة الأخرى .

ومن هنا يصحّ لنا أن نلاحظ أن شوقي كان ينظر بعينه إلى السماء أو الطبيعة أو النفس أو المجتمع ثم ينظر إلى المعجم أو ينثال المعجم على لسانه . . أما بعض

الذين سلكوا السجع فقد كانوا ، أغلب الظن ، ينظرون الى المعجم اللغوي ، ولا يتركون لعقولهم وأحلامهم وأهوائهم دورها أن تنهض بمهمتها في انشاء الأثر الفني .

واذن فقد وفق شوقي في انشال السجع من وهدهته التي رُدّي فيها حين بدأ انطلاقه فيه من الفكرة . . . ولم تكن الفكرة أو الحادثة أو الشيء الذي يراه بعينه ليصفه ، مجالا لتصيد الألفاظ اللغوية التي يمكن أن تدور في فلك هذه الحادثة أو هذا الموصوف ولكنها كانت لتعبّر عنها ولتتلاءم معها ، لا لتتلاءم مع التعبير الجاهز أو التعبير المجتلب .

ولهذا فنحن نجد أن لمقالات شوقي عناوين : الأسد - الجبال - الذكرى - الأهرام - الطلاق ولكننا لا نجد لمقامات الزمخشري عنواناً وبالتالي لا نجد عنواناً كذلك لمقامات الأصفهاني . . . وفي مقامات الحريري لا يفتي العنوان دائماً . . . وعناوين « مجمع البحرين » غريبة جداً لأنها مصطنعة اصطناعاً واضحاً (المقامة المصرية - الرشيدية - الفراتية - اللبنانية - الحوبية) نهي لا ندل على شيء مما وراءها ، ولذلك لما صنعوا فهرس هذه المقامات كتبوا العنوان وكتبوا الى جانبه ما تتضمنه المقامة . . ان العنوان الصحيح يعبر عن الحادثة أو الفكرة التي أراد الكاتب أن يتحدث عنها لا الحادثة المفتعلة التي أراد الكاتب أن يجمع حول نواتها الألفاظ اللغوية المختلفة .

والحق أننا ، في سلسلة الآثار المسجوعة في الأدب العربي ، نستطيع أن نلح هذه الأنواع المختلفة : آثار تقوم على تغليب اللفظ - وآثار تقوم على تغليب الحادثة - وآثار تقوم على تغليب الفكرة مع رعاية مقام اللفظ . في الأولى تتضائل الفكرة وتختف ، وتبدو من وراء ضباب ، ويسيطر

اللفظ بكل ما يتصل به من جناس وطباق ومراعاة نظير . . كما يفى بعض مقامات اليازجي .

وفي الثانية تحاول الحادثة أن تخفف من سيطرة اللفظة ولكنها توفق أحياناً في مفاجآتها أو طرافتها شأن بعض مقامات البديع والحريري ، وتفشل أحياناً في رتابتها وتكرار شخوصها وضيق ألقهم وتناولهم التناول الخارجى .

وفي الثالثة تسيطر الفكرة ولكنها لا تحجب جمال اللفظ ، وتبدو الفاصلة وكأنها جاءت لتمكن لما يحس به المثنى أو للذي يجول في ذهنه .

وأغلب الظن أن سجع شوقي كان من هذا النوع .

. . .

ولم يوفق شوقي في أن ينجو بالسجع من الفقر في الفكرة والنفاهة في المعنى ، وإنما وفق كذلك في أن ينجو من سيطرة المحاسن اللفظية التي تواكبها . .

إن الطباق والجناس بأنواعها يشغلان شيئاً كبيراً في الآثار الأدبية المسجوعة ، ويقصد إليهما في بعضها قصداً ، ويتولد المعنى الصغير حيناً منها ، وقد يلتفتان الحديث عن مجراه . . وما أكثر ما كانت هذه الأشياء تجتلب اجتلاباً بتضج للقارئ دون ريب أنه اجتلاب مفتعل . . .

أما شوقي فالذي تبسر له من ذلك بئى عن أنه لم يكن مقصوداً إليه كل القصد وبصورة خاصة ما يسميه البديعيون مراعاة النظر . . وأحسب أن الذي جاء عنده من الطباق والجناس إنما كان أثراً من آثار نشدان السجع نفسه . .

فاللفظة المسجوعة تستدعي لفظة أخرى قد لا تشاركها في الحرف الأخير فحسب ، ولكنها تشاركها في أكثر من حرف فيتولد هذا الجناس الناقص . . ولعلنا حين نقرأ مثلاً حديثه عن اليوم « ص ٧٢ » وعن الغد « ص ٧٣ » نجد أبرز القطع التي تجمع منها هذه العناصر البديعية .

وما نفعني شوقي من قدرٍ من التكلف في اصطناع هذا البديع اللفظي ،
ولكننا ننفي عن سجنه أن يكون قد غرق في المحسنات فضلت به المحسنات عن
معناه . . . إن وجود هذه المحسنات التي تواكب السجع أمر لا مفر منه عند
اصطناع هذا الأسلوب . . . ولكن كثرتها وغلبيتها هي التي تقيم المخالفة بين
أثر وأثر : تجعل من أحدهما أثراً مقبولاً أو محبوباً ، ومن الآخر أثراً
محبوباً أو مرفوضاً .

إن شوقي أراد من السجع كما قال حلالة الفواصل وهدبل الحمام بأكثر مما
أراد إلى القيد والتكلف والالتزام .

. . .

على أن شوقي لم يلتزم هذا السجع دائماً ، ولعل من الغريب أن نلاحظ أنه
في الأقسام الأخيرة من أسواق الذهب انحرف عن التزام السجع . . بل إنه
حتى في القطعة التي كتبها للدفاع عن السجع في الأسواق تحرر من هذا القيد
وبدا أشد ميلًا إلى الأسلوب المرسل وإن كان التزم الازدواج وتوازن الفواصل .
إن هذا الفخل كان بداية طريق جديدة في نثر شوقي . . كان بداية
الطريق إلى النثر المطلق الذي بدا في أميرة الأندلس .

وكذلك يتضح أن نثر شوقي جرى مع شعره في طريقتين متوازيتين : كان
شوقي أول الأمر شديد الصلة بالقديم وكان نثره شديد الارتباط بالسجع . .
فلما مضى شعره في موضوعاته وأساليبه حرًا خالصًا من قيود القصر ، انطلق كذلك
نثره حرًا خالصًا في أميرة الأندلس .

ومما يمكن من تقديرنا لهذا النثر فلسنا نملك أن نقول الذي قاله الأستاذ
المرحوم شكيب أرسلان من أن نثر شوقي قتل شعره أو قتل به فلبس في

الحياة الأدبية هذا . . . لكننا نميل إلى القول ان آلهة الشعر التي قامت عن ميامنه « كما قال الشيخ بشارة الخوري في رثائه » قد استبدت به فلم تترك لربات النثر التي قامت عن ميامره أن تستقل بهذا الشاعر الملمم . . . شدته الى موسيقاها ، موسيقى الخليل ، فلما تخاضت عنه بعض الأحيان شدة النثر الى أساليبه وفواصله .

ان نثر شوقي في مثل منزلة الشعر . . . بل انه شعر اذا نحن التزمنا تعبيره . . .
إنه شعره الثاني ^(١) .

الدكتور شكري فيصل

أستاذ الأدب العربي بجامعة دمشق



(١) يرجو صاحب البحث كل الذين يملكون بعض النصوص أو الرسائل من نثر شوقي ، مما لم يطبع ، أن يتفضلوا بهدايته اليها أو إطلاعها عليها .

معجم المصطلحات الطبية

الكثير اللغات

للدكتور ٠ ل ٠ ل ٠ كليفيل

نقله الى العربية الأساتذة مرشد خاطر وأحمد حمدي الحباط

ومحمد صلاح الدين الكواكي

(لجنة المصطلحات العلمية في كلية الطب من الجامعة السورية)

- ١ -

لا تزال كلية الطب في الجامعة السورية هي المدرسة الطبية الوحيدة التي تدرس الطب باللغة العربية في العالم العربي قاطبةً ، وإن سبقتهما في هذا المضمار ، لمدة قصيرة من الزمن ، مدرستنا القصر العيني في مصر والجامعة الأميركية في بيروت . فقد بدأ بتدريس الطب بالعربية في دمشق منذ إعادة افتتاح مدرسة الطب فيها (٢٤ من كانون الثاني سنة ١٩١٩)^(١) بعد اتخاذ لغة الضاد لغة التعليم في تلك المدرسة .

(١) لقد تم في التاريخ المذكور إعادة افتتاح مدرسة الطب باسم المدرسة الطبية العربية خلفت مدرسة العباب العثمانية التي يعود تأسيسها الى سنة ١٩٠٣ ، والتي كانت التركية لغة التدريس فيها ، وكان معظم أساتذتها من الأتراك عدا أستاذين كانا من أبناء البلاد العربية أحدهما المرحوم الأستاذ ميشيل شامندي الذي عُهد اليه بتدريس الطب الشرعي ومفردات الطب وفن المداواة . وكان بين مساعدي الأساتذة الأتراك عدد غير قليل من أبناء سورية ، خلفوا أساتذتهم في التدريس في المدرسة الجديدة . ثم بُدِّل اسم المدرسة الطبية العربية فصار اسمها المعهد الطبي العربي ، وبذلك صرنا أخرى فأصبح كلية الطب .

ويعود فضل التدريس بالعريسة الى أولئك الأساتيد الذين وسدت اليهم كرامتي التدريس (ومعظمهم ممن تخرج من إحدى مدرستي الطب العثمانيتين في دمشق أو في اسطنبول) . وكانت دراستهم بالتركية قد مهدت أمامهم السبيل الى التدريس بالعربية ، لأن المصطلحات الطبية في اللغة التركية معظمها عربية . ولبس من الصعب رد الألفاظ التي شوهدتها أو حرفتها الصياغة التركية الى وضعها العربي الصحيح ، وانبرى ثلاثة من أساتيد مدرسة الطب الى ايجاد المصطلحات الطبية العربية ، والى ارشاد زملائهم الى الألفاظ الصحيحة ، فكان لهم القدر المعلى في هذا المضمار ، وهم الأساتيد مرشد خاطر (وهو ممن درس الطب بالفرنسية ، وتخرج من الجامعة اليسوعية في بيروت) ، وأحمد حمدي الخياط ، والمرحوم جميل الخاني . فهؤلاء الثلاثة يعدون رجال الطليعة في هذا الميدان ^(١) ، يضاف اليهم الأستاذ عبد الوهاب القنواقي الذي أخذ على عاتقه وضع المصطلحات الكيميائية . واستعان بقية الزملاء بخبرة أولئك فكانوا جميعاً المرجع الأول ، وتلا هذه الطبقة رجال الطبقتين الثانية والثالثة ، وكل منهم جهد في رفع شأن اللغة وايجاد المصطلحات في الفرع الذي اضطلع بأعباء التدريس فيه . ويعود الأستاذ محمد صلاح الدين الكواكبي (وهو من رجال الطبقة الثانية) من المجلين في هذه الحيلة ، إذ ما كاد ينهي دراسته ، ويجوز شهادة الصيدلة حتى رأبنا

(١) هذا وإن الأمانة لتعفي بأن ننوه بفضل المرحوم الدكتور حكمة المرادي القدي انبرى الى كتابة سلسلة من المقالات نشرها في مجلة (الصحة العمومية) الأسبوعية التي كانت تصدرها رئاسة ادارة الصحة في دمشق ، مقترحاً قبول عشرات من المصطلحات الطبية العربية مقابل المصطلحات الفرنسية ، وقد استعمل معظمها أساتيد كلية الطب كالخزب والغللاب والقلوب والأسر واللى والنقي والوتين والمشاش والخاصة والهيسة والشرى وانتشار الحذنة والرحير والزحار والذجة والخناق والفلاع والسلمة والرعن والعقي والسادير والشفق والداغصة والخب والإبقار (عن العملية القيمرية) والكظار والإباء (عن فقد الشهوة) والدوار وارقاء الدم والسادة والمراق وغيرها .

له المقالات المتتابعة في مجلة المعهد الطبي العربي ^(١) ثم رأيناه يشرع في وضع كتابه الذي سماه «مصطلحات علمية» ، وقد أعاد طبعه خمس مرات على ما أعلم . هذا وإن الأمانة تقضي أيضاً بأن لا نغفط حق أولئك العلماء والرواد الأول من أستاذنا القصر العيني عندما كانت العربية لغة التدريس في الطب ، ولا أولئك المؤلفين الأجلاء الذين درّسوا الطب بالعربية في الجامعة الأميركية في بيروت ^(٢) .

وأنشئ في مصر سنة ١٩٣٢ مجمع اللغة العربية الملكي ، وصار اسمه بعد الثورة مجمع اللغة العربية ، وأنيط باحدى لجانه النظر في المصطلحات العلمية

(١) لم تعمر مجلة الصحة العمومية الأسبوعية التي ألفت إليها طويلاً ، إذ لم يصدر منها سوى ٢٦ عدداً ، وكل عدد منها ثلثي صفحات ، ثم جيل العدد الواحد ست عشرة صفحة بعد أن تولى رئاسة تحريرها الأستاذ مرشد خاطر . وصدرت بعدئذ في أول سنة ١٩٢٤ مجلة طبية شهرية هي مجلة المعهد الطبي العربي ، بإشراف الأستاذ خاطر وانقطعت عن الصدور بعد سنة ١٩٣٦ ، وكانت هذه المجلة نبراساً يهتدى به ، وميداناً فيسحاً تنبارى فيه أعلام اللغويين والأطباء من سورية ولبنان والعراق ، سواء في المصطلحات العلمية أو في الموضوعات الطبية المحلية والمستعذات المستجدة في بلاد الغرب .

(٢) لم ينتج لكاتب هذه السطور الاطلاع على ما ألّفه هؤلاء ولا أولئك ، الا أنني أجلت الطرف عرضاً في أحد الكتب التي وجدت في خزانة كتي ، وهو المعروف بالمصباح الوضاح في صناعة الجراح من تأليف وترجمة الدكتور جورج بوسم أستاذ الجراحة في المدرسة السكية في بيروت وقد طبع سنة ١٨٧٣ ، فوجدت لفته صحيحة لا غبار عليها . وقد سبقنا في استعمال الكثير من المصطلحات الطبية كآكلة اللحم والآمة والأردد والأدرّة والارتشاح والتأمور والاستسقاء وأسر البول والإطراق والملتصمة والרגامي وبرحاء والتلبسح وتلين الدماغ والحجرة والجبر والحسر وحى الدق والعشّم والذبذبة والسبات والسعفة والسلاق والشرة والمقبولة والعمش والفحج والفدح والفرقة والفقم والفدج والفاثاير والقدم المرجاء والقداء والقدعاء والوكاء والرحاء والقبلة المائية والكفنة واللبين والنسيج الخلوي والوترة والوكع وغيرها .

ومن بينها المصطلحات الطبية لمرضها على مجلس المجمع وقرارها ، فأقر المجمع مجلة قرارات تناولت الطريقة الواجب اتباعها في وضع المصطلحات العلمية بما لا يتسع المجال لسرده .

وقد شرع المجمع في وضع المصطلحات في بادئ الأمر وفق الأسس التي أقرها دون أن يلتفت الى ما فعله أساتيد كلية الطب في دمشق . وثابر هؤلاء أيضاً على الطريقة التي اختطوها لأنفسهم (ولا أقول اختطوها كل منهم لنفسه) دون أن يكون هنالك ما يجمع أو يوحد بين جهود الطرفين . وبدت بوادر التقارب مؤخراً فرأينا بعض لجان المجمع تنظر بعين الاعتبار الى ما سبق لأساتيد كلية الطب وضعه وإدخاله في صميم لغة الطب المتداولة في سورية وفي معظم البلاد العربية درساً واستعمالاً . ومع ذلك لا يزال ثمة خلاف بين لا بين الفريقين المذكورين فحسب ، بل بين أساتيد كلية الطب أنفسهم ، فترى لفظ الفرضي الواحد بضع كلمات عربية بين معرب ومشتق ومنحوت . وكل واحد من واضعي تلك الكلمات أو من المنتصرين لها يتشبث برأيه ولا يجيد عنه قيد أنملة .

واستبشر خيراً كل من بهمه الأمر عندما طرق مسامعه أن لجنة من خيرة أساتيد كلية الطب وأطولهم باعاً في وضع المصطلحات الطبية قد تألفت وأخذت على عاتقها مهمة وضع معجم شامل يهدف الى توحيد المصطلحات ، ويكون مرجعاً يعتمد عليه ، وها هو قد صدر المعجم فهل تحققت به الآمال ؟ .

إنه لسفر ضخم عدد صفحاته تقارب الألف ، وقد طبع طبعاً منقناً في مطبعة الجامعة السورية . وهو منقول الى العربية عن معجم ١٠١ ل . كليرفيل الكثير اللغات (فرنسي انكليزي ألماني لاتيني) ، فتكون العربية اللغة الخامسة فيه . والترجمة كانت عن طبعته الثانية التي صدرت سنة ١٩٥٣ ، ورفقت كلماته بأرقام متسلسلة فكان لكل كلمة عربية رقم مماثل لرقم الكلمة الفرنسية ، وقد بلغ مجموع الكلمات ١٤٥٣٤ كلمة .

إن إقدام الأمانة خاطر والخياط والكواكبي على هذا العمل الجليل ، وما أدوه في تحقيقه من خدمة لأبناء الضاد عامة ولطب والأطباء خاصة سيسجل لهم بمداد الفخر والازجال . ولبسمع الزملاء الأكرام بعد هذا بأن أبدي ملاحظاتي عليه :

١ - المعجم الأصلي المترجم :

لا بعد هذا المعجم كاملاً من حيث عدد مفرداته . فاذا ما قيس بالمعجم الطبية الأخرى كمعجم (Blakiston's) مثلاً نجد أن الطبعة الثانية من هذا المعجم الأخير (وقد صدرت سنة ١٩٥٦) قد زادت على الطبعة الأولى بمقدار ١٢٠٠٠ لفظة ، ونجد أنه جرى فيها تبديل ٨٠٠٠ لفظة من ألفاظ الطبعة الأولى . فأين هذا من معجمنا الذي بلغ مجموع مفرداته ١٤٥٣٤ لفظة فقط . ولاحظ كاتب هذه السطور وهو يطالع في الصيف الماضي كتابين صدرا حديثاً أحدهما انكليزي وهو (The Person Behind the Disease) أي الشخص وراء المرض لمؤلفه (J. Bauer) ، وآخر فرنسي وهو (La douleur et les douleurs) أي الألم والآلام لمؤلفه الأستاذ (Alajouanine) أن عشرات إن لم أقل مئات من الألفاظ الجديدة خلا منها معجمنا الطبي .

٢ - ترتيب المعجم :

لقد جعلت اللجنة ترتيب المعجم - وهو على الحروف الفرنسية - من اليمين الى اليسار على غرار ما يكون في المعجمات العربية . والأفضل أن يكون الترتيب من اليسار الى اليمين تسهيلاً للبحث عن اللفظة الفرنسية ، وهو ما درج عليه زميلنا الفاضل الأمير مصطفى الشهابي في معجم الألفاظ الزراعية ، وودت أيضاً لو نسبت اللجنة على منوال هذا المعجم الزراعي الكبير باثبات الألفاظ العربية ، مرتبة على الحروف الهجائية العربية ، في صفحات ملحقة بالمعجم . وهو عمل سهل مادام

يوجد لكل لفظة من الألفاظ رقم خاص يمكن رسمه في جانب اللفظ العربي ،
 فيدل على اللفظ الفرنسي الذي يقابله ، ونصبح فائدة المعجم بذلك مضاعفة .
 وهذا ما درج عليه مؤلف المعجم الأصلي في الألفاظ اللاتينية .

٣ - الأسلوب المتبع :

لقد ذكرت اللجنة في المقدمة الأسلوب الذي اتبعته ، فقالت إنها تتحرى
 المعنى الصحيح لكل كلمة من كلمات المعجم بانتقاء الكلمة العربية الصريحة ، من ترجمة
 سابقة صحيحة ، أو وضع ترجمة صحيحة عند فقد تلك ، مستعينة ببعض طرق
 الاشتقاق المقررة لأسماء الآلات والأمكنة . وإن كانت الكلمة مصدراً لعمل
 ترجمتها بالفعل الماضي لذلك الفعل ؛ ودرجت على اتخاذ وزن فَعَلَ للدلالة على
 المرض (كَفَجَل رَرَقَص لداء الفيل وداء الرقص) ؛ وخصصت وزن اسْتَفْعَلَ
 بالكلمات التي يقصد منها الاستشفاء (كالاستلقاء) ، ووزن فَعُول وفَعُولَة
 ترجمةً للكلمات المنتهية بالكاسعة (Able) و (Abilité) ، ووزن فُعَال للداء
 في حشو^(١) أو عضو ككِبَاد وعُصَاب وفُلاب وما إلى ذلك ، وقالت اللجنة
 إنها تضع كلمة أقرب ما تكون من معناها الصحيح لكل كلمة لم تهتم إلى ترجمة
 صحيحة لها كالحمة والفوعة ، وإنيها لم تعتمد إلى التعريب إلا فيما ندر ،
 وكذلك الاشتقاق من تلك الممرات ، وإنيها اضطرت إلى النحت في بعض
 الكلمات للحاجة الملحة إليه عند استعمال النسبة والإضافة إلى تلك الكلمات
 كالكربراء مخفوفة من الكبرية الحمراء وجمعها كبريات ، ومثل كرياضة
 للكبرية البيضاء وجمعها كرياضات أو كرياضات . واستدركت اللجنة بعد

(١) كذا ورد في المقدمة ولا أظنه إلا غلطاً مطبعياً لم ينتبه إلى تصويبه . وهو
 حتى أو حشا . فقد جاء في لسان الحشر القطن لأنه غشي به الفُرُش وغيرها ،
 والحشى ما دون الحجاب مما في البطن كله من الكبد والطحال الخ .

ذلك بقولها وكثيراً ما لجأنا الى وضع هذه الكلمات المفهومة مرادفة للكلمات قبل فتحها ، تاركين الخيار فيها للباحث ، حتى اذا ما استأنس بها أخذ باستعمالها . وتركنا اللجنة أكثر الأسماء والمصطلحات الكيميائية على حالها غالباً ، كما أنها حرصت في أكثر ما أثبتته من كلمات عربية على شكها على أصح وجوهها بحسب ما عثرت عليه في كتب اللغة الموثوق بها .

إلا أن عمل اللجنة الذي هو حري بكل تقدير وعجباب يعوزه بعض الانسجام في انتقاء المصطلحات بعيداً عن التمسك بالآراء الفردية السابقة . فلكل من الأستاذ الثلاثة طريقته في النقل ، وله أنفاظه الخاصة في المصطلحات العلمية أو الطبية ، منها ما نُشر على حدة وأعيد طبعه مرات (الكواكبي) ، ومنها ما نُشر على حدة نقلاً عما جاء في آخر مصنفات المؤلف (الخياط) ، ومنها ما أثبت في إحدى مجلدات مجلة المعهد الطبي العربي ، أو استعمله المؤلف في مقالاته الإضافية في المجلة المذكورة أو في مؤلفاته العديدة (خاطر) . وكان ثمة خلاف على بعض تلك المصطلحات . فهل سوي الخلاف عليها ، وهل وُحِدت طرائق النقل المختلفة ، وصُهرت في هذا المعجم المشترك الجديد ؟

إن ما يظهر لمن تصفح كلمات المعجم أن كلاً من الأستاذ الثلاثة قد التزم نهجه القديم الذي درج عليه فجاء المعجم جامعاً لطريقة كل منهم لا موحداً لها . وعلى ذلك يلج القارئ التمسك بالنحت في كلمات هي في غنى عنه ، ويرى كلمات قد اجتنبت على حين أنها أصلح من سواها ، ويمجد كلمات لم يسبق لغير واضعها أن استعمالها ، ولم يجارها في استعمالها أحد من زميليه ولا من غيرهما . وكذلك يلج الإصرار على اثبات كلمات لا تفي بالمعنى المترجم ، لأن واضعها سبق له أن استعمالها . وهذا كم بعض الأمثلة : لقد جاء في مقدمة المعجم ، كما تكرر في متنه ، استعمال كُرِّيَّات ، وكُرِّيَّات مفهوتين من كُرِّيَّات حمر وكريات بيض (في صيغة الجمع ، وكُرِّيَّة

وكرِيضة في صيغة المفرد ، أولسنا في غنى عن أمثال هذه الكلمات المستحدثة
لنستبدل بها كلمات لم تعد مجهولة لأحد ، وإن أجازت اللجنة عددا مرادفة
للكلمات الدارجة تاركة للطالب الخيار باستعمال احداها ؟ ^(١) ومع هذا فقد
تجاوزت اللجنة عن النحت في ترجمة بعض المصطلحات الفرنسية المخوفة ، مؤثرة
ترجمتها بكلمتين غير قصيرتين ، ومن ذلك مثلاً أسماء بعض الجراثيم كالمكورات
العقدية (Streptocoques) والمكورات العنقودية (Staphylocoques) وغيرها .
وعودنا الأستاذ خاطر في كتبه العديدة التي نشرها أن يستعمل كلمة العفونة
في ترجمة (Infection) ؛ فإذا باللجنة تقرر كلمة خَمَج ^(٢) عوضاً عنها ،
ومشتقة منها كلمات خَمَج وخُجوج والخُجاج . وعفونة كلمة شائعة وصحيحة وردت
في كتب الطب العربية القديمة منها قانون ابن سينا عند بحثه عن حميات العفونة ،
ومنها كامل الصناعة للمجمومي ^(٣) في ذكره للحميات العفنية (دلائل الحميات

(١) سبق لكاتب هذه السطور أن أبدى ملاحظاته على النحت في تقريره كتاب
علم السموم للأستاذ الكواكي (الجزء الثاني من المجلد الثلاثين من مجلة الجمع
العلمي العربي س ٣٢٠) .

(٢) في اللسان الخَمَج يفتح الميم الفتور من سَرَض أو سَب ، يالدة . وأصبح للان
خُججاً وخُججاً أي غائراً ، الى أن قال : وخُجج العلم يَخْمَج خُججاً أروح وأئن .
وفي اللسان أيضاً عَفِن الشيء يَعْفَن عَفْناً وعَفولة ، لمَوْعِن يَبِين العَفونة ،
ولعَفَن : فَسَد من الدَّوَّة وغيرها فتفتت عند مه .

(٣) وهو علي بن العباس الجوسي من الأهراز . وكان طبيباً جيداً متميزاً في صناعة
الطب ، وهو الذي صنف الكتاب المشهور بالملكي ، صنفه لذلك عضد الدولة
فناخسرو بن ركن الدولة أبي علي حسن بن بويه الديلمي . وهو كتاب جليل
يشتمل على أجزاء الصناعة الطبية كلها وعملها (طبقات الأطباء) .
وفي أخيار الحكماء : علي بن العباس الجوسي طبيب فاضل كامل فارسي الأصل
يعرف بابن الجوسي ، قرأ على شيخ فارسي يعرف بابن ماهر ، وطالع هو
واجتهد لنفسه ، وواف على تصانيف المتقدمين ، وصنف لذلك عضد الدولة
فناخسرو بن بويه كتابه المسمى بالملكي ، وهو كتاب جليل وكناش نبيل
اقتبل على علم الطب وعمله حسن الترتيب مال الناس اليه في وقته ولزموا درسه
الى أن ظهر كتاب القانون لابن سينا فالوا اليه وتركوا الملكي بعض الترك .
والملكي في العمل أبلغ ، والقانون في العلم أثبت .

العفنية وأسبابها وعلاجاتها) ^(١) . وذكر في مكان آخر حى العفونة وحى العفن .
 أقول هذا وإن اختلف مدلول مصطلح زمننا هذا عنه لدى القدماء . وقد درج
 كاتب هذه السطور على استعمال كلمة انتان وإن كانت دون كلمة عفونة . وهي
 لم يستعملها قدماء العرب ، إلا أن مدلولها في المعجمات لا يكاد يختلف كثيراً
 عن (الخراج) وهي أسهل لفظاً وأخف وقعاً في السمع وكانت شائعة في العهد
 العثماني . وأظنها الآن أكثر رواجاً لهذا المعنى من الكلمات الأخرى . ولم يتح
 الكلمة خمج - وقد استعملها الاستاذ خياط منذ أكثر من خمس وعشرين سنة -
 أن تمتاز امتحان الزمن . وقل من تداولها من تلاميذه . وطغت عليها كل من
 الكتبتين السالفتين ، ولا أدري هل يكتب لها البقاء بعد أن أنبتها معجم
 المصطلحات الطبية أم لا ؟

وعندي أنه لا يصح الاعتماد على كتب اللغة وحدها في انقفاء الألفاظ العلمية ،
 ولا أن ننبش منها ما دُفن من ألفاظ ميتة لا يسئفها عصرنا الحاضر ، أو يكون
 لها معان مبهمة أو متضادة ، أو تكون معرفة تعريفاً غير علي الخ . وقد نبه
 زميلنا الفاضل الأمير مصطفى الشهابي الى ما تحويه معجمات اللغة الشهيرة من عيوب
 وأغلاط ^(٢) في الناحية العلمية ، كما أتى المرحوم الدكتور أحمد أمين ^(٣) على ذكر
 بعض هذه العيوب وأسباب كثرة المترادفات في لغتنا . وهما كم على سبيل المثال

(١) الصفحة ٢٩٩ من الجزء الأول لكتاب كامل الصناعة طبع المطبعة الكبرى في

القاهرة سنة ١٢٩٤ للهجرة .

(٢) مقدمة الطبعة الثانية من معجم الألفاظ الزراعية ، وكذلك كتابه المسمى « المصطلحات
 العلمية في اللغة العربية » .

(٣) أسباب تضخم المعجمات العربية ، وهي عاضرة ألفت في جلسة افتتاح مؤتمر جمع
 اللغة العربية في الدورة التاسعة عشرة ، ولشرت في الجزء التاسع من مجلة الجمع المذكور .

رأي أصحاب المحجات العربية في كلمة وريد^(١) ، فالباحث لا يستطيع أن يستخرج منها فكرة معينة بعد تلاوة ما قيل فيها من المتناقضات ، أما صاحب القانون فقد عرّف الأوردة بالعروق الساكنة ، والمجوسمي بالعروق غير الضوارب مطلقاً العروق الضوارب على الشرايين ومثل هذه النصوص في كتب اللغة وغيرها لا تدع مجالاً للشك في أننا لا نستطيع الاعتماد عليها وحدها في انتقاء الألفاظ

(١) في اللسان : وقوله تعالى ونحن أقرب إليه من حبل الوريد قال أهل اللغة الوريد عرق تحت اللسان ، وهو في المضد فليق ، وفي القراع الأكل ، وهما فيما تفرق من ظهر الكف الأشاجع ، وفي بطن القراع الروامش ، ويقال إنها أربعة عروق في الرأس فمنها اثنان يتعدوان قدام الأذنين ، ومنها الوريدان في العنق . وقال أبو الهيثم الوريدان تحت الودجين ، والودجان عرقان غليظان عن بين ثمرة النحر ويسارها . قال : الوريدان ينبضان أبداً من الانسان ، وكل عرق ينبض فهو من الأوردة التي فيها مجرى الحياة . والوريد من العروق ما جرى فيه النفس ولم يجر فيه الدم ، والجداول التي فيها الدماء كالأكمل والصابغ وهي العروق التي تنفص . أبو زيد : في العنق الوريدان وهما عرقان بين الأوداج وبين اللبتين وهما من البير الودجان وفيه الأوداج وهي ما أحاط بالخلقوم من العروق ، قال الأزهرى والقول في الوريدين ما قال أبو الهيثم . غيره : والوريدان عرقان في العنق والجمع أوردة وورود ، ويقال في الفضبان قد اتنخ وريده . الجوهري : حبل الوريد عرق ترمم العرب أنه من الوتين ، قال : وهما وريدان مكتنفا صفحي العنق مما يلي مقدمه غليظان . وفي حديث المفيرة متفحة الوريد هو العرق الذي في صفحة العنق ينفخ عند الغضب وهما وريدان .

وفي القاموس الوريدان عرقان في العنق ، ج أوردة ووُرُود ، ولم يخرج صاحب التاج عما أورده اللسان .

وفي النخس : الوريدان عرقان مكتنفا لصفحتي العنق وفي مقدمته متصلان بالوتين يردان من الرأس إليه .

وفي أقرب الموارد : الوريد عرق في العنق يقال له حبل الوريد وهما وريدان ج أوردة ووُرُود ووُرُود ، كبريد وُبرُود . وقيل الوريد هو الودج ، وقيل يجنبه ، وقال الفراء عرق بين الخلقوم وبين العلباوين ، وهو ينبض أبداً ، فهو من الأوردة التي فيها الحياة ولا يجري فيها دم من مجاري النفس .

العلمية ، لاضطراب الكثير من تلك الألفاظ ، ولعدم تجدد المعاجم لمداولاتها .
وسبق لأستاذنا خاطر أن استعمل كلمات سُهَام وخرَج وهرَج ترجمة
لـ (Tabes) و (Rachitisme) و (Hystérie) ، فلم تعد اللجنة النظر في
هذه الكلمات ، ولا فيما كان على شاكلتها فأقرتها ، أما أنا فقد درجت على
تعريب هذه الألفاظ الثلاثة بتابس ورخيطةس وهبستريا للأسباب التالية :
ان كلمة (Tabes) معناها اللغوي الأصلي هو الذبول والتلف . وحسبنا
فعلت لجنة مجمع اللغة العربية بترجمتها بالضئ ، فهو أقرب الى المعنى المقصود ،
بينما كلمة سُهَام قد عني بها الأستاذ خاطر أحد مظاهر الداء المعروف ، وهو
الألم الذي ينتاب العليل بالعلة المذكورة على هيئة طعنة السهم ، وليس من
أعراض الداء الملازمة بل يظهر حيناً ويغيب أحياناً ، والأفضل أن
يخصص السُهَام^(١) بأحد أشكال آلام الداء ، وهو المعروف بالألم السهمي
(Douleur lancinante) فقط . هذا وقد اتسع نطاق مدلول العلة حتى
اذا نظرنا في مادة (Tabes) في المعجمات الطبية الحديثة الموءل عليها نرى
أن لفظة تابس لم تعد مقتصرة على الداء العصبي الأصلي الذي مرده الى الداء
الأفريقي والذي ينجم عن تصلب الحبلين الخلفيين للنخاع الشوكي ، بل قد أطلق
التابس أيضاً على الحالات الآتية التي لا تمت بصلة الى الداء الأفريقي ولا الى
علة عصبية أو ألم اطلاقاً . واليسكم ما جاء في معجم (Blakiston) :
(Diabetic tabes) التهاب الأعصاب المحيطة في السكريين (Optic T.)
ضмор العصب البصري بالداء الأفريقي ، (Spastic T.) التصلب المشترك
للحبلين الخلفيين والخلفيين من النخاع الشوكي الذي يحدث عدم الانتظام وتنعماً في
الطرفين السفليين ، (T. coxaria) الضمور من جراء علة الورك ،

(١) السوان في التاج السهام داء يأخذ الإبل يقال بعير مسوم وبه سهام .

(T. diuretica) الداء السكري ، (T. dorsalis) وهو الداء الأصلي الذي ألعنا اليه آنفاً ، و (T. ergotica) انسام دموي من استعمال الأروغوت « دابرة الشيلم » ، و (T. mesenterica) الالتهاب السلي للعقد اللفافوية المساريقية . وزاد (Dorland) في الطبعة العشرين من معجمه الطبي على ما تقدم : (Interstitial T.) تكثف الدبق العصبي البدئي من جراء كثافة عروق الحبلين الخلفيين ، و (Peripheral T.) التهاب الأعصاب المحيطية أو التابس الكاذب وغيرهما ، وحيال هذه الكثرة في استعمال كلمة تابس وعدم انحصار مدلولها على الألم وحده لا أرى مسوغاً لاستعمال سهام في ترجمتها لذلك درجت على تعريبها وبخاصة لأن الكلمة المعربة خفيفة سمماً ولفظاً .

ووافقت اللجنة على كلمة خَرَج في ترجمة (Rachitisme) . وهو علة تبدو في الأحداث تمتاز بنشوء العظام ، وارتباك المضم ، ومردّها الى سوء التغذية والحرمان من أشعة الشمس ، ولا أظن أن العرب في بواديهما ، ولا في حواضرهم ، قد عرفوا هذه العلة ، وترجت لجنة مجمع اللغة العربية اللفظة بكساحة بينما أثبتت لجنة معجمنا هذه الكلمة ترجمة للفظ (Paraplégie) الذي اعتدنا أن نترجمه بالشلل النصفي السفلي . ولم أعثر على أي نص لاستعمال الخَرَج لعله تشبه ما تعنيه الكلمة الفرنجية ^(١) لذا أرجح تعريبها .

(للبحث صلة)

الدكتور حسني سبيع

(١) في اللسان قحَرَجَ وانخرَجَ : استرخى وضمف ولان وضمف الخوّار . والخَرَجَ لين المفاصل وشدة خرويع ألية ، الى أن قال : وانخرعت كنهافة في انخلت ، وانخرعت أعضاء البعير ونخرعت زالت عن موضعها .

أما الكساحة ، فهي الخضم الأكسح المقعد وهو من به داء يقمده . وفي اللسان الكساح الزمانة في اليدين والرجلين وأكثر ما يستعمل في الرجلين . الأزهرى : الكسح ثقل في إحدى الرجلين اذا مثى جرّها جرّاً . وكسج كساً وهو أكسح وكسحان وكسج ومكسج ، وقيل : الأكسح الأعرج والمقعد أيضاً .

أقول ولا يمد كسجاً كل مصاب بالشلل النصفي السفلي .

مختارات مما لم ينشر من شعر البحتري

لا يزال الكثير من أعلام الأدب العربي إلى اليوم في حاجة إلى دراسات مفصلة عنهم ، تنير تاريخ الأدب وتعين على فهم تياراته وتطورها خلال العصور ؛ غير أن مثل هذه الدراسات تظل قصيرة اليد ضيقة الأفق ما لم يسبقها نشر علمي تقدي لا تار هؤلاء الأعلام ، وهذا هو الأساس القويم لكل دراسة علمية منهجية . ومن خير الأدب أن يدرك العالم العربي هذه الحقيقة ، فينتجه باهتمامه إلى نشر المخطوطات القديمة نشرأ علميا حديثا يستعير أساليب من سبقنا من المستشرقين في هذا المضمار ، وينهج منهجهم ، وكان أن ظهرت أكثر دواوين الشعراء الفحول في طبعات علمية أنفق ناشرها المحققون فيها من الجهود ما لا يمكن تجديده ، ولكن البحتري لا يزال إلى اليوم يشكو إهماله . .

لديوان البحتري ثلاث طبعات :

١ - طبعة القسطنطينية (الجوائب) عام ١٨٨٢ ، وهي أقدم الطبعات وأصحها ، وعليها المعول إلى اليوم .

٢ - طبعة القاهرة عام ١٩١١ ، وهي كثيرة التحريف والتصحيف وإث كانت أكمل من طبعة الجوائب ، ذلك أن فيها شعراً كثيراً ليس في تلك الطبعة .

٣ - طبعة بيروت عام ١٩١١ أيضاً وهي طبعة مشكولة ، شرح فيها الناشر بعض الألفاظ وحذف ما لم يرضه من الشعر الخلل بالأخلاق والأدب .

وهذه الطبعات الثلاث - بالجملة - تجارية ، غاية في السوء ، وهي - إلى ذلك - لا تحوي جميع إنتاج البحتري الشعري ، ذلك أن هنالك جانباً ضخماً من شعر

البحري بقرب من ثلاثة آلاف بيت لما يزل مخطوطاً ، وبعضه من جيب شعره ،
وأكثره بلي أضواء نافعة على مراحل كانت غامضة من حياة الشاعر وفنه .
وعندما كنت في باريس ، قبل ثماني سنوات ، وافقت جامعة السربون على
أن يكون موضوع رسالتي الأولى الدكتوراه البحث في حياة البحري وفنه ،
وعرضتُ آنذاك أن يكون موضوع الرسالة الثانية المكتملة تهيئة طبعة علمية
لديوان البحري ، وكادت الموافقة تتم لولا أن أحد الأساتذة المستشرقين المعاندين
من مصر أعلن أن طبعة نقدية علمية للديوان ستصدرها دار المعارف في القاهرة
في سلسلتها المعروفة (ذخائر العرب) ، وأن ظهور الجزء الأول لن يتأخر
أشاييع قليلة !

أما أنا فاخترت مخطوطة أندلسية للرسالة الثانية ، وأما ديوان البحري فقد
مرّت الأشاييع والشهور والسنوات ولا تزال ننتظر الطبعة الجديدة منه .
ومنذ أيام كنت أبسط لمعالي الأستاذ الرئيس خليل مردم بك طرفاً من
هذا الحديث ، فأخبرني بأنه عزم مرة على طبع ديوان البحري ، كاملاً
محققاً ، وبدأ العمل مدة ثم تركه عندما علم أن مصر تهيأت لطبع الديوان ،
وانصرف إلى أعمال أخرى ، ولكن الديوان الموعود لا يزال أملاً حلواً
بعبش في قلوب المنتظرين . . .

وإلى أن يصدر الديوان ، وينشر فيه ما لم ير النور إلى اليوم من شعر البحري ،
رأيتُ أن أقدم مختارات منه في مجلة المجمع العلمي العربي إلى القراء ، ليسمعوا
منها أنغاماً جديدة لشاعر كبير ملأ آذان الأجيال العربية إبقاعاً جميلاً
وموسيقى ساحرة . وسنوالي تقديم هذه المختارات إلى أن نفي مصر بما وعدت ،
وتحقق آمال المنتظرين .

- ١ -

قال البحتري^(١) يمدح أبا الجيش 'خمارويه'^(٢) بن أحمد بن طولون :

يكاد عاذلنا في الحب يُغرينا فما لجأك في لوم المحبين
نُلحى على الوجد من ظلم فديدنا^(٣) وجدُّ نُعانيه أو لاح يُعنيننا

(١) القصيدة من البسيط ، عدد أبياتها ٣٩ ، نقلناها من مخطوطة ديوان البحتري
بالمكتبة الوطنية بباريس (رقم ٣٠٨٦) الورقة : ٣٩٨ و - ٣٩٩ و ؛ وقد وردت
بعض أبيات منها في الكتب المخطوطة والمطبوعة ، مما يؤكد صحة نسبتها إلى البحتري :
فالكندي في كتاب الولاة وكتاب القضاة (طبعة بيروت ١٩٠٨) ص ٢٣٩ بذكر
الآيات : ٢٤ و ٢٥ و ٢١ و ٢٢ ، والشريف المرتضى بذكر في طيف الخيال (مخطوطة)
الورقة ٤٧ ظ البيتين : ٣ و ٤ ، والمعري في عبث الوليد (مطبعة الترقى بدمشق ١٩٣٦)
ص : ٢٢٥ - ٢٢٦ بذكر الشطر الأول من المطلع والبيتين : ١٦ و ٢١ ، وابن عساكر
في تاريخ دمشق (مخطوطة الظاهرية) الجزء ١٧ الورقة ٤٢٧ بورد البيتين : ٢٤ و ٢٥ ،
وكذلك بوردهما ابن العديم في زبدة الحلب من تاريخ حلب (تحقيق الدكتور سامي الدهان) :
ج ١ ص ٨٣ .

(٢) 'خمارويه' (٢٥٠ - ٨٢٨٢) صاحب مصر ، وليها بعد وفاة أبيه واتسع ملك
الطولونية في أيامه من الفرات إلى بلاد النوبة ، وسات مقتولاً في دمشق (ابن خلكان -
طبعة محي الدين عبد الحميد : ٢ / ٢٠ - ٢٢) .

(٣) في الأصل : قد بدتنا ، والفضل في تصويب قراءتها لأستاذنا الرئيس خليل مردم بك .

إذا زَرُودٌ ^(١) دنت منّا صرائعُها ^(٢) فلا محالة من زَوْرٍ ^(٣) بُوافينا
 بتنا جُنوحاً على كُتُبِ اللوى ^(٤) فأبى خيالُ ^(٥) ظُلمياءَ ^(٦) إلا أن يُجَيِّبنا
 وفي زرودَ قَبيعٍ ^(٧) ليسَ يُمَهِّبنا تقاضياً وغريمٍ ^(٨) ليسَ يَتَضَيِّبنا
 منازلُ لم نُدَمِّمْ عهدَ مُغْرَمنا فيها ولا دُمَّ يوماً عهدُها فينا
 تَجَرَّمَتْ ^(٩) عنده أيا مَنا حَجَبُها معدودةٌ، وَخَلَّتْ ^(١٠) فيها ليا لينا

(١) زرود : رمالٌ بين الثعلبية والخزمية بطريق الحاج من الكوفة (باقوت معجم البلدان طبعة بيروت ١٣٩/٣) .

(٢) جمع صريمة وهي القطعة من الأرض الرملية أو الأرض المحصود زرعا .

(٣) الطيف والخيال يُرى في النوم .

(٤) كُتُبُ اللوى والأصل كُتُبُ جمع كُتِبَ وهو التل من الرمل ، وسكَن الوسط لضرورة الوزن ، واللوى في الأصل منقطع الرمل ، وهو اسم لواد من أودية

بني سليم (معجم البلدان ٥/٣٣) .

(٥) في طيف الخيال : طيفٌ لظلمياء .

(٦) اسم امرأة بذكره البحتري في نسب قصيدة أخرى يمدح بها خمارويه :

مرى الطيفُ من ظلمياءَ وهنَّ فرحاً وأهلاً بمسرى طيف ظلمياءَ من مسرى

(الديوان -- طبعة مصر ١٢/١) .

(٧) التبيع : الذي يتبعك بحقٍ يطالبك به .

(٨) الغريم : الدائن والمديون ، والمراد هنا الثاني .

(٩) تجرَّمَتْ الحجج : انقضت الأعوام بتأملها ، والحول المجرَّم : التام .

(١٠) في الأصل : دَخَلَتْ .

إِنَّ الْغُرَانِي غَدَاةَ الْجَزَعِ مِنْ إِضْمٍ^(١) تَيَّمَنَ قَلْبًا مُعْنَى اللَّبِّ حَزُونًا
 إِذَا قَسَتْ غِلَظَةً أَكْبَادُهَا جَمَاتَ تَرَدَّادُ أَعْطَافُهَا مِنْ نَعْمَةٍ لَيْنَا
 يَلُومُنَا فِي الْهَوَى مِنْ لَيْسَ يَغْدِرُنَا فِيهِ وَيُسَخِّطُنَا مِنْ لَيْسَ يُرْضِينَا
 وَمَا ظَنَنْتُ هَوَى ظَمِيَاءَ مُنْزَلَنَا إِلَى مُوَاقَاةٍ خِلَ لَا يُوَاتِينَا
 لَقَدْ بَعَثْتُ عَتَاقَ الْخَيْلِ سَارِيَةً^(٢) مِثْلَ الْقَطَا الْجُرْنِ^(٣) يَتَّبِعُنَ الْقَطَا الْجُفَا
 يُكْثِرُنَ عَنْ دَيْرِ مُرَّانَ^(٤) الدَّوَالِ وَقَدْ عَارَضْنَ أَبْنِيَةً فِي دَيْرِ مَارُونَا^(٥)

(١) وادٍ بيجال نهاية ، وهو الوادي الذي فيه المدينة (معجم البلدان ١ / ٢١٤) .

(٢) في الأصل : شاربةٌ ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٣) القطا ضربان : كُدْرِيٌّ وَجُوفِيٌّ ، وَالْجَوْنُ : الْأَسْوَدُ .

(٤) ديرٌ بالقرب من دمشق على قلٍ مشرف على مزارع ورباض حسنة ، يذكر ياقوت

أنه كان ديراً كبيراً عامراً بالرهبان ، وينقل بعض شعر الصنوبري في وصفه (معجم

البلدان ٢ / ٥٢٣ - ٥٣٤) ، وليس في المطبوع من الديارات للشابشي شيء عن

هذا الدير ، وكان لخمارويه قصرٌ بدير مرَّان ، وبذكر ابن عساكر أن خمارويه

« بعد نزوله القصر وفد إليه الملوك ، وانجذعت العرب ، وقصدته الشعراء من جميع الأمصار ،

وقصده البحري الشاعر فأنشده قصيدته » هذه . (انظر تاريخ دمشق - مخطوطة

الظاهرية : ١٧ / ٤٢٧) وفي هذا القصر قُتل خمارويه سنة ٢٨٢ هـ (انظر تهذيب

تاريخ ابن عساكر لبدردان : ج ٥ ص ١٧٨) .

(٥) دير القديس مارون : دير كان في مدينة الرستن ، أو فيما يجاورها ، على ضفة العاصي ،

بين حصص وخماة ، وهو دير مشهور بقول فيه المسمودي : « دير مارون بفيان عظيم

حوله أكثر من ثلاثمائة صومعة ، فيها رهبان ، وكان فيه من آلات الذهب والفضة والجوهر

شيء عظيم ، تغرب هذا الدير وما حوله من الصوامع بتواتر الفن » انظر مقالة ليوسف

البيان مركبس في مجلة المفتطف (المجلد ٣٣ السنة ١٩٠٨ ص : ١١٣ - ١١٥) .

يَنْشُدُنْ فِي إِدَمِ ^(١) وَالْبَحْرُ فِي إِدَمِ
يُلْقَى 'الندي' منه مَلْمُوسًا وَمُدَّرَكًا
بَادٍ بِأَنْعَمِهِ ^(٢) الْعَافِينَ يَزِلُّهُمْ ^(٣)
تَبْلٌ مُجْحَكٌ فِيهِ الْمُجْتَدُونَ إِذَا
وَمُخْلِقِينَ مِنَ الْإِحْسَانِ يَنْجُوهُمْ
إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي جَدَائِمُ تَزُرُّ عَارِفَةً
وَعَابِنٍ إِنْ شَرَى حَمْدًا بِمَرْغَبَةٍ
مَظْفَرٌ لَمْ يَزَلْ نَلْقَى ^(٤) بَطْلَانَهُ
يُمْسِي ^(٥) قَرِيبًا مِنَ الْأَعْدَاءِ لَوْ وَقَعُوا
غَفَى عَلَى سَيِّدِ السَّادَاتِ مَضْمُونًا
وَكَانَ يُعْتَدُّ مَوْهُومًا وَمَظْنُونًا
عَلَى الْأَشْقَاءِ ^(٦) فِيهَا وَالْقَرَابِينَا ^(٧)
شَتْنَا أَخَذْنَا احْتِكَامًا فِيهِ مَا شِينَا ^(٨)
سَاهِينَ عَنْ كَرَمِ الْأَفْعَالِ لَاهِينَا
تَكْفُنَا كَانَ عُذْرٌ مِنْهُ يَكْفِينَا
رَأَاهُ فِيهَا بِخَيْلِ الْقَوْمِ مَغْبُونَا
كَوَاكِبِ السَّعْدِ وَالطَّيْرِ الْمِيَامِينَا
بِالصَّيْنِ فِي بُعْدِهَا مَا اسْتَبَعَدَ الصَّيْنَا

- (١) إدَم : اسم مدينة ، ويُريد بها البحرني دمشق (معجم البلدان ١/ ١٥٥) .
(٢) في عبث الوليد : بأنصفه .
(٣) زَلَفَ الشيء : قرَّبه والمعنى أنه يقرب السائلين على إخوته وجلسائه .
(٤) في الأصل : الأشقياء ، والتصويب عن (عبث الوليد) .
(٥) القرايين : جمع قربان ، وهو جليس الملك ، ويرى المعري أن البحرني واهم في نصب القرايين ، وحقه الخفض (عبث الوليد ٢٢٦) .
(٦) الأصل : شَتْنَا وَسَهَلَتِ الْمَهْزَةُ .
(٧) في كتاب الولاة والقضاة : لم يزل يلقى .
(٨) في كتاب الولاة والقضاة جاء هذا البيت كما يأتي :
يُمْسِي قَرِيبًا مِنَ الْأَعْدَاءِ لَوْ وَقَعُوا بِالصَّيْنِ مِنْ بَعْدِهَا مَا اسْتَبَعَدَ الصَّيْنَا

تَسْمِيرُ يَقْظَانِ مَا انْفَكَّتْ عَزِيمَتُهُ تَرِيدُ أَعْدَاءَهُ ذُلًّا وَتَوْهِينَا
إِنِّي رَأَيْتُ^(١) جِيوشَ النَّصْرِ مُنْزَلَةً عَلَى جِيوشِ أَبِي الْجَيْشِ بْنِ طُولُونَا
يَوْمَ النَّثْبَةِ^(٢) إِذْ يَنْتَبِئُ^(٣) بِكَرَّتِهِ فِي الرَّوْعِ خَمْسِينَ أَلْفًا أَوْ يَزِيدُونَا
وَالْحَرْبُ مُشَقَّلَةٌ تَنْلِي مَرَاجِلَهَا حِينَا وَبُضْرُمُ ذَاكِ جَرِيهَا حِينَا
يَغْدُو الْوَرَى وَهُمْ غَاشُوا^(٤) سُرَادِقِهِ صِنْفَيْنِ مِنْ مُضْطَرِي خَوْفٍ وَرَاجِينَا
وَالنَّاسُ بَيْنَ أَخِي سَبْقٍ يَبِينُ بِهِ وَفَاتَرَيْنِ مِنَ الْغَايَاتِ وَائِينَا

(١) في (كتاب الولاية) و (تاريخ دمشق) : وقد رأيتُ ، وفي (تاريخ حلب) :
وقد تدأتْ جِيوشُ ...

(٢) المراد نثبة العقاب وهي نثبة مشرفة على غوطة دمشق يطؤها الفاصد من دمشق
إلى حمص (معجم البلدان : ٨٥ / ٢) والبحتري يشير إلى المعركة التي جرت هناك
سنة ٥٢٧ هـ بين خماروبه ومحمد بن ديوداذ بن أبي الساج المعروف بالافشين ، بعد
أن نكث عهده معه (ابن العديم : ٨٢ / ١ - ٨٣ ، وانظر ابن الأثير - طبعة
مصر ١٣٥٣ هـ - : ٦٣ / ٦ في حوادث سنة ٥٢٧ هـ) وانتهت المعركة بهزيمة ابن أبي الساج
وانتصار خماروبه .

(٣) في (تاريخ حلب) :

... نثى بكرته خمسين ألفاً رجالاً أو يزيدونا

وفي (كتاب الولاية) و (تاريخ دمشق) :

... نثى بكرته في النقع خمسين ألفاً أو يزيدونا

(٤) جمع (غاش) جمع المذكر السالم ، وغشيه : أناه وقصدم .

كما رأيت الثلاثاءات ^(١) واطئة من التخلف أعقاب الأثانينا ^(٢)
 عَمَرَكَ اللهُ للعالماء تَعْمُرُهَا وزادك اللهُ إعزازاً وتمكيناً
 ما انفكت الروم من هم يُجِيرُهَا مذ جاورت عندك العزاء ^(٣) واللينا
 تدنو إذا بعدوا عند اشتطاطهم ^(٤) كيداً وتبهدُ إن كانوا قريبيناً
 حتى تركت لهم يوماً نسخت به ما يأتون الناس من أخبار صفينا ^(٥)
 مصارع كُتِبَتْ في بطن لؤلؤة ^(٦) من ظهراً نقره ^(٧) القصوى وطميناً ^(٨)

(١) جمع الثلاثاء ، والحق أن يقول الثلاثاءات ، لأن الثلاثاء -عندهم- كما يقول
 المعري في عبث الوليد ص ٢٢٦ - مؤنث ، وُحكي في اللسان عن ثعلب :
 مضت الثلاثاء بما فيها ، فأتت ، ولم يحك سيبويه حمراءات في جمع حمراء وقد
 حكاه الكسائي ، فيجوز على هذه الحكاية .

(٢) يقول المعري : حكاه بعض الناس في جمع الاثنين ، وُحكيت أيضاً (الأثاني)
 بغير نون (انظر عبث الوليد ص ٢٢٦) .

(٣) العزاء : السنة الشديدة ، وقيل هي الشدة (اللسان) .

(٤) اشتطاطهم : جورهم وبعدهم عن الحق .

(٥) موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات ، وفيه جرت الواقعة بين علي ومعاوية سنة ٣٧ هـ ،
 وقتل فيها سبعون ألفاً ، ودامت المعركة مائة يوم وعشرة أيام وكانت الوقائع تسعين

وقعة . (معجم البلدان ٣/٤١٤ وانظر الطبري حوادث سنني ٣٦ و ٣٧ هـ) .

(٦) لؤلؤة : قلعة قرب طرسوس ، غزاها المأمون وفتحها (معجم البلدان ٥/٢٦) وفي سنة

٢٨٠ هـ دخل أحمد بن أبا طرسوس للغزاة من قبل خمارويه بن أحمد بن طولون

(ابن الأثير : ٦/٧٧) وفي سنة ٢٨١ هـ دخلها طنج بن جف لغزو الصائفة من

قبل خمارويه فبلغ طرايزون (ابن الأثير : ٦/٧٨) .

(٧) أقرة : مدينة في الثغور ، كان المعتصم قد فتحها وهو في طريقه إلى عمورية سنة ٢٢٣ هـ

(معجم البلدان ١/٢٧٢ وانظر حوادث سنة ٢٢٣ في الطبري) .

(٨) طمين : موضع ببلاد الروم (معجم البلدان ٤/٤١) .

فَأَسْلَمَ لِيَجْهَدَهُمْ غَزَوًا وَتَنْزِيَهُمْ جَبِشًا^(١) وَتَتَبِعُهُ الْأُمُولَ هَارُونَ^(٢)
 أَمَّا الْحُسَيْنُ^(٣) فَمَا آلَاكَ مَجْتَهِدًا وَلَيْسَ تَأْلُوهُ تَفْخِيًا وَتَرْيِينًا
 تَرْضَى بِهِ حِينَ لَا يُرْضِيكَ مُذْبِرُهُمْ مَبَارَكًا صَادِقَ الْإِقْبَالِ مَيْمُونًا
 أَتَى الْأَمَانَةَ فِي مَالِ الشَّامِ فَلَا تَلْقَاهُ إِلَّا أَمِينَ الْغَيْبِ مَأْمُونًا
 تَسْمُو إِلَى الرِّتْبَةِ الْعُلْيَا مُحَاسِنُهُ فَمَا تَرَى وَسَطًا مِنْهَا وَلَا دُونًا

- (١) يريد ابنه جبش بن خمارويه ، وقد ولي مكان أبيه بعد قتله عام ٢٨٢ هـ وعزله القواد بعد تسعة أشهر من ولايته (ابن العديم ٨٦/١ وابن الأثير ٨٢/٦) .
- (٢) هارون بن خمارويه ، ولأه الجند بعد عزلهم أخاه جبشاً سنة ٢٨٣ هـ ، وبقتله سنة ٢٩٣ انقضى ملك الطولونية (ابن الأثير ١١٠/٦) .
- (٣) هو الحسين بن أحمد المادرائي المعروف بأبي زنبور من رجال دولة خمارويه ، يسميه البحتري وزيراً (مخطوطة باريس الورقة ١٧٨) والمؤرخون يسمون ابن أخيه : محمد بن علي بن أحمد المادرائي وزيراً لخمارويه (تاريخ بغداد ٧٩/٣) ، ويجمع الصابي بينهما ويذكر أنها «ديرا أمور بني طولون في المال والرجال» ولهما في الكتابة قدم وبالتدبير دربة» (انظر تاريخ الوزراء للصابي طبعة بيروت ص ٣٤٢ - ٣٤٨) ، والأشبه أن يكون الحسين وزيراً لخمارويه مكلفاً بتدبير أمور دولته المالية في الشام ، والبحتري يثني على أمانته في مال الشام وحرصه . وقد لعب الحسين دوراً في إعادة مصر إلى الحكم العباسي (تاريخ الوزراء للصابي ص : ٩٢) وأصبح عاملاً على مصر في خلافة المقتدر ، وأشير على المقتدر أن يستوزره لولا معارضة نصر الحاجب (المصدر السابق ٣١٥) .

ملاحظات ونظرات في القصيدة :

١ - هذه القصيدة واحدة من أربع ، مدح بها البحتري 'خمارويه بن أحمد ابن طولون' ، وهي كلها لا تزال إلى اليوم مخطوطة ، إلا واحدة منها نجدها في طبعة القاهرة (ج ١ ص ١٢) ولم يلتفت الباحثون إليها لورود اسم خمارويه في التقديم لها مصحفاً إلى (حمادويه) ، ومن هنا ظلت فترة اتصال البحتري بالطولونيين مجهولة لدى كل من يدرس الشاعر وفنه من ديوانه المطبوع ، ولا تصل يده إلى المخطوطات الكاملة للديوان .

٢ - نظمت هذه القصيدة بعد سنة ٥٢٧٩ هـ ، في المرحلة الأخيرة من حياة الشاعر ، ففي هذه السنة يرثي البحتري الموفق ويمدح المعتضد بعد أن يوبع بالخلافة بقصيدة لا تزال مخطوطة (مخطوطة الديوان بباريس الورقة ٣٩٥ ظ - ٣٩٦ و) ويسأل الشاعر فيها أبا العباس المعتضد أن 'يقدمه إلى خمارويه بكتاب توصية منه :

أموجي أنت إيصاءً وتقدمةً يزكو بها سبي عند ابن طولونا
وكان النزاع بين العباسيين والطولونية قد انتهى باعتراف خمارويه بسلطة الخليفة المعتضد ، وتزويجه من ابنته قطر الندى ، وإرساله الهدايا العظيمة من مصر إليه (انظر الطبري وابن الأثير : حوادث سنة ٥٢٧٩ هـ) .

٣ - من حسن حظ البحتري أن خمارويه لم يبلغه هجاء الشاعر لأبيه أحمد ابن طولون ، قبل أكثر من عشر سنوات ، ذلك الهجاء المقذع ، إذ يتهمه بأنه ابن صفاح ، 'بعزى لأبوين : طولون وبلخ :

إذا ما طلبنا خُطّة التّصفِ رَدّها علينا ابنُ مُخبثٍ فاحشٍ وفسوقِ
وعاهرة أدت إلى شرّ عاهرٍ مشابهٍ كلب في الكلاب عريقِ
ليستَبخّ أو طولونُ بعزى فقدحوت على اثنين : زوجٍ منها وعشيقِ

(انظر الديوان — الجواب : ٢ / ٧٩ وانظر النجوم الزاهرة لابن تغري
بردي : ٣ / ٣) ولو عرف خمارويه موقف البحتري هذا من أبيه لما وجد
الشاعر لديه عطاءً ولا إكراماً .

٤ — نلاحظ في القصيدة أقسام ثلاثة متميزة :

١ — النسب : ويشغل الأبيات (١ — ١١) وعلى الرغم من أنه غزل

تقليدي فنيه حرارة قلب متقد لم تطفئ شملته شيخوخة جاوزت السبعين !

ب — مدح خمارويه : ويشغل الأبيات (١٢ — ٣٥) وهو أهم أجزاء

القصيدة ، وفيه يصف الشاعر إقباله على دمشق ، بنشد الغنى

المضمون لدى بحر جواد بقرب السائلين المجتدين وبحكمتهم في

ماله ليأخذوا ما يشاؤون ، فهو يشتري الحمد بالعطاء ، وهو مظفر

ميمون الطلعة شجاع غير هائب ، ينال من أعدائه مها يمدوا ،

ويزيدهم إذلالاً وإضعافاً . ويمجد الشاعر انصار ممدوحه في

معركة (ثنية العقاب) فالملائكة كانت تؤبد جيشه وتشد أزره ،

فيهمز ابن أبي الساج وخمسين ألفاً من رجاله أو يزيدون ،

في حرب حامية تغلي صراجلها ويضرم جرها . ويصف البحتري

أمل الناس في ممدوحه وهيبة بعضهم له ، فهم بين راج وخائف ،

والناس يتفاوتون بالهمم ، فمنهم السباقون إلى الغايات ومنهم

المتخلفون الذين يبيتون في الأعقاب ، كما تنجي أيام الثلاثاء

في أعقاب أيام الاثنين . ثم يدعو الشاعر للممدوح بطول العمر

والزيادة في الأعراس والمجد والتمكين ، ويتحدث عن بطولاته في

جهاده للروم عند ثغر أولوة ، ويسأل له دوام السلامة ليُرسل

ولديه جيشاً وهاروناً غازيين للروم ، يقودان كذائب الجهاد في الثغور .

ج — مدح وزير خمارويه الحسين بن أحمد : ويشغل بقية أبيات القصيدة

(٣٦ — ٣٩) ويصف الشاعر هنا أمانة الوزير في حفظ أموال

الشام ، واجتهاده في إرضاء سيده خمارويه .

٥ - انتقل البحرى من النسب إلى المديح انتقالاً مفاجئاً ، ولم يحسن التخلّص ، وغالباً ما بفعل البحرى ذلك في قصائده ، وقد أهمل الشاعر في مديح خمارويه التعرض إلى رفعة النسب ، وقصر مديحه له على تمجيد كرمه وشجاعته ، ولعلّ الحديث عن النسب يصل بالشاعر إلى والد خمارويه ، أحمد ابن طولون ، وموقف البحرى منه موقفه كما ذكرنا منذ قليل ! وأما الجمع في المديح بين الأمير ووزيره فن دأب البحرى أن بفعل ذلك في قصائد كثيرة من شعره ، ليملك قلب الوزير (في بعض أماديجه للمموكل بمدح الفتح بن خاقان الديوان - الجواب ١/٣ ، وبمرض لمده الوزير أبى صالح ابن يزداد في مديحه للمستعين : ١/٧٥ ، ويمدح وصيفاً في مديحه للمعتز : ٢/٢٤٨ كما بمدح الوزير عبيد الله بن يحيى في مديحه للمعتد : ١/١٠٦) ولا خير من الإشارة إلى ما ينتظره البحرى من وراء تمجيد وزير مالية خمارويه في الشام ، فهناك خراج أملاكه الواسعة في منبج ، وقد حرص الشاعر طوال حياته على دفع الوزراء والكتاب إلى إسقاط خراجه أو جانب منه !

٦ - هذه القصيدة لا تتأخر عن الطبقة الجيدة من شعر البحرى ، وهي خير دليل على أن شاعرية البحرى ظلّت الى آخر مراحل حياته تمتاز بالقوة والخصب ، وبكفينا عند تقويم هذه القصيدة أن نذكر أنها هي المنوال الذي نسج عليه بحرّى الأندلس ابن زيدون قصيدته النونية في الشوق إلى ولادة بنت المستكفي (ديوان ابن زيدون - شرح كيلاني وخليفة : ٤ - ٨) :
أضحى الثنائى بديلاً من تدانينا وناب عن طيب لُقيانا تجافينا
وأن نذكر أن الشعراء سيوالون معارضتها (ديوان ابن زيدون : ٤٠١)
إلى نونية شوقي في العصر الحديث : (الشوقيات ٢/١٢٧ - ١٣٢) :
بانائح الطلح أشباه عوادينا نشجى لوادبك أم نأمى لوادينا
(يتبع)

الدكتور صالح الأشر

كتاب النفس

لابن باجة الأندلسي (*)

- ٥ -

وقد يكون امتزاج وقد لا يكون ^(١) ، فإن الاسطقس البارد قد يكون من القوة بحيث لا يحرك الآخر الحار فيحركه الحار أو يجعله مثله . فيكون هذا تكوناً ^(٢) لا امتزاجاً ^(٣) وقد يكون بحيث ^(٤) يحرك كل واحد منها صاحبه غير انه لا يكون أبداً على نسبة واحدة فيحدث عن < ذلك > أنواع من الامتزاج . فلذلك متى كان الأمر جارياً على النظام احتيج ضرورة الى محرك من خارج ، وهو من التحريك هو تدبير ضرورة يحتاج الى مدبر . وفي هذا الصنف فيدخل الامتزاج الصناعي وهذا النوع من الامتزاج إنما يصير به أبداً الممتزج وسطاً في القوة بين ما امتزج منه . لأن المازج المحرك

(*) تنمة الفصل الثالث : « القول في القوى الحساسة » المنشور في الجزء الرابع من المجلد الثالث والثلاثين (ص ٦٠٩ - ٦٣٢) من هذه المجلة .

(١) قارن ابن باجة ، ورقة ٨٢ ب : وكل فاعل ومنفعل وهما لهما مشتركة هما متضادان ضرورة فلذلك كل واحد منهما يحرك صاحبه وهو يتحرك ، فالفعل والانفعال لا يكون حتى تماس ، وقد يكون اختلاط وقد لا يكون ، راجع أرسطو : De Gen. Cor, I. 6. 322 b 22; 10. 327 b 23 sq

(٢) المخطوطة : تكون .

(٣) قد لفت ابن باجة بين « التكون » و « الامتزاج » وقال : ورقة ٧٦ ب : « ان كل متكون هو من اسطقس أو من أكثر من اسطقس ، فان الاسطقس الواحد انما يتكون عنه اسطقس غيره كالنار تتولد منه سائر الثلاثة كما قيل في كتاب الكون والفساد ، وأما من اثنين فقد يكون منها اسطقس آخر كما قيل في كتاب الكون ، وذلك اذا فسد المجتمع بفساد قوة كل واحد منهما أو فساد قوة أحدهما ، وأما اذا فسدت النهايات وبقيت القوى بالفعل لكن ليست خالصة بل حدث فيها قوة مركبة متوسطة وذلك مادام غنطين فعند ذلك يحدث عنها موجود آخر وصورة أخرى ويمكن أن يحدث في هذه صور كثيرة بضروب من التركيب وضروب من الاستحالة تتبعها ضروب من التكوينات .

(٤) المخطوطة : بحسب .

للممتزج على هذه الصفة إنما يوقف الممتزج في أحد المتوسطات ، وإنما يصير الممتزج أشياء متوسطة مجانسة للاسطقسات .

فأما المازج اذا كان الذي يمزج به حرارة فإنها ان كانت مجانسة لحرارة الاسطقسات فإنه يكون عنه شيء شبيه بالطبخ فيعرض عنه الأجسام المعدنية ^(١) ، وإذا انفتحت المادة ملائمة ^(٢) للشيء المنطبخ . وهذا النحر من الامتزاج يشبه الامتزاج الصناعي الذي يستعمل النار ، مثل الجزء الممتزج من الأرض والماء . في هذا الامتزاج يظهر أشياء ليست الاسطقسات كالتماسك والانطراق ^(٣) ، كما يعرض ذلك في الذهب ، وفي مثل هذا العرض الأرابيح والطعوم والألوان المختلفة ، وبالجملة ، فالأحوال الجسمانية وهي التي توجد شائعة في الجسم ، وتنقسم بانقسامه . وهذا يلزم ضرورة أن تكون متشابهة الأجزاء فإن الطبخ في هذه قد يكون . وهذا نوع من الامتزاج ليس كالأول . ولذلك لا يوجد عن الحركة المستديرة جسم معدني ^(٤) ، وبالجملة جسم متشابه الأجزاء إلا في مواضع مخصوصة بها فإن < الأجسام > المعدنية لا توجد < إلا > عن المعدن . والمعدن هو مكان في جوف الأرض يتكون فيه جسم متشابه الأجزاء من بخار ودخان ينحصر فيه ليكثف ذلك الجزء من الأرض فينضج بالحرارة الموجودة في ذلك الجزء بعينه ^(٥) . ولذلك لا يكون في المواضع الثلاثة المحدودة في كتاب الآثار العلوية جسم آلي أصلاً .

فالأشياء الحادثة عن الامتزاج الموجودة بهذا (ورقة ١٥٢ الف) النحر من التعفن إنما توجد متباينة الاسطقسات ^(٦) . وكل هذه إما صورة طبيعية أو اعراض في أجسام طبيعية وتوجد في حدود الحرك القريب .

(١) فارن أرسطو : Arist : Meteo. III. 6. 378 a 18 sq.

(٢) المخطوطة : الملائمة .

(٣) راجع النص ورقة ١٥٢ ب : كالانطراق والصبر على النار .

(٤) المخطوطة : مسدئ .

(٥) فارن أرسطو : Arist : Meteo. : IV. 10. 388 a 13 sq.

م (٨)

(٦) أرسطو : Arist : Meteo. I. 379 b 5

أمّا المؤلف من الاسطوانات الذي يكون المحرك فيه الأجرام السماوية ،
وبالجملة فالمحرك فيها يتحرك بحركة المكان فيعرض عنه الالتقاء ، فالمحرك القريب
والبعيد فيه واحد وهو الجرم المستدير لما يحركه بالطبع ، وبالذات . وأمّا في
الموجود عن النضج فالمحرك القريب فيه هو الحرارة التي بها وقع النضج ، والبعيد
هو الجرم المتحرك دورا . فذلك يوجد في الموجود عن نضج المحرك القريب
من الاسطوانات ، إمّا واحد منها ، وهو النار ، وإمّا مؤلف من نار . وهذه
كلها محسوسات ، إمّا أول فكالألوان ، وإمّا ثوان ، فكالأطوال والأشكال
وصور الجواهر الطبيعية . وهذه كلها أشياء موجودة في المواد ، وإذا وجدت
في المواد صارت هي والمواد واحدة بالعدد متغايرة بالقوة على ما قلنا قبل ^(١) .
وليس شيء من هذه أن تكون حساسة . والمادة الأولى هي كل واحدة
من هذه بالقوة . وكل ما يصير مع المادة واحداً فهو لها إمّا أولاً وإمّا ثانياً
وإمّا ثالثاً . والتي لها بالذات فتلك الصور هي جواهر ضرورية لأن سائر ما يوجد
منها فأنما هي تابعة لصور الجواهر ولذلك احتاجت عند الكون الى الاستحالة .
فان المادة ليست شيئاً أصلاً بالفعل ^(٢) . والمتغير فهو ضرورة موجودة بالفعل
شيئاً ما ، فذلك كان بالضرورة عندما يتحرك موجوداً فيحتاج الى الصورة ^(٣)
ويتغير في العرض وهو موجود بالصورة التي < هي > فيه . ويعرض عن
ذلك التغير في الصورة كما يعرض في الحركة في المكان تبدل الأوضاع .
فان الحركة لم تكن في الوضع لكن عرض عنها الوضع . ولو تحرك في
الصورة لكانت المادة هي المتحركة بذاتها ^(٤) فكانت تكون شيئاً ما . وأمّا

(١) راجع النص ورقة ١٤٧ ب ، ويتغايران بالقوة ؛ ارسطو :

. Arist. ; Met., 9 IX. 1050 a 15

(٢) فالمادة في كل جسم تضطر الى صورة لوجودها ، راجع النص ورقة ١٤٧ ب :
فالمادة في كل جسم يحتاج اليه .

(٣) فان الصورة تتغير ضرورة بالعرض ، راجع النص ورقة ١٤٧ ب : ... الا

انها غير بالضرورة ؛ ورقة ١٥٣ الف : فتتغير الصورة لذلك بالعرض .

(٤) فان المادة نفسها ذات الصورة أو موضوعها .

في الاستحالة فإن المادة تتحرك بالعرض .
 وكل ما يوجد في الأجسام الطبيعية اسطقساً كان أو معدنياً فكله هيولانية^(١)
 متحدة بها كما قلنا . وأما في النبات والحيوان فإنها توجد فيها^(٢) الأحوال
 الهيولانية^(٣) التي للاسطقسات كالأحوال^(٤) الهيولانية التي هي من نضج .
 وهذه الأحوال توجد^(٥) المتشابه الأجزاء التي منها . وتوجد لها أحوال أخرى
 ليست للاسطقسات ولا من نضج بكون عن الاسطقسات . وهي الخلقة وذلك
 بين في أكثر النباتات ، وهو في الحيوان أبين ، فوجودها أجزاء متشابهة عن
 وجودها آلات .

والحرك للمادة هذا التحريك وهو الذي يفيد الخلقة جنس آخر من الحركات .
 وهذا ظاهر بأيسر (ورقة ١٥٢ ب) التأمل . وليس ذلك الحرك هو الحركة
 المستديرة وإن لم يحرك خلواً عنها كما بين في ثامنة السماع^(٦) . لكن إنما
 يطلب الحرك المتحرك الذاتي الأخص وهو القريب .

(١) المخطوطة : هيولانية .

(٢) المخطوطة : فيها .

(٣) والأحوال الهيولانية أشبه اليها في أفوال أرسطو في مواضع :

Meteo. IV. 2. 379 b 12 : « the conextion is due to heat; its species are ripening, boiling, broiling ... » ; Ibid, 25 : « In some cases of concoction the end of the process is the nature of the thing nature, that is, in the sense of the formal cause and essence ... » .

(٤) المخطوطة : لحوال .

(٥) المخطوطة : توجد ، وبالهامش توجد .

(٦) ويظهر أن أرسطو لم يقل واضحاً في الثامنة من السماع ان الحرك لا يخلو عن

الحركة المستديرة ، ولكنه أثبت حركة متصلة لا تنهي ، وقال انها حركة مستديرة ،

راجع Phys. : VIII, 8 . وقد أشار ابن باجة الى هذه الحركة (المستديرة)

المتصلة في شرحه لثامنة وقال : ورقة ٦٣ ب : والحركة التي يذكرها أرسطو

في هذه المقالة الثامنة حين يقول : الا أن بعض هذه توجد في

الحركة السابوية وهي الحركة بالعرض من غير . فإذن أرسطو :

. Arist., De Caelo. I. 2. 269 a 7

فهذا المحرك ليس هو الحرارة المنضجة ، ولكن الحرارة المنضجة هي آله ،
ولذلك تتبع هذه الأجسام الطعوم والأراييج وسائر الأعراض اللاحقة عن
المنضج . وأما كيف نلحق عنها فقد تبين في الرابعة من الآثار العلوية (١)
فهذه ضرورة تفيد الخلقة .

وما له مثل هذا المبدأ عندما يتحرك (٢) فالمحرك فيه يلزم ضرورة أن يكون
عقلا . لكن هذا القول أليق بتكون ذوات الانفس وقد تلخص في السابعة
عشر من كتاب الحيوان (٣) .

وما له هذا المبدأ جنسان : جنس تفترن به آله التي (٤) بها يحرك مثل
الحيوان المتناسل . وهذا يكون بزرا ، فإن البزر هو جسم مكون لذي النفس .
ويتبين ان حرارته فيه التي بها يفعل . ومنه صنف آله التي بها يحرك في غيره .
وهذا يكون للحيوانات التي يقال لها أنها تتكون من تلقائها . والآلة التي لمثل
هذا هي حرارة العفونة أو حرارة غيرها . وهذا يشبه الصناعة الفاعلة بوجه ما ،
إذ كانت آلات الصناعة خارجة عن الجسم الذي توجد له الصناعة . فلذلك
يحرك بتحريك الاسطقات ويمزج .

ولا يزال هذا الحار يحرك الأرض المتمزجة بالماء حتى اذا بلغت الجملة الى
الحال التي بها تقبل تلك الصورة قبلتها عند ذلك . وظاهر أن عند بدء الحركة
تبدأ قبول الصورة ، وان القبول والتحريك ينشأوفان . والنفس اذا كل قبل
صورة المتمزج فقبلها بالمزاج الذي له .

(١) قارن أرسطو : Arist : Meteo. IV. 2. 379 b 18 .

(٢) بالهامش : يتكون .

(٣) راجع أرسطو : De An. I. 3. 407 a 33 ; Phys. VII. 3. 227 b 1 . أيضاً ،

De Gen. An. II. 3. 736 b 22 sq. ; 737 a 9 .

(٤) المخطوطة : والتي .

والصورة التي تقبلها المنتزجات إما أن لا تتحرك شيئاً بالذات بل تقبل وذلك مثل صور المعدنيات . وهذه أيضاً تتقدم في الهيولي ما يوجد فيها عنها مثل الأحوال التي تخص الذهب من جهة أنه ذهب كالانطراق والصبر على النار . ومنها ما يتحرك بها الجسم الذي هي فيه حركة تخصه كنفس النبات . فأن المادة متى قبلت صورة المسدود حركت ذلك الجسم معها ، فها هنا ضرورة قوى هيولانية بعضها بعيدة كقوة الاسطوانات . وبعضها قريبة كقوة الممتزج ، وقوة هذه إنما توجد أبدأً مقترنة بالصورة ، فهي أبدأً موضوعة . ولذلك ليس لذي النفس مقابل ، إذ ليس لها عدم خاص . وإنما يوجد عدم تلك الصورة كأنك قلت « صورة النحلة » . منها < ما > يوجد فيه الهيولي البعيدة كما يقال في الماء « الأحر » .

فأما القوة القريبة فليست ^(١) توجد خلواً من الصورة لأنها موضوع أبدأً ولا تفارق أصلاً . ولذلك يشبه (ورقة ١٥٣ الف) أن تكون صور المعدنية في موادها إذ لم تكن لها أعداد ولا أعدام مقابلة كقابلة العدم للملكة . ففي أمثال هذه تكون صورة المزاج هي ماهية ذلك الجسم كالذهب مثلاً . فإن الممتزج هو مادة والوجود لها هو ذلك النوع من التماسك . وظاهر أن ذلك التماسك هو في هيولي قريبة وهي موجودة في الممتزج كالصورة للمزاج . ثم قبلت تلك الهيولي ذلك التماسك لكنه لما لم توجد الهيولي مفارقة لتلك الصورة أصلاً كان أبدأً المجموع منها كشيء واحد ، والهيولي إنما ظهر وجودها عند التغير . وكل هذه هي صور في الهيولي يصير بها المجتمع شيئاً واحداً ، لأن هذا هو معنى قبول الهيولي للصور الحادثة فيها ^(٢) فأما إذا كانت ^(٣) الصورة

(١) المخطوطة : فليس .

(٢) والآخر فالأداة هي صورة محضة غير مدركة ، أو مادة لم تتصور بالفعل ، انظر زيلر :

Zeller : Arist. II. p. 339

(٣) المخطوطة : كان .

قد غايرت وذلك إنما هو بأن تفارق نحواً من المفارقة فينبذ تكون مغايرة للهوي .
فإن كانت هذه المغايرة مما يحدث فيلزم ضرورة أن يكون عن تغير متقدم
إمّا فيها وإمّا في موضوع آخر ^(١) على ما تبين في ثامنة السماع ^(٢) .

لكن الصورة لا يمكن أن تتغير إذ كل متغير منقسم ^(٣) ، وهي غير ذات
أجزاء ^(٤) ، وليست بجسم . فلذلك ^(٥) بتغير شيء آخر . فتصير بذلك التغير من
تلك الصورة على نسبة محدودة . فتتغير الصورة لذلك بالعرض ^(٦) ، ويكون
تغيرها في الآن كما بعرض لما هو مضاف . فإن آب إن لم يكن ضعفاً لرج د
وكان أكبر ، فإن ج د إذن إنما صار نصفاً ، وصار آب ضعفاً من غير
أن يتغير آب في نفسه ، بل يبقى على حاله التي كان < عليها > ، لكن
بتغير من نسبة إلى نسبة .

وكل تغير على ما تبين في الثامنة ^(٧) فهو إمّا في الكم وإمّا في الكيف أو
في الأئين أو بتابع ^(٨) لأحد هذه . لكن متى غايرت الصورة المادة فقد
وجدت بالفعل تلك الصورة وهي ما هي منخازة بوجود يخصها ^(٩) ، وهي غير

- (١) راجع النص ورقة ١٤٩ ب : ... أو كان لها موضوع -
- (٢) قارن ابن باجة : ورقة ٦٤ الف : والتغير سببته تغير إذ ينزل هذا التغير منزلة التغير المفروض . أيضاً ورقة ٥٧ الف : فيكون قبل كل تغير مفروض تغير يتقدم من ذلك النوع . وراجع أرسطو : Arist. : Phys. VIII, 2. 252 b 9 .
- (٣) قال أرسطو : كل ما يتغير ينقسم . راجع : Arist. : Phys. VI. 4. 234 b 10 .
- (٤) راجع النص ورقة ١٤٧ ب : لأنها غير منقسمة
- (٥) المخطوطة : فكذلك .
- (٦) أيضاً ، ورقة ١٤٩ الف : كان لها التغير بالمرض : ورقة ١٥٢ الف : ويتغير في المرض .
- (٧) أيضاً ، ورقة ١٤٣ الف : كما تبين ذلك في الثامنة الخ .
- (٨) المخطوطة : مانع .
- (٩) أيضاً ، آخر ورقة ١٤٦ الف : منخازة بنفسها الخ . ورقة ١٥٠ ب : وجود الصورة التي يخصها ..

ما كانت عند وجودها في المادة القابلة لها . فان كانت موجودة^(١) لم تتكون
لزم عن ذلك محال ، وهو أن تكون صورة المشار اليه قبل وجوده ، إِمَّا في
الحس والتخيل وذلك غير ممكن ، وإِمَّا في العقل فقد يظن أن ذلك ممكن ،
لكن سنبين هذا عندما نفحص عن القوة الناطقة .

فبين أن الإحساس حادث . وكل حادث فهو بالقوة قبل أن يحدث .
فكيف يمكن أن يكون الإحساس صورة مفارقة ويكون حادثاً ، لأن
الحادث إنما هو من قبل الهيولى ؟

فنقول : إن قولنا « هيولى » في القوة النفسانية وفي قوى الجسم باشتراك ،
فإن الهيولى وجودها في الأجسام على أنها تتشكل بتلك الصورة ويصيران
(ورقة ١٥٣) شيئاً واحداً يستعمل الفعل الذي في طباع ذلك الموجودان بفعله
كما تبين قبل هذا . وقولنا هنا « هيولى » إنما نعني به قبول المعنى وهو الذي
يكون به الجسم الذي له مثل هذه القوة حساساً ، فإن القوة الهيولانية والقوة
التي هي نفس ، كلاهما يقبلان اللون ، واللون في الهيولى هو صورة ، وهو
والهيولى شيء واحد ، لا وجود لتلك اللون محضة أصلاً . واللون في القوة
الحساسة موجود بما يخصه . قد فارق هيولاه وصار شيئاً مشاراً اليه . ولذلك
لم يمكن أن يقبل الهيولى المتضادين كالبياض والسواد المتغايرين فانها^(٢) لو
قبلتهما^(٣) لكنا فيها متغايرين ، ولا تغاير بينهما أصلاً ، وهما متغايران ذاتا^(٤) ،
فانها صورتان في ذات أحدهما ، أو كليهما^(٥) مغايرة إحداهما للأخرى ، فلذلك

(١) أيضاً ، ورقة ١٥٠ ب : فان وجدت الخ .

(٢) المخطوطة : فانها .

(٣) المخطوطة : قبلها .

(٤) المخطوطة : دأما .

(٥) المخطوطة : كلاهما .

لا يمكن وجودهما (١) إلا على نحوين . أما في موضوعين ، فإن ذلك ممكن ،
وأما أن كانا في موضوع واحد ففي وقتين من غير أن يجتمعا معا في موضوع
واحد . ولما كانا في القوة الحساسة موجودين مفارقين لم يمتنع وجودهما معا ،
وانما يستحيل وجودهما في موضوع واحد معا ، وليس انما بوجودان معا في
الجنس ، وبالجملة ففي قوى النفس ، بل قد يوجد ذلك في الهولي في الألوان
فقط . فإن الهواء الواحد بعينه الكائن بين الأبيض والأسود معا ، وذلك
ان صورهما لبست في الهواء على ما هي الصورة في المادة بل بنحو متوسط بين
القبول الهولياني وبين قبول القوة النفسانية .

ولما كانت القوى انما تقيد بنسب الموضوع الى الملكة وبذلك تتميز قوة قوة
في ذاتها ، فالقوة الحساسة هي الاستعداد الذي في الحاسة ، الذي يصير معنى
ذلك المدرك . والفرق بين المعنى والصورة (٢) ان الصورة تصير مع الهولي
شيئا واحدا ولا يكون هنالك مغايرة . ومعنى المدرك هو صورة منفردة عن
المادة (٣) . فالمعنى هو الصورة المنفردة عن المادة . فقبول (٤) قوة (٥) النفس
معنى يجب أن يكون قبولا له وهو معنى فالقابل هو معنى ما بالقوة . وكذلك

(١) المخطوطة : وجود ما .

(٢) وابن سينا ميمز بين الصورة والمعنى فقال : (شفا ، ورقة ١٨٢ ب ١١) :

وقد جردت المادة بأن يسمى مدرك الحس صورة ومدرك الوم معنى .

(٣) وأوضح ابن سينا معنى الإدراك فقال (شفا ، ورقة ١٦٣ ب ٩) : « يشبه

أن يكون كل إدراك هو أخذ صورة المدرك بنحو من الانتهاء ، فان كان

الإدراك ادراكا لشيء مادي فهو أخذ صورته مجردة عن المانة تجريدا ما ،

إلا ان أصناف التجريد مختلفة ، ومراتبها متفاوتة ، فان الصورة المادية يمرض

لها بسبب المادة احوال وأمر ليس هي لها بذاتها من جهة ما هي تلك الصورة ،

فتارة يكون النزاع عن المادة نزاعا مع تلك العلايق كلها أو بعضها ، وتارة

يكون النزاع نزاعا كاملا وذلك بأن مجرد المعنى عن المادة وعن الواحق التي لها

من جهة المادة » .

(٤) المخطوطة : فتقول .

(٥) المخطوطة : قوي ، وبالهامش ، قوة .

لبس إدراك النفس انفعالاً بوجه . وأما هل يكون بانفعال فسنبين بعد هذا .
فالمفعول قد يظن به أنه يقبل الصورة فقط ، وأن الحار بالقوة إذا صار حاراً
بالفعل فلم يقبل معنى الكاين في المحرك ، والأشياء منه على ما قلناه قبل ^(١) .
وإنما قبل حرّاً آخر فصار حاراً آخر شبيهاً بالأول ولا نسبة بين الحر الموجود
في أحدهما إلى الآخر بوجه . وإنما النسبة التي بينهما هي أن صورتهما إذا تجردت
كانت واحدة بالعدد . والمغايرة التي بين صورتيهما الشخصية - وإن جاز أن
يقال لشخص الحر صورة - فإنه لا تغاير بينهما وبين (ورقة ١٥٤ الف) الهويلى
عندما يكون شخصاً ، وقد لخص هذا في غير هذا الموضع ^(٢) . ولذلك حر
أحدهما لبس معنى « حر » أن يكون مع الهويلى فيكون شخص [الحر]
بمعناه في النفس .

ولما كان معنى الشيء هو الشيء وكان معنى الشيء هو ما وجوده بالفعل ،
ولذلك إذا حصل عندنا معنى شخص ما كان عندنا أن ذلك الشخص قد أدر كناه
بتلك القوى التي < هي > لنا .

وظاهر أن الإدراكات الحاصلة من الموجودات الهويلائية حادثة ، فإنها إن
لم تكن حادثة فهي أزلية . فإن كانت أزلية لزم من ذلك أن يكون ضرورة
« زيد » قبل « زيد » ، وهذا الحار ^(٣) قبل هذا الحار . ولزم أيضاً أن
تكون متحركة في المكان ، إلى غير ذلك من المحالات اللازمة .

(١) أي الأشياء من المحرك ، لعل ابن باجة يريد ما قال ان الصناعة من المحرك
(راجع النص ورقة ١٣٩ الف ، منه أو هو الصناعة .) أو يريد ما قال :
ان القوة المحركة . . . تفعل بالذات وأولاً ما هو من نوعها ، وتفعل ثانياً
وبالعرض شيئاً آخر (راجع النص ، ورقة ، والقوة المحركة فإنها تفعل بالذات
وأولاً التبع) والمعنى ان الأشياء من المحرك ، وإلا فلم يقل ابن باجة بهذه
الألفاظ في هذا الكتاب .

(٢) لظاهر ان المصنف أشار الى ما قال ان المادة غير متعازة بالفعل عن الصور
كما ان الصورة غير متعازة عن المادة بالفعل (النص ورقة ١٤٦ الف) .

(٣) المخطوطة : الحر .

وأيضاً فمن الأمور الدائمة ان الاحساسات حادثة وهو متيقن عندما نتأمل
أيسر تأمل . وكل حادث فقد كان ممكناً وجوده قبل أن يوجد ، والإمكان
والقوة على ما قلنا قبل ^(١) متلازمان . فهذه القوة هي في هيولى ضرورية ، وهذه
الهيولى هي هيولى لمثل هذا الوجود . وقد جرت العادة أن تسمى روحانياً ^(٢) ^(٣)
وغير جسماني وما أشبه هذه الألفاظ من الدلالة ولذلك لا تصير مع الإدراك
جسماً ، لأن الجسم إنما يكون متى كانت الصورة غير مغايرة أصلاً ، وذلك
أن تكون موجودة غير مجردة .

وقد يسأل سائل عن الإدراكات فيقول : هل هي في الهيولى التي لها مغايرة
لها . فإن كان ذلك فالهيولى موجودة بالفعل وليست هيولى . وكيف يتصل
ما ليس بجسم بما هو جسم إلا بأن تكون صورة فيه . وإن لم يكن مغايرة ما
والأمر فيها مثل وجودها في الهيولى لم تكن مجردة .

فنقول : أما ان الإدراكات في موضوع فذلك يتن . لأنه لو لم تكن
في موضوع لما كانت كائنة . وأما انها والموضوع شيء واحد فذلك أنها
كذلك ، وبذلك صار الإدراك شخصاً . فإنها لو كانت غير الموضوع جملة
لكانت نوعاً أو عقلاً . وصنبت ذلك إذا صرنا إلى القول في القوة الناطقة ،
لأن القول هنا هو في النفس وقواها .

وأما ان الصورة يلزم عمّا وضع أن تكون غير موجودة مغايرة للهيولى

(١) راجع النص ، ورقة ١٤٣ الف : فذلك تلازماً الخ .

(٢) « الروحاني » عند المتألفين منسوب إلى الروح ، ويدلّون به على الجواهر
الساكنة المحركة لسواها ، وهذه ضرورة ليست أجساماً ، بل هي صور لأجسام ،
وشكل هذه اللفظة غير عربي وهي دخيلة في لسان العرب في الصنف الذي
جاء على غير قياس عند نحوي العرب ، فان القيسة عندهم أن يقال روحي

تدبير المتوحد ، نشر آسبن ، ص ١٨ .

(٣) المخطوطة : روحاني .

فذلك غير لازم عما وضع . لكن يقتضي التشكيك أن يجري للوجود فيها^(١) .
 تغير وذلك ان الهيولى كما قلنا قبل انما هي موجودة بالنسبة الى ما هي هيولى له .
 والقوة على الإدراك هي قبول الصورة منخازة بوجود يخصها . فهىولى الإدراك
 مطبوعة على قبول معاني المدركات ، ومحركها المدرك من جهة ما هو مدرك .
 فإن هذه < الصور > الهيولانية بيتن من أمرها أن لها في ذاتها وهي هيلولانية
 هذه القوة ، وهذا التحريك هو لها من أجل وجودها الخاص . ولذلك توجد
 هذه في الفاعلة منها كالحرارة والبرودة (ورقة ١٥٤ ب) وفي المنفعة كالصلابة
 واللين . وان ما يحرك الحركة المنسوبة الى الانفعال فانما يحركه أيضا وهو في
 موضوع ويحرك هيولى أخرى من نوع الهيولى التي هي فيه . ونسبتها إلى ذلك
 المعنى نسبة الهيولى التي في ذلك المحرك الى الصورة بعينها في النوع . وهيولى
 الإدراك نسبتها الى الصورة نسبة أخرى تخصها ، فلذلك هي هيولى باشتراك الاسم .
 وهيولى المدركات يقال لها هيولى بالتقديم وانما يقال لهذه هيولى بالتأخير ،
 وعلى طريق النسبة بالمحسوس المحرك كالحار والبارد .

فله أولاً نوعان من التحريك لصنفين من الهيولى أحدهما^(٢) للهيولى^(٣) من
 نوع هيولاه ، والآخر لهذه الهيولى التي بها يكون محسوسا . وهذا التحريك
 هو لذي الجسم لا من حيث أنه ذلك الجسم . ولذلك^(٤) إدراك الجسم الصغير
 والكبير واحد^(٥) لاسيما التخيل ، وصنيتين لم كان ذلك فيما بعد .

(١) المخطوطة : معنا .

(٢) المخطوطة : احدهما .

(٣) المخطوطة : الهيولى .

(٤) المخطوطة : وكذلك .

(٥) وهذا ما سرده ابن رشد (كتاب النفس ، الأهواني ، ص ٧٤ وحيدراباد ،

ص ٦٩) : ونخص الصورة الحية انها منقسمة بانقسام الهيولى بالمعنى الذي به

تقسم الصور المزاجية ، ولذلك أمكن فيها ان تقبل المتضادين معاً . والصغير

والكبير على حالة واحدة .

وإنما يتفاضل الإدراك من جهة أنه شديد أو ضعيف .
فقد قلنا ما القوة المدركة في الجملة . وهذه القوة هي نفس موجودة في الجسم
المتنفس وهي ^(١) صورة مزاج المتنفس . والجسم الممتزج الذي له هذه القوة
هو متنفس وحي .

ولما كان كلّ تكوّن فهو إمّا تغير أو تابع لتغير على ما تبين في السماع ^(٢)
وجب أن يكون الإدراك كذلك . ولما كان كل متغير فهو ينقسم ^(٣) ،
وهذا ليس منقسم لزم ضرورة أن تكون هذه القوة مقترنة بجسم إمّا بنفسها
أو بتوسط مقترن .

والادراكات النفسانية جنسان - حس وتخيل . ولا يمكن أن يتخيل ما لم
يحس . ولذلك ^(٤) لا يمكن أن يتخيل اللون ، فالحس يتقدم بالطبع التخيل لأنه
كالمادة للتخيل . فالحس هو أول إدراك مقترن بالجسم فواجب ضرورة أن
لا يكون حس دون تخيل ، إلا أن التغير ليس في المحسوس . والتغير صورة
الحاس فالحاس ضرورة جسم صورته القوة الخاصة . فالحس بالجملة هو قوة لجسم
يتفاعل عن المحسوس بقترن بكأله كآل القوة النفسانية التي < هي > فيه .
ولذلك يلزم ضرورة أن يكون المحسوس مخيّلاً والحاس متخيلاً ^(٥) . فلذلك
الحر والبرد محسوسان بأنفسهما ^(٦) وأولاً . وأما الصلابة واللين والخشونة والملاسة
فسنبين أمرها في القول على القوة العسية ، فهذا هو القول في الحس بالجملة .

(١) المخطوطة : هو .

(٢) وابن باجة يبين معنى « تابع لتغير » بالداخله في السماع ، ورنه ٢٩ ب :

« ويكون للنسب تغير تابع لتغير فلذلك يكون في الآن وكذلك فسادها » .

(٣) فارن أرسطو : Arist. : Phys. VI. 4. 234 b 10 .

(٤) المخطوطة : وكذلك .

(٥) المخطوطة : مستخيلاً .

(٦) المخطوطة : بأنفسها .

ولمّا^(١) كان لبس كل قوة تحرك كل جسم ، وكانت الحركات كثيرة كانت الحواس كثيرة معاذة للحركات . ولما كانت التحريك الذي به الحس إنما هو من أجل المعنى . والمعنى قوامه من أشياء كثيرة ، لذلك لزم ضرورة أن ترسم (ورقه ١٥٥ الف) في الحس تلك المعاني غير منفصلة بعضها من بعض . ولمّا كان ما به قوام الشيء إما مشتركة وإمّا خاصة^(٢) . فالخاصة إنما تدرك بخاصة واحدة ، والمشاركة تدرك بالحواس التي يلحقها ذلك الأمر المشترك . فلذلك هو محسوس غير أول وهذا هو كالأطوال والأشكال .

ولمّا كان المعنى تلحقه أشياء آخر بالعرض لذلك لا ترسم في الخاصة تلك الأشياء . هي محسوسة بالعرض كاللون فإنه يقترن به أنه في الكاتب . فلذلك يقال ان الكاتب مبصر بالعرض . في هذه يفظ الحيوان الحاس^(٣) كثيراً . فأما وجود هذه القوة في الحيوان ، فقد قيل كيف ذلك في القول في تكون الحيوان وذلك في السادسة عشر من كتاب الحيوان^(٤) .

فهذا في الحس بالجملة .

والمحسوسات بالجملة كما قيل منها مشتركة ومنها خاصة . فالخاصة كما تبين ما انفعّل عنها الخاصة . والعالم^(٥) ما لم ينفعّل عنه الخاصة . وإنما حصل بقوة عند حصول المعنى . ولذلك قيل ان المحسوسات المشتركة إنما يدركها الحس المشترك

(١) المخطوطة : وكما .

(٢) أيضاً : Arist. : De An. II. 7. 418 a 15 sq. : ابن رشد : كتاب النفس

ص ٢٧ ، حيدرآباد ص ٢٣ .

(٣) بالهامش : الحاس .

(٤) أيضاً : Arist. : De Gen. An. I. 23. 731 a 30 sq.

(٥) المخطوطة : العالم .

إذ لا تتفعل عنها الحاسة . إنما هي لتلك القوة < لا > لأنها هي مقترنة بالحاسة بل من أجل أنها بالفعل . فإن القوة إذا انفردت عن الحاسة كانت هي الحس المشترك . وإنما تنفرد عن الحاسة إذا صارت شيئاً ما . وذلك بأن تدرك محسوساً ما . فالحاسة ضرورة الوجود في الحس على ما تبين قبل ^(١) . ولذلك لا يمكن أن تخلو ^(٢) هذه القوة من المحسوسات جملة . لأنها موجودة في الجسم . وإنما المحال بأن توجد هذه مفارقة لا تقتزن بجسم ، وهذا هو أحد المحالات التي لزمها التشكك المكتوب قبل هذا .

فلنقل في أصناف الحس .

(يتبع)

محمد صغير حسن المعصومي

—•••••—

(١) راجع النص ورقة ١٥٠ ألف : ووجوده محركاً ظاهراً بنفسه والمتحرك هو الحاسة الخ .

(٢) المخطوطة : تخطوا .

التعريف والنقد

ديوان ابن الخطيب

تحقيق الأستاذ الرئيس خليل مردم بك

طبعة المجمع العلمي العربي، بدمشق ١٩٥٨ في ٣٤٨ صفحة + ٤٩ صفحة للقدمة ،
مع عشرة ألواح مصورة

سعى المجمع العلمي العربي بدمشق ، منذ نشأته ، إلى حماية اللغة العربية ، والعمل لإحياء آثارها ، فكتب أعضاؤه في مجلّتهم مقالات ضافية في التبصير بها ، والتعريف ببلاغتها ، وتنقيح مفرداتها ، واختراع كلمات أو مشتقات لما يعرض على المجمع ، أصبحت كلها مرجع العلماء والدارسين . وعمل الأعضاء كذلك على نشر الدخائر العربية في مبادئ الشعر والفلسفة والتاريخ والآثار نشرأ بحمده العارفون ويشيدون بأبادي المجمع في السعي له على إخلاص ووفاء .

ولرئيس المجمع العلمي العربي الأستاذ خليل مردم بك بد طولي في إخراج التراث العربي وتحقيقه ودراسته . فقد ألف رسائل في أدياء العرب وشعرائهم وخصّ شعراء الشام بعنايته وحبّه ، يريد أن يصور هذه الحلقة البارعة منذ القرن الرابع إلى سقوط الشعر في عصر الانحطاط ، ون يسجّل تطور الشعر في هذه البلاد ، وأن يصف أعلامه ، لأن الدراسات المعاصرة لتاريخ الأدب ظلت أكثر هؤلاء الشعراء ، فلم ترمم أثرهم ولم تتحدث عن دواوينهم ، وكاد شبابنا يجهلون كل شيء عن هذه الحقبة من أدبنا ، وأصبح كثير منهم يتهم ثروتنا الفكرية والأدبية ، وينصرف عنها إلى غيرها من الآداب الغربية المنتظمة المبهوة المبسرة .

وقد قام الأستاذ مردم بك بهذه المهمة لبسدة هذه الثغرة ، في أنارة وصبر ودقة ، فأجال النظر في الدواوين ، وأطال البحث في عرضها وضبطها ، والتقديم لها بدراسات دقيقة مفصلة ، فأخرج دواوين علي بن الجهم وابن حيوس وابن الخياط وابن عنين ، وهو في سبيل إخراج ابن القيسراني . والدواوين الأربعة الأخيرة حلقة متكاملة تمثل شعر الشام من أواخر القرن الرابع الهجري إلى أواسط القرن السابع ، أي منذ (سنة ٣٩٤ هـ - إلى سنة ٦٣٠ هـ) خلال ما يزيد على قرنين .

وهؤلاء الشعراء أمسكوا بزمام الشعر في دمشق بعد الحمدانيين في حلب ، وأصبحت هذه الحاضرة العربية على وشك أن تعيد لهذه الربوع مجدها القديم في الأدب . فلمع ابن حيوس (٣٩٤ - ٤٧٣) ، وابن الخياط (٤٥٠ - ٥١٧) وابن القيسراني (٤٧٨ - ٥٤٨) وابن عنين (٥٤٩ - ٦٣٠) كما لمع ابن منير الطرابلسي والغزي وابن الساعاتي . وحملوا الراية عن أساتيدهم وأسلموها إلى أبنائهم ، كما يفعل القادة في الحرب سعيًا وراء النصر والرفعة والمجد . والأدباء النقاد شكروا بد الأستاذ مردم بك في نشر ابن عنين وابن حيوس ، ورأوا في جمعه المخطوطات من أطراف الأرض لها ، وصبره الطويل في تصيّد أخبارهما ، وجمع أشعارهما من المصادر المخطوطة والمطبوعة صبراً وسعيًا يستحقان الحمد والثناء . وصيشفكرون له هذه اليد الجديدة في إكمال هذه السلسلة ، والسير قدماً بانحيازها في إخراج ديوان ابن الخياط ، فقد أخذ ابن الخياط عن ابن حيوس ، وخلفه في ميدان الشعر وصداً مكانه ، وفاته في نواح كثيرة . وكان عليه أن يعمل له كما عمل لأستاذه ، فصبر وسعى خلال سنوات عدة ، حتى إذا استكمل العدة ، استجاب لنسخه المصورة من أطراف العالم ، فجمع النسخ من المغرب ومدربد وكوبنهاغن ودمشق

والمدينة المنورة والقاهرة حتى بلغت ثمانى نسخ هامة ، نُقِلَ جلّها عن الشاعر نفسه على يد تلميذه ابن القيسراني . فقد أُملى عليه شعره واختصاره له ، وأسقط منه ما أراد ، فكأنّه أشرف بنفسه على طبعه ونشره بين الناس لهذا العصر .

فديوان ابن الخطّاط بلغ مرحلة من النّسب والرواية والتواتر لم تبلغها إلا القلة من الدواوين ، أملاء الشاعر ورواه التلميذ وحققه المحقق على ما تواتر ، نجاء على ثقة ودقة قلما يصل إليها كتاب أو ديوان إلا في النّدر بعد النّدر . وهذا نصر كبير في إخراج النصوص وتحقيقها ، يطعن إلى العلماء ، ويثني به الأدباء والرواة ، ويركن إليه الدارسون المؤرخون ، فكأنّه كما يقول الغريون « طبعة نهائية » عن وثائق ومخطوطات قيمة قديمة ترقى إلى عهد الشاعر في القرن السادس ، لم يختلف إليها دس أو إضافة إلا ما كان من عمل النساخ والقراء ، وقد صوّر المحقق في حواشي الديوان هذا الاختلاف في أمانة بالغة ، ليرسم ما طرأ على النسخ من أمور طفيفة ، لا تكاد تؤثر في جوهر الشعر ، تقع للشاعر نفسه حين يستبدل حرفاً بحرف أو لفظاً بلفظ أو يستحسن تبديل كلمة بكلمة ، كما تفعل حين يؤلف أو تنظم .

فالديوان على هذا صورة لما تركه الشاعر وأراد ، بل أنه صورة فوق ما كان يحلم بها الشاعر من طباعة جميلة ، وترقيم واضح ، وفهرسة قريبة ، كأنّه لشاعر معاصر في العرض والاخراج ، أضاف إليه المحقق مقدمة في العصر والرجل جهد فيها ما استطاع ، فوقف دون كثير من أمور حياته وعيشه لأنّه بلغ إلى الديوان فحسب ، ولم يبلغ إلى ترجمة له بقلم تلميذه أو تعليق عليه أو شرح له وتفسير ، كما فعل ابن جني للمتنبي ، وابن خالويه لأبي فراس الحمداني ، بل إنه لم يصل إلى مكتوبات ابن الخطّاط في النثر فقد ضاعت .

والشعر في الديوان لا ينير كل شيء ، ولا يعين على المطالب كلها ،
والترجمون بعده لم يفيضوا في أمر حياته ، لأنهم كانوا يسعون إلى الإيجاز
فيترجمون الأعلام في سطور ، وهمهم أن يجمعوا عدداً كبيراً من التراجم .
ومن همنا اليوم أن نسأل عن كل شيء من ترجم لهم ونعني بهم ؛ وكل
يسعى إلى سبيله ويمضي إلى غايته . لهذا جهد الأستاذ المحقق جهداً كبيراً ،
فاستنتج من الشعر ، واستنطق المصادر إلى حد بعيد ليخرج من ذلك بدراسة
جميلة كانت كأحسن ما يستطيع محقق أن يفعل .

قصّ حياة ابن الخطيب منذ الصبّا حتى الوفاة . عرفنا منها أن ابن الخطيب
عاش صغيراً في باب الجالية بدمشق ، وكانت داره على مقربة من دار الأمير
أبي الفتيان ابن حيوس . وكان عليه أن يتعلم صنعة أبيه ، فيكون خياطاً
مثله . ولكن الأقدار لفتت القلام إلى حياة ابن حيوس ، ودفعته إلى
أن يعجب بموقعه من السلطان والجاه والمال ، وأن يفتنى في قرارة نفسه أن
يكون مثله وأن يقع من قومه موقعه ، فأصبح الفتى يقرأ من شعر القدماء
ويحفظ من أقوالهم وأخبارهم حتى انقلب عن صنعة أبيه إلى صنعة كانت تدر
على أصحابها الألقاب والأموال والمناصب . وظل كذلك حتى أتقن صناعة
الكتابة والنظم ، وأصبح معنياً بها يسعى إلى وظيفة عند الأمراء . فلما
قامت الفتن في دمشق ، ووقعت فيها الحرائق والنهب وغلبت الجاعة هجر كثير
من أهلها المدينة ، وانتشروا في الأرض ، فأصبح عدد السكان بدمشق
سنة ٤٦٩ ثلاثة آلاف نسمة ، بعد أن كانوا خمسمائة ألف . وهاجر
الشعراء والكتاب فبين هاجر ، ففرح ابن حيوس إلى أمراء حلب ، ونزل
ابن الخطيب بمحاة فعمل كاتباً لا ميراً فيها وظل عاكفاً على الشعر يقرضه
ويسيره بين الناس . ثم خطر له أن يزور جاره القديم ابن حيوس في حلب ،

فسافر اليه وعرض عليه شعره ، فأعجب به ، ووصله بمال ، ونصحته أن يقصد بني عمار في طرابلس الشام .

فلما بلغ السادسة والعشرين من سنه ، سافر إلى طرابلس عملاً بوصية جاره وأستاذه ، ولبث فيها عشر سنوات ، يفيد من خزائنها العامرة وأساتذها وعلمائها ، حتى تمكن لسانه وقوي بيانه واستند ساعده ، فعاد إلى دمشق ولزم وزيرها الأصمهاني ، وصحبه إلى الري وخراسان ، وقفل راجعاً سنة ٤٨٧ وهو في السابعة والثلاثين . وظل في إنشاد الشعر وملازمة الرؤساء والأمراء يعيش بقلعه وشعره حتى مرض ، وقضى في السابعة والستين من عمره ، بدمشق ٥١٧ هـ . ودفن في الأرض التي أحبها وتعلق بها ، وظل مشوقاً إليها في رحلاته ، وقد طارت شهرته وعلت مكانته ، وحل من قومه محل الفحول ، فكان شاعر الشام لعصره كما تمني وأراد .

ولعلنا أسرفنا ولكننا أردنا أن نرسم هذه الخطوط الكبرى عن المقدمة في حياة شاعر تنقل في البلاد ، فزار حماة وصور وحلب وطرابلس والري وخراسان . وعرف الناس وطبائعهم ، وسمع اللهجات واللغات ، ورأى ما رأى وسمع ما سمع ، فخلف مكتوبات في النثر وقصائد في الشعر ، قلنا إن الأولى ضاعت وسلت الثانية ، فكانت من أجود الشعر ، تملك صاحبها ناصية الديباجة ، واستوى مع الفحول ، فحاکم في استعاراته وكنائياته ، وبذ كثيراً منهم برفته وسلاسته حتى قال فيه ابن عساكر : « ختم باین الخياط دبوان الشعر بدمشق » . وقد استطاع على اضطراب بلده وقلق عيشه ورقة حاله وتنقله في الأمصار وراء العيش أن يكون شاعراً مطبوعاً ، فصيحاً ، جزلاً من غير إغراب ، عليه طلاوة الحنين وحلاوة المجدين ، فله بين الشعراء مرتبة ، تعيد إلى دمشق صولجان الشعر ، وتنافس مدرسة الحمدانيين في حلب ، بدل على ذلك قوله :

والمرء من شئت في الأيام غارته فبادر العيش باللذات وانتهبها
 من شاء ^(١) فليستخذ أيامه فرصاً فليس يوم بمرودود إذا ذهبها
 هل الصبي غير محبوب ظفرت به لم أقض من حبه قبل النوى أربا
 إني لأحسد من طاح الغرام به وجاذبته حبال الشوق فانجذبها
 والعجز أن أترك الأوطار مقبلةً حتى إذا أدبرت حاولتها طلبها
 فهي ألصق بالجميل من الشعر المعاصر في سلاستها . وله في الديوان كثير من
 المرقص المطرب لا يحصيه مقال في النقد معها طال .

هذا هو الشاعر ، وهذا هو الشعر الذي نهض له الأستاذ خليل مردم بك
 فجود في تحقيقه وإخراجه ، وجود في مقدمته ودراسته ، وأفاض حين وقف له
 بنقد لغته ، وبتناول هنائه في الاشتقاق والاستعمال حتى حسبنا أن الدراسة
 لعالم لغوي في القرن الرابع الهجري وقف بنكر على رصيفه المعاصر ألفاظاً
 ترد عن العرب في المعاني التي استعملها ، وبأخذ عليه تجوزه في النحو واللغة
 والبيان ، فيعدد أمثلة من شعره فيها كلمات : « هناء ، وخراد ، والأخص ،
 والاقص ، والنضاج ، والركاز ، الخ . . . » وصحيحها : « هناءة » ،
 وخرائد ، وخميص ، وقص ، والنضج ، والركز » . وليس هذا كل
 ما أخذ عليه ، وإنما ساق أمثلة كثيرة نخب القارئ فيها إلى المقدمة الممتعة ،
 ليري معنا أي جهد ساق المحقق ، وأي عناء قامى ، وأي سهر نهض له
 في الدراسة الجديّة التي نراها أقوى ما خرج من قلم الأستاذ خليل مردم بك
 في صدور دواوينه .

ولو جمعت هذه الدراسة في ابن الخطيب إلى دراساته في ابن حيوس

(١) اختار المحقق : « ما شاء » : فخالف سبع نسخ ، ولعلنا نظرب لهذه الصيغة
 التقليدية أكثر من طربنا لا وضع وفضل .

وابن عنين وغيرهما ، وطبعت جميعها في كتاب مستقل ايكات تاريخيا للأدب العربي في دمشق خلال تلك الحقبة ؛ نرسم للأدباء والعلماء والمؤرخين سبيل البحث ، ونسند ثغرة كبيرة في أدبنا العربي . فاذا جمعت الى قربانها مما قد يصنع زملاؤه بالعراق ومصر لشعرائهم كانت كتابا ضخما في تاريخ أدبنا ، تظهره على حقيقته ، وتبين جوانبه الخفية ، وتمكن لآدبنا بين آداب الأمم ؛ فقد وقفنا أنفسنا على دراسة عدد محدود من أدبائنا التحول حتى ظن الناس أنهم وحدهم أدباؤنا وأن عصورنا الأخرى عقت عن قول الشعر ، والغرب لا يقف عند شكسبير وغوته وهوغو ؛ وانما يتمداهم إلى غيرهم ليصور العصور الأدبية كلها . وأظن أننا شرعنا نفعل لدراساتنا كما فعل الغربيون لدراساتهم ، فانطلق جيلهم إلى الجديد كما بنطلق جيلنا إلى الجديد ، لأن البناء الشاخص يقوم على القواعد والامس ، والشجر السامق يعتمد على انتشار جذوره في الأرض ، وذلك بعين الدراسة الأدبية في جامعاتنا ، حين يتم دور النشوء وتبلغ إلى دور الارتقاء والعمل الخصب الصحيح .

الدكتور سامي الدقان



الثقافة الإسلامية في الهند

«عوارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف»

تأليف : السيد عبد الحي الحسني « ١٢٨٦ - ١٣٤٩ هـ »

(من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م)

هذا الكتاب النفيس غزير المادة ، واضح البيان ، ألفه العلامة الكبير السيد عبد الحي الحسني ، والد صديقنا الأستاذ أبي الحسن السيد محمد علي الحسني الندوي الشهير ، وطبعه مجمعا العلمي العربي له ، ووقف على طبعه السيد رضوان الندوي ، من تلامذة الأستاذ أبي الحسن ، وفي طليعة الكتاب ترجمة

لمؤلفه كتبها ابنه الأستاذ أبو الحسن ، وأوضح فيها حسيبه ونسبه ، وأسأذته ، وعلومه ، ومصنفاته الكثيرة ، وجاءت بعدها مقدمة المؤلف التي أوجز فيها مجمل هذا الكتاب ، وقد كان ألف قبله كتابين في موضوعه : (الأول) في ثمان مجلدات ، ذكر فيه حملة الأخبار ، ونقله السير والآثار ، والفقهاء والحكام ، وذوي النحل والآراء من أهل الإسلام ، من ولد أو مات في أرض الهند (قبل التقسيم) ، (والثاني) في الجغرافية والتاريخ ، والخطط والآثار . وهذا الكتاب الذي عني المجمع بطبعه يقع في (٣٥٠) صفحة ، ولكنه - على اختصاره - يجر لا يمتطى ثبج ، ولا تحصى فوائده وفرائده ؛ فقد ذكر فيه أنواع العلوم والفنون ، والمعارف البشرية ، وذكر ما لعلماء الهند في كل منها من مصنفات من بعد أن سرد ما لغيرهم فيها ، وأودع مؤلفه هذا تاريخ نظام الدرس في الهند جيلاً بعد جيل ، وتاريخ الفنون الأدبية ، فتاريخ العلوم الشرعية الدينية ، ثم تاريخ الفنون النظرية كالمنطق ، وعلي الطبيعيات والإلهيات ، والحكمة العملية ، والفنون الرياضية ، وفي الصناعة الطبية على اختلاف العصور ، إلى القرن الرابع عشر ، مع ذكر المصنفين ، وما عرف من تاريخ وفياتهم ، وكانت خاتمة هذا الكتاب الجليل في أسماء بعض الكتب العلمية المنقولة .

جمع المصنف رحمه الله كتابه هذا في أربعة أبواب ، الأول منها في علوم اللغة والأدب والتاريخ ، والثاني في العلوم الشرعية والدينية ، والثالث في العلوم العقلية والفنون النظرية ، والرابع في الشعر والشعراء من أهل الهند . وداخل كل باب فصول كثيرة ، وهو يختص كل فصل منها بعلم من تلك العلوم ، ويسمي الكتب المؤلفة فيه قديماً وحديثاً ، ويذكر مصنفات علماء الهند المسلمين (سنة وشيعة) وغير المسلمين ، وما ألف أو ترجم في اللغات العربية والفارسية والأوردو والإنكليزية ، وكثير من علمائهم بؤلفون بالإنكليزية أو ينقلون عنها ، وينقلون عن الفرنسية أيضاً .

وكتابه هذا بفضل في ترتيبه مثل (كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون) ، فإن مؤلف (الكشف) رحمه الله قد رتب علومه على حروف الهجاء ، بحيث تذكر الألف مع الباء ، ثم مع التاء الخ ٠٠٠ ، فاضطر أن يذكر فصولاً يفرق فيها ما حقّه أن يكون مجتمعاً . فقد ذكر في أول علوم القرآن مثلاً (ص ١٢٠) علم إعجاز القرآن وإعراجه ، ثم أورد علوماً كثيرة في حرف الألف مع الغين والفاء والقاف والكاف واللام ، كعلم الآلات الحربية والرصدية ، ثم عاد فذكر في حرف التاء علم التجويد (ص ٢٥٥) وفي التاء مع الشين علم تشبيه القرآن واستعاراته ، (ص ٢٨٦) وبينها فنون مختلفة .

وما يلاحظ - في عرض نماذج من الشعر الهندي في مختلف العصور - أبيات فيها من سؤال الخلق ، ما لا يقدر عليه إلا الخالق سبحانه ، وما يحرم طلبه من غيره .

وبلاحظ في « تراجم القرآن الكريم » أنها كثيرة بالأورد ، وقليلة بالانكليزية ، « ومنها ما هو ترجمة حرفية » ص ١٦٩ .

وأقول : إن المعقول أن تبلغ دعوة الإسلام إلى كل أمة بلغتها ، وتدرس الخاصة القرآن والعلوم الدينية ، والفنون العربية والأدبية بلغة القرآن ، ليتذوقوا إعجازه وإعجازه ، أما الترجمة الحرفية ، فهي متعذرة في كثير من كلماته ، لا سيما أسماء الله تعالى وصفاته ، وكنت كتبت في مجلة المجمع العلمي : لمف العربية انتشرت - تبعاً للإسلام - في قارات الأرض الثلاث : آسية وإفريقية وأوربة ، ودخلت أعم كثيرة في العروبة والإسلام ، فهل كانت تلاوة القرآن ودراسته بلغته إلا هدى ورحمة وإحساناً وتوفيقاً ، « تأخت فيه شعوب كثيرة ، وتماوت على مدينة كانت زينة الأرض ، وضياء ونوراً لأهلها » . ومؤلفات الأعاجم في لغة العرب تبلغ الألوف الكثيرة ، وحسبك ما أوردته المؤلف منها في كل علم وفن :

وقد رأينا في لاهور عام المؤتمر (سنة ١٩٥٧) وفي العاصمة كراتشي ودلي من علماء الهند الأجلاء من يلتزمون العربية الفصحى قولاً وكتابة وخطابة ، وهي لغتهم في بيوتهم ومجتمعهم .

ثم نقل المؤلف فصلاً في تاريخ التصوف ونشأته عن مقدمة ابن خلدون ، وآخر في تاريخ الفرق الإسلامية ، كالإمامية ، والجهمية ، والمعتزلة ، والחסنة ، والقرامطة ، وفي المأمون ، وفتنة المعتزلة ، وأبي الحسن الأشعري ومذهبه وأئنته ، والماتريدي ، وكل ذلك مأخوذ من كتاب « الخطط والآثار » للمعري ، ثم مذهب الشيعة الإمامية ، وكيف ظهر وانتشر في الهند في القرن الثامن ، على يد الشيخ علي الهيدري ، وكيف تشيع الملوك والأمراء ، وأكره عددًا من غير المسلمين على التشيع ، حتى قيل إن (٢٤) ألفاً من الهنادك تشيعوا ، ثم تسلسل ذلك في الدعاة والسلاطين والرعايا ، وتشيع نظام شاه (٩٤٤ هـ) على يد الشيخ طاهر بن الرضي المهداني ، ولقنه الولاء والبراء ، وتشيع معه ثلاثة آلاف نفس من رجاله ، وأخرج أسماء الخلفاء الثلاثة من الخطبة ، ووظف الإلغنيين عليهم في جميع بلاد الدكن (ص : ٢١٧ - ٢١٨) . ثم تفرق الإمامية في بلاد الهند ، وجمع دعائهم الناس على الصلوات الخمس ، ورضي ولائهم في ذلك (في ١٣ رجب سنة ١٢٠٠ هـ) وكان آصف الدولة وأخلافه يبذلون العطايا وأقطاع الأرض على التشيع ، فتشيع كثير من الناس طوعاً وكرهاً ، وكانت فتنة عظيمة ، ثم صنف الشيخ عبد العزيز بن ولي الله الحديث الدهلوي كتابه المشهور (تحفة ائنا عشرية) ، وصنف الشيعة في الرد عليه عدة كتب ، وتصدى أئمة السنة لها ، وألفوا كتباً كثيرة في الرد عليها ، وفي « الثقافة الإسلامية » أسماء هذه النقود والردود . ثم الكلام بين النصاري والإسلام ، وبين الإسلام والهنادك ، وديانة القادياني والردود عليها ، ومذهب

النيجربين (الطبيين) ، والمراد بهم أتباع أحمد بن محمد الدهلوي المتوفى (سنة ١٣١٥ هـ) ، والردود على تأويلاته العجيبة الغريبة ، ورسائل في السنة والبدعة ، والنوحيد والشرک .

ثم علم المناظر (ص ٢٧٢) الذي قال فيه المؤلف رحمه الله : (ومن يريد أن يقف على صنائع أهل الهند ، فله أن يذهب إلى اگر ، ودھلي ، وبقرا الكتابات في الجوامع والمقابر ، وأن يرى القباب والمنارات ، لاسيما في روضة (تاج كنج) (ضريح التاج محل) ببلدة اگر ، لعله يتغير منها ، ويطير عقله ولبه من حسن الصنعة) . وأقول :

قد زرنا تلك الأماكن ، ورأينا ما يأخذ بالألباب ، وأعجبنا بها كل الإعجاب . وهذه النبذة البسيرة لا تغني عن مراجعة هذا الكتاب ، الذي أثبت فيه مؤلفه فضلاً كبيراً لأهل الهند في كل علم ، لاسيما في علم الصحة والطب ، والكتب في أنواع الأمراض وعلاجها ، والاكتشافات الطبية لأهل الإسلام ، من وقف على هذا وغيره - بعد وقوفه على مثل الفهرست لابن النديم ، وكشف الظنون ، وما زاده المتأخرون كصديق حسن خان (والمؤلف ينقل عنها وعن غيرها) - ير إلى منتصف القرن الرابع عشر للهجرة علوماً وكتباً واسعة ، وفصولاً مهمة بارعة ، وما ذكرته قليل من كثير ، ولا يغني عن مطالعة هذا السفر الجليل ، فرحم الله المؤلف ، وأثابه عليه أجزل الثواب ، وجزي جمعنا العلمي الذي قام بطبعه خير الجزاء .

ديوان السيد موسى الطالقاني ١٢٣٠ - ١٢٩٨ هـ

تحقيق واعتناء : محمد حسن آل طالقاني

مطبعة الفري الحديثة - النجف

الشعر مادة الأدب ، وديوان العرب ، فهو مرآة أخبارهم ، ومجلى آثارهم ، ومحط رحالهم ، وقد قال قائلهم :

إن لم تقل إن نظم الشعر مكرمة فأني مكرمة أقيمت للعرب
بان الكرام فلا عين ولا أثر إلا أساطير قد سطرن في الكتب
وأما الآن ديوان الشاعر الناصر العلامة السيد موسى الطالقاني النجفي ، وديوانه هذا كبير الحجم ، مؤلف من (٤٣٤) صفحة بالقطع المتوسط ، ماعدا الفهارس المتنوعة ، وقد بلغت نحو أربعين صفحة ، منها تسع للمقدمة ، وها هي ذي : فهرس المواضيع ، والقوافي ، والأعلام ، والقبائل ، والأسماء ، والبيوت ، والبلدان ، والأمكنة والبقاع . مثلها فهارس الديوان ، وفي أوله تقرّظ للعلامة الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، فكلية إهداء من محققه وناشره الأستاذ الأديب السيد محمد حسن الطالقاني النجفي إلى أستاذه الجليل المؤرخ الجليل الشيخ آغا بزرگ الطهراني ، وقد زين كتيبه بصورة شيخه ، ثم أتبعها بنشر صورته ، ووصفها بيئتين من شعره .

وفي صدر الديوان وصف لأسمرة الطالقاني ، وكلمات موجزة في تراجم أجداد ناسر الديوان منذ هاجر جدهم الأعلى من طالقان (بلدة في إيران) إلى النجف (من سنة ٩٣٥ إلى عصرنا ١٣٧٦ هـ) ، وفيه نبذة من ترجمة السيد محمد حسن الطالقاني ، وهذه التراجم بقلم شيخه العلامة الطهراني ، وتلي ذلك حياة الشاعر الكبير السيد موسى بقلم المحقق السيد محمد حسن ، مهّد لها بكلمة في الشعر

والأدب في البقاع والبلدان ، وخص أدب العراق بما فيه من طيب الأرض ، وحسن المنبت ، ونوه بفضل النجف في ذلك على غيره ، ثم أتى على ترجمة صاحب الديوان ، فذكر نسبه وأمريته ، ونشأته ، وأساتذته ، ومكانته العلمية ، ومنزله الاجتماعية ، وأخلاقه وصفاته ، وشاعريته القوية ، وآثاره ، وأولاده وأحفاده ، وأقوال العلماء والأدباء فيه ، وختمها بوصف النسخ التي قبلها الديوان ، وظروف نشره .

قسم ناشر الديوان هذه المجموعة الكبرى التي اشتملت على نحو ستة آلاف بيت ، والتي عانى في جمعها السيد الحسن ماعاني ، قسمها ووزعها على المدايح والمراثي ، والوجدانيات ، والتهاني ، والموشحات ، والحماسيات ، والتخميس والنشيطير ، والمراسلات ، والإخوانيات ، وختمها بالتمفرقات ، وفي هذه الأبواب كلها إبداع وإمتاع ، وشعر بفيض رقة وشعورا ، ونغراً وحماسة ، وشيماً وأباءاً ، وعزة وعلاء ، وعلاوة على كون مؤلفه من نخول رجال القريض ، فهو من شيوخ العلم الأجلاء .

وقد ازدان الديوان بما ذبله به ناشره من تعليقاته المفيدة ، وآرائه السديدة ، واستدراكاته العديدة ، وقد جاء بحمد الله كما قال : « كتاب تاريخ كما هو ديوان أدب ، حوى كثيراً من التراجم والستير ، والأمثال والحكم ، والشواهد والفوائد ، ومثل هذا اللون هو المطلوب لدى رجال البحث والتحقيق ، ومؤرخي الأدب » . وقد استفدنا من فوائد هذه التعليقات أضعاف ما استفدنا من الأصل ، لا سيما تاريخ الأسر العلمية في النجف ، وكثير من أعلامها ، وقد ذكر المراجع الخطية والمطبوعة منها ، وأشار إلى أجزائها ورفق صفحاتها ، وألمح إلى من سبق المؤلف إلى بعض المعاني البدئية في شعره ، وأورد الشواهد على ذلك من كتب الشعر والأدب والتراجم .

وقد ذكر الأستاذ الناشر طائفة من أقوال العلماء ، وآراء المؤلفين والأدباء في صاحب الديوان وشعره ، وفضله وعلمه ، وأقول : لا شك في أن شعره يشف عن سلامة ذوقه ، وسمو روحه ، وكرم عاطفته ، ونزاهة قصده ، وعفته وزهده بما في أبدي الناس ، فقد كان رحمه الله واسع الحال ، موفور الحظ ، غنيا عما في أبدي الناس بما أسبغ المولى عليه من نعمه ، فقد كان ملاكاً له نخيل وضياح ، تغدق عليه من خيراتها ما يكفل له أطيب عيشة ، كما ذكر في ترجمته : «ولذلك نجد معظم شعره الغزل الذي كان يؤنس به نفسه ، ويفرح قلبه ، ويث أشواقه ، ولم يكن ليفكر بالنظم في غيره ، وقد خلق شاعراً بطبعه ، لأنه بكره مدح الناس» (١) .

وتجد الجواب بعد هذا في المقدمة عن مدحه لقريب أو صديق ، أو ذي شان وسطان ، قال :

شهد المجد أنني است بمن باع درّ الأشعار بالأنمان
لا ولم أهده لغير حبيب ذي وداد في السر والإعلان
أو لريم يرمي القلوب بطرف ناعس بوقظ الهوى بقطان
بات رهن الحسان قلبي وباضيعة قلب بيت رهن الحسان

وقد استغرقت قصائده الغزلية التي سميت بـ «الوجدانيات» مائة وأربعين صفحة من ديوانه ، وحسي أن أورد شواهد منها تدل على سائرها ، قال (ص ١٠٠) :

أمرتني ذات السوار ولا من ن لديها ولم أجد من فداء
عقد زنارها يحل قوى الصبر (م) ويوهي - إي والهوى - أعضائي

وقال (ص ١٠٥) :

لقد أصبحت ذا كلف طروباً وكم مثبت نفسي أن أتوباً

ولاح الشب وهو وفار غيري وطفل الشوق لا يرى المشيا
فدع عنك نفسك واسقنيها لعلني أن أحسن لها ديبيا
عقاراً مثل خذ الحب لونا أرى بين الضلوع لها لمبيا
لئن سبت العقول فكم أزلنا بها عنا الوساوس والكروبا
وقال (ص ١٠٧) :

كفته عن الحراس ليلاً ذوائبه وأغنته عن حمل السلاح حواجبه
نبي إلى العشاق أرسل هاديا إلى الحب بدعو والقلوب تجاوبه
فسفك الدما والديه ، والصد والجفا ونقض عهد العاشقين مذهبه
ألا فاسقني من سلسيل رضابه فياربما يُطفى من القلب لاهبه
وكنتم أرجو ألا أجد في ديوان هذا الشاعر المبدع ما ينأى عن شعره
القوي ، وقصده السوي ، وكان له في أبواب الديوان ما يغنيه عن وصف
بنت الحان والألحان ، وعن الغواني الخرد الحسان ، وسائر ما يفري بوضفه
المستعدين من الشبان ، ولكنها سنة كثير من شعراء العلماء ، فهم ينفون عن
احتساء الصبأ في كتبهم الدينية ، وبنأون عنها ، وتراهم يغفون بها في قصائدهم
ومقطوعاتهم الشعرية ، وكان لهم من مشاهد الكون ومن آياته تعالى في الآفاق
وفي الأنفس ، ما بدعو الناشئين إلى الجد في العمل ، وبغني مقلدي شعر الجاهلية
عن وصف الطلل ، والوقوف « بسقط الأولى بين الدخول فحومل » .

وبلاحظ في أمر المديح والاطراء ما هو أدخل في الإغراء ، وأخطر في
باب الدعاء ، بدعاء من لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ، ولا موتاً ولا حياة
ولا نشوراً ، وطلب ما لا يطلب إلا من الغني القوي القادر ، القائل : « ادعوني
استجب لكم » « وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان »
فليستجيبوا لي ، وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون » . وهذه الآيات المفردة تدل
على قصائدها ، وعلى ما هو في معناها مما استشهد به من شعر غيره . قال مخاطباً
أمير المؤمنين علياً عليه السلام :

أنت الوجود وفيك قد وجد الوري ولأنت منظر ربنا والمسمع
(ص ٩)

كُرِّبَ أَلَمْتُ بالفؤاد وعندها صدري يضيق
ولأنت يا غوث الصريح بكشفها عني حقيق
(ص ١٠)

وقال مستغيثًا بالمهدي المنتظر :

رام الزمان هواني واستصغر الدهر شاني
فقلت مهلاً سأشكو إلى إمام زماني
(ص ١٣)

وقال مخاطبًا الإمام موسى بن جعفر (ع ٠ م) :

تَحَمَّسْتُ مِنْكَ أَنْ تُقْضَى دُبُونِي وَأَرْجُو أَنْ تَبْلُغَهَا مِنَاهَا
(ص ١٣)

لا تخف هول تكبير في غد أو منكر لا ، ولا تخش عذاب الله يوم المحشر
(ص ٦٢)

هو عين الله فينا والصراط المستقيم وهو الجنة والنيران - في الحشر - قسم
(ص ٦٣)

لم يكن آدم لولاه ونوح في الوجود لا ، ولم تؤمر له الأُملاك يوماً بالعبود
(ص ٦٣)

لم يكن لولا عليٍّ مَلِكٌ أو مَلَكٌ لم تكن لولاه تسري فلكتها والفلك
(ص ٦٣)

وصي المصطفى حقاً قسم النار والجنة

(ص ٣٤١) أحد بيتين عزهما للشافعي .

والجواب عن هذه الأبيات الشعرية وما مائلها في قوله تعالى خطاباً لخاتم رسله وأفضل خلقه : « قل إني لا أملك لكم ضرراً ولا رشداً » قل إني لن ينجيني

من الله أحد ، ولن أجد من دونه ملتحدا » وقال سبحانه « أم من يجيب المضطر إذا دعاه وبكشف السوء » . وقال : « وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون » وقال : « الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أبكم أحسن عملا » فأين تقع هذه الدعاوي الشعرية من هذه الآيات الكريمة القطعية الثبوت والدلالة على معانيها وأين هذا الاغترار بقسمة الجنة والنار ، من قوله تعالى « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة » فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أثبتنا بها ، وكفى بنا حاسبين » . وما حق أهل العلم والايمان أن يجاروا العامة في مثل هذه الأمور . وإخواننا الشيعة بدرسون تاريخ الإسلام ، وسيرة الصحابة لاسيما أئمة آل البيت عليهم السلام ، وهم يعلمون أن الصحابة تناظروا بعد وفاة النبي (ﷺ) في أمر الخلافة ، وفي جمع القرآن ، وفي المعارك الدامية كوقعة الجمل وصفين ، والنهرवान والحرة ، وتناظر الشيخان في قتال مانعي الزكاة ، وفي إرسال جيش أسامة ، ولم يستغيثوا بسيد الخلق ، في هذه الشدائد ولا استفتوه في شيء منها بعد وفاته ، كما كانوا يفعلون في حياته ، وكل هذا معلوم من الدين والتاريخ بالضرورة ، ومن العقل والحس والوجدان بالبداهة ، فيجب رد ما يتجدد من الوقائع والحوادث الى الوحي المنزل ، وما عرف من سنن الصدر الأول . وجدير بالعلماء العاملين في كل مكان ، أن يتخذوا شذرات من سير الأئمة ملائمة لروح المجتحمين ، مغذبة لعقولهم ، باعثة على حسن الاستماع والاتباع .

جاء في سيرة السلطان أحمد شاه (ص ٣ - ٧ من الديوان) أنه هو الذي ذهب المنارات والقباب ، على ضرائح الأئمة ، ونهب أموال الأئمة ، وأوغل في الفسق والفجور ، وكان الوالي من قبل الدولة العثمانية آنذاك مدحت باشا ، وهو خبير من ولي العراق من آل عثمان (ص ٣٣٩) وسجل له التاريخ كثير آ من الآثار . (قال) : وبؤخذ عليه اهتمامه الكثير وعزمه الشديدي على الاستيلاء على خزائن الإمام علي عليه السلام وبيعها ، واستعمال المال في مشاريعه ، وقد

أخفق والله الحمد اه . أقول : ليت الإمام علياً كان حياً لما أهديت إليه هذه الخزانة ، إذآ لرأيت أزهى الزهاد بما فيها ، وأمرهم في إنفاقها على مستحقها ، فما هو ممن يكتزون الذهب والفضة .

وفي رحلتنا إلى العراق في وفد علمي (في ١٨ / ٤ / ١٣٧٨ = ١١ / ١ / ١٩٥٨) أسعدنا التوفيق بزيارة أئمة آل البيت عليهم السلام ، وشاهدنا المنارات والقباب والأضرحة في كربلاء والكوفة والحلة والنجف ، وكلها مطلية بالفضة الخالصة ، ومغشاة بالذهب وفيها النفائس . ومن حولها الفقراء والضعفاء يذكرنا بقول حافظ إبراهيم رحمه الله :

أحيائنا لا يرزقون بدرهم وبألف ألف ترزق الأموات
من لي يحظ النائمين بحفرة قامت على أحجارها الصلوات ؟

اعتذر الناشر الكريم عما وقع في الديوان من أغلاط مطبعية وإملائية وفي ضبط بعض حركات الإعراب ، — على بذله في تصحيحه جهداً مضنياً بلمسه الأدباء وأهل الفن كما قال . والحق أنا لمسنا الأمرين معاً : الخطأ الكثير في الأنواع الثلاثة الأولى ، والإجادة في تصحيح كلمات الديوان ثراً وشعراً ونرجو أن يصحح الخطأ كله في طبعة ثانية لأن شاء الله تعالى .

أضيف إلى جدول الخطأ والصواب ما يأتي :

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤٩ م	١٥	توجد	توجدان
٥٠	٢٢	القَبَس	المُقْتَبَس
٥٢	٤	كان . . فيض نفسي	فيضاً نفسياً

٢٠ في الحاشية ٢ أو يوم ذي مسغبة « أو إطعام في يوم » الآية
وفي الختام نشكر الأديب الكبير الأستاذ السيد محمد حسن آل الطالقاني على تحقيقه لهذا الديوان ، وعنايته بنشره .
محمد بهجة البيطار

آراء وأبناء

أعضاء المجمع العلمي العربي في سنة ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م

أعضاء العاملون

١ - الرئيس : الأستاذ خليل مردم بك

٢	الدكتور اسعد الحكيم	١٠	الأستاذ عز الدين التنوخي
٣	الأُمير جعفر الحسني (أمين السر العام)	١١	فارس الخوري
٤	الدكتور جميل صليبا	١٢	الشيخ محمد بهجة البيطار
٥	حسني سنج	١٣	الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي
٦	حكمة هاشم	١٤	محمد كامل عياد
٧	سامي الدهان	١٥	مرشد خاطر
٨	الأستاذ شفيق جبري	١٦	الأُمير مصطفى الشهابي (نائب الرئيس)
٩	عارف النكدي	١٧	الدكتور منير العجلاني

أعضاء المراسلون

	(الجمهورية العربية المتحدة)		(ج.ع.م. الاقليم الجنوبي)
	الاقليم الشمالي		
١	الدكتور عبد الرحمن الكبيالي	١١	الدكتور عبد الوهاب عنان
٢	الأستاذ عمر ابوريشة	١٢	الدكتور منصور فهمي
٣	محمد سليمان الاحمد	١٣	الأُمير يوسف كمال
٤	الدكتور قسطنطين زريق	١٤	الأستاذ أنيس المقدسي لبنان
	(ج.ع.م. الاقليم الجنوبي)	١٥	بشارة الخوري
٥	الأستاذ احمد حسن الزيات	١٦	الشيخ سليمان ظاهر
٦	الدكتور احمد زكي	١٧	الدكتور صبحي الحمصاني
٧	الأستاذ احمد لطفي السيد	١٨	عمر فروخ
٨	خليل ثابت	١٩	الأستاذ مارون عبود
٩	الدكتور طه حسين	٢٠	الأب اس. مرمجي الدومنيكي فلسطين
١٠	الأستاذ عباس محمود العقاد		

٤٦	الاستاذ آصف علي أصغر فيضي الهند	٢١	الاستاذ قدري حافظ طوقان فلسطين
٤٧	أبو الحسن علي الحسيني الندوي =	٢٢	محمد الشربقي =
٤٨	عبد العزيز الميمني باكستان	٢٣	احمد حامد الصراف العراق
٤٩	يوسف البنوري =	٢٤	الدكتور داود الحلبي =
٥٠	الدكتور بلاشير (رجيس) فرنسا	٢٥	الاستاذ ساطع المصري =
٥١	كولان (جورج) =	٢٦	طاه الهاشمي =
٥٢	لاوست (هنري) =	٢٧	عباس الزاوي =
٥٣	ماسه (هنري) =	٢٨	الشيخ كاظم الدجيلي =
٥٤	ماسينبون (لويس) =	٢٩	الاستاذ كوركيس عواد =
٥٥	أريي (أ. ج. ٠) بريطانية	٣٠	الشيخ محمد بهجة الاثري =
٥٦	جيب (٠.١٠.٥) =	٣١	الاستاذ محمد رضا الشبيبي =
٥٧	غليوم (الفرد) =	٣٢	الدكتور مصطفى جواد =
٥٨	ريتر (هلموت) المانية	٣٣	الاستاذ منير القاضي =
٥٩	هارتمان (ريشارد) =	٣٤	الشيخ محمد نور الحسن السودان
٦٠	دبدرنغ (س. ٠) السويد	٣٥	الاستاذ حمد الجاسر المملكة العربية السعودية
٦١	الدكتور ضودج (بيارد) الولايات المتحدة	٣٦	خير الدين الزركلي =
٦٢	الاستاذ فيليب حتي =	٣٧	علي الفقيه حسن ليبيا
٦٣	غومز (اميليو غارمينا) اسبانية	٣٨	حسن حسني عبد الوهاب تونس
٦٤	الدكتور اشتولز (كارل) النمسة	٣٩	محمد الطاهر بن عاشور =
٦٥	الاستاذ موجيهك (هانز) =	٤٠	محمد البشير الابراهيمي الجزائر
٦٦	ماهلر (ادوارد) المجر	٤١	عبد الحفي الكتاني مراکش
٦٧	جبراييل (فرنشيسكو) ايطالية	٤٢	عبد الله كنون =
٦٨	الدكتور شخت (يوسف) هولاندة	٤٣	علال الفاسي =
٦٩	الاستاذ بدرمن (جون) الدانيمرك	٤٤	احمد اتش تركية
٧٠	كرسينكو (يوحنا هنتن) فنلاندة	٤٥	الدكتور علي أصغر حكمت ايران
٧١	رشيد سليم الخوري البرازيل		

أعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون

(ج.ع.م.م. الاقليم الشمالي)	(ج.ع.م.م. الاقليم الشمالي)
٢٣ الشيخ بدر الدين النعساني	١ الشيخ طاهر الجزائري
٢٤ = راغب الطباخ	٢ = سليم البخاري
٢٥ = عبد الحميد الجابري	٣ = مسعود الكواكبي
٢٦ = عبد الحميد الكيالي	٤ = الاستاذ الياس قدمي
٢٧ = محمد زين العابدين	٥ = أنبس سلوم
٢٨ = الدكتور صالح قنباذ	٦ = جميل العظم
٢٩ = الشيخ سليمان الأحمد	٧ = سليم عنخوري
٣٠ = الاستاذ ادوار مرقص	٨ = عبد الله رعد
٣١ = الشيخ سعيد العرفي	٩ = رشيد بقدونس
٣٢ = البطريرك مار اغناطيوس افرام	١٠ = اديب التقي
(ج.ع.م.م. الاقليم الجنوبي)	١١ = الشيخ عبد القادر المبارك
٣٣ = الاستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي	١٢ = الاستاذ معروف الأرنؤوط
٣٤ = رفيق العظم	١٣ = السيد محسن الأمين
٣٥ = احمد كمال	١٤ = الاستاذ الرئيس محمد كرد علي
٣٦ = احمد تيمور	١٥ = محمد البزم
٣٧ = احمد زكي باشا	١٦ = سليم الجندي
٣٨ = الدكتور يعقوب صروف	١٧ = الشيخ عبد القادر المغربي
٣٩ = السيد محمد رشيد رضا	١٨ = الأب جرجس شلحت
٤٠ = الاستاذ حافظ ابراهيم	١٩ = جرجس منش
٤١ = احمد شوقي	٢٠ = الاستاذ قسطنطين الحصي
٤٢ = الشيخ احمد الاسكندري	٢١ = الشيخ كامل الغزي
٤٣ = الاستاذ اسعد خليل داغر	٢٢ = الاستاذ ميخائيل الصقال
٤٤ = داود بركات	

٦٩	الشيخ ابراهيم المنذر	لبنان
٧٠	الاستاذ جرجي بني	"
٧١	الشيخ احمد رضا	"
٧٢	الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف	"
٧٣	فيليب طرازي	"
٧٤	الشيخ فؤاد الخطيب	"
٧٥	الدكتور نقولا فياض	"
٧٦	الشيخ سعيد الكرمي	فلسطين
٧٧	الاستاذ نخلة زريق	"
٧٨	الشيخ خليل الخالدي	"
٧٩	الاستاذ عبد الله مخلص	"
٨٠	محمد اسعاف النشاشيبي	"
٨١	عادل زعيتير	"
٨٢	محمود شكري الآلومي	العراق
٨٣	جميل صديقي الزهاوي	"
٨٤	معروف الرصافي	"
٨٥	طاهر الراوي	"
٨٦	الاب انستاس ماري الكرمل	"
٨٧	الشيخ محمد بن ابي شنب	الجزائر
٨٨	الاستاذ محمد الحجوي	مراكش
٨٩	زكي مغاشر	تركية
٩٠	الشيخ ابو عبد الله الزنجاني	ايران
٩١	الاستاذ عباس اقبال	"
٩٢	الحكيم محمد أجمل خان	الهند
٩٣	الاستاذ فران (جبرئيل)	فرنسة
(ج.ع.م. ٢٠٠٠)	الأولم الجوني	
٤٥	الدكتور امين المعلوف	
٤٦	الاستاذ مصطفى صادق الرافعي	
٤٧	الشيخ عبد العزيز البشري	
٤٨	الدكتور احمد عيسى	
٤٩	الأمر عمر طوسون	
٥٠	الشيخ مصطفى عبد الرزاق	
٥١	الاستاذ انطون الجميل	
٥٢	خليل مطران	"
٥٣	ابراهيم عبد القادر المازني	"
٥٤	محمد لطفي جمعة	"
٥٥	الدكتور احمد امين	
٥٦	الاستاذ عبد الحميد العبادي	
٥٧	الشيخ محمد الخضر حسين	
٥٨	الاستاذ حسن بيهم	لبنان
٥٩	الأب لويس شيخو	"
٦٠	الشيخ عبد الله البستاني	"
٦١	الاستاذ جبر صومط	"
٦٢	عبد الباسط فتح الله	"
٦٣	الشيخ عبد الرحمن سلام	"
٦٤	مصطفى الغلاييني	"
٦٥	الاستاذ عمر الفاخوري	"
٦٦	بولص الخولي	"
٦٧	امين الريحاني	"
٦٨	الامير شكيب ارسلان	"

٩٤	الاستاذ هوار (كلمان)	فرنسة	١١٤	الاستاذ هرزفلد (ارنست) الولايات المتحدة
٩٥	بوف (لوسيان)	=	١١٥	سارطون (جورج)
٩٦	مالنجو	=	١١٦	كرانشكوفسكي (أ) الاتحاد السوفياتي
٩٧	كي (أ)	=	١١٧	برتلز (ابفيكين)
٩٨	باسه (رينه)	=	١١٨	الاستاذ آسين بلاسيوس (ميكل) اسبانية
٩٩	ميشو بلير	=	١١٩	لويس (دافيد) البرتغال
١٠٠	مارسيه (وليم)	=	١٢٠	جويدي (اغنازيو) ايطالية
١٠١	دوسو (رينه)	=	١٢١	ناليو (كارلو)
١٠٢	مرجليوث (د. س. س.) بريطانية	=	١٢٢	غرينيني (اوجينيو)
١٠٣	بفن	=	١٢٣	مونه (ادوارد) سويسرة
١٠٤	براون (ادوارد)	=	١٢٤	هس (ج. ج.)
١٠٥	كرينكو (فريتز)	=	١٢٥	كوفالسكي (ت.) بولونية
١٠٦	هومل	المانية	١٢٦	موزل (الوا) تشكوسلوفاكية
١٠٧	ساخاو (ادوارد)	=	١٢٧	هورغرينيه (هنوك) هولاندة
١٠٨	هوروفيتز (يوسف)	=	١٢٨	اراندوك (ك.)
١٠٩	هارتمان (مارتين)	=	١٢٩	هونسما (م. ت.)
١١٠	مينفوخ (اوجين)	=	١٣٠	بوهل (ف. م. ب.) الدانمارك
١١١	بروكن (كارل)	=	١٣١	استروب (ج.)
١١٢	غولد صير (اغناطيس) المجر	=	١٣٢	سترسين (ك. ف.) السويد
١١٣	ماكدونالد (د. ب.) الولايات المتحدة	=	١٣٣	سعيد ابو حمرة البرازيل

انتخاب عضو جديد

انتخب المجمع العلمي العربي في جلسته المنعقدة في يوم
٢١ آذار (مارس) سنة ١٩٥٨ برئاسة الأستاذ الرئيس السيد
خليل مردم بك الدكتور محمد كامل عياد عضواً عاملاً في
المجمع العلمي العربي مكان المرحوم الرئيس محمد كرد علي .

وقد صدر عن رئاسة الجمهورية قرار بتاريخ ١٩ صفر سنة ١٣٧٨
و ٣ ايلول (سبتمبر) سنة ١٩٥٨ رقمه ١٥٤١ لسنة ١٩٥٨
يقر هذا الانتخاب .

سيدي الزميل^(١)

يطيب لي أن أستقبلك اليوم في مجعنا لا لتعريف بك ، بل لأقول لك ما أمسكته عنك وطوبته زماناً طويلاً على قرب الدار ، وكثرة الاتصال بيني وبينك . وما حداني على التصدي لاستقبالك إلا ما أمثله من تشوقك الى معرفة ما يقال فيك . فإذا أقول ، وأنت تعلم أن ما أشعر به من الميل اليك ، على قربك ونأبك ، لشعور يجعلني كثير الارتباك ، في وصف شمائلك ومزايك ، هذا مع ما أجده في نفسي من انعقاد اللسان ، وجود الخاطر ، وذهاب البيان . ولكنني سأحاول أن أفي لك بما لم أف به حتى الآن ، على أن يكون لك الفضل عليّ فيما سمحت لي به من حرية القول ، على النحو الذي مرت عليه في كلامك على مؤرخ الشام ، أستاذنا ورئيسنا المرحوم محمد كرد علي . لقد كان رحمه الله أجلّ الناس في زمانه ، وأكرمهم في وقته ، وأعلمهم بتاريخنا العربي القديم ، فإذا كان المجمع قد دعاك اليوم الى المكان الذي خلا بوفاته ، فهو إنما يدعو مؤرخاً فيلسوفاً الى احتلال كرسيّ كاتب كبير ، وعالم مؤرخ . كان مولدك ، يا سيدي ، فيما أخبرني عن نفسك في مدينة طرابلس الغرب ، وكان والدك الشيخ (علي عياد) أول من مال من أمرتكم الى العلم ، فأثعب نفسه في تحصيله حتى بلغ منه مناه . أما والدتك فكانت من بني المسعودي ، وهم بيت مشهور من أهل طرابلس الغرب ، أدباء وفقهاء ، يتوارثون الفضل كابراً عن كابر ، وتالياً عن غابر ، وقد سمّاك أبوك (كاملاً) على اسم صديقه (كامل الأُسعد) تيمناً بما يشير اليه هذا الاسم من تقدم وارتقاء . واملّ ذلك أن يكون من أسباب إطلاقه اسم (التريقي) على الجريدة التي أصدرها وقتئذ

(١) الكلمة التي ألغاهما الدكتور جميل صليبا في جلسة استقبال العضو العامل الجديد الدكتور محمد كامل عياد في ٢٠ كانون الأول سنة ١٩٥٨ .

للدعوة الى ما كان يرغب فيه من تقدم واصلاح ، على النحو الذي سار عليه رجال الدولة العثمانية في الآستانة بعد إعلان الدستور . فلما أغار الايطاليون على طرابلس الغرب اضطرر والدك الى الحرب الى (استنبول) على ظهر باخرة ألمانية ، فعينه الدولة العثمانية حاكماً على (مرجعيون) ، ثم رئيساً لكتاب المحكمة الشرعية في (حلب) ، ولم يزل يتقلب في مناصب القضاء بعد جلاء الأتراك عن سورية حتى أصبح عضواً في محكمة التمييز في دمشق .

إن هذه الاشارة السريعة الى حياة والدك تكفي لإبراز ما تعاقب على نشأتك من أحداث ، وما طرأ على حياتك في زمن حدائك من تغير ، فقد تلقيت علومك الابتدائية في مدارس طرابلس الغرب ، ثم رحلت مع والدك الى (استنبول) ، فانتسبت الى المدرسة الرشدية في مدينة (بورصة) ، ثم الى المدرسة السلطانية في مدينة (حلب) ، ورأى والدك بعد ذلك أن يرسلك الى المدرسة الصلاحية التي أنشأها الأتراك في مدينة (القدس) لإعداد الدعاة ، فانتسبت اليها وتوجت رأسك بالعمامة خلال أربعة أشهر ، ثم جلوت عن القدس مع من جلا عنها في أواخر الحرب العالمية الأولى ، وعدت الى المدرسة السلطانية في حلب لإتمام دراستك الثانوية ، فلما حزت شهادتها تذكركت الباخرة الألمانية التي تقلتك مع والدك الى استنبول ، فرحلت الى ألمانيا ، ودخلت جامعة برلين ، فما من علم اجتماعي أو فلسفي إلا وقد أخذت منه هناك بأوفر نصيب ، وحصلت منه على أعلى ذروة .

سألتك مرة عن العلم الذي كنت تميل اليه في المدرسة الثانوية فقلت لي : العلم الرياضي ، فلم أجده سبباً لتحوُّلك عن هذا العلم الى الفلسفة ، إلا ما يجده بعض علماء النفس من علاقة بين الاستعداد للرياضيات ، والاستعداد للفلسفة . وربما كان من نقائص حياتك أن تهوى بعد ذلك دراسة التاريخ ، لأن موضوع التاريخ الحوادث الجزئية ، وموضوع الفلسفة الحقائق الكلية . وكمن فيلسوف

أنكر دراسة التاريخ لاعتقاده أن العلوم التي تستند الى الذاكرة لا تبلغ من الضبط العلمي ما تبلغه علوم العقل . ولكنك باسيدي لم تقنع من دراسة التاريخ بوصف الواقعات وذكر الأعداد ، والجيوش والمعارك ، بل تعمقت في بواطن الأمور ، وبحثت عن العوامل الطبيعية والنفسية والاقتصادية المؤثرة في التطور ، شأنك في ذلك شأن فلاسفة التاريخ الذين يبحثون عن القوانين الكلية المحيطة بالحوادث الجزئية .

ويسرني أن أقول لك الآن إن كتاب فلسفة ابن خلدون الذي ألفته بالألمانية ، قد تضمن الكثير من فلسفة التاريخ التي أخذت بها فيما بعد . فقد ذكرت في هذا الكتاب أن ابن خلدون أراد أن يربط علم التاريخ بعلم الاجتماع ، فحدد موضوع هذا العلم ، وطريقة بحثه ، وبين أن الحوادث التاريخية والاجتماعية خاضعة لمبدأ السببية ، ثم تصدّبت بعد ذلك لبحث فلسفة ابن خلدون في التاريخ والاجتماع والتطور ، فأشرت الى العوامل المؤثرة في التاريخ ، والى أسس الحياة الاجتماعية ، فذكرت منها الميل الغريزي الى الاجتماع ، والميل الى التقليد ، وختمت بحثك هذا بالكلام على المنظمات الاجتماعية كالأُسرة والقبيلة والدولة وغيرها . وأعلك أردت من بحث فلسفة ابن خلدون الاجتماعية أن ترضي من حاجات نفسك حاجتين ، وأن تحقق بذلك غايتين : الأولى هي ميلك الى تحليل الواقعات التاريخية بالعوامل المؤثرة فيها ، والثانية هي اعتزازك بقوميتك ورغبتك في تعريف قراء الألمانية بأساطين الفكر العربي . وقد تمّ لك هذا فكان كتابك في الألمانية عمدة المستشرقين ، ومرجعاً من مراجع العلماء والباحثين .

ويشاء القدر بعد إنهاء دراستك في ألمانيا أن تعود الى سورية في أشد أيام الاستعمار قسوة ، وأكثرها ظلاماً واضطراباً ، فتحاول أن تعمل في الصحافة ، فتجد الصحافة مقيدة ، وتحاول أن تنخرط في سلك الموظفين ، فتجد الأبواب موصدة في وجه الذين تلقوا علومهم في ألمانيا ، ولكنك حاجتك الى كسب الرزق

بعد إحالة والدك على التقاعد اضطررتك الى طرق أبواب التعليم في شروط قاسية ، فلما فتحت أمامك أبواب المدارس الثانوية أظهرت من البراعة في التعليم ما دل على استعدادك القديم له . لقد كنت تعتقد إذ ذاك أنك صاحب رسالة ، وأن خير وسيلة لتأدية رسالتك تعليم النشء ، وتثقيف أبناء الشعب ، ولا أزال أذكر حتى الآن اجتماعنا في مدرسة التجهيز في دمشق ، يوم كنا نعقد الحلقات للمذاكرة والمسامرة ، وتداول الكتب والمجلات للمطالعة والمناقشة ، وتبادل وجوه النظر في المناهج التربوية ، والأحداث السياسية والاجتماعية .

ليس في صفاتك ياسيدي ، صفة أدل على سجيبتك من حبك للتعليم ، إنك تحب تعليم الصغار كما تحب تعليم الكبار ، ولم أر بين إخواني المعلمين من أحب تلاميذه أكثر منك ، إنك تحبهم لبراءتهم وطهارتهم وضعفهم وقلة تجاربهم ، وهم يحبونك لملك وإخلاصك وجرأتك وتفانيك في خدمتهم ، أنت معلم ومرب معاً ، لم تزل تعلم أبناء هذا الجيل حتى أصبحت لهم والداً ، وأين كان الله لم يمن عليك بعد بولد من صلبك ، لقد كان لك من أبناء هذا الجيل طلاب كثيرون أحبك كما يحب الأولاد والديه ، لقد علمت الفلسفة والتربية والتاريخ في مدارس دمشق الثانوية ، وفي دار المعلمين العالية في بغداد ، وفي كليتي التربية والآداب في جامعة دمشق خلال ربع قرن ، فخرّج على يدك الكثيرون من قادة هذا الجيل ، وإذا كان يسرُّك الآن أن يسير بعض هؤلاء التلاميذ على خطتك ويحققوا ما دعوت اليه كل أيام حياتك من مبادئ سامية ، فإنه ليخزئك أن ينكر بعضهم تعليمك وإرشادك ، ويضع في دولاب التطور عصاً تمنعه من الدوران . ومهما يكن من أمر فإن تبعة ذلك لا تقع عليك ، لأن السحاب الذي يمحو بالغيث على الأرض لا يسأل عن إنباتها الشوك والحنظل ، وأنت كذلك لا تسأل عما يتصف به بعض هؤلاء من فطانة براءة ، وكياسة خرقاء .

وهل أنت ياسيدي إلا من عنصر أولئك العلماء الذين قرنوا العلم بالعمل ، تعلمت العلم وعلمته ، ثم ألفت فيه عدة تصانيف ، اشتركت معي في تأليف أحد كتب المنطق ، وفي نشر بعض النصوص الفلسفية ، واشتركت مع الدكتور جورج حداد ، والدكتور نظيم الموالي في تأليف بعض كتب التاريخ للمدارس الثانوية ، وانفردت بتأليف كتاب الأخلاق ، وترجمة رسالة عنوانها كتب التاريخ والنظام الدولي ، ولك تصانيف أخرى لم تطبع بعد ، ككتاب تاريخ اليونان ، وتاريخ التربية ، وغيرهما . وإذا ذكرت الآن هذه التصانيف ، ذكرت معها ما كان من حرصك على جمعها للطلاب ، فأنت لم تؤلف كتبك لطلب الشهرة والمثالة ، ولا لعقد الرياسة بين الناس ، أو مدح الجاه عندهم ، بل ألفتها لتقر عينك بانتفاع الطلاب بها ، وكأني بك تقول في نفسك إن العلماء لا يدركون السعادة إلا بنشر العلم ، فان احتاجوا الى العلم في خاصة أنفسهم فهذا من فضل الله ، وان احتاجوا اليه للناس فهذا خير وأبقى ، ولو علمت أن الناس لا يمكنهم الانتفاع بكتبك ، لكساد سوق العلم ، لأحرقتهما لقله جدواها كما فعل أبو حيان قبلك ، ولكنك تعتقد لحسن الحظ أن الحقيقة يجب أن تذاع بين الناس ، وأن من كان قابضاً على الحقيقة ، ولم يعمل على نشرها لم يكن عالماً حقيقياً ، فلا غرو اذا عملت على نشر الحقيقة بتعليم الطلاب وتأليف الكتب لهم ، ولولا اضطراب حياتك وكثرة العوائق المحيطة بك لأنجزت من التصانيف ما يبحر الكثيرون عن انجازه ، ولكنك ياسيدي لم تجد في المجتمع الذي تعيش فيه أي مشجع لك على بلوغ غايتك ، فقاومت ما استطعت المقاومة ، وجاهدت ما استطعت الجهاد . رأيت مرة أن تلتحق بالإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية ، لتوسيع نطاق عملك ، فلم تلق فيها ما هو مؤمل منها ، فأوردك ذلك بأساً من الإصلاح ، حبب اليك العزلة والبعد عن الناس ، قلت لي في كتاب بعث إلي به من القاهرة : « ليس عندي من جديد أذكره

عن حياتي هنا ، فقد طابت لي العزلة التي وجدت نفسي فيها ، ولذلك تراني أتخاض كل ما يمكن أن يفسدها » ، ولكن أنى لك أن تلقي عصا الترحال وتستريح الى عزلتك ، وفي نفسك ما فيها من حب العمل والنضال والاصلاح ، ألم تعد بعد ذلك إلى دمشق لمتابعة نضالك في الحقل الاجتماعي ؟ ألم تستأنف محاضراتك ومقالاتك التي كنا ننشوق اليها في زمان عزلتك ؟ . وهل لرجل مثلك أن يشعر بأمراض المجتمع ولا يعمل على شفائه منها ؟ لقد دعوت كل أيام حياتك الى حرية الفكر ، والعدل الاجتماعي ، ودعوت الى السلام والصدقة ، ودافعت عن النظام الديموقراطي ، وناديت بالاشتراكية والتعاون ، فكنت في كل ما دعوت اليه إماماً يقتدى به ، ويهتدى بهديه .

لم أر قط بين أقرانك من أحب الكتب والعلوم أكثر منك ، فانه لم يقع بين يديك كتاب إلا استوفيت قراءته كأننا ما كان ، وما دخلت عليك مرة إلا رأيتك تنظر في كتاب أو تقرأ مجلة أو صحيفة يومية . وسبب ذلك أنك تحب الاطلاع على كل ما يكتب في زماننا من آراء ، وما ينشر فيه من مذاهب ، وما يحدث فيه من واقعات ، وقد وهبك الله ميلاً الى استطلاع الأخبار ، واستقصاء الحقائق والآثار ، لأنك مؤرخ وصحافي معاً . وهذا الميل الى الصحافة يوضح لنا الكثير من مراحل حياتك ، فقد عملت في جريدة الشرق ، باشراف رئيسنا المرحوم محمد كرد علي ، وزملائنا المرحومين الأمير شكيب أرسلان ، والشيخ عبد القادر المغربي ، والشيخ بدر الدين النصفاني ، وعملت بعد ذلك في جريدة (العرب) التي أصدرها الأستاذ سامي السراج في حلب ، ثم سافرت الى طرابلس الغرب ، فأصدرت بامم والدك جريدة اللواء الطرابلسي ، ثم أصدرت في ألمانيا مع بعض الزملاء مجلة الحمامة ، وجريد حدى الاسلام ، فنشرت فيها عدة مقالات فلسفية واجتماعية وسياسية ، وكنت خلال إقامتك في ألمانيا تراسل جريدة (المفتبس) ، فلما عدت إلى سورية أسهمت

في تحرير جريدة فتى العرب ، وجريدة الأيام ، فكنت فيها من أحسن المحررين والمترجمين ، ثم أصدرت معي ومع الزميل عن الدين التتويحي ، وبعض الزملاء مجلة المعلمين والمعلمات ، واشتركت معي ومع أسناذنا الرئيس خليل مردم بك والدكتور كاظم الداغستاني في إصدار مجلة الثقافة ، وأصبحت مع بعض الأدباء في إصدار مجلة الطليعة في دمشق ، ومجلة الطريق في بيروت ، وكتب في مجلة المعلم الجديد ، ومجلة المعلم العربي عدة مقالات تربوية ، وتوليت بعد ذلك تحرير مجلة كاتبة التربية ، ولا تزال حتى الآن تنشر في صحف دمشق اليومية والأسبوعية آراءك الاجتماعية والسياسية ، فهذا كله يدل على أنك خلقت صحافياً ومعلماً ، لم تقتصر على نشر أفكارك بواسطة التعليم في المدارس ، بل عملت أيضاً على نشرها بواسطة الصحافة .

أنت ياسيدي ممتع المحاضرة ، إلا أنك لا تتصدى للارتجال ، فلا تتكلم في موضوع إلا إذا هيأته ، وهذا فيما أعتقد خير من ارتجال الكلام بغير ترتيب ، إن كلامك في محاضراتك كثير الخلاوة ، مفعم بالطلاوة ، لأنك تنفرد بموضوعات لا يتناولها غيرك ، فتجمل معانيك قريبة من الأذهان بما تضمنها إياه من النوارد اللطيفة ، والاشارات الطريفة ، ولا يكاد أحد يراك في كلامك جافاً ، جامد الفكر ، وإنما أنت في جميع محاضراتك مستوف فنون القول ، كأنك موج لجة ، أو سيل منهدر . لقد حوت محاضراتك من أصناف العلم أحسنه ، ومن فنون الثقافة أجودها ، وإذا كان من الصعب عليّ الآن أن أذكر جميع الموضوعات التي حاضرت فيها ، فإنه إن يفوتني ذكر محاضراتك التي ألقيتها في جمعية المقاصد الخيرية والجامعة الاميركية في بيروت ، ودار الكتب الوطنية في حاب ، عن الانسان الحديث ، ومستقبل الثقافة ، ورسالة الجامعة .

قلت في محاضرتك عن الانسان الحديث : « إنه محصول تطور تاريخي طويل ، فقد تقلبت عليه حوادث كثيرة واجتاز مراحل عديدة ، وتعرض

لأزمات متنوعة ، وكان من أثر ذلك أن كثرت عناصر شخصيته وتضاربت وأصبحت نفسيته كما نشاهدها اليوم في منتهى التعقيد والاضطراب » .

فالإنسان الحديث في نظرك هو الإنسان الذي يحاول أن يخضع الواقع لسيطرة العقل ، وهو يختلف عن الإنسان القديم باتجاهه الديني المطلق ، ويجمعه أفكاره وعواطفه وأفعاله في الحياة الواقعية ، وكأنني بك عندما تصف هذا الإنسان ، وتبين تطوره ، تدعونا إلى النسيج على منواله ، لأنك تقول إننا لا نستطيع أن نبني لأنفسنا حضارة مستقلة إلا إذا عرفنا الإنسان الحديث حق المعرفة ، ودرسنا تطوره الفكري ومنازعه العلمية . ومع أنك تجد في أفعال هذا الإنسان ما يدعو إلى الخجل والاشمئزاز ، وما يثير الشفقة والخوف ، فانك تعتقد أن الأزمة التي تعانيها الحضارة الحديثة ستنتهي لا محالة ، كالطفل الذي يمتاز عهد المراهقة ، فيماني أزمة حادة ، ثم ينتقل بعدها إلى حالة الاستقرار والطمأنينة .

فأنت ترى إذن أن الحضارة الحديثة تقوم على العلم والبحث العلمي ، وأن العلم الحديث المستند إلى المشاهدة والتجربة والتأمل العقلي ، هو السبب في الازدهار الاقتصادي ، والتقدم الاجتماعي . وإذا كان هنالك ، في الحياة الحديثة مشكلات ، فإن هذه المشكلات لم تنشأ عن طبيعة الإنسان وأناقته ، بل نشأت عن فساد الأوضاع الاجتماعية التي لا تلائم طرق التفكير العلمي الحديث ، ولا طرق الانتاج المعاصرة .

وقلت في محاضرتك عن مستقبل الثقافة : « لاحظ العرب منذ أوائل القرن التاسع عشر ما تمتاز به الحضارة الغربية من وسائل القوة المادية ، وأدركوا أنهم لن يستطيعوا مقاومة الاستعمار الغربي إلا باصطناع الوسائل ذاتها . من هنا قامت الدعوة في البلاد العربية إلى ضرورة اقتباس الثقافة الحديثة ، لأنها أساس

النهضة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية» (ص ٥) وقلت أيضاً :
 «إن الحضارة الحديثة هي التي تسيطر اليوم على العالم ، ولا سبيل لأي شعب
 أن يحافظ على كيانه دون مجاراة هذه الحضارة» (ص ٣٢) . وقلت أخيراً :
 « هناك فئة تسمي نفسها بالمعتدلة ، تريد أن يقتصر الاقتباس على محاسن
 الحضارة الغربية ، وعلى تلك النواحي من ثقافتها التي تتلاءم مع خصائصنا
 وتقاليدنا وعاداتنا . ونقطة الضعف في هذا الرأي هي الصعوبة في تحديد الصفات
 والتقاليد والعادات التي نختص بها والتي يجب أن نحافظ عليها ، ثم الاختلاف
 حول المعيار الذي يميز المحاسن من المساوي » . لقد اجتاحت حضارة الغرب
 بلادنا بصناعاتها وأنظمتها ومذاهبها ، ولبست المشكلة الآن أن نبحث ونناقش في
 هذا التطور ، هل هو خير أم شر ، وأن نقابله بالاستمسان أو الاستهجان ،
 ولكن المشكلة هي أن نعلم ماذا يجب أن نعمل للسيطرة على الأوضاع الجديدة ،
 وجوابك على ذلك أن من واجبنا في الظروف الحاضرة أن نعمل على زيادة
 الانتاج ، وتنمية الثروة العامة ، وتلبية حاجات الحضارة ، وهذا كله يحتاج الى
 الأخذ بأسباب العلم الحديث وطرق بحثه . انا نقاخر ونعتز بما انصفت به
 الثقافة العربية في عهود ازدهارها من المرونة ، والقدرة على التكيف ، واتساع
 الآفاق ، ومجاراة التطور ، فلماذا لا ننسج اليوم على منوال أجدادنا في اقتباس
 الحضارات والثقافات الأجنبية . لقد سارع أجدادنا الى الاقتباس عن جميع
 الأمم على أوسع مقياس ، ومن واجبنا في العصر الحاضر أن نعمل على اقتباس
 الثقافات الأجنبية كما فعل أجدادنا في الماضي ، وأهم ما نحتاج اليه من هذه
 الثقافات التفكير العلمي ، والنظر العقلي ، لا التفكير الصوفي أو الروحي الذي
 يريده لنا المستعمرون ، ولا بكفي في نظرك أن تبنى النخبة الممتازة في بلادنا
 ثقافة الغرب وحضارته ، بل ينبغي كذلك أن تنتشر هذه الثقافة في الجماهير الكادحة

من عمال وفلاحين ، لأنه لا فائدة من تجهيز الفلاحين بالآلات الزراعية إذا هم لم يتعلموا قبل ذلك كيف يحسنون استخدامها ويحافظون عليها .

وليس ما قلته ياسيني عن اقتباس الثقافة الغربية بخافٍ على الناس ، ولكن أكثرهم لا يجروءون على التصريح به كما فعلت . ومع أنك تدعو الى الأخذ بثقافة الغرب ، وأسباب حضارته ، فأنك لا تهمل تراثنا الثقافي القديم . إن محاسن هذا التراث بادية لعينيك ، بارزة في دروسك ومحاضراتك ، ولكنك لا تريد أن تأخذ منها إلا الأعمدة القوية ، والعناصر المتينة الصالحة للبناء الجديد .

وما قلته في كلامك على رسالة الجامعة : « ليس البحث العلمي مجرد فعالية فكرية مستقلة عن الزمان والمكان ، والدراسة الجامعية نطل عقيدة ونصبح عبثاً ثقيلاً إذا هي لم تجهز الشباب بالوسائل اللازمة لفهم العالم الذي يعيشون فيه ، وتفسير الحوادث التي تجري حولهم » . فإذا اقتصرنا الجامعة على البحث النظري المجرد لم تقم بوظيفتها الاجتماعية ، وإذا طلب العلم لذاته ، دون أن يتخذ وسيلة لإصلاح المجتمع والسيطرة على الطبيعة ، كان عبثاً ثقيلاً ، لانقطاع الصلة بينه وبين الحياة الواقعية .

نعم إن مفهوم الجامعة يتضمن في نظرك الإخلاص للعلم والحقيقة ، وإن الجامعة لا تبلغ غايتها « إلا إذا تدرّب طلابها على طريقة البحث العلمي وتعودوا النقد الصريح ، وشعروا بالمسؤولية ، واحترموا حرية الفكر والقول ، وانصفوا بالنساح » ، ولكن الجامعة التي لا تخرج من عزلتها ، ولا تشارك في الحياة العامة مشاركة فعالة ، ولا تنشر العلم بين الناس ، ليست جامعة كاملة ، فأهداف الجامعة في نظرك إذن هي التعليم والبحث العلمي ، والإعداد المهني ، والتدريب المسلي ، وتربية الشخصية وتنقيتها ، ونشر الثقافة في جمهور الشعب .

ذلك بعض ما جاء في محاضراتك من إشارات صادقة وأقوال نافعة ،

وأتى لي أن أحبط الآن بجميع ما تضمنته محاضراتك وأحاديثك من دعوة إلى الإصلاح . فقد حملت على ما في واقعنا الأليم من فساد ، ودعوت إلى إصلاح هذا الفساد بالتعليم والتربية والإرشاد ، ولما بدا لك أن الإصلاح بطريق التربية يحتاج إلى زمانٍ طويل ، عمدت إلى نشر أفكارك في الجماهير بطريق الصحافة ، ثم عملت بعد ذلك على تأسيس الجمعيات العلمية والفنية والأدبية فالتجذرت متفصلاً لمنازعتك الاجتماعية والانسانية ، ولو لم تجد إلا في هذه الجمعيات متفصلاً لنشاطك الثقافي لكفى ، فكيف بك وقد سافرت في رحلات ثقافية إلى ألمانيا ، والاتحاد السوفياتي ، ورومانيا ، وبولونيا ، وتشيكوسلوفاكيا ، وفرنسا ، وإيطاليا ، واسبانيا ، وسويسرا ، اطلعت فيها على ما جد من المسائل العلية والاتجاهات الفكرية ، ونقلته إلى طلابك ومرئيك ليعملوا به ، فالعلم كما تقول إنما يراد للعمل ، فإذا كان العمل قاصراً عن العلم ، كان العلم مصيبةً على الفرد والمجتمع .

لذلك رأيت يا سيدي أن تفرق العلم بالعمل ، وأن تتولى التوجيه والإرشاد ، فكنت عالماً ومعلماً ، مؤلفاً وصحافياً ، عالماً وكاتباً ، فيلسوفاً ومؤرخاً معاً ، وما نشرته حتى الآن من الكتب والمقالات والمحاضرات يكفي لرفعك إلى الدرجات العلى بين مفكري العرب المعاصرين ، فكيف بك وقد عزمت على إتمام رسالتك العلمية والأدبية بانضمامك إلى جمعنا ؟ .

إن في أسلوبك يا سيدي تموجاً يشبه تموج أفكارك ، جملة متموجاً ليدل على ما في تفكيرك من حياة ، وعلى ما في حياتك من قوة ، ولو شئت أنت تكون جامداً كالجلجل المشرف على أمواج البحر ، لا عجزت عن رصف أفكارك رصفاً هندسياً محكماً . ولكنك آبيت أن تكون كاملاً فأشبهت معبد الفلسفة الذي أنشئ بالقرب من ضريح (جان جاك روسو) ، ترك أحد أجنحته ناقصاً للاستدلال به على أن عمل الفلسفة لم يتم بعد . ألم توالف كتاباً في الأخلاق

شبيهاً بهذا المعبد الفلسفي ، ألم تتكلم فيه على الوجدان ، والحق ، والواجب ، والشفقة ، والاحسان ، والتضامن ، والتعاون ، والحربة ، والكرامة ، والتقدم ، والصدق ، والصرامة ، والنزاهة ، والامسرة ، والعمل ، والاقتصاد ، دون أن تتم فيه كلامك على الحياة السياسية ، والعلاقات الدولية ، فكأنني بك ، وقد رأيت ما يعتور العلاقات الدولية من اضطرابٍ وتبدل ، لم تشأ أن تحكم عليها حكماً نهائياً فاصلاً ، تاركاً لغيرك من المتأخرين أن يتمحوا ما بدأت به من أحكامٍ مربعةٍ صادقة ، وتنبهاتٍ نافعةٍ محكمة .

أنت ياسيدي كثير العلم والاستقصاء ، محقق في الخبر والاثـر ، فإذا أردت تقرير الحجة في عقول الجماهير ، وتخفيف المؤنة على المستمعين ، عمدت الى الأمثال الحسية ، والنكتات اللطيفة ، والأفكار المقبولة في الأذهان ، فاخترت لها أسهل الألفاظ ، وصغتها في قالب مجبـر الى النفس ، بعيد عن التكلف ، ولا تزال تزداد من هذه السهولة والعذوبة حتى تجيء ألفاظك في وزن اشاراتك ، ومعانيك في طبقة ألفاظك ، وأنا ما قرأت لك كلاماً إلا وجدت ألفاظك أسرع الى ذهني ، من معانيك إلى قلبي ، لأنك تطلق لقلبك العنان ، في غير خطـل ولا إملال ، فتبلغ بسهولة اللفظ ، وحرية القول ما لا يبلغه غيرك بالفصاحة والبلاغة ، وإذا قبل ان في أسلوبك انعطافاً يشبه تماطفك في مشيتك ، فعذرـك في ذلك أنك مطبوع على البساطة والصرامة ، بعيد عن التكلف ، تفضل جوهر القول على صورته ، وحقيقته على لفظه .

أنت ياسيدي لا تشعبي أن تعيش في نظامٍ كالنظام الذي فرضه الفيلسوف (كانت) على نفسه ، ولا تحب أن تكون مقيداً بقيود العادات والتقاليد . أنت تعتقد أن كل شيء في الحياة يتغير ويتغير ويرتقي من حالٍ الى حال ، فكـم من كربة فادحة صبرت عليها لملك أنها زائلة ، وكـم من مشكلة تغلبت عليها

باستغفارك بها ، ولعلّ ذلك أن يكون من نتائج الثقافة التاريخية التي ملأت
 بها نفسك ، لقد ثقت التاريخ ، والفلسفة ، وعلم الاجتماع ، فأدركت ذلك مردّة
 فكرية حيث اليك النظر الى الأشياء من جهات مختلفة . وأنت يا سيدي
 عجيب الفراسة ملهم ، صادق الخدس نقّاب ، رقيق المسلك فطن ، قد رزقك الله
 من قوة التحليل ، وكثرة الاستقصاء والتعليل ما جعلك نقاداً ، تشك في كل فكرة ،
 وتبحث عن نقاط الضعف في كل مذهب . ولكنك مع ذلك لا تتعصب لأمر
 ولا تفرط في رأي ، وهذا يا سيدي تأويل حيي لك ، إني أحبك لشكك
 وتسامحك واختلاف وجوه نظرك . وأنا أحمد الله على أن كانت مرتبتك في
 النقد والدعوة الى الحق فوق مرتبتك في التسامح . وقد كان لك علي بانتصارك
 للحق نعمة أذاقتني طعم العز ، ألم تستقل من وظائف التدريس احتجاجاً على
 نقلي من وزارة المعارف ، ألم ترحل الى العراق احتجاجاً على تعسف المستشار الفرنسي ،
 ألم تتهجر بالحق لما مسخ الله أخلاق زماننا فلم يترك فيها مثابه من الأخلاق .
 انك تؤثر أن تعبش حرّاً كريماً ، ولا أعلم صفة أجمع لمزاياك من العزة والكرامة .
 هذا يا سيدي بعض ما بدا لي أن أقوله في يوم دخولك مجمعنا ، فاذا قصرت
 في وصف مزاياك وتحليل سجيّتك ، فمذري أنني أعرفك كما أعرف نفسي ،
 ومن الصعب على الإنسان أن يتجرد من العاطفة في وصف نفسه . وهبني استطعت
 أن أبتعد عن العاطفة وأن أقف منك ، وقف العالم من الشيء الخارجي ، فإني إن
 أستطيع أن أوفيك حقك من الوصف في خطاب واحد . وما ذنبني اذا أغفلت
 كثيراً من صفاتك هرباً من الإطالة ، أو صيانةً للقلم من رسم ما لا حاجة الى
 التحدث به . ان الشيء اذا استعلن استجنى ، والشمس اذا نفذ شعاعها الى
 العين دفعة واحدة أعشاها .

ومن حسن حظي يا سيدي أن يشرفني المجمع بتقديمك في هذا المساء ،
فما توقيت من هذا التقديم إلا التعريف بفضلك ، وإلا الإشارة إلى ما ينتج
في صدرك من حب العلم والأدب . وإذا كنت قد أنسيت في حديثي عنك
الكثير من جوانب حياتك الغنية بالفضائل ، فانه لن يفوتني التنويه بما انطوت
عليه نفسك من كرم وإباء ، وصدق ووفاء ، وإيمان بالعروبة والإنسانية .

ويسرني الآن أن أقول لك أنني متفائل باستقبالك في مجعنا بين عهدين ،
عهد المجمع العلمي العربي الذي انتجت عضواً فيه ، وعهد المجمع العربي للجمهورية
العربية المتحدة . ففي انضمامك إلى مجعنا ربح لنا ، وفي انضمامنا إلى إخواننا في
القاهرة أنالفت مجمع واحد ربح للغة العربية ، والقومية العربية ، فأنت آخر
السابقين وأول اللاحقين ، وكمن تقدم أحرزناه بانضمام اللاحقين إلى السابقين
الخالدين ! وأنا أقترح عليك الآن أن تكتب لنا تاريخاً تضمنه كفاح الشعوب
العربية الحديثة في سبيل استقلالها ووحدةها ، ونضالها في سبيل لغتها وثقافتها ،
لأنك يا سيدي مؤرخ وفيلسوف معاً ، أحببت التاريخ كمن خلدوت لملك
أن التاريخ ، وهو علم العبر ، يذكر الأمم بماضيها ويدعوها إلى الاعتزاز
بتراثها ، وأحببت الفلسفة كما أحبها سقراط لملك أن الفلسفة تعرف الإنسان
بنفسه ، وتكشف له عن حقيقته وغايته .

جميل صليبا

مجمع

سادتي الأفاضل ^(١)

يجز لساني عن التعبير عن عواطف الشكر والامتنان التي أشعر بها لما أوليتموني من شرف الانساب الى مجتمعكم الكريم . وبقيني أنكم تعلمون تقصيري في ميادين الفصاحة والبلاغة وأنكم لذلك سوف تنظرون الى كلتي هذه بما اشتهر عنكم من اللطف والتسامح .

ولا يساورني أدنى شك في أنكم لا تنتظرون مني بحثاً شاملاً عن الأستاذ الرئيس (محمد كرد علي) ، فقد عاشتموه زمناً طويلاً وعرفتم عنه كل شيء . وقد أجاد عضو الجمع المحترم الدكتور سامي الدهان في كلمة الذكرى التي كتبها عن الأستاذ الرئيس فأبدع في تصوير شخصيته الجذابة وتعداد مزاياه السامية ووصف حياته الحافلة والاشارة الى آثاره الجليلة . ثم أقدم عميد الأدب في الشام الأستاذ الكبير شفيق جبري على إلقاء محاضراته عن (محمد كرد علي) بمعهد الدراسات العربية العالية في القاهرة فبلغ منتهى الكمال في الاستقصاء والتحليل . وقد عادت هذه المحاضرات بالذاكرة الى العصر الذي نشأ فيه (محمد كرد علي) وكشفت عن أثر ذلك العصر في تحديد ثقافته وتوجيه تفكيره وتقرير منهجه في العمل . واستفاضت المحاضرات في بيان المعارك التي خاضها (محمد كرد علي) في سبيل الإصلاح والتقدم ، فوصفت لنا جهاده العنيف في ميدان الصحافة ودفاعه الجيد عن العرب والإسلام . وقد برهن الأستاذ شفيق جبري على براعة فائقة في تحليل تأليف (محمد كرد علي) وإبراز محاسنها الكثيرة دون إخفاء عيوبها القليلة ، كما انه لم ينسَ على نقائص الأستاذ الرئيس وشدة

(١) الكلمة التي ألقاها الدكتور محمد كامل عياد في جلسة استقباله عضواً عادلاً ، مترجماً لها سلفه المرحوم الأستاذ الرئيس محمد كرد علي .

عصبته وصعوبة مزاجه ، لأن هذه العيوب والنقائص والاندفاعات لا تقلل من الإعجاب بنبوغه وفضله وجهاده .

أيها السادة !

لقد قبض لكم أن تعيشوا مع الأستاذ (محمد كرد علي) فوجدتم فيه رائداً وقائداً ناضل وضحي في سبيل تأسيس المجمع العلمي العربي ودافع عن كيانه وبذل جهوداً جبارة لتنظيم أعماله واعلاء شأنه .

وقد تقدمتم أشواطاً بعيدة في الطريق التي نهجها ، وكان لكم الفضل في تحقيق الكثير من الأهداف التي وجه الأفكار إليها .

وأظن أنكم انما تكرومتم بانخباي زميلاً لكم كي أشارك معكم ، بقدر استطاعتي ، في العمل على بلوغ جزء آخر من تلك الأهداف .

هذه المهمة تفرض علي أن أتحدث إليكم عن بعض النواحي من نشاط الأستاذ الرئيس ومباحثه التي استرعت انتباهي واستطعت الإلمام بها .

عرفت الأستاذ (محمد كرد علي) منذ سنة ١٩١٧ ، عندما كان يحور في جريدة (الشرق) . ومن المعلوم أن هذه الجريدة كان قد أسسها القائد التركي (جمال باشا) وحشد عدداً من كبار الكتاب للاشتراك في تحريرها مثل الأستاذ (محمد كرد علي) والأمر شكيب أرسلان والشيخ عبد القادر المغربي والشيخ بدر الدين النعساني . وقد اشتغلت فيها ، وأنا تلميذ ، بترجمة الأخبار من الألمانية الى العربية . وهكذا سنحت لي الفرصة لأتدرب على الصحافة تحت إشراف الأستاذ (محمد كرد علي) . كما قمت بعد ذلك بمراسلة جريدته (المقتبس) أثناء دراستي في جامعة برلين بين سنة ١٩٢٢ و ١٩٢٨ .

في غمار الصحافة :

كان الأستاذ (محمد كرد علي) صحافياً في الدرجة الأولى . ولا بد لنا من تذكر هذه الحقيقة عند البحث في تفكيره وأعماله وفي الحكم على شخصيته . لقد مارس الصحافة منذ أول شبابه إذ أخذ يكتب المقالات في الجرائد وهو ابن ست عشرة سنة ، حسب قوله . ثم تولى ، وهو في الثانية والعشرين من عمره ، تحرير جريدة (الشام) ، واصل أثناء ذلك بمجلة المقنطف ونشر فيها بعض المقالات .

وفي مصر تولى تحرير جريدة (الرائد المصري) ثم جريدة (الظاهر) وكتب في جريدة (المؤيد) المشهورة ، كما أسس مجلة (المقتبس) الشهرية . وبعد الانقلاب العثماني سنة ١٩٠٨ عاد الى دمشق ونقل اليها المجلة وأصدر الى جانبها جريدة يومية بالاسم ذاته . . . رأى الأستاذ (محمد كرد علي) في الصحافة وسيلة فعالة للإصلاح . فانصرف الى هذه المهنة بكل قواه وسعى جهده الى رفع مستواها ونجح في ذلك نجاحاً باهراً .

كانت دعوته منذ بادى الأمر تتلخص ، كما يقول ، في « حفز العرب الى العمل النافع والتذرع بالمشاريع المنتجة ، وبعث القرائح واستخدام الكفاءات ونشر التعليم بين الطبقات الجاهلة » . (المذكرات ، الجزء الأول صفحة ٦١) . انه كان يتصور الصحف « كمدارس سيارة تنير الأفكار وتعرف الناس معاني المدنية وتطلمهم على أحوال الأمم ونهوضها ، والدول وصياستها ، وتحمل اليهم مجملات من العلوم والآداب » . (« أقوالنا وأفمانا » ص : ١٧٠) .

وقد أشاد الأستاذ الرئيس بالجهود التي بذلتها الجرائد والمجلات في بلاد الشام لغرس الروح الوطنية في المجتمع وتلقين الشعب تربية سياسية صالحة ،

وقال انها علت الجماهير « استعمار المستعمرين وتدليس المدلسين ، وأن أممهم كانت شيئاً مذكوراً فيما مضى وأنه لا حياة لأحفادها بدون الاخذ من سيرة الأجداد والانتباس من المدنية الحديثة كل ما لا ينزع منهم مشغصاتهم ومقدساتهم ، وأن لا قيام لأمرهم إلا بالقومية العربية ، وأن نعمة الدين وحدها لا تنجيهم مما هم فيه لأن التساهل بأمور الدنيا يذهب بالدين والدنيا معاً ، كما علمتهم أن الغرب لا يريد خيراً للشرق وأن الشرق شرق والغرب غرب . . . » (خطط الشام الجزء : ٤ ص : ٦٠) .

ألا ان الأسناذ (محمد كرد علي) قد لاحظ أيضاً ما طرأ على الصحافة من فساد وانحراف فقال ان هناك صحفاً تضل العقول وتزيد في ظلمة الأفكار وتدعو الى أكثر من مذهب سيامي وتتناول معونات من عدة دول حتى توم الناس أنها آلة للنكسب والتدجيل ، لا أداة للوعظ والإرشاد والتعليم . لذلك كان ينتقد الحكومات لتساهلها في منح الطفيليين امتيازات اصدار الصحف .

صفات الصحافي :

وكان يشترط في الصحافي أن يكون على علم كثير وخبرة واسعة وأن يتقن لغة أو لغتين من لغات العلم والسياسة وأن يكون من طبقة تحسن استعمال عقلها والاحتفاظ بكرامتها ومن عانى البحث والدرس وتذوق الشرائع وأحاط بتاريخ أمته واجتماعها وحياتها الاقتصادية وثوراتها وضعفها وقوتها وأوضاعها وأحزابها وتقاباتها وشركاؤها .

ويصف الصحافي بأنه « قاض يتجدد على الأيام ما يعرض عليه من قضايا وتنقضية أحكامه ذوقاً سليماً وتقداً عادلاً وأدباً غنياً » . ويرى أن الصحافي « صاحب دعوة تفسد بأقل هوى ينبع وأنه مرابي عقول ونفوس ومفتي أمّة وعمران » . ويقول عنه « انه معلم لا انتهاه لمهته الا بانتهاه عمره » ومهنته

تتلون كل ساعة بلون وبطلب من صاحبها أبدأ أن يطلع على قرائه كل يوم يجدد . . هو يجمع الى عمل القاضي عمل الباحث والى صنعة الفنان صنعة النقاد والى صفة الأديب صفة الاقتصادي والى صرح الأدباء حكمة الحكماء . ويحتاج الى بديهة ، والى روية ، والى مرعة ، والى أناة ، يراقب كل صاحب سلطة ويدافع عن كل مظلوم وينفذ الى أحشاء كل أمر . هو صديق الحكومات وعدوهم وخطيب القوم ولسانهم ومؤرخهم ومؤدبهم ، يلقن ذوقاً وبلقح عقلاً ويدعو الى واجب ، يردد ما يرضي وما بغضب ، لا يكتم حقاً ولا ينشر الا عرفاً . (أقوالنا وأفعالنا من : ١٢٥) .

ألا يخجل اليك ، أيها السادة ، ان الأستاذ الرئيس عندما كتب هذه العبارات كان كأنما يصف نفسه ؟

كان الأستاذ (محمد كرد علي) صحافياً مثالياً ، مخلصاً لعمله ، شريفاً في مقاصده ، مدركاً لمسؤوليته ، صريحاً في إبداء آرائه . إلا أنه كان ، من جهة ثانية ، عاطفياً يتحمس بسرعة ويندفع بسهولة ويميل الى الشدة في نقد الفساد والانحراف ومكافحة الشر والفضال . وقد اعترف هو نفسه بأنه كان يغلو في الإنكار على المخربين حتى أصبح ذمهم ملكة مستحكمة فيه لا يستطيع الرجوع عنها ، وقال : « لا أنكر أن التيار كان بأخذني أحياناً ويشط بي القلم على غير عادي » . (المذكرات الجزء الأول : صفحة : ٦١٢) إلا انه يستدرك قائلاً : « لكنني لم ألبأ الى الطعن الشخصي بأحد » . وهو يعني بذلك انه ، عند مهاجمة الأشخاص الذين يعتقد فسادهم ، لم يكن يذكر أسماءهم . ولكن المقصودين بالنقد كانوا يعرفون أنفسهم ويعرفهم الناس .

كان طبعياً أن يتعرض الأستاذ (محمد كرد علي) بسبب هذا النقد الى الأخطار وأن يضطهده رجال الحكم وبغضب عليه أحوالهم . إلا أنه من جهة

أخرى نال شهرة واسعة ومكانة مرموقة في المجتمع لما انصف به من صراحة في القول وجراً في النقد وحماسة في سنبل الإصلاح . . .

من المؤسف أن الأستاذ (محمد كرد علي) قد انتهى به الأمر بعد الحرب العالمية الأولى إلى كره الصحافة وإلى إغلاق جريدته (المقتبس) لأسباب سياسية ذكرها في مذكراته . (الجزء الأول صفحة : ٦٢ - ٦٣) .

ومعها كان الأمر فاق اشتغال الأستاذ (محمد كرد علي) بالصحافة مدة طويلة قد ترك أثراً بالغاً في طريقة تفكيره وبجته : أنه أصبح واقعياً ، على صلة وثيقة بشؤون الحياة ومشاكل الناس ، بعيداً عن الأمور الخيالية والمفاهيم المجردة ، يميل في أسلوبه إلى الوضوح والسهولة والابحاز . إلا أن ممارسة الصحافة قد نهجت عنها صفات أخرى تدعو إلى النقد مثل التسرع وعدم التعمق والتناقض . وقد سعى الأستاذ (محمد كرد علي) إلى التحرر من هذه العيوب عندما انصرف أخيراً إلى البحث العلمي .

ظل الأستاذ الرئيس ، بعد الحرب العالمية الأولى ، يدعو إلى الإصلاح والتقدم وإلى الأخذ بأسباب القوة واستمر يعمل بنشاط لا مثيل له في المجتمع العلمي العربي ، يدير شؤونه ويكتب المقالات في مجلته ويلقي المحاضرات في قاعته ، كما كان في الوقت نفسه يؤلف الكتب وينشرها .

أسس الإصلاح :

إن الدعوة إلى الإصلاح عند الأستاذ (محمد كرد علي) تركز على بضعة أسس عامة ، محدودة ، مترابطة بدور بجته دوماً حولها في كتبه ومقالاته ومحاضراته وأحاديثه وهي : (١) إحياء تراث العرب والمسلمين ، محاربة الجود عند المشايخ وتنقية الدين من البدع والقشور ، (٢) تهذيب الأخلاق والعادات ،

٤) اتباع العقل والاهتمام بالأشياء العملية (٥٠) اقتباس كل ما ينفع عن المدينة العربية الحديثة . . .

كان للأستاذ فضل كبير في إحياء التراث العربي - الإسلامي ، فقد قام بتحقيق ونشر عدد من الكتب العربية القديمة في العلم والأدب كما شجع غيره على الاقتداء به في هذا . كذلك نشر مختارات نفسية من مؤلفات كبار القدماء عني بشرحها وبيان قيمتها . ولا جدال في فائدة هذا العمل وضرورته . فانه لا بد لنا في نهضتنا الحديثة من الاستناد الى تقاليدنا التاريخية . الا انه لن يتيسر لنا الاستفادة كما ينبغي من تراثنا القديم الا إذا أقدمنا على دراسة هذا التراث دراسة تحليلية ، انتقادية وتوصلنا الى تمييز ما هو صالح للحياة من الجامد البالي . .

الإصلاح الديني :

لم يتوقف الأستاذ (محمد كرد علي) منذ نشأته حتى آخر حياته عن مهاجمة الدجالين من رجال الدين ، وقد قال انه لا يفضض المشايخ لجرد أنهم مشايخ ، فقد درس على نخبة منهم أمثال الشيخ طاهر الجزائري والشيخ محمد المبارك والشيخ سليم البخاري ، الذين أخذ عنهم واستفاد كثيراً من نصائحهم وكانت دوماً يشعر نفوسهم بالحب والاعجاب والاحترام . الا أنه كان يسيء الظن بالمشايخ على الأجمال ويمقت الكثيرين منهم ، وينتقد مظاهر الفساد بينهم . وقد دافع الأستاذ بحماسة زائدة عن حركة الإصلاح التي قام بها رجال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده في مصر ثم الشيخ طاهر الجزائري في الشام ، وأشاد بذكر الإمام ابن تيمية الذي يسميه « أعظم مصلح في القرن الثامن وفي قرون كثيرة من قبله ومن بعده » والذي أراد ارجاع الدين الى نفسيره الأولي وتعرينه من القشور التي ألصقها به الجهلة المتحمسون » . (خطط الشام جزء ٤ ص ٥٠) ويقول عنه في مكان آخر : « لو عمت دعوته لاسلم هذا

الدين من تحريف المخرفين على الدهر ، ولما سمعنا أحداً في الديار الإسلامية يدعو لغير الله ، ولا ضريحاً تشد اليه الرحال بما يخالف الشرع ، ولا يعتقد بالكوامات على ما ينكره دين أتى للتوحيد لا للشرك ، ولسلامة العقول لا للخيال والخيال » . (كنوز الأجداد ، ص : ٣٦٧) .

وذهب الأستاذ الى أن « من أعظم مآدع الى انحطاط المسلمين غرامهم في عصور التدلي بصبح معظم أمور الحياة بصيغة دينية » . فهو يريد فصل الشؤون الدنيوية عن الدين على نحو ما جرى في الغرب .

اصلاح الأخلاق :

لم تقتصر حملات الأستاذ (محمد كرد علي) على المفسدين من رجال الدين ، بل انه أطلق العنان لقلبه في نقد الفئات الأخرى من الأمة أيضاً . وقد أغرق في وصف مظاهر التأخر والانحطاط والتفسخ والانحراف في سلوك كثيرين من الأشخاص الذين عاشهم أو سمع عنهم . هكذا نراه في آخر الجزء السادس من (الخطط) بعقد فصلاً طويلاً بعنوان « رأي في الأخلاق الشامية » يرسم فيه صورة مظلمة عن طبقات المجتمع كافة . وفي كتابه (أقوالنا وأفعالنا) ، ثم في (المذكرات) يروي حوادث لا تحصى عن فساد أخلاق الناس في هذا العصر ويشكو من انتشار الكذب والنفاق والحسد والغرور والمكر . وهو يعتقد أن السكوت عن العيوب عيب كبير وأنه لا سبيل الى النهضة قبل تقويم الأخلاق . على أن الكثيرين من الذين أبدوا دعوة الأستاذ الرئيس الى تهذيب الأخلاق والعادات قد ساءرتهم الشكوك في جدوى طريقته في الإصلاح القائمة على التشنيع السافر والنقد اللاذع والتقريع العنيف . بل ان بعض الباحثين يؤكدون أن أساليب الرعظ والإرشاد ، مما اختلف مظهرها ، لا تؤدي وحدها الى إصلاح الفساد الأخلاقي ، ويقول هؤلاء ان أخلاق الأفراد انما تعكس

أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية وانه لا يمكن لذلك تبديل هذه الاخلاق إلا بتغيير تلك الأوضاع .

وقد أهمل الأستاذ (محمد كرد علي) العلاقة بين الاخلاق وبين العوامل الاقتصادية والاجتماعية . لذلك لا غرابة اذا رأينا ان يستسلم في آخر الأمر الى التشاؤم واليأس فيصرخ في أول كتابه (أقوالنا وأفعالنا) قائلاً :

« ليقبل علماء الدين ما يقولون ، وليقرر علماء النفس ما يقررون ، وليكرر علماء الاخلاق ما يكررون ، فأنا أكره الشر ولا أقصد الآن الى مداواة صاحبه وأعشق العدل ولا أغضي عن يهدم عموده ، وأرغب في النظم السليمة ولا أغالط النفس في استصلاح الفاسد . . . ومن يقل للصالحات استعداده ، أنت لا تخلق ما حرمته الفطرة إياه ، ولو جهدت كل جهدك » . ثم أضاف يقول : « وطال الأمد على هذه الدعوة وانقضى العمر في أمل لم يتحقق منه بعض ما كان يرتجى وصرفت في هذه السبيل جهود لم يسترد منها عشرها ، فهل من مطمع بعد هذا في أن نجعل من جذع يابس غصناً نظيراً ، ومن جسم ميت كائناً حياً ؟ » .

ولئن رأينا الأستاذ يقول في ختام هذا البحث : « ولقد كنت ، كلما منبت النفس ، بأن الخير سيكون في الجيل الذي يلي . بعد الذي أنا أشكو منه ، أرى الزمان هو الزمان ، والناس هم الناس ، واذا الأبناء بنشأوا على غرار الآباء ، واذا اللؤم والحسد والدناءة عسيرة العلاج . . » - ، لئن رأينا الأستاذ يقول ذلك فلا يسعنا إلا أن نخالفه وندعي بأن الإصلاح ليس مستحيلاً ، وان كان عسيراً حقاً وأن الأجيال التي تعاقبت في الفترة الأخيرة قد ازدادت تقريباً من الخير وأن مواظب الأستاذ (محمد كرد علي) وارشاداته نفسها قد كان لها بعض الفضل في ذلك الى جانب المؤثرات الأخرى .

النزعة العقلية :

كان الأستاذ (محمد كرد علي) ، على الرغم من طبيعته العاطفية ، الانفعالية يؤمن بالعقل ويدعو الى سيطرته في حياة الفرد ونظام المجتمع . وقد جاء في كتبه بشواهد كثيرة من التاريخ تدل على أصالة هذه النزعة بين كبار المفكرين العرب والمسلمين الذين كان يريد الاقتداء بهم . فقرأ مثلاً بقول عن الجاحظ انه « المعلم الأول » ، يعلم الناس أن لا يؤمنوا بشيء الا اذا صح في نظام العقل ويريدهم على أن تدق ملاحظتهم ويرهف حسهم ، يعلم حربة النظر والبحث ولسان حاله : ان الدين لا يصلح بغير الدنيا وان الشريعة جاءت لإصلاح الأولى والأخرى » . (أمراء البيان جزء ٢ ص ٤٢٩) .

والسبب في إعجاب الأستاذ بالمدينة الغربية الحديثة يرجع الى اعتقاده بأنها قائمة على العقل والعلم . وفي رأيه انما تنجلي المدينة ، قبل كل شيء ، في السيطرة على الطبيعة وفي التقدم المادي . وقد قال : « الماديات هي السلم الموصل الى بلوغ القوة ، وأي معنويات لمن تجرد من المادة ؟ » (أقوالنا وأفعالنا ، ص : ٣١٢) . انه كان في كل المناسبات يطالب بتوجيه الاهتمام الى الأمور المادية العملية المفيدة ، والابتعاد عن الخيالات والأوهام ، وكان يحارب المشتغلين بالمسائل الروحية والغيبية . واليك ما كتبه في الجزء الرابع من المذكرات (صفحة ١٠٤٤) بعنوان « كتب الخيالات » ، قال :

« في العهد الأخير انصرفت همم بعض من يشتغلون بالفلسفة واللاهيات من رجال الجامعات العربية الى نشر بعض كتب قدماء الفلاسفة والمتصوفة . وكانت بعض النفوس تتشوف للوقوف عليها ، يخيلون أن فيها أمراً لو ظهرت لكشفت من نواويس الطبيعة ما تتقدم به الإنسانية وتعضي الأرواح من كثافتها وينجو البشر من القتل والتزوير والسرقة والكذب والظلم . ولما ظهرت أسفار المتصوفة

في حلتها الجديدة من العناية تجلى الأنظار أنها تافهة إلا من العبث الذي أحب
بشه عشاق الغرائب والمولعون بالجهولات على الأيام ، فضاعت فيها أعمارهم وأضاعوا
أعمار من اشتغلوا بها » .

وفي الواقع كان الأستاذ (محمد كرد علي) لا يميل الى الفلسفة ولا يستسيغ
البحث في مشاكلها ، ويبدو أنه قد تأثر بالانتماءات الفكرية التي كانت سائدة
لدى الغربيين في أواخر القرن التاسع عشر والتي كان معظمها ينكر للفلسفة
والإلهيات ولا يعترف إلا بالعلوم المادية . . .

الدعوة الى الاقتباس من الغرب :

ظل الأستاذ (محمد كرد علي) في جميع أدوار حياته يدعو الى الاقتباس
عن المدنية الغربية الحديثة . نلاحظ اندفاعه وراء هذه الدعوة بوجه خاص
في كتاب « غرائب الغرب » الذي يعتبر من أحسن مؤلفاته .

تكلم الأستاذ الرئيس في هذا الكتاب عن رحلاته الثلاث الى مختلف
البلاد الأوروبية ، وعلى الأخص فرنسا وسويسرا والاندلس في سنة ١٩٠٩
ثم سنة ١٩١٣ وسنة ١٩٢١ . ولم يقتصر على وصف مشاهداته الذاتية ، بل
أضاف الى ذلك كثيراً من المعلومات التي نقلها من الكتب أو الأشخاص العارفين .
وقد بين في مذكراته (الجزء الأول صفحة ١٨٤) أنه ما كان يدخل بلدة
قبل أن يطالع في وصفها كتاباً أو كتباً حتى يستفيد من زيارتها استفادة
حقيقية . لذلك استطاع أن يتكلم بأسهاب عن مختلف مظاهر الطبيعة والحياة
البشرية في البلاد التي زارها ، على الرغم من أن مدة الإقامة فيها كانت قصيرة .
فأطول فترة ، وهي التي قضاها في باريس ، لم تزيد على الشهرين خلال الرحلة
الاولى ثم على الشهر الواحد في سنة ١٩٢١ .

كتب الأستاذ (محمد كرد علي) في مذكراته يقول : « كانت الغاية من رحلاتي تجديد مارث من قواي وترويض الجسم وتسلية الروح والتعرف الى مدنية الغرب ودرسها في أرضها درساً عملياً » . ولا شك في أن الرغبة في الدرس والاطلاع كانت من أقوى الدوافع ، كما أشار الى ذلك أيضاً في الفصل الأول من كتاب « غرائب الغرب » ، إذ قال : « كنت من أعظم أماني النفس منذ بضع سنين أن أرحل الى أوروبا رحلة علمية أقضي فيها راحة من الدهر للتوفر على دراسة حضارة الغرب في منبعها واستطلاع طلع المعاهد التي منها نشأ المخترعون والمكتشفون والفلاسفة المزهرون والعلماء والعاملون والساسة المستعمرون والقادة والغازون والتجار والصناع والزراع والماليون ، وهم على التحقيق مادة تلك المدنية وهبولاها » .

وكانت الغاية من رحلته الثانية سنة ١٩١٣ هي ، على التخصيص ، زيارة مكتبة المشرق الطلياني الأمير (قائني) للبحث في المخطوطات التاريخية العربية التي اشتهرت بها في العالم أجمع ، وقد استغرقت هذه الزيارة مدة شهر جمع الأستاذ (محمد كرد علي) خلالها مادة غنية لكتاب « خطط الشام » الذي كان يفكر دوماً في تأليفه ويستعمل له منذ سنوات .

صور لنا الأستاذ الرئيس في كتاب « غرائب الغرب » مظاهر الحضارة الأوروبية التي تركت أعمق الاثر في نفسه . وقد أخذته الدهشة في الدرجة الاولى لمشاهدة (باريس) ، فأرسل اليها تحية حارة تفصح عما كان يشعر به من إعجاب وتقدير . وتتضمن هذه التحية (غرائب الغرب ، الجزء الأول صفحة ٤٨ — ٤٩) المبادئ العامة التي كان يؤمن بها . فتراه يسمي (باريس) « معلمة العالم كيف يكون الخلاص من الظالمين » ويقول انها « هذبت طبائع البشر حتى غدوا يشعرون باللطف والدوق وفائدة العلم والعمل » ، وانه « انبعث

منها تمجيد العقل ، بل تأليهه » ، ثم يخاطبها بقوله : « يا واضحة حقوق الإنسان والداعية الى ثل عروش الجبارين والمخربين . . . يا ملقنة الخلق معنى الإخاء والحربة والمساواة ليتعاشروا بالمعروف ويقوم نظام اجتماعهم على تبادل المنافع » . لا بد أن نستولي الدهشة علينا ، نحن بدورنا ، عندما نقرأ اليوم هذه التحية . هل يمكن أن توصف (باريس) حقاً بأنها « مرصعة الحكمة وروح الانقلابات الاجتماعية والسياسية ومحبة المدنية الأصلية في الأفطار الغربية والشرقية » ؟ لا نعتقد أن الأستاذ الرئيس نفسه كان في السنوات الأخيرة من حياته يرضى باطلاق هذه الصفات على عاصمة الفرنسيين بعد أن تكشفت حقيقتها واقضح زينها وتفسخها . ولكن في الوقت الذي كتبت فيه تلك العبارات ، أي قبل الحرب العالمية الأولى ، كان أكثر الناس مازالوا يؤمنون بمبادئ الثورة الفرنسية ويمسنون الظن بفرنسا وينظرون انبعاث النور من باريس . ولا ننسى أن مبادئ الثورة الفرنسية كانت منبع الهام لمعظم المفكرين والمصلحين والكتاب العرب في القرن التاسع عشر . على أن الأستاذ (محمد كرد علي) قام بعد انتهاء رحلته الأولى فألقى خطاباً في المنتدى الأدبي باستانبول قال فيه انه أثناء إقامته في (باريس) سمع محاضرات وخطباً لم ير في أكثرها إلا تعصباً على الشرق وغمطاً لحقوقه . وذكر ، على وجه التخصيص ، محاضرتين : الأولى لعالم أثري كان قد عاد من التقييب في تركستان الصينية وادعى بأن التعصب انتشر هناك بانتشار الاسلام في القرن الحادي عشر وأتى على الآثار بجملتها . ويعلق الأستاذ (محمد كرد علي) على المحاضرة بقوله : ان جسمه قد تكهروب بها وتأثرت عواطفه لأنه سمع مهانة أمته بأذنيه . والمحاضرة الثانية ألقاها السيد (تارديو) ، وهو من كبار السياسيين الفرنسيين ، على طلاب مدرسة اللغات الشرقية الحية فبحث في نشأة الامتيازات الأجنبية وعلاقة فرنسا بالشرق ، وأشار الى أن فرنسا في كل دور من أدوارها استخدمت الدولة العثمانية لمقاصدها وأنها

لا تقصر كل حين في بتر عضو من أعضاء هذه الدولة حتى تموت وتفتى .
وقد لاحظ الأستاذ (محمد كرد علي) بأن سياسة المنافع والمصالح كانت تلوح
صراحة من خلال المحاضرة ثم صرخ قائلاً : « فيا إخواني ، أيسمع عثمان في
هذا الكلام ولا تبهش نفسه بالبكاء ولا تذوب كمداً وحسرة ولا تسود الدنيا
في عينيه ؟ » ، (غرائب الغرب ، الجزء الأول صفحة ١٥٩) .

لم يكن الأستاذ الرئيس يجهل الأخطار التي تهددنا من الاستعمار الغربي
وكان يذهب الى أننا لا نستطيع حفظ كياناتنا الا اذا قاتلنا من يريدون قتلنا
بالسيف الذي يقاتلوننا به ، أي سيف العلم . ثم كان يقول : « لا يكفي
أن نذكر مجدنا القديم ونورد الشواهد على أيماننا الغر المحجلة في تاريخ المدنية
السعيدة ، فحضارة الغرب اليوم لا تبق على ضعيف . لذلك يقتضي علينا أن
نأخذ من تلك المدنية الغربية التي تدهشنا كل ما ينفعنا اقيام مجتمعنا » .
(غرائب الغرب ، الجزء الأول ، صفحة ١٥٨ - ١٥٩) .

وقد وصف الأستاذ (محمد كرد علي) آثار الحضارة الغربية في التنظيم
السياسي والاجتماعي وفي الصناعة والزراعة والتجارة ، واهتم على الأخص بمبادئ
التربية والتعليم والمكتبات العامة والمجامع العلمية . ونراه في كل مناسبة يضرب
الأمثلة على عناية الأوروبيين بالعلوم والفنون والآداب ، وعلى حبهم للعمل
وعلى تضامنهم والتعاون بين حكوماتهم وشعوبهم عسى أن يكون في ذلك عبرة
لبنينا قومه وقدوة يحتذونها .

فالأستاذ (محمد كرد علي) إنما كتب (غرائب الغرب) ليستنهض المحمم
ويدعو الى الإصلاح . وهذا ما يملل اقتصاره على وصف الدواحي الجميلة من
الحضارة الغربية والإشادة بمظاهرها تقدمها وتفوقها . وهو يذكر لنا أن بعض
أصحابه قد لاه على ذلك وأنه قد رد عليه بقوله : « إني كنت أريد أن أعرف
قومي بالحسنات بنسجون على منوالها وما كنت أطمح في أن أشغل الأذهان

بأمور لا يخلو منها بلد الفخط أو ارتقى ، وعندنا مما يماثلها ما لا ينفع تدوينه ونحمر خجلاً من ذكره . ومن العدل أن يقال اننا بقدر ما نرى في المدينة الحديثة من فضائل نرى فيها ما يقابلها من رذائل ، والفضائل تربو على غيرها كثيراً . فالأمثل بقومنا أن يقتبسوا الخير وبغضوا الطرف عن الشر » . (أقوالنا وأفعالنا ، صفحة ١١٢) .

آراء الأستاذ كرد علي السياسية :

كان الأستاذ (كرد علي) بدعو العرب والمسلمين الى الانقباس عن الحضارة الحديثة لاعتقاده بأن ذلك هو السبيل الى القوة والى استعادة المجد القديم . وغرى الأستاذ لا يفصل أبداً بين العرب والإسلام ، وبتمكّم في كثير من الأحيان عن الوطنية والقومية العربية . وقد اشتغل بالصحافة مدة طويلة وعالج الشؤون العامة وتولى منصب الوزارة أكثر من مرة . فما هي آراؤه السياسية ؟ كيف كان يتصور مستقبل بلاده ، وما هي الوسائل وأساليب العمل التي كان يعتقد بأنها صالحة لتحقيق الأهداف القومية ؟

من المؤكد أن آراء الأستاذ الرئيس السياسية قد تطورت مع مجرى الحوادث واختلاف الظروف وتقلب الأوضاع . وهذا أمر طبيعي . ولا شك في أن الأستاذ (محمد كرد علي) كان ، منذ أول نشأته ، على يقين من فساد الحكم التركي وتدهور الدولة العثمانية . وهو ربما يكون بعد الانقلاب العثماني سنة ١٩٠٨ قد اعتقد مع الكثيرين من أبناء جيله بأن الدولة العثمانية يمكن إصلاحها وبقاؤها . ولكن لم تنقض فترة من الزمن حتى أدرك أن سياسة حزب الاتحاد والترقي الحاكم سوف تؤدي الى انهيار الدولة وتقطيع أوصالها ، وقد انضم الى حزب الحرية والائتلاف المعارض الذي كان يجاهر بضرورة احترام حقوق العناصر غير التركية في الدولة ، وعلى الأخص العرب . ونراه بعد رحلته الثانية الى

الغرب بلقي خطاباً جديداً في المنتدى الأدبي في شهر شباط من سنة ١٩١٤ بدعو فيه الطلاب العرب الى التمسك بقوميتهم . قال : « إننا لانحيا إلا بقوميتنا على نحو ما كان أجدادنا أمس وحال أمم الحضارة الحديثة اليوم . ولكن هذا اللفظ الجميل - لفظ القومية - لا يطابق معناه مبناه الا باتخاذ جميع أسبابه على نحو ما يعمل المجر والبولونيون ٠٠٠ وما يجري من منافسة محدودة بين الفالونيين والفلامنديين في البلجيكي والالمانيين والفرنساويين في سويسرة » . (غرائب الغرب ، الجزء الاول ، ص ٢٢٩) فالأستاذ (محمد كرد علي) لم يكن يقصد بالقومية مفهومها السيامي ، بل أراد بها أن تتساوى مختلف الشعوب في الحقوق ويحتفظ كل منها بلفته وتقاليده ضمن الدولة العثمانية . ومن الواضح أن هذا الرأي في القومية كان يتعارض مع المفهوم الذي أخذ يتبلور إذ ذاك لدى العرب والذي يتضمن ، قبل كل شيء الانفصال عن الدولة العثمانية وتوحيد الأقطار العربية في دولة مستقلة .

نشأ الأستاذ (محمد كرد علي) في عهد انتشار الدعوة الى الجامعة الإسلامية وتأثر بآراء المدافعين عن هذه الجامعة . ولكن تفكيره الواقعي منعه من الاندفاع وراء الدعوة ، فكذب يقول : « الى عهد قريب كان بعض المتحمسين يدعون الى الجامعة الإسلامية بدون أن يعدوا لها عدتها ، وبعلمون على تأليفها أعظم الآمال . ولقد كنت ، كلما سمعت هذه النغمة استبعد تحقيق الأمنية . ولذا لم أكتب في هذه الجامعة سطراً واحداً بالتعديل ولا بالتجريح . وكيف ، لعمرى ، تتحقق الجامعة الإسلامية والمسلمون تحت سلطان دول متنوعة مشتتون في ثلاث قارات ، تباعد أصقاعهم ألوفاً من الأميال ولا يكادون يتفاهمون اذا اجتمعوا ؟ » (أقوالنا وأفعالنا ، صفحة ٣٣٥ - ٣٣٦) . انه كان يتمنى قيام جامعة إسلامية في شكل من الأشكال ، ولكنه يريد في

بادئ الأمر التمهيد لذلك بالدعوة الى التعارف والتآلف وتقوية الروابط المعنوية والصلات الروحية بين المسلمين .

ولم يكن الأستاذ (محمد كرد علي) يرى أي تعارض بين الإسلام والقومية العربية . فالإسلام ، حسب تعبيره ، « هو الذي جمع شمل العرب بعد نشنتهم وأخى بينهم مؤاخاة ماعهدها وهذب نفوسهم حتى سلس قيادهم بعد شماسه ، وثقفهم ثقافة أفادوا بها . . . وهو الذي جعل في العرب خاصة في أخلاقها ساقنتها الى العمل الصالح فوحد بين مقاصدها ووجهها الى هدف واحد » . (الإسلام والحضارة العربية ، الجزء الأول صفحة ١٣٥ - ١٣٧) . ولكن لا بد من الملاحظة بأن الفكرة الإسلامية عند الأستاذ (محمد كرد علي) كانت مجردة كل التجرد عن التعصب ولا تسمح أبداً بالتفريق بين المسلمين وغيرهم من أهل الأديان . واختلاف الدين ، في رأيه ، لا يتنافى مع الرابطة الوطنية والقومية .

كذلك فإن التباين في أنظمة الحكم ومستوى الحضارة والتطور الاجتماعي لا يمنع من قيام الوحدة القومية بين أقطار عديدة اذا جمعت بينها ذكريات التاريخ ووحدة اللغة والمصالح والأهداف . وفي حديث من إذاعة القدس سنة ١٩٤٤ اعتبر الأستاذ (محمد كرد علي) تأسيس جامعة الدول العربية خطوة كبيرة في طريق الوحدة العربية . فذكر أن هذه الوحدة كانت أمنية العرب منذ عشرات السنين وان بعضهم كان يعدّها حلاً من الأحلام ووهماً ان تحققه الليلي والأيام ولكن تبين أن ليس في السياسة المستحيل وأن الأمور مرهونة بأوقاتها » . ثم قال : « وعلينا ، معاشر العرب ، أن ندعو الى هذه الأمنية بالطرق العلنية نورد لمن لا يعرفنا صفحات من ماضينا وحاضرنا ليكون لنا من شموه أوروبا وأمريكا نفسها أنصار بواقفوننا على إتمام رغائبنا التي هي رغائب البشرية » . (أقوالنا وأفعالنا ، صفحة ٣٤٤) .

من هذه الأقوال يتبين لنا أن الأستاذ (محمد كرد علي) كان من أنصار الجامعة الإسلامية كرابطة روحية وأنه كان يدعو إلى الوحدة العربية كفكرة قومية مدفوعاً بعاطفة الحب للعرب والإسلام دون أن يتعرض إلى النضال السيامي — الشعبي ، لأنه كان دوماً يرغب في الانصراف إلى الحياة الفكرية . وقد اعتقد أن أفضل وسيلة يخدم بها بلاده هي العمل على نشر المعرفة وتقديم العلوم والآداب . فأتجه بكل قواه إلى العناية باللغة العربية وآدابها وإلى البحث في تاريخ العرب والإسلام وعلى الأخص تاريخ بلاد الشام ، وكان يؤمن بأن نهضة العرب والمسلمين تتوقف على دراسة تاريخهم وأحياء تراثهم .

ليس من شأني أن أنكم عن مؤلفات الأستاذ الرئيس في آداب اللغة العربية مثل مختاراته في كتاب « رسائل البلغاء » أو دراساته في كتاب « أسراء البيان » . إنما لا بد لي من الإشادة بتأثير هذين الكتابين في تنمية الذوق الأدبي ونهذب أساليب الكتابة لدى الناشئة العربية في هذا العصر .

إنني سوف أقصر على استعراض دراسات الأستاذ التاريخية ، ولا سيما كتاب « خطط الشام » ثم كتاب « الإسلام والحضارة العربية » .

تاريخ الشام :

يتألف كتاب « خطط الشام » من ستة أجزاء ، وهو عبارة عن موسوعة أو دائرة معارف تحيط بكل الأخبار عن تاريخ الديار الشامية وحضارتها من أقدم العصور حتى سنة ١٩٢٥ .

كان الأستاذ (محمد كرد علي) قد نشر في سنة ١٨٩٩ في مجلة المقتطف تسع مقالات عن (عمران دمشق) صادفت استحساناً لدى القراء ، فدفعه ذلك إلى التفكير في أن يتوسع في هذا البحث وأن يكتب عن عمران الشام كله . ومنذ ذلك الوقت أخذ يتصفح كل ما ظهر به من المخطوطات والمطبوعات باللغات

العربية والتركية والفرنسية . وكان يقصد دور الكتب الخاصة والعامة في الشام ومصر واستانبول للتفتيش عن مصادر جديدة . ولهذا الغاية في الدرجة الأولى قام برحلاته الثلاث الى البلاد الأوروبية وزار المكتبات المشهورة فيها .

على أن الأستاذ كان كلما استكثر من المطالعة نتجلى أمامه صعوبة العمل . وقد ظل مدة من الزمن مختاراً في كيفية ترتيب الموضوع : هل يجعل التاريخ السيامي حسب السنين أم حسب الدول ، وهل يتكلم على القطر عامة أم على كل إقليم بإقليمه ، ثم لما انتهى في سنة ١٩٢٥ من التأليف ، بالحاج من أصدقائه ، تردد في طبع الكتاب . وهو يقول في ذلك : « ولقد وددت ، لما تبسر وضع خطط الشام على هذه الصورة ، لو صاغ لي أن أصبر عليه زمناً آخر حتى يتم التحقيق فيه على ما يجب ، ولكن رأيت ، بعد طول التأمل ، أن من الحزم الاكتفاء بما تنهياً في هذه السنين ، والتمحيص بحر لا ساحل له ، فأبرزته . . . وأنا موقن بأن فوق ما طالعت وبحيث غايات لم يمكنني الزمان والمكان من بلوغها ، وعسى أن يقوم غيري بعدي فيتم هذه الخطوط التي رسمتها من بنيان كتاب الخطط ويصلح بما يتوفر له من المواد ما ربما وقعت فيه من الغلط والسطط » . (مقدمة الخطط : صفحة ٩) .

وقد اضطر الأستاذ الى الاكتفاء بخلاصة قصيرة عن تاريخ الشام القديم لا تزيد على (١٨) صفحة وقال : « كنت أحب التوسع أكثر من ذلك لولا الخوف من الوقوع في نقل ما لم يتفق الباحثون عليه . والتعرض للمجهولات يؤدي الى سقوط في غلطات أو خيالات أو حكايات متناقضات . ولعل عناية علماء العاديات في عصرنا توصلهم الى اكتشاف ما كان مجهولاً من تاريخ هذه الديار كما أوغلوا في حفر بآثارهم » . (خطط الشام ، الجزء الأول ، صفحة ١٠٤) ثم هو يعترف بأن الكلام جاء ناقصاً في بعض الأدوار المتأخرة وأن بعض مواضع مهمة ذات صلة بمدينة الشام لم تنكشف له . (انظر : الخطط ،

الجزء الأول صفحة ٧) ولما رأى الأستاذ أن وصف التطور الحديث للزراعة والتجارة والصناعة في بلاد الشام يحتاج الى دراسة اختصاصية لم يتردد في الاستعانة بالاختصاصيين من أصدقائه فطلب اليهم كتابة بعض الفصول أو تزويده بالمعلومات الفنية .

إن الأستاذ الرئيس لم يذكر الصعوبات التي اعترضت طريقه ونقاط الضعف البارزة في كتابه على سبيل المبالاة واصطناع التواضع ، بل بدافع الاخلاص للعلم وحبا في الإصلاح . فهو يعرف أن مهمة المؤرخ في هذا العصر قد أصبحت عسيرة جداً لأنه يحتاج الى الاستعانة بكثير من العلوم ، مثل علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد والسياسة بالإضافة الى دراسة الوثائق والكتابات والنقود والخط . . . وكان لذلك يرى ضرورة التعاون بين الاختصاصيين عند كتابة التاريخ العام . كما انه لم يكن يجمل العوامل التي تدفع المؤرخين الى التحيز والتعصب والمبالغة والتحريف .

ولكنه كان يعتقد بأن واجب المؤرخ هو أن يتحرر من تأثير الأهواء السياسية والدينية فيسعى الى معرفة الواقع ويبدى لأمنه حقائق ماضيها وحاضرها ويقفها على جلية أمر الحسن والمسيء ويروض قلبها على قبول الحق . وفي الواقع كان الأستاذ الرئيس يكره التقية ويحب الصراحة . وقد ذكر قول بعض الفقهاء « ونسكت عما شجر بينهم ، أي بين الصحابة » فوصفه بأنه « كلام من لا أرب له في غير العافية » وأضاف قائلاً ، « ولو شابهناهم على هذا الرأي لأضللنا طريق الهدى في قيام أمرنا » . (أقوالنا وأفعالنا ، صفحة ٢٣٥) . كذلك فإن الأستاذ قد هاجم ابن خلدون لأنه نها عن الخوض في موضوع الخلاف بين الصحابة ولا سيما بين عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب فقال : « نزع ابن خلدون ثوب المؤرخ ولبس ثوب الواعظ القصاص أو هو يريد أن

يتأدب أدب السياسي المذهب مع الجماعة لا يقول لصاحب الأمر ما يزعجه فيرضى بالحالة الحاضرة على علاقتها ويحاول أن يكسب أفواه الرعية لأنها اذا قالت فعلت ، وما حسب حساباً للأهواء البشرية والمطامع الدنيوية ، فكأنهم ما أخطأوا في نظره وكأنه يزعم أنهم لا دخل لإرادتهم التي خلقها الله لهم فيما قضاوا وأمضوا . . . » (كنوز الأجداد ، صفحة ٣٩٤) أعتقد أن الأستاذ (محمد كرد علي) قد ظلم ابن خلدون واتهمه بما هو بريء منه ، ولكن كلامه يساعدنا على معرفة نظرتة الى التاريخ ويستحق ان نشير اليه . وقد تعرض الأستاذ نفسه الى سياسة الخلفاء الراشدين والى الخلاف بين علي ومعاوية فكيف عالج هو الموضوع ؟ قال الأستاذ الرئيس في كتابه « الإسلام والحضارة العربية » (الجزء الثاني صفحة ٣٨٦) : « . . . وبعد فان الخلفاء الراشدين قاموا بخلافة النبوة على أكمل وجه أمكن ، واذا لاحظنا اليوم أنه وقع من بعضهم شيء فهو منهم محض اجتهاد ، والمجتهد يصيب ويخطئ ، والسياسة صعبة المراس على كل الناس ، وما كان للبشر أن تقيهم أعمالهم تامة من كل الوجوه . . . » فهل يختلف هذا الرأي كثيراً عن رأي ابن خلدون ؟

ثم ان الأستاذ قد نشر في آخر المجلد السادس من « خطط الشام » الملاحظات التي أبدتها بعض الناقدين على كتابه ، وبين هؤلاء الأمير شكيب أرسلان والأستاذ عارف النكدي ، اللذان اتماه بالتعصب لبني أمية .

وفي الحقيقة دافع الأستاذ (محمد كرد علي) عن إسناد الخلافة الى يزيد ابن معاوية ، كما انه وقف الى جانب الأمويين في نزاعهم مع العلويين . ولكن لا يمكننا الادعاء بأن الأستاذ قد اندفع هنا مع عواطفه وتأثر « بالعمرة الشامية » . فهو قد بحث الموضوع كما يجب أن يبحثه كل مؤرخ : انه قد ذكر جميع الروايات المنقولة والآراء المتضاربة وصعد الى الكشف عن

أسباب الوقائع ولم يصدر حكمه إلا بعد مناقشة الموضوع من كل الوجوه ، وبذلك كان مخلصاً للنظرة الموضوعية العلمية . وما يسترعي النظر أنه قد اتفق مع ابن خلدون في تعليقه لإقدام معاوية على إثارة ابنه يزيد بولاية العهد دون سواء ، إذ قال إن السبب في ذلك هو مراعاة المصلحة في اجتماع الناس على بني أمية أصحاب أقوى عصبية في قريش . (المخطوط ، الجزء الأول ، صفحة ١٤١) .

أما موقفه من الخلاف بين الأمويين والعلويين فيتفق أيضاً مع النظرة العلمية في التاريخ . يقول الأستاذ : « ان الخلاف بين الأمويين وخصومهم من العلويين ما يزال بقوى ويضعف ، وما هو الا خلاف سياسي نشأ من النزاع على الملك وليس من الدين في شيء . فلبس إذاً من العقل أن تنسلسل هذه الأحقاد في الأئمة وتنفق شيعاً وتظهر بمظهر التعصب والتشيع . . » ثم يزيد رأيه وضوحاً إذ يقول : « إن مسألة الخلاف بين علي ومعاوية قد مضى عليها الزمن وكان لكل منهما اجتياهاه ، وهي من المسائل المؤلمة في تاريخنا يجب أن ندرسها بانصاف . . . فالأئمة يجب عليها أن تعرف مواطن الضعف والقوة من جسمها وتكشف حقائق ماضيها لأنها ابنة حوادث ماضية ، والواجب في البحث أن لا يثير في النفوس أحقاداً . . . » (المخطوط ، الجزء الأول ، صفحة ١٦٦) .

ينبني لنا من ذلك أن الأستاذ الرئيس لم يقتصر في كتاب « خطط الشام » على جمع الكثير من الأخبار والمعلومات المتصلة بتاريخ هذا القطر وتطوره الحديث والتي كانت مبعثرة في مئات المراجع القديمة والحديثة ، بل أقدم أيضاً على تحليل بعض الحوادث الهامة واستخلاص العبر منها . فهو إنما انصرف الى البحث التاريخي لإيمانه بأن نهضتنا في الحاضر والمستقبل تتوقف على معرفة الماضي معرفة صحيحة والاستفادة من تجاربه .

الدفاع عن العرب والإسلام :

يروى الأستاذ (محمد كرد علي) في مقدمة كتابه « الإسلام والحضارة العربية » ثم في « المذكرات » (الجزء الأول ، صفحة ٣١٦) انه عندما دعي الى مؤتمر المستشرقين في (لندن) سنة ١٩٣١ ، اقترح عليه أعضاء مجمعكم المحترمون أن يوجه الأنظار إلى ما يبديه بعض المؤلفين في الغرب من تحامل على الإسلام والعرب ومن ظمن بتاريخهم وحضارتهم . وقد عدل الأستاذ بعد ذلك عن السفر ولكن موضوع الرد على خصوم العرب والإسلام كان قد استهوى فؤاده فانقطع الى دراسته ونشعبت به مسالك البحث فلم يقف عند مناقشة هؤلاء الخصوم ونقض أقوالهم ، بل أتبع ذلك بوصف مدينة العرب المدينة للإسلام بانبعاثها وحسانتها ، فتكلم عن تمثل العرب للحضارة وعنايتهم بالعلوم والآداب والفنون وعن انتشار لغتهم وقارن بين حالة العرب وحالة الغرب في القرون الوسطى وكشف عن أثر الثقافة العربية في أوروبا وعقد فصولاً خاصة لمدينة العرب في الأندلس وصقلية وبحث في الحروب الصليبية وفي غزوات المغول والأتراك ثم في غارات المستعمرين الغربيين على البلاد الإسلامية . وقد جمع هذه المباحث في الجزء الأول من كتابه « الإسلام والحضارة العربية » ، أما في الجزء الثاني الذي يؤلف وحده مجلداً ضخماً فقد ألقى الأستاذ نظرة اجمالية على العلوم والمذاهب عند المسلمين ثم استرسل في الكلام على الإدارة والسياسة في الإسلام .

ان الكثيرين من الذين طالعوا كتاب « الإسلام والحضارة العربية » قد أبدوا رأي الأمير شكيب أرسلان في أنه خير ما كتب الأستاذ (محمد كرد علي) وأنه كفى الناس مؤونة نشدان الأدلة من هنا وهناك لرد على المغالطين والمكابرين والتجاهلين . ولا غرابة في ذلك ، فقد سلخ الأستاذ في تأليفه ثلاث سنين يعمل على التوالي وبجاسة ورجع الى أكثر من خمسمائة مصنف لجمع مواد .

ويمكن القول انه لم يترك شاردة ولا واردة إلا ذكرها من الأخبار المتعلقة بأساليب الإدارة والسياسة عند خلفاء المسلمين وملوكهم . كذلك استقصى الأستاذ المسائل التي يرددها خصوم العرب والإسلام وكشف عن العوامل التي تدفع بعض المستشرقين الى تشويه الوقائع ومخالفة الحقائق من تعصب ديني وطمع استعماري وأوهام موروثية وجعل مقصود وقد جاء بشواهد كثيرة من مؤلفات الغربيين الذين أنصفوا الإسلام والعرب ، وفي مقدمتهم (غوستاف لوبون) لتفنيد أقوال المفرضين .

ولما كان الكثيرون من الذين يهاجمون العرب والإسلام لا يتقيدون في المعناد بقواعد البحث العلمي وشروطه ولا يهتمون بالوقائع والبراهين فقد اضطر الأستاذ (محمد كرد علي) الى أن يستخدم مع هؤلاء طريقة الجدل والهجوم المعاكس . هكذا عندما رأى مؤرخاً أمريكياً اسمه (كوفن Gowen) يتهم الشريعة الإسلامية بأنها « حفظت في تضاعيفها ضروراً اجتماعية تئن منها الإنسانية » ، قام يرد عليه بقوله : « إن الكاتب الأمريكي ربما قال هذه الجملة وهو لم ير في حياته مسلماً ولا قرأ كتاباً معتمداً من كتب العرب ، قالها بدافع هو يعرفه أو فاه بها لبأني بالغريب ، وأميركا مهد الفرائب . وهو ، لو أنصف لفسر هذه الشرور التي اتهم بها الإسلام وأنت منها الإنسانية . كأن الإنسانية لم تئن مثلاً من معاملة الجنس الأبيض للأسود في أميركا وكان الإنسانية لم تئن من الحروب الدينية التي أهلك فيها الامبراطورة (تيودورا) وحدها نحو مائة ألف من المانويين في أواسط القرن التاسع وكان الإنسانية راضية عن أعمال دهبان التحقيق الديني الذي قتل في اسبانيا وحدها ، كما قال « ريتناخ » نحو مائة ألف انسان على أقل تعديل . . . » (الاسلام والحضارة العربية ، الجزء الأول ، صفحة ١٣ - ١٥) .

كان الأستاذ (محمد كرد علي) يندفع مع العاطفة ويغضب أشد الغضب إذا ما شعر بأدنى تحامل على العرب والاسلام . إلا أنه لم يكن ، من جهة ثانية ، يجهل ما يتطلبه البحث العلمي من حياد وتجرد وانصاف . وقد كان همه الأول تحري الحقيقة والدفاع عنها بحماسة وقوة . فهو يقول : « والمهم في تاريخنا أن نغلب كل مقلب لا ندلس فيه ولا نوالس لنتعرف للحقائق في صورتها الجلية النافعة » . (الاسلام والحضارة العربية ، الجزء الثاني ، صفحة ٩٢) ثم يصرح قائلاً : « وإذا أولع العرب بتاريخهم فليس معنى ذلك أنهم يدعون أنهم كانوا أول من أرخ لهم من الأمم أو أنهم كانوا البادئين بأسس المدنية . وما ادعى المسلمون قط أنهم نزلوا بحضارتهم من السماء ؛ بل ادعوا وأثبتوا دعواهم أنهم أخذوا حضارات الأمم القديمة وزادوا عليها ما وسعهم الزيادة فأوصلوها بأمانة الى أهل المدينيات الحديثة » . (الاسلام والحضارة العربية ، الجزء الأول ، صفحة ٥٥) .

وقد استحسن الأستاذ كل الاستحسان الجهود المبذولة بعد الحرب العالمية الأولى « لتوحيد التاريخ في العالم وتقليل مصادر الأحقاد بين الأمم » ، وأعرب عن اتفاقه في الرأي مع « طائفة من العقلاء في الغرب ترى نبذ كل ما يثير الحقد ويدعو الى الظنة وبفك عرى الالفة » . ثم قال : « ولن يتم قيام هذا المجتمع الحديث إلا بتعاون الشرق مع الغرب تعاوناً حقيقياً يقوم على الحرمة المتبادلة والمصلحة المشتركة والعدل الذي لا ينجزاً . وللبشر اليوم مقصد أسنى من الخلافات والمناقشات التي جاءت القرون اثر القرون وما زالت يجالها لم تورث النفوس إلا اشمئزازاً . البشر بعد هذا التقارب في المواصلات والافكار أحوج ما كانوا الى التعارف والتعاطف وانصاف بعضهم بعضاً ليقوم نظامهم على الوئام والسلام » . (الاسلام والحضارة العربية ، الجزء الأول ، صفحة ١١ - ١٢) .

هذا الكلام دليل قاطع على تحرر الأستاذ من التحيز والتعصب الاعمى كما أنه يشير الى ما انصف به من تفكير علمي وروح إنسانية .

صادقي الأفاضل !

إن الأجيال المختلفة لا تتعاقب فحسب ، بل هي كذلك يندبثق بعضها عن بعض . فالجيل الناشئ يتلقى من الجيل السابق معظم تقاليده وعاداته ومفاهيمه وأفكاره وعقائده ، كما يرث عنه الكثير من المشاكل . وتتوقف سرعة تطور المجتمع على مقدرة الجيل الناشئ في حل هذه المشاكل وتحوير تلك العادات والتقاليد ثم في ابداع عقائد وأفكار ومفاهيم خاصة تستمد عناصرها من الماضي وتبلاءهم مع الحاجات والأوضاع الجديدة . فالصلة بين الأجيال المتعاقبة قد تضعف أحيانا ولكنها لا يمكن أن تنقطع مادام المجتمع قائما ومحافظا على كيانه . .

كان الأستاذ (محمد كرد علي) من الأفاضل النابغين الذين يمثلون جيلهم أحسن تمثيل ويمبرون عن مشاعره بأصح لسان . لقد أخذ عن الجيل الذي قبله خلاصة ثقافته وأضاف اليها الكثير من المعلومات والمفاهيم عن طريق المطالعة والدراسة الشخصية . وقد تأثر بالتيارات السياسية والاتجاهات الفكرية التي سادت في مختلف أدوار حياته فلم يتردد في أن يخوض غمارها ويلعب دورا هاما فيها . وبذلك كان له تأثير عميق في أبناء جيله والجيل الذي بعده . ومن مناه أيها السادة ، لم يقنص من أنوار الأستاذ الرئيس ولم ينهل من معينه ؟ لم يكن الأستاذ (محمد كرد علي) صلة الوصل بيننا وبين الجيل الماضي ، جيل محمد عبده وطاهر الجزائري فحسب ، بل أيضا بين عصرنا والعصور الغائرة من تاريخ العرب والإسلام التي أعادها الى الحياة في كتبه وكشف لنا عن روعتها وهذانا الى معرفة حقيقتها وجوهرها .

وإذا كانت الأستاذ قد بدرت منه في بعض الظروف انتفاضات عنيفة
وإذا كان قد وقع أحياناً في تناقضات صارخة ، فذلك أمر طبيعي ، لأنه
عاش في زمن كله ثورات وتناقضات وكان أولى الناس بالتعبير عن هذه الثورات
والتناقضات ، شأنه في ذلك شأن كل العباقرة والنابعين الذين تتبلور فيهم
حياة عصرهم وتنعكس جميع النيارات والاتجاهات . ومن حق العباقرة
والنابعين أن يفتحوا لجج التناقضات لأنهم وحدهم يستطيعون التغلب عليها .
وإذا كنا عاجزين عن التخليق مع الأستاذ الرئيس في الأجواء الصاخبة
فما أجدرنا بأن نسترشده في متابعة الطرق التي مهدها لنا وفي تحقيق الأهداف
التي رسمها .

وأقصى ما أرجوه هو أن أستطيع القيام بقسط متواضع من هذا الواجب
فأكون بذلك عند حسن ظنكم والسلام عليكم . . .

محمد كامل عباد

الإفصاح عن أبيات مشكلة الإفصاح للفارقي

ولا

توجيه إعراب أبيات مُنْفَرِة الإعراب للرّماني

كُنّا أنا والسيدان عزّ الدين التنوخي وسعيد الأفغاني في يونية الماضي نتفرّج في متنزه المهاجرين بدمشق ونجاذب أطراف أحابث في الدّ من السلوى لدى كل عارف . وسألت الصديق الكريم الأفغاني عما سقط عليه من طرائف الأُعلاق وضئان الأسفار في رحلته إلى الغرب والمغرب سنة ١٩٥٦ هـ فأخبرني بكتاب الرّماني هذا ولم يزدني فيه شيئاً .

إذ جاءني كتاب من معالي الأستاذ الزركلي من الرباط أخبرني فيه بصدوره من المطبع ثم لم يمض أيام الاّ وكتاب الصديق مائلٌ أمام عيني ٢٣ / ٩ / ٥٨ م دالاً على ودّه وصفائه .

ومنذ تناولت نسخته ما زالت الشكوك تحالطني والريب والأوهام تساورني . ولما تغلّقت إلى أعماقه وعرفت أن صاحب الكتاب يروي عن أبي علي الفارسيّ (م ٣٧٧ هـ) وأبي سعيد السيرافي (٣٦٨ هـ) ٤ والرّمانيّ (٣٨٨) عصرهما^(١) وفي طبقتها ٤ وزاد ضيفاً على إِبالة أنه شرح لمع ابن جنّي (صاحب أبي عليّ الذي نبغ في آخر حياة الرّماني وبُعيد وفاته) - جزمّت بأنه ليس للرّمانيّ البَقّة . وكنت أذكر للحسن بن أسد الفارقي أبي نصر الشاعر الكاتب النحوي المقتول سنة ٤٨٧ هـ الذي ترجم له في الأدباء (٣ / ٤٧ - ٥٤) والأبناء (١ / ٢٩٤ - ٢٩٨) وعنهما في الفوات والشذرات وغيرهما - مؤلفاً في المعنى .

(١) واخذ عن أبي بكر السراج وابن دريد كما اخذا عنهما .

فراجعت 'جزازاتي' التي كنت علّقتها في رحلة سنة ١٩٣٦ وفهرست دار الكتب ومجلة المجمع فوجدت :

أن الإيضاح عن أبيات مشكلة الإيضاح للفارقي توجد منه 'نسخ' ومعظمها أجل وأقدم من نسخة باريس . إحداهما بوليّ الدين بايزيد برقم ٢٨١٨ بقطع صغير في ٨٥ ورقة . وأخرى بالدار (فهرس النخو ١٢٠) أولها : أطال الله بقاءك وأدام عزك ونعماءك^(١) وحرس نفسك وعلاءك الخ . وهي من مقتنيات الشنقيطي في ٢٧١ ص والمسطرة ١٥ عن نسخة كتبت سنة ٦١٣ هـ . وفيها ص ١٥٨ جاء ذكر مختصر للإيضاح سمي فيه الأصل ألباز الإضراب في مجموعة للشنقيطي برقم ٣٦ . ولعلّ هذا المختصر لوزّ الدين الزنجاني (والريحاني تصحيف) المتوفى سنة ٦٥٤ . ومنه نسخة في خزانة بيت الجوهري بنابلس جاء ذكره في مجلة المجمع ص ٤٥٥ سنة ٢٤ م 'نسخ' سنة ٦٦٠ . كما جاء فيه ذكر نسخة أخرى في ٩٧/٥ ولكنني لست أملك هذه المجلدة .

فظهر أن هذا خطأ عظيم أفسد على الصديق عمله وحرّمه المعارضة بعدّة نسخ جليلة كانت منه على طرف الثمام قريبة المتناول . كما حرّم الفارقيّ البانسّ المسكين مؤلّفين له من أنبل ما كتبه في حياته وذكرهما كلّ من ترجم له فلم يبق ما يدلّ على حياته . هذا على أن إضافتهما إلى ثبوت مؤلّفات الرّمانيّ وهو في صفحتين مكتئزتين ما كان ليفني عنه فتيلاً . إذ لم يُعرف له ألف سنة مضت على وفاته وقد نال دونها شهرة لا يستهان بها . فلم يذكرهما له أحد ممن ترجم له . والثابت على نسخة باريس ليس بخطّ الأصل كما هو ظاهر . فإما أن يكون هذا الكاتب المتأخر اختلط عليه الحابل بالنابل أي الفارقي بالرمانيّ . أو أن يكون لما وجد الكتاب 'غفلاً' أثبت عليه اسم كُتّيب الرّمانيّ

(١) والأسباج الثلاثة بالمدّة لا بالعصر كما في المطبوع . م (١٣)

في المعنى نفسه إن ثبت أنه له . وذلك أن فهرست الدار المذكورة نفسها تذكر في ص ٧٩ الألفاظ النحوية للرّماني أوله : الحمد لله على فضله وكرمه الخ ٣٠ ش مخطوطة بقلم مغربي ، وهذا كما ترى غير المطبوع ، ثم رآه بروكلمان فتبعه ولم يوفق لاستيلاء الحقيقة وربما يكون عرف إفصح الفارقي فذكره في كتابه ولم يفرغ للعراض فقلّده من أتي بعده ، ثم إلى اليوم لم تجرأ .

وهذه بعض ملاحظات على المطبوع :

١ - قوله في ص ١٢ : لا يعرف من مؤلفات الرّماني غير ثلاثة - زد إليها رابعاً وهو شرح أصول ابن السّراج ومنه قطعة في مجموعة برقم ١٠٧٧ بكتبخانة سليم آغا في اسكيدار من ق ٢٩٥ - ٣٢٦ . وخامساً وهو ثلاثة أجزاء من شرح الكتاب الثاني والرابع والخامس بأرقام ١٩٨٤ و ١٩٨٧ و ١٩٨٦ في ١٨١ و ١٩٧ و ٢٩٧ ورقة ولأء بكتبخانة فيض الله ، أملاه سنة ١٣٦٧ هـ .

٢ - على قوله ص ٢٥ : هنا فرق كبير بين أبيات المعاني وبين الألفاظ النحوية التي ألفت فيها الإفصاح . وقد كان الرّماني سبقه بالتأليف فيها وتأخر عنه ابن هشام وخالد الأزهرى وقد طبع كتاباهما ولائي سعيد بن لبّ منظومة مشروحة طبعت في ^(١) الأضياء للسيوطي . ولابن عربشاه كتاب فيها إلى غيرهم . باليت صديقي كان عارض عمله بها وقارنت .

٣ - قوله ص ٣٠ : يمتد إلى مائة سنة - ولكن ذلك لا يحتاج إلى امتداد في عمره وإنما ينقل كلام ثعلب كما نقله نحن الآن من دون أن ندركه .

٤ - في ص ٧١ : و - ام ليلى تجلّى همي

غير موزن ولا مقفى . وهو شرط روف في الكامل ٧٩ :

فنام ليلى وتجلّى همي

(١) ٣٠٢ / ٢ ولم يعرف لمن هي وقد عرفنا صاحبها من الخزائن ٣ / ٤٦٦ . وترى في الأضياء جزءاً كبيراً في الألفاظ .

وكذا الصواب من النوم في الكلمات الآتية على ما في الأصل لا كما غيره في المتن .
 والبيت برقم ٥٥ لرجل من لصوص البحرين على ما في الكامل ٧٠٠ طبعة ريط .
 ٥ - في ص ١٣٤ : وجه الكلام وصوابه : أنشدناه أبو اسحاق (يريد
 الزجاج لا غير) [في] المصنف لأبي عبيد . والبيت برقم ١٢٦ من معروف
 شعر عنتره في طبقات ديوانه وسمط اللآلي ٤٨٣ وحامسة ابن الشجري ومشروحاً
 في الخزانة ٣/٣٦٢ والعيني ٣/١٧٥ .

٦ - في ص ١٨٥ : في بيت الربيع بن ضبّع وجاء مصحفاً (ولا أسادوا)
 ولم أجد مع طول البحث المقطوعة التي منها البيت ليُعرف أهو من همزته
 أو دالته ٥١ - المقطوعة همزية معروفة وكنّت نشرتها في مجلة الزهراء ٤/٢٣٥
 عن النيجان قبل نشره وهي في طبعته هذه ١١٩ وهي في المعمرين برقم ٦
 والمرئضى ١/٢٥٥ وشرحي أدب الكتاب لابن السيد والجواليقي ٣٦٩ و ٤٦٦
 والخزانة ٣/٣٠٦ . والبيت منها إذا عاش الفتي ، البيت من شواهد الكتاب
 كتاب سيبويه .

٧ - في ص ٢٠٣ : البيت برقم ١٨٣ لطفيّل الضوي من قصيدة في ديوانه
 برقم ٩ ومنها ثلاثة أبيات في الحماسة فربتاغ ١٣٦ وبولاق ١/١٤٦ .
 ٨ - في ص ٢١٢ : الحافظو عورة ، البيت لبس لابن الخطيم وإنما هو من
 كلمة في الروي لعمر بن قيس الخزرجي وقد خرجته في الخزانة السلفية
 ٤/٢٠٥ .

٩ - في ص ٢٣٠ البيت لعمر بن معد بكرب الزبيدي عناء إليه سيبويه
 ١/٢٠٠ . وفستية فيه مصغر فتاة ولا يجوز فتنة فان البيت لا يتزن معه .

مستدرك

على تصويبات في الوافي بالوفيات

اطلعت في العدد الأخير من مجلة مجمعنا العلمي العربي (المجلد ٣٣ ص ٦٩٢) على الملاحظات القيمة التي أبداهَا السيد الأستاذ رشدي الحكيم على أوهام حصلت في الجزء الثالث من الوافي بالوفيات للصفاي ، فنذكرت أني كنت علفت بهامش الجزئين المطبوعين (الثاني والثالث) من هذا الكتاب تصويبات قليلة تخص الأعلام والجغرافية ، فرجعت إليها ونقلتها ، وهي التي أبادر بتقديمها الى المجلة عسى أن تفيد النامر المحقق اذا ما أعاد طبع الجزئين المتقدمين من « الوافي » .

الجزء الثاني :

جاء في ص ١٥ سطر ١٩ - قوله : « أشدنا له أبو يحيى بن عريضة » ، والصواب : ابن عريضة ، وهو أديب تونسي مشهور ، رحل الى المشرق واجتمع بوجوه من أعلام كتابه وأدبائه ، وعاد الى بلده ^(١) .

ص ٣٩ سطر ١٤ - (في ترجمة أبي العرب الإفريقي الماسكي) وقد عذ من مصنفاته . . « فضائل مكة » ،

والصواب : « فضائل مالک » بن أنس الإمام المدني صاحب المذهب .

ص ٢٥٧ سطر ١٥ - في ترجمة (محمد بن بكسوت الظاهري) قال . . . « وكان كاتباً مطبقاً كتب الكثير من المجلدات والربعات الفصاح » ،

(١) هو عثمان بن عتيق القيسي المعروف بابن عريضة ، أبو عمرو ، ولد بتونس وبها توفي سنة ٦٥٩ هـ (ترجمه التجاني في رحلته وكذا البدرى في تقييد رحلته) .

والصواب : ٠٠ . كتب الكثير من المجلدات والربعات بالفضّاح ، وهو نوع من الخط المنسوب في الأفلام السبعة التي كانت شائعة في عصر المماليك ، وقيل سمي بذلك لأنه بفضح صاحبه اذا كتب به ولم يجده . والغريب ان في الأصل المنسوخ منه وردت الكلمة على صوابها وصححها الناشر بما تقدم ، والمعنى لا يستقيم إذ لا معنى للربعات الفصاح .

في الجزء الثالث :

ص ٤٧ سطر ٣ — (في ترجمة محمد بن خلوف) . . . « من أشرف أهل ناحية القمح ورؤسائها » ، والصواب : ٠٠ من أشرف (باجة القمح) وهي من المدائن المشهورة بالبلاد التونسية من ناحيتها الغربية ، وإنما نسبت باجة هذه الى القمح لاشتهار أرضها بانتاج هذا النوع من الحبوب ، وأيضاً للتفريق بينها وبين (باجة الزيت) بلدة صغيرة بالساحل التونسي معروفة بكثرة زيتونها وبصنع الزيت (راجع معجم البلدان لياقوت — في باجة) .

ص ٦٩ سطر ١٨ — (في ترجمة محمد بن ربيع) جاء انه من قرية تونس ، والصواب : من قرية بنونش ، وكانت موجودة بالساحل الشرقي من القطر التونسي بقرية من بلدة الشّابّة اليوم (راجع معجم البلدان — في بنونش) أما مدينة تونس وهي عاصمة البلاد فلا يصح أن يصفها الصفدي بقرية .

حسن حسني عبد الوهاب

(تونس)

ملاحظات^(١)

على الجزء الثالث من كتاب الوافي بالوفيات
لصلاح الدين خليل بن ابيك الصفي
باعتناء الأستاذ (ديدوينغ)

- ٢ -

ص ١٢١ : في ترجمة ابن حيوس أنه استُخلف من قبيل الحكماء على الفرائض
والتزويجات : مكان (من قبيل الحكماء) .

ص ١٢٤ : في ترجمة الحناط الرعيني الأديب الأندلسي (وكان بنادي
أبا عامر بن شهيد) : والتصحيح (كان بناوي) كما جاء في ترجمته في
كتاب المغرب في حلى المغرب لابن سعيد . والحناط بالطاء المهمل لا بالطاء .
ص ١٢٩ : محمد بن سليمان الغاني ، والتصحيح الغاني بالباء لا بالنون نسبة إلى
الغابة قريبة من كورة اشبيلية . وله ترجمة في المغرب لابن سعيد ١ : ٢٩٥ .
ص ١٢٩ :

وكم يكيد له الذكري هوى نفيت منه صباية عهد غير معهود
بما ارقمته وما زالت تمسك به إلى التصابي عيون الخرد الفيد
لعله في البيت الأول : (وكم بعيد له الذكري) . وفي البيت الثاني :
(وما زالت تميل به) باللام .

ص ١٣٥ :

أين الثنايا التي اذا ابتسمت أو نطقت لاح أولؤ نَضْدُ
وقد وضع تحت الضاد من نضد كسرة والصحيح نَضْدُ محركة .

(١) تمة ما نشر في (المجلد ٣٣ ، الجزء ٤ ، ص ٦٩٢ - ٦٩٤) من هذه المجلة .

ص ۱۵۲ :

جاذبت دُرِّي وقد أَضَدَّتْهُ كَلَامًا يروق سمع الوری درآ بمنحلب
وهي مُنْخَشَلِب .

ص ۱۵۲ : لأن ناصر الدين شاعراً كان قد عمي بأخوه رحمه الله كلاً :
والصحيح (كان قد عمي بأخوة رحم الله كلا) وأخوة محرّكة وبأخوة آخر
كل شيء كما في القاموس ، والصّلاح الصّفدي يستعملها كثيراً في نكت الحميان .
ورحم الله كلاً أي كلاً من ابن الوحيد وناصر الدين شافع .

ص ۱۵۵ :

فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه والماء ما سمعت به أجنانه
والصحيح (ما سمعت) على ما في الأغاني وغيره .

ص ۱۵۹ :

أبا حسن هل جاز في الحب قبلها لمستسلم من أن يطاح له دم
والأصح (من أن يفاح) بالفاء لا بالطاء .

ص ۱۶۵ : وأضر بأخوه . والأصح (وأضر بأخوة) .
ص ۱۶۷ : قال ابن الجوزي في المرأة : والمرأة لسبط ابن الجوزي .
ص ۱۹۲ : — لكنها خطرات من وساوسه — بكسر الطاء والصواب
خطرات بفتحها .

ص ۱۹۶ :

كانت القصد من إحدا ث أزمانيّ ازماني
ربما كان الأولى (من أحداث ازماني ازماني) . أحداث جمع حدث و ازماني
مصدر من أزمته أصابه بعاة .

ص ۲۰۴ :

أفي كل صدر منك صدر كتيبة وفي كل حرف غارة ومكين
ولعل الأولى (صدر منه) والضمير عائذ للكتاب .

ص ٢١٢ : ظلما كثر الأنصار يوم اليأس ، والصواب (يوم البأس) بالباء .

ص ٢١٢ : والوصايا كثيرة والتفوى زمامها وإمامها ، إذا تقدم كل جماعة
أمامها إمامها .

أرجع ان (امامها) الأولى بضم الأول بمعنى الجامع للخير ، (وكل)
بالنصب على أنه مفعول لتقدم والفاعل (امامها) الثانية .

ص ٢٣٠ س ٢٠ : سنة خمس عشر : (سنة خمس عشرة) .

ص ٢٣٩ : وتزوج بآخره : (وتزوج بآخرة) .

ص ٢٣٩ : ويكتب خطأ ردئا : (ردئاً) .

ص ٢٤٣ : وسمع بقراء في معجم الشيخ علي بن المطار . ولعله (معجم الشيخ

علي ابن المطار) ، وعلى هنا حرف لام .

ص ٢٤٧ : وتم تصنيف الأحكام : (وتمم أو أتم) .

ص ٢٥١ :

أقرب ظهر الأرض ناشد صادق صديق فهل من منشد فيشأبا

(فيشأبا) بالثاء .

ص ٢٥٣ : وله أصحاب ومریدین : (ومریدون) .

ص ٢٦٥ :

روبدك يا بدر التمام فانني أرى العيش حمري والكواكب ظلما

ولعل الشطر : (أرى الشمس حمري والكواكب ظلما) بالظاء .

ص ٢٧٣ :

أم السماء أناجنتها زواهرها أم محقق الروض قد أهدى لنا زهره

لعل الصواب (أباحتنا) .

ص ۲۷۶ :

والجد قل عابد الرحمن لا ألف من قبل باء وسكن بابه نصب
(وسكن باءه) فاذا حذفنا الألف من عابد الرحمن وسكننا الباء يخرج معنا
حاصل الضرب والطرح عبد الرحمن اسم جده .

ص ۲۷۹ :

خرجنا بنفني مكة حجاجاً وعماراً
فلما بلغ الحيرة حادى جملي حاراً
فصادفنا بها ديراً ورهباناً وخماراً
هذه الایات الثلاثة أثبتت ثراً في حين كان ينبغي أن تثبت شعراً .

ص ۲۸۰ :

لا تياسن اذا حوت فضيلة من العلم من نيل المرام الا بعد
والصواب (في العلم) ليستقيم البيت .

ص ۲۹۲ :

ووجد أناخت بالبود ركاب له حين زمت للحبيب ركاب
والصواب (بالفؤاد) بالفاء ولعلها خطأ مطبعي .

ص ۲۹۲ :

وفكري وصبري ذاك تردد وصله وهذا له عني نوى وذهاب
ولعل الأولى (يزداد وصله) .

ص ۲۹۴ :

أبا صريم لولا حسين تطالعت عليك سهام من أخ غير قابل
ولعلها (تطلعت) بالقاف .

ص ۳۱۰ :

اذا كنت عند الجد في الجد عمدة ولا أنت عند المزل تصلح للهزل
وأرجع أن تكون (فلا أنت عند الجد) .

ص ٣٢٣ : وكان شجاعاً جريئاً : (جريئاً) .

ص ٣٢٤ :

فكم أنت تنهى ولا تنهى وتسمع وعظاً ولا تسمع
فياجر الشخذ حتى متى تسن الخدبد ولا تقطع
وربما الأصح (ولا تسمع ولا تقطع) للبناء للمعلوم .

ص ٣٢٤ : ماهذه دار سلام : ولعلها (ماهذه دار إسلام) .

ص ٣٢٦ : الى أن حان الليل بينهم : والأولى (حال) باللام .
ص ٣٢٨ :

لا تقبل المدح ثم تعوقه فتنام والشعراء غير نيام
بشدبد الواو من تعوقه ، ولعل الصواب تعوقه بالتخفيف .
ص ٣٣٥ :

وان يوماً أراه فيه أحسبه أمر يوماً من الدنيا وأبركه
والصواب (أمر يوماً) .
ص ٣٣٥ :

إذا جانب مقتدراً عليها كبائر ماجنت كف الاثيم
فلا تستكثري لمي فاني سأقدم في الحساب على كريم
وكتبت جانباً بضمير المخاطب وانما هي بضمير المتكلم .

ص ٣٣٨ : مع حظ وافر من الأدب وحفظ الأشعار والطب ، والأقرب
أن تكون (والخطب) .

ص ٣٣٨ : وربما تغذى معه : والأقرب أن تكون تغذى
بالدال المهملة .

من ۳۴۱ :

ولقد توسط فی الأرومة منزل وسطاً فصار موازياً للكوکب
(مئزلاً) .

من ۳۴۲ :

وان ترفعوا عنا بد الظلم تجنبوا لطاعتكم منا نصيباً مؤخراً
ولعل الصواب (تجنبوا لطاعتكم) و (نصيباً مؤخراً) بالفاء .

من ۳۴۲ : أطعم طعاماً فوات منه مبطوناً بالخضرة سنة أربع عشرة وأربع مائة
مشرقاً على الستين واتهم به جماعة ممن كان هجاء . والصواب (ممن كان هجاء)
والترجمة واردة بالحرف الواحد في نكت الحميان .

من ۳۴۳ : قال علي يوماً لفاطمة وهي تبكي لم تبكين أأخذت منك فداك ؟
والصواب فداك بالفاء لا فداك بمعنى انتهى .

من ۳۵۲ س ۱۴ : وجاوز بمكة سنين عديدة . (وجادر) وهي من
خطأ الطبع .

من ۳۶۳ :

افصر فقد صحت ثنائة أهله ومن الثغور كما علمت الأئير
وصوابها (الأئير) بالغاء .

من ۳۶۸ :

يا أيها الملك المنصور قد كسرت جنودك المقل كسر ماله جبر
(كسراً) .

رشدی الحکیم



العنوان

في ضبط مواليد ووفيات أهل الزمان

لمؤرخ دمشق النعيمي

عني عبد القادر بن محمد بن عمر بن محمد النعيمي الدمشقي (المتوفى سنة ٩٢٧ هـ) بالحديث وبالتاريخ ، فلقبه معاصروه بمؤرخ دمشق ، وبشيخ السّنة النبوية بها ^(١) . اشتهر بكتابه « تنبيه الطالب » الذي ذكر فيه ما كان بدمشق من المدارس والزوايا والربط والمساجد ^(٢) . وهو كتاب نادر ، لا نجد بين أئمتنا اليوم مثله عن العواصم العربية الأخرى .

خلف النعيمي آثاراً في التاريخ فقدت . وقد عثرنا له أخيراً ، في الخزانة التيمورية بالقاهرة ، على كتاب اسمه « العنوان في ضبط مواليد ووفيات أهل الزمان » فرأينا أن نعرف به ها هنا .

يترجم النعيمي في كتابه هذا لعدد كبير من العلماء الذين أدرّكهم في دمشق ومصر ، في القرن التاسع وأوائل القرن العاشر الهجريين . وقد بدأ كتابه بقوله : « وبعد ، فهذه الورقات سميتها العنوان في ضبط مواليد ووفيات أهل الزمان . نذكرهم على وجه الاختصار . ومن أراد بسط ذلك فعليه بكتابي « التبيين » في تراجم العلماء والصالحين » ، وبكتابي « تذكرة الإخوان بحوادث الزمان » .

(١) انظر عنه كتابنا : المؤرخون الدمشقيون وآثارهم المخطوطة ، والمصادر المذكورة له - وكذلك مقدمتنا لكتاب فضاء دمشق لابن طولون .

(٢) طبع بتعليق الأمير جعفر الحسني باسم « المدارس في تاريخ المدارس » . صدر في دمشق عام ١٩٤٩ و ١٩٥١ (مطبوعات المجمع العلمي العربي) .

رتَّب النعيمي التراجم على طبقات فقال :

«وأنا أرتب مَنْ أدركتُ على ثلاث طبقات :

«الأولى : فمَنْ أخذتُ عنه علماً ، أو رويتُ عنه شيئاً ، إجازةً ،

«أو إذناً ، أو حضوراً ، أو سماعاً ، أو قراءةً ، أو نحو ذلك .

«الثانية : في الأصحاب والأقران .

«الثالثة : في الاتِّباع .»

فيكون الرجال المترجم لهم من الذين عاشوا في النصف الثاني من القرن

التاسع والربع الأول من القرن العاشر .

وقد رتب النعيمي هذه التراجم حسب مولدها . قال : «وأنا أرتبهم على

حسب موالدهم .» ولكن يبدو أن هذا الترتيب كان في مسودة المصنف ،

ثم بدَّله بعض الطلبة . يقول النعيمي :

«وقد استعارها مني بعض فضلاء الطلبة المصريين ، فرتبهم على حروف

المجم ، فقدَّم المؤخَّر وأخَّرَ المقدم ، على حسب ما أراد . ولا قوَّة إلا بالله .»

وقوله : لا قوَّة إلا بالله ، يشعر بأنَّه غير راضٍ عما فعله الطلبة المصريون .

ثم وقعت هذه الفسخة لابن المؤلف يحيى . فذبلَّ على أبيه بخطه قائلاً :

«يقول كاتبه العبد الفقير إلى الله تعالى أبو زكريا يحيى ابن المؤلف ،

مؤلف هذا الكتاب المسمَّى ذلك بالعنوان في ضبط مواليد ووفيات أهل الزمان ،

جمع والد كاتبه هو سيدنا ومولانا العبد الفقير إلى الله تعالى الشيخ الإمام

العلامة العمدة

«استخرتُ الله تعالى بأن أُلحق بهذا المؤلف مواليد جماعة من الصلحاء

والفضلاء الذين انتشروا (كذا) في هذا الزمان وغيره»

وقد صارت هذه النسخة المخطوطة الى أحمد رافع الطهطاوي . وكأنه
وقع على مسودة المصنف نفسه ، فعارض النسخة بها وصححها ، ونبهه في
الحواشي على أخطاء كثيرة وردت في النص .

وهانحن أولاء نقدّم أنموذجين من ترجمات النعيمي ، وملاحظات
الطهطاوي .

- ١ -

« ومنهم قاضي القضاة حافظ العصر شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي
ابن محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن سحجر ، وبه اشتهر ، ابن أحمد ،
المسقلاني الأصل ، المصري ، الشافعي .

« مولده بمصر العتيقة . وميلاده ثالث عشرين شعبان سنة ثلاث وسبعين
وسبع مئة . وأول سماعه الحديث كان بمكة سنة خمس وثمان مئة . وتوفي
ليلة السبت ثامن عشر ذي الحجة سنة اثنتين وخمسين وثمان مئة بالقاهرة .
وقد ذكرت له ترجمة بخطي في كراسين بأول شرحه فتح الباري .

(حاشية بخط الطهطاوي : قوله سنة خمس وثمان مئة صوابه خمس وثمانين
وسبع مئة . وكان عمره إذ ذاك اثني عشرة سنة . ذكره الحافظ ابن حجر
نفسه في المجموع المؤسس ^(١) . كتبه أحمد بن رافع الطهطاوي الحنفي
عني عنه .)

(١) يعني المجموع المؤسس للمعجم المهرس الذي جمع فيه أسامي شيوخه وهو ما يزال
مخطوطاً . انظر فهرس المخطوطات المصرية . التاريخ ١ : ٢٣٠ .

- ٢ -

« ومنهم العلامة قاضي القضاة المالكية بدمشق علم الدين وبُقَال انير (كذا) الدين ، أبو النجا سالم بن ابراهيم بن عيسى الصنهاجي المغربي ^(١) .
 « ميلاده سنة سبع وأربعين وسبع مئة . وتولى [قضاء] قضاة المالكية بدمشق في سنة ثلاث وأربعين وثمان مئة . ونوفي بالمدرسة الشراييشية ^(٢) قبلي الأصدية ، داخل دمشق ، في تاسع صفر سنة ثلاث وسبعين وثمان مئة ، ودُفن من جانب (كذا) الشمالي من مقبرة الحمدية ^(٣) (كذا) .
 (حاشية بخط الطهطاوي : الذي بخط المؤلف : وبُقَال زين الدين .
 كتبه أحمد رافع عني عنه) .

★ ★ ★

والخطوط في ٦٠ صفحة . ومن ص ٦١ يبدأ ذيل ابن المؤلف وينتهي في ص ٦٥ . وقد وقفه أحمد بن اسماعيل بن محمد نيمور . ورقه في التيمورية ٢١٩٣ تاريخ . والكتاب ' يكمل النصوص التي بين أيدينا عن تراجم رجال القرن التاسع والقرن العاشر ، كالضوء للسخاوي ، والكواكب للفري ، وتراجم الأعيان للبوريني ، وذخائر القصر لابن طولون ، وغيرها .

صلاح الدين المجدد



- (١) انظر : قضاة دمشق لابن طولون (من تحقيقنا) رقم ٢٠٠ . وهذه الترجمة تكمل ما ذكره ابن طولون .
 (٢) انظر عنها الدارس للتبلي ٧ : ٢ .
 (٣) صوابها « الحمزية » . عرفت كذلك في اللزن التاسع ، وهي مقبرة الحميريين . انظر عنها كتابنا خطط دمشق ص ١٢٦ : وتاريخ دمشق ، المجلد الثاني (تحقيقنا) ص ٩١ ، ١٤٤ .

فهرس الجزء الأول من المجلد الرابع والثلاثين

صفحة

٣	قصيدة منصور النعمري في الرشيد	للاستاذ خليل سرمد بك
١٤	أسماء الشهور في العربية	للأمير مصطفى الشباني
٢٠	الملاقات الجوهرية بين الفتن العربية والارامية «الريالية» (٣)	للطاران غريغوريوس بولس بهنام
٣٥	مهرجان أحمد شوقي	للدكتور سامي الدهان
٤٢	شاعر الحرب	للاستاذ شفيق جبوري
٤٨	الوصف والفتل في شعر شوقي	للدكتور سامي الدهان
٦٦	نثر شوقي	للدكتور شكري ليدل
٨٨	معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات	للدكتور حني سبع
١٠٠	غنايات مما لم ينشر من شعر البحري (١)	للدكتور صالح الأشتر
١١٢	كتاب النفس لابن باجة الأندلسي (٥)	للدكتور محمد صفيح حسن المصري

التعريف والنقد

١٢٧	ديوان ابن الجياط	للدكتور سامي الدهان
١٣٣	الثقافة الإسلامية في الهند	للاستاذ محمد بهجة البيطار
١٣٨	ديوان السيد موسى الطالقاني	

آراء وأنباء

١٤٥	أعضاء الجمع العلمي العربي في سنة ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٩ م	
١٤٥	الأعضاء الماملون	
١٤٥	الأعضاء المراسلون	
١٤٧	الأعضاء الراحلون	
١٥٠	انتخاب عضو جديد	
١٥١	كلمة الدكتور جبل صليبا في جلسة استقبال الدكتور محمد كامل عياد مضمناً عاملاً	
١٦٥	كلمة الدكتور محمد كامل عياد	
١٩٢	الإصاح من أبيات مشكلة الإيضاح للفارقي	للاستاذ عبد العزيز الميني
١٩٦	مستدرك على تصويبات في الوافي بالوفيات	للاستاذ حسن حني عبد الوهاب
١٩٨	ملاحظات على الجزء الثالث من كتاب الوافي بالوفيات (٢)	للاستاذ رشدي الحكيم
٢٠٤	النون في ضبط مواليد ووفيات أهل الزمان	للدكتور صلاح الدين المنجد

مجلة المجمع العلمي العربي

١ نيسان سنة ١٩٥٩ م

٢٣ شهر رمضان سنة ١٣٧٨ هـ

سخرية الشدياق

كنت كلما ألقب النظر في صور رجالات العصر الحديث أحبس هذا النظر على صورة أولعت بها الومع كله ، أرى طربوشاً حميداً منحدرّاً الى الأذنين كأنه يقطينة على رأس صاحبه وعينين ان لم تكونا مثل حبتين من حمص ذابل فانها مثل جوزتين خضراوين ناضرتين يشيع الخبث فيها وأرى لحية قد بعثرت شعراتها على الخدين ومن تحتها عقدة ملتفة من العنق الى الصدر يحسبها الانسان لاؤل وهلة ضفدعاً على منضدة التشرح أرى هذا كله وأرى وقفة تشبه وقفة الأسد فأقول : على أي شيء تنطوي هذه الصورة ، وأنا غير مطلع على علم الهيئة !

صاحب الصورة أحمد فارس الشدياق .

طلع القرن التاسع عشر فطلعت فيه عبقرية لا أبالغ اذا قلت انها أعظم عبقرية نشأت في تلك الأيام واذا كان الحال لا ينسج للكلام على هذه العبقرية من مجامع نواحيها فاني أرجو أن ينسج للكلام على ناحية واحدة منها انفرديها صاحبها وهي السخرية .

غير أني لا أستطيع التبسط في هذه السخرية والاشارة الى مختلف مظاهرها إلا اذا أوجزت في الإشارة الى العصر الذي عاش فيه الشدياق لأن بين أوضاع ذلك العصر وبين سخرية الشدياق نسبةً مستحكمة لا واهمة ، لقد هدم وبني ولكنه لم يستخدم في بنيانه إلا السخرية وحدها ، ثار ثورة على عصره إن لم تنفجر فيها الدماء فقد انفجر فيها شيء أروع من سفك الدماء ، انفجرت فيها سخرية كان وقعها في الأفهام أشد من وقع السهام في الأجسام .



راقب الشدياق عصره في أكثر جوانبه ، فلم يغفل عن شيء مما كان يجري في ذلك العصر ، لقد تولى في كتابه : الساق على الساق تدوين سيرته ولكن قد يتخلل هذا التدوين استطراد الى ذكر أمور تتصل بعصره مثل أمور الرهبان والكتائب والحكام والأمرأ والأغنياء والنساء والحياة الاجتماعية ومعاملة الترك للشعب وبعض الطوائف والأديان أو ذكر أمور فنية كالشعر والموسيقى وغيرهما ، وإذا ما قابلنا بين العصر الذي عاش فيه الشدياق وبين العصر الذي نعيش فيه استطعنا أن ندرك هذا الأمر الذي تسرعه حياتنا الى السكال ، فلولاً الشدياق وأمثاله من أصحاب العيون الثاقبة والأذهان النافذة لما كدنا نحيط بتلك الظلمات غير البعيدة عنا ونقابل بينها وبين هذا الضياء الساطع في حياة أيامنا .

راقب الشدياق الرهبان في أديارهم وقد كان سبب هذه المراقبة اضطهاد الموارنة لأخيه أسعد الذي كان يحبه حباً جماً ، تنبع زلاتهم وبحث عن خفايا أمورهم وكشف الغطاء عن سيرتهم فلم يجد في الأديار إلا جهالة جهلاء وضلالة عمياء .

ثم رجال الدين على نحو ما قال لنا أن يتعلموا بعض قواعد في اللغتين العربية والسريانية لجرء العلم بها فقط من دون فائدة إذ لم يعلم الى الآن أن أحداً منهم ترجم كتاباً أو كراسة مفيدة في هاتين اللغتين ولا أن البطرك

أمر بطبع كتاب فيها وإنما كان بنفق دخله على الولايم والمآدب التي يهونها لزواره وأمره الجليل ومشايخه .

إلا أنه لم يقتصر على التنبيد بجهل الرهبان وإنما ندّد بعفتهم فجاء في هذا الباب مجالاً لا حاجة بنا الى الدخول في تفاصيله .

خرج الشدياق من الأديار فضررب بعينه في الكتائب فرأى المعلمين في كتائب الجبل لم يطالعوا مدّة حياتهم كلها سوى كتاب الزبور وهو الذي يتعلمه الأولاد هناك لا غير من دون أن يفهموه بل فهم معانيه على ما وصّيه الشدياق محظور ولماذا هذه الأساليب الرقيقة في التعليم لقد شرح لنا ذلك فقال : « والظاهر أن سادتنا رؤساء الدين والدنيا لا يريدون لرعيّتهم المساكين أن يتفقهوا بل يحاولون ما أمكن أن يغادروهم متسكعين في مهامه الجهل والغباءة » . غادر الأديار والكتائب فدخل السرايا فرأى أن الحكام لا يقلدون الوظائف إلاّ ناساً جهلاء وهذه هي الصورة التي خلفها لنا في هذا المعنى :

« لم يكن حاكم البلاد يستخدم من الكتاب إلاّ من بذات العين خطه وعاف الذوق السليم كلامه اشعاراً بأن الخطّ لا يتوقف على الخط وان ادارة الأحكام لا تنفقر الى تهذيب الكلام وان كثيراً قد نالوا المراتب السامية والمناصب السنية وهم لا يحسنون توقيع اسمهم الشريف » .

أديار تكاد الحياة تكون فيها فسحة ، وكتائب تعلم القراءة من غير فهم المعاني وحكام يتقبلون في الجهل فكيف لا ينشأ عن حالات مثل هذه الحالات ظلم واستبداد فإذا تمدّى أحد الناس على أحد وفرّ من القصاص أخذ بذنبه على نحو ما رواه الشدياق أحد أهله أو جيرانه أو ماشيته أو ماعونه وقطع شجرة وأحرق منزله .

وكانت للحكام حالة خاصة في الاستملاء فإذا سأل الأمير أحد الناس

عن شيء وتلثم في الجواب أو تروى فيه سب آباءه وأجداده ولعنه وتهذبه بالصلب أو بسمل عينيه .

تغافل الشدياق بعد هذا كله في طبقات الشعب فوجد أن الأغنياء لا يسافرون ولا يجتنبون أحوال الأمم وعاداتهم وأطوارهم وأخلاقهم ومذاهبهم وميادهم ووجد أن المرأة أمية في عزلة عن المجتمع لا تعاشر أحداً سوى الخوادم وأهل البيت فكانت تحصل معارفها كلها من الخوادم لا غير .

إلا أنه رأى في المرأة طبائع حسنة فصورها على هذا الوجه :

« من طبع هؤلاء المخلوقات المباركات سلامة النية وصفاء العقيدة والتقرب الى الرجال لا عن فجور فترى المرأة منهن متزوجة كانت أو ثيبه تجلس الى جانب الرجل وتأخذ بيده وتلقي يدها على كتفه وتسندها على صدره وتبسم له وتوأسه في الحديث وتحنه ببعض ما تصل اليه يدها . كل ذلك عن صفاء نية وخلوص مودة وأحسن ما يرى فيهن البلاهة فانها في النساء خير من الفكر والدهاء » .

لقد أmeen الشدياق في تصوير المرأة في عصره تنبها في كل شيء ، في محاسنها وأحاديثها وهو مولع بالمقابلات بين نساء ونساء وبين ثياب وثياب ، دخل دمشق فوصف نساءها فقال :

« فأما نساء المسلمين فقد ظهر لي في بادئ الرأي أنهن أجل من نساء النصارى كما أن الرجال من المسلمين أجل من النصارى وأفصح لهجة وكذا هم في سائر البلاد الإسلامية ولون النساء عموماً البياض المشرب بالحمرة والغالب عليهن الطول والشطاط غير أن هذا الإزار الأبيض التي يتزين به عند خروجهن من ديارهن لا يحلو للمين كحبر نساء مصر وكلاهما مخف للمحسن القدر ولعلمن بلبسن ذلك عمداً لتأمن الرجال فتنتهن فلهن الشكر عليه ! »

ولم يكشف بوصف أمية المرأة وطبائعها وهيئتها في عصره وإنما دخل عليها الدور والمنازل فرأى كيف تأكل وكيف تجلس وحسبنا أن نعرف أن النساء كنّ يقعدن على الأرض وهي عادة ألفنها ولا يرين فيها عيباً وأكثرهن تبدي نديها .

واذا فرغ من مراقبة المرأة في جلستها وأكلها انصرف الى مراقبة الأمراء فقال فيهم : « انهم يقعدون على الحصير وعند النوم يرقدون فوقه على فراش واحد وربما اجتزاؤا بالبيض والأرز واللبن عن الحمام والفراخ والدجاج من دون شراب ولا فاكهة ولا ثقل وأرجلهم ظاهرة فاذا قعدوا على الحصير خلعوا نعلهم بالقرب منه فتبقى برأى منهم وترى بعض خدمهم يقوم على رؤسهم أي بازائهم لا فوقها وفي حزامه المعلقة وآخر في جيبه الطاس من فضة إشارة الى غنى الأمير والى كونه أحد الناس غير مستغن عن اللعق والشرب وهو قاعد مطرق لا كتاب عنده فيطالعه ولا سمير له فيسارمه ولا آلة لهو تطربه وهو يقضي ساعات من النهار هكذا بل يوماً وأياماً ولا يرى من امرأة أصلاً »

لم يغفل الشدياق عن ناحية من نواحي عصره في وطنه ولما ذهب الى مصر عاد الى دأبه من المراقبة والتتبع كان للترك في مصر سلطنة . كان لهم سطوة على العرب وتجيبر وصفها الشدياق فقال : « حتى ان العربي لا يحجل له أن ينظر الى وجه تركي كما لا يحجل له أن ينظر الى حرم غيره واذا اتفق في نوادر الدهر ان تركياً وعربياً تماشيا أخذ العربي بالسنة المفروضة وهي أن يمشي عن يسار التركي عنشماً خاشعاً فاذا عطس التركي قال له العربي : رحمك الله ! واذا تنحنع قال : حرمك الله ! واذا غخط قال : وراك الله ! واذا عثر عثر الآخر معه اجلالاً له فقال : نمشك الله لانهشنا ! »

هذه طائفة يسيرة من أوضاع عصر الشدياق ظلمات بعضها فوق بعض ،

ظلمات في الأدبار والكتائب ظلمات في حياة الرجل والمرأة ظلمات في الحكم والسياسة ظلمات في الحياة الاجتماعية بجذافيرها . . . لقد ناز الشدياق على هذا كله ولكن ما هو المسلك الذي سلكه في ثورته . هذا هو موضوع حديثنا .

**

إذا كانت السخرية في قديم الدهر طريقة بسيطة من طرق المناظرة لجأ إليها سقراط فنسب إليها اسمه فقد أصبحت بومنا هذا طريقة من الطرائق التي تنقي بها المواطنين العنيفة وتدفع بها عن أنفسنا الأهواء العميقة فنحن نخاف أن نألم ، نخاف أن نتألم ، نخاف أن يزعجوننا في عاداتنا وهدوئنا فنسخر بدلاً من أن يكدرنا مكدر ، فنضع بهذه السخرية كل أمر من أمور الناس في نصابه ونعلمهم كيف نحكم على سيرتهم ، أنا لا نجراً على أن نخرج الناس جرحاً مكشوفاً ولكننا نقصد إلى أساليب ثانية من هذه الأساليب : السخرية .

هذه خلاصة ما قاله أحد رجال الأكاديمية في باريز ، ولقد لجأ الشدياق إلى هذه الأساليب التي لا تخرج جرحاً مكشوفاً ، بقول ثولتير : إذا أردت القضاء على خصمك فاجعله 'هزأة' ، لقد جعل الشدياق عصره كله هزأة أرادته منه أن يهدمه ويبني بدلاً منه عصرًا كاملاً من كل الوجوه .

لم يكن الشدياق من طبقة الكتّاب الذين يراقبون عصورهم فيشهدون مفاصلها وما اختلّ من أوضاعها فيقتصرون على تهديم ما عوجّ من هذه الأوضاع دون التفكير في شيء من تقويم الاعوجاج والتنبية على ما فيه صلاح المجتمع ، ونعت عينه على مساوي عصره بأجمعها فاستعمل كل ما أناء الله من مواهب السخرية والأدب والعقل في إصلاح الدين وتقويض ما أحاط به من حياة فسنة في الأديار وجعل مستفيض في الرهبان والشعب والحكام والأمرء والشيوخ وفساد في العادات والتقاليد والآداب وفسادة في معاملة الولاة للرعية واستبداد

بأمور السياسة وزهد في الفنون اللطيفة وجود في بعض مذاهب الأدب وفي غير هذا كله من أمور الحياة ، لقد ثار على كل مفاصد عصره ولكنه لم يفكر في لفظ من ألفاظه ولا في جملة من جملة ولا في فصل من فصوله في الاغراء بسفك الدماء . لقد كانت ثورته هادئة هدوء نسيم الفجر ، صافية صفاء الينابيع ، آلمه خصام الناس وخلافهم وعداؤهم فدعاهم الى ضروب من الأخلاق لا خصام فيها ولا خلاف ولا عدا ، دعاهم الى بناء الأخلاق على العلم فقال :

« ما بال علماء الرياضة والهندسة والتنجم لا يختلفون في أدلتهم وان اختلفوا لم يشبوا ناراً لتحقيق نحلتهم » .

ثار على الرهبان ثورة شديدة ، ثار على جهلهم ، ولكن كيف كان يسخر بهذا الجهل ، كان بلجأ الى طريقة خبيثة في الدلالة عليه تشبه طريقة الجاحظ في القديم فهو يورد النكتة الناطقة عن جهل الرهبان دون ذكر هذا الجهل . أعمل فكره وهو في دير من الأديار في نظم بيتين في العدس فالتبست عليه لفظة فقام في طلب القاموس فطرق باب جاره وكان من المتحمسين في الدين فقال له : هل عندك ياسيدي القاموس ، قال : ما عندنا بالدير جاموس بل ثيران ، فطرق باب آخر وكان أشد منه خشونة فقال له : هل لك في أن تعيرني القاموس ساعة قال : اصبر علي الى نصف الليل فان الكابوس لا يأتيني إلا في هذا الوقت ، ففضى الى غيره وأعاد عليه السؤال فقال له : أي شيء هو هذا القاموس يا ماعوص !

وهكذا سخر بجهل رجال الأديار دون شيء من الشتم والقذف وقد أعانه على هذا تبخره في اللغة ووقوفه على غرائب الألفاظ التي تنفخ روحاً في النكتة في بعض الأوقات .

وكما هنأ بجهل الرهبان فكذلك هنأ بالأمراء والحكام ، أراد أن يصور

استعلاءهم وبعدم عن طبقات الشعب فقال : ان الأمير في ذلك العصر لا يرى منه إلا قذاله من بعد ولا يتاح لكل واحد تقبيل يده الشريفة .
وقد أضاف الى هذه الصورة صورة أخرى فقال :

واتفق أن زارني في صباح ذلك اليوم بعض الأمراء الذين ينبغي أن يقال لما أثبتوه : نعم ، في موضع لا ، ولما نفوه : لا ، في موضع نعم .

هكذا كانت عقول أمراء الجبل في عصر الشدياق واذا كان الناس على دين ملوكهم فقد كان كتاب الأمراء على دين الأمراء أنفسهم ، سأل الشدياق أحدهم مسألة تتصل بخير الحياة وشرها ، بلذتها وألمها فصلها ابن حزم في بعض كتبه فقال كاتب الأمير : ان سعادتي في الكون هي أن أرضى عن أميرى وبرضى عني ، وشقائى هي أن أغضب منه وبغضب منى وقد نسبت كل ما جرى على من الغضب لكثرة المشادة والمقتضى فان صبرت على في المسانف شهراً لا أقيد في دفترى ما ألقاه منه حلواً ومرّاً ، ونفعاً وضراً أفدتك الجواب !

ولا شك في أن هذا النمط من الكتاب أشد موافقة لهذا النمط من الأمراء .
واقدم كانت سخريته بالناس الذين كانوا يزهدون في تعليم المرأة مثل سخريته بالزهاد والأمراء وكتائبهم ، لماذا زهد الناس في هذا التعليم ، لأنهم على نحو ما قال الشدياق يزعمون ان علم القراءة مفسدة للنساء وان المرأة أوّل ما نستطيع ضمّ حرف الى حرف تجعل منها كتاباً الى عاشقها .

فهل من كلام أبلغ في السخرية من قوله : ضمّ حرف الى حرف أو قوله : تجعل منها كتاباً الى عاشقها ، في سطر واحد صور جهل عصره بحذافيره وصبّ سخريته على هذا الجهل .

انتقل من السخرية بالزهد في تعليم المرأة الى السخرية بالزهد في الفنون اللطيفة ، كان أهل عصره يعتقدون على نحو ما قال ان صنعة الألحان والعزف

بالملاهي بنسم صاحبها بالشين لما في ذلك من التطريب والتصبي والتشويق والقوم
يجذرون من كل ما بلذ الحواس . ولذلك لا يشاؤون أن يتعلموا الغناء والعزف
باحدى آلات الطرب أو يستعملوها في معابدهم وصلواتهم كما تفعل مشايخ الافرنجة
خشية أن يفضي بهم ذلك الى الالحاد .

غادر هذه الطبقات وتغلغل في المجتمع فوقعت عينه على الأطباء والأطباء
لم يسلموا من شرّ الأدباء لافي القديم ولا في الحديث قال الشدياق فيهم :
فاني أرى هؤلاء الأطباء يعالجون الأمراض بالحرص والتخمين فما يهتدون
الى العلة والمعلول الا بعد أن تبلغ الروح الحلقوم فيجربون مرّة دواء ومرّة
أخرى غيره ثم يخلص رأيه فيهم في قوله :

غير أن الطبيب رسول عزرائيل منعي من الحركة .

فما أظن أن الهجاء الشديد يعدل قوله : رسول عزرائيل !
وهل كان الشدياق رؤفًا بأصحاب الجنس الأنيس ، رفيقًا بالقوادير ،
أراد أن يظهر طبيعة من طبائع النساء ، ما هي هذه الطبيعة ، ولعنّ بالثناء
والمديح فهو يعرف أنهم يجملن القراءة وعلى الرغم من هذه المعرفة قال فيهن :
لا شيء يصعب على فهمنّ مما يؤد الى ذكر الوصال والحب والغرام فهنّ
يستوعبنه ويتلقفنه من دون تلعثم ولا قصور وحسي أن يبلغ مسامعنّ قولـ
القائل : ان فلاناً قد أُلّف في النساء كتاباً فضلهن به على سائر المخلوقات فقال :
انهنّ زخرف الكون ونعيم الدنيا وزُهاها وغبطة الحياة ومنهاها وسرور النفس
ومشتهاها . . . فاذا قدّر الله بلوغ هذا الظير المطرب سماع احدى سيداتي
هؤلاء الجيلات وسرّته به وفرحت ورفقت ومرحت رجوت منها وأنا باسط
يد الضراعة ان تبلغه أيضاً مسامع جاريتها وأملت من هذه أيضاً أن تطالع به
صاحبها حتى لا يمضي أسبوع واحد إلا ويكون خبر الكتاب قد ذاع في
المدينة كلها .

بهذا النوع من السخرية الباردة شهر الشدياق ناحية من نواحي النساء .
وكثيراً ما كان يجري على أصول الجاحظ في سخريته ببعض المعتقدات ففي
فصل من الفصول استفاخت طائفة من الأفكار تتعلق بالحياة وفلسفتها فنقل
شبهاً مما يتناظر فيه الناس ويتجادلون ، من ذلك قوله :

فقال بعض : ألا ان درجات السماء مائة وخمسة فقال غيره : ألا انها مائة
وأربع فقال آخر : لقد كذبتا واستوجبنا قطع اللسان وسمل العينين وصل
الأنثيين : انما هي مائة وست !

ان اثبات أمثال هذه المجادلات والمناظرات على هذا الشكل لا يخلو من
سخرية خبيثة ، فهو لا يتمرّض لها ولا ينقدها أو ينظر فيها وانما يقتصر على
ذكرها دون ابداء الرأي فيها وبترك للقارىء الحرية في الحكم عليها .

والخلاصة لم يترك الشدياق أحداً في عصره حتى ان الأديباء والشعراء
والمفكرين لم ينجوا من سخريته كما لم تنج منها بعض عناصر الثقافة وفي مقدمتها
النحو . روى كلاماً على لسان بعض الأساتذة يتصل بتطويل أبواب النحو وأظنه
هو صاحب هذا الكلام قال : قد ظالماً كان يخامرني الرب في قضية خلود
النفس فكنت أميل الى ما قالته الفلاسفة من أنه كل ما كان له ابتداء فهو متناهي
فلما رأيت النحو له ابتداء وليس له انتهاء فست النفس عليه فزال عني والحمد لله
ذلك الإيهام !

أما في باب السياسة القومية فقد لجأ الى تحريك العرب بشكل من السخرية
بهز الجهاد قال : وقد سمعت ان الترك هنا ، أي في الاسكندرية ، عقدوا
مجلس شوري استقر رأيهم فيه لدى المذاكرة على أن يتخذوا لهم مركباً وطيقاً
من ظهور العرب فانهم جربوا مروج الخيل وبراذع الجمال وأكفها وأفتاب
الابل وبواصرها وحصرها وسائر أنواع المحامل فوجدوها كلها لا تصلح لهم . . .

وما أظن أن كلاماً يستفزّ العزائم أقوى من هذا الكلام ثم استمرّ في هذا النحو من السخرية فقال :

ولم أدر ما سبب تكبر هؤلاء الترك على العرب مع أن النبي (ﷺ) كان عربياً والقرآن أنزل باللسان العربي والأئمة والخلفاء الراشدين والعلماء كانوا كلهم عرباً غير أني أظن أن أكثر الترك يجهل ذلك فيحسبون أن النبي (ﷺ) كان يقول : شوبله ! بويله ! أو : بقالم ! بقالم ! لا والله ما كان هذا لسان النبي ولا لسان الصحابة والتابعين والأئمة الراشدين ، رضي الله عنهم أجمعين إلى يوم الدين . آمين ! آمين ! وبعده آمين !

خلق الشدياق خفيف الروح والظل ومن نظر إلى صورته في شيخوخته فلا بدّ له من أن يرى في تضاعيفها شيئاً من هذه الخفة على أنه لم ينشأ في صدر حياته على النعيم والترف وإنما ذاق كثيراً من مرارة الحياة قبل أن يصل إلى حلاوتها ونضارتها فقد كان على نحو ما قال 'بكب' على النسخ وفي طلعته مبادئ المسخ فكان يرى غائر العينين ذاوي اليدين ناقى عظم الخدين زانق الجلد كالظل حتى كان يرثى لحاله وأظن أن لخشونة حياته مرراً كبيراً في سخريته إلا أن مزاجه غلب على مصاعب الحياة وكان مرح نفسه أقوى من كآبتها فما كانت تمرّ به فرصة دون اغتنامها للتخفيف من كربه ومن بدري فقد تكون شدة الحياة على بعض النفوس باعثاً لها على النشاط والضحك والاضحاح نشأ كما مرّ بنا في عصر ظلماته بعضها فوق بعض فاستعان على الخروج من هذه الظلمات وعلى إخراج أهل عصره منها بالسخرية فهو لم يشبه أولئك الكتاب الذين تسود الدنيا في عيونهم فيسودونها في عيون الناس . انه على الرغم من كل ما عاناه في أوّل حياته ضحكك للدنيا وما زال يضحك لها حتى ضحكت له فصار في اكتماله إلى النعيم وأورثنا بفضل مزاجه المرح الضاحك الساخر مبرائناً من الأدب يظلّ خالداً على مرّ السنين .

ولم يقتصر على السخرية بمجتمعهم وحده وإنما رحل الى مالطة والى بلاد الانكليز فأفرغ سخريته على كل ما انحرف عن سواء السبيل في كل أمر من أمور الحياة فقد أصبحت السخرية ملكته الغالبة وسلطانها القاهر . تنبع أهل مالطة في كل شيء ، تنبعهم في طبيعة بلادهم وتحدثهم في طائفة من معتقداتهم وعاداتهم في الزواج وآدابهم في الأكل والمخاطبات وتقر عن بلادة عقولهم وعن ضيق لغتهم وعن تقاليدهم ولم ينبج من قلمه البغايا أنفسهم .

سخر بآدابهم في الأكل فقال : واذا دعوت أحداً منهم الى مأدبة لم يكن منه في خلال التهامه ما بين يديه إلاّ الثناء على نفسه بأنه قليل الأكل . ولكنني أرى أن كل أنواع السخرية بأهل مالطة في كفة وان النوع الآتي من السخرية بالبغايا في كفة وحدها ، قال فيمن :

« وحين يأتين الفاحشة بغطين وجوه صور القديسين التي في حجرهن »
ويقلبها تأدياً وتورعاً .

ما أطبعه على روح السخرية ، أيّ تأدب أم أيّ تورع في مقام مثل هذا المقام ؟

ولما ذهب الشدياق الى بلاد الانكليز اتسعت آفاق سخريته راقبهم في حركاتهم وسكناتهم ، سخر بالأصاففة كما سخر بالشرفاء ، فرغ من هذه الطبقة فانصرف الى جامعات الانكليز فلم يسلم المنشرقون وطلاب الجامعة من تهكمه كما لم يسلم من هذا التهمك كذاب الصكوك في انكثرة ولم يفت عن النساء في بعض الأوقات .

بعد هذا كله التفت الى مجتمعات الانكليز فاستهزأ ببعض آدابهم في المآدب وبعض عاداتهم وسخر بآكلهم وطبخهم ودخل دورهم فسخر بمعاملة سيدات الدور للخوادم خرج من الدور فراقب الانكليز في لهوهم وحظهم ومراكمهم فلم يوفر

لم أذواقهم في هذا اللهو وهذا الحظ وهذه المراكب ثم حرف نظره الى هيات الانكليز فسخر بهذه الهيات وبعض ثياب اصحابها كما سخر ببلادة الانكليز وطبائهم وتحياتهم واجتماعاتهم ومعتقداتهم ومعاملاتهم الرسمية .

واذا تعدّر الاستقصاء في أنواع هذه السخرية كلها فلا أقلّ من الاشارة الى بعضها .

مساكين هؤلاء الرهبان الذين وقعوا في لسانه ، كان يتكلم على الاساقفة في قري الانكليز وعلى منزلتهم في الناس فقابل بين ترفهم وتعيمهم وبين حضهم للناس على النقشف فقال :

وربما بلغ دخل أحدهم ألف ليرة فترى له أحسن الديار وعنده خدمة وعاجلة فاخرة وخدام يسوقها وعلى يربيطه شريطة من ذهب كخدمة الاشراف ثم اذا صعد المنبر وعظ المساكين المحتاجين الى القوت الضروري بالزهد في الدنيا وتجنب شهواتها ! . . .

أيّ مقابلة أبلغ من المقابلة بين ترف هذا الاسقف في حياته وبين دعوة الناس الى الخشونة . . .

أما طبقة الشرفاء في بلاد الانكليز فكانت مسخرته بسخافاتهم فهي اذا خلت من الأذى فانها لا تخلو من الاضحك ، وهذه هي مراسم زيارتهم .
« وينبغي لمن أكرمه الله عزّ وجلّ بزيارة أحد هؤلاء الأبحاد والماجدات إلاّ بذهب إلاّ في وقت الزيارة المعلوم وهو بعد الضحى وأن يكون مجلّلاً باللباس الفاخر نظيف الثياب حالقاً شاربية مرجلاً شعر رأسه بارداً أظافيره ماسحاً نعليه ساتراً كتفيه بجلد أبيض فان قولنا : المرء بأصغريه ، ولا تكلمك العبادة وانما يملك صاحبها ، وربّ حرّة ثوبه خلق لا محلّ له من الاصراب عندهم » .

وقد تكون اللفظة في بعض الأوقات هي التي توجي الى الشدياق روح السخرية فمن قوله بعد أن وصف ما وصف من عادات أبحاد الانكليز ونقاليدهم : وفي الجملة فان معاشره هؤلاء الرؤس نتعب الرأس والرجل معاً وتضيع كثيراً من الوقت والمال وربما دعاك أحدهم الى غداء فقام عليك ذلك الغداء مقام عشرة أعدية . .

أما نساء الانكليز فقد ضربهن في المقاتل لما تعرض لعفتهن . كان يصف الزواج ومراسمه فقال :

ولا بدّ للفتزوجة أن تلبس خاتم الزواج في ينصر يدها اليسرى ومن لم يكن لها خاتم لم تحسب متزوجة وان كان لها خمسة بعول .

ولم تكن سخريته بالمجتمع الانكليزي أقل من سخريته بالانكليز أنفسهم فقد راقب في هذا المجتمع آداب القوم في المآدب وبعض عاداتهم فوجد فيها مادة للسخرية . قال في بعض هذه المآدب .

أدبي أو أدب طربوشي أحد الوجوه في كبريج الى أن أشرب الشاي معه فقال : هل لك في أن تشرب الشاي معنا في إحدى الليالي ولكن بعد ثلاثة أسابيع قلت : نعم ، حتى اذا صرتُ اليه لم أجد على المائدة غير الصنف المعتاد منه مع أنني كنت أظن أن توفيت تلك المدة انما كان لجلبه من بعض البلاد . ولئن سخر بغرابة عادات الانكليز في مآدبهم فقد سخر بيخلافهم فقال لزوجته : ثم ينبغي لك اذا دعينا الى وليمة عند أحد أكارهم أن تأكلي هنا من قبل أن تذهبي فان المدعوين لا يأكلون عند أديهم حتى يشبعوا ولكن يشبعون حتى يأكلوا . . .

ولقد كانت سخريته بما يتعلق بالمآدب والطعام خصبة فمن عادة الانكليز أن يدخروا صنوفاً من الطعام فقال الشدياق : وربما كان عمر السمكة بعد صيدها أطول منه قبله .

وكيف يمرّ الشدياق بالانكليز فيرى هياثمهم ولا يفتن الى ثيابهم فمن
سخرته بخياطة هذه الثياب قوله :

فان من يشتري ثوبا مخيطا في لندرة يلزمه أن يستأجر معه خياطاً يصلحه
له في كل يوم .

والخلاصة اذا لم يجد الشدياق أحداً يسخر به سخر بنفسه من ذلك سخرته
في مقدمة فصل عنوانه : الثلج :

لاضرو أن يجد بعض القارئین كلامي في هذا الفصل بارداً لاني كتبه
في يوم عبوس فطير ذي زمهرير !

*
**
*

أكنفي بما أشرت اليه من أنماط سخرية الشدياق ولم أعرض هذه النماذج
لمجرد العرض وحده وانما أحببت أن أستخرج من كل ما ذكرت أن الشدياق
اذا خلق في ظلمات القرن التاسع عشر فقد عاش بعقله في ضياء القرن العشرين .
لقد سبق عصره وتمداه وانتقل بعقريته الى العصر الذي بعده فلئن كان نائراً
في مقدمة الثائرين فقد كان مجدداً في طليعة المجددين ومصلحاً على رأس المصلحين .
يقول « اندره موروا » في فصل من كتابه : دراسات أميركية : من
الكتب كتب تنزل حين صدورها منزلة الآيات البيّنات ثم لا تلبث أن تموت
بعد بضع سنين وأن ينساها الناس على وجه الدهر ، ومن الكتب كتب ثلث
الشعور حين صدورها فلم ترق الناس إلا أنها احتفظت بشباب عجيب ودخلت
جنات الخالدين .

فاذا صحّ هذا القول وأظنه صحيحاً فان كتابات الشدياق جرحت بعض

الشعور حين ظهورها إلا أنها على الرغم من ذلك احتفظت بشبابها وإذا لم تدخل حتى اليوم جنّات الخالدين فقد آن لها أن تدخل هذه الجنّات .

لقد أبدع الشدباقي في كتاباته حلاً للحياة الاجتماعية في القرن التاسع عشر ولكنه أبدع هذا الحل بروح جديدة في الأدب وهي السخرية ، انا نعيش في عصره نباينت فيه العقائد وتباعدت المذاهب وتفاوتت مهابّ الأفكار الحديثة وكل واحد يدافع عن عقيدته ويناضل دون مذهبه ويرامي دون مهابّ أفكاره ولكن كل واحد لا يستطيع أن يضبط من جماح بيانه أو لسانه وإذا قبح شيء في هذا الدفاع وهذا النضال وهذه المراماة فلا يقيح شيء مثل جماح البيان والالسان فاذا علّمنا الشدباقي أمراً فقد علّمنا هذه السخرية في تقويم كل اعوجاج واصلاح كل فساد ولا شك في أنها تعمل في العقول ما لا يعمله أيّ جماح كان .

سفيق جيري

العلاقات الجوهرية

بين اللغتين العربية والآرامية « السريانية »

في النواحي التاريخية والفنية واللغوية والأدبية

- ٣ -

ونحن نخالفهم جميعاً لسببين : الأول لأنهم اختلفوا جميعاً ولم تكن آراؤهم إلا من قبيل الحدس والتخمين ، ولا يمكن بناء حقيقة لغوية وتاريخية على الظن والحدس والتخمين ، والثاني لأنني لا نرى موجبا في هذه الحادثة يحمل امراً القيس أمير العرب على أن يجعل « بنيه » فوارس « للروم أو للفرس » ، ولا سيما أن الأستاذ رودنسون درس امكان انحياز امرئ القيس هذا الى جانب الروم والفرس ، وخرج بنتائج مبهمة متناقضة رغم تحرياته الكثيرة ، ولذلك اضطر الى سبر غور هذه الجملة (فرسو لروم) في اللغة السريانية فنقول :

يحتمل التصور أن تكون كلمة « فرسو » مستمدة من كلمة (الفارس) العربية أو من كلمة (فرسا) السريانية ، إلا أن (فرسو) في حالتها الحاضرة بعيدة عن هذا المعنى بالنسبة الى صيغتها الفعلية ، لأنها أي (فرسو) (فرسو) فعل ماضٍ لجمع الغائب ومعناها بالضبط (بسطوا ، نشروا ، مدوا ، انشروا ، سموا) . وأما الكلمة الثانية من الجملة فهي (لروم) ومعناها العلي والمعالى وما الى ذلك ، وتكون القراءة الصحيحة لهذه الجملة « فسموا الى العلى أو المعالى » ، ولا سيما أنها أردفت بالجملة العربية الفصيحة وهي « فلم يبلغ ملك مبلغه » . ولستطيع هنا الخروج بالنتيجة الأخيرة وهي أن هذه الجملة جملة آرامية توضح سمو الانتصار الذي أحرزه (امرؤ القيس) لقبيلته وبنيه ، وهي عندنا أصح من

كل المعاني التي أضفها عليها علماء الساميات لجهلهم روح اللغة الآرامية ، وترجمة ألفاظها بدقة .

٥ - بقيت لدينا الكلمة الأولى من السطر الخامس من هذا الرقيم الهام وهي (عكدى) ، وقد أثبتنا الأستاذ ولفسون في « الحول » (عكدى) ، وقرأها الأستاذ رودنسون « قط وهلك » ونحن نخالفهما في ذلك ونقول إن الكلمة هي « عكرى » لا « عكدى » كالقلم السابقة « عكرى » ، ولكن يختلف معناها بالآرامية عن الأولى ، فعلنا أن تلك معناها « منع ، عطل » ، أما هذه فهي مستمدة من كلمة « عكرا حذا » ومعناها « ذرية ، سلالة » قبيلة « منها (ص ٤٤٠) . ونحن ننيل إلى إعطائها أحد هذه المعاني ، وتكون قراءة الجملة كما أثبتناها : « وذريته أو قبيلته » ، وهلك سنة ٠٠٠ » ، وهي معطوفة على الجملة السابقة : (فلم يبلغ ملك مبلغه وذريته أو مبلغ ذريته وقبيلته) . تبلغ هذه الكتابة زهاء ٤٨ كلمة تتخللها إحدى عشرة كلمة آرامية وهي من الجمل البليغة بالآرامية كجملة (امر التاج مهتلجا) و (فر » هتشمه لاهمه » سموا الى العلى) وغير ذلك من دقائق الآرامية ، وما عدا ذلك فإن وضع كثير من الكلمات العربية يشبه الوضع الآرامي الغربي ، أي بالإمالة الى الضمة الأخيرة كقوله : « نزارو ، معدو ، كلن - كشمه أي كلهم ، فرسو » ، وهنا يجب أن نعلن أن في هذا الرقيم تجمعت مادة من اللغتين الشقيقتين وهو ما يؤيد تعاونهما وسيرهما جنباً الى جنب في مختلف عصور التاريخ .

واذا تقدمنا نحو الجنوب ، نجد هناك مدينة كاملة آرامية وعبرية هي مدينة الانباط التي ظهرت في شبه جزيرة طور سيناء على أنقاض المملكة الآدومية ، وكانت عاصمتها (سلع) وهذه كلمة آرامية وعبرية معناها الصخرة النائية ^(١) .

(١) قاموس أودر السرياني ص ١٩٨٢ وقاموس منا السرياني العربي ص ٧٩٥

وهي بالآرامية حَكَا .

وسماها اليونان بـ Petra كما عرفها العرب بـ (البطراء) أخذاً عن الكلمة اليونانية ، وتوسعت مملكة الأنباط (أو النبط أو النبط) فانحدرت الى بلاد الحجاز من جهة ، ثم صعدت شمالاً حتى بلغت صحراء سورية وشملت دمشق ووصلت الى أطراف نهر الفرات .

أصبحت هذه المملكة بين القرنين الرابع والخامس ق . م ، وقرضها الرومان سنة ١٠٦ م ولعبت أدواراً هامة في تأريخ الشرق العربي .

يمتد علماء الساميات أن النبط خليط من أقوام آرامية وعربية^(١) ، لانتشارهم في بلاد عربية واسعة حتى عرفت مملكتهم في طور سيناء باسم بـترا العربية ، ولأن لغتهم الآرامية تخللها ألفاظ كثيرة عربية ، ولوجود أعلام كثيرة شبيهة بالعربية في تاريخهم ، وكذلك أسماء الأصنام العربية .

أما لغة حضارتها فهي الآرامية رغم تغلب العناصر العربية على العناصر الآرامية المؤسسة لهذه الدولة في أيامها الأخيرة ، وإذا أضفنا الى كل ذلك أسماء الاعلام المستمدة من العربية كأذينة ، وعبد ، وأوس ، وأسد ، ومن ، وجذيمة ، وأوس الله ، وعمرو ، وعمر ، وعميرة ، وبرغوث ، وبكر ، وحنضل ، ورجب ، ولظم ، وكعب ، ووهب . (وقد ذكرها جميعاً الأستاذ ليتمان في بحثه في الأعلام النبطية بالإضافة الى جملة أعلام مستمدة من مصادر يونانية ورومانية وفارسية)^(٢) ، نستطيع القول ان اللغة العربية سارت مع الآرامية في هذه المملكة جنباً الى جنب كل تلك المدة الطويلة ، وتأثرت كل منهما بالأخرى ، ولعمري انها لغة طويلة المدى استطاعت ان تقدم للتاريخ مدنية خاصة آرامية عربية أو عربية آرامية .

وقد قرر علماء الساميات أن لغة النبط الآرامية والآبجدية الآرامية واتصالها بالعرب اتصالاً مباشراً أثر تأثيراً واضحاً في الحضارة العربية الوثنية القديمة ، وأفادت منه اللغة العربية فوائد عظمى في شمال الجزيرة ^(١) .

ووجدت آثار اللغة النبطية (الآرامية والعربية) في جميع المناطق التي تبوأتها هذه الدولة ، وظهر بعضها في منطقة بصرى الشام ، وبعضها في منطقة البتراء نفسها ، والبعض الآخر في العلى بالحجاز ، وهي آثار متشابهة إلا أن الرقيم المكتشفة في بصرى تمتاز عن بقية الرق بظهور مسحة رومانية عليها ، وهذا لا يشوه كيانها الخاص الآرامي العربي . ونستدل من هذه الآثار على أن اللغة الآرامية ، وإن تخللتها عناصر عربية هامة ، قد حافظت على كيانها ، بل طبعت العناصر العربية بطابعها الخاص . مما أدى إلى إمداد العربية بمادة آرامية غنية . وأقدم الرق النبطية يعود تاريخه إلى سنة ٣٣ ق م ، وأحدثها بعد زوال الدولة سنة ١٠٦ م .

درس الأستاذ ليمان آثار النبط دراسة دقيقة ، وخرج بنتائج هامة تاريخية ولغوية ، واننا نستمد هذه الآثار الكتابية ، وهي آثار ضريحية غالباً درسها كثير من علماء الساميات ^(٢) وهذا أحدها :

(١) رقيم فهر وجذيمة

يتكون هذا الرقيم من ثلاثة أسطر قصيرة ، وقد وُجد في أم الجمال من أعمال شرقي الأردن ، وذهب الأستاذ ليمان إلى أنه دُون في عهد غير بعيد من العهد الذي دُون فيه رقيم النارة الآنف الذكر ، واليك ذلك كما ورد بعد قراءته :

(١) Corpus Inscript. Semitic, Pars 11 nos 157—189. وراجع أيضاً ص ٢١٥ من

• Cooknorth : Semitic Inscriptions

Monnaies Nabatiennes. Revue Numismatique 1905.

(٢)

وهذه ترجمته^(١)

الأصل

- (١) دنه نشو فهر (١) هذا قبر فهر
 (٢) بر سلي ربو جذيمة (٢) ابن المحارب العظيم جذيمة
 (٣) ملك تنوخ (٣) ملك تنوخ

استعرضنا هذا الرقيم في كتاب اللغات السامية للدكتور ولفسون ، فارتبنا في ترجمة السطر الثاني منه لورود كلمة (ربو) وضاً (بعد لفظة (سلي)) . وقد أثبت معنى (ربو) ، ربي ، وهذا المعنى ليس صحيحاً لهذه الكلمة فان معناها الصحيح هو (العظيم ، الكبير وما إليها) . فاذا وضعناها في معناها الصحيح بعد كلمة (سلي) واعتقدنا «سلي» علماً يفسد معنى السطر كله تماماً . لذلك اضطررنا الى الشك أيضاً في كون كلمة (سلي) علماً ، وعدنا الى معاجم اللغة السريانية نستقصي معنى (سلي) فوجدنا أنها لا يجب أن تقرأ (سلي) بل (شلي) بالشين . وقد توهم من قرأها بالشين ، ونحن نعذره لأن حرفي السين والشين لها رسم واحد في الأبيجدية النبطية ، والشاهد على ذلك أن الحرف ذاته وبصورته هذه قرأوه في رقيم آخر (شيتا) لا (سبتا) ، وعلى ذلك يكون تقديرنا بكونه (شلي) صحيحاً . ثم نعود الى كلمة (شلي) نفسها فلا نجد لها علماً بل صفة تابعة للعالم (فهر) ومعناها (المحارب) أو (المقاتل) ، وهي مستمدة من كلمة (حككا شالو) أي (معركة ، اشتباك الحرب ، الحرب) ^(٢) . أما فعلها فقد ضاع في السريانية ، وبكل تأكيد كان موجوداً في الآرامية سابقاً . ونقدر أن يكون (حـ شـل) فتكون كلمة (شلي) مأخوذة من

(١) ان كلمة «نشو» بالسريانية ما عدا النفس تني أيضاً . هرم . قبة مدفن . منا ص ٤٦٠ ، وهي كما عرفها الآراميون سابقاً تماماً .

(٢) قاموس أودو السرياني ص ٩٨٢ استناداً على شرح القوي الآرامي بن شرويثون ، وقاموس منا السرياني العربي ص ٧٩٠ .

فعل (شل - الحرب) ومعناها بالضبط (المحارب) ؛ وإذا شفعناها بكلمة (ربو) يستقيم المعنى تماماً ، لأن (ربو) العظيم وضعت صفةً للمحارب ، فنقول (المحارب العظيم) كما أثبتناها ، ويكون الرقيم إذا « افش فهر بن جذيمة » لا « فهر بن سلي » كما أثبتنا ولفنسون^(١) .

أما اثباتنا في عدم صحة الترجمة في السطر الثاني فهو في محله ، لأن هناك آراء مختلفة حول (سلمي) ، فذهب الأستاذ ليمان الى أن لفظ سلي يحتمل أن يكون مشتقاً من (سليم) العربية ؛ وبفضل تولدكه أن يكون هذا اللفظ (صلاه) ؛ وبؤثر الأستاذ ولفنسون أن يكون من (الأسماء الآرامية الأصلية)^(٢) ، وهو نعت (لا علم) كما أثبتناه ، وما يلاحظ أن هذا الرقيم صيغت كلماته بحسب اللهجة الآرامية العربية أي باللامالة نحو الضمة الخفيفة (الزفاف) .

وقد أثبت الأستاذ ولفنسون في كتابه (اللغات السامية)^(٣) رقماً أخرى من الرقم النبطية ، وهي كالرقيم السابق ضريبية كلها ، ولم نر حاجة إلى إثباتها لأن جميع هذه الرقم لا تعتمد أن تكون لغتها آرامية ، وفي بعضها جنوباً الى الأسلوب العربي ، وفي البعض الآخر أسماء أصنام عربية ، وهذه الأمور تفيدنا في إثبات أن اللغتين الآرامية والعربية تفاعلتا في مدينة الأنباط ، فكونتا هذه اللهجة الخاصة التي نراها في هذه النقوش .

وهناك لون جديد آخر في المدينة الآرامية العربية ، وهذا يظهر لنا في آثار مدينة تدمر ، وهي أحدث عهداً من المدينة النبطية ، فان نقوشها الأثرية لا تتجاوز القرن الأول قبل الميلاد ، ويمتد تاريخها الى القرن الثالث ، ولكنها مفيدة جداً بالنسبة الى موضوعنا هذا .

(١) تاريخ اللغات السامية ص ١٣٩ .

(٢) اللغات السامية ص ١٤٠ .

(٣) اللغات السامية ص ١٤١ - ١٤٤ .

ان كلمة « تدمر » لاصححة « آرامية معناها « الأعمجوبة » ، وهي من المدن القديمة جداً ، ذكر سفر الملوك الأول أن سليمان الملك بناها في البرية ، ومما يكن الأمر فأنها أقدم جداً من الآثار المنقوشة الباقية على أنقاض هياكلها القديمة وأساطينها التي ما زال بعضها واقفاً . واشتهرت تدمر بتجارها الواسعة فأمرها التجار من الهند والفرس والعراق وسورية وفلسطين ومصر وأوربة ، وكانت رومة سيدة العالم القديم تهاب جانبها فنحتتها حقوقاً خاصة لم تمنحها لغيرها من مدن الشرق الخاضعة لسلطانها .

وما جهنم في موضوعنا هذا لغتها وتعاون لهجتها هي واللغة العربية ، وقد كانت القبائل التدمرية من العنصر الآرامي امتزجت به بعض العناصر العربية ، وهو ما أبقي من لهجتها الآرامية آثاراً عربية بيّنة ، كما أثرت لغتها الآرامية باللغة العربية تأثيراً مهماً ، وأعظم ناحية عربية في لغة تدمر هي الأعلام العربية وما إليها بالإضافة الى تأثرها بألفاظ يونانية ورومانية كثيرة .

ظهرت معظم الآثار التدمرية في منطقة تدمر ، ووجدت نقوش تدمرية في إفريقية ورومة وبلاد الحمر وانكلترا لأن جموعاً كثيرة من التدمريين دخلوا الجيش الروماني ^(١) .

ومما تجدر الاشارة اليه أن الأستاذ ولفسون ذهب الى أن لغة تدمر « تشبه اللهجات الغربية الآرامية على أن ألفاظاً كثيرة كانت في نطقها قريبة من النطق المألوف في الآرامية الشرقية » ^(٢) ، وكنا قد علقنا على هذه النظرية في لمحتنا « تحقيقات تاريخية لغوية في حقل اللغات السامية » وقلنا إن اللهجة التدمرية هي لهجة آرامية غربية صرفة ، وسبب ظهور بعض الألفاظ بمسحة اللهجة الشرقية يرجع الى اتصالها باللغة العربية ^(٣) . والآن نؤيد رأينا نظراً لما نراه في هذه اللهجة من الصبغة الغربية الصرفة .

(١) شابو تعريب الأستاذ شكري لورنس ، اشتره الأستاذ مراد سري جهمي ص ٢٨ .

(٢) ولفسون ص ١٢٨ .

(٣) تحقيقات تاريخية لغوية ص ٣٦ .

ان لغة تدمر الأولى ، وإن كانت خالية من الالفاظ العربية ، بعكس اللغة النبطية ، الا أننا نعتقد أن عناصر عربية دخلتها بعد امتزاج العناصر العربية بقياتها الآرامية ، وعلى الأخص بعد سنة ٢٧٢ م حينما انتهت سيادة المدينة بأمر ملكتها بالاسلة الزباء^(١) إذ كثرت العناصر العربية رويداً رويداً ، وتحول الشيء الكثير فيها الى اللون العربي ، ومن الطبيعي أن تتأثر اللغتان الآرامية والعربية بهذا التمازج العنصري الشديد .

وقد درس علماء الساميات لغة تدمر الآرامية دراسة وافية ، واستخرجوا منها فوائد لغوية وتاريخية هامة ، وأشهر الذين درسوها ونشروها الأستاذ ليدزبارسكي^(٢) ، وكايرمونغانو ، وودالدي نشر رقماً تدمرية هامة^(٣) ، وودي فوغوبه^(٤) وغيرهم . ونجد مدينة آرامية عربية أخرى في مدينة الحضر العراقية مشابهة تمام المشابهة لمدينة تدمر ومعاصرة لها ، فلغتها آرامية صرفة إلا أن الأقوام التي عمّرت هذه المدينة كانوا على الأرجح خليطاً من الآراميين والعرب كما كانت الحال في تدمر وفي البتراء ، وقد ذهب المؤرخ جورج رولنسون الى أبعد من ذلك فأورد آراء المؤرخين القدماء ، وذهب الى أن سكان الحضر كانوا عرباً خلصاً . ومعنى ذلك أنهم كانوا يتكلمون العربية بطبيعة الحال لكونهم عرباً ، ولاكنهم كانوا يدونون أخبارهم بالآرامية ، بدليل ظهور آثار آرامية صرفة في هذه المنطقة ، وقد نقل صديقنا الأستاذ فؤاد سفر في مقاله النفيس « حفريات الموسم الأول - الحضر » المنشور في مجلة « سومر » التي تصدرها مديرية الآثار القديمة العامة في بغداد ، نقل كلام المؤرخ المشار اليه ، ونحن ننقله هنا لفائدته

(١) ولاندون ص ١٣٣ .

(٢) Handbuch der Nordsemitischen Epigraphik

(٣) Wood : Les Ruines de Palmyre, Londres in — Fol.

(٤) M. de Vogüé : Syrie Centrale Inscriptions Sémitiques « 105 Nos. »

الكبرى في موضوعنا هذا . قال : « الحضرة عاصمة لمجتمع عربي في عصر الانباط طور طريانس ، فقد استوطنت القبائل العربية مناطق من الجزيرة منذ أقدم الأزمان ، وعدة زنفون الأرضين المحصورة بين الخابور وبلاد بابل جزءاً من جزيرة العرب ، وعدتها سطرابوت قسماً من العربية الصحراوية ، وظهر العرب في الجزيرة العليا في زمن بوهي ، وذكر بلوطارخ وابتان أن سكان مملكة الرها كانوا عرباً ، وذكر كرت الحضرة في حروب طريانس لأول مرة ، وقيل عن أهلها كما ذكروا منذ تلك الحرب بأنهم عرب ^(١) » ، وأضاف الأستاذ سفر بقوله : « وشخصهم عرباً ديوكاسيوس أشهر من كتب من الرومان عن الحروب بين الفرس والرومان » .

ثم يعود الأستاذ سفر فيعلق على هذا معللاً سبب وجود اللغة الآرامية في آثار الحضرة فيقول : « ولا يمكن أن نتخذ الكتابة الآرامية المكتشفة في الحضرة دليلاً على أن الحضرة بين كانوا آراميين ، لأن الآرامية كانت في تلك العصور لغة المعاملات التجارية والتداول والتواصل ، بين شعوب الشرق على اختلاف ألسنتهم ، فقد كتب بها ملوك الفرس الاشكانيين (الاشكانيون) ، وكذلك ملوك الدويلات التابعة لهم ، ويحتمل جد الاحتمال أن دون بها العرب الحضرة عرباً ، ونترصد في التنقيبات المقبلة في هذه المدينة الى أدلة تاريخية قد تلقي ضوءاً على هذا الموضوع » ^(٢) .

ونحن لا حاجة بنا الى مناقشة هذه النظرة لعدم وجود مصادر ثابتة الى الآن تؤيدها او تنفيها ، وإن كان المؤرخون القدامى قرروا ذلك ، وحاجتنا فقط الى

(١) لؤاد سفر عن المؤرخ جورج رولنسون من كتابه The sixth Great Monarchy

ص ٣٣٤ - ٥٠

(٢) مجلة سور الجزء الأول المجلد الثامن سنة ١٩٥٢ ص ٤٦ .

التصريح بأنه سواء كان سكان الحضر مزيجاً من الآراميين والعرب شأن
سكان تدمر والبطراء ومملكتيهما ، أو كانوا عرباً خالصاً ، فمن المؤكد وجود
اللغتين الآرامية والعربية في هذه المدينة جنباً الى جنب . ومن المؤكد حدوث
التقاء طويل وتفاعل كامل بينهما في هذا الصعيد الموحد ، ولا بد لهذا التفاعل
من ترك آثاره في كلتا اللغتين حسبما شاهدنا في مملكتي تدمر والبتراء .

ومع ذلك لا نرى الا أن سكان الحضر كانوا مزيجاً من العرب والآراميين ،
شأنهم شأن سكان البتراء وتدمر . وبما يقوي رأينا هذا ورود اشارات تاريخية
صريحة عند بعض الكتبة وهي أن (الساطرون) كان جرمقانيا ^(١) وقومه
جرامقة ^(٢) ، والجرامقة اراميون بشهادة كثير من المؤرخين ^(٣) ، ونولدكه وهو
من المستشرقين يؤكد أن (الجرامقة) من أصل آرامي او نبطي ^(٤) ، وطبعاً
لا يمكن الجزم بأن جميع السكان كانوا (جرامقة) . وقد ذكر الاصبهاني
أن العباد من قضاة ، وهم نصارى العرب ، نزلوا الحيرة ، فهزمهم شابور ، فصار
معظمهم ومن فيه نهوض الى الحضر من الجزيرة بقودم الضيزن بن معاوية
التنوخى ، ففضى حتى نزل الحضر ، وهنا الساطرون الجرملقاني فاقاموا به ^(٥) .
وهذا يكفي الآن للدلالة على وجود الأقوام الآرامية ، ثم على ورود موجة
عربية من قضاة وتزولهم عليهم ، مع العلم أنه أطلق على أحد الضيازن اسم
(يرشنيا حاصلاً) ومعناه (ابن السماء) فتأمل .

(١) الاغانى الجزء ١١ ص ١٦٢ ومعجم البلدان (مادة الحضر) .

(٢) ابن خلدون الجزء الثاني ص ٢٤٩ .

(٣) احمد ابن الفقيه الهمداني مختصر كتاب البلدان ص ٧٧ و ١٣٦ .

(٤) مجلة لغة العرب السنة الثالثة (١٩١٣ - ١٩١٤) ص ١٧٢ ، التنبيه والاشراق
للسمودي ص ٦٨ .

(٥) الاغانى جزء ١١ ص ١٦٢ .

الى الآن كنا نتكلم عن المدينة المشتركة بين العرب والآراميين في عهد الوثنية ، وقد رأينا هاتين الأمتين الشقيقتين متلازميتين متجاورتين منذ أبعد عصور تاريخها الموحد ، كما رأينا لعتيها متساندتين متعاودتين منذ نشوئها الى عهد النضج والانتاج ، والآت ننقل الى العهد المسيحي لنجد الاغنيين الساميين متأسكنين في عروة وثقى لا تنفصم .

تمّ هذا اللقاء في مدينة الحيرة العراقية ، وكانت تبعد عن الكوفة ثلاثة أميال الى جنوبيها ^(١) ، وعن النجف مسيرة ساعة للفارس الى جنوبية الشرقي ^(٢) وفي هذه المدينة تجمعت قبائل عربية كثيرة من العنصر العربي ، وحكمتها سلاتان عربيّتان هما التبوخيون والخصميون ، وورد ذكر بعض قبائلها العربية مثل مذحج وطى وكنب وقيم ^(٣) ومن المؤكد أن النصرانية سادت في الحيرة قبل القرن الرابع الميلادي ^(٤) . والى جانب هذه الجموع العربية العربية في القدم كنا نرى في فجر تأريخها طوائف كثيرة من النبط ^(٥) ، وهم لا شك آراميون عنصراً ولغة ، ومما يؤيد تمازج العرب وهؤلاء الآراميين ما ورد في أمالي السيد المرتضى أن خالد بن الوليد (رضي الله عنه) لما فتح الحيرة سأل عبد المسيح ابن بقبلة : أعرب أنتم أم نبط ؟ أجابه عرب استنبطنا ، ونبط استعربنا ^(٦) وكان هناك أقلية فارسية ^(٧) وجالية يهودية ^(٨) ، إلا أن الأكثرية الساحقة

(١) معجم البلدان (مادة حيرة) .

(٢) لامفس (المعلقة الاسلامية مادة حيرة) .

(٣) معجم البلدان (مادة حيرة) .

(٤) النصرانية وآدابها لشيخو ص ٤٥٢ - ٤٥٣ .

(٥) الاغانى ١٦ : ٥١ .

(٦) امالي السيد المرتضى ١ : ١٨٨ .

(٧) كلدو انور الجزء ٢ : ٢٦٦ .

(٨) الطبري ٨ : ٢٤٨ .

من سكانها كانوا من العرب والآراميين (النبط) . وقد أطلق المؤرخون العرب اسم (نبط العراق) على بقايا البابليين والآراميين في العراق ، وهم الذين يتكلمون الآرامية ^(١) ؛ وسماها المؤرخون النصارى (بيت أرميا) أي ديار الآراميين ^(٢) .

من هذا كله نستنتج أن اللغتين الآرامية والعربية تصالحتا في هذه المدينة أيضاً ، وحصل امتزاج بين سكانها المنتسبين إلى هاتين الأمتين العربيتين ، الأمر الذي يؤكد انما-حقية تأثر اللغتين احدهما بالأخرى ، إلا أن اللغة العربية على ما يظهر كانت لغة الأدب والدوائر الرسمية وإلى جانبها اللغة الآرامية في كثير من مرافق الحياة .

ومن المؤكد ان العلم والأدب كانا زاهرين في الحيرة إبان مجدها ، وقد ورد في المزهري للسيوطي أن أول من كتب بالعربية حرب بن أمية بن عبد شمس تعلم من أهل الحيرة ^(٣) . وقد وردت نصوص تاريخية زاخرة تروي اخبار مدارس الحيرة منذ اقدم عصورها ، وحدثننا صاحب الاغانى أن المرقش الأكبر وهو ابو عمر الشيباني ، وأخاه حرمله ، درسا الكتابة على نصيراني من أهل الحيرة ^(٤) ، وقصة (صحيفة المتاحس) الشاعر الجاهلي مشهورة في الأدب العربي ولجلل الشاعر القراءة طلب الى صبي من أهل الحيرة قراءة الصحيفة المشؤومة ^(٥)

وكان الحيريون يدرسون اللغة العربية لكونها لغتهم العنصرية ، ويدرسون الآرامية السريانية وهي لغة طقوسهم الدينية وبها كانوا يجبرون شعائرهم الروحية

(١) سروج الذهب للمسعودي ١ : ٨٥ .

(٢) السندادوسات الشرقية ، طبعة شابو من ٦٦٧ .

(٣) المزهري للسيوطي ٢ : ٢١٥ .

(٤) الاغانى ٥ : ١٨١ .

(٥) الاغانى ٢١ : ١٢٥ .

وهي أيضاً لغة قسم عظيم منهم بتكلمونها في بيوتهم ، وتخرج كثيرون من العلماء في الحيرة يتقنون اللغتين الشقيقتين أمثال حنين بن اسحاق العبادي الحيري ، مؤلف المعجم الآرامي الشهير ، ومترجم العلوم اليونانية الى الآرامية والعربية ^(١) والأسقف الحيري حناني يشوع مؤلف المعجم الآرامي العربي الذي استند عليه كثير ابن جلول في معجمه الشهير ^(٢) .

ومما لا شك فيه ان كنائس الحيرة ودبورتها ^(٣) الكثيرة العدد ساهمت مساهمة فعالة في نشر العلوم والآداب العربية والآرامية جنباً الى جنب بآث واحد ، لأن المعروف عن الديورة منذ فجر وجودها أنها معاهد لشق العلوم والمعارف البشرية ، واذا استعرضنا قائمة خريجي هذه الديورة ورؤسائها على

(١) أخبار العلماء للقطبي ص ١١٧ والفهرست ص ٤٠٩ .

(٢) راجع معجم ابن جلول ودوقال ، الآداب السريانية ص ٣٨٦ .

(٣) ذكر الشابشي في كتابه (الديارات) خمسة من ديورة الحيرة هي دير ابن شمعون ص ١٤٨ ودير الحريق ص ١٤٨ ودير هند ص ١٥٧ وديارات الاساقف ص ١٥٢ وقبة الشنيق ص ١٥٥ (من طبعة بغداد بتعليق الأديب الفاضل الأستاذ كوركيس عواد عضو المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٥١) ، وأورد ياقوت الحموي عشرين ديراً من أديرة الحيرة مع شيء من أخبارها بما فيها الحمسة التي ذكرها الشابشي ، إلا أن الكتّابين تجنبا على حرمة الديورة وقداصة الزهادة في أخبارها ، وديورة الحيرة التي ذكرها ياقوت هي : دير ابن براق ص ١٢٠ ، ودير ابن وضاح ص ١٢٠ ، ديارات الاساقف ص ١٢٢ ، دير الاسكون (الأصح : الاسكول) ص ١٢٣ ، ودير بني سريتا ص ١٢٧ ، دير الجرعة أو هو دير عبد المسيح ص ١٣٠ و ١٥٤ ، ودير الحريق ص ١٣٣ ، دير حفظة ص ٣٥ ، دير حنة ص ١٣٥ ، دير الاكبراج ص ١٣٥ ، دير السوا ص ١٥٠ ، دير المذارى ص ١٥٧ ، دير العلف (زعم انه دير المذارى لنفسه ص ١٥٨) ، دير علفقة ص ١٥٨ ، دير الحج ص ١٦٧ ، دير مارت سريم ص ١٦٨ ، دير مارطايون (الأصح بتيون) ص ١٦٩ ، دير الوصوق ص ١٧٧ ، دير هند الصغرى ص ١٨٢ ، دير هند الكبرى ص ١٨٣ (معجم البلدان الطبعة الأولى في مصر سنة ١٩٠٦ المجلد الرابع) .

الأخص نجدهم مزيجاً من العرب والآراميين اتحدوا اتحاداً كاملاً وساروا في طريق الدراسة والانتاج الأدبي جنباً إلى جنب ، وهو ما هباً جواً ملائماً لسير اللغتين إلى هدف واحد ، ولا نرى حاجة إلى ذكر خريجي هذه الأديرة جميعهم لأن ذلك ليس من صلب موضوعنا .

هذا ما نجد من الاتصال بين اللغتين العربية والآرامية في مدينة الحيرة وضواحيها ، وهو كاف لتعاون اللغتين واستمداد إحداهما من الأخرى معنى وافظاً وأسلوباً .

وإذا ذكرنا تلاقى اللغتين العربية والآرامية في حيرة المناذرة اللغيين في العراق وفي ضواحيها ومدارسها وكنائسها ودبورتها ، لا بد لنا أن نذكر إلى جانب ذلك تلاقهما في قبائل أندادم الغساسنة ، الذين ذهبوا صعداً في معارج المعارف الروحية والأدبية ، واهتموا ببناء الكنائس والديورة أكثر من المناذرة الأمر الذي يفيدنا فوائد عظيمة في موضوعنا هذا .

فالفساسنة أو الغسانيون قبائل عربية يمنية وهم بنو مازن من الأسد من خزاعة تزحّت من منابتها في حادثة سيل العرم نحو سنة ١٢٠ م ، وسكنت أولاً في منطقة من حوران وبادية الشام ^(١) ، ونزلت على ماء بين زيد وزمعة يقال له (غسان) ، فمن شرب منه فهو (غساني) ^(٢) ، ولذلك سموا (الغساسنة) أو (بني غسان) . وكانوا يدينون بالنصرانية ^(٣) ، وأسسوا لهم دولة عربية في هذه المنطقة ، وكانت عاصمتها (الجابية) في الجولان ^(٤) ، وامتدت دولتهم

(١) شرح مجاني الأدب م ١ ص ٥١٣ .

(٢) المقدم الفريد ج ٣ ص ٣٣١ .

(٣) حمزة الإصهاني في مجاني الأدب ج ٣ ص ٣١٢ .

(٤) المشرق م ٣ ص ٤٤١ .

بين دمشق وتدمر^(١) ، ثم توسعت فامتدت من دمشق الى الرصافة على شاطئ الفرات^(٢) .

والمنطقة التي سكنها النساسنة في أول أمرهم كانت منطقة (باسان او باشان) المذكورة في أسفار العهد القديم^(٣) ، وكان يحدها بادية سوريا شرقاً ، وغور الأردن غرباً ، وأراضي دمشق شمالاً ، وأرض جلعاد جنوباً^(٤) ، وحسباً تدل المصادر الغربية أن اسمهم اشتق من اسم الماء (غسان) الذي نزلوا عليه . و (غسان) كما هو معلوم تسمية آرامية منحدرة من فعل « Gso » بمعنى فاض نبع ، تدفق^(٥) ، ومن الراهن أن هذه القبائل العربية امتزجت ببقايا الآراميين الضاربين في هذه الربوع منذ أقدم العصور ، وأن منهم كانت بمالك البتراء وتدمر والممالك الآرامية القديمة في دمشق وما جاورها من المناطق السورية المحيطة وما يحيط بها^(٦) . ولما كانوا يدينون بالنصرانية كما علمنا ، ويتفوقونهم ونصارى هذه البلاد بالعقيدة والطقوس الكنسية ، استحووا بنحو متعدين مع الآراميين سكان البلاد القدماء ويتبادلون اللغة والمذهب الديني على ما هو معلوم لدينا ، وبما لا ريب فيه أن سكان هذه المناطق من النصارى كانوا يجبرون طقوسهم الدينية باللغة الآرامية ، سواء كانوا عرباً او آراميين ، حتى الخارجين على الكنيسة السريانية انفسهم^(٧) . وبما يزيد في تأصل العلاقات واستمرارها

(١) فيه ص ٢٧٣ .

(٢) المجلة البطريركية السريانية في القدس م . ص ٢٠٦ - ٢٦٨ سنة ١٩٣٨ .

(٣) سفر العدد . الاصحاح ٢١ العدد ٣٣ .

(٤) سفر يشوع . الاصحاح ١٣ العدد ٣٠ . وسفر الزامير ٢١ : ١٣ و ٦٧ : ١٦ .

(٥) قاموس منا السرياني المرنى ص ١١٧ وقاموس اودو السرياني (الفل نفسه) .

(٦) تاريخ لبنان للبرتين ص ٣٦٠ - ٣٦٢ .

(٧) القصة الشبية . ليوسف داود ص ٦٨ وتقرير البطريرك مكاريوس الثالث الملاكى

(١٦٤٧ - ١٦٧٢) . ودليل المخطوطات العربية في مكتبة باريس الأهلية

رقم ٢٢٤ .

بين العرب الفسائنة والسريان الآراميين وحدتهم الكنيسة واستعمالهم اللغتين العربية والآرامية السريانية جنباً الى جنب في سائر مرافق حياتهم الدينية والدنيوية وما لا ريب فيه أن هؤلاء العرب كانوا يتكلمون العربية في بيوتهم ، ويستعملون الآرامية في شعائر عبادتهم ، ولم يعدوا أقواماً منهم كانوا يتكلمون لغتهم الآرامية الأصلية في بيوتهم ، ويحاطبون اخوانهم العرب ومواطنيهم بالعربية ، وهو ما يجمع بين اللغتين في صعيد واحد . وأما ثلاثة أمور هامة تؤيد امتزاج العرب بالسريان الآراميين وهي :

اولاً — صلاسل الاساقفة الذين تولوا أمور الفسائنة الروحية في مختلف عصورهم . وقد أوردنا المؤرخون السريان وعلى الأخص المؤرخ ميخائيل الكبير فأننا نجد هؤلاء الاساقفة مزيجاً من العرب في جميع الأبرشيات الفسائية ، فيودور رفيق يعقوب البرادعي مثلاً كان عربياً خالصاً ^(١) . وقد رُسم ، بناءً على طلب الحارث بن جبلة الفسائي ، مع البرادعي نفسه برعاية الملكة تيودورة ^(٢) وكانت ولايته الروحية تشمل بلاد اليمن والمغرب والاقطار العربية وفلسطين وأورشليم ^(٣) ، وكانت كرسية في مدينة بصرى ، وذكر التاريخ غيره من الاساقفة المخدريين من محمد عربي أمثال (بطرس أسقف العرب) و (فالغ أسقف قبيلة منذر) و (توما أسقف يبرود) و (يوحنا أسقف يبرود) و (يوحنا أسقف حواريين) ^(٤) .

(١) أخبار يوحنا أسقف آسيا خبر ٤٩ ص ٦٩٠ طبعة لاند .

(٢) فيه خبر ٢ ص ٣٧٠ .

(٣) فيه ج ٢ ص ٢٥٤ و ٣٧٠ .

(٤) تاريخ ميخائيل الكبير ص ٢٧٤ - ٣١٠ وتاريخ البطارقة لابن المبري في ترجمة البطركين سرجيس التلي وخله بولس .

وقد ذكر المؤرخ ميخائيل الكبير كثيرين من أساقفة هؤلاء العرب في سلسله التاريخية في مختلف أبرشياتهم في درعا ، ومينونيا حوران ، والرصافة ، والرقه وغيرها ^(١) . ومن تعداد أسماء هؤلاء الأساقفة ومواطن تخرجهم نتأكد أن بعضهم كانوا عرباً خلاصاً والبعض الآخر كانوا آراميين أقحاحاً . ولا نرى حاجة الى ذكر أسمائهم هنا لأن ذلك ليس من صلب موضوعنا .

ثانياً — ثبت الدبورة الكثيرة التي أحسها او اعاد أيام مجدها ملوك العرب الفساسنة في بواديهم وحواضرهم ؛ ومعظم أسماء هذه الدبورة عربية كدير (العرب) ودير (طي) ودير (البين) ودير (عمر) ودير (هند) و (دير جفنة) و (دير العقبة) و (دير الزنبق) و (دير البرج) و (دير عقرب) و (دير اللبان) و (دير اللوز) وغيرها ^(٢) .

وكانت هذه الدبورة رياضاً للعلم والفضيلة عصوراً طويلة احتوت بين جدرانها رهباناً وطلاباً للعلم والمعرفة من العرب والآراميين جنباً الى جنب ، ارثشفوا العلوم على مقاعد مدرسية واحدة ، ونشدوا الأدب باللغتين العربية والآرامية معاً ، وتسقف كثيرون منهم في جميع الأبرشيات العربية الآرامية التي ذكرناها وفي غيرها من الأبرشيات السريانية الواسعة النطاق في تلك العصور ، وفي ديورتها الكثيرة ، وكنائسها المنتشرة في كل مدينة وقربة من مدن سورية وبلاد العرب وما بين النهرين وغيرها .

ثالثاً — دفاع الملوك الفساسنة العرب عن الايمان الأرثوذكسي العريق بكل ما أوتوا من نفوذ وسؤدد وقوة ، ونفورهم من الذين كانوا يضطهدونهم في مملكة بيزنطية ، وقد روى المؤرخون وعلى الأخص يوحنا أسقف آسيا بطولتهم المنقطعة النظر في هذا الميدان ؛ وأهم ذلك الحملة التي جردها المنذر

(١) سلسل الاساقفة في نهاية تاريخ ميخائيل الكبير .

(٢) فيه ص ٨ ، والمشرق م ١ ص ٦٣ سنة ١٨٩٨ وليم م ١٠ ص ٥٢٣ سنة ١٩٠٧ .

ملك الفساسنة على بلاد الروم منتقياً منهم أعظم انتقام ^(١) ، واهتمام ملوك غسان بأمر سلام الكنيسة السريانية ونجاحها ^(٢) ، ورفضهم الميل الى مضطهديها ^(٣) . ولم تكشف الكنيسة السريانية بخدمتها العرب الفساسنة المتحضرين ، بل بالغت في خدمة سائر العرب المسيحيين الرحل ، فأنشأت لهم طقوساً خاصة بالسريانية والعربية ، وترجمت لهم الانجيل الى العربية ، وأعطت أولادهم جميع التعاليم باللغتين العربية والسريانية ، مما يؤيد اتحاد العرب بأخوانهم السريان منذ أقدم عصور المسيحية ، وقد ذكر المؤرخ ميخائيل الكبير أساقفة كثيرين منى كلا منهم (أسقف العرب) ، وكان هؤلاء الأساقفة ينتقلون مع القبائل العربية النصرانية في فلولائها ، ويقومون لهم الشعائر الدينية في بيوت الشعر ، وكانوا يخدمون (القداس) مترجماً الى اللغة العربية عن أصله السرياني ^(٤) .

وبعد انقراض الدولة الفسانية ظل العرب الفساسنة متحدين بالكنيسة السريانية ومخلصين لها أشد الاخلاص ، وآثروا السكنى في المدن والخواضر والقرى في بلاد سورية ، ونزح بعضهم الى العراق وبلاد أنور ^(٥) ، وحدثنا عنهم العلامة ابن العبري قال : « ظل الفساسنة من ذلك الحين حتى اليوم - القرن الثالث عشر - متمسكين بمقيدة الطبيعة الواحدة ولا سيما في الحديثة وفي بلاد باعرباي (المنطقة الممتدة بين الموصل وسنجار ونصيبين) وفي القريتين والنبك وسائر أطرافها » ^(٦) .

(يتبع) (الموصل) غريغوريوس بولس بهنام

- (١) تاريخ مختصر الدول لابن العبري ص ١٤٨ .
- (٢) تاريخ البطارقة لابن العبري ترجمة البطريرك فولا .
- (٣) تاريخ ميخائيل الكبير ص ٢٨٢ .
- (٤) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية . شيخو القسم ٢ ص ٤١٤ .
- (٥) تاريخ يوحنا اسقف آسيا م ٣ ص ١٨٢ طبعه باريس .
- (٦) ابن العبري ، تاريخ الدول السرياني ص ٨٩ .

الايلاف

أو

المعونات غير المشروطة

كان أستاذنا العلامة المرحوم سليم الجندي أول من نبه أذهان هذا الجيل قبل ثلاثين عاماً إلى أن العصر الجاهلي ، إنما سُمي كذلك ، من الجهل ضد الحلم ، لا من الجهل ضد العلم ، وكان الطلاب إلى أن يستمعوا دروس العلامة الجندي قد وقر في أذهانهم ، من كتب التاريخ الاسلامي المدرسية ، وبما تلقفوا عن أساتذتهم أن العصر الجاهلي كان عصر البداوة والفطرة ، لم تزبته آثار الحضارة ، ولا معالم المدنية ، ولم يعرف أهله من العلوم الا ما دعت حياة الصحراء لمعرفته .

كان استاذنا الجندي يبدأ دروسه في تاريخ الأدب العربي بالتأكيد على نظريته هذه ، لأن الكتاب الأوحى الذي كان يستعين به الطلاب يومئذ وهو « الوسيط في تاريخ الأدب العربي » قد تضمن ما يشبه هذا المذهب الذي كان يفنده ، اذ تعرض لبحث أغراض اللغة في العصر الجاهلي ، فأشار إلى أن أغراضها لم تعد ما تقتضيه حياة البداوة والفطرة .

وكان العلامة الجندي يدل على نظريته هذه بأدلة كثيرة أذكر منها :

١ - ان اشتقاق لفظ « الجاهلية » من الجهل ضد الحلم قد ورد في بيت

جاهلي شهير :

ألا لا يجهل أحد علينا فجهل فوق جهل الجاهلينا

٢ - أن لفظ « الجاهلية » لم يقترن على لسان أكثر الأئمة الا بالفاظ

« الحمية » و « العصبية » الخ ٠٠٠٠ فقالوا : عصبية الجاهلية ، وحمية الجاهلية ^(١)

٣ — أن اللغة العربية ، قد بلغت أوجها من النضج والاكتمال ، حين نزول القرآن الكريم بها . واللغة هي العنوان الأوضح على حضارة الأمة ورقبها ومدنيتها ، لأنها هي وسيلة التعبير عن مظاهر الحياة العقلية والارادية والعاطفية ^(٢) واحة العرب التي وعثها الدواوين والمعاجم ، والنصوص الثابتة القطعية ، تدل مفرداتها على أن العرب في جاهليتهم ، لم يكونوا قوما جهلاء ، وإنما كانوا قوما قد بلغوا من العلم والعرفان مبلغا تحسدهم عليه أكثر الأمم المعاصرة .

واذكر ان العلامة الجندي قد مضى في التدليل على نظريته هذه ، فأورد من الأمثلة والشواهد ، ما لا بدع قولاً لقائل :

فنها — أنه وجد أن العرب قد وضعوا أربعين لفظة مختلفة المعاني لثمره « العنب » منذ أن يبدأ زهرة الى أن يصبح زيبياً . وهذا يدل على التنوع العلمي والاستقصاء ، ومراقبة النبات وثمره وزهره وما بينهما .

ومنها — أن العرب لم يدعوا في التشریح صغيرة ولا كبيرة الا أحصوها ووضعوا أسماء لجميع المسحيات .

وقد كشف عن هذا الجهد العلمي الرائع أساتذة كلية الطب في جامعة

(١) ورد هذا المعنى في حديث رواه مسلم في صحيحه ، ج ٤ ، ص ٢١٣٤ ، رقم ٥٦ (طبعة الحلبي) إذ جاء به على لسان السيدة عائشة : « سطرین عیایة ، وهو سيد الخرج ، وكان رجلاً صالحاً ، ولكن أجتهلته الحمية » أي استغفته وأغضبه وحلته على الجبل .

(٢) قال ابن سيده في الخصاص ، ج ١ ، ص ٦ : « حدّ اللغة أنها أصوات يميز بها كل قوم عن أغراضهم ، وهذا حدّ دائر على حدوده ، يحيط به لا يلحقه خلل ، إذ كل صوت يميز به عن المعنى المتصور في النفس لغة . وكل لغة فهي صوت يميز به عن المعنى المتصور في النفس .

وقال مثله ابن جني في الخصائص ، ج ١ ، ص ٣٣ ، طبعة دار الكتب : « أما حدّ اللغة فأنها أصوات يميز بها كل قوم عن أغراضهم » .

دمشق منذ انشائها حتى اليوم ، وكان لهم في ذلك فضل عظيم على اللغة العلمية في العصر الحديث .

ومنها — أنهم قد عرفوا من علم الفلك ما عرف معاصروهم ، ولا أدل على ذلك من أن أسماء أكثر السيارات ، وبعض المجموعات الفلكية قد وضع في الجاهلية .

وقل مثل ذلك في أكثر العلوم الأخرى .

هذا فضلا عن أن الحجة القاطعة هي القرآن الكريم ، ونصه ثابت ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وقد جاءت آياته المحكمات ، دليلا قاطعا على أن اللغة العربية ، التي نزل بها كتاب الله ، كانت أيام البعثة ، قادرة على التعبير عن كل مرافق الحياة :

١ — ففيها قصص التاريخ على أروع صورة ، وأبلغ أسلوب ، تحكي قصص الأمم الفائرة ، وكأنها موصيقي تتدفق الى النفس ، فتعلق بها ، من عمق أثرها عليها .

٢ — وفيها تصوير للحياة العاطفية ، يمبر عن أعمق المعاني الانسانية الخالدة .

٣ — وفيها تفصيل لحياة الأسرة ، ونظامها الاجتماعي ، حتى كأنه بناء كامل للنواة الأولى للأمة .

٤ — وفيها تشريع لأنظمة الدولة في الحقوق العامة والخاصة .

٥ — وفيها ترغيب بدفع الى الخير ، في أحلى أشكاله ، وأروع صوره .

٦ — وفيها ترهيب بمنع من الشر ، ويحذر من مقابله وآثامه .

٧ — وفيها كل ما يلزم للفرد والأسرة والمجتمع والدولة والأمة في الدنيا والآخرة (ما فرطنا في الكتاب من شيء) صدق الله العظيم .

والواقع الذي لا خلاف فيه ، أن لغة العرب ، قد أضحت من اللغات الحية ،

في عصر النبوة ، نظمت ألفاظها وصنفت وفترق بين المعاني اللغوية والاصطلاحية ، واكتسبت صفة الحياة الدائمة ، بمعنى أنها أصبحت قابلة للتطور ، بعيدة عن الجمود تستطيع أن تسير رقي المجتمع العربي والاسلامي ، دون أن يصبها العجز عن مسايرة الحاجات . وبقيت اللغة العربية كذلك خلال أربعة عشر قرناً ، أعانها على البقاء والصمود ، رغم التيارات السياسية العديدة ، قدرتها على الاشتقاق والنحت والوضع والتعريب وغير ذلك مما توفر على الاشتغال به أئمة اللغة والدين خلال هذه القرون الطويلة .

ولقد كانت مصطلحات الحقوق الدولية العامة والخاصة ، في جملة ما شغل علماء القانون ، منذ أن أسست كليات الحقوق في العالم العربي . وما من شك في أن كلية دمشق أكثر هذه الكليات جهداً ، بما بذل أساتذتها ، حين تصدروا للتأليف ، في البحث عن الألفاظ العربية القديمة ، وامكان مطابقتها للمفاهيم الحديثة ، وما زالت الجامعات العلمية ، والمؤلفون في كليات الحقوق ، والعلماء ، وأصحاب الاختصاص ما زال هؤلاء جميعاً يبحثون ، ويدرسون ، ويبدلون الجهد الصادق في البحث عن المصطلحات الحديثة التي تبدعها الحوادث السياسية ، في ميدان الحقوق الدولية العامة كل يوم .

من هذه المفاهيم الحديثة ، التي نسمعها في كل يوم على لسان رجال السياسة تعبير قالوا انه : « المساعدات غير المشروطة » ويعنون بها مساعدة الدول الكبرى للصغرى ، دون أن يكون لهذه المساعدة مساس بجزية الدول الصغرى أو بسيادتها واستقلالها .

وكأنني بالعرب في جاهليتهم ، قبل الاسلام ، قد عرفوا هذا النوع من العقود ، فسموه « إبلاناً » ونزلت به السورة الكريمة المعروفة :

لَا يَلَا فِ قُرَيْشٍ إِلَّا فِيهِمْ . رَحْلَةً الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ .
فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ . الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ ،
وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ .

وقد تبعت بحث « الابلاف » في كتب التفسير ، وكتب اللغة وكتب
الأدب ، وفي السطور التالية خلاصة لهذا البحث :

١ - الابلاف في كتب التفسير

آ - ففي تفسير الطبري ج ٢٠ ص ١٧٠ عن مجاهد : ابلاف قريش :
نعمتي على قريش .

ب - وفي تفسير ابن كثير ج ٩ ص ٣٠٥ : عن محمد بن اسحاق
وعبد الرحمن بن زيد : أي لائلائهم واجتماعهم في بلدهم آمنين .
وقيل : المراد ما كانوا يألفونه من الرحلة في الشتاء الى اليمن ، وفي الصيف
الى الشام .

ج - وفي تفسير البغوي ج ٩ ص ٣٠٦ : قال عطاء عن ابن عباس :
كانت قريش في 'ضر' ومجاعة حتى جمعهم هاشم على الرحلتين ، وكانوا يقسمون
ربهم بين الفقير والغني ، حتى كان فقيرهم كغنيهم !
ولم أجد بين المفسرين المشهورين من أشار الى تفسير الابلاف بمعنى :
« الأمان من غير حلف » .

٢ - الابلاف في كتب اللغة :

آ - في القاموس : والابلاف في التنزيل العهد ، وشبه الاجازة بالخفارة .
وأول من أخذها هاشم من ملك الشام ، وتأويله أنهم كانوا سكان الحرم آمنين

في امتيازهم وتنقلاتهم ، شتاءً وصيفاً ، والناس يتخطفون من حولهم ، فإذا عرض لهم عارض قالوا : نحن أهل حرم الله ، فلا يتعرض لهم أحد . أو اللام للتعجب أي : اعجبوا لايلاف قريش . وكان هاشم يؤلف إلى الشام وكان تجار قريش يختلفون إلى هذه الأمصار بجبال هذه الاخوة ، فلا يتعرض لهم ، وكان كل أخ منهم أخذ حبلاً من ملك ناحية سفره أماناً له .

ب — وفي التاج : عن ابن عرفة : الايلاف : انما هو العهود التي كانوا يأخذونها اذا خرجوا في التجارات ، فيأمنون بها .

وفيه : الايلاف : من يؤلفون ، أي يهبتون ويجهزون .

ج — وفي اللسان : الايلاف الاستجارة — العهد والدمام — الجمع بين الرحلتين .

د — وفي النهاية ج ١ ص ٤٨ الايلاف : العهد والدمام كان هاشم بن عبد مناف أخذه من الملوك لقريش .

د — وفي الفائق للزمخشري ج ١ ص ٤٠ : لقد علمت قريش أن أول من أخذ لها الايلاف وأجاز لها العيرات لهاشم .

وفيه : الايلاف : الحبل . أي : العهد الذي أخذه هاشم بن عبد مناف من قيصر وأشرف أحياء العرب لقومه بأن لا يتعرض لهم في مجتازاتهم ومسالكهم في رحلتهم . وهو مصدر من آلفه ، بمعنى ألفه . لأن في العهد ألفة واجتماع كلمة . وهكذا نرى أيضاً أن كتب اللغة لم تنشر إلى المعنى المقصود من «الايلاف»

٣ — الايلاف في كتب الأدب :

ورد حديث الايلاف في كثير من كتب الأدب والتاريخ ، وسنقتصر على مقارنة ثلاثة منها ، هي في نظرنا أهمها وأجدرها بالبحث :

أ — أبو علي القالي :

في الصفحة ١٩٩ من كتاب النوادر (طبعة دار الكتب) ١٩٢٦ لأبي علي القالي النص التالي :

« قال أبو علي : حدثنا ٠٠٠ العتيبي ومحمد بن سلام ، كلاهما قال : كانت قریش تجارا وكانت تجارتهم لا تعدو مكة ، انما تقدم عليها الأعاجم بالسلع فيشترونها منهم ثم يتبايعونها بينهم ، ويبيعونها على من حولهم من العرب . فكانوا كذلك ، حتى ركب هاشم بن عبد مناف الى الشام ، فنزل بقيصر ، فكان يذبح كل يوم شاة ، ويصنع جفنة ثريد ، ويجمع من حوله فياكلون . وكان هاشم من أجل الناس وأتاهم ، فذكر اقيصر ف قيل له : ها هنا رجل من قریش يهشم الخبز ثم يصب عليه المرق ويفرغ عليه اللحم - وانما كانت العجم تصب المرق في الصحاف ثم تأتدم بالخبز - فدعا به قيصر ، فلما رآه أعجب به فكان يبعث اليه في كل يوم ، فيدخل عليه ويحادثه فلما رأى نفسه تمكن عنده قال له : أيها الملك ! ان قومي تجار العرب ، فان رأيت لي كتابا تؤمن تجارتهم ، فيقدموا عليك بما يستطرف من أدم الحجاز وثيابه ، فتباع عندهم ، فهو أرخص عليكم . فكتب له كتاب أمان لمن يقدم منهم . فأقبل هاشم بذلك الكتاب ، فجعل كلما مرّ بجي من العرب بطريق الشام ، أخذ من أشرافهم ابلافا - والابلاف أن يأمنوا عندهم في أرضهم بغير حلف ، انما هو أمان الطريق - وعلى أن قریشا تحمل اليهم بضائع فيكفونهم حملانها ، ويؤدون اليهم رؤوس أموالهم ويرحبهم . فأصلح هاشم بذلك الابلاف بينهم وبين أهل الشام ، حتى قدم مكة ، فاتاهم بأعظم شيء أتوا به بركة ، فخرجوا بتجارة عظيمة ، وخرج هاشم معهم ميّوزهم ويوفيههم ابلافهم الذي أخذ لهم من العرب ، حتى أوردتهم الشام ، وأحلهم فراها ، ومات في ذلك السفر بغزة . وخرج المطلب ابن عبد مناف الى اليمن ، فأخذ من ملوكهم عهدا ؟ لمن تجر اليهم من قریش ، وأخذ الابلاف كفعل هاشم ، وكان المطلب أكبر ولد عبد مناف ، وكان يسمى الفيض وهلك بردمان من اليمن . وخرج عبد شمس بن عبد مناف الى

الحبشة ، فأخذ ابلافا كفعل هاشم والمطلب ، وهلك عبد شمس بككة فقبره بالحجون . وخرج نوفل بن عبد مناف ، وكان أصغر ولد أبيه ، وأخذ عهدا من كسرى لتجار قريش ، وابلافا من مر به من العرب ، ثم تقدم مكة ورجع الى العراق ، فمات بسلام . واتسعت تجارة قريش في التجارة في الجاهلية ، وكثرت أموالها »

والواضح من هذا النص أن « الابلافا » كان بين العرب أنفسهم ، لا بين العرب ومن جاورهم من الأمم . وقد فرّق صاحب الحديث - العوفي وابن سلام - بين الاتفاقات التي جرت بين العرب بعضهم بمضا فسمياها « ابلافا » ، وبين الاتفاقات التي جرت بين العرب وقيصر وملوك اليمن والحبشة وكسرى ، فسمياها « عهدا » . وأما مضمون « العهد » فلا يتعدى الأمان ، على ما في هذا الحديث ، وإن كان مفهومه اللغوي والاصطلاحي أعم وأشمل .

وأما « الابلافا » فهو الأمان بغير حلف ، وإنما يترتب على تجار قريش أن يحملوا بضائع من في طريقهم من الأحياء والقبائل ، فيتجروا بها ، وفي عودتهم يؤدون اليهم - أي الى من في طريقهم - رؤوس أموالهم ورجيحهم .

ب - ابن حبيب في المنق

نقل الأستاذ محمد حميد الله نصاً مشابهاً عن كتاب المنق لابن حبيب المخطوط^(١) وما نحن أولاء نورد الفقرة التي فيها بعض الخلاف عما يسر موضوعنا : « قال هاشم : أيها الملك ! إن لي قوماً ، وهم تجار العرب . فإن رأيت أن تكتب لهم كتاباً تؤمنهم ، وتؤمن تجارتهم ، فيقدموا عليك بما يستطرف من أدم الحجاز وثيابه ، فيكونوا يبيعونه عندك ، فهو أرخص عليكم .

(١) راجع :

فكتب له كتابا بأمان من أتى منهم من أشرفهم ايلافا . فايلافا (؟ فالابلاف)
 ان بأمنوا عندهم في أرضهم بغير حلف عليهم . وإنما هو أمان الناس . وعلى أن
 قريشا تحمل لهم بضائعهم فيكفونهم حملاتها ، ويردون اليهم رأس ما لهم ويرجمهم
 فهذا الابلاف من بينه وبين الشام . »

« وخرج هاشم يجوزم ويوفيههم ايلافهم الذي أخذ لهم من العرب »
 « وخرج المطلب الى اليمن . . . ثم أقبل بأخذ الابلاف من مر به العرب
 « وخرج عبد شمس . . . ثم أخذ الابلاف من بينه وبين العرب . »
 « وخرج نوفل . . . ثم أقبل بأخذ الابلاف من يمر به من العرب .
 أما بقية النص ، فالخلاف فيه يسير ، والمحدث فيه ابن الكلبي .
 والمفهوم من هذا النص أن « الابلاف » يشمل أمان الأعاجم والعرب
 للقرشيين على السواء . »

ج — ابن أبي الحديد في شرح النهج

حدث ابن أبي الحديد في الجزء الثالث ص ٤٥٨ من شرح نهج البلاغة
 رواية الزبير ، عن محمد بن حسن عن محمد بن طلحة عن عثمان بن عبد الرحمن
 قال : قال عبد الله بن عباس :
 « والله لقد علمت قريش أن أول من أخذ الابلاف وأجاز لها العيرات
 لهاشم وكان من أحسن الناس خلقا وتما ، فذكر لقيصر ، فلما رآه
 سأله أن يأذن لقريش في القدوم عليه بالمتاجر ، وأن يكتب لهم كتب الأمان
 فيما بينهم وبينه ففعل . . .
 هذه هي أهم النصوص الموجودة في كتب الأدب حول موضوع « الابلاف »
 ومن مقارنتها يتبين :

١ — أن القالي قد جزم نقلا عن العنبي ومحمد بن سلام بأن الابلاف هو الأمان بغير حلف وأنه عهد وقع بين القرشيين وقبائل العرب التي كان القرشيون يرون بها ، كان من مقتضاء أن يحمل القرشيون بضائع من يروون بهم ، وأن يتاجروا بها ، وأن يردوا اليهم رأس مالها ويربها .

ومن الضروري في بحثنا أن نعرف ماذا عني هؤلاء الرواة من لفظ «حلف» فأما المعاجم فإنها لا تفيدنا في هذا الموضوع ، بل تزيد البحث تشويشا ، إذ أن الحلف هو العهد ، أو الأمان من القدر ، ولا يمكن أن يكون لهذين المفهومين في بحثنا من موضع للتطبيق .

والذي يتبادر للذهن استنتاجا من سياق الحديث أن المراد بلفظ «حلف» هو ما نسميه اليوم بلغة الحقوق الدولية العامة «الالتزامات» . بمعنى أن القرشيين قد نالوا أمان الطريق ، دون أن يكون لهذا الأمان مقابل في حرياتهم أو أموالهم ، أو حقهم المطلق في التصرف بشؤونهم . وبكلمة جامعة : دون أن يكون هنالك ما يُنقص من حقوقهم .

أما العهد بالاتجار بأموال القبائل ، ورد رأس المال مع الأرباح ، فهو وإن كان في الواقع التزاما ، إلا أنه بدل من جهة على الثقة بأمانة القرشيين ، كما بدل من جهة أخرى على أنه لم يكن يعد في ذلك العصر انتقااصا للحرية .

٢ — إن ابن حبيب وهو أقدم من القالي ، قد عرّف «الابلاف» نقلا عن ابن الكلبي بأنه الأمان من العرب والاعاجم ، وإن كان قد عاد فأكد أنه أمان من العرب وحدهم .

وفي رأينا أن النص الذي أورده ابن حبيب في المتن مشوش ، ولعل بد النسخ قد امتدت الى تحريفه ، أو أن ذاكرة راويه قد قصرت في حفظه ، لأنه يكاد يكون متطابقا مع نص القالي إلا في هذا الموضع . وعزى أن

نص القليل أكثر انسجاماً ، وأصح لغة ، وأقرب لمنطق الحديث . ولهذا
فإننا نرجع أنه أقرب إلى الصواب من نص ابن حبيب .
— أما نص ابن أبي الحديد ، فإنه أخصر من النصين السابقين ، ولم يرد
فيه لفظ الإبلانف « إلا في مطلعته ، واقتصر في خاتمته على لفظ « الأمان » .
وهو في روحه ، وكثير من ألفاظه لا يخرج عن النصين السابقين .

د - الألفاني في أسواق العرب

أن أول من تناول موضوع « الإبلانف » يبحث علمي مطول على ما نعلم
هو الأستاذ المحقق سعيد الألفاني في كتابه أسواق العرب (ص ١٢٣ وما بعدها)
المطبوع في دمشق ١٩٣٧ .

وقد استشهد الأستاذ الألفاني بكثير من النصوص ، وأقوال أئمة اللغة ،
الأنه أهل أقوال الأئمة من المفسرين ، وجنح إلى تسمية الإبلانف بلغة
عصرنا (المعاهدات التجارية) .

وما من شك في أن الغرض من الإبلانف تجاري ، أو أنه يؤدي إلى ضمان
حرية تنقل القوافل التجارية ، ولكنه لا يمكن أن يسمى (المعاهدات التجارية) ،
لأن هذه تقتضي اتفاقاً على تبادل السلع ، وطريقة دفع قيمها ، أو مكوسها
(جماركها) أو غير ذلك . أما أمان الطريق بغير حلف ، فلا يمكن أن
يسمى بلغة العصر إلا « المساعدات غير المشروطة » Aides inconditionnés .

هـ - حميد الله في مختارات ماسينيون

الأستاذ محمد حميد الله ، عالم هندي فاضل ، له آثار معروفة . عقد فصلاً
باللغة الفرنسية في الكتاب الذي نشره المعهد الفرنسي بدمشق تحت عنوان
« مختارات لويس ماسينيون » عام ١٩٥٧ ج ٢ ص ٢٩٣ وما بعدها ، سماه :

الإبلاف أو العلاقات الاقتصادية — السياسية في مكة قبل الإسلام .

Les rapports économique - politiques de la Mecque pré - islamique.

تضمن هذا الفصل دراسة جيدة عن الإبلاف ، انتهى بها واضعها الى أن الوحدة الاقتصادية التي قامت قبل الإسلام بفعل التقاليد الجاهلية القديمة ، كالأشهر الحرم ، والبسمل ، والأسواق الدورية الدائمة ، والإبلاف ، قد مهدت للوحدة السياسية التي حققها الرسول الأعظم ﷺ . وفكرة الأستاذ حميد الله هذه ، وإن لم تكن من الأفكار المبتكرة ، إلا أنه أحسن عرضها ونسبها على شكل تكاد تبدو معه على القارئ العربي جديدة . وقد اعتقد الأستاذ حميد الله بأن النص الذي نقله ابن حبيب في المنق عن ابن الكلبي نص جديد ، ولم يسمع به أحد من قبل ، فقال : « ولما كان كتاب المنق لابن حبيب لم يطبع حتى الآن ، ولا في متناول العلماء بسهولة ، فإنا نعتقد أنه من المفيد أن ننشر منه فصاين بنصهما ، أشرنا اليهما سابقاً (وأورد النصين) .

وقد سبق أن بينا أن أحد النصين معروف لدى جميع المشتغلين بالأدب ، لأنه ورد في أحد كتب الأربعة الشهيرة ، ونعني به أمالي القاضي ، المطبوع في عام ١٩٢٦ ، والذي لم يتخل منه مكتبة عامة في القديم ولا في الحديث ، وازدادت به أكثر المكتبات الخاصة . ودراسة الأستاذ حميد الله ، بعد ، جديدة بأن تنقل الى لغة العرب ، لأنها رائعة حقاً في أسلوبها وعمقها وتفكير صاحبها وكما أتمنى أن أجد فراغاً من وقتي لأقوم بهذه الخدمة العلمية .

الخاتمة

وبعد فقد استلهمنا هذا البحث من روح أستاذنا العلامة سليم الجندي رحمه الله .
وفي يقيننا أننا أضفنا دليلاً جديداً الى نظريته ، وبرهنا فيه أن لغتنا العربية ،
لم تكن ضيقة الآفاق في القرن الرابع والخامس الميلادي ، بل اتسعت لمعان
لم تعرف إلا في القرن العشرين ، وفي ميدان الحقوق الدولية العامة ، وهو
من أضيقت المبادئ ، واستعارة اللغات الأوربية لمصطلحاته بعضها من بعض
معروف ومشهور .

ونختم هذا البحث باقتراح اطلاق لفظ الايلاف على المساعدات غير المشروطة
Aides inconditionnées التي أصبحت مبدءاً أساسياً تنادي به الأمم الصغيرة ،
حفاظاً على حريتها وسيادتها .

ظافر القاسمي

الزجاجي

حياته وآثاره

ومذهبه النحوي من خلال كتابه «الإيضاح»^(١)

(١)

حياة الزجاجي

نسبه :

هو أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق ، وبقي نسبُه عند أبيه فلا يذكر أحد شيئاً عنه بعد ذلك على كثرة الذين ترجعوا له ، ولعل لأصله الفارسي أثراً في ذلك إذ لو كان عربيّاً لما ضاع عنا نسبُه نظراً لما عرف عن العرب من العناية بالأنساب ، وعلى كلِّ حال ضياع معالم النسب أمر نلاحظه عند كثير من لم يشتهرهم نسبهم أو ترفعهم أمرهم ، وإنما سَمَوْا بأنفسهم وشهَرَتهم أعمالهم .
والزجاجي واحد من هؤلاء ، حتى إنه لم ينسب إلى أسرته وإنما نسب إلى أستاذه إبراهيم بن السريّ الزجاج فعُرف به .

ولد أبو القاسم بنهاوند - جنوبي همذان - وقيل في الصَّيمَرة ، وهي في جنوب همذان أيضاً ، ولذلك نسبوه إلى بنهاوند ، قال ابن خلكان : « هو البغدادي داراً ونشأة ، النهاوندي اصلاً ومولداً »^(٢) . ونسبوه إلى الصيمرة

(١) بحث مفصل في حياة أبي القاسم الزجاجي المتوفى سنة ٣٣٧ هـ ووصف مؤلفاته ، وعرض لكتابه «الإيضاح في علل النحو» ومذهبه النحوي به .

(٢) وفيات الأعيان ١ : ٣٤٩ .

كما ذكر السيوطي^(١) ، وجمع القفطي النسبتين فقال « هو نهاوندي من اهل الصيخرة^(٢) . »
نشأته :

وتدل سيرة الزجاجي على أنه كان محباً للعلم بكثرة السعي والرحلة في سبيله فقد غادر مسقط رأسه الى العراق ، واستقر في بغداد ونشأ فيها ، ثم غادرها إلى الشام فأقام مدة بحلب ، وانتقل بعد ذلك الى دمشق فدرس فيها وأفاد ، وقيل إنه خرج بعد ذلك الى طبرية ومات فيها .
وكانت حياة أبي القاسم حركة دائمة وعلماً متصلاً ، فهو - حيثما يقم - تليذ متطلع مستفيد أو معلم يجلس للدرس والإملاء ، وذلك ما تؤيده صلته الشديدة المستمرة بشيوخه وتلاميذه .

وأجمع الذين تحدثوا عن الزجاجي أنه كان ورعاً تقياً ، وقالوا في تأليفه كتاب الجمل إنه ألّفه بمكة وكان لا يضع باباً منه أو مسألة من مسائله إلا وهو على طهارة ، فاذا انتهى من وضعه طاف به حول الكعبة أسبوعاً^(٣) بدعو الله أن ينفع به . . . وذكر بعضهم أنه كان مثبّتاً وكان محباً للنظافة معنيّاً ببيّاته ، حسن الشارة مليح البزّة^(٤) .

وكان ثقّه يؤخذ عنه الحديث ويتردّد اسمه في الأسانيد . قال الحافظ ابن عساكر « وحدث عن جماعة واسند حديثاً كثيراً^(٥) » . وروى ابن عساكر أخباراً كثيرة كان للزجاجي في أسانيدنا نصيب كبير^(٦) .

(١) بغية الوعاة : ٢٩٧

(٢) إنباه الرواة ٢ : ١٦٠

(٣) أي سبع مرّات

(٤) غطوطة إشارة التمين . الورقة : ٢٦

(٥) تاريخ ابن عساكر ٩ : ٤٣٣

(٦) المصدر السابق ٩ : ٤٣٢

وفاته :

وأما وفاته فكانت على الأرجح في سنة ٣٣٧ هـ في طبرية . وكان أبو بكر الزبيدي ^(١) أقدم من ذكر هذا التاريخ من ترجعوا للزجاجي ، ورجعه ابن خلكان وقال هو الأصح ^(٢) وزعم ابن تغري بردي أن وفاته كانت سنة ٣٣٩ ^(٣) وتردد ابن الأثير بين هذين التاريخين ^(٤) وجزم القفطي ^(٥) وابن العماد الحنبلي ^(٦) وابن شاكر الكنتي ^(٧) واليحيى ^(٨) أن وفاة الزجاجي كانت في سنة ٣٤٠ وأبدهم في ذلك ابن عساكر فقال « أخبرنا أبو محمد بن الاكفاني : أخبرنا عبد العزيز بن أحمد قال : توفي أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي النخوي بطبرية في شهر رمضان من سنة سنة اربعين وثلاثمائة » ثم قال « ورأيت في كتاب عتيق : مات أبو القاسم الزجاجي بالشام بطبرية في رجب سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة . قال ابن الاكفاني : وهو خطأ ^(٩) »

وهكذا ينحصر اختلافهم في تاريخ وفاته بين سنتي ٣٣٧ و ٣٤٠ وهو أمر يسير لا يترتب عليه شيء ذو بال وأياً كانت سنة وفاة الزجاجي فهو قد عاصر من خلفاء العباسيين المعتز والقاهر بالله والراضي والمتقي والمستكفي ومات في خلافة المطيع حين كانت مقاليد الحكم بيد بني بويه .

(١) طبقات القويين والنفحة : ١٢٩

(٢) وفيات الأعيان : ١ : ٣٨٩

(٣) النجوم الزاهرة : ٣ : ٣٠٢

(٤) الكامل : ٨ : ١٩٤

(٥) ابناء الرواة : ٢ : ١٦٠

(٦) غدرات الذهب : ٢ : ٣٥٧

(٧) عيون التواريخ

(٨) اشارة التبيين

(٩) تاريخ ابن عساكر : ٩ : ٤٣٣

أساتذته :

حب الزجاجة للعلم جملة بكثرة الأخذ عن شيوخ العلم وأربابه حتى بلغ الذين أخذ عنهم عشرين أستاذاً ، وكأنه أحب أن يجمع ما يستطيع من ثقافة عصره فما نزل بلداً إلا تلقى على مشايخه وأخذ عن أساتذته ولو كانوا ذوي آراء متعددة ومذاهب مختلفة ، وكان اثر هذا الاختلاف والتعدد جلياً واضحاً في ثقافته وآرائه .

في طليعة أساتذته من غير شك ذلك الأستاذ الذي لازمه أبو القاسم حتى نسب إليه وعرف به وهو أبو اسحاق ابراهيم بن السري بن سهل الزجاج المتوفى سنة ٣١١ وقد عدّه الزجاجي في مقدمة الذين ذكرهم من أساتذته وشيوخه حين يتحدث عنهم فقال :

« فمن العلماء الذين لقيتهم وقرأت عليهم شيخنا أبو اسحاق ابراهيم بن السري الزجاج رحمه الله . وأبو جعفر محمد بن رستم الطبري غلام أبي عثمان المازني وأبو الحسن بن كبسان ، وأبو بكر أحمد بن الحسين بن العباس المعروف بابن شقير ، وأبو بكر محمد بن أحمد بن منصور المعروف بابن الخياط ، وأبو بكر ابن السراج ، وأبو الحسن علي بن سليمان الأخفش »

ثم قال « وأبو بكر بن الأنباري ، وأبو مومي المعروف بالحامض وكان الأغلب عليه علم اللغة إلا أنا قد أخذنا عنه حكايات يسيرة ، وأبو الفضل الملقب بزييل وأبو محمد عبد الملك بن مالك الضرير وغير هؤلاء ممن لم يشهر من الكوفيين ^(١) . »

وذكر الذين يتحدثوا عن الزجاجي أنه أخذ عن علماء آخرين وكان ممن أخذ عنهم أبو عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة المعروف بنفطويه المتوفى سنة ٣٢٣

(١) الإيضاح : باب المستعق للأعراب من الأسماء والأسمال والحروف .

وأبو بكر محمد بن الحسن بن دريد المتوفى سنة ٣٢١ وأبو عبد الله محمد بن العباس
 البزدي المتوفى سنة ٣١٦ وأبو بكر محمد بن يحيى الصولي المتوفى سنة ٣٣٥
 وأبو عبد الرحمن عبد الله بن هانيء النيسابوري وأبو العلاء أحمد بن عبيد الله
 ابن الحسن بن شقيب البغدادي وأبو جعفر أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قنينة
 المتوفى سنة ٣٢٢ وأبو العباس أحمد بن عبيد الله بن عمار الثقفي المتوفى سنة
 ٣١٤ وأبو القاسم جعفر بن قدامة الكاتب المتوفى سنة ٣١٩ .

وزاد ابن عساكر على هؤلاء أستاذين آخرين ، هما أبو عبد الله الحسين بن
 محمد الرازي وأبو علي الحسن بن علي العتري ^(١) .

هؤلاء هم الأعلام الذين أخذ الزجاجي عنهم وتخرج على أيديهم ولا بد
 من الإشارة إلى أنه كان منهم البصريون كما كان منهم الكوفيون وكان
 لذلك آثار ظهرت في آراء الزجاجي ومؤلفاته كما سنرى .

تلامذته :

وأما تلامذته فمنهم من أخذ عنه مباشرة ، ومنهم من انتفع بكتبه ، وقد
 كان يجب أن ينفع الله الناس بعلمه فما يؤلف حتى يطهر ويطوف ويدعو .
 وكان ممن أخذ عنه محمد بن سابقه الفخوي ، وعبد الرحمن بن محمد بن أبي نصر
 وعبد الرحمن بن عمر بن نصر ، وأحمد بن محمد بن سلامة (أو سلمة) الدهشقيون
 وأبو الحسن علي بن محمد بن اسماعيل بن محمد التميمي الأنطاكي وهو الذي
 روى عنه كتابه مختصر الزاهر ^(٢) وذكر ابن عساكر أن من حدث عن
 الزجاجي أيضاً أبا يعقوب اسحاق بن أحمد الطائي ^(٣) .

(١) تاريخ دمشق ٩ : ٣٤٢

(٢) فهرسة ابن خير : ٣٤٣

(٣) ابن عساكر ٢ : ٤٠٠

ونلاحظ أن أكثر تلامذة الزجاجي كانوا من دمشق ، ولعل سبب ذلك أنه أقام في دمشق أكثر مما أقام في غيرها وفيها حدث وأملى وألف . قال محقق كتاب الجمل « ثم سكن دمشق وطبرية وأبلة فأملى وحدث ولا سيما بدمشق ^(١) وقال القفطي « وانتقل الى الشام فأقام بحلب مدة ثم انتقل إلى دمشق فأقام بها وصنف ^(٢) وكذلك ذكر ابن عساكر ^(٣) والسيوطي ^(٤) . وجاء في (إشارة التبيين) أنه كان يدرس بجامعة دمشق .

وأما الذين انتفعوا بتأليفه فقد شاع على الألسن أنهم كثيرون . وكان المؤلفين لما سمعوا خبر ورعه وتقواه ودعائه أن ينفع الله الناس بعلمه وقبوا تحت تأثيره وتناقضوا خبر النفع بكتبه حتى أنه ما من أحد منهم ذكر كتاب الجمل للزجاجي إلا وصفه بالبركة والنفع العميم .

قال ابن خلكان « وكتابه الجمل من الكتب المباركة لم يشتغل به أحد إلا وانتفع به » ثم يقول - وكأنه يعطل - « ويقال إنه صنفه بمكة حرصاً على تعالى وكان إذا فرغ من باب طاف به أسبوعاً ودعا الله تعالى أن يفر له وأن ينفع به قارئه » ^(٥) .

وقال الياقوبي : « وسكن دمشق وانتفع به الناس وانتفع بكتابه خلق لا يحصون » ثم ذكر ما ذكره ابن خلكان من أمر الطواف والدعاء ووصف كتاب الجمل بالوضوح وأنه مبارك ما اشتغل به أحد إلا انتفع وأن نفعه عم بلاد الإسلام ^(٦) .

(١) مقدمة الجمل

(٢) الانباه ٢ : ١٦٠

(٣) تاريخ دمشق ٩ : ٤٣٢

(٤) البنية : ٢٩٧

(٥) إشارة التبيين و ٢٦

(٦) وفيات ١ : ٣٨٩

(٧) سيرة الجنان ٢ : ٣٣٢

وقال صاحب كشف الظنون في معرض حديثه عن كتاب الجمل « وهو كتاب نافع ومفيد » .

وجاء في شذرات الذهب أنه « انتفع بكتابه خلق لا يحصون . . . » ^(١) .
وجاء في الانباء ما يوضح هذا الربط بين دعاء الرجل وانتفاع الناس بعلمه
إذ روى القفطي الخبير الآتي « سمعت من لفظ الشيخ أبي البقاء صالح بن عادي
الغوري الأنطاقي النحوي تزل قفط ان الزجاجي - رحمه الله - صنف الجمل
بمكة حماها الله وكان اذا فرغ من باب طاف به أسبوعاً ودعا الله ان يغفر له
وان ينفع به قارئه ولهذا انتفع به الطلبة . . . » ^(٢)

ثقافته :

لقد كانت ثقافة الزجاجي ثقافة رجل عاش في أواخر القرن المجري الثالث
وأدرك أربعين سنة من القرن الرابع ، هذا القرن الذي حفل بنتاج خصب
للعقلية الإسلامية في أوج نضجها ورفيقها ، فعاصر الأخفش علي بن سليمان
والزجاج وابن السراج وابن الانباري والسيرافي وابن دريد ، وغيرهم ، وكان
واحداً منهم ، بل من أكثرهم نشاطاً في العلم والتأليف .

وتظهر لنا سمة ثقافته في مؤلفاته الكثيرة ، وما تنصف به من طاق وتنوع
وكانه جمع في نفسه ما تفرق عند أساتذته من فنون العلوم ؛ فقد كان منهم
من اتسع أفقه في النحو كالأخفش علي بن سليمان وابن الخطاط وابن شقير
وابن كبسان فكان الزجاجي مثلهم في سمة العلم بالنحو وما يتصل به من اختلاف
المذاهب وتشعب الآراء . وكان منهم من غلب عليه علم اللغة كابن دريد
وأبي مومي الحامض ، فكان الزجاجي كذلك لغوياً كما هو في أماليه .

(١) الشذرات ٢ : ٣٥٧

(٢) الانباء ٢ : ١٦١

ونرى الزجاجي اذا تعرض للنقد نافداً بصيراً بمواطن الضعف عارفاً بمحاسن التأليف ، فهو بكره الجمع والتقليد ، ويجب الإبداع والابتكار ، والوضوح والسلامة من الخطأ ، وبقدّر تعب المؤلف وجهده ويتضح هذا في نقده للمفضل صاحب كتاب « الفاهر » ولابن الأنباري صاحب « الزاهر » حين أتى على ذكر هذين الكتابين في مقدمة « مختصر الزاهر »^(١) .

وقد اشتهر الزجاجي بكثرة تأليفه حتى عرف بصاحب التصانيف^(٢) ، وكانت تصانيفه متنوعة الموضوعات ففيها النحو والصرف وحروف الهجاء والمعاني والقوافي والشعر واللغة والأدب ، وسيأتي الحديث عن هذه الآثار مفصلاً فيما بعد .

ولم تكن ثقافة أبي القاسم عربية فحسب ، إذ كانت عارفاً ببعض اللغات الأخرى وقد ذكر ذلك دون أن يصريح بهذه اللغات أو يعينها فقال في معرض حديثه عن أقسام الكلام وكونها لا تخرج عن أمم وفعل وحرف : « وقد اعتبرنا ذلك في عدة لغات عرفناها سوى العربية فوجدناه كذلك . »^(٣) .

وكم كنا نودّ لو أنه عيّن هذه اللغات أو لجأ خلال حديثه عن العربية إلى شيء من الموازنة بينها فكانت تكون معرفته لغير العربية أعود بالنفع والفائدة .

ولا بد لنا ونحن بصدد تقويم ثقافة الزجاجي من وقفة قصيرة عند رأي أبي علي الفارسي الذي نقلوا عنه أنه قال : « لو سمع الزجاجي كلامنا في النحو لاستحيّا أن يتكلم فيه »^(٤) .

(١) ص ٢١ من هذا البحث

(٢) شذرات الذهب ٢ : ٣٥٧

(٣) الإيضاح : ٦

(٤) نزهة الألبا : ٣٧٩ . وإنباء الرواة ٢ : ١٦٠

لم ينقل هذا القول أحد من عاصر الرجلين وترجم لهما كالزبيدي وابن النديم وإنما نقله المتأخرون كابن الأنباري (٥٧٢هـ) والقفطي (٦٤٦هـ) ! ومع ذلك فإذا صحّ صدور هذا القول عن الفارمي - وما أراه غريباً عنه - فيجب أن نعرف دوافعه ونبين مدى الحق فيه .

لقد كان الفارمي أسناذ عصره ومتقدّم أهل الصنعة في زمانه وأنهى من جاء بعده سيئويه ولم يكن الزجاجي ندّاً له على الرغم من أن ابن الأنباري بعمده في طبقته . إلا أن تأخر الزجاجي عن مرتبة الفارمي لا يبرز هذا الاضرار به والظعن عليه ، فكاتب الرجل شهادة بعلمه ، وأقوال العلماء فيه وإقبالهم على آثاره دليل على مكانته وفضله . وما أظن رأي الفارمي فيه إلا من قبيل عداوة الصنعة والظعن على أهلها والحرص على مكان الصدارة فيها ، وقد اعتاد الفارمي أن يطلق مثل هذا القول في زملائه ونظرائه ، وقد قال ما يشبهه في أبي الحسن الرّماني حين زعم أنه إن كان الفخو ما عند الرّماني فلبس عنده منه شيء ، وإن كان الفخو ما عند الفارمي فلبس عند الرّماني منه شيء . وذكرت عنه أقوال بنال بها من ابن الخياط وابن خالويه والسيرافي . . . وغيرهم ^(١) وقد نستطيع أن نضيف إلى هذا العامل النفسي عاملاً آخر هو أن أبا علي كان يحب سيئويه ويعجب به ويتعصّب له ، والزجاجي لم يكن - على إعجابه بسيئويه وانتصاره له - ليقبل كل آرائه بل لقد مال عن بعضها وقال بخلافه ^(٢) أفيغضي الفارمي عيناً عن هذا الرجل يتطاول على مقام سيئويه ؟

وقد أدرث الفارمي حبه لسيئويه وتعصّبه له تلازمه من بعده ، فكان ابن جني كثير الإعجاب بسيئويه شديد الحماسة له عنيقاً في الذود عنه ، وقد

(١) انظر رسالة الفارمي إلى سيف الدولة الحمداني في معجم الأدباء ٧ : ٢٥٧

(٢) انظر مثلاً باب الصفة المشبهة في كتاب الجمل .

ظهر هذا العنف حين ردَّ على المبرد لأنه تعقب على سيبويه فعدَّه واحماً بل جعل المغالطة في آراء سيبويه عادة سار عليها المبرد^(١) (١). على حين نجد الزجاجي في كثير من الأحيان معجباً بالمبرد ينتصر له ويخجل بابتكار الحجج لتأييده وتثبيت رأيه^(٢). ثم إن الزجاجي تليذ الزجاج ، والزجاج تليذ المبرد المقدم وهو الذي أحبه وتعصب له وهجر شيخه نعلماً لأجله بل ألَّف في الرد عليه أفلا يعقل في طباع البشر أن يكون إعجاب الزجاجي بأستاذه وانتصاره لشيوخ أستاذه سبباً في سخط الساخطين على الأستاذ وشيخه ؟

مما يمكن من أمر ، وسواء كان الفارسي مخلصاً في رأيه أو غير مخلص فقد كان هذا الرأي مجانباً للحق بعيداً عن الصواب .

مذهبه النحوي :

لم يكن الزجاجي غريباً في العصر الذي عاش فيه ، ولا بعيداً عن جو البيئة التي نشأ فيها ، وإنما كان ابن عصره وبيئته . أما العصر الذي عاش فيه فقد كان يتميز بفتور حدة التعصب المذهبي في النحو . وأما بيئته فقد قامت فيها طبقة جديدة من العلماء جمعتهما مساجد بغداد ، وحلقات العلم فيها ، ووصل إليها علم البصرة والكوفة ، فإذا هي لا تميل الى قول إحداهما كل الميل ولكنها تأخذ من كل من القولين بطرف مع شيء من التفاوت في مقدار ما تأخذ . والزجاجي واحد من هؤلاء الذين تلقوا علم البصرة والكوفة ، وبسطوا أقوال علماء المذهبين جميعاً منتخبين منها ما يرون أنه الحق ، وكان بعد ذلك أميل الى البصريين في آرائه وأحكامه .

وليس غريباً أن يكون الزجاجي بغدادي النزعة مع ميله إلى الأخذ بأقوال

(١) انظر سر صناعة الإعراب : ٢١١

(٢) انظر باب معرفة حد الاسم والفعل والحرف في كتاب الإيضاح .

البصريين . ولا عجب في أن يحيط علماً بالمذهبيين البصري والكوفي ، وأن يعتدل بينهما فلا يتعصب لأحدهما فقد كان معظم أساتذته كذلك ؛ فاستأذه الأخفش كان قد قرأ على ثعلب كما قرأ على المبرد ^(١) ، وأستأذه ابن الحياط كان يخلط المذهبيين ، ويمزج نحو البصريين بنحو الكوفيين ^(٢) ، وكذلك كان استأذه ابن شقير الذي خلط علم البصريين بعلم الكوفيين ^(٣) ، وابن كيسان الذي كان بصرياً كوفياً يحفظ القولين ويعرف المذهبيين وقد أخذ عن ثعلب والمبرد ^(٤) ، وكان قياً بمذهب البصريين والكوفيين ^(٥) . وأبو بكر بن السراج الذي أخذ عن المبرد وإليه آلت رئاسة النحو بعده ، ولكنه عول على مسائل الأخفش والكوفيين ، وخالف أصول البصريين في مسائل كثيرة ^(٦) . بل ندع هؤلاء ، وننظر في سيرة الزجاج نفسه وهو الذي كان أبو القاسم شديد الصلة به ، كثير الملازمة له ، ألم يكن من تلامذة ثعلب ثم غداً بعد ذلك بصرياً من أبرع أصحاب المبرد ؟ قال الزبيدي : « لما قتل المتوكل بسر من رأى ، رحل المبرد إلى بغداد ، فقدم بلداً لا عهد له بأهله ، فاختلف وأدركه الحاجة ، فتوختى شهود صلاة الجمعة ، فلما قضيت الصلاة أقبل على بعض من حضره وسأله أن يفتحه السؤال ، لينسب له القول ، فلم يكن عند من حضره علم ، فلما رأى ذلك رفع صوته وطفق بفسر ، يوم بذلك أنه قد سئل ، فصارت حوله حادثة وأبو العباس يصل في ذلك كلامه ، ففتش أبو العباس

(١) معجم الأدباء ١٣ : ٢٤٦

(٢) نزهة الألباء : ٣١٢ والفهرست : ١٢١

(٣) أخبار النحويين البصريين : ١٥٩

(٤) طبقات الزبيدي : ١٧٠

(٥) نزهة الألباء : ٣٠١

(٦) نزهة الألباء : ٣١٣ ، ومعجم الأدباء ٨ : ١٩٧

أحمد بن يحيى إلى الحلقة ، وكان كثيراً ما يرد الجامع قوم خراسانيون من ذوي النظر ، فيتكلمون ويجتمع الناس حولهم ، فإذا بصُر بهم ثعلب أرسل من تلاميذه من بفاتشهم ، فإذا انقطعوا عن الجواب انفضّ الناس عنهم . فلما نظر ثعلب إلى من حول أبي العباس أمر ابراهيم بن السري الزجاج وابن الخائف بالتهوض ، وقال لهما : فاضاً حلقة هذا الرجل . ونهض معها من حضر من أصحابه ، فلما صارا بين يديه قال له ابراهيم بن السري : أتأذن - أعزّك الله - في المفاتشة ؟ فقال له أبو العباس : سل عمّا أحببت . فسأله عن مسألة فأجاب فيها بجواب أفتنه ، فنظر الزجاج في وجوه أصحابه متمجّبا من تجويد أبي العباس للجواب . فلما انقضى ذلك قال له أبو العباس : أقمت بالجواب ؟ فقال : نعم . قال : فإن قال لك فائل في جوابنا هذا كذا ، ما أنت راجع إليه ؟ وجعل أبو العباس يوهي جواب المسألة ويفسده ويمتلّ فيه ، فبقي ابراهيم سادراً لا يُجيب جواباً ، ثم قال : إن رأى الشيخ - أعزّه الله - أن يقول في ذلك ؟ فقال أبو العباس فإن القول على نحو كذا . . . فصحح الجواب الأول وأوهي ما كان أفسده به ، فبقي الزجاج مبهوتاً ، ثم قال في نفسه قد يجوز أن يتقدّم له حفظ هذه المسألة واتفاق القول فيها ثم يتفق أن أسأله عنها . فأورد عليه مسألة ثانية ، ففعل أبو العباس فيها بنحو فعله في المسألة الأولى حتى والى بين أربع عشرة مسألة يجيب عن كل واحدة منها بما يقتنع ، ثم يفسد الجواب ، ثم يعود إلى تصحيح القول الأول . فلما رأى ذلك ابراهيم بن السري قال لأصحابه : عودوا إلى الشيخ ، فليست مفارقاً هذا الرجل ، ولا بدّ لي من ملازمته ، فعاتبه أصحابه وقالوا : تأخذ عن مجبول لا تعرف اسمه ، وتدع من قد شهر علمه وانتشر في الآفاق ذكره ؟ فقال لهم : لست أقول بالذكر والخمول ولكنني أقول بالعلم والنظر . فلزم أبا العباس ، وسأله عن حاله ، فأعلمه برغبته

في النظر وأنه قد حبس نفسه على ذلك إلا ما يشغله من صناعة الزجاج في كل خمسة أيام من الشهر ، فيتقوّت بذلك الشهر كله . ثم أجرى عليه في الشهر ثلاثين درهماً ، وأمره أبو العباس باطراح كتب الكوفيين . ولم يزل ملازماً له . وأخذاً عنه حتى برع من بين أصحابه ^(١) .

على أن هذا لا يعني أن أساتذة الزجاجي كلهم كانوا بين البصريين والكوفيين وإنما كان بعضهم ذا مذهب أو اتجاه واضح ، كابن الأنباري الذي كان كوفياً ، بل « أحفظ من تقدم من الكوفيين » ^(٢) ، وأعلم الناس بنحوهم ^(٣) ، وشديد الولاء لمذهبهم « حتى إنه تعصب ضد ابن كيسان ، لأن هذا خلط بين المذهبين . وكأني موسى الحامض الذي كان يتعصب على البصريين مع أنه خلط القولين » ^(٤) على عكس ابن كيسان الذي كان ميله إلى مذهب البصريين أكثر ^(٥) .

فخلّ أساتذة الزجاجي إذاً من خلط المذهبين ، وإن كان لبعضهم ميل إلى آراء البصريين أو الكوفيين . وهو لا يختلف عن هؤلاء الأساتذة الأحرار الذين لم تستبعدهم أقوال فئة معينة من النخاة ، وإنما كانوا يطلعون على القولين ، ويختارون من المذهبين .

لقد كان الزجاجي مستقلاً الشخصية حرّاً الفكر لا هو بالبصري المحض ، ولا بالكوفي المحض ؛ يرى الرأي فلا يخشى أن يخالف فيه من سبقه كوفياً كان أو بصرياً . وقد يذكر الرأي ثم ينعت أحدهما بما يدل على تأييده للثاني

(١) طبقات الزبيدي : ١١٨

(٢) المصدر السابق : ١٧١

(٣) معجم الأدياء ٨ : ٣٠٦

(٤) بنية الوعاة : ٢٦٢

(٥) طبقات الزبيدي : ١٧٠

كأن يقول : « وإن قلت كذا كان قبيحا . وأهل البصرة لا يميزونه ^(١) » .
 أو أن يقول بعد ذكر رأيه : « هذا هو الوجه الجيد ^(٢) » . وقد يعرض
 لأكثر من رأي واحد ، فيصنف الآراء تصنيفاً يسير فيه بحسب القوة والضعف
 في رأيه ، كأن يقول : « الأجود في هذا الباب كذا ، وبعد ذلك كذا
 ودون ذلك كله كذا . . » ^(٣)

وأما إذا أردنا ان نعرف الى مذهب الزجاجي النحوي من خلال استعماله
 للمصطلحات ، وقد كان لكل من البصريين والكوفيين مصطلحاتهم ، فإننا نجد
 العالم العدل الذي لا تهمه الأسماء ، بل يهجه أن يوضح مراده ، ويُدلي المعنى من
 الفهم ، فنراه يستعمل الأسماء المختلفة للمسحى الواحد ، كقوله : « الفصل ويسمي
 الكوفيون العباد » ^(٤) . ونراه يصرح بتغيير ألفاظ الذين يحكي عنهم فيقول : « وإنما
 نذكر هذه الأجوبة عن الكوفيين . . . إلا أن العبارة عن ذلك بغير ألفاظهم .
 وهو لا يفعل ذلك تعصبا ضدّهم بل رغبة منه في التوضيح كما يقول ، « لأنه
 » لو تكلفنا حكاية ألفاظهم بأعيانها ، لكان في نقل ذلك مشقة علينا من غير
 زيادة في الفائدة ، بل لعل أكثر ألفاظهم لا يفهمها من لم ينظر في كتبهم » ^(٥) .

الخلاصة إذاً أن الزجاجي كان كأكثر أساتذته الذين لم يكونوا بصريين
 خلصاً ولا كوفيين خلصاً ، وإنما كانوا ذوي نزعة تجديدية تمزج بين نحوي
 البصرة والكوفة ، وتأخذ من محاسنها ، تاركة العصبية المذهبية جانباً ، فلم
 تكن ثقافتهم النحوية بصرية محضاً ، وإنما كانت مزاجاً من الثقافتين واتقاء

(١) الجمل : ١٥٠

(٢) الجمل : ١٦٩

(٣) الجمل : ٢١٨

(٤) الجمل : ١٥٢

(٥) الايضاح : ٧٢

من المذهبين ، وإن كان أخذاً من أحدهما بتفاوت قوة وضعف ، وكثرة وقلة .
 هذا التفاوت في الميل إلى أحد المذهبين كان عند الزجاجي في جانب البصرة ؛
 فعلى الرغم من أن معظم أساتذته كانوا على صلة وثيقة بنحو الكوفة ، ومذهب
 علمائها ، وأنهم أخذوا عن ثعلب ، وكان منهم ابن الأنباري والحامض الكوفيان
 فقد ظهر ميل أبي القاسم إلى البصريين حين اعتبر نفسه منهم فقال : « أصحابنا
 البصريون ^(١) » ؛ وقال : « ولبست هذه المسألة مسطرة لأصحابنا في شيء من
 كتبهم البتة ، وهي مسطرة في كتب الكوفيين ^(٢) » . وظهر ميله هذا حين
 كان يؤيد رأيهم كما في قوله عن الزاهر : « ووجدت فيه أيضاً مواضع من
 النحو وعلمه ومن التصارييف على مذهب البصريين ودلت على صحة مزاعمهم دون
 مذهب الكوفيين ^(٣) » .

ولعل هذا الميل إلى آراء البصريين يرجع إلى تأثير الزجاج في تلميذه ،
 فمن الواضح أن نسبته إليه تدل على أنه كان أستاذه المفضل وشيخه الأول ،
 وقد رأينا كيف مال الزجاج عن ثعلب وهجره إلى المبرد الذي أوصاه بطرح
 كتب الكوفيين .

ومن حق الزجاجي علينا أن نبيّن أخيراً أن هذا الميل لا يعني أبداً أنه
 كان متعصباً ضد الكوفيين ، فقد كانت حدة التعصب فترت من جهة ،
 وكانت نفسه - من جهة أخرى - أسى من أن يعميها التعصب عن الحق .
 إن « بصريّة » الزجاجي لم تحل دون استعماله مصطلحات في مصنفاته . وهو
 يبسط آراء الكوفيين ، ويذكر أحسن احتجاجاتهم ، ولا يغلظ لهم القول إن
 ردّ عليهم ، شأنه في ذلك شأن العالم المنصف المتزن ، لقد كان أبو القاسم

(٢٠١) الأعيان والنظائر ٣ : ٤٦

(٣) مختصر الزاهر : الورقة ١

« زجاجياً » حقاً ، والزجاج هو الذي قال حين عوقب على تركه ثعلباً والتزامه المبرد : « لست أقول بالذكر والجنس ، ولكنني أقول بالعلم والنظر » . وكذلك كان تلميذه أبو القاسم لا يقول بالليل والهوى ولكنه يقول بالعلم والحق .

أصوله :

وكان الزجاجي ذا أسلوب رصين ، ومنطق محكم متين ، ونفس طويل ، بلع ميادين الجدل ، بل يفتح على نفسه أبوابها ، ويختلق لخصومه الحجج ، بالنقض ، وعلى العلل بالإبطال ، صنيع علماء المنطق في إيراد أدلة خصومهم لهدمها وبناء آرائهم على أنقاضها ، كما كان يمتاز بدقة العالم وأمانته ، فهو لا ينسى إذا كان في صدد الاستشهاد بلفظ أو بيت أن يعنى بالسند العناية اللازمة كما فعل في الأمالي . وهو لا يذكر خبراً إلا يعزوه إلى مصدره ويذكر عن أخذه ويزداد تقديرنا لهذه الصفة إذا علمنا أن جلّ مسائله التي ذكرها لم تكن مدونة في الكتب وإنما أخذها مشافهة عن شيوخه وأساتذته . قال في مقدمة الإيضاح : « ونضم إلى العلل بعد تقديمها ، مسائل مجموعة منثورة من سائر الحدود ، منها ما استخرجناه من كتب العلماء وبسطناه وهدّبناه وقرّبناه ، ومنها ما تلقيناه من علمائنا رضي الله عنهم تلقياً ومشافهة مما لم يودعوه كتبهم ولا يوجد فيها البتة . » وقال في آخر جوابه عن مسألة وردت عليه : « ولبست هذه المسألة مسطرة لأصحابنا في شيء من كتبهم البتة وهي مسطرة في كتب الكوفيين ، ولكنني سألت عنها أبا بكر بن الخياط ، وابن شقير ، فأجاباني بما ذكرته لك ^(١) . » ومثل ذلك ما ذكره في مقدمة الإذكار بالمسائل الفقهية . « من إيضاح للمصادر التي استقى منها ^(٢) . » مما يجعلنا نقدر فيه دقة العالم وأمانة المؤلف .

(١) الأشباه والنظائر ٣ : ١٤٦

(٢) هذا البحث س :

وخلصة القول أن أبا القاسم الزجاجي ، كان من أفاضل الأئمة في النحو واللغة والأدب . شهد له العلماء بالفضل ، وعدّوه في طبقة أبي سعيد السيرافي وأبي علي الفارسي^(١) . وحسبه ما عُرف عنه من شيوخ مؤلفاته وعموم نفعها ، وأن كتابه « الجُحَل » كان عليه المَعَوَّل في مرحلة من مراحل تأريخ النحو حتى قيل فيه : هو كتاب المصريين ، وأهل المغرب ، وأهل الحجاز ، واليمن والشام ، إلى أن اشتغل الناس باللمع^(٢) لابن جني والإيضاح^(٣) لأبي علي الفارسي^(٤) . »

مازله المبارك

(يتبع)

(١) نزعة الألبا : ٣٧٩

(٢) كتاب اللّمع لأبي الفتح عثمان بن جني ، وهو كتاب صغير في النحو ، منه نسخة في دار الكتب بالقاهرة رقها / ١٧١٩ نحو / كتبت سنة ٦٨٠ في بغداد عدد أوراقها / ٦٤ . ولكتاب الفح عدة شروح .

(٣) الإيضاح كتاب شامل في النحو لأبي علي الحسن بن أحمد ابن عبد النفار الفارسي منه نسخة في دار الكتب بالقاهرة رقها / ١٠٠٦ نحو / كتبت بخط مغربي سنة ٥٦٦ هـ وهي في جزأين .

(٤) إنباء الرواة ٢ : ١٦١

كتاب شرح الالفات

لأبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري السحمي

توطئة :

المخطوطات القيمة التي حازتها خزانة المجمع الآسيوي بكتكتا (بنغال - الهند) عثرتُ من بينها على مجموع ^(١) عتيق رقمه A. 120 يحتوي على رسائل عدد ٦ في القراءة ووجوهها ٦ منها أثر لطيف ، لأبي محمد بن القاسم بن محمد ابن بشار الأنباري النحوي اللغوي الشهير ، المتوفى سنة ٣٢٨/٧ (٩٣٩/٨ م) وهو كتاب شرح الالفات ، الذي استغرق نحو تسع ورقات ٤ من بين ثلاث وسبعين ورقة من المجموع .

أما بقية الرسائل ، فمنها كتاب نهاية الاتقان في تجويد تلاوة القرآن ، لأبي الحسن شريح ^(٢) بن محمد بن شريح الرعي ، المتوفى سنة ٥٣٧ (١١٤٢ م) وذلك من رواية : محمد بن مؤمن بن سعد الأنصاري ، عن مؤلفه أبي الحسن شريح المذكور ، سمعاً منه عليه ، في منزله بمدينة اشبيلية ، حماها الله ، سنة تسع عشرة وخمسمائة ^(٣) (١١٢٤/٥١٩ م) وهو في طليعة المجموع ، وقد وردت

(١) راجع : فهرس المخطوطات العربية في خزانة المجمع الآسيوي (ص ٤٧ - ٤٨ ، سنة ١٩٣٩ م ككتكتا) .

(٢) راجع : غاية النهاية ، ج ١ ص ٣٢٤ ، رقم ١٤١٨ .

(٣) العبارة بنصها عن ظهر المخطوط من كتاب نهاية الاتقان ، وقد جاءت في أسطر وآخر السطر الرابع ما نصه : نفعه الله وإياناً بذلك - ومحمد بن مؤمن هذا لم يترجم له ابن الجوزي كما لم يذكره في من أخذ عن أبي الحسن شريح :

في مواضع من هوامشه ^(١) ، خطوط وتوقيعات بقلم المقرئ ابراهيم ^(٢) بن محمد ابن وثيق الاموي ، المتوفى سنة ٦٥٤ (١٢٥٦ م) بالاسكندرية ، وكان رحمه الله قرأ على حبيب ^(٣) بن محمد بن حبيب ، ابي الحسن الحميري الاشبيلي ، سبط المقرئ ابي الحسن شريح الرعييني المقدم الذكر .

ومنها رسالة في الحروف ، لابن وثيق الاموي الاشبيلي الآف الذكر .
ومنها قطعة من كتاب لابي عمرو ^(٤) عثمان بن سعيد الداني الاموي ، المتوفى سنة ٤٤٤ (١٠٥٢ م) ، ومعظم المجموع عبارة عن تلك القطعة :
ومنها ، أوراق عدة ، تختلف عن جملة الرسائل المذكورة ، وهي من كتاب لا يمكن العثور على عنوانه ورسمه ، فضلا عن معرفته ومؤلفه واسمه :

تلك الرسائل كلها : مبتورة ، نافصة ، مخرومة ، أكلت منها الليالي أكلًا لما ، ما عدا كتاب شرح الالفات ، لابن الانباري ، والورقات مختلفة الترتيب ، جاس بعضها خلال بعض ، فتصفحت المجموع ، وأمنت النظر فيه ورقة ورقة حتى عثرت على جملة اوراق من كتاب شرح الالفات ، وقد جاءت تسعة ، بلا نقص ولا زياد ، على هذا الترتيب : الورقة الـ ٨ / ب - ١١ ، ٥ - ٤ ، ٣ ، ٢٥ ، ٢٢ / ظ ، ولم يفتنا شيء من هذا الأثر النفيس ، فالحمد لله على ذلك .

هذا المجموع على اختلاف ما تضمن من خروم الرسائل ، راجع الى القرن السابع ، بحكم القرائن الخطية والآثار الشاهدة بلسانها على القدم ، والخروم كلها

(١) الورقة الـ ٢٤ ظ ، والـ ٣٠ ب ، والـ ٣٢ ب ، والـ ٣٥ ظ .

(٢) راجع غايه النهاية ، ج ١ ص ٢٤ ، رقم ١٠١ .

(٣) الرجوع السابق : ج ١ ص ٢٠٢ ، رقم ٩٣٢ .

(٤) راجع : غايه النهاية ، ج ١ ص ٥٠٣ ، رقم ٢٠٩١ .

مغربية السوس ، عتيقة اللبوس ، خطوطها متراوحة^(١) بين النسخي والمجهر المألوف عند المغاربة ، والنشابة الخطي بين كتاب شرح الالفات وبين قطعي الرعيبي وابن وثيق الأموي ، أشد وأقوى ، حتى يغلب على الظن ان المجموع قضى برهنة من الزمان ، في حوزة ابن وثيق هذا ، ويؤيده ماورد في حواشي كتاب نهاية الاتقان من خطوط ، بقلم ابن وثيق موقعة بما نصه - « قال ذلك ابن وثيق » - و - « قال ذلك ابراهيم بن محمد بن وثيق » -

أما كتاب شرح الالفات : فقد سماه ابن النديم^(٢) ، في عداد مؤلفات ابن الانباري بكتاب الالفات ، وتبعه ياقوت ، في إرشاد^(٣) الاربيب ، فلم يعرفه بشرح الالفات كما لم يذكرنا عن مقداره ، وفصوله ، شيئاً نستمدُّ به ، في القطع بان كتاب الالفات ، الذي ذكرناه ، هو لبس غير هذه النسخة المرسومة ، بشرح الالفات ، على أني لا أتمارى في عندي شرح الالفات هذا ، الى ابن الانباري ، والذي نستند اليه ونثق به ، في ذلك هو السند المزبور في طليعة النسخة ، فانه ينبيء القراء ، عن قدر هذا الأثر بين العلماء الجلة ، حيث تناقله بعضهم عن بعض منذ عصر مؤلفه ، ابن الانباري ، الى منتصف القرن السابع ، وكلهم اعلام ، معارف ، على اختلاف عصورهم ، لا ينكر فضلهم ، ولا يشق غبارهم ، وسُرد اسمائهم في موضعها من السند ؛ ويؤيده ما ورد ، في اللسان^(٤) والتاج ، من كلام ابن الانباري في ترجمة الألف ، وسبأني التنبية الى ذلك في غير موضع ، من نص الكتاب ؛ ثم الذي يزيدني ثقة بما اعتقدت ، ان بعض ما وصل الينا من مؤلفات المتقدمين ، ربما لا يتجاوز بضع ورفات .

(١) راجع كتاب الفهرست : ص ١١٢ طبعة مصر ،

(٢) انظر الارشاد : ج ٧ ص ٧٧ طبعة تذكاري .

(٣) راجع اللسان : ج ٢٠ ص ٣١٣ ، ولج العروس : ج ١٠ ص ٤٢٣ .

قد نصفحت من فهرس النسخ الخطية ، ما وصلت اليه يدي ، بحثا عن مخطوط آخر من هذا الكتاب ، فاطلعت على نسخة ، منه ، عتيقة ، في خزانة برلين ، في ضمن مجموع ^(١) ، برقم ٦٨٥٦ ، عنوانها : شرح الالفاظ المبتدئات في الاسماء والافعال وهي تستغرق نحو سبع أوراق من المجموع (الورقة الم - ال ٧ / ظ) وانسخها عبد الواحد بن احمد الثقفي ، في شهر شعبان ، سنة ٥٠٨ (١١١٥ م) وقد اورد منها اهلوردت عدة اسطر بنصها ، فاستدللت بها ان النسخة لا تختلف عن نسختنا الاسيوية ، في شيء . وهذه النسخة ، أغلبها برلمان الألماني ، في تأليفه الحافل ، ولكنه عرفني بمخطوط ^(٢) آخر من الكتاب رسمه « المختصر في ذكر الالفاظ » وهو محفوظ في خزانة لاليلي ، باستنبول وضمنه هناك ايضا مجموع مسجل برقم ٣٧٤٠ ، وهو يحتوي على رسائل من تأليف مشاهير الكتاب أمثال الزمخشري ، وابن الحاجب وهذا المختصر ، هو العاشر في الترتيب ، في نحو ست أوراق (الورقة الم ١٠٣ - ١٠٨) وهاكم عبارة ختامه كما وردت في مجلة ^(٣) Le Monde Oriental : « تم الكتاب لاربع ليال خلون من شوال ، سنة اثنتين وثمانين وستمائة (٦٨٢ / ١٢٨٣) وبقلب الظن ان هذا المخطوط ، ايضا ، لا يختلف عن اصلنا المخطوط في شيء من البنية ، أما اختلاف النسخ المتعددة ، فيما بينها ، فهو أمر بين ، غير مدفوع بحكم البديهة :

قد رجعت النسخة الالمانية ، وفاقأ أختها ، باعتبار التاريخ ، وكذلك نسخة استنبول تطبي القلوب ، اذ جاءت مسجلة بعمرها ، فلا ريب انها بهذا الاعتبار

(١) انظر فهرسة اهلوردت : ج ٦ ص ٢٠٠ (سنة ١٨٩٤ م) .

(٢) راجع تاريخ الآداب العربية - التتمة : ج ١ ص ١٨٢ .

(٣) راجع العدد الرابع (مقال الأستاذ ريشتر O. Rescher) ص ١٠٧ سنة ١٩١٣ م .

تفوقان نسخة المجمع الاسيوي بكلكنا ، واكتنفا نسخة لا تتأخر عن القرن السابع وليست دونها في القيمة بل هي تزداد ثمتا ، بما تضمنت من سلسلة إسنادها الى المؤلف ، وذلك يدل على صلة الكتاب بطبقة العلماء الأفاضل ، فقد رواه عن ابن الانباري ابو عمرو الرزاز ، المتوفى سنة ٣٦٧ ورواه عنه ، ابو الحسن الحمّامي ، المقرئ المتوفى سنة ٤١٧ ، ورواه عنه أبو الحسن العلاف ، المتوفى سنة ٥٠٥ ، ورواه عنه ، الحافظ ، السّافّي ، المتوفى سنة ٥٧٦ ، ورواه عنه ، ابن رواج القرشي الاسكندراني ، المتوفى سنة ٦٤٨ .

وتلك منزلة ، محرمها كلنا النسختين فيما يظهر ، ولا يخفى ان النص الذي انتقل اليه عن الرواة الذّقات ، لا يساويه ، ما انسخه الوراقون ، في مصحف غير مروية ، وان كانوا ذوي روية ؟

ثم يجب الانبها الى أمور ، أولا ، ان موضوع الكتاب ، ليس يبدع ولا غامض . ولكنه أثر عتيق يستحق التنويه لما تضمن من طريقة البحث للمتقدمين في ذلك ، وقد ألف في موضوع الألفات وغيرها من الحروف ، رجال القرون المتقدمة ، على اختلاف طبقاتهم ومناحيهم في مسائل التصريف والاعراب ، منهم المازني ابو عثمان بكر بن محمد البصري ، المتوفى سنة ٢٤٩/٨ (٢/٨٦٣ م) له كتاب ^(١) الالف واللام وكان الرّماني شرحه ^(٢) ، والسيرافي ابو سعيد الحسن بن عبد الله ، المتوفى سنة ٣٦٨ (٩٧٨ م) ، صاحب كتاب الفات الوصل ^(٣) والقطع ، والجمع ابو بكر ، صاحب ابن كيسان ، له كتاب

(١) انظر كتاب الفهرست : ص ٨٥ ، والوفيات ، لابن خلكان : رقم ١١٧ (طبعة غوتنبرج) .

(٢) راجع الفهرست : ص ٩٥ .

(٣) الفهرست : ص ٩٣ ، وابن خلكان : رقم ١٦١ .

الألفات ^(١) ، وابن خالويه اللغوي ، المتوفى سنة ٣٧٠ (٩٨٠ م) له كتاب الألفات ^(٢) وهو من أصحاب أبي بكر بن الانباري ، والرماني أبو الحسن علي بن عيسى ، المتوفى سنة ٣٨٢ (٩٩٢ م) له كتاب الألفات ^(٣) في القرآن وأمثالهم .

وانتصر ابن الانباري - في كتابه هذا - من الألفات على أصولها التي تأتي في أوائل الأفعال ، والأسماء ، والادوات ، مع إلمامه ببعض التوابع ، وخص لكل صنف ، باباً فتم الكتاب في ثلاثة أبواب قصيرة ، والذين حاولوا التوسع في الموضوع ، واستفاضوا في البحث عن التوابع ، ذكروا للألف وجوهاً ، وأحصوا لها ، ضرورياً ، مع زيادة بعضهم على بعض ، وتجددها مشروحة ، موجهة في كتاب منازل ^(٤) الحروف ، المنسوب إلى الرماني أبي الحسن علي بن عيسى (المتوفى سنة ٣٨٢) وفي رسالة ^(٥) الحروف ، المنسوبة إلى النضر بن شميل المتوفى سنة ٢٠٤/٣ (٨١٩/٨ م) وفي كتاب سرّ العربية للثعالبي ، المتوفى سنة ٤٢٩ (١٠٣٧ م) وفي غير ذلك من كتبهم في الباب .

والثاني أن المؤلف ، يلقب الحمزة بالألف . وليس ذلك توهماً منه بل انهم جميعاً ، يتجاوزن في تسمية الحمزة بالألف وقد أتى كلامهم في المعنى على أتو واحد .

والثالث انهم اختلفوا في بيان التقسيم الاول الى اللالف ، فذهبت طائفة الى ان

-
- (١) الفهرست : ص ١٢٢ .
 - (٢) الفهرست : ص ١٢٤ ، والوفيات : رقم ١٩٣ وقد أحال على كتاب الألفات هذا ، في كتابه : اعراب ثلاثين سورة .
 - (٣) راجع الفهرست : ص ٩٤ - ٩٥ .
 - (٤) هذا الكتاب ، نشره ، الفاضل غلام مصطفى ، مجلة كلية الآداب الشريفة بمدينة لاهور ، المجلد ٢ العدد ٧ : ص ١٨ - ٤٢ .
 - (٥) راجع البلفة في شذور القنة : ص ١٦٠ طبعة بيروت سنة ١٩١٤ م .

الالف على ضربين ، الف القطع والاف الوصل ، ومنهم السيرافي ابو سعيد ، كما يظهر من ترجمة كتابه فيما تقدم ، والجوهري ^(١) ، صاحب الصحاح ، وهؤلاء يعتبرون القطعية أنها قد تكون زائدة وقد تكون أصلية ، ومنهم من زعم القطعية ، أصلية فلحقها الف الاصل وقد ذهب الى ذلك ابو جعفر بن سعدان ، وخلف بن هشام البزار ، ورد عليها ابن الانباري في كتابه هذا . وطائفة اخرى تقول ، ان الالفات ثلاث ، أصلية ، وقطعية ، ووصلية وهو مذهب ابي العباس احمد بن يحيى ، ومحمد بن يزيد ، فيما روى عنها ^(٢) الازهري واختاره ابن الانباري فهؤلاء يحسبون الأصلية ضرباً برأسها .

واذا كانت النسختان - الألمانية ، والاستنبولية - من الكتاب ، تقطعت دونها الأسباب والوسائل ، عوّلت على النسخة الاسيادية ، وحدها ، وهي في حد ذاتها ، نسخة جيدة ، مضبوطة ، مصححة ، وفورنت مع نسخة أخرى لا أعرفها ، وقد نبه صاحب اصلنا المخطوط ، على اختلاف ما بينها وسيرد ما حكي عنها في موضعه من التعليقات .

في حاشية الاصل ، أيضاً ، زيادات ، أثبتتها الناسخ بخطه ، لا يتم الكلام ، بدونها ، فأدجبتها ، في سياق المتن ، حيثما يقتضيها سداد نظم الكلام ، وجعلتها بين القوسين .

وجاءت في موضع من الكتاب ، عبارة طويلة ، تستغرق هوامش الورقتين الـ ١٠ / ب - الورقة الـ ١١ / ظ ، علقها الناسخ من كتاب الوقف والابتداء ، لابن الانباري أيضاً ، حولتها ، عن موضعها من الهامش ، وقيدتها في آخر نسختنا ، لكونها فائدة برأسها .

(١) انظر صحاح الفقه - ج ٢ ص ٥٧١ .

(٢) انظر فاج العروس - ج ١٠ ص ٢٢٢ .

وقد عاث العث ، في غير موضع من المخطوط ، فشوش حروفاً ، وأذهب
التغليب والترقيع ، طائفة منها ، فوضعت كل ما رأيت ، صواباً ، في تلك
المواضع ، بين المربعين وقد زدت ، في أكثر من موضع ، لفظاً أو لفظين ،
بمقتضى السياق والسباق ، فما جاء على هذا المثال ، يحيط به العكفان .

وطول المخطوط ١٧ سمتراً ونصف في عرض ١٣ سمتراً والقسم المكتوب
من كل صفحة طوله ١٢ سمتراً في عرض ٩ س . وفي كل صفحة ١٧
سطراً وفي الصفحة الأخيرة ٨ سطراً فقط .

(الهند)

أبو محفوظ الكريم معصومي

كتاب شرح الألفات

[ورقة الـ ٨ / ب] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صلى الله على محمد ،

قال ، ثنا ، الشيخ ، الفقيه ، الراوية ^(١) ، ابو محمد عبد الوهاب بن ظافر القرشي ، عرف والده ، برواج ^(٢) ،

قال ، ثنا ، الشيخ الفقيه ، الحافظ ، أبو الطاهر احمد ^(٣) بن محمد

(١) الاصل : الرواية .

(٢) المحدث ابن رواج ، رشيد الدين ، ابو محمد ، عبد الوهاب بن ظافر بن علي ابن توج الاسكندراني المالكي ، ولد سنة ٥٥٤ هـ (١١٥٩ م) وتوفي سنة ٦٤٨ / ١٢٥٠ م .

له ترجمة في تذكرة الحفاظ ، للذهبي (ج ٤ ص ٩٢) وفي حـسن المحاضرة للسيوطي (ج ١ ص ١٥٩ - ١٦٠ ، طبعة الشرقية ، ١٣٣٧ هـ) وفي شذرات الذهب (ج ٥ ص ٢٤٢) ومن أخفه عنه محمد بن يوسف المقدسي ، المتوفى سنة ٧٠٣ / ١٣٠٣ م (غاية النهاية ج ٢ ص ٢٨٨) والشيخ بديع الدين المصري علي بن محمد المتوفى سنة ٦٨٦ / ١٢٨٧ م (بـقية الوعاة : ص ٣٥١) وفي بعض المطاوع : ابن رواج بجاء ، مصحفاً ؛ وابن رواج هذا ، يروي عن الحافظ السلفي ، كتاب المحدث الفاضل بين الراوي والواعي ، تأليف القاضي ، أبي محمد الحسن ابن محمد بن خلاد الراهبوزري - بساءه عليه في شهر رمضان ، سنة ٥٧٤ / ١١٧٨ م (انظر فهرس النسخ الخطية باسكوريال ، تأليف هـ . ديرن بورغ : ج ٣ رقم ١٦٠٨) .

(٣) هو من جـلة الحفاظ ، توفي يوم الجمعة ، خامس عشر ، ربيع الآخر سنة ست وسبعين وخمسمائة (٥٧٦ / ١١٨٠ م) له ترجمة في الساب السمعاني (الورقة ، الـ ٣٠٢) والوفيات (رقم ٤٣ - طبعة غوتنبـرغ) وتذكرة الحفاظ (ج ٤ ص ٩٠) وطبقات الشافعية ، للسبكي (ج ٤ ص ٤٣) وغاية النهاية (ج ١ ص ١٠٢ رقم ٤٧٢) وشذرات الذهب ، (ج ٤ ص ٢٥٥) وتاج العروس (ج ٦ ص ١٤٤) .

السلفي^(١) ، رضي الله عنه .

قال ، أنا ، الحاجب ، ابو الحسن علي^(٢) بن محمد بن علي بن يوسف
ابن العلاف ، المقرئ ، ببغداد ، قراءة عليه ، بها ، سنة أربع^(٣) وأسمين^٤
وأربع مائة ،

قال ، أنا ، ابو الحسن [علي]^(٤) بن احمد بن عمرو بن حفص ، المقرئ ، الحماني
< قال > ثنا ، ابو عمرو^(٥) عثمان بن احمد بن سمعان ،

(١) شكله في الأصل أيضاً ، بكسر السين مع علامة الاهمال تحتهما ، ويفتح اللام
وكتب فوقه صح وكذا ضبطه ابن الجواني بكسر ففتح ويؤيده ما وجد بخط يوسف
ابن شاهين ، وهذه النسبة الى سلفه تمريب سهله بالفارسية أي ذو ثلاث
شفاه ، وهو جده ، وكان مشقوق الشفة وفي قول الزركشي ، شلفه بالشين معجمة ،
أو النسبة الى قرية باصفهان وهو غلط وقيل الى بني السلف من حمير ذكره
ابن الجواني ومال اليه الزبيدي (راجع قاج المروس والمراجع السابقة) .

(٢) هو آخر من روى عن الحماني . ولد سنة ٤٠٦ / ١١٠٥ م وتوفي عن مائة
إلا سنة ، في المحرم سنة ٥٠٥ / ١١١١ م . له ترجمة في شذرات الذهب
(ج ٤ ص ١٠) .

(٣) ٤٩٤ / ١١٠٠ م وكانت رحلة السلفي الى بغداد في رمضان سنة ٤٩٣ / ١٠٩٩ م ،
ثم حج وعاد اليها ، فتفقه ، واشتغل بالمروية (راجع طبقات الشافعية) .

(٤) الحماني يفتح الحاء المهملة ، وتشديد الميم روى عنه الخطيب والبيهقي وأبو الحسن
ابن العلاف ، توفي سنة ٤١٧ / ١٠٢٦ م وقال السمعاني في حدود سنة ٤٢٠ /
١٠٢٩ م وهو متفرد بهذا .

له ترجمة في تاريخ بغداد (ج ١١ ص ٣٢٩ رقم ٦١٥٦) وأنساب السمعاني
(الورقة ال ١٧٤ ب) وغاية النهاية (ج ١ ص ٥٢١ رقم ٢١٥٧) وشذرات
الذهب (ج ٣ ص ٢٠٨) وقاج المروس (ج ٨ ص ٢٦٠) .

(٥) هو الرزاز ، البغدادي ، ويعرف بالحماني يفتح الميم والجيم وبمدها الألف وفي
آخرها الشين المعجمة ، وفي أنساب السمعاني « البزار » وفي غاية النهاية « النجاشي »
بالنون ، مصنفين ، توفي سنة ٣٦٧ (٩٧٧ م) راجع له تاريخ بغداد
(ج ١١ ص ٣٠٦ رقم ٦١٠١) والأنساب (الورقة ال ٥٠٨) وغاية النهاية
(ج ١ ص ٥٠١ رقم ٢٠٨٣) .

قال ، قال ، أبو بكر محمد ^(١) بن القاسم بن بشار الانباري النحوي

باب ^(٢) ذكر الألفات التي يُبتدأ بها في أوائل الأفعال

وانما قدمناها ، على ألفات الأسماء ، والأدوات ، لقرب اصولها ، على

المستفيدين ومهولة التفريع منها ، وقلة التباس الملل فيها ، عليهم ؛

اعلم ، ان الألفات المبتدأ بها ، في أوائل الأفعال ، ست :

الف اصل ، والف قطع ، والف وصل ، والف ^(٣) الاستفهام ، والف

الخبر عن نفسه ، والف ما لم يُسم فاعله ،

فأما الف الاصل ، فانها تعرف ، بان ترى فاء من الفعل ^(٤) ، ثابتة في

المستقبل ، كقوله تعالى ، أتى امرؤ الله فلا تستعجلوه ^(٥) ،

الف أتى ، الف الاصل ، لأن وزن أتى ، من الفعل ، فَعَلَ ^(٦) ، فالحزمة ،

فاء الفعل ، والمستقبل يأتي ، فالالف موجودة فيه ، ومثل أتى ، أمروا ^(٧)

وأوى ، وأذن ، وأبق ، وأسن ، وما أشبههن ؛

(١) هو مؤلف الكتاب ، يضرب به المثل في حضور البديهة وسرعة الجواب وصفوه

بنهاية الذكاء والفتنة ، وجودة الفريجة وسرعة الحفظ وأكثر ما كان يليه من غير

دقت ولا كتاب ، مات عن دون الخمسين وتوفي سنة ٣٢٨/٧ (٨/٩٣٩ م) .

له ترجمة في القهرست (ص ١١٢) وقاريغ بغداد (ج ٣ ص ١٨١ رقم ١٢٢٤)

ومعجم الادباء (ج ٧ ص ٧٣) ونزهة الالباء (ص ٣٣٠ - طبعة مصر ، سنة

١٢٩٤) والوفيات (رقم ٦٥٣) وتذكرة الحفاظ (ج ٣ ص ٥٧٦) وطبقات

الحنابلة لابن أبي يعلى (ص ٣٢٧) والأنساب (الورقة ال ٤٩ ب) وبغية

الوعاة (ص ٩١ - ٩٢) وشذرات الذهب (ج ٢ ص ٣١٥) .

(٢) مخطوط برلين : « ذكر الألفات » [فهرسة اهلودت] .

(٣) المرجع المذكور : « الف استفهام » .

(٤) يعني الماضي .

(٥) س ١٦ ، الآية ال ١ .

(٦) الأصل : « فعل » .

(٧) كذا بصيغة الجمع في الأصل ، ولو كان « امر » لكان ألبط بسباق الكلام .

والف القطع ، 'تفتح في الماضي ، والامر ، وتكسر (١) في المصدر ، تعرف [الورقة الـ ٩ / ظ] بضم اول المستقبل ، كقوله عنّ وجل ، ألهاكم (٢) التكاثّر ، ألف ألهاكم ، الف قطع ، لان (اول المستقبل) مضومٌ ، وهي الياء ، في 'يلهي ، وألمى (٣) ، فعل ماضٍ ، ومثله ، أحسن ، وأعطى ، وأقال ، وأنعم ، وأغلق ، وأقفل ،

وتبتدى ، قوله عنّ وجل ، وقال الذي اشتراه من مصر لأمراته أكرمي مثواه (٤) ، أكرمي بالفتح ، لانها الف قطع ، معروفة بضم اول المستقبل ، وهو 'بكرم ، وأكرمني ، وكذلك ، أدخاني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق (٥) ، وبأسماء أفلعي (٦) ،

وتبتدى ، قوله عنّ وجل ، ويخرجكم إخراجاً (٧) ، بكسر الالف ، لانها الف قطع ، في المصدر ، اول مستقبلها مضومٌ ، وهو 'يخرج ، وكذلك ، إعطاءً ، وإحسان ، وإنعام ،

وأما اختاروا لها ، الكسر ، وعدلوا فيها ، عن الفتح ، كراهية ان يلتبس المصدر ، بالجمع ، اذ أخرج (٨) ، جمع 'خرج ، وأحسان (٩) جمع 'حسن ،

(١) موضع خرم في الأصل .

(٢) س ١٠٢ ، الآية الـ ١ .

(٣) رسمه في الأصل : ألها .

(٤) س ١٢ ، ع ٣ ، الآية الـ ١ .

(٥) س ١٧ ، ع ٩ ، الآية الـ ٣ .

(٦) س ١١ ، ع ٤ ، الآية الـ ٩ .

(٧) س ٧١ ، ع ١ ، الآية الـ ١٩ .

(٨) ابن خالويه : فان قيل ، لم كسرت الألف ، في المصدر (الإخراج) قل : لئلا يلتبس بالف الجمع مثل أخرج ، جمع خريج ، (اعراب ثلاثين سورة : س ١٥٢) .

(٩) أغفله أصحاب المعاجم . والمردف في الجمع عاسن ، وهو جمع لا واحد له عند جمهور أهل اللغة والنحو .

وأعطاء (١) جمع 'عطو' ، وأنعام جمع 'نعم' (٢) ،

وكان أبو جعفر ، محمد (٣) بن سعدان ، وخلف (٤) بن هشام ، البرّار (٥) ،
يلقبان ، الف القطع ، الف الأصل ، وليس ذلك بصحيح عندنا ، من قبل
ان الف الوصل (٦) ، هي التي تكون فاءً من الفعل والف القطع ، ليست فاءً
من الفعل ، ولا عيناً ، ولا لاماً ، وما هذا صفته ، فهو زائده ، غير أصلي ،
والف الوصل ، تعرف ، بسقوطها من الدرّج ، وبفتح اول المستقبل ،

(١) هذا الحرف مثلث وكندوي ، وظي "عطو" : يتناول الى الشجر ، لينناول
منه (عن القاموس) .

(٢) كذا يسكون العين ، في الأصل ، وقال المجد : وقد يسكن عينه .

(٣) هو من النحاة الكوفيين ، ولد سنة ١٦١ / ٧٧٧ م بفداد وتوفي سنة ٢٣١ /
٨٤٥ م . له ترجمة ، في الفهرست (ص : ١٠٤) وغاية النهاية (ج ٣ ص ١٤٣
رقم ٣٠١٩) وبغية الوعاة (ص : ٤٥) .

(٤) أبو محمد ، البرّار ، بفدادي ، أصله من قم الصليح ، ولد سنة ١٥٠ / ٧٦٧ م ،
وتوفي ، سنة ٢٢٩ / ٨٤٣ م ، وهو مخفف من الجهميّة ؛

له ترجمة ، في تاريخ بفداد (ج ٨ ، ص ٣٢٢ ، رقم ٤٤١٧) وغاية النهاية
(ج ١ ، ص ٢٧٢ ، رقم ١٢٣٥) وتاريخ الحنابلة لابن أبي يعلى (اختصار
الناقلي ، ص : ١١٢) ومفتاح السعادة (ج ١ ، ص ٣٧٩) .

(٥) عبارة الأصل هكذا : « » وخلف بن هشام ، يلقبان ، الثوار ، الف القطع
الف الأصل » ، والثوار ، مصحف عن البرّار ، ثم هو مدرج في غير موضعه ،
والصواب ما قرأته ، ان شاء الله .

(٦) كذا في الأصل ، وهو غلط ، وجاء في الحاشية ، الأصل صح ، وهذا هو
الصواب بلا امتراء ، وهذا الخطأ فيه قديم جداً ، فقد ورد في ما حكاه ،
ابن منظور ، عن ابن الاباري ، ما نصه : والفرق ، بين الف القطع ،
والف الوصل ، ان الف الوصل ، فاء من الفعل ، وألف القطع ، ليست
فاءً ، ولا عيناً ، ولا لاماً (اطلب اللسان ، ج ٢٠ ص ٣١٣) وكذا ،
عند المرتضى الزبيدي ، ولفظه ، والفرق ، بين الف القطع ، والوصل ، ان
الف الوصل ، فاء من الفعل الت (انظر تاج العروس ، ج ١٠ ، ص ٤٢٣)
والصواب الظاهر ، ان الكلام ، هنا ، في الفرق بين الف القطع والف الأصل .

وهي مبنية على ثلث المستقبل ، ان كان الثالث مكسوراً ، او مفتوحاً ، كُسرت
وان كان مضموماً ، ضُمت ،

فتبتدئ ، قوله عن وجل ، ان اضرب بعصاك ^(١) ، بكسر الف اضرب
لأنها مبنية (على الراء ، في يضرب ، وهي) [الورقة ال ٩ / ب] الف
وصل ، اذ كانت ساقطة ، في الوصل ، مفتوحاً اول مستقبلها ، يضرب ،
وانما بنيت ، على ثالث المستقبل ، ولم تُبنَ ، على الاول ، منه ولا الثاني ،
ولا الرابع ، لان الاول زائد ، والزائد لا يُبنى عليه ، والثاني ساكن
والساكن ^(٢) يبتدأ به ، والرابع لا يثبت على إعرابه واحد ، اذ كان مضموماً ،
في الرفع ، او مكنى في الجزم ، مفتوحاً في النصب ، فبنيت من اجل ذلك ،
على الذي اعرابه لازم ، غير منتقل ، وهو الثالث ، مثل اضرب ، نستعين ^(٣)
اهدنا ، تبتدئ به ^(٤) اهدنا ، لأنها الف وصل ، مبنية على كسرة الدال ،
في يهدي ، والضمة الموجودة في الوصل ، هي ضمة نون نستعين ، والف اهدنا ،
معدومة ، من اللفظ ، عند الوصل ، ومثله ، ارجعوا ^(٥) الى ابيكم ، ابن لي
صريحاً ^(٦) ، امضوا ، ابتوا ^(٧) صفاً ،

فان قال ، قائل ، التاء في ابتوا ، مضومة ، ومثلها الضاد ، من امضوا ،
قبل له ، التاء على تاء ، يأتي ، و < الضاد ، على > ضاد يضي ^(٨) ، والاصل

(١) س ٢٦ ، ع ٤ ، الآية ال ١١

(٢) لدّ الأصل : لا يبتدأ به ، وهو الصواب

(٣) الفاتحة - الآية ال ٤ - هـ

(٤) يعني بالكسر

(٥) س ١٢ ، ع ١٠ ، الآية ال ٢

(٦) س ٤٠ ، ع ٤ ، الآية ال ٩

(٧) س ٢٠ ، ع ٣ ، الآية ال ٦٤

(٨) الاصل ، يضي

في امضوا^(١) وايقوا ، امضيو^(٢) ، واثنوا^(٣) ، فاستثقلوا الضمة ، على الياء ، فالقوها على الضاد ، والناء ، بعد ان أزالوا ، عنها الكسرة ، واسقطوا الياء لسكونها ، وسكون الواو ؟

وتبتدي ، قوله عز وجل ، اشكر^(٤) لي ، اشكر > بضم الالف < لانها ، الف وصل ، مبنية على كاف يشكر ، ومثله أعبدوا^(٥) ، أدخل ، أخرج ، اقبل ، اكتب ، وما أشبههن ،

وتبتدي ، قوله تعالى ، ان اصنع^(٦) الفلك ، اصنع ، بكسر الالف ، لانها مبنية على الثالث ، وهو النون ، في يصنع ؟

فان قال ، قائل ، هلا^(٧) ففتحها ، اذا كان الثالث مفتوحا ، كما تكسرهما ، اذا كان الثالث^(٨) ، مكسورا^(٩) ، [الورقة الـ ١٠ / ظ] أو نضمها ، اذا كان الثالث مضموما ، فقل ، كرهت ان افتحها ، فيلتبس (الامر بالخبر ، ألا ترى (انك لو قلت ، في الامر ، اذهب يا رجل ، اصنع^(١٠) يا رجل ، لالتبس بقولي في الخبر ، انا اذهب ، انا اصنع ،

فكسرناها ، لما بطل فيها الفتح ، لان الكسر ، اخو الفتح ، وذلك ان

(١) الاصل ، امضوا

(٢) الاصل ، أمضيو

(٣) الاصل ، أثنوا

(٤) س ٣١ ، ع ٢ ، الآية الـ ١٤

(٥) لو كان أعبد ، لكان أليط بالنسق ، لعله : أليق

(٦) س ٢٣ ، ع ٢ ، الآية الـ ٢٧

(٧) الاصل : هلا

(٨) اكلته الارضة

(٩) جاء بالماءش : بانه المعاملة

(١٠) في حاشية الاصل ، ما اراه ، وفي نسخة اخرى ، الا ترى انك لو قلت ،

اصنع ، يفتح الالف ، لالتبس ، بالاخبار عن النفس ، كقولك ، انا اصنع ،

صح في اخرى .

الحركات ، ثلاث فتحة ، وكسرة ، وضمة ، فالفتحة ، اخف الحركات ، ثم الكسرة تليها ، والضممة أثقل الحركات ، فحركات الألف بالكسر ، لما كانت الكسرة تقرب من الفتحة ؛

ومثله ، ائذن ^(١) لي ، اذهبوا ^(٢) بقميحي ، اقرأ باسم ^(٣) ربك ، ابلعي ^(٤) ماءك ، اعلم ان الله ،

وتبتدي ، قوله عز وجل ، اذا السماء ^(٥) انفطرت ، < انفطرت > بكسر الالف ، لانها الف وصل ، مبنية على الطاء ، في ينفطر ؛

فان قال ، قاتل ، بفتحها على الطاء ، والطاء رابعة ، لان ينفطر ، وزنه ينفعل ، فالنون زائدة ، لا يلتفت إليها ، والبناء على عين الفعل ، أين كانت وتبتدي ، ايضا ، قوله عز وجل ، الكاذبون ^(٦) استخوذ ، استخوذ [بكسر] الالف لانها مبنية ، على عين الفعل ، وهي الواو ، في يستخوذ ، يستعمل والتاء والسين زائدة ، لا يلتفت إليها ؛

وتبتدي ، قوله ، اذا السماء ^(٧) انشقت ، انشقت ، بكسر الالف ، لانها الف وصل ، مبنية ، على عين الفعل ، وهي القاف المدغمة ، في تنشق ، تنشقي على وزن تنفعل فاستنقل الجمع ، بين حرفين متحركين من جنس واحد ، واسكنت القاف الأولى ، وادغمت في التي بعدها (فصارنا ، قافا مشددة) [الورقة الـ ١٠ / ب] والنون ، في تنشق ، زائدة ، لا يقبل عليها ؛

(١) س ٩ ، ع ٧ ، الآية الـ ٦

(٢) س ١٢ ، ع ١٠ ، الآية الـ ٩٣

(٣) س ٩٦ ، الآية الـ ١

(٤) س ١١ ، ع ٤ ، الآية الـ ٤٤

(٥) س ٨٢ ، الآية الـ ١

(٦) س ٥٨ ، ع ٣ ، الآية ١٨ - ١٩

(٧) س ٨٤ ، الآية الـ ١

وتبتدي ، قوله عز وجل ، [الماء] اهتزت ^(١) ، اهتزت ، بكسر
الالف ، لانها ، الف وصل مبنية على عين الفعل « وهي الزاي المدغمة في
تهتز ، من قبل ان اصل تهتز ، تهتزز » ، على مثل تفتعل ، فاستثقل الجمع بين
زايين ، مفر كنهين ^(٢) ، فاستكنت الزاي الأولى ، وأدغمت ، في التي بعدها ،
والتاء التي في تهتز ، زائدة ، لا يعمل عليها ؛

والف وصل ، في الماضي ، على مثال ما هي عليه في الامر ، تبنى على العين ،
لا غير ، والمحمزة الموجودة عند وصل الكلام ، في قوله ، الماء اهتزت ساफطة .
وتبتدي ، قوله ، عز وجل ، آمنوا [استعينوا] ^(٣) ، < استعينوا >
بالكسر ، لانها الف وصل مبنية على عين الفعل ، وهي الواو ، في نستعين ،
قبل ان تقلب ياء ، والاصل في نستعين ، نستعون ، على مثال نستخرج ،
فاستثقلت الكسرة في الواو ، فألقيت على العين ، وجعلت [الواو] ياء
لانكسار الالف ؛

وتبتدي ، قوله عز وجل ، وانا اخترتك ^(٤) ، (اخترتك) ^(٥) < بالكسر >
لانها الف وصل مبنية على عين الفعل ، وهي الياء في يختار ، قبل ان تقلب
ألفا ، لان اصله يختير على مثال يكتب ، فصارت الياء ، ألفا ، لتحركها ،
وانفتاح ما قبلها ،

وان سأل ، سائل ، عن قوله عز وجل ، لقائنا ائت ، بقرآن غير هذا ^(٦)

(١) س ٢٢ ، ع ١ ، الآية الـ ٥ ، س ٤١ ، ع ٥ ، الآية الـ ٣٩

(٢) الاصل : متمر كنهين

(٣) س ٢ ، ع ١٩ ، الآية الـ ١٥٣

(٤) س ٤٥ ، ع ١ ، الآية الـ ١٣

(٥) جاء لوقه « صح »

م (٦)

(٦) س ١٠ ، ع ٢ ، الآية الـ ١٥

فقال كيف الابتداء [به] ، فقل ، إئت ، بكسر الالف ، لأنها الف وصل ، مبنية على تاء يأتي ، فان [الورقة ال ١١ / ط] قال ^(١) ، قد وجدنا الألفات ، ثابتة في المستقبل ، وهي إحدى علامتي الف (الاصل ، فيقال له) الف الوصل ، داخلة على الف الاصل ، في هذا الحرف واصله اذا اردت الابتداء به ، إبتوا ^(٢) ، بالكسر ، فصارت الحمزة الساكنة ، ياء ، لانكسار الف الوصل ، واذا وصلت ، فقلت ، لقائنا إئت ، سقطت الف الوصل ، الموجودة في الابتداء مكسورة ، ورجعت الحمزة التي توجد في الابتداء مكسورة ساكنة ،

وتبتدى ، قوله عز وجل ، إطيرونا ^(٣) ، بالكسر ، لأنها الف وصل ، مبنية على عين الفعل ، المفتوحة ، وهي الياء ، في يطير ، واصله تطيرنا ، فابدلوا من التاء طاء ، لأنها أشبه بالطاء التي بعدها ، ثم اسكنوها ، وأدغموها ، في الطاء الثانية ، فلم يصلح الابتداء بساكن ، فادخلوا ألفاً ، يقع بها الابتداء ، ومثله اذآركوا ^(٤) ،

وتبتدى ، قوله عز وجل ، إني اصطفيتك ^(٥) ، < اصطفيتك > بالكسر لأنها الف وصل مبنية على عين الفعل ، وهي الفاء في يصطفي ، ولا تلتفت الى وقوع الفاء رابعة ، لان الطاء لا يعمل عليها ، من اجل ان اصل الحرف ، يصتفي ، يفتعل من الصفوة ، فابدلت الطاء من التاء ، لأنها أشبه بالصاد ، واخف على اللسان بعدها ، وتاء الافعال غير معمول عليها ،

(ينفع)

(١) غروم

(٢) لو كان « إئت » لكان أولق بالسباق ، وهنا وردت تعليقة من كتاب الوقف والابتداء ، استنقرت حاشية الورقة ال ١١ / ط ثم وردت بقيتها بهامش الورقة ال ١٠ / ب ، وستأتي في آخر الكتاب

(٣) س ٢٧ ، ع ٤ ، الآية ال ٤٧

(٤) س ٧ ، ع ٤ ، الآية ال ٣٨

(٥) س ٧ ، ع ١٦ ، الآية ال ١٤٤

رسالة ابن حزم

في أمهات الخلفاء

نمريه

ألف ابن حزم القرطبي ^(١) (المتوفى سنة ٥٤٥٦ / ١٠٦٤ م) في التاريخ
كما صنف في الفلاسفة والشريعة وعلوم الدين . فما ألفه في التاريخ « جمهرة أنساب

(١) انظر عن ابن حزم ما يلي :

٢ - من المصادر الأندلسية

الجميدي ، جذوة المقتبس ، ص ٢٩٠ ، رقم ٧٠٨ (نشرة محمد بن ثابت الطنجي)
ابن بشكوال ، الصلة (هـ ١٨٨٢) رقم ٨٨٨
ابن خاقان ، مطمح الأنفس ، ص ٦٣ (مطبعة السادة)
ابن بشام ، الذخيرة ، القسم الأول من المجلد الأول ، ص ١٤٠
ابن ساعد ، طبقات الأمم (المطبعة الكاثوليكية ، ١٩١٢) ص ٧٥
ابن سديد ، المغرب ١ : ٤٤ و ٤٥ (دار المعارف بمصر)

ب - من المصادر المشرقية

ابن خلدكان ، وفيات الأعيان ٣ : ١٣ (ط . محبي الدين)
الذهبي ، سير أعلام النبلاء (مخطوطة أحمد الثالث)
الصفدي ، الوافي بالوفيات (مخطوطة أحمد الثالث)
ابن العماد ، شذرات الذهب ٣ : ٢٩٩

ج - من المصادر الأجنبية

Brockelman, GAL

Asin Palacios, *Aben Hazem de Cordoba y su historia de las Ideas Religiosas*. Madrid, 1927—1932, 5 vol.

À. Conzalez Palencia, *Historia de la Litteratura Arabigo — Espanôla*.

ترجم بالعربية باسم تاريخ الفكر الأندلسي . انظر ص ٢٢٠ خاصة .

العرب « ، و « بيان فضل الأندلس وذكر علمائه » ، و « نقط العروس في تواريج الخلفاء » . وقد نشرت هذه الكتب الثلاثة .

لكن كتابه الكبير في التاريخ هو « الإمامة والخلافة وصراتها » ^(١) ، وهو كتاب لم نقرأ عليه . وكان 'نشر لابن حزم منذ عامين كتاب باسم « جوامع السيرة » ^(٢) . وهذا الاسم اخترعه المحققان اللذان حققا الكتاب . وقد أثبت على النسخة المخطوطة التي كننا عثرنا عليها في جامع الزيتونة بتونس « المرتبة الرابعة في نسب رسول الله وسيره ومغازبه وحمل من التاريخ » . وكنا ذكرنا في نقدنا هذه الفشرة أن الكتاب هو جزء من كتاب آخر . ونحن نميل الآن الى اعتباره جزءاً من الإمامة والخلافة وصراتها . هذا ما نعرفه الى الآن عن تواليف ابن حزم في التاريخ .

وقد عثرنا في معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية على رسالة مخطوطة لابن حزم كتب عليها « الأمهات » ^(٣) . ونقع في ورقتين كانتا ملحقتين بمخطوطة كتاب نقط العروس . ومصدرها مكتبة بايزيد عمومية في استانبول . ومما بخط قديم لعلها من أواخر القرن الخامس .

ولم نستطع أن نعلم هل كانت هاتان الورقتان رسالة خاصة أم باباً من أبواب كتاب آخر ؟ وكيف كان الأمر ، فإنها تقدمان لنا نصاً جديداً من النصوص التي تركها ابن حزم في التاريخ .

وبدور الموضوع فيها حول أسماء أمهات الخلفاء الراشدين ، والامويين في

(١) انظر بلانثيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ص ٢٢٠ .

(٢) انظر للدكتور هذا الكتاب في مجلة معهد المخطوطات العربية . المجلد الثاني (١٩٥٦) ،

ص ١٨٩ - ١٩٣

(٣) انظر فهرس المخطوطات المصورة ، (الجزء الثاني ، القسم الثاني من التاريخ) ،

رقم ٦٨٢ ، ف ٨٥٣

الشرق ، وبعض الأمويين في الغرب ، وبعض الخلفاء العباسيين ^(١) .
ونلاحظ أنه وقف عند الطائع في الخلفاء العباسيين . وكان توفي سنة
٤٠٠ هـ . أما الخلفاء الأمويون في الأندلس فلا يذكرهم على الترتيب ، ويقف
عند المستكفي .

ونفيدنا هذه الرسالة أن أمهات الخلفاء الراشدين ، والأمويين في المشرق
كن حرائر ، عدا أم يزيد وإبراهيم ابني الوليد . أما العباسيون فأمهاتهم أمهات
أولاد ، حاشا السقاج والمهدي والأمين . أما أمويو الأندلس فما ولي الخلافة
منهم من أمه حرة أصلاً وكان ابن حزم قد ذكر هذه النتيجة في كتابه
نقط العروس ^(٢) .

ونحن نقدم هذه الرسالة بعد أن قابلنا الأسماء الواردة فيها بما ورد في
المصادر . وجعلنا بين عضادتين [] ما أضفناه منها ، وبيناً في الهامش سني
تولية الخلفاء ، ووفياتهم ، لا وفيات أمهاتهم .

وهاكم الرسالة :

(١) أنف في القديم ابن حبيب (المتوفى سنة ٢٤٥ هـ) رسالة في « أمهات النبي »

لشركا حنين علي مخطوط . بغداد ١٣٧٢ هـ .

(٢) انظر نقط العروس لابن حزم . (مجلة كلية الآداب بالقاهرة ، المجلد ١٣

« ١٩٥١ » ص ٨٨)

الأمهات

قال أبو محمد بن حزم :

أم النبي ﷺ (١) آمنه بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب
ابن مرة .

وأم أبي بكر (٢) ، رضي الله عنه ، أم الخير ، مسلمة فاضلة ، سلمى
بنت صخر بن عمر بن عامر بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة .

أم عمر (٣) ، رضي الله عنه ، حننمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله
ابن عمر بن مخزوم بن بقظة بن مرة . كافرة .

وأم عثمان (٤) ، رضي الله عنه ، أروى بنت كرز (٥) بن ربيعة بن
حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف .

وأم علي (٦) ، رضي الله عنه ، فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف .
مسلمة فاضلة مهاجرة .

أم الحسن (٧) ، رضي الله عنه ، فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضي عنها .

(١) توفي سنة ١١ للهجرة

(٢) (١١ - ١٣ / ١٣ هـ)

(٣) (١٣ - ٢٣ / ٢٣ هـ)

(٤) (٢٣ - ٣٥ / ٣٥ هـ)

(٥) في جوامع السيرة « كرز »

(٦) (٣٥ - ٤٠ / ٤٠ هـ)

(٧) (٤٠ - ٤٨ / ٤١ هـ)

أم معاوية ^(١) ، رضي الله عنه ، هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس
ابن عبد مناف . مسلمة مبيعة .

أم يزيد ^(٢) مأسون بنت بحدل الكلبيّة .

أم عبد الله بن الزبير ^(٣) أسماء بنت أبي بكر الصديق .

أم معاوية بن يزيد ^(٤) أم خالد بنت هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس .

أم مروان بن الحكم ^(٥) الزرقاء الكنانيّة .

أم عبد الملك ^(٦) عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاصي بن أميّة .

أم [الوليد ^(٧) و] سليمان ^(٨) ولادة بنت العباس بن جزء بن الحارث

ابن زهير بن جذيمة العبسي .

أم عمر بن ^(٩) عبد العزيز ، رضي الله عنه ، أم عاصم بنت عاصم بن عمر

ابن الخطاب .

[أم يزيد بن عبد الملك ^(١٠)] عائكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان .

أم هشام ^(١١) أم هشام بنت هشام بن اسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة

ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

(١) (٤١ - ٦٠ / ٦٠ هـ)

(٢) (٦٠ - ٦٤ / ٦٤ هـ)

(٣) (٦٤ - ٧٣ / هـ)

(٤) (٦٤ هـ / ٦٤ هـ)

(٥) (٦٤ - ٦٥ / ٦٥ هـ)

(٦) (٦٥ - ٨٦ / ٨٦ هـ)

(٧) (٨٦ - ٩٥ / ٩٥ هـ)

(٨) (٩٥ - ٩٩ / ٩٩ هـ)

(٩) (٩٩ - ١٠١ / ١٠١ هـ)

(١٠) (١٠١ - ١٠٥ / ١٠٥ هـ)

(١١) (١٠٥ - ١٢٥ / ١٢٥ هـ)

- [أم الوليد بن يزيد ^(١)] بنت محمد بن يوسف اخي الحجتاج بن يوسف الثقفي .
 [أم يزيد بن الوليد ^(٢)] شاهربد بنت خسرو بن فيروز بن يزيد جرد
 ابن شهر يار بن كسرى ابريز .
 [أم ابراهيم بن الوليد ^(٣)] أم ولد لا أفد الآن على اسمها .
 وأم مروان ^(٤) اختلف فيها . فقيل أم ولد اسمها ربنا . وقيل بنت جعدة
 ابن كلب من بني عامر بن صعصعة .
 أم السفاح ^(٥) رائطة ^(٦) بنت زياد بن عبد الله الحارثي ، من بني الحارث
 ابن كعب .
 أم المنصور ^(٧) سلامة البربرية من نفزة . وقيل من [صنهاجة] .
 أم المهدي ^(٨) أم مومى بنت منصور الحميري .
 أم الهادي ^(٩) وهارون ^(١٠) الخيزران ، مولدة كوفية .
 وأم الأمين ^(١١) أم جعفر زبيدة بنت جعفر الأكبر بن أبي جعفر المنصور
 وأم ابراهيم بن المهدي ^(١٢) شكاة ، ظفريه .

(١) (١٢٥ - ١٢٦ / ١٢٦ هـ)

(٢) (١٢٦ - ١٢٦ / ١٢٦ هـ)

(٣) (١٢٦ - ١٢٦ / ١٢٦ هـ)

(٤) (١٢٧ - ١٣٢ / ١٣٢ هـ)

(٥) (١٣٢ - ١٣٦ / ١٣٦ هـ)

(٦) في سروج الذهب : بنت عبيد الله بن عبد المدان الحارثية .

(٧) (١٣٦ - ١٥٨ / ١٥٨ هـ)

(٨) (١٥٨ - ١٦٩ / ١٦٩ هـ)

(٩) (١٦٩ - ١٧٠ / ١٧٠ هـ)

(١٠) (١٧٠ - ١٩٣ / ١٩٣ هـ)

(١١) (١٩٣ - ١٩٨ / ١٩٨ هـ)

(١٢) (٢٠٢ - ٢٢٤ / ٢٠٣ هـ)

- وأُمّ المأمون ^(١) سراجُ ، رومية .
 وأُمّ المعتصم ^(٢) ماردة ، مولدة كوفية .
 وأُمّ الواثق ^(٣) قراطيسُ ، رومية .
 وأُمّ المتوكل ^(٤) شجاع ، تركية .
 وأُمّ المنتصر ^(٥) اسمها حبشية ، رومية .
 وأُمّ المستعين ^(٦) مخارق ، رومية . أمٌ ولد . وقيل إنها بنتُ عبيد من أهل
 دَوْسَر ^(٧) قرية بالموصل .
 وأُمّ المعتز ^(٨) اسمها قبيحةُ ، صقلية .
 وأُمّ المهتدي ^(٩) قُربُ ، رومية .
 وأُمّ المعتضد ^(١٠) فتيان ، أمٌ ولد .
 وأُمّ المعتضد ^(١١) ضرار ، من دار محمد بن عبد الله بن طاهر .
 وأُمّ المكتفي ^(١٢) خاضع ^(١٣) .

(١) (١٩٨ - ٢١٨ / ٢١٨)

(٢) (٢١٨ - ٢٢٧ / ٢٢٧)

(٣) (٢٢٧ - ٢٣٢ / ٢٣٢)

(٤) (٢٣٢ - ٢٤٧ / ٢٤٧)

(٥) (٢٤٧ - ٢٤٨ / ٢٤٨)

(٦) (٢٤٨ - ٢٥٢ / ٢٥٢)

(٧) قال ياقوت : قرية قرب صفين على الفرات . وذكر لي من اعتمد على رأيه
 أنها قلعة جبر نفسها أو ريفها (معجم البلدان)

(٨) (٢٥٢ - ٢٥٥ / ٢٥٥)

(٩) (٢٥٥ - ٢٥٦ / ٢٥٦)

(١٠) (٢٥٦ - ٢٧٩ / ٢٧٩)

(١١) (٢٧٩ - ٢٨٩ / ٢٨٩)

(١٢) (٢٨٩ - ٢٩٤ / ٢٩٤)

(١٣) كذا في الاصل . وفي الطبري ١١ : ٤٠٤ « جيجك »

- وأُمّ المقتدر ^(١) شغب ، أُمّ ولد .
- وأُمّ القاهر ^(٢) قَتُول ، أُمّ ولد .
- وأُمّ الراضي ^(٣) ظَلُوم ، أُمّ ولد .
- وأُمّ المتَّقِي ^(٤) خَلُوب .
- وأُمّ المستكفي ^(٥) مُغْضَن ، أُمّ ولد .
- وأُمّ المطيع ^(٦) شَعْلَة ، من دار العباس بن الحسن .
- ولا أدري اسم أُم الطائع ^(٧) .

أول أمراء بني أمية بالأندلس

- وأُم عبد الرحمن بن معاوية ^(٨) راح ، نَزْبَة .
- وأُم هشام ^(٩) [بن عبد الرحمن] حوراء .
- وأُم الحكم ^(١٠) [بن هشام] زخوف .
- وأُم محمد ^(١١) [بن عبد الرحمن] تَهَنَز .

(١) (٢٩٤ - ٣٢٠ / ٣٢٠ هـ)

(٢) (٣٢٠ - ٣٢٣ / ٣٢٣ هـ)

(٣) (٣٢٣ - ٣٢٩ / ٣٢٩ هـ)

(٤) (٢٢٩ - ٣٤٣ / ٣٣٣ هـ)

(٥) (٣٣٣ - ٣٣٩ / ٣٣٩ هـ)

(٦) (٣٣٤ - ٣٦٣ / ٣٦٣ هـ)

(٧) (٣٦٣ - ٤٠٠ / ٣٨٠ هـ)

(٨) (١٣٨ - ١٧٢ / ١٧٢ هـ)

(٩) (١٧٢ - ١٨٠ / ١٨٠ هـ)

(١٠) (١٨٠ - ٢٠٦ / ٢٠٦ هـ)

(١١) (٢٣٨ - ٢٧٣ / ٢٧٣ هـ)

- وأم المنذر ^(١) [بن محمد] أتل .
 وأم الناصر ^(٢) [عبد الرحمن بن محمد] حزم .
 وأم الحكم ^(٣) [بن عبد الرحمن] مرجان .
 وأم المهدي ^(٤) مزنقة .
 وأم سليمان ^(٥) [بن الحكم] ظبيّة .
 وأم المستظهر ^(٦) [عبد الرحمن بن هشام] غايه .
 وأم المستكفي ^(٧) [محمد بن عبد الرحمن] حور .

آخره : والله الحمد والمنة
 والصلاة على محمد وآله والسلام

الدكتور صلاح الدين المجيد



- (١) (٢٧٣ - ٢٧٥ / ٢٧٥ •)
 (٢) (٣٠٠ - ٣٥٠ / ٣٥٠ •)
 (٣) (٣٥٠ - ٣٦٦ / ٣٦٦ •)
 (٤) هو محمد بن هشام (٣٦٦ - ٤٠٠ / ٤٠٠ •)
 (٥) (٤٠٠ و ٤٠٣ - ٤٠٧ •) وهو المستنير
 (٦) (٤١٤ - ٤١٤ / ٤١٤ •)
 (٧) (٤١٤ - ٤١٨ / ٤١٥ •)

نظرة في معجم المصطلحات الطبية

الكثير اللغات

للدكتور ل. ل. كليفل

الله الى العربية الأستاذة مرشد خاطر وأحد حدي الحياط

ومحمد صلاح الدين الكواكي

(لجنة المصطلحات الطبية في كلية الطب من جامعة دمشق)

- ٢ -

وأما المَرَعُ فقد وافقت اللجنة على استعمال هذه اللفظة للعلة النفسية المعروفة بالهستيريا (Hystérie) بينما المَرَع لغة الإمراع^(١) في جانب المعاني الأخرى الكثيرة التي تختلف عن مدلول الهستيريا ، وهي العلة العديدة المظاهر والتي مردها إلى شواش نفسي ، مما يجعلها بعيدة كل البعد عن مدلول المَرَع اللغوي ، فضلاً عن أن لفظة هستيريا قد أصبحت أعمية دارجة في معظم اللغات الحية . إن ما تقدم من الملحوظات لا ينقص أبداً من قيمة هذا السفر الجليل إذ لا تزال في مضمار المصطلحات العلمية في طور البحث والتنقيب واختيار الأفضل ، ولكل مشتمل باحث فيه ذوقه إلى جانب اجتهاده ، وما سآتي على ذكره فيما يلي

(١) في اللسان : المَرَعُ والمُراع والإمراع شدة السوق وسرعة المدو ، وأمرع الرجل خف وأرعد من مرعة وخوف أو حرص أو غضب أو حمى ، الى أن قال أمرع الرجل إمراعاً إذا أذاك وهو يرعد من البرد ، وقد يكون مبرعاً من الحمى والغضب ، وقوله تعالى : « وم على آثارهم يُمرعون » أي يسعون عجالاً . ورجل مَرَعٌ سريع المتى ومَرَعٌ أيضاً سريع البكاء ، والمهروع المجنون الذي يصرع يقال وهو مَبْرُوعٌ مَبْرُوعٌ مَبْرُوعٌ مَبْرُوعٌ والنخ .

من المستدركات بعضها شينهي سبق لي أن استعملته في كتيبي ودرومي وبعضها الآخر مما توصلت اليه مؤخراً وإن لم يتح لي بعد اثباته .
وقد أحسنت اللجنة صنعا باستدراكها تصويب بعض الأخطاء الواردة في المعجم فأثبتت الصواب في جدول قدمته على متن المعجم ، وعلى الباحث عن إحدى الكلمات أن ينتبه الى ذلك إبان بحثه عن ترجمتها .

رأبي في مصطلحات المعجم

أدرج فيما يلي رأبي الخاص في مفردات المعجم حسب ما جاء في أرقام المصطلحات وترتيبها على الحروف الفريجية .

حرف A

رقم المصطلح	رقم المصطلح
5	محفظة الشدق ؛ خد مدلى
Abajoue; Bajoue;	
joue pendante	
<p>جاء في الترجمة الانكليزية الكلمة (Abajoue) وما يليها (Cheek pouch) (جيب الخد) وفي الألمانية (Backentasche) (جيب الخد) و (Hange-backe) (الخد المعلق أو المدلى) وفي اللاتينية (Sacculus buccalis) جريب الفم .</p>	

وما يقصد من (Abajoue) و (Bajoue) كما جاء في معجم لاروس للقرن العشرين : جيب يتكون من أثناء الغشاء المخاطي من جانبي الفم وفي بعض الحيوانات (القردة ومجترات الأيدي^(١)) . الخد الضخم والمدلى . وذكر

(١) معجم المصطلحات الزراعية ترجمة (Chiloptères) .

أن هذه الجيوب تتخذ مداخراً للأغذية قبل أكلها وأنها في الخفافيش تهون الطيران بسماعها بدخول الهواء في النسيج الخلوي تحت الجلد .

هذا والشِدْق جانب الفم ، والكلمان الأولى والثانية يقصد منها جوف الخد أو جُرْب الفم ومجازاً الخد المدلى (Joue pendante) والأفضل المجعج فقد جاء في المخصص المجعج استرخاء الشدقين نحو ما يعرض للشيبخ إذا هرم .

٧ أَيْن (عدم القدرة على المشي) قُعَاد Abasie 7

ان المدلول اللغوي للفظ الفرنسي هو فقد المشي . أما المدلول العلمي فتطلق اللفظة على حالة مرضية تصاحب في الغالب بعض الاضطرابات النفسانية ، ولا يشترط فيها أن يكون المصاب مشلولاً أو ذا زمانة أو علة عضوية . وما يلاحظ آنذاك أن العليل باستطاعته أن يحرك طرفيه السفليين تحريكاً صحيحاً إلا أنه ليس بوسعه أن يخطو بها وهو مع ذلك يستطيع الوقوف . وإذا ترافقت الحال بعدم الوقوف دُعيت (Astasie - abasie) .

الْأَيْن لغة الإعياء والتعب ، والقُعَاد الداء الذي 'يقعد' ورجل 'مُقَعَد' إذا ازمته داء في جسده حتى لا حراك به . مما يبعد هذين اللفظين الأَيْن والقُعَاد عن مدلول الكلمة المذكورة ، وعدم القدرة على المشي (وقد جاء بين هلالين) تعبير صحيح إلا أنه يتألف من أربع كلمات ، وأفضل منه ما وضعه مجمع اللغة العربية وهو امتناع الخطو ، وليس ما يمنع أن نختصر أكثر من ذلك لنقول : لاخطو .

٨ سُلَابَة (عُفَاشَة الْأَحْشَاء) Abats 8

لم أعثر على كلمة 'سُلَابَة' في المعجمات التي توصلت إلى مراجعتها ، وما أجمعت عليه المراجع التي فتشت فيها عن هذه الكلمة ما جاء في لسان العرب والقاموس : سَلَبُ الدَّيْبَةِ إِهَابُهَا وَأَكْرَاعُهَا وَبَطْنُهَا . واللفظ الفرنسي (Abats) لا يشغل

الإهاب (الجلد) ويضم الكوارع والأكباد والأطحلة والأدمغة والقلوب والرئات . وقد سبق للرازي أن أطلق على هذه الأجزاء أعضاء الحيوان ^(١) ، والمجوسمي صاحب كامل الصناعة أحشاء المواشي ، وكلاهما مفضل على سلب غير الدارجة ، فضلاً عن أن هذه الكلمة القاموسية لا تدل على المعنى المذكور تماماً . أما عفاشة الأحشاء فلم أعر عليها في المعجمات ^(٢) .

10 خامد ضعيف Abattu, ue ١٠

وفي الترجمة الانكليزية للمعجم الأصلي (dejected; depressed low-spirited) والأفضل أت يقال خائر فقد جاء في اللسان الخور الضعف وخار الرجل فهو خائر .

تخمدت النار تخمد بموداً سكن لهما ولم يطفأ جمرها ، وممدت بموداً إذا أطفئ جمرها البتة . وأخذ فلان ناره ، وقوم خامدون لا تسمع لهم حساً ومن ذلك في التذييل العزيز : « إن كانت إلا صيغة واحدة فاذا هم خامدون » ، قال الزجاج : فاذا هم ساكتون قد ماتوا وصاروا بمنزلة الرماد ، والخامد الهامد . وقال أيضاً وتخمد المريض أغمي عليه أو مات .

11 بعيد عن المحور Abaxial, ale ١١

أو بجانب المحور وصوابه (Abaxial) غلط مطبعي لم يصب .

12 تقصع Abcéder ١٢

(١) الصفحة ٢٦ من منافع الأغذية ودفع مضارها لابي بكر محمد بن زكريا الرازي ، طبع المطبعة الخيرية سنة ١٣٠٥ من الهجرة ، وشمل أعضاء الحيوان : الرؤوس والأكارع والبطن والأكباد والأطحلة والكلى والرئات والقلوب والأدمغة والخصايا والشحوم والاحوم .

(٢) ولعلها (عفاجة) بالجمجمة المعجمة ، وهي من العفج ، قال الليث : العفج من إيماء البطن لكل ما لا يجتر ، والجمع اعفاج . (لجنة البهجة)

ومدلول الكلمة الفرنسية هو التحول الى خراج . وتقصع الدم بالصديد اذا امتلأ منه ، وقصع مثله (الاسان) ، وعندى أن اسنا بحاجة الى هذه الكلمة القاموسية الجديدة والا كنفاء بتقيح أو أصدا^(١) اذا درجنا على استعمال الصديد .

١٦ خراج عظمي المنشأ
16 Abscès par congestion ou ossifluent

والترجمة يجب أن تكون خراج بالاحتقان أو من منشأ عظمي .

١٧ خراج في ظاهر الأنجافية
17 Abscès extradural

وأرى أن تبقى الأم الجافية ولا حاجة هنا الى الدغم .

١٩ خراج بارد ، لاطئة
19 Abscès froid

قد تدل اللاطئة على الخراج البارد ولا أرى حاجة الى هذه الكلمة الجديدة القاموسية لانه جاء في اللسان اللاطئة خراج يخرج بالانسان لا بكاد يبرأ منه ويزعمون أنه من لسع الشطاة (العنكبوت) .

٣٥ منحرف انظر حائد
35 Aberrant, te; v. dévié

المشهور عن (Aberrant) تائه و (dévié) حائد .

٥٥ إفسنت
55 Absinthe

كذا جاءت اللفظة بشكها الكامل وأكبر الظن أنه خطأ مطبعي لم ينتبه الى نصوبيه لأن المعروف هو أفسنت بالفتح ، وجاء ضبطها في معجم المصطلحات الزراعية أفسنت .

٥٩ انقطاع ، انكفاف
59 Abstinence

والأفضل الامتناع .

(١) جاء في اللغة : أصداؤه جهله صدناً ، وأصد الجرح قتيح أو سال صديده فلعل الهدنة الأخيرة زائدة .
(لجنة المجلة)

- ٦٢ نقص تفحمن الدم Acapnie 62
وبقصد منه نقص حمض الكربون من الدم ، وأرى الفحم غير الكربون ،
هذا ما ذهب اليه بجمع اللغة العربية أيضاً .
- ٦٩ اشتداد أصوات القلب Accentuation des bruits cardiaques 69
والأفضل أن يقال (اشتداد دَقَتي القلب) ، وذلك لأنَّ للقلب دقتين
لا ثلاث دقات كما يفهم من صيغة الجمع الواردة في أصوات . ودقة القلب
خير من صوته .
- ٧٣ نوبة اضطرابية صرعية Accès émotif épileptique 73
أرى الأفضل أن يقال : (نوبة انفعالية صرعية) فلفظة (Emotion)
يقابلها الانفعال وهي كلمة مؤلدة ودارجة في المصطلحات الفلسفية ، وينبغي أن
يقنصر في كلمة اضطراب على (Trouble) شأن ما فعلته اللجنة في ترجمة
الكلمة الفرنجية المذكورة (المصطلح ذو الرقم ١٣٧٦٠)
- ٧٤ نوبة حَقَّ Accès de fureur 74
أرجح أن يقال (سورة الغضب) أو (التهيج) حسب اختلاف دلالة كلمة
(fureur) إذ الكلمة الأخيرة بغلب استعمالها في الحيوان . وكذلك يمكن أن
يقال حمياً الغضب وسورة التهيج (في الحيوان) ولسنا ملزمين بترجمة (Accès)
بنوبة دوماً .
- ٧٥ نوبة جنون شديد ، هذيان صرَّض Accée de folie furieuse, frénésie 75
وأرجح هنا أن يقال (ثورة جنون سَبَّعي) ، ولم أعتد الى مدلول هذيان
صرَّض ولم أرَ تصويهاً لهذه اللفظة في الجدول . والجنون السبَّعي مصطلح
استعمله أطباء العرب في معظم كتبهم . م (٧)

- ٨٦ طارئ العمل Accident du travail 86 وأرجح أن يقال إصابة العمل .
- ٩٩ ولادة توأم Accouchement gémellaire 99 والأفضل ان تستعمل كلمة واحدة وهي (إِتَام) ، ففي اللسان أتأمت المرأة اذا ولدت اثنين في بطن واحد .
- ١٠٧ ولادة باليعاد Accouchement à terme 107 أرجح أن يقال (ولادة لِتَامٍ وَتَمَام) . وأتمت المرأة وهي متم دنا ولادها ، وأتمت الحبل في ممت اذا تم أيام حملها ، ويقال امرأة متم للحامل اذا شارفت الوَضْع وولدت المولود لِتَامٍ وَتَمَام (اللسان) .
- ١٠٨ ولادة بعد الميعاد Accouchement après terme 108 ويُعرف هذا النوع من الولادة بـ (الجرّ) ، فقد جاء في اللسان : وَجَرَّتْ المرأةُ وَلَدَهَا جَرّاً وَجَرَّتْ بِهِ وَهُوَ أَنْ يَمُوزَ وَلَدُهَا عَنْ تِسْعَةِ أَشْهُرَ فَيَجَاوِزُهَا بِأَرْبَعَةِ أَيَّامٍ أَوْ ثَلَاثَةِ فَيَنْضَجُ وَيَتِمُّ فِي الرَّحِمِ . وَالْجَرُّ أَنْ تَجْرَ النَّاقَةُ وَلَدَهَا بَعْدَ تَمَامِ السَّنَةِ شَهْراً أَوْ شَهْرَيْنِ أَوْ أَرْبَعِينَ يَوْماً فَقَطْ . وَالْجُرُورُ مِنَ الْحَوَامِلِ وَفِي الْحَكَمِ مِنَ الْإِبِلِ الَّتِي تَجْرُ وَلَدَهَا إِلَى أَقْصَى الْغَايَةِ أَوْ تَجَاوِزُهَا .
- ١١٩ مُدْخَرَةٌ Accumulateur 119
- ١٢٠ ادخار ، خزن ، جمع Accumulation 120 Stockage, emmagasinage
- ١٢١ ادخار ، جمع ، خزن Accumuler 121 لقد أفر جمع اللغة العربية (المِرْكَم) لـ (Accumulateur) وكذلك أركم وركم .
- فقد جاء في اللسان أركم جمعك شيئاً فوق شيء حتى يجعله رُكْماً مركوماً

كر كالم الرمل والسحاب ونحو ذلك من الشيء المرتكم بعضه على بعض ،
ر كم الشيء يركمه اذا جمعه وألقى بعضه على بعض وهو مركوم بعضه من بعض
وارتكم الشيء وتراكم اذا اجتمع .

فالأفضل أن تستعمل كلمة (المركم) وهي أخف من المذخرة التي سبق
للمرحوم الأستاذ جميل الخاني ان استعمالها .

117 انعدام الصفراء Acholie

وأرجح أن يقال عدم الصفراء أو فقدها .

سبق للأستاذ خاطر أن نبه كاتب هذه السطور سنة ١٩٣٥ عندما استعمل
كلمة انعدام في الجزء الأول من علم الأمراض الباطنة ، نبيه الى خطأ استعمالها
بأن ليس لمصدر عدم مطاوع انعدام ، وقد شكرته على هذا التنبيه ولم استعملها
منذ ذاك الحين ، ولا أظن الأمر قد تغير الآن .

151 حمضامين Acide aminé

والأفضل أن يقال حمض أميني .

167 حمض الفحم Acide carbonique

وأرجح حمض الكربون .

173 حمض السنامكي Acide chrysophanique

وأرجح حمض كريسوفان أو الحمض الكريسوفاني باعتباره من الحموض
التركيبية ، وليس سنامكي وحده يحويه بل ان عدة نباتات تشاطره في ذلك
ولا سيما الراوند الذي يحتوي عليه أكثر من سنامكي .

180 حمض الصفراء المخفف Acide déhydrocholique

(المخسوف الهيدروجين) dycholium

وأفضل منه أن يقال حمض ديهيدروكولي لاسيما وقد تقدم في اللفظة

ذات الرقم ١٧١ استعمال حمض كولايلي (Acide cholalique) وحمض كوليك وكولاليك كلاهما حمض الصفراء .

١٨٤ حمض الفولي (حمض ورق الاسفاناخ) Acide folique 184
بتدروئيل غلوتاميك Pteroylglutamique

والأفضل في هذا الحمض وأضرابه أن تعرب باللفظ الأفرنجي فيقال حمض الفوليك لأن الفولي قد يلتبس بالفاظ عربية تشابهه . وهذا الحمض وان بدا في الورق من أكثر النباتات فليس خاصاً بها إذ يبدو في الكبد وفي خميرة الجعة بكمية وافرة .

١٨٥ حمض النمل^(١) Acide formique 185

وأرى تعريبه بقولنا حمض الفورميك وهذا ما جنح اليه مجمع اللغة العربية .

٢٠٠ حمض التبغ، طليعة الحليمين ب ب Acide nicotinique 200
Provitamine P P

وأرى التعريب بالنسبة للحمض فيقال حمض النيكوتينيك أما الحليمين فما لا شك فيه أن كلمة الفيتامين الأسمية و P P أفضل من ب ب في هذا المجال ، فيقال (طليعة الفيتامين P P) .

٢١٦ حمض الحِصْرَم الناري Acide pyruvique 216

ان هذا الحمض من الحِمُوض التي تحضر بطريقة التريكيب ، وتتراكم في البدن من جراء عَوَز الفيتامين B ولا أظن أن له أي صلة بالحِصْرَم ولا بالنار ، وأرى تعريبه فيقال حمض بيروفيك .

٢١٧ حمض الوردي Acide rosolique 217

الأرجح اذا لم يعرب (والتعريب أفضل) أن يدعى بالحمض الوردي أو

(١) (حمض النمل) أول ، لأن لفظة Formique منقوبة الى Fourmi النملة ، فنكون في (حمض النمل) حذونا حذو اللغة الفرنسية . (لجنة المجلة)

المرجاني أو الذهبي وذلك لأن لونه أصفر ضارب الى الحمرة مع لمعان أخضر
لذا يعرف بـ (Aurin) و (Corallin) ^(١) أيضاً .

٢٤٢ أوج ، اشتداد المرض Acmé, Fastigium 242

دور الصولة Période d'état

في اللسان (البرحاء) الشدة والمشقة وخص بعضهم به شدة الحمى وبرحاًيا
في هذا المعنى ، وبرحاء الحمى وغيرها شدة الاذى ويقال للمحموم الشديد
الحمى أصابه البرحاء .

وقد درجت في مؤلفاتي ^(٢) على إطلاق 'برحاء' الحمى لـ (Acmé)
(thermique) ، كما درجت على إطلاق طور التوقف على (Période d'état)
وطور الصولة على (Période d'invasion) .

٢٦٤ كلثة ، ضخامة الأطراف ، عَبل Acromégalie 264

وأفر مجمع اللغة (قرواحية) كبير الأطراف .

وبُعد من هذا اللفظ الحالة المرضية الناجمة عن آفة في الغدة النخامية
والبادية بلفظ نهايات الأطراف والأنف والدقن وما الى ذلك من الأجزاء
الناثلة فهي حرّية بأن تدعى (ضخامة النهايات) لا الأطراف .

أما الكلثة فقد جاء في اللسان اجتماع لحم الوجه ، وجارية مكثمة حسنة
دوائر الوجه ، ذات وجنتين فاتتها سهولة الخدين ولم تلتزمها جُومة القبح ، ووجه
'مكثم' مستدير كثير اللحم وفيه كالجوز من اللحم .

وأما العَبل ففي اللسان أيضاً الورق الساقط والمَدَبُ وكل ورق مفتول
غير منبسط . كما أن العَبل في اللسان : الضخم من كل شيء ، والأثنى عَبلَة

(١) معجم بلاكستون Blakiston's في مادة (Rosolic acid) .

(٢) الصفتان ٨٥ و ٦٥٩ من الجزء الثاني لم الأمراض الباطنة طبع سنة ١٩٣٦ .

إلى أن قال وامرأة عُبَّلة أي تامة الخلق ، مما يبعد العَبَل والعَبَل عن المعنى المقصود (Acromégalie) .

وأما القرواحية فلم أعتد الى اشتقاقها ولا الى معناها ، وكَبَّر الأطراف لا يعني الضخامة .

٣٠٨ حمضيل (جذر) Acyle (radical) 308 وأرجح التعريب فأقول أَسِيل .

٣١٠ توفيق ، توافق Adaptation, ajustement 310 Accomodation

التوافق لغة الاتفاق والتظاهر ، وَفَّق الشيء ما لازمه ، وقد وافقه موافقة ووفقاً ، واتفق معه وتوافقاً . إلا أنه مما جد في استعمال (Adaptation) ما يدل على التكيف والتطبيع^(١) شأن ما يكون في تناذر التطبيع (Syndrome d'adaptation) الذي نبه اليه سَلِي (Sely) والذي يتنازع بحدوث ظواهر جديدة في البدن من شأنها أن تدعم كفاحه حيال ما أصابه من مصيبة (Stress) ميكانيكية كانت أو أحيائية أو نفسانية .

٣١١ استرقاق العلاج Addiction, Asservissement 311 à l'usage d'une drogue

استحواذ العلاج

وأرجح تيم العلاج ، ففي اللسان التيم أن يستعبده الهوى وذهاب العقل من الهوى ، ورجل متميم ، وقيل التيم ذهاب العقل وفساده . والمعنى الأصلي للفظ يساعد على نقله الى معنى الاسترقاق في المصطلح المذكور .

٣١٨ تظاهرات نظيرة الغدة Adénoïdisme 318 وقد دعاها بجمع اللغة (الغُدانية) وهذه أفضل .

(١) في القاموس تطبيع بطباعه تخلق باخلاته وفي الأساس وهو متطبيع بكذا .

- ٣٢٤ تام ، مُعَادِل Adéquat, te 324
وتأتي بمعنى مطابق وموافق أيضاً .
- ٣٦٥ انحراف للهواء Aérotropisme 365
أرجح ترجمة الكاسعة (Tropisme) بميل تاركاً انحراف إلى (déviation)
فأقول (الميل الى الهواء) .
- ٣٦٦ بلاحمي ، إقلاعي Afébrile 366
والأفضل أن يقال لا حمري أما (الإقلاع) فهو طور أخذ الحى بالهبوط
ويخصص له (Défervescence) وقد فعلت اللجنة كذلك في هذه اللفظة
ذات الرقم ٣٨٥٢ .
- ٣٦٧ مُضَعَف ، مضعوف Affaibli, e 367
وكذلك منهوك فانها نفي بالمقصود أيضاً .
- ٣٧٠ ضَعَف السمع Affaiblissement de l'ouïe 370
وهو (الوَقْر) . ففي فقه اللغة ذكر الثعالبي في ترتيب الصَّحَم : يقال بأذنه
وَقْر فاذا زاد فهو صَحَم . وفي اللسان الوقْر نقل في الأذن .
- ٣٧٤ آفة تجاوزية المنشأ Affection d'origine allergique 374
وأرجح أن يقال آفة آليرجائية المنشأ وسأعود الى الشرح في لفظة
(Allergie) ذات الرقم ٥٢٨ .
- ٣٧٦ انفعالية ، إحساس Affectivité, sensibilité 376
عاطفة وعاطفية (جمع اللغة) ، وانفعالية يرجع أن تكون ترجمة
ل (Emotivité) شأن ما فعلته اللجنة في هذه اللفظة ذات الرقم ٤٨١٧ .
- ٣٧٧ وارد ، جَبَّذَان Afférent, ente; centripète 377

ان (وارد) لفظة أقرها مجمع اللغة أما جبذان ففي اللسان جبذ لغة - في جذب ، وأقر المجمع اللفظ (Centripète) جاذبة الى المركز .

٣٧٩ فيض ، وافر Affluence, Aflux 379

أرجح أن يقال الحشد والاحتشاد ثم البَيْغ لكلمة (Aflux) فقد جاء في اللسان البَيْغ توقد الدم حتى يظهرَ في العروق وهو ما يفيد معنى هذه اللفظة تماماً .

٣٨٠ ورود الى القطب السليبي Afflux cathodique 380

وأرجح هنا التوجه أو الاتجاه الى القطب السليبي .

٣٨١ ورود الدم ، هجوم الدم Afflux sanguin 381

وهو البَيْغ على نحو ما تقدم في ٣٧٩ .

٣٩٠ عِانة ، نقص أعضاء الجنين Agénésie ou atrophie 390
ولادة congénitale

المقصود من (Agénésie) هو عدم التكوين أو النمو أو فقدهما و (Atrophie congénitale) أي الضحور الولادي أو الخلقي وهو أن يضر أحد الأعضاء في الحياة الجنينية فيأتي الوليد والعضو ضامراً . وقد أقر مجمع اللغة عدم النمو أو قصوره في ترجمة كلمة (Agénésie) .

أما العِانة فإذا كانت بالكسر كما جاءت بالرسم المبين أعلاه فهي سير اللجام الذي تملك به الدابة وإذا كانت بالفتح فهي السحابة أو العنة اسم من العنّين . وكلتاها لا تفيد المعنى المطلوب والضحور الولادي أو الخلقي أراه افضل من نقص أعضاء الجنين ولادة .

٤١٤ خوف من الفضاء Agoraphobie 414

وقد أقر مجمع اللغة العربية رُبة الخلاء وهذه أفضل .

- ٤١٦ غيبة الكريات المحببة Agranulocytose , aneutrophilie
غيبة المعتدلات ، نقص الكريات granulocytopenie
الخبث .

وقد أفر مجمع اللغة انعدام مشكلة النوى وأفضل أن يقال في ترجمة هذه المصطلحات فقد الكريات المحببة ، فقد المعتدلات ، نقص الكريات المحببة .

- ٤٢١ تسبيخ هذيانى Agrypnose 421

إن معنى (Agrypnose) هو المورق وكذلك (Agrypnose) لأن (Agrypnie) هو الأرق .

أما التسبيخ فقد قال عنه صاحب فقه اللغة أشد النوم ، وفي اللسان التسبيخ النوم الشديد ، أما الهذيانى فلا أظنه إلا زائداً .

- ٤٣٤ أجنحة الحرقفة Ailes iliaques 434

والأصح أن يقال جناحا الحرقفة لأنها اثنان لا ثالث لهما .

- ٤٣٥ أجنحة الأنف ، خنابناه Ailes du nez 435

وأفر مجمع اللغة غرضاً الأنف^(١) ، وإذا جاز استعمال جناح في هذا المعنى فهما جناحان ، أما الخنابنان فالأحسن تخصيصها بالحرقين ، أي الفوهتين كما جاء في اللسان .

- ٤٣٦ أجنحة العظم الوتدي Ailes de l'os sphénoïde 436
(الكبيرة) (Grandes)

وهما جناحان لا ثلاثة .

(١) في اللسان : والفرضان من القرس ما انحدر من قصبه الأنف من جانبيها ولها عرق البهر . وقال أبو عبيدة في الأنف فرضان وهما ما انحدر من قصبه الأنف من جانبيه جميعاً .

- ٤٣٧ Ailes de l'os sphénoïde جَنِيَّحَاتُ الْعِظَمِ الْوَتْدِي (Petite)

وَمَا جَنِيَّحَانِ أَيْضًا .

- ٤٤٥ Aire, région, zone فضاء ، سطح ، محيط
وأرجح أن يقال بُقعة ، ناحية ، مِنطَاقَة .

- ٤٤٦ Aire de matité سطح الصَّمَمِ
بُقْعَةُ الصَّمَمِ أو بَاحْتِهِ (مجمع اللغة) .

- ٤٨٢ Alcoolique غَوْلِي

- ٤٨٣ Alcoolisme, éthylisme إِنْسَامُ غَوْلِي، أَتْبِيلِيَّةٌ، اِدْمَانٌ
السُّكْر ، عِلَّةُ
ivrognérie

أرجح لكلمة غولي (Alcoolique) وهي نسبة الى الغول وقد تستعمل بهذا المعنى كما انه بمعنى بها السُّكْر أو خَمِير وهو شَرِبَ الخمر دائماً (اللسان) أما الانسام الغولي فن الجائز أن ندعوه بالقَوْلِيَّة نظير الأتْبِيلِيَّة ، وأما إدمان السكر والعِلَّة فقد جاء في اللسان الخمار بقية السكر تقول منه رجل خمر أي في عَقِبِ خمار ورجل مخمر به خمار ، أما العِلَّة فكما جاء في اللسان أيضاً خبث النفس وضعفها وهو أيضاً أذى الخمار . لذا أرجح الخمار لـ (Ivrognérie) .

- ٤٨٩ Alexie, cécité verbale حَصَرٌ ، عَمَى نُطْقِي ، عَمَى

لم تكن كلمة حَصَر في أصل المتن من المعجم بل أضيفت مع ما أضافته اللجنة في كلمات جدول تصويب الأخطاء الواردة في المعجم .

والْحَصَر كما جاء في اللسان ضَرْبٌ من العَمَى حَصَرَ الرجل حَصَرًا فهو حَصِرٌ عَمَى في منطقته وقيل حَصَرَ لم يقدر على الكلام .

أقول إن معنى (Alexie) هو عدم امكان فهم الكلمات والآراء المرسومة

كتابة ، لذا ترجمتها بفقد القراءة ^(١) و (Cécité verbale) هو عمى الكلام لا النطق ، ويراد من هذا ان العليل المصاب بهذه العاهة يكون صحيح البصر إلا أنه لا يفقه ولا يفهم مدلول الكلمات المكتوبة ، لآفة في الدماغ أصابت المركز الموكل اليه إدراك معنى الكلمات المكتوبة أو المطبوعة .

وأقر مجمع اللغة مقابل كلمة (Alexia) (عمه المكتوبات) وأراه تعبيراً حسناً لأن العمه لغة التحير والتردد ، وقيل العمه في البصيرة كالعمى في البصر . وأنا أطلق العمه على ما يقابل (Agnosie) (وقد أفرها مجمع اللغة) مرجحاً لـ (Alexie) فقد القراءة . ولم يأت ذكر كلمة (Agnosie) بين ألفاظ معجم مصطلحاتنا الطبية الكثير اللغات .

٤٩٦ انجذاب ، انجذاب نفساني Aliénation 496
Aliénation mentale

لم أعر على استعمال الانجذاب في هذا المعنى في كتب الطب القديمة التي اطلعت عليها ولا في كتب اللغة ، وأغلب الظن أنها من الكلمات المولدة أو العامية ، وربما رجعت في الأصل الى تأويل وهمي . وأرى الأفضل أن نترجم بالـس أو الجنون أو خلل العقل لاسيما اننا بحاجة الى كلمة انجذاب في مواطن أخرى وأفضل أن تكون النسبة الى (Mentale) : عقلي أو ذهني .

٤٩٨ انجذاب هومي معي Aliénation maniaque 498
dépressive

في اللسان الهوس طرف من الجنون . وفي القانون وغيره من كتب الطب العربية القديمة تعريب لكلمة (Manie) د : المانيا ويرادفها الجنون السبمي . والاعياء التعب الشديد و (Dépression) الهود . والمراد من هذا المصطلح

(١) الصفحة ٥٨٢ من الجزء الأول من علم الأمراض الباطنة طبع سنة ١٩٣٥ .

حالة مرضية نفسية يتراوح الأمر في المصاب بها بين الطيش والحمود ،
وتتناوب في هاتين الحالتين ، لذا أرجح أن يقال فيها (الجنون السبعي المهودي)
(أو الخبلي) أو مانيا ممودية .

٤٩٩ مجذوب Alniée 499

لقد تقدم تفضيلي كلمة مجنوث .

٥٠٦ تغذية عن غير طريق الهضم Alimentation parentérale 506
وأرجح أن يقال مجانبة الهضم . ففي القاموس جانب متعقباً وجانبه مجانبه
وجانباً صار الى جنبه وباعده ، ضد . وعليه فلفظة مجانب تنفيذ المعنى المطلوب
سواء عني بها في جنب الهضم أو بعيداً عنه ، ولا أظن إلا أن كلمة واحدة
دارجة خير من ثلاث .

٥١٣ أغذية صلبة Aliments de lest 513

وأرجح أن يقال أغذية الملاء . إذ المقصود من كلمة (lest) هي المواد
الثقيلة التي يلقى بها في أسفل البواخر والسفن^(١) والمناطيد لحفظ التوازن فيها
(Larousse) . والمقصود هنا من هذا النوع من الاغذية هي التي تؤكل
لكي تشغل حيزاً في المعدة أو الأمعاء من شأنه أن يبطل حس الجوع من
المعدة أو يحرّض حركة التهوّتي في الأمعاء ومنه تهوينه إفراغ ما فيها ، هذا
ما يدعى بالانكليزية (Bulkage)^(٢) شأن الحال في بعض المواد الغرائية التي
تنتفخ ويصبح حجمها أضعاف ما كان عليه إثر تماسها الماء أو عصارة المعدة والمعوي .
وفي القاموس الملاء السكّطة من كثرة الأكل .

(١) وهذه الأتقال تسمى في العربية (الصابورة) فقد جاء في تعريفها : ما يوضع في باطن
الركب من الذلل للثقل ولا يميل الى جانبيه . (لجنة المجلة)

(٢) تراجع هذه الكلمة في (Dorland, The American illustrated medical dictionary)

514	Aliments énergétiques	أغذية مولدة للقُدرة ، أغذية أبدية	٥١٤
		أو مولدة للطاقة وأرجح أن تخصص أبدية لمقوية (Tonique)	
515	Aliments d'épargne	أغذية ادخارية	٥١٥
	Antiderpeditors	مواد ادخارية	
	dynamophores, substances d'épargne		

وهذان اللفظان لأجل المصطلحين الأول والأخير ، وأهمت اللجنة ترجمة

اللفظين الثاني والثالث .

إن المقصود من هذه الأغذية هي بعض المواد (كالقهوة والشاي والكمون والكوكا والماتيه Maté والفول وسمق اللحم) عندما تؤم بعض الباحثين أن احتساء قليل منها من شأنه أن يساعد البدن في الإرتياح^(١) ببعض العمل ، ولو كان بحالة الحرمان دون أي غذاء آخر ، ذاهبين إلى أن من خواص هذه المواد أن تبعث النشاط في العمل العضلي ، وفي الطاقة عامة ، منقصة ما تصرف العضلة من طاقة . إلا أن الأثر المزعوم لما يثبت في معظم تلك المواد ، ما عدا الفول الذي يبدو له بعض الأثر الغذائي لاحتراقه في البدن بنسبة (٩٠ - ٩٥ ٪) وإن ما ينشأ من الطاقة إبان هذا الاحتراق يحول دون استهلاك الأغذية وصرفها ، ومنه العمل الاقتصادي لهذا الاحتراق لتجنيب البدن الرجوع إلى ما يحويه من مواد غذائية ، وذلك بنسبة ما يوازي ما نشره الفول من حرارة . وأرى لو جاز لنا استعمال الكلمة المؤيدة (توفير) لكان أفضل ما ندعو به هذه المواد هو (أغذية التوفير) ، وإلا فمن الجائز أن نقول أغذية الاقتصاد أما (الأغذية الادخارية) فأخشى أن يفهم منها الأغذية التي تدخر في البدن ، وأغذية الدخر تكون أقل التباساً من الأغذية الادخارية .

(١) للسفة الطب لكاتب هذه السطور الصفحة ٢٣٤ من الطبعة الثانية ١٩٤٥ .

أما (Antidéperditeurs) فترجمتها مضادات الضياع (باعتبار ان هذا النوع من المواد يحول دون ضياع الأغذية الحقيقية المدخرة في البدن) وأما (dynamophores) فمعناها الباعثة على النشاط أو المشطة أو المحرصة للديناميكية (بعد أن عرّب مجمع اللغة كلمة ديناميك) .

٥٢٢ وشيقة ، مَزيدة Allantoïde 522

(Allantoïde) أحد أغشية الجنين ، وقد جاء في مصطلحات علم التشريح التي أقرها مجمع اللغة الغشاء اللاقائي مقابل (Allantoic membrane) واقترح المرحوم الأب أنستاس الكرملي تسميته باللافائي (الجزء الثالث من مجلة مجمع اللغة العربية) . أما الوشيقة فقد جاء في اللسان : الوشيق والوشيقة لحم 'بغلي في ماء ملح ثم يرفع وقيل 'بقدّ ويحمل في الأسفار وهي أبقى قد بدت يكون . وأما المَزيدة ^(١) فلم أعتز عليها في المعاجم التي راجعتها . وعليه فاني أفضل كلمة اللافائي في ترجمة (Allantoïde) ولا أظنها إلا مولدة .

٥٢٧ باعثة التجاوب ، 'مكوّنة الضد Allergène, corps antigénique 527

٥٢٨ تجاوب غذائي Allergie alimentaire 528

الآليرجيا : حالة خاصة تبدو في بعض الناس وأقر مجمع اللغة كلمة تحساس ترجمة لها ، وأنا أفضل تعريب هذه اللفظة بقولي آليرجيا والنسبة إليها آليرجيائي وإذا شئت آليرجياوي ، وظهورها في بعض الناس إنما يكون بسائق التأهب السابق والامتداد ، أما التجاوب فخريٌّ به أن يكون شاملاً للجميع لاعتباره ارتكاساً لكل مؤثر ، وليس الأمر كذلك في الآليرجيا . وأما (التحساس) فأفضل أن تخصص لـ (Hypersensibilité) عوضاً عن فرط الاحساس .

(١) ان ما جاء في اللسان والتاج : المَزيد لغة في تخديد الرأس بناية ، تصدّد ومتصدّد اذا جمع .

٥٣٩ سَهَيْفٌ ؛ صَادِرٌ ، صَدِرٌ Altéré, ée qui a soif 539
 (Altéré) في الفرنسية و (Thirsty) في الانكليزية و (Durstig) في
 الألمانية معنى كل ذلك عَطَشَانٌ أو عَطِشٌ . أما السَهْفُ فهو شدة العطش
 كما جاء في المخصص وفي اللسان السَهْفُ والسُهافُ شدة العطش سَهْفٌ سَهْفًا
 ورجل ساهفٌ ومسهور عطشان ولم أعثر على استعمال السَهْفِ . وأنا مع اللجنة
 في تخصيص كلمة سُهافٌ وسَهْفٌ ترجمة لكلمة (Polydipsie) شأنها في رقم
 المصطلح ١٠٦١٨ وأن يقتصر هنا على عطشان أو عَطِش . وأما الصدى فقد
 جاء في المخصص شدة العطش صَدَى كَصَعِبَ فهو صَدِرٌ وصادِرٌ وصَدَيَاتٌ ،
 فلا مجال اذن لاستعمالها هنا .

٥٤٩ دُرْدُرِي ، نُخْرُوبِي Alvéolaire 549
 ٥٥٠ نُخْرُوب Alvéole 550
 ٥٥١ دُرْدُر Alvéole dentaire 551
 ٥٥٢ نُخْرُوب رُئَوِي Alvéole pulmonaire 552

وأقرت لجنة بجمع اللفظة الدُرْدُر^(١) لـ (Alvéole dentaire) واستعملت
 السِنْخُ في مواطن مماثلة كالكفانة السِنْخِيَّة (Alveolar canal) وأما في
 الرئة فقد دعتها الاستناخ نارة (Pulmonum alveoli) والحجيرات الرئوية
 (Pulmonum alveoli) أخرى . والنخروب واحد النخارب وجاء في اللسان خروج
 كبيوت الزنابير ، وقيل هي الثقب المبيأة من الشمع وهي التي تخرج النحل العسل

(١) في اللسان : الدُرْدُرُ كمنبت الأسنان عامة وقيل منبتا قبل نباتها وبعد سقوطها ، وقيل
 هي مفارزها من الصبي والجمع الدرداء . والسِنْخُ الأصل من كل شيء والجمع أسناخ
 وسنوخ وسينخ كل شيء أصله . أقول وهذه تدعى الجذور وقد دعاها ابن سينا
 في قانونه الرؤوس .

فيها ، وكذلك الثقب في كل شيء نخروب ، ونخرب القادح الشجرة ثقبها وهي شقوق الحجر وشجرة منخربة اذا بليت وصارت فيها نخاريب .
لذا أرجح لكلمة (Alvéole) في الأسنان دُرْدُر وفي الرئة حجيرات .
أما الاسناخ فهي الجذور .

٥٥٣ مَسَائِي ، إِسْمَالِي Alvin, ine 553

(Alvin) نسبة إلى (Alvis) وهو أسفل البطن ^(١) ويقصد منه ما يعود الى الجزء النهائي من الأمعاء ولا سيما المفرغات . أما الماشاء فقد جاء في القاموس هو الدواء المسهل . وجاء في الترجمة الألمانية (zum Unterleibe gehörend) أي ما يعود الى الجذر السفلي من البطن .
لذا أرجح أن يقال مُسْرَمِي والمسرْم يخرج الثفل وهو طرف المعى المستقيم .
هذا ولا يشترط في المفرغ أن يكون اسهالاً .

(للبحث صلة)
الركنور مسني سبع

— ٥٥٥٤ —

مختارات مما لم يُنشر من شعر البحرى

- ٢ -

قال البحرى ^(١) يمدح المتوكل على الله ^(٢) :
نَصَبَ ^(٣) إِلَى طَيْبِ الْعِرَاقِ وَحُسْنِهَا ^(٤) وَيَمْتَنِعُ مِنْهَا قَيْظُهَا وَحَرُّوْهَا ^(٥)

(١) القصيدة من الطويل ، عدد أبياتها ١٢ ، نقلناها من مخطوطة دبوان البحرى بالمكتبة الوطنية بباريس (رقم ٣٠٦٨ من القسم العربى) الورقة : ١٧٧ ظ ، وما يؤكد صحة نسبتها إلى البحرى أن ياقوت أورد الأبيات (١ - ٨) منها وقدم لها بقوله : وقال البحرى بفضل الشام على العراق (معجم البلدان ، بيروت : ٣ / ٣١٤ - ٣١٥) .

(٢) هو جعفر بن المنعم ، عاش الخلفاء العباسيين ، امتدت خلافته خمس عشرة سنة (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ) قضاها في نضال دائم للقضاء على استبداد الأتراك ونفوذهم ، وكان عهده المرحلة الذهبية في حياة البحرى ، وشعر البحرى سجل حافل بكل ما جرى في خلافة المتوكل من أحداث ، ومنها هذه الرحلة التي قام بها المتوكل إلى دمشق ، وكان البحرى في موكب حاشيته .

(٣) صَبَبْنَا - نَصَبَ : من الصبابة ، وهي الشوق ورقة الهوى .

(٤) ياقوت : . . . أرض العراق وحسنه . . . ويمتنع عنها . . .

(٥) الحرور : الريح الحارة بالليل ، وقد تكون بالنهار ، والحرور : الحرارة وهي هنا ليست بشيء لأن في ذكر القبط غنى عنها ؛ أما شكوى الشاعر من قَيْظِ العراق فهو يعلمها منذ خروج المتوكل من سامراء :

قد رحلنا عن العراق وعن قَيْظِهَا النَّكَدِ

(الدبوان ، الجواب : ٩ / ١ ، والقصيدة من مجزوء الخفيف ، وفي الدبوان

«قطبها النكد» وهو تصحيف) .

م (٨)

هي الأرض نهواها إذا طاب فصلها ونهرُبُ منها حين يَحْجَى هَجِيرُها
 عشيقَتنا الأولى وخُلَّتْنا التي نَحْبُ وإن أضحت دِمَشْقُ تُغَيِّرُها ^(١)
 عَنيتُ بشرقِ الأرضِ قَدَمًا وغَرْبِها أَجَوِّبُ في آفاقِها ^(٢) وأسيرُها
 فلم أرَ مثلَ الشامِ دارَ إقامةٍ ^(٣) لِراحٍ مُغادِها وكأسٍ مُنْديِرُها ^(٤)
 مَصَحَّةُ أبدانٍ ونُزْهةُ أعيُنٍ وَلَهُوُ نفوسٍ دائِمٌ وسرورُها
 مقدَّسةٌ جادَ الرِّيحِ بلادُها فقي كُلِّ دارٍ روضةٌ وغديرُها

(١) في مخطوطة الديوان : (تَغيرها) : من عاره إذا عابه ، ولبت بشي ، وقد آثرنا رواية ياقوت (تَغيرها) وهي بمعنى تثير غيرتها ، لأنها من أغار أهلَه إذا تزوج عليها فغارت ، وبذلك يتم ربط عجز البيت بمعنى صدره .

(٢) أكثر الجعري من التطواف في أرجاء الامبراطورية العباسية المترامية الأطراف ، برتها وبحرها (انظر ما كتبناه في مقدمة أخبار الجعري للصولي ص : ٥) .

(٣) يزبن الشاعر للمتوكل أن يتخذ من دمشق دار إقامة ، وكثيراً ما كان الجعري يُطاري للخليفة محاسن دمشق ، ويدعوه إلى أن يؤثرها بهواه :

وكيف لا نُؤثرُها بالهوى وصيفُها مثلُ شتاءِ العراقِ

(الديوان ، الجواب : ١٧٣/١ والقصيدة من السريع) ويبدو أن المتوكل استجاب لشاعره فعزم على «نقل دواوين الملك إلى دمشق» (انظر الطبري وابن الأثير : حوادث سنة ٢٤٤) لولا أن الجند شغبوا عليه (انظر المسعودي : مروج الذهب :

الهيئة بمصر ١٣٤٦ : ٢/ ٣٨٩ — ٣٩٠) .

(٤) ياقوت : لراحٍ أغادِها وكأسٍ أديرُها

تَبَاشَرَ قُطْرَاهَا وَأَضْعَفَ حَسْبُهَا بَانَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَزُورُهَا
تَوَجَّهَتْ مَصْحُوبًا إِلَيْهَا بِعِزْمَةٍ مَضَى بِسَدَادٍ بَدْوُهَا وَأَخِيرُهَا
وَفِي سَنَةٍ ^(١) قَدْ طَالَعْتَكَ سُعُودُهَا وَقَالَ بَلَّكَ النَّيْرُوزُ ^(٢) وَهُوَ بِشِيرُهَا
فَصَلَّيْنَا بِأَعْوَامٍ تَوَالِي ^(٣) وَلَا تَرَلْ مَقْدَسَةً أَيَّامُهَا وَشُهُورُهَا
وَعِشْ أَبَدًا لِلْمَكْرُمَاتِ وَلِلْعَلَا فَأَنْتَ ضِيَاءُ الْمَكْرُمَاتِ وَمُنُورُهَا

* * *

(١) غادر المتوكل سامرا لعشر بقين من ذي القعدة من عام ٢٤٣ هـ إلى دمشق عن طريق الموصل ، ووصل إلى دمشق لثمان بقين من صفر عام ٢٤٤ هـ وأقام فيها ثمانية وثلاثين يوما (انظر تاريخ اليعقوبي ، ليدن ١٨٨٣ : ٢ / ٦٠٠) .

(٢) النيروز والنوروز اسم فارسي معرب معناه اليوم الجديد ، وهو أعظم أعياد الفرس ، وزمانه اليوم الأول من السنة الفارسية التي تبدى بالانقلاب الصيفي ، وقد شهد المتوكل في دمشق مقدم الصيف ، لأن إقامته فيها من صفر إلى أول ربيع الثاني من عام ٢٤٤ هـ أي من أيار إلى تموز من عام ٨٥٨ م .

(٣) أصلها (تتوالى) فحذف التاء ، والهجري بكرر هنا ثانية دعوة الخليفة إلى إطالة البقاء في دمشق .

ملاحظات ونظرات

١ - هذه القصيدة واحدة من خمس ، نظمها الجعري كلها أثناء رحلة المتوكل إلى دمشق ، وفي هذه القصائد يتغنى شاعر المتوكل بطيب العيش في دمشق وباعتدال أقليمها ، وبفضلها لذلك على العراق وقبيلها ، ودبوان الجعري يحوي القصائد الأربع الأخرى (الدبوان ، الجوائب : ٩ / ١ ، ١١ ، ١٠ ، ١١٦) أما هذه الرائية فتُنشر كاملة لأول مرة .

٢ - تحديد تاريخ نظم القصيدة إذاً ممكن ، ذلك أن المؤرخين القدماء عُنوا بالكلام على رحلة المتوكل إلى الشام ، وهي الرحلة الوحيدة التي قام بها هذا الخليفة العباسي إلى خارج العراق طوال مدة خلافته ، ولهذا نستطيع أن نؤكد بالدقة أن الجعري نظم القصيدة سنة ٢٤٤ هـ ، وفي الربع الأول منها ، عندما كان المتوكل في دمشق .

٣ - لهذه الرحلة شأن بعيد المآزى في سياسة المتوكل ، ولكن مؤرخينا القدماء لم يبدقوا في هذا الحدث الخطير ، واكتفوا عند الحديث عن عودة الخليفة إلى العراق بإيراد بعض الأسباب الاقليمية والغذائية ، فالطبري يذكر أن المتوكل استوباً دمشق لأن الهواء بها بارد ندي ، والماء ثقیل ، والريح تهب فيها مع العصر فلا تزال تشد حتى يمضي عامة الليل ، وهي كثيرة البراغيث . . ويتحدث الطبري عن غلاء الأسعار في الشام وعن حيلولة الناج دون السابلة والميرة ، ويتابع ابن الأثير الطبري دون تحقيق ، والتحقيق أن المتوكل لم ينزل دمشق ابستوبياً سكنها ، وإنما نزل في قصر المأمون بداريا ، على بعد ساعة من دمشق ، وهذا الموضع في أعلى الأرض - كما يقول المسعودي - يشرف على دمشق وأكثر الغوطه (مروج الذهب : ٢ / ٣٨٩) ، والتحقيق أيضاً أن المتوكل كان في دمشق في وسط الصيف ، بين أيار وتموز - كما قدمنا -

فن أين تنزركم الثلوج وتحول دون وصول الميرة! المؤرخون المحدثون استطاعوا أن يدركوا أن وراء عودة المتوكل المفاجئة إلى العراق ، بعد عزمه على نقل دواوين الخلافة إلى دمشق ، سرّاً لم يكشف عنه أسلافهم ، فهذه الرحلة مظهر من مظاهر النزاع بين المتوكل والأتراك ، وقد حاول الخليفة بهما أن يتخلص من النفوذ التركي الخائف في سامرا بنقل مركز الخلافة إلى منطقة نفوذ عربية ، إلى دمشق ، ولكن الأتراك انتهبوا إلى هذه الخطة وخطرها ، فشغبوا على المتوكل ، وحاولوا اغتياله ، وأجبروه على العودة . (انظر دراسات في العصور العباسية المتأخرة لعبد العزيز الدوري ، بغداد ١٩٤٥ : ص ٤٥ وما بعدها) .

٤ - ويعتقد بعض الباحثين أن البحتري قد أسهم في دعم سياسة المتوكل للخلاص من نفوذ الأتراك ، فهو منذ بعيد يطري للخليفة محاسن الشام ، ويشير شرقه إلى فتنة طبيعتها ، إلى أن عزم المتوكل على الرحلة إليها ، ولهذا يقول له البحتري في إحدى قصائد الرحلة : (الديوان ، الجواب : ١ / ١١) :
أما دمشق فقد أبدت محاسنها وقد وفى لك مطربها بما وعدا

وقد بذل البحتري جهده ليحجب دمشق إلى المتوكل ، ويدفعه إلى إثارتها على العراق ، وليس بعيداً أن يكون البحتري هو الذي حمل المتوكل على المقام بالشام ونقل دواوين الملك إلى دمشق . (انظر : في الأدب العباسي للدكتور محمد مهدي البصير ، بغداد ١٩٤٩ : ص ٢٣٤) .

٥ - أبيات القصيدة تفيض بحب الشاعر الشامي لوطنه ، فهو يفضل الشام على العراق ، ولا يعدل بدمشق داراً أخرى أسكنه ، ولا يرى في الأرض كلها ، شرقها وغربها ، مثيلاً لها في إفادة اللهو والسرور ، فهي صحة البدن ونزعة العين ولهو النفس ، وهو يتمنى أن ينقل المتوكل سرير ملكه إليها ، ولهذا نجده يبحث الخليفة على إطالة البقاء فيها ، وبلغته إلى مميزات أرض

مقدسة ، أهدى الربيع كل دار من دورها روضةً وغديراً ، وستزداد محاسنها اشراقاً بهذه الزيارة لها ، ونطيب أباها وشهورها كلما طال مكث المتوكل فيها ، وهذه القصيدة أرادها البحتري في مدح المتوكل ، فعالبه حبه للشام على إرادته فجاءت قصيدته تحية إعجاب وحب لدمشق ومفاتيح الطبيعة فيها .

٦ - تمتاز القصيدة إذاً بوحدة موضوعها ، فالأبيات كلها تتحدث عن جمال الطبيعة في دمشق ، وتمجيدها وتفضيلها على العراق وحث الخليفة على البقاء فيها ، وهي من جيد شعر البحتري في المتوكل ، وشعره في المتوكل أجود شعره وأصفاه .

- ٣ -

وقال البحتري ^(١) يمدح محمد بن حميد الطوسي ^(٢) :

(١) القصيدة من الخفيف ، عدد أبياتها ٢٣ ، نقلناها من مخطوطة الديوان بالمكتبة الوطنية بباريس ، الورقة ١٤٣ و - ظ ، إلا البيت الخامس منها فقد نقلناه من (المختار من دواوين المتنبي والبحتري وأبي تمام لعبد القاهر الجرجاني ، بتحقيق السيد عبد العزيز اليميني : الطرائف الأدبية مصر ١٩٣٧ : ص ٢٤٣) وقد وجدنا في هذا (المختار) البيتين الرابع والخامس ، وذلك يؤكد صحة نسبة القصيدة إلى البحتري .

(٢) هو أبو نهمشل الطائي ، محمد بن حميد بن عبد الحميد الطوسي ، ممدوح أبي تمام والبحتري ، وقد مدحه البحتري بشعر كثير ، وآل حميد بيت شجاعة وفروسية وأدب ومجد ، منح الخلافة العباسية عدداً من كبار قادة جيوشها ، وقد مدحهم شعراء عصرهم ورثوا مصارع الأبطال منهم عند الثغور ، وأخبارهم منشورة في كتب التاريخ (وانظر معجم الشعراء للمرزباني ص : ٢٧ ، والأغاني ، بولاق :

بعض^(١) هذا الملام والتنفيد^(٢) ليس هجر النوى كمجر الصدود
 زعم العاذلون أن الذي يُضـمُّـمُ بِهِ^(٣) يُجـلُّ العيون غير وشيد
 كذب العاذلون قد يَحْسُنُ الحبُّ بِمَنْ لَيْسَ قَلْبُهُ مِنْ حديد
 ياربوع الديار إني على ما قد أراه ممكن غير جليد
 [أَخْلَقَ الدهرُ عهدَ كنٍّ وللدهرِ صُروفٌ يُخَيِّمُ قِنٌّ كُلِّ جديـدٍ^(٤)]
 فرقت شملنا النوى بعد ما كنّا جميعاً في ظلِّ عيش حميد
 لو^(٥) ترانا عند الوداع وقد لو^(٦) (م) ذَ سكبُ الدموع وردَ الحدود
 حين سادوا بفانيات وِسَامٍ^(٦) آنساتٍ حورِ المدامع غيد
 يتلفتن من بيميد وينظرُنَّ نَ استراقاً إلى الحبِّ العميد^(٧)

(١) للبحثري قصيدة يمدح بها الوزير محمد بن عبد الملك الزيات ، ومطامها مماثل لهذا
 المطلع : (الدبوان ، الجواب : ١٩٣/٢) :

بعض هذا العتاب والتنفيد ليس ذمُّ الوفاء بالحمود

(٢) التنفيد : التكذيب وتخطئة الرأي وتضعيف القول .

(٣) أصباه : شافه وفتنه ودعاه إلى الصبا .

(٤) البيت زيادة من (المختار . .) للبرجاني .

(٥) لو : هنا ليست للشرط ، فلا جواب لها ، وتحتل التمني والعرض .

(٦) وِسَام : جمع وسيمة ، والوسامة أثر الحسن .

(٧) العميد والمعمود والمعمد : الذي هداه العشق وأضناه .

يَتَهَادَيْنَ حَوْلَ مُحْوَرَّةٍ الْعِيْنَيْنِ مَصْفُورَةَ التَّرَائِبِ^(١) رُودَ^(٢)
 أَعْجَلَتْهَا النَّوَى فَمَا نَلْتُ مِنْهَا طَائِلًا غَيْرَ نَظَرَةٍ مِنْ بَعِيدِ
 سَوْفَ أُعْطِيَ السَّلَوُ وَالْعَبْرَ مَا أُمْنَعُ^(٣) مِنْ طَارِفِ الْهَوَى وَتَلِيدِ
 بِالْمَاهَرِ^(٤) يَلْبَسُنَ ثَوْبًا جَدِيدًا مُسْتَفَادًا فِي كُلِّ وَقْتٍ جَدِيدِ
 وَهِيَ طَوَّلَ النَّهَارِ بَيْضٌ وَطَوَّلَ^(٥) اللَّيْلَ فِي أَقْصَى مِنَ اللَّيْلِ سُودِ
 طَالِبَاتٍ فِي الْغَوْثِ غَوًثًا سَكُوبًا وَحَمِيدًا فِي آلِ عَبْدِ الْحَمِيدِ^(٦)
 جَادَ حَتَّى لَوْ أَسْتَزِيدَ مِنَ الْجُوِّ دِ لَمَّا كَانَ عَنْدهُ مِنْ مَزِيدِ
 خُلُقٍ يَا مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ حُزْنَهُ عَنْ أَبَوَةٍ وَجَدُودِ

(١) الترائب : موضع القلادة من الجسم أو ما بين الثديين ، ويريد الشاعر من اصفرار الترائب أنها مصبوعة بالزعفران ، وهو من الطيب ، وقيل : أهلك النساء الأصفران : الذهب والزعفران .

(٢) رُود مسهلة من رُود وهي الفتاة الحسنة الشباب ، تشبهاً لها بالغصن الرطب الرخص .

(٣) في الأصل : ما ، ولا يستقيم بها معنى البيت وإعرابه ، و (ما أُمْنَع) ما مصدرية ظرفية ، ومعنى البيت أنني سأملو عن فاروقني ، مدة ما يمنع عني جديدُ الهوى وقد يه ، برحلة إلى المدوح ، أركب الماهرى . . إلخ . .

(٤) الماهرى الإبل المهرية ، وهي المنسوبة إلى قبيلة مهرة .

(٥) في الأصل : طوال ، وهو خطأ ، ولا يستقيم الوزن به .

(٦) المدوح اسمه محمد بن حميد بن عبد الحميد .

يَشْهَدُ الْحَرْبَ مِنْكَ لَيْثُ عَرِينٍ غَيْرُ هَيَّابَةٍ وَلَا رَعْدِيدٍ
 أَسَدٌ يَرْكَبُ السَّيْفَ إِذَا مَا قُلَّ تَحْتَ السَّيْفِ صَبْرُ الْأَسْوَدِ
 يَتَخَطَّى فِيهَا رِقَابَ الْمَنَابِيا غَيْرَ مَا نَاكِيلٍ وَلَا مَزْوُودٍ^(١)
 فِي نَهَارٍ مِنَ السَّيْفِ مُضِيءٍ تَحْتَ لَيْلٍ مِنْ مُسْتَنَارِ الصَّعِيدِ^(٢)
 وَعَوَانٍ^(٣) تُحْمَلُ تَحْتَ وَغَاهَا مُعْقَدَةُ الْفَارِسِ الشَّجَاعِ النَّجِيدِ^(٤)
 يَخْرَسُ الدَّارِعُونَ فِيهَا فَا يُسْمَعُ فِيهَا إِلَّا كَلَامُ الْحَدِيدِ

* * *

(١) المَزْوُودُ : المذعور ، من زَادَهُ : أَفْرَعَهُ .

(٢) الصَّعِيدُ : التراب ، والتراب المثار كناية عن المعركة .

(٣) العَوَانُ مِنَ الْحُرُوبِ ، الْحَرْبِ الَّتِي قُوتِلَ فِيهَا مَرَّةً بَعْدَ الْأُخْرَى ، كَانَهُمْ جَعَلُوا

الْأَوَّلَى بِكَرًّا ، لِأَنَّ الْعَوَانَ مِنَ النِّسَاءِ هِيَ النِّيبُ .

(٤) النَّجِيدُ وَالنَّجْدُ وَالنَّجْدُ : الشَّجَاعُ الْمَاضِي فِيمَا يُعْجَزُ عَنْهُ .

ملاحظات ونظرات

١ - ممدوح البحتري في هذه القصيدة محمد بن حميد ، القائد العباسي ، شخصية كبرى من شخصيات شعر البحتري ، وهو شاعر مقل (الفهرست ، الرحمانية بمصر ١٣٤٨ هـ : ص ٢٣٥) يروي صاحب الأغاني بعض أخباره (ج ٩ / ١٠٢ - ١٠٣) ، وقد مدحه البحتري بقصائد كثيرة ، منها ١٥ قصيدة في ديوانه المطبوع ، وقصائد أخرى لم تنزل إلى اليوم مخطوطة ، ومنها هذه القصيدة .

٢ - ليس سهلاً تحديد تاريخ نظم القصيدة ، ذلك أن البحتري اتصل بآل حميد في بغداد ، في حياة أستاذه أبي تمام الذي كان يستفيد شعر البحتري فيهم (أخبار البحتري : ٦٩) ، وفي خلافة المتوكل أيضاً ؛ وليس في القصيدة ما يُعين على تأريخها ، ولعل في حرارة أبيات الغزل وما يذكر الشاعر فيها من تعلق الغائبات به وتلفتنن إليه عند الرحيل ما يسمح لنا بأن نرجح أن تكون القصيدة من نتاج مرحلة الشباب .

٣ - يمكن أن نلاحظ في القصيدة أقساماً ثلاثة :

أ - النسب : ويشغل الأبيات (١ - ١١) وقد أغناه الشاعر بالحلة على المذال ، وبالحنين إلى ديار المحبوبة ، وتصوير بعض الذكريات الباكية لساعة الفراق والرحيل ، وبوصف خاطف لبعض مفاتن المحبوبة ذات العينين الحوراوين ، والترائب الفواحة بطيب الزعفران ، والقامة المتأودة كالفضن الرخص .

ب - وصف الإبل : ويشغل الأبيات (١٢ - ١٤) وهي الركائب التي حملت الشاعر إلى الممدوح ، وهي إبل مهريّة تغتذ السير ، وتطوي الليل والنهار ، لتبلغ ديار الممدوح .

ج - المديح : وبشغل الأبيات الباقية (١٥ - ٢٣) وهو الغرض الرئيسي من القصيدة ، والبحتري 'يقدم فيه للممدوح صورة تقليدية لا تكاد تبدو فيها ملامح خاصة تميز محمد بن حميد الطوسي من غيره من ممدوحى البحتري ، على أنه جمع فيها أغانيم المديح الثلاثة (الكرم وشرف النسب والشجاعة) فالممدوح غوث مكروب ، يجود بكل ماله ، وهو شريف في بيته ، ورث الكرم عن أبوته وجدوده ، وهو في الحرب ليث مقدم ، يخوض المعارك الطاحنة ، ويخطى فيها رقاب المنايا ، غير هيأب ولا ناكل ، وكل من في المعركة هادئ صامت أخرس ، فلا يسمع غير قعقة السلاح و صليل السيوف .

٤ - 'يلاحظ أن النسب قد استأثر بأكثر الأبيات و طغى على حصة المديح ، وهو الغرض الرئيسي ، كما نلاحظ أن البحتري قد أحسن التخلص هذه المرة من النسب إلى المديح ، فلم يكن انتقاله إليه مفاجئاً كما عودنا أن يفعل ، وهكذا كان وصفه للإبل التي حملته إلى الممدوح وسيلة لغرض فني ، هو ما يسميه البلاغيون بحسن التخلص ، وعلى الرغم من أن هذه الوسيلة تقليدية معروفة في الشعر القديم ، فإن عرض البحتري الحي السريع المحكم لها خفف من ابتذالها .

٥ - استوفى البحتري في أبيات المديح جزئيات الصورة التقليدية للممدوح ، وعرضها عرضاً خاطفاً مريباً ، ولكنه ألح على تصوير شجاعة ممدوحه وثباته في المعارك ، حتى شغل بذلك الأبيات السنة الأخيرة ، ولم يترك للكرم وشرف النسب مجتمعتين غير أبيات ثلاثة ! ومثل هذا الإلحاح على تصوير شجاعة الممدوح أمرٌ طبيعي فصورة محمد بن حميد القائد العباسي لا بد لها من أن تطغى - في عيني شاعر معوز كالبحتري - على مزاياه الأخرى .

٦ - القصيدة من جيد شعر البحتري ، اجتمع لها رقة اللفظ وسهولته ، وبساطة التركيب وفوته ، وموسيقى الصياغة وعفويتها ، وجمال الصورة ووضوحها ، ولو توفر لها غنى المنصر الفكري وطول النفس لكانت من مختار الشعر العباسي ومستجاده .

كتاب النفس

لابن باجة الأندلسي

- ٦ -

الفصل الرابع

القول في البصر

وقد تبين فيما قد تقدم^(١) ان النفس هي الاستكمال الأول الذي هيولاه المزاج .
وأعني بقولي « الأول »^(٢) كما يقال في المهندس حينما لا يستعمل عمله بالهندسة ،
والموسيقار^(٣) < حينما لا يستعمل صناعة الموسيقى . والأخير مثل ما يقال
في الموسيقار حين يستعمل اللحن . فإن الصنف < الأول > من الاستكمال
أبدأ هو كالمبولى للكمال الأخير ، ولذلك يحتاج ضرورة إلى شيء آخر يخرج
إلى الفعل وهو المحرك ، لأن كل محرك فله محرك ، غير أن المحرك^(٤) في
هذه يخفى والمحرك في الحس ظاهر أمره كالذي يعرض في المرآة الصقيلة .
(ورقة ١٥٥ ب) فإن الصقالة هي الكمال الأول فلذلك متى حضر المرئي
ارتسخت فيها الصورة من غير أن تتغير هي الى وجود آخر تكون به أقرب
كالذي يعرض في الحديد وهو حديد^(٥) أنه استكمال أول . والاستكمال

(١) راجع النص ، آخر ورقة ١٣٩ ب واول ورقة ١٤٠ الف : والنفس هي الاستكمال الاول .

(٢) لقد صرح ارسطو ان الشيء يقال له باسمه اولا من حيث صورته وثانيا من حيث المادة ، انظر De An II, 2, 414 a 9 - 13 : والتعليق ٣٨ ، الاصل الاول .

(٣) المخطوطة : الموسيقى .

(٤) المخطوطة : المتحرك .

(٥) فان الحديد بذاته ليس بصقيل ، وانما يصير مرآة بعد الصقل .

الأول بالجملة هو ما كان الجسم مستعداً لقبول شيء ما غير أن يتغير بالذات لا بالعرض ، فإن المرءة قد تتغير مثل أن تنتقل الى مقابلة المرئي .
 فقرة البصر هي استكمال أول للعين وهي النفس الباصرة . وإذا أبصرت صارت بصرًا وهذا هو اسمها من حيث هي ^(١) بالكمال الأخير . وكذلك سايرها .
 فإنها اذا انفردت وكانت قوة فقط كانت نفساً . ولذلك يقال في الجنين ذو نفس ^(٢) وفي النائم ، واذا فعلت أفعالها كانت حساً . فالقوة التي يكون بها البصر هي بالقوة المبصرات .

والمحسوسات كما قيل ^(٣) « أول » وهي الخاصة بحاسة حاسة - ومنها مشتركة ومنها بالعرض .

والمحسوس الأول للبصر هو اللون ، ولذلك لا بدركه إلا البصر . ولذلك ما وجد فيه إدراك اللون فذلك العضو فيه بصر حيث كان وأي صورة كان ، فان الجسم يحيد بفائته ، ولذلك لا يكون الصنم إنساناً ، ولا ما اتخذ من السمع سكينة اذا لم يفعل أفعال الأنواع المشاركة لها في الاسم ^(٤) . ولذلك قيل ان العين يقال على عين الحي وعين الميث باشتراك لا بتواطؤ .
 فالنفس الباصرة هي القوة الموجودة في العين التي تدرك بها اللون . وهي

(١) المخطوطة : هو ، وبالهامش : هي .

(٢) ان الجنين له نفس نباتية كما يظهر من اقوال ابن باجة الآتية : ورقة ٢١٦

ب (رسالة الاتصال ، الاندلس ، ميدرد ، ج ٧ ، ١٩٤٢ م ، ص ١٢) .

وذلك في الزمان الذي يحتوي عليه الرحم ، فانه يتنطق اولاً فاذا اكمل تخلقه

اغتنى وغنى (= غنى) .

(٣) راجع النص ورقة ١٥٥ الف : « منها خاصة ومنها مشتركة » .

(٤) المخطوطة : الجسم ، وبالهامش : الاسم . - فان ارسطو : Arist. : Meteo

IV. 12. 390 a 10; De An. ii. I. 412 b 12 - 21; 8. 420 b 1; De Gen.

Anim. ii. I. 735 a 8

في الرطوبة الجليدية^(١) . وذلك بين من العوارض التي تعرض لمن ينزل الماء في عينه . فلذلك يجب أن نفحص عن اللون ما هو ؟

فنقول : إن اللون لا يمكن إدراكه إلا بتوسط الهواء . ولذلك لو وضع اللون على البصر لما أدركه^(٢) . ولا يمكن للهواء أن يخدم البصر في إدراكه إلا مع الضوء^(٣) ، إما لأن الألوان في الظلام بالقوة ولا وجود لها ، أو لأن الهواء إنما يقبل الألوان بالبصر الذي تكون فيه .

أما إن اللون في الظلام فذلك بين عند تأمل الألوان في الظل ، وفي الشمس ، وفي الحال التي تعرض للنبات عند مرور السحاب عليه حائلة بينه وبين الشمس ؛ فإن ألوانها تختلف اختلافاً شديداً . وقد تلخص ذلك في الحسن والمحسوس^(٤) ، فالواجب أن نتقدم^(٥) فنلخص أي شيء هو ؟

(١) لعل الحق مع ابن باجة حين يقول : إن القوة الباصرة في الرطوبة الجليدية التي هي آلة البصر عند اليونانيين (ماريوف ، Mayerhof ، المقالات العشر في العين لحنين بن اسحاق ، ص ١٢٠ : وأما آلة البصر وهي الرطوبة الجليدية .) أما ابن سينا فإنه يقول إن هذه القوة هي في العصبية المجوفة (انظر ، فضل الرحمن Avicenna's Psychology ، ص ٢٦ . والشفاء مخطوط بودليانا ، بوكك Poc ١٢٥ ، ورقة ١٦٠ ب : ففها البصر وهي قوة مرتبة في العصبية المجوفة تدرك صورة ما ينطبع في الرطوبة الجليدية من اشباح الاجسام .) ولقد صرح حنين إن قوة البصر تنبث من الدماغ في العصبية المجوفة ، المقالات العشر في العين المنسوب لحنين ، ص ١٢٠ .

(٢) قارن أرسطو : Arist. : De An. : II. 7. 419 a 13; II. 423 b 20

(٣) ما قال أرسطو قط إن الهواء يخدم البصر ، ولكنه بين أن الماء والهواء شفافان يحتويان على جوهر مضيء كأن الضوء هو لون الشفاف ، راجع

De An. : II. 7. 418 b 1 - 12

(٤) يصف أرسطو أن أنواعا من الألوان تعرض لمن يرى الشمس مغطاة بالضباب أو الدخان ، فترى كأنها بيضاء قد اختلطت بالحمرة ، راجع

Arist. : De Sensu : 3. 440 a 7 . وابن رشد قريب من ابن باجة في البيان ،

انظر تلخيص كتاب النفس ، الاهواني : ص ٣٣ ، وحيدر اباد ، ص ٢٩ .

(٥) المخطوطة : يجب أن نتقدم .

والمضيء هو مفيد للضوء ، والمستضيء هو الذي فيه الضوء - والضوء هو كمال المستضيء من جهة ما هو مستضيء .

والمضيء يقال على نحوين ^(١) : تقديم (ورقة ١٥٦ الف) وتأخير . فالأول هو المعنى الذي نظن أن الشمس تشترك فيه مع النار . والمقول بتأخير ^(٢) هو الذي يضيء بأن يستضيء . وذلك بأن ينعكس الضوء عنه ، كما بعرض في القمر وفي الأجسام الصقيلة . وهذه أصناف . أما أن يكون ذلك بحيث < لا > بقدر أن يعمل غيره مرئياً ^(٣) فهذه ^(٤) أصناف الأرضيات كالمرئي في الماء عند وقوع المجاديف بالليل ، وفي قشر بعض السمك ، ونار الجبابج ، وهذه ليست ألواناً ^(٥) ولكنها انفعالات في العين ، وقد تلخص أمرها في غير هذا الموضع .

(١) والظاهر أن ابن رشد اتبع ابن باجة في قوله « أن المضيء على نحوين : للتقديم وتأخير » . أما أرسطو فإنه لم يصرح بهذا التقسيم ، ولكنه ذكر في كتاب النفس (٤٢٨ و - ١٠ ، راجع تلخيص كتاب النفس ، تحقيق الاهواني ص ٣١) « أن الأجسام المضيئة تخرج من القوة إلى الفعل بتأثير النار ، أو شيء شبيه بالأجسام الملوية ، ولعل اصطلاح « شيء شبيه بالأجسام الملوية » ظهر في قول ابن رشد « بالجسم الإلهي » ، وفي شرح اللطيف توماس الاكوييني « بالأجسام الملوية » . وقد صرح ابن باجة بهذا الجسم حين ذكر الشمس . راجع أرسطو : De An. ii. 7. 418 b 12

(٢) المخطوطة : تناخر .

(٣) المخطوطة : قريباً . راجع أرسطو : De An. ii. 7. 419 a 3 . وابن رشد قريب من ابن باجة جداً في البيان ، انظر تلخيص كتاب النفس تحقيق الاهواني ، ص ٣١ ، حيدر اباد ص ٢٢ .

(٤) المخطوطة : وهذه .

(٥) انظر أرسطو : De An. ii. 7. 419 a 1-5 : ابن رشد : تلخيص كتاب النفس تحقيق الاهواني ص ٣٢ ، حيدر اباد ص ٢٧ .

فالضوء إذن هو الذي يكون في الهواء عند حضور جسم له هذه الحال في المستضيء .

فأما هل الشمس هي تلك بعينها أم أثرها في المحيط بالحيوان ففي ذلك موضع فحص ، وعويص شديد حقا . فإن الكائن في الماء يرى الشمس في بسيط الماء ويراها قريبا حتى يظن أنها في بسيط الماء . وكذلك بعرض لمن في شاطئ البحر عند الطلوع والغروب إذا اتفق كون بخار غليظ مرتفع من موضع قريب من الناظر أن يظن أن الشمس في سطح ذلك البخار ، ولذلك يراها كبيرة ويراها حمراء وصفراء . وأيضا إذا نظرنا في النار وأحوالها التي بها تكون مضبوطة وجدنا فيها أن ذلك يكون بنوسط في الغلظ والرقة . وذلك بين فيما قيل ^(١) في التباين وأذنب الكواكب . لكن الأمر على ما يقوله أرسطو في سابعة عشر الحيوان ^(٢) أن صورة النار مرئية ^(٣) حين وعدنا بالفحص عنها - فليترك إلى ذلك الموضع الذي يلقى به أن يفحص عنه عن أمثال هذه الأمور . والمقبول بلحقه دائما لواحق في القابل ، ولذلك قيل : ع « كأنه ناظر في السيف بالطول » ^(٤) ، وكما يعرض في الأطوال ، وقد تلخص هذا في كتاب المناظر والظلال التعليمية ^(٥) ، وأعطيت أسبابها .

(١) وذكر أرسطو أسباب الشهاب الثاقب ، ومنظر الاحتراق وحقيقة المذنب والمجرة

في كتاب الآثار العلوية : Meteo. i, 5-6. 342 b 22 .

(٢) انظر أرسطو : De Gen. An. iii II. 791 b 20 .

(٣) المخطوطة : قربه .

(٤) وقامه « ذاك الوزم الذي طالت علوه كأنه ناظر في السيف بالطول »

والبيت من قصيدة لأبي نواس نظمها في مدح جعفر بن يحيى البرمكي ، وما

وجدته في الديوان . راجع كتاب الوزراء والكتّاب لأبي عبد الله محمد بن

عبدروس الجششاري تحقيق مصطفى السقا ، إبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلي ،

١٩٣٨ م ، مصر ص ٢١٥ .

(٥) له تصنيف لابن باجة في الهندسة ، وقد فقد .

وظاهر بين أن الذي يقبله الهواء من النار هو بسيطها إما أولاً أو بتوسط معنى فيه . وذلك المعنى ، إن قيل له « كون » فباشتراك .
ولما كان المتقابلان لا يوجدان معاً في موضوع واحد كالحر والبرد فمن هذه ما لا يوجدان في موضوع واحد بالاطلاق كالزوج والفرد فإن الخمسة لا تكون زوجاً أصلاً . ومنها ما لا يوجدان ^(١) في موضوع واحد في وقت واحد مثل الحار والبارد والعمى والبصر . ومنها ما يوجدان في موضوع واحد في وقت واحد وذلك في كثير من أنواع الإضافة ، منها أصناف الوضع المضاف كالتيامن والتيامر ، ولذلك لا يكون حدوث في موضوعاتها تغيراً (ورقة ١٥٧ ب) بل تابعاً لتغير ^(٢) . وبوجد في الآن ^(٣) ولا يكون في زمان أصلاً ، وقد تبين كيف ذلك في السماع .

والوضع فالمضاف منه بالذات وهو الذي بالطبيعة . والذي بالطبع كوضع بعض أعضاء الحيوان من بعض ، فلذلك تجدد الطبيعة قد حصلت في كل واحد منها أو في أحدهما أمراً ^(٤) يتم بذلك الوضع . وما بالعرض ليس كذلك كوضع زيد من عمرو . والوضع على ما تلخص في السماع ، ليس من القوى الشائعة في الجسم ^(٥) ، فإن وضع آمن جب كوضعه من أحد ، وأي

(١) المخطوطة : ومنها فلا يوجدان .

(٢) وابن باجة يبين معنى « تابع لتغير » بالفاظه في السماع ، ورقة ٢٩ ب : « ويكون فتنسب تغير تابع لتغير فذلك يكون في الآن وكذلك فسادها » .

(٣) ولفظ « الآن » عند ابن باجة معناه « متبى الحركة » ، ورقة ٢٩ الف : « فلي الآن الذي هو متبى الحركة » . ولكنّه أيضاً صرح بين آخر فقال : ورقة ٢٩ ب ، « الآن الذي هو نهاية السكون ومبدأ الحركة أو نهاية الحركة ومبدأ السكون » .

(٤) المخطوطة : أمر .

(٥) هذا مبني على ما قال أرسطو من أن أوضاع الحيوان وأوصاف حركته ليست

جزء أخذ من آجبّ كان وضع آمنه ضرورة^(١) ذلك الوضع بعينه .
 والمضيء من المستضيء صورة ذو مضاف . والأجسام إنما تكون ذات وضع
 بالاطلاق ببسائطها المطبقة بها الخارجة . فلذلك تكون ذوات وضع بهذه البسائط .
 والمضافات قد لا يوجد بين موضوعين منها شخصان من نوع واحد من
 الإضافة كالتوليد فإن المولّد لا يكون مولّدًا للمولّد له . وقد يكون
 بينها شخصان من ذلك النوع كالتضارب والتصادق . والذي لا يوجد بينها
 شخصان قد يكون نوع الإضافة التي^(٢) بينها فصلها^(٣) من كليهما كتيامين
 حيوان من حيوان . فإنّ حَ اذا كان متيامنًا عن بَ كان بَ متيامرًا^(٤)
 عن حَ^(٥) . لأنّ لكليهما اليمين والبسار . وأما ما ليس بحيوان فليس^(٦)
 كذلك ، فإن التيامن للجبل فليس بمتيامر عن الجبل ، إذ ليس للجبل يمين ولا
 يسار إلّا بالاعتباس .

والمضيء له إلى المستضيء وضع مضاف^٧ ولذلك اذا حضّر وجب أن يكون
 ذلك له ، وقوله ذلك الوضع منه بالطبع هو إضافة . والنزير ماله مثل
 هذه الطبيعة .

والإضافة من حيث هي إضافة فلا تنقسم بأقسام الجسم ، لأنّ الإضافة
 طبيعة عامة لما هو جسم ولما < هو > ليس بجسم . فلذلك قد لا تنقسم بأقسام
 الجسم بذاتها .

(١) المخطوطة : ضرورة .

(٢) المخطوطة : الذي .

(٣) المخطوطة : فصلها .

(٤) المخطوطة : متيامر .

(٥) المخطوطة : دَ .

(٦) المخطوطة : وليس .

ولما كانت الإثارة مضافة بين جسمين من طريق ما هي تلك للأجسام ، فإن لكل جزء من المنبر عند جزء من المستنير تلك الإضافة — أمكن أو لا أمكن . ولذلك لا يضيء كل مستضيء بأي قدر ، كان قدراً واحداً من الإضافة ، بل قد لا يضيئه كله لكن يضيء ضرورة ما يجاوره . وقد تختص كيف ذلك في القول في انعكاس الأضواء ^(١) . فقد قلنا ما الضوء ، وما المستضيء ، وما المضيء .

وتبين بذلك كيف يوجد في الهواء الضوء من غير أن يوجد زمان ، وكيف يستضيء الهواء عن الشمس والسراج في قدر واحد من الزمان — إن قيل لذلك زمان — وتفاصيل الأبعاد على ما هي عليه . وكيف يوجد الهواء الواحد يستضيء عن نورين ولا يبين أثره إذا تخالفا في الوصف . مثل أن يكون كل واحد (ورقة ١٥٧ الف) منها على طرف ضلع المربع ويكون بينهما حاجز عن مستضيء ، فإن المركز وحده يستضيء بالضوءين معاً ، فإن لم ينعكس الشعاع لم يكن على استقامة قطر حال المضيء الذي على القطر الآخر . وكذلك لا يتبين لمن كان على وسط ضلع المربع حال واحد من المضيئين .

ولما كان اللون إنما هو على ما تبين في الحس والمحسوس ^(٢) باختلاط المستضيء بالجسم ذي اللون على الجهة سمت هنالك كان اللون أيضاً مضيقاً بوجه ومحركاً للهواء ^(٣) . فاللون محرك للمستضيء لكن من جهة ما هو مستضيء ، لأن المستضيء هو المحرك لذلك اللون .

فأما كيف قبل إن اللون يحرك المشف بالفعّل فذلك من جهة أن قبول اللون إنما هو من جهة ما هو مستضيء وقبول المضيء هو إضافة وإضاءة . فتجربكه

(١) لعل ابن باجة يشير إلى كتاب صنفه في انعكاس الضوء ، وقد تقدم .

(٢) راجع أرسطو : Arist : De Sensu iii. 440 b 1—18; 439 b II; De An. ii. 7.

419 a 14

(٣) المخطوطة : للهوى .

اياء إضاءة وإشفاق . وهناك استنبان خطأ من رأى ^(١) أن الإبصار كانت بالخللاء ^(٢) ، أمكن لما يظهر الحس في الماء والهواء ، بل الأمر على عكس ما ظنه ديمقراطيس ، فإن الهواء لو ارتفع لارتفع الإبصار جملة .
وكما أن اللون لا يدرك دون ضوء ^(٣) ، فكذلك الضوء لا يدرك إلا مقترناً بلون . وذلك بين بما قلناه قبل ^(٤) .

فاللون هو البسيط ، والبسيط هو ذو شكل ضرورة ، فلذلك يدرك البصر الشكل والطول ، وبالجملة فكل ما يوجد في قوام اللون أو قوام ما يكون به قوام اللون . فلذلك يدرك البصر الجواهر الموضوعة للألوان .
ولما كانت الأسباب منها قريبة ، وهي التي تخص الذاتية ، ومنها بعيدة وتمتد فيما بالعرض ، وكان المبصرات كذلك مثل الأطوال أو ما يجري مجراها ، انها للبصر بالذات ، والجواهر أنها بالعرض .

وأما ^(٥) ما بالعرض على الخصوص فما يدركه بتوسط قوة أخرى ، مثال ذلك أن الأبيض اثر عندنا ^(٦) فليس للبصر لا قريباً ولا بعيداً .

وقد يظن أن كثيراً ما < ما > بالذات يوجد في المرايا ^(٧) ، فإن الشكل والحركة قد تظهر فيها وأشياء أخر من أحوال الملون ، لكن ليس ذلك فيها من جهة واحدة ، وقد تلخص أمرها في غير هذا الموضع ، والحركة الظاهرة

(١) وقد ذكر أرسطو رأى ديمقراطيس في كتابه في النفس : De An. ii. 7. 419 a 15

(٢) المخطوطة : بلون بالخللاء .

(٣) أيضاً : 419 a 9 .

(٤) أيضاً : 419 a 21 . وراجع النص بنفسه : ما وجد فيه إدراك اللون التح

(ورقة ١٥٥ ب) .

(٥) المخطوطة : وكان المبصرات كذلك مثل الأطوال وما جرى مجراها انها للبصر

بالذات واما التح .

(٦) المخطوطة : عندما .

(٧) المرايا جمع المبراة .

ففيها ليست حركة حدثت بل أشياء شعاعية^(١) ، لأن الجزء الظاهر عند آليس هو بعينه الذي ظهر عند ب . فيكون ذلك حركة . وإنما ذلك كظل المتحرك فإنه عدم لضوء لا لحركة ، فإن الظل لا حركة له .
والحسن لما كان هيولى تقبل معنى المحسوس على ما قيل^(٢) لذلك ارتسم في الحسن ما به قوام ذلك المعنى ، كيف كان . وأما المِرآة فليست تقبل المعنى لكن تقبل أمثال بعض لواحق ذي المعنى^(٣) .

* * *

الفصل الخامس

(ورقة ١٥٧ ب) القول في السمع

والقوة السامعة هي استكمال حاسة السمع ، وفعلها^(٤) ادراك الأثر الحادث في الهواء عن تصادم جسمين متقاومين . وهذه الحال هي التي يكون بها الشيء مسموحا وإحساسها هو سماع . وذلك أن كل الأجسام المحدثه للصوت إما صلبة وإما رطبة . فإن كانت صلبة فاذا قوعها^(٥) قارع حدث عنها^(٦)

(١) المخطوطة : شائعة .

(٢) راجع النص : فهوى الادراك مطبوعة على قبول معاني المدركات : (ورقة ورقة ١٥٤ الف ، آخرها) .

(٣) المخطوطة : « هذا مضمي » ، لعله من زيادة ابن الامام او المكاتب .

(٤) الصوت ، كما يئنه أرسطو ، بالفعل والقوة . والأول يحدث من التصادم ، فلا بد له من جسم قارغ وجسم مقروع ، والصوت لا يكون إلا بحركة من

الضارب والمضروب ، راجع : De An. ii. 8. 419 b 5-13 .

(٥) المخطوطة : قرعه .

(٦) المخطوطة : عنه .

صوت . وأما إن كان رطباً^(١) فإنه لا يحدث عنه صوت إلا بأن تكون حركة القارع الى المقروع أسرع^(٢) من انخراق ذلك الرطب فتقاومه . فيتحرك الذي فيه تلك الحركة وينبوعها ، وتندفع منه إلى جميع الجهات التي تلي المكان الذي التقى فيه القارع والمقروع . والهواء مع أنه يندفع عن القارع يقبل^(٣) عن القارع أثراً خاصاً به ، كما يظهر ذلك من الأجسام المهتزة . وبين أثر ذلك الحس في أوتار العود ، فانا نجد متى حركنا البم في تسوية المطلق تحرك < ما > على المثني فلم يتحرك ما على الزير ، ولا ما على المثلث . وكذلك اذا اهتز المثلث لم يهتز الزير . وإن وضعنا الاصبع على سبابة الزير تحرك ما عليه ؛ وكذلك بعرض في المساوية الطبقة ، لأنها متشابهة . وكذلك عرض الأمر بعينه فيما بالكل < و > الذي بالكل متشابه وليس متساوي^(٤) . والمحسوس الأول هو ذلك الأثر^(٥) الذي في الهواء والماء الحادث عن القرع ؛ لكنه مقرون بحركة ولا يمكن أن يحس دون تحرك ذلك الهواء . فلذلك هو أثر مقترن به تحركه في الأثر^(٦) ، فلذلك يلحقه عن ما يرجع عن جسم ان يرجع بعينه ولكن لا على تلك الحالة . فلذلك يلزم للضدين^(٧) تغير ما ؛ لكن يبقى الأثر واحداً بعينه .

(١) اللفظ المقابل للرطب في هذا المعنى غير موجود في كتب أرسطو ولكنه بَيِّن « ليس كل أجسام تحدث الصوت بالمقارعة ، فالقرب على القطن مثلاً لا يحدث صوتاً ولكن النحاس والأجسام المجولة والملاء تحدث » ، راجع :

De An. ii. 8. 419 b 14-15

(٢) انظر أرسطو : De An. 8. 419 b 23 ؛ ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، تحقيق الاهواني ، ص ٣٥ .

(٣) المخطوطة : ويقبل .

(٤) (متساوياً) خير ليس . (لجنة الترجمة)

(٥) راجع أرسطو : De An. 8. 419 b 18-20 .

(٦) أي الصوت أثر متحرك بالهواء الذي حدث الأثر به .

(٧) المخطوطة : الضدان .

وكذلك في أذن الإنسان خاصة ، لما كانت كثيرة التقارع ، عرض للهواء هنالك أصناف من الرجوع ^(١) ، وبقي الصوت ، كما يعرض في الآلات المصوتة ، كالعود . وبذلك يكون الصوت نغمة . فإن النغمة صوت يبقى زماناً محسوساً ؛ ولذلك لم يكن كل صوت نغمة ، فلذلك متى يردفه صوت آخر امتزج الهواءان وهما بأحوال مختلفة ، فحدثت نغمة ممتزجة ، إما ملائمة وإما منافرة . وهذا هو السبب الذي كانت الإيقاعات تصير به ^(٢) الملائمة والمنافرة ملائمة . وهذا هو < في > عود أنينها ^(٣) النغم . وقد فصل ذلك كله في مواضع أخرى . ولما كان الموضع الأول للسمع هو الهواء ، لأنه القابل الأول للصوت ، لذلك كان المتقارعان ^(٤) محسوسين بالعرض ، ولذلك يقع الغلط للسمع فيهما ، كما يقع للبصر فيما لموضوعه بالعرض ، وقد تلخص ذلك قبل ^(٥) . فلذلك قد تعرض أصوات كثيرة لأجسام متباينة (ورقة ١٥٨ الف) يظن بها أنها واحدة ، كمل وقوع الماء في جسم أجوف صلد أن يكون الصوت المدرك منه وصوت وتر العود واحداً ^(٦) بعينه حتى يظن من سمعه ولم يشاهده أن عوداً يقرع بعض أوتاره . وبهذا يقتدر المشعبدون على تحيل رعود ، والمحاكوت على سماع أصوات أجسام مختلفة فتنظن بذلك وجود تلك الأجسام من غير أن توجد .

ومن شأن ما هو لحاسة ما بالعرض أن يتعاون عليها الحواس ، وعند ذلك يحصل ذلك المحسوس . وسنبين بعد هذا كيف ذلك ولا شيء قوة هو .

(١) راجع أرسطو : De An. ii. 8. 419 b 26; 420 a 4 .

(٢) المخطوطة : نصره .

(٣) الصواب (انينه النغم) (لجنة المجلة)

(٤) المخطوطة : المتقارعين .

(٥) لا يذكر ابن باجة في كتاب النفس واضحاً أنه يقع للبصر غلط .

(٦) المخطوطة : واحد .

والأجسام منها مصوِّنة ومنها غير مصوِّنة . فالمصوِّنة هي التي لها آلة توجد الصوت ، ومحركها هو الانفعال الحادث في أنفسها . ومثل هذه فهي ذوات الأنفس^(١) ومن ذوات الأنفس ماله ربة^(٢) ، وهو ما ينفس^(٣) .
فأما الحيوان المعروف بالصرار وصرار الليل فليس مصوِّناً^(٤) على هذه الجهة ، بل هو مصوِّت^(٥) بالعرض . لأن الهواء يخرج من بين خروقي جوفه^(٦) فيحدث له صوت .

وأما ما هو غير متنفس فليس يحدث صوتاً لو بقرعه قارع . هذا وجود الصوت . ولما كان الحسّ يلحق معنى المحسوس ، كما قلنا ، كان السمع يلحق هذا المعنى الكائن في الهواء وما به وجوده ، فلذلك يلحق الجهة التي منها كانت الصوت وسائر ما يلحقه . ولا يلحق الشكل ولا غير ذلك مما يلحقه البصر إذ^(٧) لم يكن في قوام الصوت .

محمد صغير حسن المعصوبي



(يتبع)

(١) راجع أرسطو : De An. ii. 8. 420 b 5 .

(٢) المخطوطة : ربه .

(٣) المخطوطة : ما تنقى .

(٤) ذكر أرسطو الصوت الحادث اتفاقاً فائلاً : « الصوت الذي هو لك وما أشبهه انما يحدثه بخيشومه أو بمضو آخر له : De An. ii. 8. 420 b II . يظهر أن ابن باجة خالف أرسطو حين قال ان الصوت من صرار الليل مثلاً يحدث بالعرض ، فان الهواء يخرج من بين خروقي جوفه ، ولكنه يوافق أرسطو حين يذكر التنفس ، فإخراج الهواء يحتاج الى الاستثناء أولاً : De An. ii. 8. 420 b 15 ; Hist. An. IV. 9. 535 a 27—536 b 24 وفي هذه المواضع ذكر أرسطو الحيوان المصوِّت ، صرار الليل . وابن رشد يتبع ابن باجة ، راجع : تلخيص كتاب النفس ، الاخواني ، ص ٣٨ .

(٥) المخطوطة : هي مصوِّنة .

(٦) المخطوطة : جوفها .

(٧) المخطوطة : إذا .

التعريف والنقد

الحياة الجنسية عند العرب

الدكتور صلاح الدين النجد

كلما تصفحت معجماً من معجمات لغتنا دهشت من كثرة هذه الألفاظ الدالة على مانسحبه في عصرنا هذا : الحياة الجنسية ، فلا أشأ أن أعرف وضعاً من أوضاع المرأة أو الرجل في هذا الباب إلا عرفت ولا أشأ أن أعتدي الى لفظ يدل عليه إلا أعتديت ، وكنت أسأل نفسي هذا السؤال : هل نجد في لغة من لغات العالم ، قديمها وحديثها ما نجد في لغتنا في هذا المعنى ، وهل عنت أمة من أمم هذا العالم بمثل ما عنتنا به في الحياة الجنسية ، ولست أعرف السر في هذا الأمر ، هل هذا كله راجع الى طبيعة البيئة التي نشأ فيها العرب في ماضي الدهر ، واذا نظرنا في الأخبار التي تنناهى إلينا عن بعض المترفين في هذه البيئة يومنا هذا أدركنا انسجاماً غريباً في هذه العناية بالحياة الجنسية في مواضي الأيام وبواقعها .

فهل من بدعة في جمع أخبار هذه الحياة التي ملئت بها كتب أدبنا القديم ، أفلا تؤلف هذا الأخبار جزءاً عظيماً من هذا الأدب ، في منظوم القول ومنثوره ، أفلا يجب علينا أن نهتم بكل جزء من أجزاء هذا الأدب حتى نعرف خصائص طبائعنا وأضرجتنا .

هذا ما فعله الدكتور صلاح الدين النجد مدير معهد المخطوطات في جامعة الدول العربية ، في كتابه : الحياة الجنسية عند العرب ، فقد استقصى في أخبار هذه الحياة من أيام الجاهلية المتأخرة الى منتهى قرن الهجرة الرابع ، وما أظن أن أحداً جمع ما جمعه في هذا المجال ، فقد تكلم على الحياة الجنسية في العصر الجاهلي والإسلام وأيام بني أمية وبني العباس وانحدر الى طبقات الشعب

فنتبع قصص هذه الطبقات في هذا الموضوع ، ثم أشار الى لغتنا الجنسية وقد أعانه مركزه في معهد المخطوطات على الاطلاع على ما لم يطلع عليه إلا القليل مما يتصل بوصف الحياة الجنسية .

لم تعوز الدكتور صلاح الدين النجد الجراة على هذا التأليف كما لم تعوزه من قبل الجراة على تأليف كتابه : جمال المرأة عند العرب ، وقد تولى الدفاع عن عمله بقوة عجيبة من الحجج والمنطق حتى كاد يقطع السبيل على كل من تحدّثه نفسه بشيء من التنطس أو التوقّر ، فقد دافع في مقدمة كتابه عن طبيعة تأليفه دفاعاً لا أكاد أجدر فيه مغفراً من المغامر وأبد دفاعه بطائفة من الاستشهادات واسعة الآفاق لا أرى فيها مجازاً الى الاعتراض .

ولست أرى حاجة الى أن أذكر أنه رصف أخباره رصفاً سلسلت فيه لغته وسهلت تراكيبه بحيث خلا من كل غمضة أو جمجمة ، أنا نعيش في عصر أصبحت فيه مواجهة الحياة الواقعة أمراً لا مندوحة عنه وأظن أن الحرب من هذه الحياة الواقعة إنما هو من خطأ الأمور ، فلماذا نهرب من أمر نجعله أحداثنا في مجالسنا وخلواتنا ، ولا سيما اذا خلت هذه المجالس من كل كلفة أو تصنع ، لماذا نهرب من أمر عليه مدار الحياة كلها ، ولست أعني بهذا أنه يلزمنا أن نقصر كل همنا وفكرنا على الحياة الجنسية فلا نهتم بأفاق الحياة الباقية ولا تفكر فيها ، وإنما أعني بكل ما قلته أنه لا ينبغي لنا أن ننظأهر بالعفة في أمر من أمورنا ونحن نحلم بهذا الأمر في اليقظة والنم .

وهل عليّ من حرج اذا قذفت برأي خاص في هذه السبيل ، فإني أعتقد أن أدباءنا في القديم اذا كثرت مؤلفاتهم الأدبية هذه الكثرة مما لا انكاد نجد له شبيهاً في العالم ، فالسبب في وفرة إنتاجهم أو من أسباب هذه الوفرة نشاط غرائزهم ولو كانوا يعانون ما نسميه كبت الغريزة لعصيت قلوبهم وصدئت خواطرهم ولما نعم ميراثنا الأدبي اليوم بما ينعم به من مؤلفات منقطعة النظير .



محاضرات عن الأمير شكيب أرسلان ألقاها الدكتور سامي الدهان

من محاسن هذا العصر أن يُنشأ فيه معهد للدراسات العربية العالية يتولى إحياء عصرنا الحديث من مجامع نواحيه ولا سيما من ناحيته الأدبية ، فإن المعهد يكلف كل سنة أساتذة أكثرهم من الطراز الأول أن يحاضروا بالموضوعات التي يُختصون فيها .

في جملة هؤلاء الأساتذة الدكتور سامي الدهان عضو مجمعنا العلمي العربي وعضو المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، فقد ألقى في السنة الماضية على طلبة قسم الدراسات الأدبية في المعهد محاضرات تتصل بالأمير شكيب أرسلان .

وقبل أن أشير إلى موضوعات هذه المحاضرات لا أجد لي مندوحة عن الإشارة إلى عبارة وردت في التصدير ، فقد قال المحاضر حفظه الله : « من الخير أن يتلفت الجيل العربي الصاعد إلى سير أعلامه وآثاره ليقبض من أنوارها الهدى » .

ما أظن أن كلمة القومية رزقت في لغتنا من الشروع ما رزقته في عصرنا هذا فهي على لسان كل خطيب وكل كاتب وكل شاعر ، فإذا كان هذا العصر إنما هو عصر القومية بالنسبة إلى العرب فلا ريب في أن إحياء آثار رجال الأدب والفكر في القديم والحديث إنما هو في مقدمة الأعمال التي تزيد في قوة هذه القومية ، فلا أكاد أفهم كيف نتغنى بالقومية ونحن لا نتغنى بآثار رجالنا في الماضي والحاضر ، فالقومية ليست غرس هذه الأيام وإنما هي غرس الماضي فهو الذي خلقها وهو الذي تعمدها حتى زكا غرسها واستطال وحتى أتى أكله

في أيامنا وإذا كان لهذا العصر فضل فإن فضله في الحرص عليها والفناء في سبيلها .
ولا نستطيع أن نهتم بالقومية العربية دون أن نهتم بالأمير شكيب أرسلان
فالأدب واللغة من أعظم عناصر هذه القومية والأمير شكيب نصر الله عظامه
إمام من أجل أئمة هذا الأدب وهذه اللغة ونحن نحمد الله تعالى إذ يسر لهذا
الإمام أستاذنا بهتدي إلى خصائص عبقريته فيبعث هذه العبقرية من مدافنها
ويلجأ إلى كل سر من أسرارها حتى يكاد الإنسان يحيط بها من كل أطرافها .
لقد تكلم الدكتور سامي الدهان على عصر الأمير شكيب ثم فصل هذا
الكلام بخاض في نواحي حياته وشعره ونثره وأدبه ودفاعه عن العرب والإسلام
ومؤلفاته وثقافته بحيث لا يفرغ القارئ من هذه الفصول إلا وهو يحس بأن
الأمير أرسلان ملء سمعه وبصره .

قال المحاضر في تصديره :

« وهذه المحاضرات التي ألفت لدراسة الرجل الأديب والكتاب المصلح
لا تستنفد القول في أدبه وجهده لأنها واسعة أشد السعة ولكنها تهدف إلى
إثارة الدارسين في العناية بهذا السامي العالم والمكوف عليه والرجوع إلى مصادر
أخرى كثيرة لم نذكرها في هذه الفصول . . »

إذا كان المحاضر يرى أن هذه المحاضرات لا تفي بالغرض الذي يتصور
أفقه الواسع فنحن نرى أنها محاضرات مكثفة يستطيع القارئ أن يجد فيها
ما ينتفع به على أوجز وجه وأقرب وأظن أن المعهد ما لجأ إلى أمثال هذه المحاضرات
إلا لأنها خالية من كل حشو يتعب الذهن ، مشتملة على كل زبدة وهذا هو
فضل كثير من المحاضرات التي تلقى في معهد الدراسات العربية العالية في القاهرة .

كتاب الشرح والإبانة ، على أصول السنّة والديانة لابن بطة العكبري

إن أقوى ما يلتصقه المسلمون من الوسائل لاستعادة مجددم الباهر ، ومدنيتهم الزاهرة ، هو العود إلى العمل بالكتاب والسنة ، والافتباس من نورهما في عصر غلبت فيه الأثرة ، وركب الناس في سبيل شهواتهم وأطاعهم من عمياء « ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور » ألا وإن الأصلين الكريمين هما مستقرّ الحياة الطيبة للمسلمين ، وهما سبيل النجاة من آفات المدنية الحديثة وغوائلها . وهذا كتاب الشرح والإبانة على أصول السنّة والديانة ، للشيخ الإمام أبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان بن بطة العكبري رحمه الله ، وهو كتاب جليل في نحو مئة صفحة ، فيه الدعوة الصادقة التي لا هَوادة فيها إلى لزوم الجماعة ، والمباينة لأهل التفريط والإضاعة ، والتزام هَدْي السلف الصالح ، والتحذير من مغالطة أهل البدع ، والبعد عن كل قول مبتدع ، ورأي مخترع ، وهوى متبّع . ثم بيان حقيقة السنّة وأقوال الأئمة الثقات في مبناها ومعناها . وفي الجملة : إن هذا الكتاب عبارة عن عقائد وعبادات ومعاملات وأخلاق ، معزّزة بالشواهد من القرآن الكريم ، والحديث النبوي وأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة . ولكنه يأتي بالأحداث معرّاة من الأسانيد ، غير معزّزة إلى كتب الصحاح أو السنن والمسانيد ، وقال (ص ٦) تركت أسانيداً روماً للاختصار ، وليته عنّاها إلى مخزّجها ليبحت عن درجتها من الصحة والضعف . وقد ذكر الفرق الإسلامية ورؤساءها ، وطعن ولعن ، وكفر ونفّر منهم ، ثم قال (ص ٦٣) : « وقد أجمعت العلماء - لا خلاف بينهم - أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة » . وقال ص ٩١ : « وكل العلماء يقولون في من سميناه : إنهم أئمة الكفر ، ورؤساء الضلالة » .

وإنما يعرف ما في هذا الكتاب من خطأ وضواب ، من كان واسع الاطلاع على النصوص ، ومناشئ الفرق ومذهبيها ، وقربها من الحق أو بعدها عنه ، « وما يذكر إلا أولو الألباب » .

وهذه شذرة بقلم المؤلف في وصف كتابه :

« وقد أجمعت العلماء من أهل الفقه والعلم والنسك والعباد والزهاد منذ أول هذه الأمة الى وقتنا هذا ، أن صلاة الجمعة والعيدين ومنى وعمرات ، والغزو ، والحج ، والهدي ، مع كل أمير بر وفاجر ، وإعطاءهم الخراج والصدقات والأعشار جائز ، والصلاة في المساجد العظام التي بنوها ، والمشي على القناطر والجسور التي عقدوها ، والبيع والشراء وسائر التجارة والزراعة والصنائع كلها ، في كل عصر ، ومع كل أمير ، جائز على حكم الكتاب والسنة ، لا يضر المخنط لدينه ، والتمسك بسنة نبيه (ﷺ) ظلم ظالم ، ولا جور جائر ، إذا كان ما يأتيه هو على حكم الكتاب والسنة ، كما أنه لو باع واشترى في زمن الإمام العادل بيعاً يخالف الكتاب والسنة ، لم ينفعه عدل الأمام . والمحكمة إلى قضائهم ، ورفع الحدود ، والقصاص ، وانتزاع الحقوق من أيدي الظلمة بأمرائهم وشرطهم ، والسمع والطاعة لمن أولوه وإن كان عبداً حبشياً ، إلا في معصية الله عز وجل ، فليس لمخلوق فيها طاعة . اهـ .

وقد طبعت معه ترجمته بالفرنسية مع مقدمته بها البالغة عشرات الصفحات ، وتحقيقاته وتعليقاته وفهارسه المفصلة ، وقد بلغ كله نحو مائتي صفحة (أي ضعفي الأصل) . وكل ذلك بقلم محققه وطابعه الأستاذ هنري لاوست الكاتب المستشرق وأحد أعضاء مجمعنا العلمي بدمشق ، واني أدع وصفه المنفصل لمن يكتب عنه بدقة وعناية . وقد أشار الأستاذ لاوست في ذيل الصفحات الى الاختلاف اليسير الواقع بين النسختين اللتين طبع عنهما ، والى ما زاد أو نقص في إحدهما عن الثانية ، ولكن الإيضاح بالفرنسية دون العربية ، ومثاله

(ص ٨٣) كلمات ، [أدب ، ونظافة ، ووقاية .] فقد كتب في ذيل الصفحة ما يأتي :

D) Membre de phrase effacé dans D; donné par R.

ومثلها اسم الكتاب فقد كتب على أحد الوجهين من كل ورقة بالفرنسية ، وكان الأولى أن يكتب بالعربية .

والآيات الكريمة مشكولة كلها شكلاً صحيحاً ، ولكن سها النظر عن أحرف يسيرة تشير اليها : (ص ١٢ س ١) وإن هذا صوابه « وَأَنْ » . (ص ١٣/١٩) وَعَمَلٌ : « وَعَمِلَ » . (ص ١٥/٦٢) لِيَتَغَفَّرَ : « لِيَتَغَفَّرَ » . وجاء في (ص ٥/٣٠) إِذَا خَرَجْتَ : إِذَا ائْتَمَرْتَ .

وفي الختام نشكر الأستاذ لادست على ما يخرجه من كتبنا السلفية ، وبمعنى به عناية بالغة .



(الأئمة الاثنا عشر)

المؤرخ دمشق شمس الدين محمد بن طولون ١٥٩٣٥م (ص ١٤٣)

تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد

بيروت ١٣٧٧هـ = ١٩٥٨م

يسرنا جداً أن يظهر في عالم الطباعة والنشر مثل هذا الكتاب لمفخرة الشام والإسلام شمس الدين محمد بن طولون الدمشقي (م ٩٣٥هـ) الذي أحصيت مؤلفاته قبلت (٧٤٦) كتاباً ، وعدّ منها ما أُلّفه في التاريخ والتراجم وأسماء الرجال قبلت (٦٠) مؤلفاً . وهذا الكتاب في تراجم الأئمة الاثني عشر ، وهو المسمى بـ « الشذرات الذهبية » في تراجم الأئمة الاثني عشر عند الإمامية (وم : الإمام علي بن أبي طالب ، وولده الحسن والحسين ، وعلي زين العابدين ،

ومحمد الباقر ، وجعفر الصادق ، ، وموسى الكاظم ، وعلي الرضا ، ومحمد الجواد ، وعلي الهادي ، والحسن العسكري ، والحجة المهدي عليهم السلام والرضوان ، وهم الذين يسميهم الشيعة الإمامية : الحُجَج ، ويمتقدون أنهم معصومون . وقد قام بتحقيق هذا الكتاب الدكتور صلاح الدين المنجد . فبدأه بمقدمة عدَّة فيها مصادر ترجمة ابن طولون ، المخطوطة والمطبوعة فبلغت عشرة ، اثنان منها أجنبيان . ثم أخذ يترجم له منذ حداثة سنه ، الى أن نضج عقله ، وكل علمه ، واتسعت دائرته في العلوم العقلية والعقلية ، الدينية والطبيعية والرياضية ، وذكر ما عهد اليه به من الاعمال الكثيرة من أيام الصبا إلى أن جاوز السبعين من عمره ، مرتبة على سني حياته . وقد وصف كتابه هذا في التراجم ، وأنه ناقل غير قائل ؛ وذكر المراجع التي جمع المصنف « الشذرات » منها ، وصوَّر الورقة الأولى من المخطوطة التي طبع عنها ، ونهج تحقيقه فيها ؛ وأردف النص بفهارس للأعلام ، والأماكن والمصادر التي استند إليها .

وقد استهل ابن طولون ذكر الأئمة الاثني عشر بقصيدة في وصفهم ، وذكر أسمائهم ، والشوق إلى لقاءهم ، من نظم أبي الفضل يحيى بن سلامة الحصكفي (م ٥٥١ أو ٥٥٣) وهو مثل ابن طولون من علماء السنة . ومن قصيدته هذه قوله :

ومصرع السبط فلا أذكره وفي الحشا منه لطيبٌ يقدُّ
يرى الفرات ابن الرسول ظامئاً يلقي الردي وابن الردي يردُّ
حسبك من هذا وحسب من ينسى عليهم يوم المعاد الصددُ

ومن (ص ٤٦) بدت تراجم الأئمة ، وفي أول كل ترجمة ذكر المراجع التي استند إليها الأستاذ الدكتور المنجد في تحقيقاته ، وختم ابن طولون مصنفه هذا بذكر أسانيده وروايته المتصلة بهؤلاء الأئمة الأعلام ، أئمة آل البيت عليهم التحية والسلام .

وكنتي في الختام : هي أن السنة والشيعة هما أكبر مظهر للإسلام ، وهم المرجوون لوراثة تلك الوحدة الدينية ، وتجديد ذلك المجد الدارس علما ودينا وأخلاقا ، وإن أضرب شيئا علينا هو هذه العصبية الموروثة ، والعداوة المحققة ، والتفرق الديني القديم ، « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء » وبمثل هذا الكتاب والقصيدة في تراجم هؤلاء الأئمة ، من جانب علماء السنة ، ووصف مفاخرهم ومآثرهم ، يرجي زوال تلك الإحسان ، وتوحيد الكلمة ، والتعاون على إنشاء دور للعلم مشتركة ، وإحياء ذكرى أئمة البيت عليهم السلام ، وتجديد هديهم وإصلاحهم ، إن شاء الله تعالى .

وقد بلغ التحقيق والطبع الغاية في الاتقان والإبداع ، فلا أستاذ المحقق الدكتور صلاح الدين أطيب الثناء وأخلص الدعاء ، ولداري صادر وبيروت أعطر الشكر .

تفسير القرآن الكريم

التحرير والتنوير . المقدمات ، وتفسير سورة الفاتحة وجزء عم

تأليف المولى الأمام ، الأستاذ الأكبر ، فضيلة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور

شيخ الجامع الأعظم وروعه . منشورات دار الكتب الشرفية . تونس

لأن خير عمل يقوم به رجال الدين والعلم والإصلاح في هذا العصر ، هو هداية الأمة إلى ما فيه إسماعها ، في معاشها ومعادها ، هداية مقننة من نور الخفيفة السمحة والقرآن المجيد ، الذي « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » تنزيل من حكيم حميد » وتفهيمهم أصول الإسلام الراسخة ، وعقائده الصحيحة ، على وجه يشرب قلوبهم حبه والعمل به ، وإن جميع ما شرعه الله

للناس فهو خير مجتمعهم الإنساني ، ولدفع الشرور والقوائيل عنهم . وناهيك
بمصرنا الذي كثر فيه اختلاط الأمم بعضها ببعض ، وتنوعت فيه مطالب
الحياة ، واقتبس الشرق من الغرب مزاياء ورزايا ، وفتحت أبواب العلوم والفضائل ،
كما فتحت أبواب الفجور والمنكرات .

وهذا التفسير الجليل ، لهذا الإمام الكبير ، هو مدد قوي لأولي العلم
والعرفان ، والبر والإحسان ، فيما يرجون من خير الأمة في هذا الزمان .
استمله مؤلفه بمقدمات عشر ، هي من أصول التفسير ومقتضياته ، (فالأولى)
في التفسير والتأويل ، وكون التفسير علماً . (والثانية) في استمداد علم التفسير .
(والثالثة) في صحة التفسير بغير المأثور ، ومعنى التفسير بالرأي وغيره .
(والرابعة) في غرض المفسر . (والخامسة) في أسباب النزول . (والسادسة)
في القراءات . (والسابعة) في قصص القرآن . (والثامنة) في آي القرآن
وسوره وترتيبها . (والتاسعة) في أن المعاني التي تصلح 'جمل' القرآن للحمل عليها
ينبغي أن تعدّ مرادة . (والمقدمة العاشرة) في إعجاز القرآن ومبتكراته .
وقد بلغت هذه المقدمات نحو مائة صفحة . وجاء في المقدمة التاسعة (ص ٧١) :
« إن المعاني التي تصلح 'جمل' القرآن أن تحمل عليها ، ينبغي أن تستبر مرادة ،
وضرب لذلك الأمثال ، منها (ص ٧٥ و ٧٦) قوله تعالى : « استجيبوا لله
والرسل إذا دعاكم لما يحييكم » ومثله : « استجابوا لله وللرسل » والمراد في
الآيتين الامثال والهداية ، وقد حمل النبي ﷺ الاستجابة على المعنى الحقيقي ،
وهو إجابة النداء في حديث أبي سعيد بن المعلّى الذي ناداه الرسول وهو في
الصلاة ، فلم 'يجبه' حتى فرغ من صلاته اه باختصار . ومن هذا القبيل قوله
(ﷺ) « لَأَمْ كَلُومُ بَنَتِ عَقْبَةَ بْنِ أَبِي مَعِيْطٍ حِينَ جَاءَتْ مُسَلِّمَةً مُهَاجِرَةً إِلَى
الْمَدِينَةِ ، وَأَبَتْ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى الْمَشْرُوكِينَ . قَرَأَ النَّبِيُّ قَوْلَهُ تَعَالَى : « يَخْرُجُ
الْحَيُّ مِنَ الْمَيِّتِ » .

ويقول كاتب هذه السطور - بناءً على ما تقدّم - : إن ما يأتي هو ما يصلح أن تحمل 'جمل' القرآن عليه ، وباعتبار مراداً ، وهو في قوله تعالى : وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ « ولا يخفى أن (ما) من ألفاظ العموم عند علماء العربية والأصول ، فقوله (وأعدوا) هو أمر عام موجب على الأمة والدولة بذل أقصى المستطاع في إعداد القوة والدفاع عن الملة والحوزة ، وقد جاء اللفظ منكراً « من قوّة » ليشمل كل قوّة ، وهي تختلف باختلاف الزمان والمكان . وفي عصرنا تعمّ بعموم اللفظين ، - (ما) استطعتم من (قوّة) - القوى البرية والبحرية والجويّة . ومن معناها قوله تعالى « فن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » فهي أسرة بصدّ كل عدوان يصدر من المجرمين ، أو الأعداء المحاربين ، وباعداد سلاح من جنس سلاحهم مما اختلف أنواعه ، وتعددت أسماؤه ، وفي صحيح مسلم من حديث عقبة بن عامر أنه سمع النبي (ﷺ) - وقد تلا هذه الآية - يقول : ألا إن القوة الرمي ، فالها ثلاثا ، ولفظ الرمي - كما يدلّ على قذيفة السهم والمخنيق ، فهو يشمل القذائف النارية التي تقذف من المدافع والطائرات وغيرها .

ونحن لا نقول لأن النصوص دلت على هذه القوى والأسلحة بأعيانها ، أو سمّتها بأسمائها ، بل نقول : لأنها شملتها بعمومها لأنها من أفراد هذا العموم . وفي سورة (يونس) : « وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون ، وخلقنا لهم من مثله ما يركبون » وهذه الآية كما تدلّ على (سفائن برّ والسرايا بجارها) تدلّ بعمومها على القطر الحديدية ، والسيارات البرية ، والسفن الهوائية ، وغيرها مما ظهر وسيظهر في عالم الوجود . ومثلها آية « ويخلق ما لا تعلمون » . أفما يصحّ أن يكون هذا الإيجاز الشامل طريقاً من طرق

الإعجاز ؟ بلى ! وإلا فما معنى كون القرآن لكل زمان ومكان ،
وكونه لا تنناهى عجائبه ^(١) ؟ .

وإني مورد شذرة من أسلوب الأستاذ في تفسيره ، قال حفظه الله في تفسير :
« إياك نعبد وإياك نستعين » : تنهياً لأصحاب هذه المناجاة أن يسعوا لتحصيل
حظوظهم الشريفة من طلب الهداية ، فانهم لما حمدوا الله وصفوه بصفات الجلال ،
ثم أتبعوا ذلك بقولهم : « إياك نعبد ، وإياك نستعين » الذي ظاهره خبر ،
وفيه تمييز بالطلب ، لأن الحمد ، الحظ فيه للحمد ، بخلاف قولهم :
إياك نعبد ، وإياك نستعين ، ففيه ثناء على الله تعالى بأنه المخصوص بالعبادة ،
والاستعانة ، وفيه حظ للعبد بأنه عابد ومستعين ، وانه قاصر على الله تعالى ،
فكان ذلك واسطة بين الثناء وبين الطلب ، - انتقلوا به من ثناء إلى واسطة ،
حتى إذا ظنوا ببرهم الإقبال عليهم ، ورجوا ذلك من فضله ، أفضوا إلى
سؤالهم ، فلذلك قالوا « اهدنا الصراط المستقيم » وهذا الوجه هو المناسب لكون
الفاحة ديباجة القرآن الذي جاء ليهدي الطالبين للهدى والرحمة ، فقوله : « اهدنا
الصراط المستقيم » هو حظ الطالب خاصة ، وشروع في طلب ما ينفعه عاجلاً
وأجلاً .

كتب شيخ الجامع الأعظم الزيتوني في تفسير هذه السورة ما يقرب من
ثلاثين صفحة ، ولا يستكثر هذا على سعة علمه ، وفي التفسير القيم للإمام
ابن القيم (م ٥٧٥١) استغرق الكلام على « إياك نعبد » ما يقرب من خمسين
صفحة ، وهل يعجب القارئ من هذا من بعد أن يعلم أن هذا الإمام يرى
أن « مِرَّ الخلق والأمر والشرائع والثواب والعقاب انتهى إلى « إياك نعبد ،
وإياك نستعين » وانه قد شرح « منازل السائرين إلى الله » لأبي إسماعيل الهروي

(١) من مقال لنا في إعجاز القرآن ، نشرناه في مجلة المجمع العلمي (م ٥٦٠ / ٣٠ -

بثلاثة مجلدات كبار ، وسمى شرحه : (مدارج السالكين ، بين منازل :
إياك نعبد وإياك نستعين) ومن وقف على هذه المنازل ، ذكر قول القائل :
(لك يا منازل في القلوب منازل) .

وقد بلغ هذا التفسير ، المسمى بالتحريير والتنوير ، (٣٧٨ صفحة) .
وذكر الأستاذ في مقدمته أمّ كُتب التفسير المطبوعة ، وقال : ولقصد الاختصار
أعرض عن العزو إليها ، وقد ميّزت ما يفتح الله لي من فهم في معاني كتابه ،
وما أجليه من المسائل العلمية ، وأقوال العلماء ، بما لم يذكره المفسرون - بعلامة
نجم في ابتدائه ، ونقطة غليظة في انتهائه اه .

قلت : لم يعجز الأستاذ الأكبر بحمد الله أن يكون مصداق المثل السائر :
(كم ترك الأول للآخر) مدّ الله في حياته ، وبارك في أوقاته . وكنا نودّ
أن تكون الآيات الكريمة المفسّرة مشكولة شكلاً تاماً ، ومثلها آيات الشواهد ،
مرفقة بأرقامها وأسماء سورها ، ليسهل الرجوع إليها ، وأن تُرمزى الأحاديث
النبوية إلى مخرجها أصحاب الصحاح والسُنن والمسانيد ، وأن يُضاف إلى إصلاح
الأغلاط في الكتاب ما يأتي : (ص ٨٥ س ٢١) بقصاحته : بقصاحته .
(١٢ / ٩٦) لو كان فيهم : فيها . (٢٠ / ٢٦٣) إخوانه الصغار وأخوانه : إخوانه
وأخوانه . (١ / ٣٤٥) صحیحات مال : صحیحات (٢٣ / ٣٤٥) طرفه :
طَرَفَة (٢٥ / ٣٥٧) المانعون : الماعوف .

ولعلّ صدقنا الأستاذ « الفاضل » فنجل أستاذنا الأكبر بتولّى ذلك كلّ
في طبعة ثانية برعاية والده الإمام وعنايته ، إن شاء الله تعالى .

أنا والشعر

للأستاذ شفيق جبيري

وهو يشتمل على عشر محاضرات ألقاها المؤلف على طلبة قسم الدراسات
الأدبية والفنية في معهد الدراسات العربية العالية . طبع في القاهرة
سنة ١٩٥٩ ، عدد صفحاته ١٣٥ من القطع الوسط

لم أرَ أحداً من شعراء العرب في القديم والحديث كان أذكر لتجاربه الشعرية
من صديقي الأستاذ شفيق جبيري . فقد ذكر في هذا الكتاب تجاربه الشعرية
بمتنهي الإخلاص والصراحة ، فتكلم على أول عهده بنظم الشعر ، وعلى تجربته
الشخصية في الشعر الوطني والشعر الغنائي والمرثي ، وعلى مذهبه في النظم من
حيث وحدة القصيدة وصيغتها والفكر الرياضي في أدبنا ، وختم محاضراته هذه
بالكلام على سحر العبقرية الفنية بوجه عام ، وعلى مستقبل الشعر بوجه خاص .
أما أول عهده بالشعر فيرجع الى سنة ١٩١٣ وهي السنة التي ترك فيها المدرسة
الثانوية وانصرف الى مطالعته الخاصة ، فحفظ شعر المتنبي وطائفة من شعر المعلقات ،
وقرأ شعر الجبيري والشريف الرضي ، وعاشر فريقاً من الأساتذة الذين تتفاوت
أذواقهم في فهم الشعر النقي الخالص كخير الدين الزركلي ، والشيخ فؤاد الخطيب
والشيخ رضا الشبيبي وغيرهم ، وتدرج في ذلك حتى أكسبه الحفظ ملكة شعرية
راسخة ، ففسر أولى قصائده وهو دون العشرين من سنه ، وهي قصيدة في الرثاء
قلد فيها رثاء الشريف الرضي لأبي اسحق الصابي . ولا عيب في ذلك فإن
المتنبي والجبيري كانا يقلدان أبا تمام . والتقليد كثيراً ما يقع في أول نشأة
الشاعر ، ثم يأتي بعده الاستقلال والانفراد . ثم انه لما فرغ من هذه القصيدة
يبحث عن مصدر آخر يستلمحه الشعر فرأى أن يستعين بنظرات المنفلوطي لعله
يجد فيها ما يلهمه شعراً ، فوقع على أول نظرة من نظراته وعنوانها (الغد)

فنظم قصيدته (خيال الغد) ضمنها بعض معاني المنفلوطي ولكنه لم يتقيد فيها بكل ما جاء في نظراته . ثم بحث عن مصدر آخر يقتبس منه فكرة جديدة فوجد في مختارات من الأدب الفرنسي قطعة لـ (ماسيون) عنوانها الزمان فألهمته موضوع قصيدة لم يأت فيها بشيء مما جاء في تلك القطعة ، ولكنه وصف فيها الزمان على النحو الذي ألفه شعراؤنا في الماضي . وهكذا كان شفيق جبيري في أول عهده بالشعر يقتبس أفكاره من الكتاب والشعراء ويصوغها في قالب شخصي يبتكر صورته كما يشاء بحسب ذوقه وفننه ، وبفرغها في ألفاظ موسيقية جميلة بمعنى يرصفها عناية بالغة ، ولا غرو فان حكم المعاني كما يقول الجاحظ «خلاف حكم الألفاظ» لأن المعاني مبسطة الى غير غاية وممتدة الى غير نهاية ، وأسماء المعاني مقصورة معدودة ومحصلة محدودة» وإنما نخبنا تلك المعاني في الألفاظ ، فهي التي تجعل المجهول معروفاً والوحشي مألوفاً ، وعلى قدر وضوح الألفاظ يكون إظهار المعنى .

هذا ما ذهب اليه شفيق جبيري في شعره الوطني وشعره الغنائي وفي صراحيه . لقد كان شعره الوطني في أول عهده تحريضاً على الأجنبي ، وحثاً على الثورة ، ودعوة الى القومية العربية ، فانقلب بعد ذلك الى شعر غنائي يتغنى فيه الشاعر بجمال بلاده تارة ، وبلتجي الى أحضان الطبيعة تارة ، وبنفس بذلك كله عن النار المتأججة في قلبه بشعر هادي في ظاهره حماسي في باطنه موسيقي في ألفاظه . فلم يكن التجاؤء الى الطبيعة إلا أسلوباً في التعبير عن ألم البلاد ، والا سبيلاً الى النوح والتغنى بأشجان الوطن وآماله . انظر الى قصيدته التي قالها في نوح العندليب على أثر أزمة عاطفية :

دع العندليب على غصنه يردد على الغصن أحزانه

فان هذه القصيدة التي صور بها شعوره وعاطفته وآلامه الشخصية انقلبت في نهايتها الى شعور وطني يكي فيه الشاعر وطنه فخرها بقوله :

أتبكي العنادل أوطانها ولا يندب المرء أوطانه

لقد غلبت هذه النزعة الوطنية على نفس الشاعر فكان كما أتيح له الإفصاح عن شعوره الوطني في حفلة من حفلات التكريم أو التأبين تغنى بوحدة العرب وقوميتهم ، فكان غايته الأولى من شعره التعبير عن آلام بلاده لاعن آلام نفسه ، ومع انه ليس من الضروري أن يجس الشاعر نفسه على التفتي بالوطن ، ولا أن يتكلم على نزعاته الخاصة ويصور أفراحه وأحزانه الخاصة دون أن يصور آلام بلاده ، فإنَّ الفرص التي أتيح لشفيق جبري فيها الإفصاح عن حبه وخوالج نفسه كانت قليلة جداً في حياته . لقد أحب الطبيعة حتى ملكت عليه مشاعره ، ولكنه لم يعط هذه الطبيعة التي أحبها ، واستجقه من العناية ، بل كان اذا صور جبالها وسهولها وأنهارها وبحارها وأوديتها وغاباتها لا يصور إلا حالة وطنه النفسية والاجتماعية ، فلم يستطع أن ينظر الى الطبيعة نظرة مجردة ، وانما كانت الطبيعة سبيلاً الى تصوير شعوره الوطني .

وكما أحب شاعرنا الطبيعة فكذلك أولع بالمرأة ووقع في أزمت عاطفية عنيفة ، ولكن أثر ذلك في شعره قليل جداً . لقد نظم في المرأة عدة قصائد ، ولكن المرأة التي تجلها في هذه القصائد لم تكن إلا ذلك المخلوق الضعيف الذي حرمه المجتمع أبسط حقوقه الطبيعية ، فكان يرمز بمقام المرأة في المجتمع الى مقامها في قلبه ، وبكثفي بهذا الأسلوب الرمزي للتنفيس عما يشعر به . ولعل ذلك ان يكون من تأثير الحياة الاجتماعية في نفسه ، أو من فرط حسه ، أو من شدة شعوره الوطني . لم يجب أحد أمه مقدار حبه لأمه فشغل حبها كل ناحية من نواحي قلبه فلما توفاه الله لم يقل فيها الا أربعة أبيات ، ومن أغرق في الحزن غرقت نفسه فيه فلم يجد في اللغة ألفاظاً يعبر بها عنه ولا في الشعر صوراً تسكن لواعج قلبه . أما القصائد التي رثى بها شفيق جبري طائفة من رجال الأدب والشعر والسياسة فقد حاول أن يبرز فيها خصائص كل رجل على حدة بحيث تكون هذه الخصائص عبرة للناس . فجاءت كل قصيدة من هذه القصائد مشتملة على صور لا تنطبق إلا على الرجل الذي قيلت فيه ، ومشتملة في الوقت نفسه على

أطوار متصلة بالصورة الأصلية . فإذا رثى شاعراً كولي الدين يكن اغتنم الفرصة لتغني بمنزلة الشعر في الأنم ، وإذا رثى فوزي الغزي تكلم على ثورة الشام وبتولاتها ، وإذا رثى (سعد زغلول) تكلم على الزعامة وأثرها في توحيد كلمة الشعب . وأنت إذا قرأت قصيدته في رثاء حافظ إبراهيم رأيت أن الصفة البارزة التي صورها في رثائه هي بؤس حافظ ، وإذا قرأت قصائده في المتنبي والمعري وشوقي رأيت يحاول أن يصور حياة كل واحد منهم من جميع نواحيها . فالمتنبي في نظره شاعر مغرط الحس شديد القلق والاضطراب ، همه ادراك المعالي والابتعاد عن اللذات الخسيسة ، والمعري شبيه بالمتنبي في فرط حسه ، ولكنه متقشف في حياته زاهد في الدنيا الخ .

ولم يكن لشفيق جبيري شرط خاص في نظم الشعر ، فقد نظم الشعر في أمكنة مختلفة وشروط مختلفة ، ولكن المهم كما يقول ان يهتدي الشاعر الى مطلع جديد ، فإذا جاء المطلع على النحو الذي يرضيه هانت عليه القصيدة . فالمطلع في نظره هو مفتاح القصيدة ، ولكنه لا يكفي للايجاء بجميع المعاني التي يحتاج اليها الموضوع ، فلا بد إذن من الفكر لتصور بنية القصيدة تصوراً كاملاً . لقد كانت قصائد شفيق جبيري الأولى بالرغم من تماسك الأجزاء في مقاطعها خالية من التخطيط والتنسيق ، لأنها كانت تعبر عن الثورة المتأججة في قلبه ، فكانت نفسه تتور فتأقي القصيدة بحسب هذه الثورة . أما قصائده الأخيرة فقد تخيل فيها أجزاء الموضوع ورتبها ترتيباً منطقياً فجاءت مشتملة على وحدة تامة لا تجد فيها بيتاً يحسن تقديمه أو تأخير ، وهذا لعمري فتح جديد في الشعر العربي ، لأن أكثر شعرائنا في الماضي لم يهتموا بوحدة القصيدة ، ولا خطر ببالهم تنسيق أجزائها ، مع أن التنسيق ضروري لتحديد أجزاء الموضوع واستيعاب جميع أقسامه . ومتى رتب الشاعر هذه الأجزاء استطاع أن يلم في كل جزء منها بالصورة اللازمة له ، ولا يزال ينتقل من جزء الى جزء حتى تظهر وحدة القصيدة في أكل وجه .

أما مذهبه في صيغة القصيدة فيقوم على تصور الموضوع وجمع الصور وتخمين الأفكار وانتقاء الألفاظ ، فإذا تم له ذلك يبحث عن البحر المناسب لمعاني القصيدة ، فإذا انتهى إلى هذا البحر فنش عن القافية المناسبة ، ثم إذا اجتمع له البحر والقافية بحث عن المطالع المناسب ، وفي هذا البحث كما ترى جهد فكري ، نعم أن الشاعر قد يبلغ هذه الأمور عفواً كما حدث ذلك لشفيق جبري في أول عهده بالشعر ، ولكنه لا يبلغ السكال إلا بهذا الجهد الفكري المبذوع . لا يعرف هذا الجهد إلا من يعانيه ، فهو الذي يخطر الأفكار ، وهو الذي يفجر ينابيع الصور ، ويكشف عن تناسقها العميق وانسجامها الدقيق . نعم أن الشاعر في أول عهده لا يفكر في التنقيح والتنسيق ، ولكنه إذا أدرك سر الإبداع فطن لما بين الأفكار من تناسب هندسي ، ولا يزال يفكر في هذا التناسب حتى يجذف المنافر والمنافي . أما العناية بالألفاظ فهي ضرورة للشاعر في كل مرحلة من مراحل شعره ، لأن الألفاظ كما يقول شفيق جبري هي سر الشعر وروحه . فهي التي تبرز صورته وتظهر محاسنها . أن بينها وبين الصور صلة روحية عميقة ، وهما تكون الصورة جميلة فإذا لم نرزق لفظاً جميلاً يشاكلها فيضما ويلهما فقدت الشيء الكثير من جمالها .

وسهولة اللغة في نظر صديقنا الشاعر أساس البلاغة ، قال : « لقد شبهوا هذه السهولة بضياء الشمس ، فقد يبدو شعاع الشمس للعيون أبيض صافياً ، ولكننا إذا حملنا عناصره وكشفنا عن الطيف الشمسي وصلنا إلى ألوانه الزاهية المعجبية ، ألا أنت هذه الألوان قد اختفت وراء بياض الشعاع الناصع ، وكذلك سهولة اللغة فإنها تخفي وراءها عناصر البلاغة التي أنشأت هذه السهولة ومهدت السبيل إليها » ، (ص ٩٨) فوراء الألفاظ اذن عدد لا نهاية له من الصور ، والإبداع الفني إنما هو إظهار الصور المخزونة في الذهن بواسطة الألفاظ المتخيرة . كأن اللفظ الموسيقي هو الذي بقدره بالذهن فنخرج منه النار ،

ولولا ذلك لما ظهرت الصور ، ولما رأينا ألوانها المتسقة العجيبة . وهذا طبيعي في الشعر ، لأن الشاعر لا ينتقل من المجرد الى المحسوس ، بل ينتقل من المحسوس الى المحسوس ، حتى اذا تجلّى له المحسوس بجميع صورهِ وألوانهِ ارتقى منه الى فكرة عامة مجردة تحيط بذلك المحسوس احاطة تامة . وجمال اللفظ في الشعر انما يكون باقتراحه بلفظ آخر يناسبه ، فلا تدب فيه الحياة الا اذا انتزع من موضعه في المعجم وقرن في الشعر أو في النثر بلفظ يماثله .

ولكن كيف يهتدي الشاعر الى الصورة ، فهل تقيمه الصورة ثم يقيمه اللفظ أم اللفظ هو الذي يوحى اليه بالصورة . يقول شفيق جبري في الجواب على هذا السؤال إن الألفاظ هي التي تستدعي الصور ، وهذا أمر مجرب يعرفه علماء النفس كما يعرفه الشعراء ، ولكن كثيراً ما يتجىء الصور والألفاظ معاً دون أن يفصل بينهما زمان ، وسبب ذلك ارتباط الصورة باللفظ ارتباطاً محكماً . وما قيمة الصورة التي لا نستطيع أن ندل عليها بلفظ يناسبها ، إنها لا تثبت في الذهن بل تبقى غامضة كالليل مموجة كالسحاب .

فأنت ترى أن كتاب (أنا والشعر) الذي أنحفنا به صديقنا الشاعر يشتمل على تجارب جميلة واعترافات صادقة وملاحظات نفسية عميقة . وهو أول كتاب نجد فيه شاعراً عربياً يحلل تجاربه الشعرية ، ويكشف عن أسرار فنه ينتهي الصدق والصراحة ، ومن حسن ذوق المؤلف انه مثل لنا تجاربه الشعرية بأشعار مختصرة ، فجاءت هذه الأشعار معبرة عن فنه أحسن تعبير . بيد أن تجارب شفيق جبري كثيرة لم ينسج كتابه لذكرها كلها ، وقد رزقه الله من قوة الخيال وحسن التعبير وصدق العاطفة ودقة التصوير ما جعله مصوراً حاذقاً يقف من تجاربه الشخصية موقف العالم من حوادث الطبيعة ، فترجو أن تتاح له الفرصة لتأليف كتاب جديد يضمه تجاربه في النثر ، ولا شك أننا سنجد في قراءة هذا الكتاب الجديد ما وجدناه في مطالعة الكتاب الأول من لذة ومنة وفائدة .

تاريخ قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك

تأليف عارف العارف

طبع الكتاب بمطبعة دار الأيتام الإسلامية الصناعية بالقدس ،
في (٢٤٨) صفحة من القطع الوسط

نشر الأستاذ المؤلف قبل سنين كتاب (تاريخ الحرم القدسي) ثم ظهر له فيما بعد نواح جديدة لا بد من استجلاء غوامضها ، والتوسع في دراساتها ، على ضوء ما انتهى اليه تحقيقه ، وما توصل اليه في هذا البحث غيره من المؤلفين والباحثين ، فأعاد طبعه بامم جديد وهو (تاريخ قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك) ، وأضاف اليه لمحة من تاريخ بيت المقدس أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين .

يحتوي الكتاب على خمسة فصول ، تناول في الأول تاريخ القدس ، وبحث في الثاني عن قبة الصخرة المشرفة ، وخص الفصل الثالث بالمسجد الأقصى المبارك ، ووصف في الرابع الحرم القدسي في يومه وأمه ، وذكر في الخامس المعتقدات التي نشأت في تكريم هذه الأماكن المقدسة والأساطير التي نسجت حولها ، وما قيل في استنكار رجال الدين لاكثرها .

وقد دعم أبحاثه بنصوص نقلها عن السلف أو بما عثر عليه منقوشاً على جدران الحرم ، كما اعتمد على آراء أهل المعرفة وذوي الاختصاص .

وقد جاء هذا الكتاب على أكمل وجه بدقة أبحاثه وسعة محتوياته . جمع فيه المؤلف زبدة الأقوال والأبحاث والدراسات ، ودون معلوماته الشخصية التي رافقها وشارك الرأي فيها ، بحكم منصبه آنذاك في رئاسة بلدية مدينة القدس . ومن الملاحظات البسيطة التي عثرت عليها في ضبط بعض الأعلام ويحسن

التنبيه اليها وإن كانت لا تختفي على الفارئ ، منها : في (ص ٢٥) المرقال بن هشام وصوابها المرقال هشام بن عتبة ، والمرقال هو لقبه . وعروة بن مهلهل بن زيد الخيل ، صوابها عروة بن زيد الخيل بن مهلهل ، ومسبب الفزاري صوابها مسيب الفزاري .

تشهد أبحاث الكتاب عن تمكن المؤلف من موضوعه ، فنشكر له جهده وعنايته .



٥٥ ألف كيلو متر على دراجة نارية

للرحالة العربي عدنان حسني تملو

كتاب في (٢٨٩) صفحة من قطع الوسط مزودان بالصور والمخططات
طبع في مطبعة الإنشاء بدمشق

إن حب الأسفار للاستطلاع أو الكسب هو خلق أصيل في نفوس العرب ، نجده عند حضرم ويدوم على حد سواء . وأكثر ما تنجلي هذه النزعة عند عربان البادية ، فهم أبداً على سفر ، لا يستقر لهم قرار ، لا صيفاً ولا شتاء ، فقد آثروا هذه الحياة المشردة بقرها وحرها وشظف عيشها ، على حياة الحضر وسكونها يسر معاشها . وقد فرض الله تعالى على من له قدرة من عباده أن يسير في الأرض لينظر ويعتبر ، ويعلم غيره بما علم . وأطنب شعراء العرب بمدح الخلفاء والملوك والأمرء بالسير في البلاد ومعرفة الأمصار ، وتنافس بذلك رواد السلف ، كابن فضلان ، وابن جبير ، والبكري ، والهمداني ، وابن بطوطة ، وياقوت ، فحفظوا آثاراً خالدة بما شاهدوه في رحلاتهم وحصيلته تطوافهم .

وجاء حين من الزمن خمدت فيه الهمم ، وزهد الناس بالرحلات العلمية على

يسرها في عصرنا ، واستعاضوا عنها بأسفار المتعة والترويح عن النفس ، كأن
ليس لهم قلوب تمقل ولا عيون تبصر ، يستأثرون بمشاهداتهم ، ولا ينفع
بها أحد .

وأراد صاحب هذه الرحلة الشاب الجريء السيد عدنان تلاو أن يصل ما انقطع
من سيرة السلف ، وأن يكون من الرواد العاملين ، فضرب بقدره على
بأقدامه وصمو غابته ، وحزم أمره على مغامرة ، وهو لا يملك من أسبابها إلا
عزيمة الشباب وقوة الإيمان ، فطاف بوسائله الخاصة على دراجته النارية بلاد
الأردن ، والعراق ، وإيران ، وباكستان ، والهند ، وأفغانستان ، والاتحاد
السوفياتي ، وفنلندة ، والسويد ، والنرويج ، والدانمرك ، وألمانية ، وبولونية ،
وتشيكوسلوفاكية ، وهنغارية ، والنمسا ، وهولندة ، وبالجيك ، وسويسرة ،
وإيطالية ، وأصبانية ، والبرتغال ، والمغرب العربي ، وتونس ، وليبيا . وكان
حيث حل ، خير رسول ، وأفضل ممثل للشباب العربي الوثاب ، ورجع إلى
بلده مزوداً بأطراف الأخبار عن رحلته ، أودع حوادثها هذا الكتاب ، وقد
وصف فيه طبيعة البلاد التي زارها ، وحدثنا عن تقاليد سكانها ، وروى
مألفاته من ترحيب وأعراض ، وما كابده من عسر وعناء . وقد وجدناه
بعد عودته من هذه المشاق أمضى عزمية ، وأقوى شكيحة ، عما كان عليه
قبل هذه الرحلة ، وهو مصمم على مواصلة رسالته لتعريف العالم بالبعث
العربي الوثاب .

بعضر الحسني

الإمام الصادق ملهم الكيمياء الدكتور محمد مجيب الهاشمي

تفضل المجمع العلمي الموقر وكلفني بالتعريف بهذا الكتاب الذي سبق لي أن اطلعت على بعض محتوياته حين أهداني مؤلفه نسخة من الطبعة الأولى .
ولما كنت قد قرأت النسخة الأولى بإمعان وتلا ذلك سفرات الى مناهل العلم في القاهرة تمت خلالها مناقشات في هذا الموضوع بيني وبين المرحوم الدكتور عبد الحميد أحمد عضو جمعية تاريخ العلوم عند العرب فقد تكونت لدي فكرة جيدة عن هذا الكتاب خرجت منها بأن كل ما ذكر عن علاقة الإمام جعفر الصادق بالكيمياء وهم لا صحة له وأن الكتب التي نسبت اليه ألُفَت بعد وقت طويل من وفاة الإمام .

وان جابر بن حيان نفسه لم يصرح بوضوح أنه ألهم الكيمياء من الإمام الصادق بل كل ما هنالك ، ان صبح وجود علاقة بينهما ، إلهامات روحية ودينية لا تمت للكيمياء بصلة ما .

والطبعة الثانية من الكتاب حوت مقدمة كبيرة استعرضت تقدم العلوم عند العرب وتناولت أبحاثا يشكر عليها المؤلف كعرضه لنظرية روسكا وتدقيق هوليارد . ولا أظن المؤلف إلا مشاركي في الرأي بأن التعرض لتشيع أبي العلاء وتصوف جابر كلها بعيدة كل البعد عن الغرض من وضع الكتاب وموضوعه .
وعلى كل فلهذه المؤلف الشكر على الجهود التي صرفها لنشر هذا الكتاب ولعل من ينالوه ينتفع ببعض ما به .

حسن السقا

آراء وأبناء

الدكتور عبد الوهاب عزام

١٨٩٤ — ١٩٥٩

اغتالت المنية علماً من أجل أعلامنا ، هو الزميل الراحل الدكتور عبد الوهاب عزام ، جزعت له نفوس عارفي فضله وأخلاقه ، وعم الأُمى الأوساط العلمية في دنيا العرب ، فقد ترك المرحوم بموته في الثقافة العربية صدقاً قد يطول جبره ، انفراد بين العرب المعاصرين باختصاص زهد به غيره ، وقد دأب على دراسة الثقافة التركية والفارسية والاردنية فتبحر في آدابها وتاريخها ، ونقل الى العربية روائع آثارها .

وكان رحمه الله فضلاً عن علمه الغزير ، يتجلى بالشئال الطيبة ، والأخلاق الحميدة ، والمروءة الصادقة ، وكان وفيّاً لزملائه ، أميناً لعلمه ومترفعاً عن استنثاره . وهو عضو بالمجمع اللغوي المصري والمجمع العلمية في سورية والعراق وإيران . ولد المرحوم سنة ١٨٩٤ في شوبك الغربي في الاقليم المصري وأسرته ليلية الأصل وتخرج بمدرسة القضاء الشرعي ، وعين مدرساً بها سنة ١٩٢٠ ، ثم عهد اليه الإمامة في السفارة المصرية في لندن ، ونال سنة ١٩٢٣ إجازته في الآداب من الجامعة المصرية ، والتحق سنة ١٩٢٤ بجامعة لندن ودرس اللغة الفارسية ، فنال شهادتها بدرجة أستاذ في الآداب سنة ١٩٢٧ . ثم عين مدرساً في جامعة فؤاد الأول ، وتولى فيها تدريس الأدب العربي واللغة الفارسية والتركية ، ونال شهادة الدكتوراه برسالة عن الشاهنامة . ولما أنشئ معهد اللغات

الشرقية في جامعة فؤاد الأول تولى رياسته ، ثم صار عميداً لكلية الآداب
سنة ١٩٤٥ .

ثم انتقل من أمرة التعليم الى السلك السيامي الخارجي فعين سفير مصر في
المملكة السعودية وبباكستان ، ولما تقاعد من مناصبه الحكومية استدعته حكومة
المملكة السعودية لأجل تأسيس جامعة في الرياض حيث توفاه الله وهو على
رأس عمله وبأتم نشاطه .

كان رحمه الله يجيد اللغة الفرنسية والانكليزية والفارسية والاردية والتركية ،
وزار بلاد فرنسة وبريطانية وإيطالية وسويسرة وبلجيكا وتركيا وبباكستان
وايران وجميع الأقطار العربية . وله زهاء عشرين كتاباً في التاريخ والآداب
العربية والفارسية والتركية والاردية ، بعضها مترجم من الفارسية والاردية منها :

- ١ - ترجمة كتاب الشاهنامة الى العربية .
- ٢ - كتاب التصديق وفريد الدين العطار .
- ٣ - كتاب فصول المثوي .
- ٤ - خلاصة تاريخ الأدب الفارسي .
- ٥ - ترجمة جواهر مقالة الى العربية .
- ٦ - ذكرى أبي الطيب المتنبي بعد ألف عام .
- ٧ - نشر ديوان المتنبي مع مقدمة وافية .
- ٨ - نشر كتاب كليلة ودمنة مع تعليق ومقدمة وافية .
- ٩ - كتاب الرحلات .
- ١٠ - مقالات أدبية ومنظومات .
- ١١ - نشر رسائل صاحب بن عباد .
- ١٢ - الشوارد .

-
- ١٣ - المثاني .
 - ١٤ - مجالس السلطان الغوري .
 - ١٥ - محمد اقبال .
 - ١٦ - مذكرات في تاريخ الأمة العربية .
 - ١٧ - مهد العرب .
 - ١٨ - موقع عكاظ .
- وغير ذلك من المؤلفات والمحاضرات والمقالات في المجالات ، وعناؤنا بالفقيد
الراحل ما خلفه لأمتة من آثار خالدة تحيي ذكره رحمه الله رحمة واسعة
وضاعف حسناته .

علاوة خامسة في فوائد تاريخية وعلمية

من حياة : شيخ الإسلام ابن تيمية

كنت نشرت فصولاً في مجلدات مجمنا العلمي بدمشق في حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ، ثم طبعت تلك الفصول مستقلة في الجزء الثاني من محاضرات المجمع العلمي الذي طبع (سنة ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م) ص ٦١ - ١٢٩ من بعد أن حاضرت فيها في قاعة المجمع ؛ وهذه الفصول والعلاوات أولها : تاريخي علمي تضمن دفع الفرية التي وردت في رحلة ابن بطوطة ، عن حديث نزول الرب كل ليلة إلى سماء الدنيا ، وأنه قال - وهو يخاطب الجمعة على منبر دمشق - كنزولي هذا ، ورددناها بثلاثة أمور : الأول أن ابن تيمية لم يكن خطيب المسجد ، بل كان واعظاً ومدرساً . والثاني أن ابن بطوطة لم يره ولم يجتمع به ، إذ كان وصول ابن بطوطة إلى دمشق في أواخر شهر رمضان سنة ٧٢٦ هـ وابن تيمية دخل قلعة دمشق في أوائل شعبان (سنة ٧٢٦ هـ) ولبت فيها إلى أن توفاه الله تعالى سنة ٧٢٨ هـ . والثالث أنه ذكر حديث النزول في مواضع من كتبه ولم يقل فيها كنزولي هذا .

العلاوة الثانية : في اختياراته ومنها قضية الطلاق في الإسلام .

(٣) ترجيحه لمذهب السلف في أمر المعتقد .

(٤) تحقيقه لوحدة الأديان ، وأخوة الرسل الكرام ، عليهم السلام .

ثم رأيت لبعض مؤرخي عصرنا المحققين كتاباً مستقلاً في حياة الشيخ ، وفيه مباحث تاريخية علمية دينية ، تتعلق بسيرته رحمه الله وفيها وهم واشتباه ، فكان عليّ أن أنبه إلى ذلك ، لتكون حياته الطيبة خالية من الشوائب التي علقت بها ، وإن لم يكن معصوماً ، ولتكون (علاوة خامسة) على العلاوات الأربع التي نشرت مع المحاضرة

(ص ٦١ - ١٢٩ ج ٢ من محاضرات المجمع العلمي) ففنها دعوى منه زيارة القبور ، لاصيا قبور الصالحين ، وأعظمها قبور الأنبياء والمرسلين ، لاصيا خاتم النبيين ، عليهم جميعاً أفضل الصلاة والتسليم . وقد أجاب عن هذا بقلمه ، ودفع الغربة بنفسه ، فقال : « إن السفر إلى مسجده ، وزيارة قبره - كما بذكره أئمة المسلمين في مناصك الحج - عمل صالح مستحب . . بل هذا من أفضل الأعمال الصالحة ، ولا في شيء من كلامي وكلام غيري نهي عن ذلك ، ولا نهي عن المشروع في زيارة قبور الأنبياء والصالحين ، ولا عن المشروع في زيارة سائر القبور ، بل قد ذكرت في غير موضع استحباب زيارة القبور كما كان النبي ﷺ يزور سكك البقيع وشهداء أحد ، وإذا كانت زيارة قبور عموم المؤمنين مشروعة ، فزيارة قبور الأنبياء والصالحين أولى » (١) .

وقد ذكر في كتاب التوصل والوسيلة كيفية الزيارة وأدبها ، وكذا في كثير من رسائله ، وإنما منع أحسين اثنين : الزيارة الشريكية المبتدعة ، وشدة الرحل لجرد الزيارة (أي بلا نية شدة الرحل إلى المسجد النبوي والصلاة فيه) . وقد وهم بعض المؤرخين فظن أن الروضة هي بيت السيدة عائشة الذي دفن فيه النبي ﷺ) أو هو جزء منها ، والصواب أنها بين منبره وبيته كما هو نص الحديث الصحيح : « ما بين منبري وبيتي روضة من رياض الجنة » والصلاة فيها مطلوبة ، ولا دخل للقبر الشريف في مكان الصلاة أصلاً ، ولم يكن بيت أم المؤمنين مصلى للناس في عهده (ﷺ) فكيف بعد أن دفن فيه ، وقد قال : « اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » .

أنهم شينخ الإسلام بتشبيه الله تعالى بخلقه أو التجسيم ، على كثرة ردوده

على المشبهة والمجسمة ، كما كان يردّ على القدريّة والجهمية والمعتزلة وغيرهم من المؤولة والمعتلة ، وهو لا يزيد على ما وصف تعالى به نفسه ، في مثل قوله : « ليس كنهه شيء وهو السميع البصير » فقد أثبت في هذه الآية لنفسه ذاتاً وصفات ، وفيها التنزيه عن المماثلة :

لا ذاته تشبهها الذوات ولا حكمت صفاته الصفات

وهو سبحانه كما وصف نفسه بقوله : « رفيع الدرجات ذو العرش » أي إنه سبحانه أرفع المخلوقات ذاتاً وصفات ، وأعظمها شأنًا ، وأعزها سلطانًا ، وكل شيء محتاج إليه ، وهو مستغنى عما عداه ، وهو مالك العرش ومدبره ، فهو مستول على عالم الأجسام ، وأعظمها العرش ، كما هو مستول على عالم الروحانيات وهي مسخرة له .

ألا وإنّ هذا العصر الذي نعيش فيه ، هو عصر الصعود والارتفاع ، عصر الأقمار الصناعية والصواريخ ، يتبارى الشرق والغرب في إطلاق هذه الكواكب المصطنعة في الفضاء ، فترتفع في الساعة الواحدة ألوفاً كثيرة من الأميال ، ولكنها مهما علت فلن تبلغ السموات العلى ، لأنّ بيتنا وبينها ملايين الأميال ، فأين مرعة هذه الأقمار الأرضية والصواريخ من مرعة هذا الضوء أو النور الإلهي « الله نور السموات والأرض » .

وقد صرّح بعض أقطاب الفلك بأن مرعة الضوء ، قد قدّرت بثلاثمائة ألف كيلومتر في الثانية ، وأن الضوء في مرعته هذه يطوف المحيط الأرضي الاستوائي - وهو أطول محيط من الأرض - بطوفه سبع مرات ونصف مرة في ثانية واحدة ، وضوء الشمس يصل إلى الأرض بثاني دقيقتين واثنتي عشرة ثانية ، على بعدها الشاسع عنا البالغ (١٤٩) مليون كيلومتر ، على أن هذه المسافة بيننا وبين الشمس لا يقطعها قطار مرعته (٩٠) كيلومتراً في الساعة إلّا بمدة (١٧٧) سنة . والله تعالى عال فوق سمواته ومخلوقاته ، لا يحل فيهم ،

ولا يمتزج بهم ، وعلمه وسمعه وبصره وقدرته مدركة لكل شيء ، وذلك معنى قوله : « وهو معكم أينما كنتم » .

قال عبد الرحمن بن أبي حاتم : سألت أبي وأبازرعة رحمهما الله تعالى عن مذهب أهل السنة في أصول الدين ، وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار ، وما يعتقدان من ذلك ، فقالا : أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازاً وعراقاً ومصر وشاماً ويمناً ، فكان من مذهبهم أن الله تبارك وتعالى على عرشه بائن من خلقه بلا كيف ، أحاط بكل شيء علماً .

قال ذلك العالم المؤرخ الذي أشرنا إليه في صدر هذا الحديث : هل العبارات المروية عن أولئك الأئمة الأعلام صريحة في إثبات جهة العلو والاستواء بمعنى من جنس معنى الجلوس ؟ إن العبارات المروية عنهم إلى التفويض أقرب منها إلى التفسير وإبداء الرأي في معنى معين .

والجواب أنا قدمنا بعض العبارات الصريحة لأولئك الأئمة الأعلام في إثبات صفة العلو المطلق (لا النسبي) لله تعالى على خلقه ، وأنه عال على عرشه ومستغن عنه كاستغناؤه عن سائر المخلوقات ، فلا جلوس ولا مماسة ولا استقرار . وأما التفويض ففي الكيفية ، لا في أصل المعنى ، كما اشتهر عن الإمام مالك قوله : « الاستواء معلوم والكيف مجهول » أي إن معنى (الاستواء) معلوم وهو العروج والصعود والارتفاع ، ولكن الكيفية مجهولة .

وحسبنا في ذلك قصة المعراج وهي متواترة ، وفيها تجاوز النبي (ﷺ) السموات سماء سماء ، حتى انتهى إلى ربه تعالى ، فقربه وأدناه ، وفرض عليه الصلوات . وقد اعتذر هذا المؤرخ عن دراسة كتاب (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) لكبلا يشغله عما هو فيه من دراسة فقه الإمام .

وأقول : إني قد درست هذا الكتاب دراسة مفصلة ، وكتبت عنه في مجلة مجمعنا العلمي فصلاً مطوّلاً ، في مجلة الفصول التي نشرتها عنه في المجلة في بضع سنين .

وأما الاستغاثة بالحضرة المحمدية بعد الموت فقد أجاب عنها الإمام ابن نيمية في كتاب التوسل والوسيلة بقوله :

ولو كانت الاستغاثة بعد الموت ثابتة ثبوتها في الحياة ، لطلب من النبي (ﷺ) أن يقوم بالإمامة في الصلاة والإمامة في الغزو ، وإرسال البعث وعقد الألوية ، والشعائر في الحرب ، وإقامة الحدود ، وإبصال الحقوق ، وقسم الموارث والغنائم ، والفيء والصدقات الخ^(١) .

وأقول - تأييداً لما ذكره شيخ الإسلام : إن الصحابة الكرام قد تناظروا بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام ، في أمر الخلافة ، وفي جمع القرآن ، وفي المعارك الدامية كوقعة الجمل وصفين والنهروان ، وتناظر الشيخان في قتال مانعي الزكاة ، وفي إرسال جيش أسامة ، ولم يستفيشوا به في هذه الشدائد ، ولم يستفتوه في شيء منها ، وكل هذا معلوم من الدين والتاريخ بالضرورة ، ومن العقل والحس والوجدان بالبدهاة ، فيجب رد ما يتجدد من الوقائع والحوادث إلى الوحي المنزل ، وما عرف من سنن الصدر الأول للإسلام .

تصحيح : جاء في أواخر الكتاب الذي نوّهنا به في هذا المقال - في ابن نيمية - استطراد ، ذكر فيه أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب تزوج بنت الأمير محمد آل سعود ، والصواب أنه (رحمه الله) قد تزوج بـجوهرة بنت عثمان بن معمر ، كما ترى في الكتب التي ترجمت له .

محمد بهجة البيطار

أسرار العربية لكمال الدين الأنباري

تتناز كتب كمال الدين الأنباري بأسلوبها المبسوط وعباراتها الواضحة .
لا يقصد في كتابته إلى الإيجاز والاولغاز ولا بكثفي بالمحة الدالة والإشارة المفحة
فلا عجب في أن كان أسلوب كمال الدين نسيج وحده بين الأساليب العلمية .
وقد عرف المستشرقون من علماء أوربة فضل كتب الأنباري فسبقونا إلى
طبعها ونشرها .

فكتابه الإيضاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين طبع أول
ما طبع في ألمانيا وقد صنع له ناشره مقدمة طويلة باللغة الألمانية وهي تعتبر
كتاباً مستقلاً جديراً بالنشر - ولما تعذر الظفر بنسخة من الإيضاف قام أستاذنا
الشيخ محمد محيي الدين بطبعه مرات في سنوات فبسر النفع به كما جعل اقتناءه
على طرف الثام وحبل الذراع وبقيت مقدمته الألمانية بعيدة منا مطوية عنا
وما أشد حاجتنا إلى أن نعرف ما اشتملت عليه من البحوث وما عاجلته من المسائل .
وقد علق بظني بعد أن قرأت الإيضاف أن هوى كمال الدين مع البصريين
إذ لم ينتصر للكوفيين إلا في سبع مسائل من ١٢٠ مسألة وقلت إن مذهب
الكوفيين وصل إلينا عن طريق كتب هواها بصري ولو وصل إلينا بأقلام
كوفية لتغير تقديرنا له ونظرتنا إليه .

والكفي بعد أن قرأت في معاني القرآن للفراء ومجالس ثعلب ورأيت كيف
يعبر الكوفيون عن آرائهم ويدافعون عنها ويحتجون لها - أيقنت أن صاحب
الإيضاف أفصح بياناً وأوضح برهاناً .

يمثل لنا ثعلب لحذف المضاف بقوله الفقه أبو حنيفة والنحو الكسائي ولكنه

لا يعرض علينا أنماطاً رائعة وصوراً بارعة لهذا النحو الكسائي حتى يحملنا على أن نؤمن له بأنه لا نحو إلا نحو الكسائي .
كذلك طبع كتاب أسرار العربية في أوربة سنة ١٨٨٦ م دونه مقدمة بالالفه
الامانية أيضاً .

ولما فقدت نسخته قام المجمع العلمي العربي بدمشق بطبعه ونشره ولقد كان
المجمع أريحيماً في إخراجه لهذا الكتاب أخرجه في أبهى حلة وأجمل صورة
طباعة أنيقة وورق غاية في الجودة .

موضوع الكتاب : عالج ٦٧ باباً من أبواب النحو والصرف .

اختار من كل باب طرفاً من مسأله وعلل لها بعبارة مبسطة كل البسط
واضحة كل الوضوح .

والتعليل لقواعد النحو صاحب وضع قواعده وقد أثر عن الخليل بن أحمد
حديث طريف أرى من الخير أن أسوقه هنا .

سأل سائل الخليل فقال له أعن العرب أخذت هذه التعليلات أم اخترعتها
من نفسك فقال : إن العرب نطقت على سميتها وطباعها وعرفت مواقع كلامها
وقامت في عقولها علله وإن لم ينقل ذلك عنها وعللت أنا بما عندي أنه عللة لما
عللته به فإن أكن أصبت العللة فهو الذي التمس وإن تكن هناك عللة غير
ما ذكرت فالذي ذكرته محتمل أن يكون عللة له ومثلي في ذلك مثل حكيم
دخل داراً محكمة البناء عجيبية النظم والأقسام وقد صحت عنده حكمة بانيتها بالخبر
الصادق والبراهين الواضحة فكلمها وقف هذا الرجل الداخل الدار على شيء منها
قال إنما فعل هذا هكذا العللة هي كذا العللة سنحت له وخطرت ففجأز أن يكون
الحكيم الباني للدار فعل ذلك للعللة التي ذكرها هذا الذي دخل الدار وجائز

أن يكون فعله لغير تلك العلة إلا أن ما ذكره هذا الرجل محتمل أن يكون علة ؛ ثم قال فإن صححت لغيري علة لما عللته من النحو هي أليق مما ذكرته بالمعلول فليأت بها .

وقد عرض سبويه والذين جاءوا من بعده لكثير من التعليقات ولكن الأنباري يتناز بالأسلوب المبسوط والعبارة الواضحة .

الصلة بين الإيضاح وأمرار العربية : كتاب الإيضاح أسبق بالتأليف وقد أحال كمال الدين في أمرار العربية على الإيضاح في خمسة مواضع وكان يعبر عنه بمسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين وأحياناً بالمسائل الخلافية . وقد أحصيت المسائل المشتركة بين الكتابين فبلغت نحو أربعين مسألة لم يختلف الحديث عنها في الكتابين لأسلوباً ولا عرضاً ، ولولا خوف الإطالة لأشرت إلى الصفحات والأوراق المشتركة بينها .

عهد المجمع العلمي إلى أحد أعضائه وهو الأستاذ محمد بهجة البيطار بتحقيق كتاب أمرار العربية فقام الأستاذ بما عهد إليه خير قيام ، فأخرج لنا نسخة صحيحة من بين نسختين مخطوطتين وثلاثة مطبوعة ؛ كما عني بتفسير اللغة وشرح الشواهد وعزوها إلى قائلها ، وصنع للكتاب فهرس مفصلة وترجم لكثير من أعلامه .

ويجمل بي أن أسجل هنا بعض الخواطر التي بدت لي أثناء قراءة أمرار العربية استكمالاً للفائدة :

بذكر النحويون أن اسم لا النافية للجنس لا بد أن يكون نكرة متصلاً بها فإن فصل عنها بفصل أو وقعت المعرفة بعدها أمهات لا ووجب تكرارها . وقد جاءت المعرفة بعد لا من غير تكرير للا في قولهم لا نولك أن تفعل فاعتذر النحويون بأن عدم تكرير لا في هذا الأسلوب إنما يرجع إلى أن

المصدر هنا بمعنى الفعل المضارع فمعنى لا نولك أن تفعل لا ينبغي لك أن تفعل وهذه هي نصوص الفحوبين في كتاب سيبويه ج ١ ص ٣٥٧ - وقالوا لا نولك أن تفعل لأنهم جعلوه معاقباً لقوله لا ينبغي لك أن تفعل كذا وكذا وصار بدلاً منه فدخل فيه ما دخل في ينبغي .

ثم قال أيضاً في الجزء الثاني ص ٣١١ - وأما نول فتقول نولك أن تفعل كذا وكذا أي ينبغي لك فعل كذا وكذا وأصله من التناول كأنه يقول تناولك كذا وكذا .

وإذا قال لا نولك فكأنه قال أقصر ولكنه صار معنى لا ينبغي لك . وفي أمالي الشجري ٢٣٧/١ - ونولك في قولهم لا نولك أن تفعل كذا مأخوذ من تناول الشيء وهم يريدون به الاختيار فإذا قالوا نولك أن تفعل فعناء ينبغي لك أن تفعل والاختيار لك أن تفعل ، ويقولون لا نولك أن تفعل كذا ومعناه لا ينبغي لك أن تفعل ولم يلزم تكريره وإن كان معرفة لأنه بمعنى لا ينبغي لك فلم يلزم تكريره كما لا يلزم تكرير الفعل إذا دخلت عليه لا . وقد أعاد هذا الحديث في الجزء الثاني ص ٢٢٥ .

وفي الفصل للزحشري ١١١/٢ - وقولهم لا نولك أن تفعل كذا موضوع موضع لا ينبغي لك أن تفعل كذا .

ومثل هذا في شرح الكافية للرضي ٢٣٧/١ وفي التصريح على التوضيح وفي لسان العرب وغير ذلك من كتب النحو واللغة .

وفي أسرار العربية أخذ كمال الدين يعال لوجوب تكرير لا إن وقعت المعرفة بعدها ثم أخذ يبين العلة التي من أجلها لم تكرر (لا) في قولهم لا نولك أن تفعل فقال وإنما لم تكرر (لا) لأنه بمنزلة لا ينبغي لك .

وقد أثبت الأستاذ البيطار مكان لا نولك أن تفعل لفظاً مصحفاً هو لا بد لك أن تفعل ثم قطع بأن النص المثبت في النسخة الأخرى وهو لا نولك أن تفعل سهو والنصوص التي ذكرناها والمقام الذي تحدث فيه الأنباري كل ذلك بقطع بأن لا نولك أن تفعل هي العبارة الصحيحة المتعينة في هذا المقام وليست من قبيل السهو كما يقول الأستاذ البيطار ثم ما صلة لا بد لك أن تفعل بهذا المعنى لا ينبغي لك أن تفعل فضلاً عن المقام وموضوع الحديث وهو تكرير لا، يراجع ص ٢٥٠ — ٢٥١ .

نسب الأستاذ البيطار الشعر إلى قائله وفي أبيات كثيرة قال الأستاذ عنها لم أعرف قائلها .

ولما كان بعض هذه الأبيات معروف القائل رأيت من الخير أن أنسجها لقائلها مبنياً مصادرهما .

١ — في ص ٩٧ في باب نعم وبش قال عن البيت :

أست بنعم الجار يولف بيته أخا قلة أو معدم المال مصرما
لم أعثر على هذا البيت ولا على قائله . وقد نسب الأنباري في الإصناف في باب نعم وبش أيضاً هذا البيت إلى حسان بن ثابت ٦٧ ونسبه أيضاً الشجري في أماليه إلى حسان ١٤٧/٢ .

والبيت في ديوان حسان ١٩٨ برواية :

أست بنعم الجار يولف بيته لذي العرف ذا مال كثير ومعدما

٢ — في ص ٢٩٩ قال عن البيت :

لقد كان في حول ثواء ثوبته تقفى لبانات ويسأم سائم
لم أقف على قائله - وهذا البيت من شواهد معني الليب ونسبه ابن هشام الأعشى في باب الأشياء التي تحتاج إلى رابط ١٢٦/٢ وهو بديوان الأعشى الكبير

ميون بن قيس ص ٧٧ من شرح الدكتور محمد حسين في هجاء يزيد الشيباني
من قصيدة مطلعها :

هريرة ودعها وإن لام لائم غداة غد أم أنت للبين ساجم

٣ - في ص ١٠٣ قال عن البيت :

كأنني بفتخاء الجناحين لقوة على عجل مني أطأطي^١ شماللي

لم أعلم قائله - وهذا البيت لامرئ القيس من قصيدته المشهورة التي مطلعها :

ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي وهل يمن^(١) كان في العصر الخالي

ورواية الديوان :

كأنني بفتخاء الجناحين لقوة صيود من العقبان طأطأت شماللي

الديوان ١١٢ وشرحه للوزير أبي بكر عامم ٦٣ .

٤ - في ص ٤٢٩ قال عن البيت :

غداة طفت علماء بكر بن وائل وعجنا صدور الخيل شطر تميم

لم أقف على قائله - وقد نسب الشجري في أماليه ٤/٢ هذا البيت إلى قطري

ابن الفجاءة وأورده المبرد في الكامل في قصيدة لقطري مطلعها :

لعمرك إني من الحياء لزاهد وفي العيش مالم ألق أم حكيم

وهو أيضاً من شواهد الشافية وقد تكلم البغدادي في شرح شواهداها على قائله

ص ٤٩٨ .

٥ - في ص ٣٨٥ قال عن البيت :

سائل فوارس يربوع بشدتنا أهل رأونا بسفع القاع ذي الأكم

(١) والصواب : « وهل يمن (من) كان في العصر الخالي » كما ورد في

(البيطار)

الديوان (ص ٢٧) .

لم أعرف قائله - والبيت من شواهد المغني في حديثه عن هل ٢٨/٢
ونسبه شراحه إلى زيد الخيل الطائي .

وذكره أبو الفتح بن جني في الخصائص ٤٦٣/٢ وقد نسبه إلى قائله .
وذكر قصة أبياته ومواطنها محقق الخصائص ومجلتها أستاذنا الشيخ النجار .

٦ - قال عن البيت :

لكنه شافه أن قيل ذا رجب ياليت عدة حول كله رجب
لم أقف على قائله - والآنباري يذكر في الأسرار أن القصيدة منصوبة للقوافي
وكذلك ذكرها ثعلب في مجالسه ٤٧٤/٢ - ٤٧٥ ومطلعا :

يا للرجال ليوم الأربعاء أما ينفك بيعث^(١) لي بعد النهى طربا

ونسبها لعبد الله بن مسلم بن جندب وروى بيت الشاهد هكذا :

لكنه شافه أن قيل ذا رجب ياليت عدة دهرى كله رجبا
وقد ذكر مطلع هذه القصيدة المبرد في الكامل أيضاً . وساق القصيدة بأكملها
ونسبها الشيخ المرصفي في رغبة الآمل ٢١٤/٧ .

٧ - قال الأستاذ البيطار في ص ١٤٤ لم أقف على ترجمة عبد بني الحساس ،
وهي في صدر ديوانه المطبوع .

هذا وأعود مرة أخرى إلى الإشادة بمجد الأستاذ البيطار وبأريحية المجمع
العلمي العربي بدمشق .

وأسال الله الكريم أن يهيئ لسائر الدخائر والأعلاق المخطوطة من يقوم
بنشرها وتيسير النفع بها .

محمد عبد الحالى عصفية



(١) الرواية في مجالس ثعلب : (يحدث) بدلاً من (بيعث) . « البيطار »

تعليق على المقال لمحمد بهجة البيطار

كان كتب الأستاذ الجليل الشيخ محمد عبد الخالق عزيمة المدرس في كلية اللغة العربية - في مجلة الحج التي تصدر بمكة المكرمة - تعريفاً وتقديراً لكتاب «الموفي في النحو الكوفي» وشرحه ، جاء فيه : «وعرض لنا نصوصاً نحوية من كتب مختلفة ، شرحت غوامضه ، وأغنت قاري الكتاب عن أن يتطلبها في مظانها» وقد وصف (الموفي وشرحه) بذلك أحسن وصف . واكتفى - على ما يظهر - بمراجعته دون غيره في تعليقاته عليه ، وأجبناه على منتقداته من نفس الكتاب ، ثم قلت في الختام : «والظاهر أن الأستاذ قد أملى ما أملاه من ذاكرته وحفظه ، إذ لم نر له عزواً إلى صفحة أو جزء من كتاب بعينه ، وعلى كل - فله منا أعطر الشكر» ، (مجلة المجمع العلمي م ٢٧ / ٦٢٣) .

والآن ورد على المجمع العلمي العربي بدمشق هذا المقال الجليل ، ذو الفوائد الجمة والمباحث المهمة ، في اللغة والنحو والأدب ، وفي آخره مستدركات على كاتب هذه السطور ، في تعليقاته على «الأمرار» مع الدلالة على أماكنها ونقل عني في (ص ١٤٤) قولي : لم أقف على ترجمة عبد بني الحسحاس ، وهذا صحيح ، لكنني استدركت في (ص ٤٣٥) فأثبت ترجمته تحت الرقم (١٤) فلتراجع .

وإني أعلن شكري الخالص للأستاذ عزيمة ، جزاء المولى عن أخيه وعن القراء أفضل الجزاء ، وزاده إحساناً وتوفيقاً .

محمد بهجة البيطار

فهرس الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين

صفحة

٢٠٩	سخرية الشدياق	للاستاذ شفيق جبري
٢٢٥	العلاقات الجوهرية بين اللغتين العربية والآرامية	للطهران غريغوريوس بولس بهنام
	« السريانية » (٣)	
٢٤٣	الإيلاف أو الموفات غير المشروطة	للاستاذ ظافر القاسمي
٢٥٦	الرجاجي : حياته وآثاره (١)	للاستاذ مازن المبارك
٢٧٣	كتاب شرح الألفاظ (١)	للاستاذ أبو عفا الكوريم مصوي
٢٩١	رسالة ابن حزم في أمهات الخلفاء	للكنور صلاح الدين المنجد
٣٠٠	نظرة في معجم المصطلحات الطبية الكثيرة (٢)	للكنور حسي مبيع
٣٢١	مختارات مما لم ينشر من شعر البحتري (٢)	للكنور صالح الأشتر
٣٣٢	كتاب النفس لابن باجة الأندلسي (٦)	للكنور محمد صابر حسن المصري

التعريف والنقد

٣٤٥	الحياة الجنسية عند العرب	للاستاذ شفيق جبري
٣٤٧	محاضرات عن الأمير شكيب أرسلان	
٣٤٩	كتاب الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة	للاستاذ محمد بهجة البيطار
٣٥١	الأئمة الاثنا عشر	
٣٥٣	تفسير القرآن الكريم	
٣٥٨	أنا والشعر	للكنور جميل صليبا
٣٦٤	تاريخ نبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك	للأمير جعفر الحدي
٣٦٥	(٥٥) ألف كيلومتر على دراجة نارية	
٣٦٧	الإمام الصادق معلم الكيمياء	للاستاذ حسن السقا

آراء وأنباء

٣٦٨	الدكتور عبد الوهاب عزام (وفاته)	
٣٧١	علاوة خامسة من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية	للاستاذ محمد بهجة البيطار
٣٧٦	أسرار العربية لكامل الدين الألباري	للاستاذ محمد عبد الخالق مضيفة
٣٨٣	تعليق على مقال الأستاذ محمد عبد الخالق مضيفة	للاستاذ محمد بهجة البيطار

مجلة المجمع العلمي العربي

١ تموز سنة ١٩٥٩ م

٢٥ ذي الحجة سنة ١٣٧٨ هـ

ثلاث رحلات

الطهطاوي — الشدياق — كردعلي

إذا بحثنا عن بدء نهضتنا الحديثة فلا مندوحة لنا عن الإشارة الى ثلاث رحلات كانت لأصحابها أعمق الأثر في هذه النهضة ، فقد وقفوا على أشياء كثيرة من خصائص الغرب وأخلاق أهله وعاداتهم ومذاهبهم في السياسة والفن والأدب ، فعملوا كتباً أودعوا ما وقفوا عليه وما دهشوا منه فتركت هذه الكتب في آفاقهم آثاراً شتى ، ولئن اختلفوا بعض الاختلاف في نظراتهم الى الأمور على قدر أمرجتهم وأذواقهم ومداركهم فقد اتفقوا في غاياتهم من رحلاتهم ، فقد كانت غاياتهم منها ايقاظ الشرق من رقدته وحشه على الأخذ بأسباب العلم والحضارة وكان لكل واحد منهم أسلوب خاص في التنبيه والإرشاد . أما الرحلات الثلاث فأصحابها رافعة الطهطاوي وأحمد فارس الشدياق ومحمد كردعلي ، وقد وضّح كل منهم في مقدمة رحلته غايته من الرحلة أكل توضيح .

خرج الطهطاوي من مصر سنة ١٢٤١ و وضع كتاباً سماه : تلخيص الابرز
في تلخيص باريز طبع الطبعة الأولى في بولاق سنة ١٢٥٠ واذا رجعنا إلى
مقدمة الكتاب وجدنا فيها ما يدلنا على الغرض من رحلة صاحبه فقد أرسل من
قبل والي مصر محمد علي الى باريز في جملة من أرسل : « ليتعلم العلوم والفنون
الموجودة بهذه المدينة البهيّة » هذا ما قاله الطهطاوي ، الا أنه كانت له
غابات أبعد فصلها في قول آخر :

« فلما رسم اسمي في جملة المسافرين وعزمت على التوجه أشار عليّ بعض
الاقارب والمحبين لاسمنا شيخنا العطار ، فانه مولع بسماع عجائب الأخبار
والاطلاع على غرائب الآثار أن أنه على ما يقع من هذه السفرة وعلى ما أراه
وما أصادفه من الأمور الغريبة والأشياء العجيبة وأن أقيده ليكون نافعا في
كشف القناع عن محيّا هذه البقاع فما قصرت في أن قيّدت في سفري
رحلة صغيرة نزّهتها عن خلل التّساهل والتّجامل وبرأتها عن زلل التّكاسل والتّفاضل
ووشّحتها ببعض استطرادات نافعة واستظهارات ساطعة وأنطقها ببحث ديار الإسلام
على البحث عن العلوم البرّانية والفنون والصنائع فان كمال ذلك ببلاد الافرنج
أمر ثابت شائع والحق أحق أن يتبع ، ولعمر الله إني مدّة إقامتي بهذه البلاد
في حسرة على تمتعها بذلك وخلوّ ممالك الإسلام منه ، وإياك أن تجد ما ذكره
لك خارجاً عن عادتك فيعسر عليك تصديقه ، فتظنه من باب المذر والخرافات
أو من جنس الافراط والمبالغات . . .

وقد أشهدت الله سبحانه وتعالى على ألاّ أحميد في جميع ما أقوله عن طريق
الحق وأن أفشي ما سمح به خاطري من الحكم باستحسان بعض أمور هذه البلاد
وعوائدها على حسب ما يقنضيه الحال ومن المعلوم اني لا أستحسن إلاّ ما لم يخالف
نصّ الشريعة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأشرف التّحيّة . .

وختم مقدمته بقوله :

« وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا الكتاب مقبولا لدى الخاص والعام وأن يوقظ به من نوم الغفلة سائر أمم الإسلام من عرب وعجم . »
من هذه المقدمة يتبين لنا أن الطهطاوي قد توخى في رحلته في جملة ما توخاه من طلب العلوم والفنون حث ديار الإسلام ، عربها وعجمها على الانصراف الى هذه العلوم والفنون وإيقاظ أهل هذه الديار من غفلتهم وهذا ما يثبت لنا أن رحلته الى الغرب كانت عاملاً من عوامل نهضتنا الحديثة فقد رمى فيها الى الإيقاظ والتنبيه .

ولم تكن هذه الفكرة فكرة الطهطاوي وحده فان الذين فكروا في أوّل بعثة الى الغرب كانت غايتهم إحياء العمران والعلوم والفنون في بلادهم ، فهم في تفكيرهم هذا وفي إنفاذ هذا التفكير من أعظم الباعثين على النهضة الحديثة وقد وضّح الطهطاوي هذه الفكرة في الباب الأول من رحلته فقال :

« ولهذا تنبه المتولّى على بلاد مصر أن يرجع اليها شبابها القديم ويحيي رونقها الرميم ، فن مبدئ توليته وهو يعالج في مداواة دائها الذي لولاه كان عضالاً ويصلح فسادها الذي قد كاد يكون زواله محالاً . »

ثم أفاض الطهطاوي بعد ذلك في مدح والي مصر والتنبيه على ميله الى العمران ونشر العلوم والفنون والصناعات .

لا أريد التوسع في الكلام على رحلة الطهطاوي وعلى خصائصها في مثل هذا المقام وانما الذي رميت إليه أن أُبين أن هذه الرحلة كانت عاملاً من عوامل النهضة الحديثة فقد رجع صاحبها الى مصر ونشر كتابه بين ظهرائي قومه وقد نضح هذا الكتاب ما وقعت عليه عينه في الغرب من أكثر أمور الحياة ، ولا سيما حربة الرأي فكان لكثير من مشاهداته تأثير في العقول ، فبدأت النهضة الحديثة .

واذا فرغنا من مطالعة تخلص الأبريز وانصرفنا الى مطالعة كتابي الشدياق :
 الواسطة في معرفة أحوال مالطة وكشف الخبا عن فنون أوربا وجدنا أن غابة
 الشدياق من رحلته الى الغرب لا تختلف كثيراً عن غابة الطهطاوي ، ماذا يقول
 الشدياق في مقدمة رحلته التي طبعت الطبعة الثانية في قسطنطينية سنة ١٢٩٩ :
 « ويعلم الله اني مع كثرة ما شاهدت في تلك البلاد من الغرائب وأدركت
 فيها من الرغائب كنت أبدأ منقّص العيش مكذّره كمن فقد طوره ولزمته معسرة ،
 لا يروفي نضار ولا نصرة ، ولا نعمة ولا مسرة ولا طرب ولا لهو ولا حسن
 ولا زهو لما أني كنت دائم التفكير في خلوة بلادنا عمّا عندهم من التمدّن
 والبراعة والتفنن ثم تعرض لي عوارض من السلوان بأن أهل بلادنا قد اختصوا
 بأخلاق حسنة وكرم يغطي العيوب ويستتر ما شان ولا سباً الغيرة على الحرم
 وصون العرض عمّا من هذا الصوب بُذم ثم أعود الى التفكير في المصالح المدنية
 والأسباب المعاشية وانتشار المعارف العمومية والى إتقان الصنائع وتعميم الفوائد
 والمنافع فيفهل ذلك السلوان وأعود الى الأتّحان . »

هذا كلام صريح ، فقد رحل الشدياق الى مالطة وفرنسة وانكثرة وقابل
 بين بلادنا وبلادهم في أبواب التمدّن والعلوم والصناعات فكانت هذه المقابلة
 تدخل الحزن على قلبه خلوة بلاده مما اشتملت عليه بلاد الافرنجة ، تكثرت المقابلات
 والموازنات في رحلة الشدياق فهو يقابل بين أخلاق وأخلاق وبين عادات وعادات
 وبين طبائع وطبائع ، يقابل بين زواج وزواج ، وبين لباس ولباس وبين طعام
 وطعام فينقد ويحكم ويسخر ولكنه في كل نقده وحكمه وسخرته لا يتوخى إلا
 الإصلاح والإرشاد ، إصلاح ما اعوجّ من أخلاق بلاده وعاداتها وإرشادها
 الى محاسن الأخلاق والعادات ، لقد نقل الشدياق الى الشرق كثيراً من محاسن
 الأمور التي رآها في الغرب فكانت عنصراً قوياً من عناصر النهضة الحديثة
 فهو مصلح اجتماعي من أكبر المصلحين ولم يعرف بعد مقامه في هذا الإصلاح

حق المعرفة حتى يومنا هذا فلا تزال الظلمات تغطي على ضياء عقله الراجح وأفقّه الواسع .

قابل مرّة في رحلته بين بعض أوضاعنا وبعض أوضاع الافرنجة ، تكلم على العلم في بلاد الانكليز فقال :

« غير أن العلم عندهم لا يكون بمعرفة قواعد النحو والصرف أو بنظم قصائد وإنما هو مطالعة اللغتين اليونانية واللاتينية ومعرفة أدبها ومعرفة التاريخ والفلسفة والهندسة والرياضيات » .

هذه المقابلات التي كانت تجري خلال رحلته كان يرمي فيها الى إرشاد أهل بلاده الى حقائق الأمور فلم يترك فرصة تمرّ به دون أن ينتهزها لا يقاط قومه ، كان يتكلم على الوظائف في بلاد الانكليز وعلى ترتيب أصناف الناس فقال وقد خطرت بباله حالة بلاده :

« فأما في بلادنا حرصها الله فان ناظر المدايح جدير بأن ينظر في جلود بني آدم ويصنفها بلون الدرّة والسوط أو يسر ما هي عليه من الطراوة والنعومة ، والمحسب خليق بأن يزن أعمال عباد الله وأموالهم في بيوتهم وروز ما في عياب صدورهم من الخواطر والأفكار وللحاكم أو للمطران أن يسقط حق الحق لحرف أسقطه في الكلام وللضابط أن يبيّت الناس في مضاجعهم وللشرطي أن يقبض على أي شخص كان ولضابط العسكر أن يخترط سيفه على أي عنق سخط له وللبطرك أن يحرم أي شخص كان من رعيته حتى لا يعود لأحد من أفرابه وأهل بلدته استطاعة على مخاطبته ومبايعته » .

وبعد أن أحصى هذه الأمور كلها التي كانت تجري في عصره ، عصر الظلمات ، بعد أن قابل بينها وبين الأمور التي رآها في الغرب صرخ هذه الصرخة :

« وإلى من المشتكى وأين المصير وأين المجهير ، فياليت شعري متى نصير نحن ولد آدم كهؤلاء البشر ومتى نعرف الحقوق الواجبة لنا وعلينا ، أنحال أن معنى

التمدن هو أن يكون الناس في مدينة وفيها ذئاب وسباع ، كلاً ثم كلاً ،
جبر أن اجتماع الذئب والظروف في مرعى واحد ليوجب على اليهود أن يؤمنوا
بأن المسيح قد جاء .

فاذا تنبّهت العقول في نهضتنا الحديثة فانها لم تتنبّه إلا بمثل هذه الأفكار
التي اشتملت عليها كتب الرحلات وبمثل هذه المقابلات ، فالشذباق كان في مقدمة
الذين نبّهوا الناس في نهضتنا .

أما كردعلي فقد سمى رحلته : غرائب الغرب ، قال في مقدمته :

« هذه فصول ومقالات ، بل آهات وتأوهات ، كتبها في وصف معالم
الغرب وما لقيته فيه وقد زرت ثلاث مرات ٠٠٠٠ وأنا على مثل اليقين بأنها
لا تحمل في مطايعها في تلك المدينة الساحرة إلا بقدر ما تصل اليه يد غير
سبيل وتنفطن لها النزيل والدخيل » .

لاشك في أن كلمة آهات وتأوهات تدلنا على أن كردعلي جهه مارأى من
مدينة الغرب فحسّر على خلوه بلاد من هذه المدينة ، وأن لم يوضح في هذه
المقدمة غايته من الرحلة فقد وضحها في أول فصل من فصول كتابه إذ قال :
« كان من أعظم أمانى النفس منذ بضع سنين أن أرحل الى أوربا رحلة
علمية ، أقضي فيها راحة من الدهر للتوفّر على دراسة حضارة الغرب في منبثها
واستطلاع طلاع المعاهد التي منها نشأ المخترعون والمكتشفون والفلاسفة المنزهون
والعلماء العاملون والساسة المستعمرون والقادة والغازون والتجار والصناع والزرايع
والماليون وهم على التحقيق مادة تلك المدينة وهيلولاها » .

غاية كردعلي في هذا الكلام واضحة فإنّ همه التوفّر على دراسة حضارة
الغرب ولكن ما هو غرضه من هذه الدراسة ، إنّه هو إلا الإصلاح ، شأنه

في ذلك شأن الشدياق من قبله الذي سبقه الى الغرب ، لقد كثرت أوهاته وتأوهاته في الغرب ، من ذلك قوله :

« ومن الأسف العظيم أننا لو أحصينا عدد ما يصدر من جميع الجرائد والمجلات العربية والتركية والفارسية في البلاد المصرية والعثمانية والایرانية لا يبلغ بكيفته قدر ما تطبع كل يوم جريدة : البقي مارسيلية ، احدى جرائد ولايات فرنسا ، وعلى هذه النسبة قس ولا تخف درجة ارتقائنا وارتقاء الفرنسيين وسجل علينا بالفقر المدقع في كل شيء ، ولا سيما في الأمور العقلية » .

شرع كرد علي في المقابلات على نحو ما فعله الشدياق في رحلته ، فهو يقابل بين انتشار الصحافة في مصر وتركيا وایران وبين انتشارها في مدينة واحدة من مدن فرنسا ويستخرج من هذه المقابلة درجة ارتقاء بلاده وارتقاء الفرنسيين وتؤدي به هذه المقابلة الى الحكم بالمخاطات الشرق في كل شيء ، ولا سيما في الأمور العقلية ، لبس غرضنا في هذا المقال المناقشة والمجادلة ، فقد يخطئ كرد علي في حكمه ، ان بلاد الشرق التي ذكرها كانت في أوّل نهضتها ولذلك فان عدد صحافتها قليل ، أمّا فرنسا فقد كانت في أيام رحلته تذوق نعمة الحرية من زمن بعيد ، فلا تصح المقابلة بين بلاد في أوّل نهضتها وبين بلاد في عزّة النهضة ، غير أن كرد علي لم يتحسّر هذا التحسّر إلا ليحمل بلاده على الاتّخاذ بأسباب حضارة الغرب ، فهو لم يرحل الى الغرب إلا ليعود الى بلاده وينفخ فيها روح الاقتباس .

لقد كثرت دهشات كرد علي في رحلته ، دهش من حضارة الغرب حتى كاد يحسبها من باب الحلم والخيال ، ولا غرابة في ذلك فقد خرج من بلاد كلها ظلمات ، الى بلاد يستفيض فيها النور ، فقابل على حين لا تصحّ المقابلة في هذا الوجه ، ولكنه لم يقابل إلا ليحضر أبناء وطنه على الاقتباس من مدينة الغرب على نحو ما أشرت إليه ، ولا بدّ من الإشارة في هذا المقام الى أن فرنسا التي

دهش كرد علي من حضارتها في رحلته اليها من نصف قرن كانت سمعتها تملأ الأرض ، فلم يكن الناس يعرفون عنها في تلك الأيتام ما عرفوه عنها في هذا العصر من أساليبها في الاستعمار .

لبس هذا موضوعنا ، انرجع الى لب الموضوع ، لقد كان لاتصال الشرق بالغرب أثر قوي في نهضتنا الحديثة ، كان كرد علي يرى ما يرى من سياسة الغرب ومذاهبه في الاجتماع والعلم والصناعة والزراعة والاقتصاد وغير ذلك من مظاهر الحياة فيدرس ويختبر ثم يستنبط من دراسته واخباره عبرة صالحة لينفع بها قومه ومجتمعه ، فالكتاب الثلاثة الذين أشرنا إليهم في هذا المقال غرضهم من رحلاتهم الرجوع بخواطر وأفكار تنهض ببلادهم ، وكما تحسّر الشدياق على تأخر بلاده فكذلك تحسّر كرد علي :

« فيارب ! ما هذه الروح التي تجرد منها جسم الشرق وميرت في عظام الغرب وشرايينه ، فأنى أهله بالعظام ونحن بقينا جامدين ، مبهوتين ، منحلّتين ، متضائلين ! »

ولئن كان هؤلاء الكتاب الثلاثة مادة خصبة من مواد نهضتنا الحديثة بسبب رحلاتهم لقد كان لكل واحد منهم أسلوب خاص في النظر الى حضارة الغرب والحكم عليها ودرجة الاستفادة منها والافتقار عنها ، فالطهطاوي غلبت عليه نزعة دينية ، فقد تمسك بالاسلام فلم يستحسن من أمور الافرنجة إلا ما كان الاسلام يسمح باستحسانه والشدياق غلبت عليه السخرية فهو يسخر بالغرب اذا رأى ما يحمل على السخرية وبِعَظَم منه ما يستوجب التعظيم وأما كرد علي فقد بلغت دهشته من حضارة الغرب كل مبلغ بحيث كاد لا يرى فيها إلا حسنات ، وكيف كان الأمر فان هؤلاء الأئمة الثلاثة كانوا في مقدمة من بنوا نهضتنا الحديثة ، فقد نقلوا الى الشرق ما وقفوا عليه من كثير من أمور الغرب في كل باب من الأبواب ، فكان لرحلاتهم انعكاس على عقول أهل البلاد .

ثقافة الأطباء عند العرب

لم أعثّر في الكتب العربية الطبية على بحث خاص يربنا كيف كان أطباء العرب في عصورهم العلمية وحضارتهم الزاهية يهيئون أنفسهم لدراسة علم الطب وماذا يتعلمون من كتبه الموجودة في زمنهم .

واننا وان كنا نعرف الكثير عن البجاستانات والمشافي وأقسامها وفروعها وادارتها وأطبائها وما يلحق بها من معاهد للتدريس والتعليم ، ولكننا لا نعرف بالضبط ما هي العلوم التي كانوا يدرسونها وكيف كانت تجري امتحاناتهم ؟ .

ولأهمية الموضوع وجدت ضرورة للبحث في مختلف المراجع القديمة والتراجم الطبية^(١) علّني أهندي إليه ، وإلى معرفة العوامل التي أدت إلى ازدهار العلوم الطبية والعلوم الطبيعية وغيرها وما كان لأطباء العرب من نصيب في هذا المضمار . والذي انصح لي بعد كل جهد أن أطباء العرب في القرون الخمسة الأولى من حضارتهم كانوا (انسكلوبيدين) أي (موسوعيين) بمعنى أنهم كانوا يتعلمون

-
- (١) كمبون الأنباء في طبقات الأطباء لموفق الدين أبو العباس بن أبي أصيبعة المتوفى سنة ٥٦٨ هـ . ٢ - وتاريخ الحكماء لظهر الدين البيهقي المتوفى عام ٥٦٥ هـ . ٣ - وإخبار العلماء بأخبار الحكماء لجلي الدين القفطي المتوفى عام ٦٤٦ هـ . ٤ - وكتاب البجاستانات في الاسلام للدكتور أحمد عيسى . ٥ - والطب عند العرب للأستاذ خير الله . ٦ - وكتاب الأعلام لحبيب الدين الزركلي . ٧ - والحضارة الإسلامية لكردي علي . ٨ - وتاريخ التمدن الإسلامي لجرمي زيدان . ٩ - ودائرة المعارف البريطانية . ١٠ - وكتاب وفيات الأعيان لابن خلكان . ١١ - وقانون جوراني المؤلف .

علومًا عديدة يضيفونها الى ثقافتهم الطبية العامة والخاصة التي بلغوا فيها شأواً عظيماً^(١) ما زالت آثاره الخالدة مسطرة في كتبهم ومعاهدهم ومؤسساتهم .

واذا نساء لنا لماذا كانوا يتعلمون تلك العلوم التي كان أولها وأهمها اللغة العربية والصرف والنحو والإعراب والبيان والبديع والبلاغة ، ثم العلوم الأدبية كالشعر والأدب والروايات ، ثم العلوم الاجتماعية كالتاريخ والتراجم والسيرة والقانون والقضاء ، ثم العلوم السياسية كنظام الحكم وأصول الإدارة والعلاقات الدولية ، ثم العلوم الفلسفية كالمنطق وعلم النفس وما وراء الطبيعة وعلم الأخلاق واللاهوت . ثم العلوم الرياضية كالحساب والجبر والهندسة والفلك والمثلثات ، ثم العلوم الطبيعية كالكيمياء والنباتات والحيوانات وعلم المعادن وعلم الأقاليم والمياه ، ثم يتعلمون العلوم الطبية كالفسيولوجيا ، والطب الداخلي وأمراض الجلد ، وعلم الجراحة وعلم الولادة وأمراض النساء ، وعلم الفسيولوجيا ، والصحة ، وأمراض العيون ، ومفردات الطب ، والأقرباذين ، والصيدلة وغيرها^(٢) . أقول اذا نساء لنا عن السبب لم نجد جواباً إلا أن عصرهم كان يحتم على أكثرهم دراسة هذه العلوم مع علوم الطب تبعاً لأصول التحصيل الجاري في زمنهم ، واستجابة لحاجات الناس الذين يعتبرون الطبيب ملماً وعارفاً بكل شيء . أما كيف وصلوا الى غاياتهم فكتب التاريخ والتراجم تدلنا على أن أطباء العرب اتبعوا أصاليب اليونان في ثقافتهم التي لم تقتصر على الطب والطبابة بل تناولت ما ذكرناه من العلوم

(١) ومع تعاطي المهنة الطبية كان بينهم من اشتغل في السياسة والوزارة ، ومنهم من كان نديماً خاصاً للوكلاء والأمراء والوزراء ، ومنهم من كان معلماً منفصلاً للعلم والبحث والتجربة والاستقراء ، ومنهم من تعاطى الطب ثم تركه واشتغل في الفقه والتدريس ، ومنهم من تصوف وانقطع عن الدنيا ، ومنهم من كان موسيقاراً أو شاعراً ، ومنهم من اشتغل في الفلك والرصد والرياضيات .

المنعددة والفنون المشهورة كما هو المعروف عن أبيقراط^(١) ، وسقراط^(٢) ، وأفلاطون^(٣) ، وأريسطو^(٤) ، وجالينوس^(٥) أئمة العصور اليونانية والرومانية وكما هو معروف عن أئمة أطبائنا كالفارابي ، وابن رشد ، وابن سينا ، والرازي ، والزهرى ، والزهرادى ، وابن البيطار ، وابن حزم ، وابن أبي أصيبعة ، وابن خلدون وغيرهم .

وسببه كما قلنا تأثير المجتمع وحاجات الزمن وطبيعة الثقافة التي فرضت على الطبيب أن يكون حكيماً علماً بما وصلت اليه معارف الزمن ، ماهراً في صنفته ، ذكياً في تدقيقاته وتحرياته ، فيلسوفاً في أنكاره ، وتصرفاته ، إنسانياً في معاملاته ، مدنياً في أخلاقه ، وعليه أن يمثل الفضيلة في سيرته ، وأن يتصف بالخصائل التي تجعله قدوة في النظافة وأدب المحادثة ، وجدبة العناية ، وكرم السر ، وخدمة المحتاج .

وعليه أن يكون بعيداً عن الأذى والضرر وسوء النية ، لا يقصر في معونة من يحتاجون الى علمه ، ورأيه وتدبيره ، كفوفاً في صنفته ، شريفاً في معاملاته . وكلها صفات حميدة لا يستغرب من المجتمع الانساني إن تطلبها من أطبائه

(١) أبيقراط Hippocrátès يعتبر أبا الطب وواضع أساساته ، ولد عام ٤٥٠ ق.م

(٢) سقراط Socrátès أشهر حكماء اليونان ولد عام ٤١٨ ق.م وتوفي عام ٣٩٩ ، وعلم في أثينا وكان يلقي دروسه في الأزقة والشوارع وبين الجماعات ثم تألب عليه السوفسطائيون وجروه أمام الحكم فعكس عليه بشرب السم وهو في السجن فشربه ومات .

(٣) أفلاطون Platon فيلسوف وطبيب يوناني ولد عام ٤٣٠ ق.م وتوفي عام ٣٤٧ قبل الميلاد .

(٤) أريسطو Aresto فيلسوف وطبيب من أكبر فلاسفة اليونان ولد في عام ٣٨٤ ق.م وتوفي عام ٣٢٢ ق.م

(٥) جالينوس Galinus من اعظم أطباء اليونان ولد عام ١٣١ بعد الميلاد وتوفي عام ٢٠١ .

فما مضى والآن ، لأن علم الطب كان في جميع العصور التي مرت على تطوّر البشرية ورفي الإنسان معدوداً من أرقى العلوم وأهمها ، ومعاطاة الطب كانت ولا تزال من أشرف المهن ، والطبيب العالم الحاذق الفاضل كان ولا يزال صاحب الاعتبار والتقدير في مجتمعه وبين أفراده ، لأن يده تخفيف الألم وإزالة شفاء السقام أو تعديله ، وجبر الكسر ، وبتر الفاسد ، ومداواة العلة ، وحفظ الصحة ، ووقاية الجسم ، وتشخيص المرض ، ومحاربة الوباء ، ومعالجة الجروح ، وإعادة النفوس العالقة الى حلالها الطبيعي .

وإذا كانت تلك الخصال والمزايا والعلوم من ضرورات العصر اليوناني ومن ضرورات العصور العربية ، وكانت أيضاً من ضرورات العصر المصري والبابلي والآشوري والایراني فلماذا لا تكون من ضرورات عصرنا وإن تطوّرت وتنوعت ثقافة أطبائنا وأصبحت ذات فروع وذات اختصاص ، ولها معاهد ومؤسسات ومختبرات ، ولها أدوات ومعدات ؟ أليست الفضائل التي كانت مطلوبة من الأطباء الأقدمين هي ذات الفضائل التي نتطلبها ويجب أن نتطلبها من كل طبيب اليوم وغداً وفي بدم أرواحنا وحياتنا ؟ وإذا كانت أساليب تعليمنا الطب قد تغيرت اليوم وفاقت ما كانت عليه ، وثقافتنا الطبية قد اتسعت آفاقها وارتقت مقاييسها العلمية فهل من الضروري أن تتغير أخلاقنا الطبية وخصالنا المهنية ، وواجباتنا الأدبية ؟

قبل الإجابة على هذا السؤال المهم سلباً أو إيجاباً ، وقبل بيان ماهية ثقافة أطبائنا العرب ، يتحتم علينا - ولو بصورة وجيزة - استعراض نشأة الطب من أقدم الأزمنة حتى أيام العرب الزاهية ، وبيان ما كانت عليه نظرة المجتمع الى الأطباء ومهنتهم ، وما هي مجمل الفضائل التي كانوا يتحلّون بها ؟ .

تذكر كتب التاريخ والحضارة أن الكهنة في مصر وابل وآشور والهند

والصين كانوا يمارسون الطب ويعلمونه ويعرفون خواص الأعشاب وكيفية استعمالها ، وكانوا يتوارثون المعرفة والمهنة خلقاً عن سلف ، ويتعلمون معها السحر والتنجيم وعلم الكيمياء ، وعلوم الدين وما يتصل بالعبادات والطقوس والشرائع ، ويتعاطون التطبيب كما يتعاطون خدمة الهياكل والمعابد ، والآلهة والأصنام .

وكان لهؤلاء الكهنة الأطباء وسدنة الهياكل والمعابد صفة القداسة وسلطة القضاء والحكم بين الناس .

وكان الكهنة يعتبرون الطب والطبابة ومعرفة الكيمياء من الأمور السرية المقدسة التي لا يجوز إباحتها لكل طالب ، لأن لها أسرارها وأصالتها ، وأدعيتها ، وتعاونيها ، فلا يعلمونها إلا من كان من أولاد الملوك أو الأسراء أو من طبقة الأشراف النبلاء ، ويتحلون بالصفات المؤهلة التي تمكنهم من أن يكونوا خدمة الآلهة والملوك وخدمة الطبابة تقديساً للعلم والطب والطبابة ورفعاً لدرجاتها واعتبارها .

وفي أيام البابليين كانت أهل المرضى يضعون مرضاهم في الشوارع العامة ويعرضونهم على المارة لعل واحداً منهم يكون قد أصيب بما أصيب به المريض ثم شفي من دائه فيصف للواقفين ما استعمله من العقاقير والأدوية والأعشاب والتعاونيد والأدعية حتى زال عنه المرض وتخلص من الروح الشريرة التي كانت سبباً لمرضه ، فيدونون ما قاله على ألواح مشوية من الآجر ويسلمونها الى سدنة الهياكل ليحفظوها ويضيفوها الى غيرها من الألواح التي اكتشف علماء الآثار الكثير منها .

ولعل ما حدث في الماضي السحيق يحدث مثله اليوم بين القبائل المتوحشة التي تعيش في حالة بدئية في مجاهل افريقيا وأمريكا الجنوبية ، وفي صحارى

أستراليا ، وفي آسيا وجزر الهند ، فإن مرضاهم يلجأون الى الكهنة والسحرة لمداوتهم وطرد الأرواح الشريرة عنهم .

وعما خلفه المصريون والبابليون والهنود من آثار وكتب وروايات نستطيع أن نقول بأن تاريخ الطب قد بدأ في عصور تلك الأمم وأمثالها ومن أتى بعدها . وبدلنا تاريخ اليونان على أن الطب أيام (اسقولايبوس^(١)) انحصر فيه وفي أولاده وعائلته التي انحدر منها (أبقراط^(٢)) ، وتدلنا وصية أبقراط وهي الميثاق الخالد في عالم الطب على وجود النظام الوراثي في تعاطي الطب ومعاطاته . على أن هذا الانحصار العائلي لم يتبدل إلا في زمن (أفلاطون^(٣)) الذي أنشأ (الأكاديمية) للعلوم والطب والفلسفة والرياضيات في (أثينا) وخصها بتلامذته ومربديه يؤمنونها ويحضرون دروسه . وكانت أبواب (الأكاديمية) مفتوحة لأبناء الشعب ولكن لا ينسب إليها إلا من توجد فيه الأهلية والجدارة لتحصيل العلم من أبناء اليونان .

وجاء في المصادر المصرية بأن سكان مصر هم أقدم من تعاطى صناعة الطب لاعتقاد ملوكهم وكهنتهم وعلمائهم أن الروح عائدة الى الجسم بعد مفارقتها له اذا بقيت الأجسام سليمة من الفناء .

وبدافع هذه العقيدة اشتغلوا بأمر التحنيط واكتشفوا ما يلزم له من مواد كالزبوت العطرية ، والراتنجية ، والدهنية ، والمعدنية ، وكانوا يستعملون معها

(١) أسكولايبوس Asclepius إله أسطوري عند اليونان ويقال انه ابن «أبوللو» أبو الآلهة . وكانت أمه حورية اسمها كوروليس ، ووصفه هوسر بأنه طبيب ماهر وكان يمثل في المابد ويمجد ، وله ابنة هي إلهة الصحة اسمها هياجين وولد هو إله الشفاء .

(٢) أبقراط Hippocrátès .

(٣) أفلاطون Platone عاش في سني ٤٣٠ - ٣٤٧ ق.م

الكافور وزيت الصندل ، والمر ، وحصى اللبان ، ومر كبات الزبيق ، ومر كبات الذهب ، والآنبيحون ، والآنرنيك الطبيعي ، وأملاح الكور والصوديوم والبوتاس ، والرصاص ، والبور كس والنطرون وغيرها من المواد العضوية وغير العضوية لاحكام عملياتهم الكيميائية الدقيقة المعقدة .

وأشهر من عرف من أطباهم (هرمس الأول^(١)) الذي ألف اثنين وأربعين كتاباً مقدساً كان منها ستة في الطب وتركيب البدن وأعضائه ، ولا سيما في العينين وفي الجراحة والآلات الجراحية المستخدمة لتوليد النساء ، ومعالجة أمراضهن . وكان يعتقد أن المعارف والمقنيات والحقن من مقصات المرض وموجبات الشفاء .

ثم جاء من بعده وسار على منواله الهرامسة الثلاثة الذين أورد ذكرهم صاحب طبقات الأطباء وكان أقدم كتاب طبي عرف عند المصريين « رسالة في التشريح » ورسائل طبية عديدة تأليف (أنوثيس بن منيا) من ملوك الدولة الأولى المصرية .

وتدلنا شريعة حمورابي المؤرخة في حدود عام (٢٠٨٤ - ٢٠٨٠) قبل الميلاد على أن البابليين كان لهم أطباء وجراحون ، وكحالون ، وبياطرة ، وكانت أجرة الطبيب والجراح والبيطري معينة ومنصوصاً عليها في مواد الشريعة ، وكذلك ورد فيها عقاب من يسيء عمله عمداً أو جهلاً .

وفي القرن السابع من الميلاد اكتشفت فيما بين النهرين (دجلة والفرات) إحدى المدارس التي كان يدرس فيها الطب .

(١) هرمس Hermés هو الاسم اليوناني للآله (طوت أوتوت) المصري ويقال الاسم أيضاً لرجل من حكماء مصر تنسب اليه بعض الكتب الطبية . والهرامسة عدة أشخاص اشتهروا كلهم بالطب والعرب تسمي (هرمس الأول) ادريس وهو من بابل .

والبابليون أول من بنى أساسات المعالجة على الأمزجة الأربعة^(١) والأخلاق الأربعة^(٢) وأول من مارس الاختصاص في مهنة الطب . وكانوا كالمصريين يستعملون بالأدوية والتعاويذ والرقى والسحر لشفاء الأمراض وطرد الأوبئة وإخراج الأرواح الخبيثة من المصابين بالصرع أو الجنون . وكان التنجيم عندهم من جملة الوسائل لشرب الدواء وقطف الزهور وجمع الأعشاب وتعيين وقت العمل ووقت تناول ، ووقت الفصد والحجامة .

ولما ازدهرت حضارة اليونان كان «أبقراط» المولود عام ٤٦٠ قبل الميلاد أول من ألف كتب الطب وأول من فصله عن الدين ، وأول من جعل مصدر الأمراض الغذاء والهواء . وكان طبيباً ماهراً وله مدرسة يدرس فيها الطب ، وعيادة خاصة بداوي فيها مرضاه . وقد عرف عنه أنه كان يعتمد في معالجة المرض ومداواته على الملاحظة والتجربة . ومن تعاليمه : (أن الأمزجة^(٣) أربعة ، والعناصر^(٤) أربعة ، وخواص الأشياء^(٥) أربعة) ، وكان يعتني بالصحة والتشخيص ، ويتعاطى التشريح والجراحة ، وامتاز في عملياته .

وذكر التاريخ أن «أبقراط» سكن مدينة حمص ، وذهب منها إلى دمشق ، وأقام فيها في بستان غربي الصالحية في محل يسمى (قبة اليسار^(٦)) . وهو واضع

(١) الأمزجة الأربعة : المزاج الصفراوي ، والمزاج الدموي ، المزاج البلغمي ، والمزاج السوداوي .

(٢) الأخلاق الأربعة : الدم ، والبلغم ، والمرارة الصفراء ، والمرارة السوداء .

(٣) الأمزجة الأربعة : الدموي ، والبلغمي ، والصفراوي ، والسوداوي .

(٤) العناصر الأربعة : هي النار ، والهواء ، والماء ، والتراب .

(٥) خواص الأشياء الأربعة : حار ، وبارد ، ورطب ، ويابس .

(٦) قبة اليسار (ولها اليسار) : محل بالقرب من (دير سرمان) ذكره الفطحي في أخبار الحكماء وفي معجم البلدان (٤ - ١٧٢) هو الدير السكائن بالقرب من دمشق على تل مشرف على مزارع الرعفران ورياض حسنة وبنائه بالجس وأكثر فرشته بالبلاط الملون وهو دير كبير وفيه رهبان ومدحه الصنوبري . ويوجد دير آخر بهذا الاسم واقع على جبل يشرف على (كفرطاب) قرب المزة ، ويقال إن فيه قبر عمر بن عبد العزيز .

الميثاق الطبي الشهير الذي طلب من تلامذته أن يقسموا عليه ويعملوا بموجبه ، وقد بقي منذ ذلك العهد حتى زمننا الحاضر عهداً يقسم عليه الأطباء في كلياتهم وجامعاتهم أمام أساتذتهم قبل أن يخرجوا ويمارسوا مهنتهم .

ما هو هذا القسم ؟

جاء في كتاب (طبقات الأطباء) للطبيب ابن أبي أصيبعة أن محتويات القسم هي ما يأتي :

« اني أقسم بالله رب الحياة والموت وواهب الصحة وخالق الشفاء ، وكل علاج ، وأقسم بأسقليبيوس ، وأقسم بأولياء الله من الرجال والنساء جميعاً وأشهدهم جميعاً ، على اني أفى بهذا العهد وهذا الشرط ، وأرى أن المعلم لي هذه الصناعة بمنزلة أبي وأواسيه في معاشي واذا احتاج الى مال واسبته وواصلته من مالي الخاص ، وأما الجنس المتناسل منه فأرى أنه مساو لاخوتي ، وأعلمهم هذه الصناعة ان احتاجوا الى تعلمها بغير أجره ولا شرط ، وأشرك أولادي وأولاد المعلم لي والتلاميذ الذين كتب عليهم الشرط وحلفوا بالناموس الطبي في الوصايا والعلوم وسائر ما في الصنعة ، وأما غير هؤلاء فلا أفعل به ذلك ، وأقصد في جميع التدبير بقدر طاقتي منفعة المرضى ، وأما الأشياء التي تصرفهم وتدني بالجور عليهم فأمنع منها بحسب رأيي ، ولا أعطي اذا طلب مني دواء قتالا ولا أشير أيضاً بمثل هذه المشورة ، وكذلك أيضاً لا أرى أن أدني من النسوة فرزجة^(١) نسقط الجنين وأحفظ في نفسي في تدبيري وصناعتي على الذكاء والطهارة ، ولا أشق أيضاً عمن في مثاته حجارة ولكن أترك ذلك الى من كانت حرفته هذا العمل .

(١) الفرزجة : هي التعميلة التي تحملها المرأة لاسقاط الجنين وفي الغالب تكون من

« وكل المنازل التي أدخلها إنما أدخل إليها لمنفعة المرضى ، وأنا بحال خارجة عن كل جور وظلم وفساد ارادي مقصود اليه في سائر الأشياء ، وفي الجماع للنساء والرجال الأحرار منهم والعبيد . وأما الأشياء التي أعينها في أوقات علاج المرضى أو أسمعا في غير أوقات علاجهم في تصرف الناس من الأشياء التي لا ينطق بها خارجا فأمسك عنها وأرى أن مثالها لا ينطق به » .

ويظهر أن أبيقراط لم يكتف بهذا القسم بل توكد له وضع ناموسا لتعاطي الطب ، ووضع وصايا لمن يريد أن يكون طبيباً وأيده العرب في قسمه وناموسه ووصاياه واتبعوها قولاً وعملاً .

أما الناموس^(١) فقد قال فيه : « ان الطب أشرف الصنائع كلها ، إلا أن نقص فهم من ينتحلها صار سبباً لسلب الناس إياها لأنه لا يوجد لها في جميع المدن عيب غير جهل من بدعيها من لبس بأهل للنسي بها . اذا كانوا يشبهون الأشباح التي يحضرها أصحاب الحكاية ليلهاوا الناس بها ، فكما أنها صور لا حقيقة لها ، كذلك هؤلاء الأطباء بالامم كثيرون وبالفعل قليل جداً . وينبغي لمن أراد تعلم صناعة الطب أن يكون ذا طبيعة جيدة مؤاتية وحرص شديد ورغبة تامة ، وأفضل ذلك كله الطبيعة لأنها اذا كانت مؤاتية فينبغي أن يقبل على التعليم ولا يضجر لينطبع في فكره ويثر ثماراً حسنة مثل ما يرى في نبات الأرض . أما الطبيعة فمثل التربة وأما منفعة التعليم فمثل الزرع ، وأما تربية التعليم فمثل وقوع البذر في الأرض الجيدة ، فمتى قدمت العناية في صناعة الطب بما ذكرنا ثم صاروا الى المدن لم يكونوا أطباء بالامم بل بالفعل . والعلم بالطب كنز جيد وذخيرة فاخرة لمن علمه مملوء سروراً ، سرّاً وجهرًا ، والجهل به لمن انقلبه صناعة سوء وذخيرة ردية عديم السرور ، ودائم الجزع ، والتهور ، والجزع دليل على الضعف ، والتهور دليل على قلة الخبرة بالصناعة » .

(١) نقلاً عن ابن أبي أصيبعة : ١ - ٢٦ .

وفي الوصية قال : « ينبغي أن يكون المتعلم للطب في جنسه حراً ، وفي طبعه جيداً ، حديث السن ، معتدل القامة ، متناسب الأعضاء ، جيد الفهم ، حسن الحديث ، صحيح الرأي عند المشورة ، عفيفاً ، شجاعاً ، غير محب للمال ، مالكاً لنفسه عند الغضب ، ولا يكون تاركاً له في الغاية ، ولا يكون بليداً ، وينبغي أن يكون مشاركاً للعليل ، مشفقاً عليه ، حافظاً للأسرار ، لأن كثيراً من المرضى يوقفونا على أمراض بهم لا يحبون أن يقف عليها غيرهم ، وينبغي أن يكون محتملاً للشذبة لأن قوماً من المبرسمين ^(١) وأصحاب الوسواس - السيداوي) يقابلوننا بذلك . وينبغي أن نحتلمهم عليه ونفهم أنه ليس منهم ، وأن السبب فيه المرض الخارج عن الطبيعة ، وينبغي أن تكون ثيابه نقية ومعشره سالياً » . وتأيداً لما تقدم أذكر اعتقاد أطباء العرب فحين يريد أن يكون طبيباً . قال الطبيب مذهب الدين أبو الحسن علي بن أحمد بن علي بن هبل البغدادي المتوفى عام (٦٢٠) هجري في كتابه « المختارات الطبية » ^(٢) :

- (١) المبرسم : مشفق من البرسام - وهو التهاب في الحاجز الواقع بين الكبد والأمعاء ، والمبرسم من يصاب بهذا الداء . وأصل الكلمة دخيل على العربية وهي مركبة من « بر » ومعناه الصدر بالفارسية و « سام » ومعناه (الموت) .
(٢) وما جاء في وصايا البغدادي يتفق مع ما جاء في وصايا عميد أطباء القاهرة (ابن رضوان) الذي اشترط على الطبيب أن يكون متحلياً بجميع خصال ، هي :
« ١ - أن يكون تام الخلق صحيح الأعضاء ، حسن الذكاء ، جيد الزوية ، عاقلاً ، ذكوراً ، خيراً الطبع . ٢ - أن يكون كدوماً لأسرار المرضى لا يروح بشيء من أمراضهم . ٣ - أن يكون حسن اللبس ، طيب الرائحة نظيف البدن والثوب . ٤ - أن تكون رغبته في إبراء المرضى أكثر من رغبته في علاج الأغنياء . من الأجرة ، ورغبته في علاج الفقراء أكثر من رغبته في علاج الأغنياء . ٥ - أن يكون حريصاً على التأميم والمبالغة في منافع الناس . ٦ - أن يكون سليم القلب ، عفيف النظر ، صادق الهمجة ، لا يخطو بياله شيء من أمور النساء والأموال التي شاهدها في منازل الأعلام فضلاً عن أن يتعرض لها أو إلى شيء منها . ٧ - أن يكون مأموناً ثقة على الأرواح والأموال ولا يصف دواء قتالاً ولا يسهله . ولا دواء يسقط الأجنة . يعالج عدوه بنية صادقة كما يعالج حبيه . » ابن أبي أصيبعة - جزء ٢ ص ١٠٢ - ١٠٣ .

« ان لكل واحد من الناس حداً من الاستعداد في قبول العلوم والصنائع بحسبه يكون مطبوعاً فيها ، فاذا توفر على ما هو مستعد له ومطبوع فيه انتفع به ونفع ، وان بعداه الى غيره ضرر واستضر » ، والصنائع والعلوم تنمى وتزيد بوقوعها الى المستعدين المطبوعين فيها ، وتنقص وتفسد بوقوعها الى غيرهم . ويعرف المطبوع في الحكمة بصحة مزاجه وتناسب أعضائه وطهارة أخلاقه » .

« مجلد ٢ ص ٦ » .

ويضيف على قوله :

« وما يمتحن به حتى يوثق بعلمه وعمله أن ينظر فيما اذا أنفق زمانه في الماضي في الاشتغال بهذه الصناعة وملازمة خدمة الكبراء من هو أهل لها ، وطول ملازمتهم والقراءة عليهم والعلاج بين أيديهم ، والتدرب في الدخول على المرضى في بيوتهم ، وملازمة خدمة البيمارستانات التي يجتمع فيها حذاق الأطباء وكثرة نظره الى معالجة الأستاذ فيشار اليه ويعول عليه . وكذلك هل ينفي عليه الناس لحسن سيرته وديانته ، وان همته اذا خلا في بيته مطالعة الكتب ودراسة هذه الصناعة ، وأنه غير مشتغل باللهو واللعب والشرب وموازرة السكر ، ولا يبعث هذه الخلال المذمومة التي تستغرق الزمان بالتضييع ، والخطار بالتوزيع ، فان كان ينسب الى شيء من ذلك فلا ينبغي أن يوثق اليه ولا يعول عليه في هذه الصناعة » .

وهو قول اذا نظرنا اليه بعين تلك الزمن وبعين زمننا وبعين التحليل السيكولوجي والصحي والمسلكي نجده متوافقاً مع قسم ابيقراط ومع ناموصه الطبي ومع وصاياه ومع ما كانت تتطلبه المصور العربية في معاهدها وبيمارستاناتها من أطباء ، ومع ما نسعى الى تحقيقه والعمل به معاهدنا العلمية الحديثة في تنشئة الأطباء وتهذيب أخلاقهم وتربيتهم الصناعية لأنه قول صادر عن تجربة وعلم ، ونفس

نذرت نفسها للتعليم والتدريب والتفتئة وخدمة المهنة ، وخدمة الإنسان والإنسانية . وبعد هذا لنعد الى متابعة بحثنا عن تطور الطب ونشأة الأطباء ، فأقول : ومن بعد أفلاطون ظهر أريسطو الذي ولد في عام ٣٨٤ قبل الميلاد ومات في عام ٣٢٢ وكان من أعظم فلاسفة اليونان وهو وإن لم يكن طبيباً ولكن تعاليمه أثرت تأثيراً عميقاً في تقدم الطب وفي ذهنية العرب فدعوه المعلم الأول . ويذكر متنبع حيان وأثاره أنه ألف في مواضيع عديدة تتعلق بالطب كعلم الأحياء ، وعلم التشريح المقارن ، وعلم الفيسيولوجيا ، وعلم الأجنة ، وعلم الحيوان ، وعلم النباتات ، علاوة على ما ألفه في الفلسفة والمنطق والبيان والسياسة وعلم النفس وعلم الأخلاق .

وكان أستاذاً ومربيًا لاسكندر الكبير في صغره ولما تولى اسكندر زمام الحكم ، وقاد جيشه لفتوحات اتخذ معلمه مشاوراً له في أجهزاته وأموره السياسية . وقد اشتهر أريسطو بالولع العلمي والتجري الواسع والدقة العلمية والتهج الرتيب . وفي أيامه أنشأ الاسكندر مدينة الاسكندرية عام ٣٣١ قبل الميلاد وأنشأ معها مدرسة الاسكندرية التي ارتقت ارتقاءً عظيماً في عهد البطالسة وبقيت مناراً للعلم ونشره ومعهداً لتخرج العلماء والفلاسفة والأطباء والحقوقيين حتى الفتح الإسلامي عام ٦٤٢ ميلادية . ومن هذه المدرسة تخرج الأطباء (هيروفيلس ، وارسطرارطس) واشتهروا بترقية علمي التشريح والفيسيولوجيا ، وتخرج منها (جالينوس ^(١)) أعظم طبيب ترجم له العرب وأخذوا عنه أيام الأمويين لأنه كان خاتمة الأطباء الكبار الثانية الذين اشتهروا في هذه المدرسة .

وفي طبقات الأطباء يقول الطبيب ابن أبي أصيبعة : « ان جالينوس لما ظهر وجد صناعة الطب قد كثرت فيها أقوال الأطباء السوفسطائيين ، وانجحت

(١) جالينوس Galinus ولد عام ١٣١ وتوفي عام ٢٠١ . له اكتشافات خطيرة في التشريح ، اهتم به أئمة أطباء العرب .

محاسنها ، فانتدب لذلك وأبطل آراء أولئك وشيد أقوال (أبيقراط) وآراءه وآراء التابعين له ، وصنف في ذلك كتباً كثيرة كشف فيها عن مكنون هذه الصناعة ، وأفصح عن حقائقها ونصر القول الحق فيها ، ولم يجبي بعده من الأطباء إلا من هو دون منزلته ومتعلم منه » .

وكانت مدة حياة جالينوس على رأي الطبيب النحوي سبعة وثمانين سنة ، منها صبي ومتعلم (١٧) سنة ، وعالم ومتعلم (٧٠) سنة . ولكن جالينوس يقول عن نفسه في كتابه (مراتب قراءة كتبه) : « ان أبي لم يزل يؤدبني بما كان يحسنه من علم الهندسة والحساب والرياضيات التي تؤدب بها الأحداث حتى انتهت من السن إلى خمس عشرة سنة ، ثم انه أسلمني في تعليم المنطق وقصد بي حينئذ في تعليم الفلسفة وحدها ، ثم رأى رؤيا دعتة الى تعليمي الطب فأسلمني في تعليمه وقد أنت عليّ سبع عشرة سنة ، وبعدها تعلمت الطب ونعاطيته حتى بلغت الثمانين وثلاثين سنة » .

وكان جالينوس عبقرياً واسع المعلومات ، ذرب اللسان ، كتب الكثير في مختلف المواضيع الطبية المعروفة في زمانه انما كان ينقصها سلاسة أبيقراط ووضوحه . وكان في حياته ومبشته يحب الفخفخة ، وطالما ساقه عقله المولّد الى الدخول في عالم الخيال والفلسفة ، ولذلك أتى ببعض الآراء الوهمية غير المعقولة ، وأنت مؤلفاته صعبة الدرس والفهم ، ومع هذا فقد كانت بين المؤلفات الأولى التي نقلت الى العربية ، ترجمها حنين بن اسحق وولده اسحق وابن اخته حبش الأعمش . وكانت مدرسة الاسكندرية جمعت تأليف جالينوس كلها وبوّبتها ووضعتها في ١٦ مجلداً ليسهل درسها ، وذكر ابن أبي أصيبعة أن هذه المجموعة من الكتب المترجمة الى العربية كانت المتداولة بين الناس وفي أيديهم والمعتمد عليها في دراسة الطب (ككتاب الفرق الطبية ، وكتاب الصناعات الصغيرة ، وكتاب النبط الصغير ، وكتاب « غلوقن » الذي معناه الأزرق كتبه في الثاني اشفاء

الأمراض ، وكتاب في الفطام ، وكتاب في العضل وتشريح العصب ، وتشريح العروق غير الضوارب ، وتشريح العروق الضوارب ، وكتاب الأسطوانات^(١) وهو يبين جميع الأجسام التي تقبل السكون والفساد وهي أبدان الحيوانات والنبات ، والأجسام التي تنولد في بطن الأرض ، وكتاب المزاج ، وكتاب القوى الطبيعية ، وكتاب العمل والأمراض ، وكتاب تعريف عمل الأعضاء الباطنة «بأثولوجيا» ، وكتاب النبض الكبير ، وكتاب أصناف الحميات ، وكتاب البحران ، وكتاب حيلة البرء ، وكتاب علاج التشريح الكبير ، وكتاب فيسيولوجيا الأعضاء ، وكتاب في قوى الأدوية المسهلة ، وكتاب في العادات ، وكتاب في الأدوية المفردة ، وله كتب أخرى في أمور طبية ومسائل تتعلق بالتداوي نظر فيها وفسرها من جاء بعده من الأطباء الاسكندرانيين كاصطفان ، وانقيلانوس ، وجاسيوس ، ومارينوس ، وثادوسيموس ، وديسقوريدس ، ويحيى النخوي الذي عاش وخلق زمن عمرو بن العاص في مصر وله كتب عديدة ترجمت الى العربية أيضاً مع كتب ديسقوريدس صاحب الفضل في تعليم وتصنيف مفردات الطب .

وبعد ما انشقت الامبراطورية الرومانية^(٢) الى مملكتين واضطهد رؤساء الفساطرة السريان الذين كانوا في مدارس أثينا هاجر النسطوريون الى الشرق وكانوا من العلماء والفلاسفة والأطباء وحملوا معهم العلوم اليونانية وثقافتها وسكنوا بلاد الرها وما جاورها وأقاموا فيها مدارسهم .

(١) الاسطوانات : معناها العناصر . وهي عند الأقدمين . (الماء والأرض والهواء والنار) وأصلها مأخوذ من اليونانية .

(٢) لم يكن العصر الروماني البيزنطي الممتد من عام ٤٧٦ الى ٧٣٢ بعد الميلاد من العصور التي لها أثر كبير على العرب ، بل كانت المدينة اليونانية خلالها في الحطاط والمحيرة تماليم أبيراط ، وسوقراط ، وجالينوس في الإدارة .

ومنهم من سكن في نصيبين ، وفنسرين ، وميافارقين ، وأسسوا فيها مدارس علمية وطبية أخرى بلغت خمسين مدرسة ، ومنهم من هاجروا الى جنديسابور من بلاد العجم وأوجدوا أيضا مدرستهم الشهيرة التي تخرج منها الطبيب العربي الشهير الحارث بن كادة أول طبيب في الجاهلية قابل كسرى أنوشروان مع وفد من رؤساء العرب وتحدث اليه ووصف له فضائل العرب ومكارمهم وأجابه على عدة أسئلة سأله عنها ليمنحن معرفته .

وكان الفساطرة ترجوا العلوم اليونانية الى السريانية ، ولما فتح العرب بلاد سرورية والعراق وايران ، وفتحوا قلوبهم للعلم وبذلوا الأموال للحصول عليه وصرفوا حياتهم للحصول على كتبه وترجمتها وصافروا لأجل ذلك الى بلاد اليونان وايران والهند والصين وعملوا على ترجمتها ، واستقدموا العلماء والتراجمه لهذه الغاية وللتعليم والتدريس والتطبيب ، كانت هؤلاء الفساطرة وغيرهم من خير ما ساعد على ذلك .

والذي نستطيع استنتاجه من كل ما تقدم أن أطباء العرب بدأوا تعلم الطب من الذين كانوا في مدرسة الاسكندرية ابان فتح مصر ، ثم من أطباء الفساطرة الذين كانوا يدرسون في مدارس الرما وغيرها مما ذكرنا أسماءها .

(يتبع)

عبد الرحمن السكيالي

العلاقات الجوهرية

بين اللغتين العربية والآرامية « السريانية »
في النواحي التاريخية والفنية واللغوية والأدبية

- ٤ -

ان المرحلة الطويلة التي عاش فيها العرب الفاسنة متحدثين بالسريان في مناطق سورية وغيرها ، أتاحت أعظم فرصة لبقاء اللغتين العربية والآرامية السريانية ولا تصالهما الطويل ، مما كان له الأثر الفعال في كليهما ، وعلى الأخص في بلاد سورية ، وقد بقيت آثاره الى اليوم دائرة على الألسن السورية ، إذ اصطفت اللغة العربية المحكية فيها بصفات سريانية كثيرة منذ تلك العصور الى يومنا هذا .
وأم الآثار السريانية الآرامية في اللغة العربية المحكية في بلاد الشام على الأخص هي ما يأتي :

١ - قلب (ميم الجمع) الى نون في ضميري المخاطبين والغائبين مثل (أبوكن ، أخوكن ، بيتكن) ، عوض (أبوكم ، أخوكم ، بيتكم) ، ومثل (أبوهم ، أخوهم ، بيتهم) عوض (أبوم ، أخوم ، بيتهم) . وذلك مستمد من السريانية الآرامية اذ يقال (احمم ، اسمم ، حمم) كما يقال (احمم ، اسمم ، حمم) وهي صيغة سريانية لا غير .

٢ - اسكان الحرف المتحرك بحركة الاختلاس في وسط الكلمة ، وقد تنقل حركته الى الحرف الذي قبله مثال ذلك : (علتكت ، عميتكت . ونحمله ، زلقطة) وما اليها عوض (علتكت ، عميتكت . نحله ، زلقطة) كما هي الحال في بقية البلاد العربية .

٣ - اسكان المتحرك في أول الكلمة وفي مواضع أخرى من ذلك :
(كَنبِير ، صَغِير ، كَبَار ، نَوح) وهذه توجد في لغة الموصل العامية
أيضاً ، وهي مستمدة من السريانية لا غير ، لأن هذه الحالة لا توجد إلا في
اللغة السريانية .

٤ - استمداد لغة الشام العربية المحكية الى الآن كلمات كثيرة سريانية صرفة
من ذلك : دَقَر أي (صَدَم) ، سَكِر (أُلْغى الباب ونحوه) ، دَنَق (نظر) ،
فَقَعَ (انفجر) ، دَلَف (بمعنى وكف) ، شَمَط (اسفل السيف ونحوه) ،
شَطَح (بسط ، مد ، وامتد) ، فَلَش (هدم) ، وهذه توجد في عامية الموصل أيضاً ،
شَقَل (نقل ، أخذ) . ومن الأسماء : شوب (الحر) ، شرش (جذر) ،
شكارة (ما يزرع لأجل القوت القليل ، وهذه توجد في عامية الموصل أيضاً) ،
القَاتُول (القاتل) ، الشاقول (ما يستعمله الممار لوزن استقامة البناء) ، القُرطب
(نوع من الشوك معروف) .

كل هذه الأفعال والأسماء مستمد من السريانية الآرامية ، وهي فيها في
هذه الصيغة . ونحن لا ندعي أنها موجودة من عهد الفساسنة العرب كلها ،
فلا بد أن هنالك ألفاظاً واصطلاحات دخلت اللغة العربية منذ انتشارها بعد
هروب السريانية من الألسنة السورية ، ومن هذا القبيل أيضاً أسماء كثير من
القرى والأنهار والأماكن التي ورثت أسماءها من اللغة الآرامية القديمة .
وهذه الأمور تكفي للدلالة على تأثير اللغتين أحدهما بالآخرى في سيرهما
جنباً الى جنب كل هذه المدة الطويلة ، وتمازج أهلها في مختلف العصور التاريخية .
والآن ننقل الى منطقة عربية أخرى هي منطقة نجران في بلاد اليمن السعيدة ،
فقد تبوأها العرب المسيحيون منذ أقدم العصور المسيحية ، وكانوا متحدنين مع
الكنيسة السريانية الآرامية في بلاد سورية وغيرها ، وهو ما جعل اتصالاً آخر
مباشراً بين اللغتين العربية والآرامية بعد الاتصالات القديمة التي عرفناها سابقاً .

في مدينة نجران العربية ازدهرت المسيحية ^(١) ، وأقيمت الكنائس الجليلة فيها وفي بقية المدن اليمنية أمثال مأرب والمجران ^(٢) ، وأصابها الشدة بين سنتي ٥١٩ — ٥٢٤ م ذاهمها ذو نواس اليهودي فعث فيها وفي سائر المدن المجاورة تقتيلاً ونفطيماً ، واشتهر من الشهداء المسيحيين العرب الشجعان الحارث بن كعب وبضع مئات من الرجال والنساء والأطفال ^(٣) . وكذلك اشتهرت من الشهيدات عقيلة الحارث الشريفة (رومي) ، وقد أثبت خبر شجاعته المؤرخ ميخائيل الكبير نقلاً عن رسالة شمعون الأورشليمي معاصر هذه الحوادث الدامية ^(٤) .

ان المسيحية في نجران والمدن المجاورة لها كانت مسيحية عربية آرامية بآن واحد ، كما كانت قبلها الوثنية وثنية عربية آرامية حيث عبد العرب وعلى الأخص قبائل حمير (الشمس) ^(٥) وهو (شمس) الإله الآرامي القديم ، فتكوف القبائل العربية في هذه المنطقة متعلقة بالآرامية في عهدها الوثني والمسيحي ، لأن الفرصة أنيحت في كلا المهدين للاقاء اللغتين العربية والآرامية ، غير أنه في العهد المسيحي قويت العلاقة بين هاتين اللغتين الشقيقتين ، لأن أهل حمير أخذوا يكتبون بالقلم الآرامي السرياني بدلاً من الخط المسند الشائع عندهم قبل ذلك ^(٦) .

ويظهر من سياق حوادث التاريخ أن أهل نجران كان فيهم كثيرون ممن يقرأون اللغة الآرامية ويفهمونها . وقد وجه إليهم العلامة بمقوب السروجي الملفان رسالة ضافية يشجعهم فيها على الثبات في إيمانهم ومكافحة المعتدي الأنيم

(١) الطبري جلد ١ ص ٩١٨ وابن خلدون ، المعبر ٢ ص ٥٩ .

(٢) الدور النفيسة لفبطة البطريك أفرام برصوم ص ٣٩٣ و ٤٩١ - ٤٩٢ .

(٣) ميخائيل الكبير ص ٢٧٤ .

(٤) ميخائيل الكبير ص ٢٧٣ - ٢٧٦ .

(٥) ابن العبري مختصر الدول ص ١٥٩ .

(٦) المكتبة الشرقية للسماني المجلد ٣ ص ٦٠٣ .

بالصحود في حومة الاسنشهد وذلك في شدة ذي نواس اليهودي سنة ٥١٩ م .
 وكتبت هذه الرسالة بالسريانية وهذا مطلعها : « الى المجاهدين المختارين ،
 محبي النصر الحقيقي ، عبيد الله المؤمنين الصادقين في نجران مدينة
 الحميريين » ^(١) وذكر من أساقفة نجران العرب قس بن ساعدة (الخطيب العربي
 المشهور) كما ذكر من أساقفتها السريان الأسقف فولا الذي كان قد توفي
 قبل اضطهاد ذي نواس ، فأخرجت عظامه من القبر وأحرقت بأمر هذا الطاغية ^(٢) .
 وعلى ذكر كتابة الحميريين بالخط السرياني الآرامي نعود فنقول مع الأستاذ
 ولفسون : إن العرب في عهد جاهليتهم الوثنية كانوا يستعملون الخط النبطي
 الآرامي المتأخر ، وكانت حضارة العرب الوثنية مرتبطة بالنبط ارتباطاً وثيقاً ،
 وكان نصارى العرب يستعملون الكتابة النبطية واللغة الآرامية التي كانت
 لغة العمران والدين عند نصارى الشرق ، وكان أهل نجران على الأخص ،
 وهم عرب خلص ، يعرفون اللغة الآرامية ^(٣) ، وعلى الأخص في طقوسهم الدينية ،
 واتصلهم بالكنيسة الأم في سورية وفي غيرها من الأصقاع الكنسية ^(٤) ،
 وهذا كاف لتأييد رأينا في اتصال اللغتين الساميتين ، وتبادل المادة بينهما كما
 سنرى فيما يأتي :

وكانت في العراق قبائل عربية كثيرة تسير تحت راية الكنيسة السريانية
 الأرثوذكسية متحدة معها بالإيمان والعمل ، وأشهرها قبائل تغلب وطي وغمر
 واباد ، ومن أشهر أساقفتها الأقدمين العلامة الفيلسوف أحودامه ، وكان أسقفاً
 للمنطقة المعروفة بـ (باعرباي) أي ديار العرب ، وهي الواقعة بين الموصل وسنجار

(١) المتحف البريطاني - المخطوطات السريانية رقم ٤٧٢٦ ١١ ورقم الرسالة في هذه

المجموعة ١٥ ومخاتل الريمان بقلمنا ص ٤٣ - ٤٥ .

(٢) ميخائيل الكبير ص ٢٧٤ .

(٣) ولفسون ص ٢٠٢ .

(٤) تحقيقات تاريخية ص ٢٧ .

ونصيبين^(١) ، وبعد أن قلده مار يعقوب البرداعي مطرانية بلاد المشرق العامة سنة ٥٥٩ م سار بنفسه الى جنوبي العراق ، فدعى بقية العرب الرحل الى النصرانية ، فهدى جماهير كثيرة منهم الى المسيحية ، وأنشأ لهم ديرين وعدة كنائس^(٢) . وهذا يدل على أن هذا المبشر كان يتكلم العربية كما كان يتقن لغته السريانية ، ومن المؤكد أنه أنشأ لهم الشعائر الدينية ، هو والكنهنة الذين رسمهم لهؤلاء العرب ، باللغة العربية ، كما اشتهر بعده من الأساقفة العرب جرجس أسقف العرب الفيلسوف الذائع الصيت^(٣) ، وسنكتب عنه دراسة وافية إن شاء الله .

على أن أشهر القبائل العربية العراقية هي قبيلة تغلب ، وقد حدثنا التاريخ عن وحدتها مع الكنييسة السريانية الأم في العراق ، ورسم البطارقة الانطاكيون السريان لها أساقفة كثيرين ، يتصل بعضهم بنسب عربي والبعض الآخر ينحدر من محمد مرياني ، ومن أولئك الأساقفة يوسف التغلبي الذي رسمه البطريرك يوليان الثالث (٦٨٨ - ٧٠٩ م)^(٤) . ورسم البطريرك قرياقس التكريتي (٧٩٣ - ٨١٧) ثلاثة أساقفة لهؤلاء العرب ، أولهم الأسقف يوحنا للكوفة ، ثم الأسقف داود ، ورسمه في (دقلا)^(٥) عاصمة التغلبة ، والأسقف عثمان العربي ، وهو الخامس والأربعون في عداد أساقفته^(٦) ، ورسم البطريرك التلمحري (٨١٨ - ٨٤٥) خمسة أساقفة للعرب التغلبة هم : يوحنا من دير فرقنسا ، وتوما من دير بيرقوم ، وحبيب من دير كنوشيا ، ويوسف ويسمي (مرزوق) ، وجرجس ، وكذلك رسم لبقية العرب أساقفة آخرين

(١) المؤلّف المنشور ص ٩٥٩ الطبعة الأولى وقصته السريانية المخطوطة .

(٢) قصته السريانية المخطوطة .

(٣) المؤلّف المنشور ص ٣٢٢ - ٣٢٣ .

(٤) التاريخ الكنسي لابن العبري ، ترجمة البطريرك يوليان الثالث .

(٥) دقلا كلمة سريانية معناها النخل .

(٦) ثبت البطارقة والأساقفة في تاريخ ميخائيل الكبير ص ٧٥٢ - ٧٦٩ .

أشهرهم يوحنا أسقف العرب الرحل ، ويوحنا أسقف تدمر ، وسبرو من دير أطو^(١) . ورسم البطريك يوحنا الخامس (٨٤٧ - ٨٩٤ م) سبعة أساقفة للعرب من بني معد والتغالبة والنجرانيين (هم بقايا مسيحيي نجران الذين شتتتهم ذو نواس اليهودي في اضطهاده لهم سنة ٥١٩ - ٥٢٤ م) وهم : الأسقف يعقوب للتغالبة وأحودامه أسقف بني معد ، وطيرمي لبني معد ، وشمعون لبني نجران وبني معد من دير كنوشيا ، وماكوس للتغالبة ، ويوحنا من دير مار زكي لبني معد ، ويوحنا للتغالبة الضاربين في بادية الموصل ، ومثلها فعل البطارقة أغناطيوس الثاني ، وتيودوسيوس ، ودبونيوس الثاني ، ويوحنا السادس ، وباسيل الثاني من سنة ٨٧٨ الى سنة ٩٣٥ م^(٢) ، فرسموا أساقفة كثيرين لهذه القبائل العربية المتحدة بالكنيسة السريانية في سورية والعراق .

وكان معظم هؤلاء الأساقفة ينتقلون مع قبائلهم من دار الى دار ، يسكنون الخيام ، ويقبضون الشعائر الدينية في بيوت الشعر ، وقد حدثنا الفيلسوف يحيى بن جرير التكريتي عنهم قال : « وقد كان في العرب نصارى كني تغلب وقوم من اليمن وغيرهم ، ومعهم أسقف يطوف معهم في الحلل في سفرهم ، وينقل المذبح أعني الدفة المقدسة (الطليلث)^(٣) من موضع الى موضع ، الى سنة ثلاثماية للعرب (٩١٢ م) ، فوصل الى تكريت قوم من العرب النصاري وابتاعوا لهم ميرة ليمتاروا بها ، وكان منهم رجل دبن حسن الطريقة فقلده مطران تكريت الأسقفية ، وكان يقدس لهم باللفظ العربي ، وكان يقدس لهم على الإنجيل^(٤) » .

(١) الثبت نفسه ص ٧٥٤ - ٧٥٥ .

(٢) الثبت نفسه .

(٣) هي قطعة من الخشب تكرس ليوضع عليها القران المقدس .

(٤) كتاب المرشد ليحيى بن جرير التكريتي الباب ٥٤ (مخطوط) .

نستنتج من هذا كله أن العربية والآرامية ، سارتا جنباً الى جنب في جميع العصور منذ عهد الوثنية الى قرون عديدة من عهد المسيحية ، حتى بعد انتشار الاسلام ، مما أثر في كليهما تأثيراً عظيماً وعلى الأخص العربية التي أفادت من اختيها الآرامية فوائد عظيمة . قال الأستاذ محمد عطية الأبراشي : « في الوقت الذي كان للغة الآرامية الغلبة والانتصار أثرت تلك اللغة الآرامية في اللغة العربية تأثيراً عظيماً ، وكلما أمعنا في الفحص والاستقصاء أنضح لنا أن كثيراً من الكلمات العربية التي كانت تستعمل للتعبير عن الأفكار والمواد التي تدل على درجة معينة من المدنية استعيرت من اللغة الآرامية ، ومن هذا نستنبط أن العرب شعروا بالمدنية التي كانت لدى جيرانهم الآراميين في الشمال وأنهم قد تأثرو بها » ^(١) .

ونحنم بحث العلاقات التاريخية بين اللغتين العربية والآرامية بقول الأستاذ الأبراشي أيضاً وهو : « إن اللغة العربية الفصحى . . . نشأت من الآرامية في الشمال والسبئية في الجنوب ، إلا أن آرامية الشمال تغلبت على السبئية في القرون القريبة من الاسلام » ^(٢) . ونضيف عليه قولنا : إن ذلك حدث بفعل الاتصال الدائم الذي رأيناه بين هاتين اللغتين الشقيقتين منذ أقدم عصورهما التاريخية الى العصور المتأخرة .

٥ _ العلاقات الفنية في الأبيجدية

ان العلاقات الفنية في نشوء الأبيجدية بين اللغتين الآرامية والعربية هي من الأهمية بمكان عظيم ، بل هي الناحية الأعظم إشراقاً والأرفع شأناً في كيفية

(١) لغة العرب وكيف تنهض بها لحمد عطية الأبراشي طبع مصر سنة ١٩٤٧ ص

١١٤ - ١١٥ والآداب السامية له طبع سنة ١٩٤٦ ص ١٠٨ .

(٢) لغة العرب للأبراشي ص ١٢٢ .

تعاونها وسيرهما جنباً الى جنب في جميع عصورهما التاريخية ، وتأزرهما على الحياة والنمو والتكامل ، وانبثاق القوى الحيوية وانسكابها من إحداهما في الأخرى ، فما هو الحق التاريخي الذي تحوزه كل من الأبيديتين ؟ وما هو التسلسل الزمني والفني الذي سار فيه كل من القلمين ، كل ذلك سندرسه في سطورنا التالية :

يذهب علماء الساميات الى أن أقدم أبيدية سامية هي الأبيدية الكنعانية ^(١) ، وعنهما نشأت بقية الأبيديات في عصور متفاوتة ، فصدرت الأبيديات الآرامية ^(٢) والعبرية ^(٣) ، وفي العصور القريبة من الإسلام انبثقت الأبيدية العربية منحدرة من الأبيدية النبطية الآرامية ^(٤) ، ونحن لا يهنا هذا التدرج التاريخي في بحثنا هذا وإن كانت فيه هنات لا يصح التغاضي عنها ، إنما تهنا العلاقة الوثيقة بين الأبيديتين الآرامية والعربية ليكون بحثنا حائزاً على كل صفاته الموضوعية الكاملة .

من البديهي أن علماء الساميات أصدروا قراراتهم السابق بشأن التدرج التاريخي في نشوء الأبيديات السامية استناداً على الكشوف الأثرية التي وجدت الى الآن ، ولكن الكل يعلم أن هذه الكشوف مازالت قليلة جداً - رغم كثرتها - بالنسبة الى ماستحدثه الكشوف الأثرية القادمة في المستقبل ، لذلك لا يسوغ الركون الى تقرير يستند على مصادر ناقصة ، قد تنقلب رأساً على عقب في لحظة واحدة ، اذا اكتشف رقيم واحد يضاد معلوماتنا الحاضرة ، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية إن تقريراً يستند على مصادر مازالت آخذة في الازدياد والتكامل يوماً بعد يوم وعاماً بعد عام لا يسوغ أن تبني عليه حقيقة علمية تاريخية

(١) ولفنسون ص ٥٢ .

(٢) فيه .

(٣) فيه ص ٥٣ .

(٤) فيه ص ٢٠١ احمد رضا ص ١٧ و ٣٨

هامة كأصالة الأبجديات ونقدج بعضها على البعض الآخر ، ولذلك نقول إن لدينا نصوصاً تاريخية هامة من القرن السابق للميلاد والقرنين اللذين يليانه تذهب الى أن الآراميين هم أول من اخترع الكتابة ، وبالتالي فجمال الأبجدية الآرامية أول أبجدية سامية ، وتدعى أن الأبجدية الكنعانية هي الصورة الأولى البسيطة للأبجدية الآرامية ، ونورد هنا نصين من تلك النصوص نحفظ غير جازمين الآن بصحتها المطلقة . قال ديدوروس الصقلي المؤرخ الشهير الذي عاش في القرن السابق للميلاد : « إن اختراع الكتابة يعود الفضل فيه الى الآراميين » . وقال أفليسيبس الإسكندردي في القرن الثاني للميلاد : « ذهب كثيرون من القدماء الى أن الآراميين هم الذين اخترعوا الكتابة » ^(١) . وعلى هذا الأساس نقول إن لم تكن الأبجدية الآرامية أقدم أبجدية سامية فهي حتماً من أقدمها ^(٢) . أما العلاقة الفنية بين الأبجديتين الآرامية والعربية فننحصر في أربع وجوه هامة هي :

١ - انحدار الأبجدية العربية من الأبجدية الآرامية .

اختلف المؤرخون العرب في المصدر الذي انحدرت منه الأبجدية العربية ، فذكر معظمهم أنها منحدرة من الخط المسند ^(٣) . ولكننا لا نستطيع إقامة دليل ملموس على صحة هذا الرأي ، لأننا لا نحوز آثاراً خطية تؤيده ، وقد ظهرت في الآونة الأخيرة رقم حجرية عثر عليها المستشرقون في فترات متفاوتة من الزمن ، وهي تحوي دلائل ملموسة تنير طريق البحث في هذا الموضوع ، وبعد دراسة هذه الرقم الحجرية الهامة قرر علماء الساميات أن الأبجدية العربية اشتقت من الأبجدية النبطية الآرامية ^(٤) . ولا نعدم شهادة تاريخية عربية هامة تؤيد هذا

(١) اللغة الشبية . ليوسف داود . ج ١ ص ١٠١ - ١٠٢ .

(٢) المؤلف المثور . البطريك أفرام برسوم ص ٢٦ .

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٤١٨ - مطبعة مصطفى محمد . صبح الاعشى ص ١٣ .

(٤) ويلفونون ص ٢٠١ واحد رضا ص ١٧ و ٣٨ . (٣)

الرأي . قال البلاذري في فتوح البلدان : « اجتمع ثلاثة نفر من طيء بيقة وهم مرامر بن مرة ، وأسلم بن سدره ، وعامر بن جدوة ^(١) فوضعوا الخط ، وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية ، فتعلمه منهم قوم من الأنبار ، ثم تعلمه أهل الحيرة من أهل الأنبار ، وكان بشر بن عبد الملك أخو أكيدر ابن عبد الملك بن عبد الجن الكندي ثم السكوني صاحب دوحة الجندل ، يأتي الحيرة ، فيقيم بها الحين ، وكان نصرانياً ، فتعلم بشر الخط العربي من أهل الحيرة ، ثم أتى مكة في بعض شأنه فرآه صفيان بن أمية بن عبد شمس ، وأبو قيس بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب يكتب ، فسألاه أن يعلمها الخط فعلمها الهجاء ، ثم أراها الخط فكتبها » ^(٢) .

وإذا دققنا هذا النص التاريخي الهام نجد أنفسنا أمام شهادة صريحة تؤيد ما ذهب إليه علماء الساميات وهو أن (النفر) الذين (اجتمعوا) بيقة (وضعوا) الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية) . والأصح أن يقال أن هؤلاء الثلاثة (تعلموه) لا وضعوه .

أما الخط المسند فانه خط حمير ^(٣) ، ومن المعروف أن الحميريين استبدلوا الخط المسند بالخط السرياني ^(٤) . والمعروف أيضاً أن الخط المسند الحميري هو خط مبيء ، وقيل إن الخط المسند منقول من الخط الكنعاني مباشرة ^(٥) ، إلا أن ثقات المستشرقين ينكرون ذلك ، ويؤيدون أن خطوط شمال بلاد العرب منقولة مباشرة عن الخط الآرامي اعتماداً على ما كان بين الآراميين وهذه القبائل

(١) ذكر ابن خلدون في مقدمته غير هؤلاء (النفر) ص ٤١٨ .

(٢) البلاذري . فتوح البلدان ص ٤٧١ .

(٣) الفهرست لابن النديم ص ٨

(٤) المكتبة الشرقية لسمالي الجزء ٣ ص ٦٠٣ .

(٥) ويلفون ص ١٧١ .

العربية من القبطي والجوار^(١) ، وهذا الرأي نرجحه ، لأن القبائل العربية لم تلتق مطلقاً بالمدينة الكنعانية ، بل امتزجت بالمدينة الآرامية كما رأينا في أوائل بحثنا هذا .

أما صدور الأبجدية العربية من الأبجدية النبطية الآرامية فنرى أنه تم على مراحل وفي فترة تقارب القرنين من الزمن ، وقد ظهرت رقم أثرية هامة أثارنا الطريق أمام الباحث في هذا الموضوع .

إن هذه الرقم الأثرية توضح لنا كيف تولدت الأبجدية العربية من الأبجدية النبطية الآرامية ، ويتم لنا ذلك إذا قابلنا بين القلم النبطي المتأخر والقلم العربي القديم ، وأشهر الرقم التي يجب دراستها في هذا المضمار هي خمسة نقلها المستشرقون نبيه آبوت^(٢) وسفجت ووايت^(٣) ، وقد حظينا بدراسة وافية لبعضها قام بها سفجت ووايت وهو ما يساعدنا على الافادة منها في موضوعنا ، ونقلها أيضاً وعاق عليها الأستاذ امرائيل وليفسون^(٤) كما نقلها الأستاذ ناصر النقشبندي في مقاله (منشأ الخط العربي)^(٥) .

أما كيفية المقابلة بين هذه النصوص الأثرية فتم بملاحظة القلم النبطي المتأخر ، والقلم العربي القديم ، ويمكن وضع هذين الرقيمين (النبطي المتأخر والعربي القديم) أنموذجاً للملاحظة والمقابلة والاستنتاج ، أما النبطي المتأخر فانه رقم أم الجبال الأول الذي عُثر عليه في أم الجبال الواقعة في جنوب حوران في شرق الأردن ، وهو يعود الى قبر فهر بن جذيمة ملك تنوخ^(٦) ، وتاريخه نحو سنة ٢٥٠ م ،

(١) ولفسون ص ١٧١ .

(٢) نبيه آبوت لوح ١ ص ٥ .

(٣) سفجت ووايت ص ١ - ٥ .

(٤) ولفسون ص ١١٠ و ١٩١ ، ٩٢ .

(٥) مجلة سومر المجلد ٣ الجزء ١ ص ١٣٠ - ١٣٣ كانون الثاني سنة ١٩٤٧ .

(٦) درسنا هذا الرقم سابقاً وترجمناه بحسب نظام اللغة السريانية الحاضرة .

وأما العربي القديم فإنه رقيم النجارة الذي عُثر عليه في موقع النجارة بجبل الدروز وتاريخه نحو سنة ٣٢٨ م ، وهو يعود لقبر امري القبس بن عمرو ملك العرب في الحيرة ^(١) ، وملاحظة هذين الرقيمين تعطينا فكرة كاملة في تولد الخط العربي ، فإن معظم الحروف متشابهة تقريباً ، وهذا التشابه يظهر في شكل الحروف ، ومن المعروف أن الخط النبطي القديم كانت حروفه منفصلة بعضها عن بعض على ما نراه في رقيمي (مرانا ملك النبط) ^(٢) و (مجرس الملك) ^(٣) . أما هذا الرقيم وما إليه ^(٤) فنجد فيه كثيراً من الحروف متصلة بعضها ببعض ، وهو ما يوضح كيفية تطور هذا القلم حتى تولد منه القلم العربي ، ويظهر لنا هذا التطور اذا وضعنا ازاءه رقيم النجارة الذي يُعد أقدم نص عربي ، فحروفه في معظم الأحوال متصلة على غرار الرقم النبطية المتأخرة ، وهي تتشابه تشابهاً عظيماً .

ولنتقل الى دراسة رقيمين آخرين هما رقيم زبد الذي وجد في خربة كنيسة بين قنسرين والفرات بثلاث لغات هي اليونانية والسريانية والعربية ، ويعود تاريخه الى سنة ٥١٢ م ورقيم حران الذي وجد في المنطقة الشمالية من جبل الدروز مكتوباً باليونانية والعربية على حجر فوق كنيسة قديمة ، ويعود تاريخه الى سنة ٥٦٨ م ، ويمتاز أول نص عربي كامل في جميع كتاباته وأسلوبه ، ففي دراسة هذين الرقيمين نجد تطوراً عظيماً في أسلوب الخط العربي وسيره أشواطاً هامة في الاستقلال عن مصدره الخط النبطي ، فالحروف في جميع الكلمات متصلة تماماً ، وقد اتخذت اتجاهها مستقلاً خاصاً ، ولم يبق فيها من الشكل النبطي إلا الشيء القليل ، تجده في بعض الحروف فقط وهو الدلالة الباقية على مصدره الأصلي النبطي .

(١) درسنا هذا الرقيم سابقاً وترجمناه وعللنا عليه سابقاً .

(٢) وليفسون ص ١٤٣ .

(٣) وليفسون ص ١٤٤ .

(٤) وليفسون ص ١٤١ و ١٤٢ .

وإذا تقدمنا في الزمن فاستعرضنا رقيم أم الجلال الثاني ، الذي بعد أحدث نص عربي عُثر عليه حتى الآن ، ويعود تاريخه الى منصرم القرن السادس الميلادي ، نجد أمامنا كتابة عربية مستقلة تمام الاستقلال ، مع الاحتفاظ بأشباح باهتة من الشكل النبطي ، وهذا آخر تطور للخط العربي بعد اتخاذه صيغته الخاصة .

وأقدم صورة للخط العربي المستقل هو الخط الكوفي الذي كان يسمى أيضاً بخط الجزم ^(١) ، وإذا تأملنا هذا الخط نجد فيه الأشباح النبطية لم تزل ماثلة ، ثم انتقل هذا الخط من الحيرة الى مكة ، وقيل وصل من اليمن الى الحيرة والانباء بواسطة كنده والنبط ^(٢) . وهكذا لم يزل الخط العربي يتطور وينحو جانب السهولة والتبسيط حتى وصل الى حالته الحاضرة ، كما أن الخط الآرامي أيضاً تطور تطوراً محسوساً فاشتقت منه عدة أفلام وأشكال مختلفة ذكر بعضها ابن النديم في فهرسته ^(٣) .

وأجل أفلام الخط الآرامي المتأخر الاسطرنجيلي ، ويقال له الخط الرهادي أو الثقيل ، وقد استنبطه بولس بن عرقا أو عتقا الرهادي في مطلع القرن الثالث ، وقد تأثر به الخط الكوفي تأثراً عظيماً ، بل قيل إن أصل الخط العربي الكوفي هو الخط الاسطرنجيلي نفسه ^(٤) . إلا أننا نعتقد أن الخط الاسطرنجيلي هذا انتقل في القرن الثالث الى اليمن فاحتلّ كتابات آل نجران ^(٥) ثم وصل الى الحيرة القريبة من الكوفة ، والظاهر أن الخط الكوفي بعد أن

(١) صبح الاعشى جزء ٣ ص ١٤ واحد رضا ص ١٣ و ٤٣ و ٦٥ .

(٢) اسرائيل وليفنسون ص ١٩٨ واحد رضا ص ٣٩ و ٥٧ .

(٣) الفهرست ص ١٨ .

(٤) المؤلف المثور ص ٢٦ الطبعة الاولى . حسن سنة ١٩٤٣ .

(٥) المكتبة الشرقية لسماعي ص ٦٠٣ الجزء ٣ .

أخذ عناصر من الخط النبطي تأثر بالخط الآسطنرنجبلي وأخذ أشكاله عنه ، وذلك عن طريق نجران والحيرة . وقد علمنا أن البن والحيرة كانتا مركزين للكتابة والثقافة ^(١) وتأثر الخط العربي بهذا الخط الآرامي معقول جداً ، بل إنه صواب ، لأن أشكال الخطين المتقاربة تؤيد ذلك ، وقد دام استعمال الخط الآسطنرنجبلي عند السريان الى المئة الرابعة عشرة ، على أنه نشأ من خط سرياني آخر في القرن التاسع ، وهو الخط السرياني الغربي الذي تطور نحو السهولة واحتفظ الآن بالخط الآسطنرنجبلي كاملاً لتزيين رؤوس الفصول ^(٢) في الكتب الخطية الهامة ، كما نشأ عن الخط الآسطنرنجبلي أيضاً ما يسمى بالخط السرياني الشرقي ، ونشأت أشكال أخرى للخط السرياني مازالت ماثلة في المخطوطات الكثيرة النفيسة التي تملأ خزائن الشرق والغرب .

ولو عدنا مرة أخرى نستعرض هذه النصوص الأثرية الخمسة ، لرأينا أعظم نصر يحققه التعاون الوثيق بين الآرامية والعربية ، فالنص الأول (رقيم أم الجمل الأول) هو آرامي الأبجدية واللغة ، شأن عدد كثير من الرق الأثرية المكتشفة في مواطن الآراميين الأول . ولكنه ينقل اليها حادثة عربية صرفة . أو بالحري إنه يعني بتخليد علم عربي خالص ، والنص الثاني (رقيم النارة) نجد فيه لوناً جديداً من ألوان الحياة ، فانه آرامي بلغة وأبجدية ، أي ان اللغة التي كُتب فيها وردت فيها مفردات آرامية الى جانب المفردات العربية ، وأبجديته مازالت محافظة على لونها الآرامي ، إنما ظهرت فيها بوادر أبجدية فنية جديدة هي طلائع الأبجدية العربية ، والنص الثالث (رقيم زبد) يشبه النص الذي سبقه بامتزاج اللغتين الآرامية والعربية مادةً وحرفاً ، إلا أننا نلاحظ زيادة في جنوح الناحية العربية الى التبلور والاستقلال ، أما النص

(١) البلاذري . فتوح البلدان ص ٤٧٧ وصبح الاعشى جزء ٣ ص ١٢ و ١٣ و ١٤

(٢) القزويني ص ٢٦ و ٢٧ .

الرابع (رقيم حران) فقد زالت منه المفردات الآرامية ، وبقيت فيه صيغتها الحرفية ماثلة ، ومثله النص الخامس (رقيم أم الجبال الثاني) نجد فيه تحرر العربية من الآرامية مادةً وحرفاً ، ما خلا ما بقي من الدلائل الشكلية التي تعيد الى أذهاننا صور الأبجدية الآرامية بشكل ضئيل ، وهذا لعمري أعظم دليل على سير اللغتين الشقيقتين في طريق النمو والاكتمال .

وعند انتشار اللغة العربية في موطن الآراميين في سورية والعراق ، على أثر الفتوحات العربية ، نشأت طريقة جديدة عند الآراميين المسيحيين ، وهم السريان ، لكتابة العربية ، وهي التي تسمى (الكرشوني ، أو الجرشوني بالجييم المصرية) وهي أن تكتب اللغة العربية بالحروف السريانية ، وذلك منذ منتصف القرن السابع الميلادي . وكأني بالسريان أرادوا بهذه الطريقة إعادة مجد أبجديتهم التي كتبت بها اللغة العربية في عهد كتابتها الأولى . وهذه الطريقة مازالت مستعملة عند عموم طوائف السريان الى يومنا هذا ، فيجد جميع طقوسهم وكنهم المقدسة الكنسية المترجمة الى العربية ' تكتب بالأبجدية السريانية . ولدينا نسخ كثيرة من هذا النوع قديمة وحديثة في جميع كنائسنا السريانية .

أما لماذا سميت هذه الطريقة من الكتابة بـ (الكرشوني) فلم يتصل بنا تعليلها من السلف ، مع أنها قديمة جداً كما علمنا الآن ، والأظهر أنها اتخذت اسمها (الكرشوني) من (قریش) . ونحن نعلم أن القرشيين في مستهل القرن السابع كانوا يؤمنون أمصار الشام وغيرها لغايات تجارية ، ومن المعلوم أن التجار يحتاجون الى سجلات ودفاتر حسابية وغيرها في عملهم التجاري ، ولما كانت الأبجدية العربية في مستهل القرن السابع غير شهيرة على الأقل ، بكون من المؤكد أن تجار قریش كانوا يكتبون سجلاتهم بالحرف الآرامي واللغة العربية ، وربما شاعت هذه الطريقة في ربوع الشام قبل غيرها ، ولما كان القرشيون هم الذين روجوها واستعملوها أكثر من غيرهم نسبت اليهم . ولكن كلمة

(كرشوني) لا تحمل طابعاً عربياً في صيغة النسبة بل تحمل طابعاً سريانياً آرامياً صرفاً ، لأن صيغة النسبة باللغة السريانية كثيراً ما تكون بالنون قبل الياء السابقة لألف الإطلاق ، وهكذا وضعت في هذه اللفظة النون قبل الياء السابقة لألف الإطلاق الملقاة ، فتكون لفظة (كرشوني) والحالة هذه منسوبة الى قريش العربية ، وبذلك عادت الأبجدية الآرامية السريانية الى معانقة صديقتهما القديمة اللغة العربية ، ولما كان حرف (القاف) يقلب في الالهجات العربية المحكية الى (ج) كالجيم المصرية (مثل القاف في : قلب ، قبر ، قصر ، ويقال فيها : كلب ، كبر ، كهر) ، قيل في نسبة هذه اللفظة (كرشوني - لاقرشوني) كما كان يجب أن يقال فيها وهذا أوجه تعليل نراه الآت .

ولما كان في الأبجدية السريانية اثنان وعشرون حرفاً فقط ، وهذه ليست كافية لكتابة اللغة العربية التي تحتاج الى ثمانية وعشرين حرفاً ، عمد السريان الى الطريقة التي اعتمدها العرب أولاً عندما استمدوا الأبجدية السريانية الآرامية للغتهم ، فصوروا كل حرفين متجانسين شكلاً بحرف واحد ، فصوروا التاء والتاء بحرف (التاء) ، والذال والذال بحرف (الدال) ، والصاد والصاد بحرف (الصاد) ، والطاء والطاء بحرف (الطيث) ، والجيم والغين بحرف (الجومل - بالجيم المصرية) ، والكاف والحاء بحرف (الكوف) . ويميزوا بين هذه الحروف بطريقة الترفيق والتفشية السريانية المعروفة عندهم ، فوضعوا نقطة حمراء فوق الحرف القامي كالذال ، (ونقطة حمراء تحت الحرف اللين كالذال) وهكذا أعادوا الحروف الآرامية السريانية الى سابق عهدها مع اللغة العربية .

(يتبع) (الموصل) غريغوريوس بولس بهنام

بطولات العرب^(١)

يا دامي الجرح ، لا جرح ولا ألم
امسح دموعك إن ماجت موائجها
أسا جمع وبطاح الأرض في لجب
أتحسب الشمس من أبراجها هبطت
ما صيحة في سواد الليل رابعة
الله أكبر هذا الصوت من مضر
في كل غاب ضجيج من مواكبهم
كأنهم والأعادي نصب أعينهم
هل العيون خلال الليل في يقظ
كلا وربك ما في العين من حلم

الجرح بعد انتفاض العرب ملتئم
فكل ثغر على الأيام مبتسم
كأنما الأرض والأفلاك تصطدم
فجنت الشمس والأبراج والنجم
كأنما الليل من أصدائها وجم
دوى فزلزلت الأطواد والأجم
وكل طود على هاماته شمم
سيل يفيض على أعدائهم عرم
أم العيون على أجفانها حلم
وانما العرب ثارت فيهم الهمم



(١) القصيدة التي ألقاها الأستاذ شفيق جبري عضو المجمع العلمي العربي وعضو المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في مهرجان الشعر في دمشق

في ١٦ مايس ١٩٥٩ .

شتان ما حاضر نزهى بغرته
 أتت ليال وعين العرب ساهية
 على بصائرهم إن أرشدوا حجب
 تكاد تحسبهم في دارهم رمماً
 تبجبح العجم في أوطانهم زمناً
 فما اللسان لسان العرب إن نطقوا
 أيصبح العرب في أوطانهم هملاً
 وغابر فاض فيه الدمع والألم
 كأنهم في ذرا ذؤبانهم غنم
 وفي مسامعهم إن خوطبوا صمم
 وهل تثور على أكفانها الرمم
 لله ما اعتسفوا فيه وما اجترموا
 ولا الثغور تغور العرب إن بسما
 ويزحم البوم هذا الأفق والرخم



هوّن عليك ، فللايام دولتها
 أما ترى العرب من إغنائهم نهضوا
 كأنما بعثوا التاريخ من أمم
 كانوا العماليق والدنيا تساندهم
 هذا ابن حمدان والآثار ناطقة
 حمى الديار ديار العرب فانطلقت
 سيوفه من دماء الروم قد رويت
 ملّ البطاريق من غاراته وبدا
 اضرب بعينك في آيات شاعره
 تكاد تسمع صوت الروم إن صرخوا
 فما تدوم على حالاتها لازم
 من كل فجّ لهم زحف ومقتحم
 فاليوم مجدهم من عيننا أمم
 هيات ما يستوي العملاق والقزم
 فما يعفي على آثاره القدم
 له الأناشيد والأوتار والنغم
 وكاد يشرق منها السيف والقلم
 على البطاريق من أهوالها السأم
 تظل تنطق في آياته الكلم
 وتلمس الخوف إن خافوا وإن وجموا

إِما قَتيل تَواري الأَرْض أضلعه
لو كان يعبد دون الله من صنم
أَوْ سَالم من سيوف العرب منْهزم
ما كان لي غير سيف الدولة الصنم
لولا جهاد بني حمدان في حلب
ما كان للعرب تاريخ ولا علم

* * *

تلك البطولات كالأهرام راسخة
انهض ورتل صلاح الدين آيتها
فأين ماطمسوا منها وما هدموا
جاءوا إليك بجيش يعصمون به
الأذن مصغية والعين تلتهم
لو كان همهم قبر المسيح لما
قبر المسيح فما صانوا ولا عصموا
أيمنحون بني صهيون تربته
تهودت منهم ذرية ظلموا
الحقد نار على الأكباد تضطرم
ويزعمون التقى، هيهات ما زعموا
في كل قلب له من أهله حرم
صمّوا عن الشرع إنكاراً له وعموا
الحق يدركهم في أفيائنا عدم
وانما السلم في أفيائنا عدم
في كل راية عظم لهم ودم
فاخضوضر الشيخ والقيصوم والسلم
لم يفتهم عن جماح العرب معتصم
لو كاد يبلعهم من بعد أن هزموا
وكيف يغسل هذا العار بعدهم

* * *

ياأمة من تراث الدهر خالدة
ظنوا اجتياحك مأموناً عواقبه
كم غارة لهم في الشام عاصفة
في كل غور من الأغوار معترك
مضوا وخلوا هشيماً من شبابهم
حلوا بأرضك حيناً ثم مالبنوا
مضت ولم تستبح آثارك الأمم
وما دروا أنهم في ظنهم وهموا
فلم يصبك على غاراتهم هـرم
وكل نجد من الأنجاد مصطدم
نما به العود والغيطان والأكم
أن غادروا الأرض لم تثبت لهم قدم



لما رأوك وقد أعيت جفافهم
كأن أنسالهم من بعدهم حلفوا
فأفحموا في ديار العرب شزيمة
هذي حضارتهم والشرّ يملؤها
يشردون شيوخاً من ديارهم
قوم يموتون من بؤس يشتهم
خير من العلم جهل تستقرّ به
هل يبعث الله نوحاً في سفينته
كأنما الروض من آثامهم ييست

* * *

ولّوا وقد أورثوا الغيظ الذي كظموا
أن يبعثوا الحقّد نيراناً وينتقموا
من آل صهيون لا عهد ولا ذمم
ماتت على صرحها الأخلق والشيم
كأنهم في صحارى تيههم بهم
وآخرون على أظلالهم نعم
حرية الخلق والأنفاس والنسم
حتى يعم الورى الطوفان والديم
فما ينضرها ورد ولا عنم



مهلاً فلا تيأسن اليوم ان عبست
ما ضرّ موكبك الجرار إن طرحوا
فما يعوق ضياء الشمس إن سطعت
تمضي الليالي واسرائيل جائمة
ذل ومسكنة في كل أعصرهم
أضحوا جراثيم في الأوطان ناخرة
تلك الثعابين إن سالت مزاحفها
فهل تظل سفوح القدس ضائعة
إذا ضحكنا فما في جدهم ضحك



ألهى بني يعرب عن نصر إخوتهم
على الفراتين من آثاره ثلم
كأن دجلة قد ثارت أباطحه
تخاله معرباً عن نار غضبته
بيني وبينك يا بغداد واشجة
أتصرمين حبلاً حاكها نسب
ماذا تقولين للمنصور إن لمحت
كانت قصور بني العباس آمنة
دم يسيل على أطرافها دفعاً

شمل على غمرة الأحداث منقسم
فسل عبايها هل سدّت الثلم
أما ترى هذه الأمواج تلتطم
وللخضمّ لسان معرب وفم
من الأواصر ما تنفك تلتحم
من العروبة يا ويح الذي صرموا
عيناه في حلمه الملك الذي قسموا
واليوم ألوت بها الأحقاد والنقم
وأربع ملء عين الناس تهدم

فما تنام عيون تحتها وَّسن
 في الليل إن جنحت ظلماؤه ظنن
 كأنما الثورة الحمراء ديدنها
 فهل يثوب رجال بعدما جهلوا
 أم هل يثوب رجال بعد ما علموا
 متى أرى حمرة الرايات صائرة
 ولا تبين شفاه فوقها لجم
 وفي الصباح على إشراقه تهم
 ملك على ظله الأرواح تخترم
 الى البياض عليها السلم منتظم

* * *

سيندم العرب إن طال الشقاق بهم
 لم نبين ملكاً ولم نلهج بثورته
 إن الدماء التي روت جوانبه
 أيذهب اليوم ما ضحوا به هدرأ
 أخبث بها نزوة أملى وساوسها
 وليس ينفع عض الكف والندم
 ليهدم العرب ما نبني ويختصموا
 يكاد منها يشيب الرأس واللمم
 أما لنا من هدى ايماننا حكم
 إبليس حتى يرى منا الذي يصم

* * *

هذا فؤادي وقد هاجت هوائجه
 ليست قوافي ما غنيتُ سامعها
 فهل أرى العرب أغصاناً يلفهم
 حتى يعيدوا ضحى التاريخ خافقة
 فكان مثل لبيب النار يحتدم
 وانما عبرات القلب تسجم
 على الديار بيان العرب والرحم
 أعلامه فيرف العز والكرم

الزجاجي

حياته وآثاره

ومذهبه النحوي من خلال كتابه «الايضاح»

(٢)

مؤلفات الزجاجي :

ورد في إنباء الرواة ، وبغية الوعاة ، وكشف الظنون ، وكتاب يروكن كثير من أسماء الكتب التي ألفها أبو القاسم الزجاجي في شتى علوم اللغة . ولكن لم يصل إلينا من هذه الكتب إلا القليل ، ولم يطبع مما وصل منها إلينا إلا كتابان ، وما زال سائرهما ينتظر الجهد والعزيمة لينفض عنه الغبار ، وبأخذ مكانه في المكتبات .

وسنحدث فيما يلي عن هذه الآثار وما يتصف به كل منها ، بادئين بما طبع منها ، ومعقبين بعد ذلك بالخطوط من موجودة ومفقودة .

١ - كتاب «الجلل» : وهو أهم كتب الزجاجي ، وموضوعه النحو ، يتحدثوا عنه أكثر مما يتحدثوا عن صاحبه ، وذكروا أنه صنفه بمكة ، وكان إذا فرغ من باب منه طاف به سبع مرّات داعياً أن يغفر الله له وأن ينفع بكتابه قارئه ^(١) . وكان عدد الذين انتفعوا به وقرأوا لم يحصى ، وكلهم وصفه بالبركة حتى عمّ نفعه بلاد الإسلام ^(٢) .

(١) إنباء الرواة ٢ : ١٦١ ، وكشف الظنون ١ : ٦٠٣ ، وبغية الوعاة ٢٩٧

(٢) مرآة الجنان ٢ : ٣٣٢ ، وغدرات القهب ٢ : ٣٥٧

ويبدو أنه كانت لهذا الكتاب قيمة علمية كبيرة في عصره ، حتى اشغل به الناس وجعلوا حفظه همهم . قال الفهرّي - وهو أحد شراح الجمل - : « أكثر الناس من استعمال « الجمل » ودراسته ، وألزموا أنفسهم حفظه ودرابته ، . . . وإنه تصنيف قد أنجد وغار وطار في الآفاق كل مطار » ^(١) . و « الجمل » هو الكتاب الفخوي الذي عوّل عليه الدارسون حتى جاء الفارسي وابن جني فشغلام بكتبها . قال القنطي : « وهو كتاب المصربين ، وأهل المغرب ، وأهل الحجاز واليمن والشام ، إلى أن اشتغل الناس به » « اللامع » لابن جني ، و « الإيضاح » لأبي علي الفارسي » ^(٢) .

وقد كان الكتاب هذه ، هي التي تفسر لنا هجوم العلماء على شرحه ، وازدحامهم على الكتابة عنه . قال صاحب مرآة الجنان : « أخبرني بعض فضلاء المغاربة بأن عندهم لكتابه - أي للجمل - مائة وعشرين شرحاً » ^(٣) . وكذلك نقل ابن العماد في شذرات الذهب ^(٤) . وقد طوت الأيام معظم هذه الشروح ، ودرست أسماؤها ، فلم يبق لنا إلا أقلها .

أما كتاب « الجمل » نفسه فقد ذكروا أنه كتاب جيد لولا طوله بكثرة الأمثلة . ولعل أحد المتقدمين أطلق هذا الحكم ، بالقياس إلى كتب الفخويين الأولين ، فتناقل المؤلفون هذا الحكم دون تمحيص ، وهو حكم غير مصيب . فالكتاب جيد ومن تمام الجودة فيه وضوح الأمثلة . وقل أن نجد بين كتب النحو القديمة مثل كتاب الجمل وضوحاً وبياناً . وليس عيباً أن يخرج الزجاجي عمماً وضعه سيئوبه من منهج في التأليف قائم على الإيجاز والاختصار ، والتكثيف ،

(١) مقدمة وشي الحل .

(٢) إنباه الرواة ٢ : ١٦١

(٣) مرآة الجنان ٢ : ٣٣٢

(٤) شذرات الذهب ٢ : ٣٥٧

والجمل بتوضيح المثال أو إتمامه ، حتى بات « الكتاب » لا يفهمه إلا فقهاء العلم والراسخون فيه .

ثم إن كتب النحو لا توضع كلها لطبقة واحدة من الناس . فلئن كانت كتاب سيبويه وأمثاله يصلح للشيخ الذين تعمقوا في العلم ، ووقفوا على دقائقه وأمراره ، فإن كتاب الزجاجي وأمثاله لينفع المبتدئين في النحو والمتعلمين الى تعلمه ، وذلك لأنه : « كانت طريقته في النحو متوسطة » وتصانيفه يقصد بها الإفادة » ^(١) . ولقد شهد له بعض العلماء أنهم بتأليفه فتحوا أنظارهم على النحو ، قال ابن السِّدِّ البطنيسومي : « وإنه - أي الزجاجي - من أئمة هذه الصناعة ، فإننا بكتاباه قد افتتحنا النظر في هذا العلم ، وهو الذي رشح بصائرنا لما نفعناه من الفهم . » ^(٢) .

ويجدر بنا - ونحن بصدد الحديث عن صعوبة النحو ، وضرورة تبسيطه - أن نعود إلى مثل كتاب الجمل ، لنرى النحو فيه واضح العبارة ، قريب المتناول ، سجيًّا بالأمثلة ، بعيداً عن التعقيد . ونظهر رغبة الزجاجي في توضيح النحو وتقريبه حين يهجر بعض المصطلحات أو يفسرها ليكون كلامه أقرب الى الفهم ، ويصرح بذلك فيقول : « وليس هذا من ألفاظ البصريين ، ولكنه تقريب على المبتدئ » ^(٣) . وكذلك ينقل أفكار الكوفيين بغير عباراتهم ، لأن ألفاظهم لا يفهمها إلا من تعود النظر في كتبهم » ^(٤) . بل هو يشرح كتاب « الزاهر » ويختصره « لأنه كتاب مقصود به المبتدئون للنظر في علم اللغة . » ^(٥) .

(١) إنباه الرواة ١ : ١٦٠

(٢) اصلاح الخلل : الورقة ١

(٣) الجمل : ٩٠

(٤) الايضاح

(٥) مختصر الزاهر : الورقة ١

والزجاجي - على عادة القدماء - 'يلحق بالنحو في كتاب الجمل بعض ما يتصل بالأملاء كبابي الهجاء ، وهما بحثان منفصلان في رسم الحروف ، وباب أحكام المحزة في الخط ، وهو بحث في قواعد المحزة الإملائية وما دار حولها من خلاف بين البصريين والكوفيين ، الذين امتدّ اختلافهم في النحو حتى شمل قواعد الخط فكان لكل منهم رأي فيه ! وتعرض في كتابه أيضاً للضرورات الشعرية فخصها بباب عنوانه « ما يجوز للشاعر أن يستعمله في ضرورة الشعر » ، ولكنه كان بحثاً موجزاً خالياً من الشواهد والأمثلة على خلاف العادة . وضمن الكتاب أيضاً بعض البحوث الصوتية كباب الإمالة وباب الإدغام وما يتصل بخصائص الحروف من محموسة ومحمورة .

ومن كتاب الجمل نسخ خطية كثيرة منشورة في أكثر مكاتب أوربا ^(١) . ومن نافلة القول أن نحدث عن نسخه الخطية بعد أن طبع ^(٢) . وكان طبعه سنة ١٩٢٦ بنفقة كلية الآداب في الجزائر وبحقيق الأستاذ الشيخ ابن أبي شنب . وجاء في هذه النسخة المطبوعة أن المنشرق الألماني « يوحنا ثواف » طبع في ليبسغ سنة ١٩٠٤ مقالة لخص فيها كتاب الجمل ، وترجم إلى اللغة الألمانية الأربعة والستين شاهداً الأولى ^(٣) .

(١) تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ٢ : ١٨٣
(٢) من الواجب أن أشير هنا إلى وجود نسخة غير معروفة من كتاب الجمل ، للملح ينفع بها أحد المشتغلين بالعربية أو الطاعين إلى إعادة طبع « الجمل » بعد أن فقدت نسخة حتى من أشهر المكتبات العامة وهذه النسخة في دار الكتب بالقاهرة مجلدة مع مخطوطات أخرى ، ورقها / ٨٦ ، مجاميع / وهي لا تحمل اسم الجمل ، ولكنها تحمل اسم الزجاجي ، وقد ثبت لي لدى قراءتها ومعارضتها بالنسخة المروونة للجمل ذات الرقم / ٦٧ ش / أنها نسخة أخرى كاملة من الكتاب نفسه . وقد كتبت في حلب سنة ١٨٩٥ هـ . وهي تبدأ من الورقة ٩٦ وتنتهي في الورقة ١٧٠ .

(٣) الجمل : ٣٨٣

وأما الكتب التي ألفت حول الجمل فكثيرة جداً ، منها الشروح ، ومنها شروح الشواهد ، ومنها في التعقيب عليه أو التعليق . . . وقد رأينا أن شروحه بلغت في المغرب وحده مئة وعشرين شرحاً . ولا بد من الإشارة هنا إلى أن الجمل نستختان : كبرى وصغرى ، وأن أكثر هذه الشروح كانت للكبرى . ومن شروح الصغرى شرح ابن بابشاذ الذي شرح الجمل وألف كتاباً في الزيادة التي بين الصغرى والكبرى ^(١) . على أن هذه الشروح جميعاً لم يُطبع منها شيء ، فيما أعلم ، وقد ضاع أكثرها ، ولم أستطع أن أعرف منها أكثر من ثمانية وثلاثين كتاباً أقصر على ذكر أهمها فيما يلي :

أ - شرح الجمل لأبي القاسم الحسين بن الوليد ، المعروف بابن العريف والمتوفى بطليطلة سنة ٣٩٠ ^(٢) .

ب - عون الجمل ، وهو شرح لشواهد الجمل ألفه أبو العلاء أحمد بن عبد الله المعري المتوفى سنة ٤٤٩ لأبي الفتح محمد بن علي بن أبي هاشم . وهو آخر كتاب أملاء أبو العلاء ^(٣) . والمعري كتابان آخران يتصلان بجمل الزجاجي ، كما ذكر باقوت ^(٤) ، وهما « تعليق الجلبس » ^(٥) و « إسعاف الصديق » .

ج - شرح أبيات الجمل لابن سيده ، علي بن اسماعيل المتوفى سنة ٤٥٨ ^(٦) .
د - شرح الجمل لأبي الحجاج ، يوسف بن سليمان ، المعروف بالأعلم الشنتمري ، المتوفى سنة ٤٧٦ . وله أيضاً شرح أبيات الجمل .

(١) مقدمة الجمل .

(٢) منه نسخة خطية في دار الكتب بالقاهرة . رقها / ٤٦٤ نحو / وعدد أوراقها ١٥٥ ورقة .

(٣) معجم الأدباء ٣ : ١٦٠ .

(٤) المصدر السابق ٣ : ١٥٧ و ١٥٨ .

(٥) جاء في إنباء الرواة أنه « تعليق الخلس » ١ : ٦٤ .

(٦) منه نسخة في المكتبة الأحمدية بجامع الزيتونة . رقها ١٤٩٣ .

هـ - إصلاح الغلل الواقع في الجمل^(١) ، لأبي محمد عبد الله بن السيّد البطليوسي المتوفى سنة ٥٢١ هـ . قال عنه صاحب كشف الظنون « إنه أحسن شروح الجمل »^(٢) .

و - الحُلّ في شرح أبيات الجمل^(٣) ، للبطلاني أيضاً ، وهو يشرح فيه معاني الأبيات وبمزوها الى قائلها . وجدير بي أن أنه على سهو القفطي حين عدّ الكتابين السابقين كتاباً واحداً^(٤) .

ز - شرح الجمل لأبي الحسن علي بن محمد ، المعروف بابن خروف الأندلسي ، المتوفى سنة ٦٠٦ هـ^(٥) .

ح - شرح الجمل لأبي الحسن علي بن محمد بن عصفور الاشبيلي ، المتوفى سنة ٦٦٩ هـ^(٦) .

ط - شرح الجمل لأبي الحسن علي بن محمد بن علي بن يوسف الاشبيلي ، المعروف بابن الضائع ، المتوفى سنة ٦٨٠ هـ^(٧) . وذكر السيوطي أن

(١) منه نسخة في دار الكتب بالقاهرة ، رقها ١١١٠ نحو . وعدد أوراقها ٧٦ ورقة مكتوبة بخط مغربي . وذكر محقق الجمل أن منه نسخة أخرى في مكتبة ليدن

(٢) كشف الظنون ١ : ٦٠٣

(٣) منه نسخة في دار الكتب بالقاهرة ، مجلّدة مع كتاب البطليوسي السابق / رقم ١١١٠ نحو / بتدريء من الورقة ٧٧ وتنتهي في الورقة ١٥٠ . ومنه نسخة في المكتبة الأحمدية بجامع الزيتونة رقها ١٤٩٤ . وقال ناشر الجمل أن منه نسخة في مكتبة برلين .

(٤) إنباء الرواة ٢ : ١٦٠

(٥) ذكره السيوطي في الأشباه والنظائر ٢ : ٣٠ . وأشار إليه بروكلمان . وقال ناشر الجمل إن منه نسخة في مكتبة برلين .

(٦) نقل السيوطي كثيراً منه في الأشباه والنظائر ١ : ٢٠ و ١٠٧ و ١٤٣ و ١٤٩ و ٢١٤ و ٢٩٨ و ٣٣٨ . ج ٢ : ٧٤ و ٨٠ و ٩٨ . ومنه نسخة في المكتبة الأحمدية بجامع الزيتونة رقها ١٤٩٢ . وقال ناشر الجمل إن منه نسخة في ليدن وأخرى في البروزيه .

(٧) قيل إنه في ثلاثة أجزاء . ورأيت منه جزأين في دار الكتب بالقاهرة . كتبها سنة ٧٣٥ الأول في ٩٨ ورقة والثاني في ٩٧ ورقة .

أبا الحسن هذا ردّ اعتراضات البطليوسي على الزجاجي .
 ي- شرح الجمل لجمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام الفخوي ، المتوفى
 سنة ٧٦٢ .

وقد نقل السيوطي كثيراً من جمل الزجاجي ، وأقوال شارحيه في كتبه
 ولا سيما الأشباه والنظائر والاقتراح .

٣ - كتاب الأمالي :

طبع هذا الكتاب في مصر سنة ١٣٢٤ هـ ، وحققه الأستاذ أحمد بن
 الأمين الشنقيطي ، إلا أنه لم يكف نفسه عناء التعريف بالكتاب أو بصاحبه ،
 بل اكتفى بأن ذكر موجزاً لما قاله ابن خلكان عن الزجاجي .
 وقد جاء ذكر الأمالي في كل الكتب التي تحدثت عن الزجاجي أو آثاره ،
 كما جاءت تقول عنه في الأشباه والنظائر ^(١) وفي خزانة الأدب ^(٢) . إلا أننا
 بمراجعة هذه النقول ومعارضتها بالنسخة المطبوعة ندين أن الأمالي أكثر من
 نسخة واحدة ، فقد نقل البغدادي في خزانة الأدب عمّا أسماه بالأمالي الوسطى ،
 ونحن لا نجد ما نقله في « الأمالي » التي بين أيدينا . وكذلك نقل السيوطي في
 الأشباه والنظائر كثيراً من أخبار الأمالي بما لا نجد في النسخة المطبوعة إلا
 بعضه فقط ، كما نظره أبي حاتم السجستاني والتوزي ^(٣) ، ومناظرة ابن الأعرابي
 والاصمعي ^(٤) . وقد يكون السبب في ذلك ، أن السيوطي كان ينقل عن
 نسخ الأمالي المختلفة دون أن يشير إلى ذلك . فما كان منقولاً عن الأمالي
 الصغرى وجدناه في هذه المطبوعة وما كان عن غيرها لم نجده فيها . وهكذا

(١) خطبة الكتاب . ج ٢ : ٢ و ج ٣ : ٢٢ و ٢٣

(٢) ج ٢ : ١٠٩

(٣) الأمالي : ٧٦ والأشباه والنظائر ٣ : ٢٢

(٤) الأمالي : ٣٩ والأشباه والنظائر ٣ : ٢٣

فما دنا لم نجد في نسختنا ما نقله البغدادي عن الوسطى ، ولا كثيراً مما نقله السبوطي ، فالأرجح أن تكون النسخة الموجودة هي الأمالي الصغرى . وقد أشار بروكلمان الى وجود الوسطى والصغرى ، ولم أعثر على غير النسخة المطبوعة التي رجّحت أنها الصغرى ، فلذلك سأقتصر حديثي عليها وحدها .

كتاب الأمالي عبارة عن مجموعة أخبار وقصص متتالية متنوعة ، لانتظام لها ، ولا رابطة بينها . ينتقل القارئ فيها من تفسير آية من سورة الكهف مثلاً ، وما قيل فيها من أقوال ، إلى خبر وقع بين معاوية بن أبي سفيان وعامله رَوْح ابن زنباع ^(١) ، ومن شعر لابن أبي ربيعة وجميل بلثينة الى رثاء قيل في أحمد ابن أبي دؤاد ^(٢) .

ولست أدري ، لعل ذلك يعود إلى أن الشيخ كان يملئ دروسه على طلابه ، فإذا ما انتهى الخبر انتهى معه الدرس ، ثم يأتي الدرس الجديد فيأتي معه الخبر الجديد على نحو ما كان يدور في الدروس القديمة التي تعرف بالمجالس .

على أن هذا النبأين في الأخبار لا يعني أن الكتاب أشتات 'جمعت' ، فقد تكون الناحية اللغوية هي التي تنظم كل ما ورد في الكتاب من أخبار وحكايات وأشعار . وعناية الزجاجي باللغة تظهر في هذه الأمالي أكثر من أي ناحية أخرى ، حتى كأنها هي وحدها الغرض من إملائه ، إنه يورد الخبر أحياناً ولا شيء فيه غير اللغة . قال : « أخبرنا أبو عبد الله نبطويه ، عن أحمد بن يحيى ، عن ابن الأعرابي ، قال : الصبر مصدر صبرت . والصبر لغة في الصبر هذا المرء . والصبر الحبس ، يقال صبرت فلاناً على كذا وكذا أي حبسته عليه . وفي الحديث أن رجلاً أمسك رجلاً فقتله آخر ، فقال : اقتلوا القاتل واصبروا الصابر أي احبسوه . والصبر الاجترأ على الشيء ، ومنه قول الله عز وجل :

(١) الأمالي : ٦

(٢) الأمالي : ٥٥ و ٥٦

«فما أصبرم على النار» أي ما أجرام عليها . وقال المبرد تأويله مادعاهم إلى الصبر عليها (١) . وأنشد ابن الأعرابي :

سقينامُ كأمًا سقونا بثلها ولكننا كنا على الموت أصبرا
أي كنا أجراً منهم على الموت فاقبحناه (٢) . ومثل هذا كثير جداً في الأمازي .

وقد يتعرض لبعض المسائل النحوية فيورد أقوال النحاة فيها ثم يذكر رأيه وبطله كما فعل حين أورد في بعض الأخبار قصيدة الأحوص التي يقول فيها :

سلام الله يا مطر عليها وليس عليك يا مطر السلام

فقال : «وأما قوله سلام الله يا مطر عليها فإنه منادى مفرد ونونه ضرورة . فأما الخليل وسيبويه والمازني فيجتارون أن يتنونه مرفوعاً ويقولون : لما اضطررنا إلى تنوينه نوناه على لفظه . وإلى هذا كان يذهب الفراء ويخناره . وأما أبو عمرو ابن العلاء ويونس بن حبيب وعباس بن عمر وأبو عمر صالح بن اسحاق الجرمي فيشدونه سلام الله يا مطراً عليها بالنصب والتنوين ، ويقولون : رد التنوين إلى أصله ، وأصله النصب ، وهو مثل اسم لا ينصرف ، فإذا اضطر الشاعر إلى تنوينه نونه وصرفه وردّه إلى أصله . قال الشاعر :

ما إن رأيت ولا أرى في مدّتي كجواني بلهين بالصحراء

ألا ترى كيف نونه وخفضه ؟

قال أبو القاسم الزجاجي رحمه الله : القول عندي قول الخليل وأصحابه ، وتلخيص ذلك أن الامم المنادى المفرد العلم مبني على الضم لمضارعتة عند الخليل وأبي عمرو وأصحابها للأصوات ، وعند غيرهما لوقوعه موقع المضمر ، فإذا لحقه التنوين في

(١) قال الفراء في هذه الآية وجان : أحدهما فا الذي صبرم على النار ؟

والوجه الآخر : فا أجرام على النار . « معاني القرآن » ٦ : ١٠٣

(٢) الأمازي : ٨

ضرورة الشعر فاعلة التي من أجلها بني قائمة بعد ، فينون على لفظه ، لا لنا قد رأينا من المبنيات ما هو منون نحو « ابه وغاق » وما أشبه ذلك ، وليس بمنزلة ما لا ينصرف أصله الصرف . وكثير من العرب لا يمتنع من صرف شيء في ضرورة شعر ولا غيره إلا « أفعل منك » وعلى هذه اللغة قرئ قواريراً قواريراً من فضة بنوينا جميعاً ، فإذا نوتن فإنما يرد إلى أصله ، والمفرد المنادى العلم لم ينطق به منوناً منصوباً في غير ضرورة شعر وهذا بين واضح . ^(١) »

أما طريقة الزجاجي في هذا الكتاب فهي طريقة من يُعنى بالأسانيد عناية جيدة حتى يكاد لا يخلو من السند خبر من أخبار الكتاب ، كأن يقول : « قال أبو القاسم أخبرنا أبو اسحاق الزجاج قال أخبرنا أبو العباس المبرد عن أبي عثمان المازني عن الأصمعي قال . . . » وهذا أسلوب من اعتقد أن اللغة لا بعثة فيها بالرأي وإنما هي بنت النقل والرواية وللإسناد فيها المكان الأول ، ولما كان الزجاجي في أماليه لغوياً فقد اتبع منهج اللغويين ، أما في غير هذا الكتاب فقد يكون للزجاجي موقف آخر كما هو في الإيضاح ، حيث يتحدث عن مشاكل النحو وعلاجه مستغنياً عن السند ، وما ينفعك السند ما دام محدثك بعلم لك القول حتى يقنعك قوله أكثر مما يقنعك اسم صاحب الخبر وناقله وسلسلة سنده . وبكتاب الأمالي نختم الحديث عن آثار الزجاجي المطبوعة لننتقل إلى الحديث عن آثاره المخطوطة من موجودة ومفقودة .

٣ - الإيضاح في علل النحو :

وهو الكتاب الذي سنعرض مادته ونخصه بالحديث بعد قليل .

٤ - شرح مقدمة أدب الكاتب^(١) :

وهو كتاب شرح الزجاجي فيه خطبة ابن قتيبة في كتابه المعروف بأدب الكاتب . وقد جاء في مقدمة هذا الشرح : « هذا كتاب فيه تفسير رسالة ابن قتيبة في أدب الكتاب ، تأليف أبي القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي » .
 ونما قاله الزجاجي في المقدمة : « وقد رأيت أن أشرح رسالة الكتاب الموسوم بأدب الكتاب لابن قتيبة ، لأنه ذكر فيها 'جلاً' من الآداب ضرورية ، وأعرض عن شرحها صفحاً يسوغ المقال فيها وينسج الكلام . ففسرت ما تضمنته من اللغة بأشتقاقه وتصريفه ، ومن النحو بعلمه ومقاييسه ، وأوضحت ما أومأ إليه مما ذكر ، لحاجة الكتاب إليه من معرفة المصادر والألفية ، وانقلاب الياء عن الواو ، والواو عن الياء ، والألف عنهما ، وجلاً من التصريف نافعة لمن نظر فيها وتأملها بعين تدبر واستبصار . وفسرت أخبار الرسول ﷺ التي ذكرها ولم يفسرها ووصلت بها ما جانسها . وذكرت معاني الكلام الذي حكاه عن المنطقيين والمهندسين ، وجلاً من المساحة تكفي من نظرها عما سواها . وجعلت جميع ذلك موجزاً غايبة الإيجاز ، ليقّل حشوه ، وتكثر فائدته . ولم أخل كل فصل فيه من تضمينه خبراً طريفاً يشاكله ، وأبياتاً نادرة ، وبنت معنى ، ليكون هذا الكتاب - باحتوائه على ما ذكرته للمتطلع إلى المعرفة بهذه الأشياء - أحضر فائدة ، وأمرع نفعاً من الكتاب المقصود بالرسالة . وبالله التوفيق »^(٢) .
 (انظر صورة الأصل) . وبأخذ الزجاجي بعد ذلك بشرح كلام ابن قتيبة .

(١) ورد ذكر هذا الكتاب في : إنباء الرواة (٢ : ١٦٠) وبغية الوعاة (٢٩٧) وإشارة النبيين (ورقة ٢٦) وكشف الظنون (١ : ٤٨) وفهرسة ابن خير (٣٤٤) وبروكلمان (١ : ١٧١) . ومن هذا الكتاب نسخة خطية في دار الكتب بالقاهرة ، رقمها / ٣٩ ش أدب / وهي في ٧٠ ورقة ، كتبت سنة ٥٨٦ هـ بخط عادي ، وعليها شهادة بأنها هورشت بنسخة أخرى عليها خط ابن الحشّاب النحوي . وهي نسخة كاملة . صورها معهد المخطوطات تحت الرقم ٣٧٧ . ومنه نسخة أخرى في اسطنبول ، صورها المعهد أيضاً .
 (٢) شرح مقدمة أدب الكاتب . نسخة دار الكتب رقم ٣٩ ش أدب ، الورقة ٢

• — مختصر الزاهر :

« الزاهر في معاني الكلام الذي يستعمله الناس » كتاب لأبي بكر محمد ابن أبي محمد القاسم الأنباري النحوي المتوفى سنة ٣٢٨ . وهو مجلد مشرح واختصره الشيخ الإمام أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي ^(١) « ويحدثنا الزجاجي عن هذا المختصر فيقول : « هذا كتاب جمعت فيه جمل الألفاظ التي ذكرها أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري في كتابه الموسوم بالزاهر ، فشرحتها مختصرة موجزة ، وحذفت منها الشواهد وما يتعلق بها من كلامه المطول . وقد كان المفضل ^(٢) ، صاحب الفراء ، أنشأ كتاباً في هذا المعنى سماه الفاخر ^(٣) ، جمع فيه قطعة من اشتقاق ما بكثير ترداده في المحاورات والمحادثات ، فعمد أبو بكر محمد بن القاسم لذلك الكتاب ، فنقله نقلاً ، وذلل صعبه وبسطه ، وكثره بالشواهد ، وليس للكتاب توصيف ولا نظم مستخرج يتعب فيه المؤلف ، وإنما هي حروف بأعيانها ، منقولة من كتب المتقدمين ، معروفة منها ، فها ومن تكلم في هذه الحروف غيرهما سواء . إلا أنني تدبرت الكتاب الزاهر ، فوجدت فيه من السهو والغلط شيئاً كثيراً ، فرأيت مع اختصاره وتهذيب ألفاظه

(١) كشف الظنون ٢ : ٩٤٧ . وورد ذكر الزاهر في الزهر (١ : ٨٧)
والمرة ابن خير (٣٤١) وبروكمان (١ : ١٧١) وتاريخ آداب اللغة
العربية فريدان (٢ : ١٨٣) .

ومن مختصر الزاهر للزجاجي نسخة خطية في دار الكتب بالقاهرة ، رقها / ٥٥٧
لغة عربية / كتبت سنة ٦٢٠ هـ بخط مغربي أندلسي . وعدد أوراقها ١٧٩
ورقة ، متوسطة الحجم .

(٢) لعل الصواب هو « المفضل بن سلمة بن عاصم » ثم سقط ما بعد المفضل ،
وذلك لأن سلمة بن عاصم هو صاحب الفراء لا ابنه المفضل .

(٣) الفاخر كتاب لأبي طالب المفضل بن سلمة بن عاصم الكوفي ، ألفه فيما دار
واشتهر بين الناس وسار كلامه مثال . وقد طبعه المستشرق الانكليزي شارلس
انبروس ستوري (C. A. Story) في لندن سنة ١٩١٥ م .

إصلاح ما فيه من الغلط ، وكشفه وشرحه ، لأنه كتاب مقصود به المبتدئون للنظر في علم اللغة ، فتنى تعلق المبتدىء بشيء من هذا الكتاب ومرت عليه اعتقده ، ورأى أنه الحق دون سواه . فبيّنت للناظر فيه حقيقة الأشياء ليعرفها . ورأيناه قد حكى في مواضع كثيرة للفظ الواحد وجوهاً ، والمسألة أجوبة ، تكثيراً لذلك ، وإنما يجمع جميعه إلى أصل واحد وإن تباينت ألفاظ العلماء فيه ، فنهت على ذلك ، وأربت كيف رجوعه إلى أصل واحد . ووجدت فيه أيضاً مواضع قد ذكرها من النحو وعلاؤه ومن التصاريف على مذهب الكوفيين ، فذكرتها على مذهب البصريين ، ودلت على صحة مزاعمهم دون مذهب الكوفيين ، ووجدته قد ذكر في بعض الفصول شيئاً يسيراً من اشتقاق أسماء البلدان ، وترك عامة ما يحتاج إليه منها ، فأضفت إليه باباً ذكرت فيه جمهور اشتقاق أسماء البلدان ، وأسباب تسميتها . ووجدت فيه أيضاً مواضع قد ترك فيها للمسألة وجوهاً متباينة لفظاً ومعنى قد ذكرها العلماء مشهورة ، وزيادات بيّ الباب من اللغة لم يأت بها ، فذكرت ذلك أجمع ، ليكون الناظر في هذا الكتاب مع إحاطة علمه بما تضمنه الزاهر ، عارفاً بمواقع السهو فيه ، وبهذه الأشياء التي ذكرتها ، مع اختصار هذا الكتاب ، وإنه دون الثالث من مقدار جملة الزاهر .

وقد وقع في شيء يسير من هذا الكتاب تقديم وتأخير ، على ما اتفق من اختصار ، إلا أنا قد أثبتنا عليه أجمع .^(١)

ولم يترك لنا أبو القاسم ما زبده على وصف مختصره القيم ، إلا أن السيوطي نقل لنا كلمة تبين قيمته إذ قال : قال أبو حسن الشاري في فهرسته : كان شيخنا أبو ذر يقول : المختصرات التي فضلت على الأمهات أربعة ؛ مختصر العين

(١) مختصر الزاهر ، نسخة دار الكتب بالقاهرة رقم ٥٥٧ لغة . الورقة ١ .

للزبيدي ^(١) ، ومختصر الزاهر للزجاجي ، ومختصر سيرة ابن اسحاق لابن هشام ، ومختصر الواضحة للفضل بن سلمة ^(٢) . « فتأيدت بهذا القول شهادة الزجاجي بنفسه حين جمل مختصره فوق الأصل . »

٦ - كتاب اشتقاق أسماء الله تعالى وصفاته المستنبطة من التنزيل وما يتعلق بها من اللغات والمصادر والتأويل .

جاء في إشارة التعيين أن اسم هذا الكتاب هو « شرح أسماء الله الحسنى » وأكثر الذين قعدوا عن الزجاجي لم يشيروا الى هذا الكتاب ، وقد عدّ صاحب كشف الظنون واحداً وثلاثين عالماً ممن ألف تحت هذا العنوان ولم يشر الى الزجاجي بينهم بل لم يذكر بينهم من مات قبل سنة ٣٨٨ ، وعلى هذا فان الزجاجي قبلهم جميعاً في السبق الى هذا النوع من التأليف ^(٣) .

ويعرّف الزجاجي بكتابه هذا فيقول في خطبته ^(٤) : « هذا كتاب أفردته لشرح اشتقاق أسماء الله عز وجل وصفاته المذكورة في الاثران من أحصاها دخل الجنة حسب ما رواها أهل العلم واستنبطوها بعد الرواية بشواهد من كتاب الله عز وجل فاستخرجوها منه لئلا يعارض فيها شك ، ولا يحتاج في الصدور زيف

(١) كتاب الدين المشهور والذي ينسب للخليل ، اختصره اختصاراً حسناً أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي صاحب طبقات الفوحيين والنجوين ، المتوفى سنة ٣٧٩ هـ .

(٢) الواضحة في تجويد الفاتحة ، تصبغة دالية في اثنين وعشرين بيتاً للشيخ برهان الدين بن ابراهيم الجبري المتوفى سنة ٧٣٢ . وقد اختصرها فضل بن سلمة .

(٣) يجب أن نشير الى أن ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ قال في مقدمة كتابه « تفسير غريب القرآن » : « لفتت كتابنا هذا بذكر أسماء الله الحسنى وصفاته البلي فنخبر بتأويلها واشتقاقها ... » وبذلك يكون سابقاً لغيره ولكنه لم يفرد ذلك بالتأليف كما فعل الزجاجي .

(٤) من هذا الكتاب نسخة في دار الكتب المصرية رقها / ٣ ش لغة وهي في ١٤٩ ورقة وصورتها في معهد المخطوطات (فلم / ٣١٢) وهي من رواية أحمد بن محمد بن سلمة النيسابوري عن أستاذه الزجاجي . وصحبها منه علي بن الحسين الرضي .

في التصديق بها ، على مذاهب (أهل) العربية العلماء باللغة ، العارفين بأساليب كلام العرب واشتقاقه ونصاريه ، غير عادل عن مذهب العرب في ذلك خاصة . وأختم الكتاب بالفرق بين الاسم والنعمة ، ووجوه النعت في كلام العرب ، ومجاري صفات الله عز وجل وموقعها من ذلك ، وذكر من قال بالاشتقاق ومن أبى ذلك والرد عليه وبالله التوفيق » (انظر صورة الأصل) .

٧ - كتاب الابدال والمعاقبة والنظائر :

وهو كتاب يبحث في تبادل الحروف بعضها مع بعض وتعاقبها وتناظرها ^(١) .

٨ - كتاب اللامات :

ذكره كثير من تروجموا للزجاجي كالسيوطي ^(٢) وبروكيان ^(٣) وغيرهما ، وهو كتاب جيد يبحث في اللامات ومواقعها في كلام العرب . قال الزجاجي في خطبته : « هذا كتاب مختصر في ذكر اللامات ومواقعها في كلام العرب وكتاب الله عز وجل ومعانيها وتصرفاتها والاحتجاج لكل موقع من مواقعها ، وما بين العلماء في بعضها من الخلاف . وبالله التوفيق » ^(٤) . (انظر صورة الأصل) .

٩ - شرح كتاب الألف واللام للمازني :

ذكر السيوطي ^(٢) هذا الكتاب في جملة كتب الزجاجي وأشار إليه صاحب عيون التواريخ ^(٥) كما أشار إليه صاحب كشف الظنون حين يتحدث عن كتاب

(١) منه نسخة في اسطنبول مصورة ضمن مجموع في جامعة القاهرة / ٢٢٩٦٧ وفي

مهد المخطوطات (فيلم ٣٥٦ / ٢ نحو) .

(٢) بنية الوعاة : ٢٩٧ والأشياء والنظائر ٢ : ٢٢٨

(٣) G. A. L . الدليل ١ : ١٧١

(٤) من « اللامات » نسخة في اسطنبول وصورتها في مهد المخطوطات (فيلم / ٧٩٢)

ونحن الآن بصدد تحقيقه لنشره قريباً ان شاء الله .

(٥) عيون التواريخ . المخطوط . ورقة : ٣١٧

الألف واللام للمازني^(١) . ولم أقع على نسخة منه ولا وجدت أحداً وصفه أو تحدث عنه .

١٠ - المخترع في القوافي :

ذكره السيوطي وقال انه وقف عليه^(٢) وذكره صاحباً « عيون التواريخ » و « كشف الظنون »^(٣) . وأما ابن النديم فلم يذكر للزجاجي سواء ولكنه اقتصر من عنوانه على « القوافي » فقط فقال « وله - للزجاجي - من الكتب كتاب القوافي »^(٤) وعدمهما محقق الجمل كتابين ثم استدرك فقال عند ذكره كتاب القوافي : « ولعله هو المخترع »^(٥) وهذا هو الأرجح لأنه ما من أحد جمع بين ذكر الكتابين .

١١ - كتاب الهجاء :

لم يشر أحد إلى هذا الكتاب بين مؤلفات الزجاجي سوى بروكس^(٦) . إلا أن الزجاجي نفسه أشار إليه في كتاب الجمل ، فقال في باب الأفعال المحموزة : « وقد ذكرت عامتها في كتاب الهجاء » . ونقل ذلك عنه ناشر الجمل ولم يزد عليه شيئاً .

١٢ - كتاب المجموع في معرفة أنواع الشعر وقوافيه :

جاء اسم هذا الكتاب منسوباً إلى الزجاجي في فهرسة ابن خير^(٦) . ونقله عنه محمد بن أبي شنب محقق الجمل . ولم يذكره أحد سواهما .

عازله المبارك



(يتبع)

(١) كشف الظنون ٢ : ١٣٩٦ .

(٢) بنية الوعاة : ٢٩٧ والأشياء والنظائر ٢ : ٢٢٨ .

(٣) كشف الظنون ٢ : ١٦٢٥ .

(٤) الفهرست : ١١٨ .

(٥) مقدمة الجمل .

(٦) فهرسة ابن خير : ٣١٤ .

كتاب شرح الألفات

للدُّبِّي بكرة محمد بن القاسم بن بشار الأتباري النعموي

- ٢ -

فان سأل سائل ، عن الف الوصل ، فقال همزةٌ هي أم ألفٌ ، قيل له ، قال قطرب^(١) ، هي همزةٌ ، كثير الكلام بها فتركت [الورقة الـ ١١/ب] لأن الألف ، لا تحتل الحركة ، وهي ، في قال ، وباع ، وعماد ، وحماد ، ألفٌ لا [يشك] فيها ، فلو كانت في ، اضرب ، الفاء ، ما تحركت ، ورد أبو العباس^(٢) ، أحمد بن يحيى ، هذا القول ، عليه وقال ، لو كانت همزةٌ ، لثبتت في الابتداء ، والوصل ، كما ثبتت ، همزة اسير ، وإصرير ، وأذنير ، في كل حال . وقال الفراء^(٣) ، وسيدويه^(٤) ، ومن أخذ بقولهما ، هي ألفٌ ، إذا كانت

(١) هو مجمل بن المسنبر ، المتوفى سنة ٢٠٦ / ٨٢١ م ، له ترجمة في الفهرست (ص : ٧٨) ، والوفيات (رقم ٦٤٦) وبنية الوعاة (ص : ١٠٤) وتاريخ اني الفداء (ج ٢ ص ٢٨)

(٢) هو ثعلب بن مشاهير نحوي الكوفي ، ولد سنة ٢٠٠ / ٨١٥ م ، وتوفي سنة ٢٩١ / ٩٠٣ م ، روى عنه ابن الأتباري . له ترجمة في الفهرست (ص : ١١٠) والوفيات (رقم ٤٢) ومجمع الادباء (ج ٢ ، ص ١٣٣) وغاية النهاية (ج ١ ، ص ١٤٨) رقم ٦٩٢ (وبنية الوعاة (ص : ١٧٢) وتاريخ اني الفداء (ج ٢ / ٦٠) (٣) هو ابو زكريا ، يحيى بن زياد ، كان ابرع الكوفيين وأعلمهم ، توفي سنة ٢٠٧ / ٨٢٢ م ، له ترجمة في الفهرست (ص : ٩٨) والوفيات (رقم ٨٠٨) ومجمع الادباء (ج ٢٠ . ص ٩) وبنية الوعاة (ص ٤١١) وتاريخ اني الفداء (ج ٢ ص ٢٨) وغاية النهاية (ج ٢ ص ٢٧١ رقم ٣٨٤٢) .

(٤) هو عمرو بن عثمان بن قنبر ، صاحب « الكتاب » ، توفي سنة ١٧٧ / ٧٩٣ م (مع اختلاف) وله نيف وأربعون سنة ، راجع الفهرست (ص : ٧٦) والوفيات (٥١٥) ومجمع الادباء (ج ٦ ص ٨٠) والبنية (ص ٣٦٦) وغاية النهاية (ج ١ ص ٦٠٢ رقم ٢٤٥٩)

صورتها ، صورتها ، وإنما دخلت الألف ، في اضرب ، واصنع ، وما أشبهها ، من أجل أن الضاد والصاد ساكنتان ^(١) ، لا يمكن الابتداء بها ، فدخلت الألف ، ليقع الابتداء بها ، والاعتماد عليها .

وقال البصريون ، كسرت الألف ، في اضرب ، لسكونها ، وسكون ^(١) الضاد ، وكذلك كل الف للوصل ، تبتداً مكسورة ، علة كسرها ، أنها ساكنة في الوصل ، لقيها حرف ساكن ، وضمت عندهم ، في أعبد ، وأشكر ، لأن عين الفعل مضومة ، فلما احتيج إلى حركة الألف ، لا ساكن الذي لقيها ، ضموا بضمة ما بعدها ، وتنكبوا الكسرة ، كراهية الانتقال من كسرة إلى ضم .

والف الاستفهام ، تعرف بجي . أم بعدها ، أو يحسن هل في موضعها ، وهي مفتوحة أبداً ، كقوله تعالى ، أفترى على ^(٢) الله كذباً ، ألف أفترى ، ألف استفهام ، لقوله ، أم به جنسة ، فانيان أم ، بعدها ، يدل على أنها ألف استفهام .

وكذلك ، أستغفرت [الورقة الـ ٥ / ظ] لهم أم لم تستغفر ^(٣) لهم ، أطلع ^(٤) الغيب ، ألتجذ ، أصطفى البنات على ^(٥) البنين ، (لانه بعد ^(٦))

(١) في العبارة نوع تخليط يجب الانتباه إليه وذلك أن الأصل في همزة الوصل عند نحوى البعرة أن تكون متحركة مكسورة ، وإنما تزم في أدخل ونحوه لاستئصال الخروج من كسر إلى ضم ؛ وعامة الكوفيين ذهبوا إلى أنها تتبع عين الفعل وذهب بعضهم إلى أنها تكسر لالتقاء الساكنين (راجع الانصاف في مسائل الخلاف ص ٣٠٩ - ٣١٢ ، طبعة لندن . سنة ١٩١٣ م) .

(٢) ص ٣٤ ، ع ١ ، الآية الـ ٨ .

(٣) ص ٦٣ ، ع ١ ، الآية الـ ٦ .

(٤) ص ١٩ ، ع ٥ ، الآية الـ ٧٨ .

(٥) ص ٣٧ ، ع ٥ ، الآية الـ ١٥٣ .

(٦) ورد فوقه - « صح » - .

أم لكم (سلطان مبین ^(١)) ؟
 وقرأ ، نافع ^(٢) ، لكاذبون ^(٣) ، اصطفى ، باسقاط الالف ، في الوصل ،
 وبكسرها في الابتداء ، يجعلها الف وصل ، وبوجه ^(٤) ، اصطفى ، الى انه
 حكاية من أهل الكفر ، الا ^(٥) انهم من إفكهم ، ليقولون اصطفى البنات ؟
 والاستفهام من الله عن وجل ، تقرير ، ^(٦) وتوبيخ ؟
 والأصل ، في هؤلاء الأفاعيل ، إاصطفى ^(٧) ، أنترى ، أشكر ^(٨) ،
 أطلع ، فذهبت ألف الوصل ، لا تثبت في اللفظ ، إلا [عند الابتداء بها] .
 وقوله ، ألم أحسب ^(٩) الناس أن يتركوا ، الألف في أحسب ، الف
 استفهام ، تحسن هل في موضعها ، وكذلك ما أشبه هذا .

وكل ألف ، تدخل على حرف عطف ، أو حرف جحد ، في كتاب الله
 عن وجل ، فهي ألف التقرير ، والف التقرير ، الف الاستفهام ، هي كقوله ^(١٠)
 تعالى ، أو آباؤنا الأوتون ^(١١) ، أو لو كان ^(١٢) آباؤهم ، أو لم يسيرا ^(١٣)

- (١) من ٣٧ ، ع ٥ ، الآية الـ ١٥٦ .
- (٢) توفي سنة ١٦٩ (على اختلاف الأقوال) انظر غاية النهاية (ج ٢ ص ٣٣٠ ، رقم ٣٧١٨) .
- (٣) من ٣٧ ، ع ٥ ، الآية الـ ١٥٢ .
- (٤) انظر تفسير الطبري (ج ٢٣ ص ٦١) والنيسابوري على هامش المرجع المذكور ، ومفاتيح الغيب (ج ٧ ص ١٦١ ، طبعة الشرفية سنة ١٣٠٨)
- (٥) الأولى ان 'يحذف' .
- (٦) انظر التاج (ج ١٠ ص ٤٢٢) .
- (٧) الاصل - « اصطفى » - .
- (٨) كذا . ولم يرد في ما تقدم .
- (٩) من ٢٩ ، ع ١ ، الآية الـ ١ - ٢ .
- (١٠) الاصل - « كفولك » - .
- (١١) من ٣٧ ، ع ١ ، الآية الـ ١٧ .
- (١٢) من ٢ ، ع ٢٠ ، الآية الـ ١٧٠ .
- (١٣) من ٢٠ ، ع ١ ، الآية الـ ٩ .

في الأرض ، ألم بأتكم نذير ^(١) ، ألسنت ^(٢) بربكم ، هذا وما أشبهه .
وألف الخبر عن نفسه ، وتُعرف بأننا وغدير ، (تضم اذا) كان ماضي فعلها ،
على أربعة أحرف وتفتح اذا كان الماضي على < أقل أو > أكثر من
أربعة أحرف .

تبتدىء ، قوله عز وجل ، ولكن اعبد ^(٣) الله ، أعبد ، بالفتح ، لأنها
ألف الخبر عن نفسه ، فيقال في امتحانها ، أنا غداً ، وفُتحت (لأن الماضي ،
أقل من ^(٤)) ، [الورقة الـ ٥ / ب] أربعة ، وهو عَبد ؛

وكذلك ، استخلصه لنفسه ، ألفه ، ألف الخبر عن نفسه ، يحسن أنا وغداً ،
في امتحان فعلها ، اذا أنت ، كقول القائل ، استخلصه أنا غداً ، وابتدأت بالفتح ،
لأن الماضي ، استخلص ، وعدة حروفه أكثر من أربعة أحرف ؛

وتبتدىء ، قوله تعالى ، أفرغ عليه ^(٥) قطرا ، بضم الألف ، لأنها الف
الخبر عن نفسه ، في فعل ماضيه ، أربعة أحرف ، وهي أفرغ ، فألف الخبر
عن نفسه ، لا تكون أبداً ، إلا أول المستقبل ، لأنها إحدى دلائل [الاستقبال ،
ففعال ^(٦) ، أن تحمل [ماضياً أو دائماً ؛

والف الخبر في فعل ما لم يسم فاعله ، لا تكون إلا مضمومة ، قلت حروف
الماضي ، أو كثرت ، كقوله ، اكرم ، أو اضرب ، واستخلص ؛
وألف ما لم يسم فاعله ، تكون في أربعة أمثلة ، يفي افعل ، وافتعل ،

(١) س ٦٧ ، ع ١ ، الآية الـ ٨ .

(٢) س ٧ ، ع ١٢ ، الآية الـ ١٧٢ .

(٣) س ١٠ ، ع ١١ ، الآية الـ ١٠٤ .

(٤) ورد فوفه « صح » .

(٥) س ١٨ ، ع ١١ ، الآية الـ ٩٦ .

(٦) ما بين القوسين مخروم والواضح « ان يحل » .

واستفعل ، وانفعل ، وقد تكون في فعل ، غير لازمة له ؛
 فأما ألف أفعل ، فألف (١) أخرج ، وأكرم ، وأحسن ؛
 وألف افتعل ، ألف أكتسب ، وأصطنع ، وأضطر (٢) ، وأجث (٣) ،
 من أجل أن الأصل ، في اضطر ، اضطرر ، و < في اجث > أجثث ،
 فأبدلوا من التاء ، طاء ، لأنها أشبه بالضاد ، من التاء (٤) فاستقلوا [الجمع
 بين حرفين] متحركين ، من جنس واحد وأسكنت الراء الأولى ، وأدغموها
 في التي بعدها وكذلك سكنوا التاء (٥) الأولى ، وأدغموها ، في (٦) التاء ، الثانية ؛
 وألف استفعل ، الف استضعف ، واستخرج ، وما أشبهها [الورقة الد/ظ]
 وألف انفعّل ، الف انقطع بالرجل ، والف فعل ، ألف أخذ ، وأكل ،
 و (أمر ، ولبست لازمة (٧) هذا المثال كله ، كلزوم أولئك الألفات ،
 مثلها ، من قبل أنك تقول ، ضرب ، وضرب ، وذعر ، فلا تجد فيهن ألفاً ؛
 واعلم أن الف استفعل ، وانفعل ، واقتعل ، الف ما لم يسم فاعله ، من ألف
 الوصل ، إذا كنت تقول ، في حال تسمية الفاعل ، استفعل ، وانفعل ،
 وانفعل ، فلا تحل عليك أنها الف وصل ، مبنية على عين الفعل .
 وألف أفعل ، الف ما لم يسم فاعله ، من الف القطع ، من قبل أنك إذا
 سميت الفاعل قلت ، أخرج فلان الشيء ، فوضح لك الف قطع ؛
 وألف فُعل ، الف ما لم يسم فاعله ، من ألف الأصل ، لأنك [تسمي]
 الفاعل ، فتقول ، أخذ ، وأمر ، فلا يمحض عليك ، أنها ألف أصل ؛

(١) في الأصل « وألف » .

(٢) في الأصل « اصطنع » .

(٣) في الأصل « اجثث » بك الإدغام .

(٤) في الأصل « التاء » .

(٥ - ٦) في الأصل « التاء » .

(٧) ورد لونه « صح » .

وانما ابتدئت ، الف ما لم يسم فاعله ، بالضم ، لدلالة الفعل ، الذي هي ^(١) أوله ، على فاعل ^(٢) ومفعول ، اذ ضرب ، لا يخلو ^(٣) من دلالة على ضارب ومضروب ، فكان ضم أوله دلالة على تضمينه ^(٤) معنيين ، كما قالوا ، زيد حيث ^(٥) عمرو ، فالزموا حيث ^(٦) ، الضمة لمقامها مقام محلين ، كقولك في مكان فيه عمرو ، وقالوا ، نحن [قننا] فضعوا نحن في جميع الأحوال ، لتضمنه معنى التثنية ، ومعنى الجمع ، إذ كان الرجلان يخبران ^(٧) عن أنفسهما ، فيقولان ، نحن قننا ، ويقول الرجال (مثال ذلك ^(٨)) .

[الورقة الـ ٢ / ب] باب ^(٩) ذكر الألفات المبتدأة في الأسماء

اعلم أن ألفات الأسماء ، أربع ، ألف أصل ، وألف قطع ، وألف وصل ، وألف استفهام ؛

فألف الأصل ، تعرف بمثل حركاتها في الفعل ^(١٠) ، اب رفعا رفعا ، وان نصبا نصبا ، وان خفضا خفضا ، كقوله عز وجل ، وأخذتم على ذلكم ^(١١) إصري ، ألف إصري ، الف أصل ، لأنها فاء من الفعل ثابتة في التصغير ، ووزن إصري من الفعل ، فعل فاعل ، ويقال في تصغيره أصيرا ، باستيفائها بالقطع ؛

(١) هامش الاصل « احببه ثبني » ، قلت هذا التصويب ظاهر الخطأ .

(٢) في الاصل « او » .

(٣) في الاصل « لا يخلوا » .

(٤) حروف مخرومة .

(٥) في الاصل « حيث » .

(٦) في الاصل « حيث » .

(٧) في الاصل « على » .

(٨) ورد فوقه « صح » .

(٩) نسخة برلين « ذكر الالفات النح »

(١٠) في الاصل - « الوصل » -

(١١) س ٣ ، ع ٩ ، الآية الـ ٨١ .

وكذلك ، قل اذن (١) خبره لكم ، ألف اذن ، ألف أصله بتبديء بالضم على مثال قُلْ ، والألف فاء من الفعل ، ويقال في تصغيرها ، هذه أذينة ، فثبتت الألف فيها ، وكذلك ، وكان (٢) أمر الله ، ألف أمر الله ، الف أصله ، بتبديء بالفتح ، لأنها كالزاي في زيد ، وزن أمر ، من الفعل قَعَلَ ، فالألف فاء من الفعل ، وتصغير أمر ، أمير ، فالألف ثابتة فيه ، ومثله ، أب ، لأن وزنه قَعَلَ ، وأصله أبو (٣) ، وتصغيره ، أبي ، وأم ، لأن وزنها قَعَلَ ، وتصغيرها أمية ؛

وألف القطع في الأسماء ، تكون أول الاسم المفرد ، وأول الجمع (٤) ، فإني بيتدا بها في أول الاسم المفرد ، تعرف بثبتاتها في التصغير ، وبأنها [الورقة الـ ٣ / ظ] فاء من الفعل ، كقولك ، هو أحسن من غيره ، ألف أحسن ، ألف قطع (في الاسم المفرد ، (٥) لأن) وزنه من الفعل ، أفل ، فألفه غير فاء من الفعل ، وتقول في تصغيره ، أحسن ، فتوجد الألف فيه ، ومثله ، أكبر ، وأعقل ، وأنبِل وأجل ، وأحمد ، وأحزم ، وأصبغ ، وما أشبههن .

وألف القطع في الأسماء المجموعة ، تعرف بحسن دخول الألف واللام عليها ؛ وإنها ليست فاء من الفعل ، ولا عينا ، ولا لاما ، كقوله تعالى ، مختلف (٦)

(١) س ٩ ، ع ٨ ، الآية الـ ٦١ .

(٢) س ٤ ، ع ٧ ، الآية الـ ٤٧ .

(٣) في الأصل « الف » .

(٤) جاء في اللسان ما نصه : وقال ابو بكر بن الاباري ، ألف القطع ، في اوائل الاسماء ، على وجهين ، احدهما ان تكون في اوائل الاسماء المنفردة ، والوجه الآخر ، ان تكون في اوائل الجمع ، فإني في اوائل الاسماء ، تعرفها بثبتاتها في التصغير ، بان تمنح الألف فلا تجدها فاء ، ولا عينا ولا لاما ، وكذلك لم يروا باحسن منها النح (لسان : ج ٢٠ ص ٣١٣) .

(٥) ورد قوله - « صح » - .

(٦) س ١٦ ، ع ٩ ، الآية الـ ٦٩ ، س ٣٥ ع ٤ ، الآية الـ ٢٨ .

ألوانه ، ألف ألوان ألف قطع في الجمع من الأسماء ، لأن وزن ألوان ، أفعال ، فالألف غير فاء ، ولا عين ، ولا لام ، وتدخل عليها الألف واللام ، فتقول الأوزان ^(١) ، وكذلك ، السنة والأُسنة ^(٢) ، وآيات ، والآيات ، وأثواب والآثواب .

وألف القطع في هذين النوعين ، مفتوحة ، ومتى وردت عليهم مكسورة أو مضمومة كانت بمنزلة المفتوحة ، فإذا كانت أول الاسم الأعجمي ، ألف فهي ألف قطع ، وتعرف الاسم الأعجمي [بامتناؤه] من الاجراء ^(٣) ، وبأنه معدوم من عتيق كلام العرب ، إلا أن نخلوه عن المعجم ، كقولك إبراهيم ، وإسماعيل ، واسحق ، وإدريس ، وهي مكسورة في الوصل والقطع ، كسر بناء ، لازم غير محكوم عليها ، بأنها ألف أصل ، إذ كان الأعجمي مجهول الاشتقاق ، والف استبرق ^(٤) أيضاً ، ألف قطع في الاسم الأعجمي ، وإن كان مجرى (لأن العرب أخذته ^(٥)) [الورقة ٣/ب] عن المعجم ، وأجرته لتكبره ، ومنعت إبراهيم ودونه الاجراء ^(٦) ، للتعريف والمعجمة ، فإن أنت الألف في أول الأعجمي مفتوحة أو مضمومة فهي أيضاً بمنزلة المكسورة ، ألف القطع ؛

(١) كذا ولو كان « الألوان » لكان اوفق بالسباق .

(٢) في اللسان - « السنة » - مصحفاً (ج ٢٠ ص ٣١٣) .

(٣) في الاصل : الاجزاء .

(٤) زعم بعضهم انه استعمل من البرق (انظر الملائكة : ص ٢٢ مع الحاشية) ونسبه المعري الى الزجاج والذي حكى عنه صاحب اللسان ينفيه (انظر

اللسان ج ١١ ص ٢٨٥ .

(٥) ورد لونه - « صح » -

(٦) في الاصل : الاجزاء .

والفات الوصل ، في الأسماء ، تسعة ^(١) ، الف ابن ، وابنة ، واثنين ،
واثنين ^(٢) ، وامرئ ، وامرأة ، وامم ، واست ، والرجل .
فثمانية منها ، تعرف بسقوطها في التصغير ^(٣) ، وتكسر في الابتداء ،
فتقول في تصغير <ها> <هني> ، <وبنسة> ، <ونبتان> ، <ونبتان> ، <ومري> ،
<ومرسة> ، <وسمي> ، <وسمي> .
والثامنة تعرف بدخولها مع اللام للتعريف ، وسقوطها عند ^(٤) التكثير ،
كقولك رجل ، والرجل ، وطفل ، والطفل ، وحمد ، والحمد ^(٥) ؛
وأما ألف ابن ، فكسرت لأن أصله أمر من بنيت ، وألف اثنين
كسرت لأن أصله أمر من ثنيت ، اثني ^(٦) على مثال ، افض من قضيت ،
إرم من ربيت ، وألف اسم كسرت ، لأن أصله أمر من سميت ، وألف
امرئ لم يصلح بناؤها على الثالث إذ كان يضم في الرفع ، ويفتح في النصب ،
وبكسر في الخفض ، فيقال : قام امرؤ ، ورأيت امرأة ، وصرت بامرئ ،
فلما لم يصلح ذلك ، ألحقت بأخواتها من ألف ابن ، وابنة ، واثنين ، واثنين ،
وألف است أيضاً ملحقه بأخواتها .
وألف الرجل تبتدأ بالفتح ، لأنها دخلت مع اللام للتعريف ، فشبهت أل ،

(١) هذه المبارة لحصها صاحب اللسان والتاج ، فيما حكاه عن ابن الانباري

(راجع : اللسان ج ٢٠ ص ٣١٣ ، والتاج ، ج ١٠ ص ٤٢٣)

(٢) اللسان والتاج : ابني وابنتين ، مصعفاً .

(٣) اللسان والتاج : « ويجذف في الوصل » .

(٤) في المرجعين : وهي مفتوحة في الابتداء ، ساقطة في الوصل .

(٥) من هذا الباب أم الله في اللهم قال ابن خالويه : وليس في كلام العرب ،
ألف وصل مفتوحة إلا في هذين ، يعني حرف اللام للتعريف وأيم الله (راجع

كتاب ليس : ص ١٢ ، ٦٩ طبعة مصر سنة ١٣٢٧)

(٦) في الاصل - التي -

فان قال قائل ، فلم لم يزدوا ، مدة في قوله ، أفترى ، والفتح ، الف
استفهام كالف المذكورين ، قيل له ، ألف الخبر افترى ، مكسورة ، وألف
الاستفهام مفتوحة ، فانفتح الألف فرتق بينها في الاستفهام والخبر ، فأغنى
عن المدة ، وألف المذكورين ، مفتوحة في الاستفهام والخبر ، فمن أجل ذلك ،
فرقوا بينها في المدة ؛

(۲) توقیع

(٤) لفظ ابن خالويه : . . . فتحت لانها خالفت بدخولها موضعها ، فقالوا بجركتها حركتها ، لان الف الوصل ، انما تدخل على الافعال وعلى الاسماء ، وهي فيها مكسورة أو مضمومة (كتاب ليس : ص ٦٩ ، ١٢)

(٦) ص ١٠ ، ع ٩ ، الآية ٩١

(۷) ص ۲۷ ، ج ۵ ، الآية ۵۹

واعلم أن ألف الدعاء^(١) ، كآلف الاستفهام في اللفظ ، تعرف بات
يحسن في موضعها ، با ، كقولك ، أزيد أقبل ، معناه ، بازبد أقبل ، من
ذلك ، قرأ نافع ، وغيره^(٢) ، أمن هو قات^(٣) بالتخفيف في الميم ، كأنه^(٤)
يا من هو قات ؟

باب^(٥) الألفات المستأنفات في الأدوات وما تجري في مجراها
من المكاني وأسماء الاشارات

اعلم أن الألفات ، المبتدأة ، في الأدوات المحضة ، أصلية ، حفظها الكسر ،
كقولك (إن ، وإذا ، وإما ، وإلا ، وإذ) [الورقة الـ ٢٥ / ب] وإذن^(٦) وإلى .
وقد تأتي ، مفتوحة كقولك ، أما ، وأما^(٧) ، وأنا ، وتعرف الأدوات ،
بافتتاح الكلام بها ، وبأنها لا يصحبها خبر لها يرفعها ، ولا يقع بها خبر
تضير عنه ، فينصبها ولا يدخل عليها حرف خفض فيكسرهما .

وآلف الاسم المحوّل ، من الأداة أصلية ، لا تكون إلا مفتوحة ، كقولك
أن- ، وأما ، وأن ، وبذلك على أنهن أسماء ، دخول عوامل الرفع والخفض
عليهن ، كقولك بعجني أنك قائم ، وإن تقوم ، موضعها رفع بالاعجاب ،

(١) يعني ألف النداء

(٢) منهم ابن كثير وحجة (مفاتيح الغيب ج ٧ ص ٢٢٨) وانظر تفسير الطبري

(ج ٢٣ ، ص ١١٨ / ٧)

(٣) ص ٣٩ ، ح ١ ، الآية الـ ٩

(٤) هذا قول اللغويين . وفي التخفيف أيضاً إن تكون الالف ، الف استفهام ،

داخلة على آمن (انظر مفاتيح الغيب ج ٧ ص ٢٢٨)

(٥) هذا الباب أغفله اهلوردت في فهرسته

(٦) في الاصل : اذا

(٧) في الاصل : إما

واعلم أنك قائم ، وإن تقوم ، موضعها نصب بالعلم ، ونقول فكرت في أنك قائم ، وفي أن تقوم فيخفها بني بكشف لك أنهم محولات عن الأدوات سقوط الإعراب عنهم ، إذ العوامل لا تؤثر فيمن أثراً من ضم ولا كسر ولا فتح ؛

وآلف المكاني الأصلية المرفوعة ، تستأنف بالفتح ، كقولك أنا ، وأنت ، وأنما ، وأنتم ، وأنن ، وقد تأتي في مواضع الخفض عند الضرورة ، كقولك إياك أنت موضع أنت خفض بالكاف ، وكذلك أنت كأننا ^(١) ، الكاف خافضة أنا ، وتأتي أيضاً في موضع النصب ، كقولك ضربتك أنت ، موضع أنت نصب على التوكيد للكاف المنصوبة إلا أن الأكثر فيهن والأغلب عليهن ، الوقوع في موضع إياك نصب ، ومثله إياكما ، وإياك ، وإياكن ، وربما وقعت في موضع الخفض كقولهم أنا كأياك ، وأنت كأياي ، قال الشاعر ^(٢) :

[الورقة الـ ٢٢ / ظ]

فأحسن ^(٣) وأجل في أسيرك انه ضعيف ولم بأمر كأياك أسير ^(٤)
والأغلب عليهن التعرف ^(٥) بالنصب ؛

وآلف أسماء الإشارات ، أصلية تستأنف بالضم ، كقولهم أولياء ^(٦) ، وأولئكم ، وأولئكن ، وآلف وأولي مال ، أصلية تبتدأ بالضم للبناء ، وكذلك

(١) الأصل : كانت

(٢) هذا الشاعر لم يطلعوا عليه والبيت امتشهد به الفراء وهشام عن الكسائي ، وتعلم في أماليه وابن عصفور في كتاب الفرائز (راجع خزائن الأدب :

ج ٤ ص ٢٧٤)

(٣) في رواية : فاجل وأحسن

(٤) في الأصل : أسير

(٥) ترفيع

(٦) يمدّ ويأمر ، وهو تصغير أول

ألف أولات ، وواحد أولي ، ذو^(١) ، وواحد أولات ، ذات^(٢) ، وهذان الحرفان لباسا من أسماء الإشارة ، إذ كان أولو مال بمعنى أصحاب مال وأولات بمعنى صاحبات يقاس^(٣) على هذا ما يرد من هذا الباب إن شاء الله تعالى ،^(٤) ثم كتاب شرح الألفات الأنباري النحوي ، رضي الله عنه ، بحمد الله وعونه

(عبارة من كتاب الوقف والابتداء)

هذا نص ماورد ، في حاشية الورقتين الـ ١١ / ظ — الـ ١٠ / ب ، من نسخة الأصل :

« من كتاب الوقف والابتداء ، لابن الأنباري ، أيضاً : كان الأصل في قولهم ، ابت يارجل ، ائت^(٥) يارجل ، ائتوا^(٦) يارجل ، فجعلوا المحزة الساكنة ياء ، لسكونها وانكسار ما قبلها ، وذلك ان العرب ، تجعل المحزة ياء ، اذا انكسر ما قبلها وكانت ساكنة ، ويجعلونها ألفاً اذا سكنت وانفتح ما قبلها ، ويجعلونها واواً اذا سكنت وانضم ما قبلها ، وأما المحزة التي سكنت وانكسر ما قبلها ، فتحذف الذب ، كان الأصل فيه الذب ، فأبدلوا من المحزة ياء^(٧) ، لسكونها وانكسار ما قبلها ، وأما حكاية الذب بالمحز ،

(١) في الاصل : ذوا ، وفي نسخة برلين : ذى

(٢) في الاصل : ذات

(٣) في نسخة برلين : يقاس على ما شرحنا ، ما يرد مما يشاكله ان شاء الله تعالى

(٤) (راجع فهرس اهلوردت ، ج ٦ ص ٢٠٠)

(٥) ورد هنا ما نصه : بلغت المقابلة

(٥) في الاصل : ايت

(٦) في الاصل : ايتوا

(٧) خرق وتلفيف

لأنه مأخوذ من تذاب الریح و < هو > مجيئها من كل وجه ، قال ذو (١) الرمة :
فبات يشتره (٢) نأد (٣) وسهده (٤) تذاوب (٥) الریح والوسواس والمضب (٦)
فمعنى يشتره (٧) ، يشخصه (٨) ويقلقه (٩) ، والنأد (١٠) ، الندى ، وتذاوب
الريح مجيئها من كل وجه ، والمضب ، الدفعات من المطر ، وقال ذو الرمة (١١) أيضاً :
غدا كأن له جننا تذاوبه (١٢) من كل أقطاره يخشى ويرقب

فعناه كأن به جننا بأخذه من كل وجه ؛

وأما المحزة التي جعلت ألفا ، لانفتاح ما قبلها ، فكقوله ، آمن الرسول ،
كان الأصل فيه آمن الرسول ، فجعلوا المحزة الساكنة ألفا ، لانفتاح ما قبلها ،
وذلك أنها اذا سكنت ضعفت ، فنقلت الحركة عليها ، وكذلك ، يا بني آدم ،
كان الأصل فيه آدم ، فجعلوا المحزة الساكنة ألفا لانفتاح ما قبلها .

(١) ديوانه : ص ٢٢ ، ب ٨٤ ، والسان : ج ٧ ص ٢٢٨ ، ج ٨ ، ص

١٤١ ، والتاج : ج ٢ ، ص ٣٠٩ ، ج ٤ ، ص ٢٦٨ ، ج ٤ ص ٤٣

(٢) في الاصل : يشتره

(٣) في الاصل : نأد ، ويخط الزبيدي في التاج : نأ (ج ١ ص ٢٤٨)

وكلاهما مصحف

(٤) الرواية السائرة : يسهره

(٥) في رواية : تذوّب

(٦) جمع هاضب مثل تابع وبيع عن أبي عمر ، ويروي « الميضب » كعنب (التاج

ج ١ ص ٥١٥)

(٧) في الاصل : يشتره

(٨) في الاصل : يحصه ، بلا نقط

(٩) في الاصل : يقلقه

(١٠) في الاصل : التاد

(١١) ديوانه : ص ٢٢ ب ٨٧

(١٢) في الاصل : يدايه

وأما الحمزة التي سكنت ، وانضم ما قبلها فكقولك ، يؤمن كان الأصل فيه يؤمن فجعلت الحمزة الساكنة واداً ، لانضمام ما قبلها ،

فان قال قائل ، اذا قلنا في الدرج ، لقائنا انت ، فها هذه الحمزة ، قيل له ، هذه الحمزة ، هي الساكنة التي في انت ، وهي فاء الفعل [الورقة الـ ١٠ / ب]
 > وألف^(١) الوصل < ساقطة ، وقد أجاز الكسائي ، أن تثبت الحمزة في الابتداء ، فأجاز للمبتدي أن يقرأ ، إئت بقرآن ، يهزمتين مخففتين ، قال ابن الأنباري : حدثنا بذلك إدريس^(٢) عن خلف^(٣) عن الكسائي ، قال أبو بكر ، وهذا فيج ، لأن العرب لا تجمع بين همزتين ، الثانية منها ساكنة ، ومع هذا ان أبا العباس حدثنا عن سلمة بن^(٤) عاصم عن الفراء ، أنه قال : العرب لا تنطق بهزة ساكنة إلا بنو تميم ، فانهم يهزون فيقولون ، الذئب ، والكأس ، والرأس ، من كتاب الوقف والابتداء لابن الأنباري .

أبو محفوظ الكرمي معصومي



- (١) ما بين المكفين خرق .
 (٢) هو إدريس بن عبد الكريم الحداد ، المتوفى سنة ٢٦٢/٣ (٩٠٤/٥ م)
 راجع غاية النهاية (ج ١ ص ١٥٤ ، رقم ٧١٧)
 (٣) هو خلف بن هشام البزار المقدم الذكر ، وهو من الثقاتين عن الكسائي
 (راجع غاية النهاية ج ١ ص ٥٣٦)
 (٤) في الأصل : سلمة عن عاصم - والصواب ما قدرته وهو صاحب الفراء ، المتوفى بعد الـ ٨٨٣/٢٧٠ م (راجع فهرست : ص ١٠١ ، وغاية النهاية ج ١ ص ٣١١)

نظرة في معجم المصطلحات الطبية

الكثير اللغات

للدكتور ٠ ل . كليرفيل

نقله الى العربية الأستاذة سرشد خاطر وأحمد حمدي الحياط
ومحمد صلاح الدين الكواكي
(لجنة المصطلحات الطبية في كلية الطب من جامعة دمشق)

- ٣ -

رقم المصطلح	رقم المصطلح
561 Amastie	٥٦١ غيبة الثدي
	وأرجح اللاتينية (مجمع اللغة) .
562 Amaurore, cécité	٥٦٢ كُمنة، عمى مُطْبِق (بدون
(comptète sans alté-	تلف طَبَقَات العين)
(-ration des milieux	
de l'œil)	

الكُمنة ظلمة تأخذ في البصر (اللسان) وقد أفرها مجمع اللغة . والغالب أن تطلق على ذهاب البصر من العين الواحدة . أما العمى المطبق وغير المطبق فلا يطلق في اللغة العربية إلا على ذهاب البصر من العينين وإلا فهو عَوَر ، ففي اللسان : العمى ذهاب البصر كله ، وفي الأزهرى من العينين كنيها الى أن قال رجل أعمى وامرأة عمياء ولا يقع هذا النعت على العين الواحدة لأن المعنى يقع عليهما جميعاً فيقال عميت عيناه .

٥٦٤ غَطَش Amblyopie 564

وأفر جمع اللغة كلمة كَمَش . ودرج كاتب هذه السطور على استعمال كلمة غَمَش ، ففي اللسان : الأَكْش الذي لا يكاد يبصر ، والغَمَش ظلام البصر من جوع أو عَطَش ، والغَمَش سوء البصر ، والغَمَش عارض ثم يذهب ؛ أما الغَطَش في العين فشيء الغَمَش ، الغَطَش الضعف في البصر كما ينظر ببعض بصره ، ويقال هو الذي لا يفتح عينيه في الشمس . واللفظة الأفرنجية تطلق على الضعف العارض على البصر ولا سيما ما كان منه غير متأث عن علة عضوية أو عن زيف في طبقات العين . لذا أفضل الغَمَش والكَمَش على الغَطَش .

٥٦٧ غيبة الأطراف الأربعة Amélie 567

والأفضل أن يقال اللاطرفية قياساً على ما تقدم في اللفظين المرقومين بـ ٧ و ٥٦١ .

٥٧٤ تيه البصر Amétropie 574

وهو فقد انطباق بؤرة المرئي على الشبكية ، أرجح أن يقال فقد القياس البصري أو اللاقياس البصري ؛ أما تيه البصر فقد جاء في اللسان تاء بصراً الرجل وتاف إذا نظر إلى الشيء في دوام ، وتاف عني بصرك وتاه إذا تخطى كما أن التيه يعني الصلَف والكِبَر^(١) .

٥٧٨ متحول ، متحول Amibe 598

والأفضل تعريب الكلمة الفرنجية كما فعل جمع اللغة فيقال آميبا أو أميبة وج آميبات .

٥٩١ غوليئات Aminoalcools 591

الأفضل أن يقال الأغوال الأمينية .

(١) وكذلك يمكن استعمال زيف القياس . ففي اللسان الزيف الميل ، زاغت الأبصار مالت عن مكانها كما يمرض للسان من الحروف .

٥٩٢ نشادرينات Ammines 592

وقد عرفت اللفظة بأنه مركب يحوي ذرات الامونيـاك (النشادر) المرتبطة مع أحد المعادن . بينما قد يفهم من نشادرينات المواد أو المادة المستخرجة من النشادر على غرار الكافئين وما إليها . والأفضل أن تبدل بما يفي بهذا المعنى كالنشادر المعدني أو سواء .

٦٠٠ نسيان سابق أو نسيان التثبيت Annésie antéro- 600
-grade ou de fixation

والأصح أن يقال نسيان لاحق ، لأنه يتعلق بالأمور المستحدثة بعد الإصابة بالعلة . وقد انتهت اللجنة الى ذلك في ترجمة (Antérograde) رقم ٨٣٢ بقولها نسيان ما بعد الحادث .

٦٠٠ نسيان لاحق Annésie rétrograde 600
والصحيح نسيان سابق لأن الأمور المنسية هنا تتعلق بما سبق أن كان متذكراً قبل الإصابة بالعلة .

٦٠١ سايباء Amnios 601

ويطلق على الغشاء الباطن الذي يحوي سائلاً يحفظ الجنين ، وأقر مجمع اللغة السكسي فقد جاء في اللسان السكسي لفافة الولد من الدواب والابل وهو من الناس المشبهة بما يدل على تخصيص السلى بالحيوان . والسايباء الماء الكثير الذي يخرج على رأس الولد لأن الشيء قد يسمى بما يكون فيه على الجاز ، ولذلك يصح أن تدعى المشيمة (وهي الدارجة) كما أن السايباء صحيفة وتعريب الكلمة بقولنا أمنيوس (عن الفرنسية) أو أمنيون (عن الانكليزية) ممكن وربما كان أقل عجمة وأخف على اللسان .

٦٠٢ منخبط Amniotique (liquide) 602

والمشهور عنه السخند . ففي اللسان : دم وماء في السايباء وهو السلى الذي

يكون فيه الولد . وفي اللسان أيضاً ويقال للسُّخْد وهو الماء الذي في المشيمة :
النُّخْط . وأرجح السُّخْد لأنها دارجة متعارفة وألف من الثانية .

٦٢٧ نسيان الآحن (أو الموسيقى) Amusie 627

الأفضل أن يقال اللاموسيقية لأن هذه الحالة المرضية تبدو تارة بنسيان
الآحن أو النغم وأخرى بفقد قراءة النوط الموسيقية على غرار الخرس
والافراءة واللاكتابة^(١) .

٦٤١ مُقَوِّرٌ ، منشط Analeptique 641

وقد عرف اللفظ الفرنجي بأنه الدواء الذي يُصلح التنفس وخور الشعور
بالضعف ، وفقد الوعي أو السبات . وأرجح أن يقال عنه الناعش في اللسان
نَعَشَ الإنسان ينَعِشُهُ نَعْشاً تداركه من هلكة . وفي الأساس نعشته
فاتعش إذا تداركته من ورطة وانتعش نعشك الله ونعشني نعشة كريم والربيع
ينعش الناس .

وأرى أن تخصص المقويات بـ (Toniques) والمُنشطات بـ (Stimulants)
وناعشات بـ (Analeptiques) .

٦٤٣ فقد الألم ، لا ألم Analgésie 643

وكذلك بطلان الألم .

٦٥٩ تأق Anaphylaxie 659

وأقر مجمع اللغة التحساس واللاوقاية . ودرج كاتب هذه السطور على استعمال
كلمة الاستهداف اقتباساً من معجم شَرْف ، ومدلول الكلمة العلمي هو فقد
الوقاية (اللاوقاية) وأن يصبح من به هذه الحال عرضة للاصابة بأحد المسببات
المرضية ، وبالتالي مستهدفاً للاصابة .

(١) راجع الشرح الوارد في المقال السابق في رقم ٤٨٩ والصفحة ٣١٤

أما التأق فقد جاء في اللسان : التأق شدة الامتلاء تنق السقاء بتأق تأقاً فهو تنق امتلاً وأتاق وأتاقاً ، إلى أن قال ورجل تنق ملآن غيظاً أو حزناً أو سروراً وقيل هو الضيق الخلق ، وقيل تنق اذا امتلاً حزناً وكاد يبكي وانخ . وعلى ذلك فان لكلمة تأق معناها اللغوي الصريح والأفضل أن لا نقحمها في المعنى الطبي البعيد عنها كل البعد ، مما يرجح أن يقال في ترجمة (Anaphylaxie) الاستهداف واللاوقاية دون غيرهما .

٦٦١ ترفيع Anaplasie 661

وأقر مجمع اللغة ارتكاس - ارتداد ، وعرف هذه اللفظة بمعجم (M. Garnier^(١)) الفرنسي بما يلي : (لفظ استعمله بقراط للدلالة على رد كسر أو خلع) يرادفه (Cataplasie) ، الحدث الذي بمقتضاه تفقد بعض الخلايا مميزاتها الخاصة دون أن ترد الى حالة الخلايا البدئية . وعرفها بمعجم (Blakiston's)^(٢) بتراجع الشكل في الخلية أو في الخلايا الى الحالة الجنبئية مع ازدياد خاصتها على التكاثر ، ويطلب أن نطلق هذه اللفظة على تراجع الشكل وحده دون النظر الى خاصة التكاثر اه . كما ان معجم كليرفيل نفسه ذكر في ترجمة اللفظة الى الانكليزية بـ (anaplasia و reversionary atrophy) أي الضمور التراجعي ، والى الألمانية بـ (Rückschlag) ومعناه التراجع . وعلى ذلك أرى أن تترجم لفظة (Anaplasie) بالخؤول أو التحول الرجاعي أو التراجعي أو الارتداد ، ولا أرى لاستعمال ترفيع مسوغاً .

٦٧٨ قطب ايجابي (بطارية غلوانية) Anelectrode 678

والصحيح منفذ ايجابي ، لأن القطب الايجابي ترجمة لـ (Anode) كما فعلت

(١) M. Garnier & V. Delamare, Dictionnaire des termes techniques de médecine

Blakiston's new Gould medical Dictionary

(٢)

اللجنة في ترجمة هذه اللفظة برقم ٨٠٩ والقطب الايجابي غير المنفذ الايجابي ،
ويفني التمييز بينهما .

٦٨١ فاقة دم بالانقراض بعد النزف - Anémie de déperdition après hémorragie 681

وهي فاقة الدم المتأنية عن نزف الدم ، وأرجح أن يقال في الترجمة فاقة دم
نزفية أو بالنزف ، ففي اللسان نزف الدم اذا خرج منه كثيراً حتى يضعف ،
والنزف الضعف الحادث عن ذلك ، وانقرض القوم درجوا ولم يبق منهم أحد .

٦٩٠ تصام ، عدم التجاوب - Anergie 690

وأرجح أن تعرب هذه اللفظة بـ أنيرجيا على غرار لفظة أيرجيا^(١) .
في اللسان أصم الداء ، وتصام عنه أراه أنه أصم وليس به تصام عن الحديث
وتصامه أرى صاحبه الصمم .

٦٩١ فقدان الحس ، خدر - Anesthésie, narcose 691

وتطلق لفظة (Anesthésie) على فقد حاسة الحس فقداً تاماً أو جزئياً ،
منه ما يتأتى عن حالة مرضيه ويدعى بطلان الحس (شأن ما يكون في بعض
علل الجملة العصبية المركزية والمحيطية) ومنه ما يكون محدثاً بأحد الأدوية سواء
أثر هذا موضعياً أو عاماً ، وهذا ما يدعى بالتخدير (التخدير الموضعي والتخدير العام) .
ولعلّ القصد من إثبات كلمة (Anesthésie) وبجانبها (Narcose) يقصد منه
التخدير . أما الخدر فالأفضل أن تخصص لكلمة (engourdissement)^(٢) .

٧١٤ أمدم - Anévrisme 714

وأقر بجمع اللفظة كلمة انورسما تعريباً . وهي الكلمة ذاتها المستعملة في كتب

(١) الصفحة ٣١٨ من الجزء الثاني من هذه المجلة في الرقم ٥٢٨

(٢) جاء في اللسان والخدر امدلال يفنى الأعضاء : الرجل واليد والجسد ، وقد خدرت
الرجل تخدر والخدر من الشراب والدواء فنور يمتري الشارب وضعف .

الطب القديمة^(١) . ودرجنا على استعمال كلمة أم الدم التي استعملها الأقدمون أيضاً ولا أرى حاجة الى هذا التخت .

٧٢٢ ذات العروق الشعرية، التهاب العروق الدفاني Angéite 722
والصحيح ذات العروق أو ذات الأوعية أو التهاب العرق أو التهاب الوعاء دون تخصيص بالعروق الشعرية أو الدفاني .

فقد جاء في معجمي غارنيه (M. Garnier) وبلاكستون (Blakiston's)^(٢) في شرح لفظة (Angéite) ان قال الأول اسم عام يشمل جميع التهابات العروق (التهابات الشريان والتهاب الوريد والتهاب العروق اللنفادية وغيره) وذكر الثاني في مادة (Angitis) أنه التهاب عرق الدم أو اللفنا .

٧٢٤ توسع الأوعية الشعرية Angéectasie 724
والأصح توسع العرق أو الوعاء
٧٢٥ خناق Angine 725
وأقر بجمع اللفظة كلمتي ذبجة وذباح .

٧٣١ خناق الصدر، انقباض القلب Angine de poitrine, 731
Angor, Sténocardie

اللفظة ذات الرقم ٧٢٥ نطلق على التهاب البلعوم وكلمة الخناق تفيد هذا المعنى وكذلك الذبجة والذباح أيضاً، والكلمات الثلاث قد وردت في كتب الأقدمين ولا ما يميز بينها فيها . وحذا لو خصصت كلمة خناق وجمعه خناقات بالتهاب البلعوم

(١) كامل الصناعة الصفحة ٣١٢ من الجزء الأول وقد جاءت في جهة مواضع مصتلة به (أبورحما) وعرفت بأنها ورم يحدث من دم وريح وحدوده يكون من انخراق الشريان مفتوحاً لا يلتئم ولا ينبت عليه الدشبذ وعلامة هذا الورم أن يكون موضعه ينض واذ غمز عليه باليد ذهب أكثر الورم ويسمع له في بعض الأوقات الصرير ويكون لون الورم على مثال لون الباذنجان أو البنفسج .
(٢) وهما المذكور اسمها في الصفحة (٤٦٦)

العادي ، والخانوق بالتهاب البلعوم الدتريائي (Angine diphthérique) .
 وجمعه خوانيق (كذا وردت في كتب الطب القديمة ، وهي كلمة دارجة على
 السنة الناس أيضاً)^(١) ، وخناق الصدر على الألم الشديد البادي في
 مقدّم الصدر ، وأن تخصص الذبجة والذباج بالتهاب الحنجرة الدتريائي
 (Laryngite diphtérique ou croup) . أما ترجمة اللجئة لـ (Sténocardie)
 بانقباض القلب فلا أراه في موضعه لأن انقباض القلب ينبغي له أن يدل على
 (Systole cardiaque) كما جاء في ترجمة لفظة (Systole) في الرقم ١٣١٠٠
 والصحيح أن تترجم بضيق القلب وهو ما ينطبق على اشتقاق الكلمة ذاتها .

٧٣٤ خناق غشائي موم غممي - Angine pseudo - mem -
 - raneuse

والمشهور عنه خناق غشائي كاذب ، لأن وصفه بالوم قد ينعدي الكذب
 ويستعدي الوم والايهام (بينما الإصابة به سليمة في الغالب) وكثيراً ما استعمل
 العرب الكذب بالمعنى المجازي كقولهم الفجر الصادق والفجر الكاذب وفي
 الكتاب العزيز « وجاءوا على قميصه بدم كذب » (سورة يوسف) .

٧٣٥ خناق أحمر ، حمامي ، نزلي Angine rouge
 érythémateuse, catarrhale

لقد ضبطت صفة حمامي بالفنح والصواب بالضم حمامي وهو غلط مطبعي .

٧٣٩ مبحث الأوعية Angiologie, angéiologie

٧٤٠ ورم وعائي Angiome

أرجح أن يستعمل العرق مكان الوعاء لأنه أخص .

(١) لقد جاء ذكر سنة الخوانيق (ولولا أن عندي بقية من موسم سنة الخوانيق
 أترق بها وإلا كنت من الهالكين) في دعوة الأطباء لابن بطالان سنة ٤٥٥ هـ
 (الصفحة ١٥ من كتاب دعوة الأطباء على مذهب كلية ودمنة تخانيق الدكتور
 بشارة ززل وطبع المطبعة الحديوية بالاسكندرية سنة ١٩٠١)

- 754 Angoisse, anxiété ضيق ، مآل ، ضيق ٧٥٤
وكذلك القلق .
- 759 Anhidrose, anidrose صآد ، انحباس العرق ٧٥٩
والصحيح أن يقال احتباس العرق لأن مطاوع حبس احتبس لا انحبس .
- 769 Anhydride carbonique, gaz carbonique بلاماء الفحم ، غاز الفحم ٧٦٩
سبق أن رجحت كربون على الفحم في هذه الترجمة وأضرارها .
- 782 Anion شاربسية (آنيون) ٧٨٢
والأفضل أن يقال شاردة سلبية أو آنيون .
- 784 Ankylose, raideur articulaire مآسة ، يوسة المفصل ٧٨٤
وأقر بجمع اللغة القسّط وهي الكلمة الدارجة على السنة الأطباء ولا أرى حاجة الى تبديلها بأخرى قاموسية .
- 885 Ankylostome duodénal مملقوة عققية ٧٨٥
- 789 Ankylostomiase داء الملقوات ، فاقة الدم الممدنية الخ ٧٨٦
وأقر بجمع اللغة تعريب الكلمة بأنكيلوسنوما ولا أراها إلا أقل عجمة والطف من الملقوات .
- 819 Anox (b) émie, anoxyémie, anoxie عدم تأكسد الدم ٨١٩
والأفضل نقص أو كسيجين الدم ونقص الأوكسيجين ، فقد عرفت أنو كسيجيا^(١)
فقد الأوكسيجين من الدم بقصور التهوية الناجم عن الارتفاع الزائد ،
أو نقص الضغط في الأوكسيجين في التخدير أو في قصور القلب أو في الخنق ،

وعرفت الآنوكسيا بأنها فقد الأوكسجين وهي حالة لا يمكن للحياة أن تدوم معها ، أو قصور النسيج عن ضبط الأوكسجين أو استعمال ما يكفي منه .
ويقول صاحب المعجم المذكور أن الأفضل أن نحل الآن كلمة نقص الأوكسجين (Hypopoxie) محل (Anoxie) .

أقول : ولا صلة بين نقص الأوكسجين أو فقده ، بمحدث التأكد أو عدم حدوثه .

٨٣٢ نسيان ما بعد الحادث Antérograde 832

وهو النسيان اللاحق (انظر الرقم ٦٠٠) .

٨٣٣ خنث Antéversion 833

٨٣٤ خنث الرحم Antéversion de l'utérus 884

اللفظة الأولى تعني الميل أو الانثناء الى الأمام والثانية الانقلاب الأمامي تستعمل الأولى في بعض العلل العصبية التي تمتاز بانعطاف جذع البدن الى الأمام أثناء المشي أو الانتصاب ، والثانية انقلاب جدار الرحم وميله الى الأمام .
فالكلتان اذن ليستا مترادفتين ولا يصح أن يطلق عليهما اسم واحد وهو الخنث .
وفي لم أتوصل بمراجعة المعاجم التي بين يدي الى ما يشير فيها الى الميل والانقلاب .
فقد جاء في اللسان : الخنث الذي لا يخلص لذكر أو أنثى ، وخنث الرجل خنثاً فهو خنث وخنث وخنث ثلثي وتكسر وخنث الشيء فخنث ان عطفته فتعطف (ولعلّ اللجنة أخذت بهذا المعنى) والخنث من ذلك للينه وتكسره .
أقول ما أغنانا عن استعمال هذه الكلمة التي تفيد المعنى غير المطلوب من اللفظين الاتيين .

٨٣٥ ونيرة ، وتره (الأذن) Anthélix 835

عرفت اللفظة الفرنسية بأنه الجزء الخفي من عمود الأذن والكائن أمام

الكِفاف (Hélix) والذي يماثيه في معظم أجزائه . وجاء في المخصص الورثة
تُضَيَّر في أعلى الأذن بأخذ من أعلى الصماخ ، والصماخ هذا الخرق الذي يفضي
الى الرأس . كما أن الورثة والورثة الحاجز بين المخزنين (وهو المشهور المتعارف) .
أفضل أن تترجم الكلمة بصَحْن الأذن فقد جاء في المخصص هو جوف الأذن
الظاهر المتعمر فتبعد الالتباس بين الأذن وورثة الأنف .

٨٤٤ صادات عن الحياة ، مُرَدِّيات Antibiotiques 844
ومانعات التعايش (Symbiose) لأن تماسها لأحد الجراثيم يجعل هذا
يتوقف عن نشاطه الحيوي . ومُرَدِّيات تعني مهاككات الجرثوم أو الجراثيم ،
وأرجح تخصيص هذه اللفظة لمضادات العفونة .

٨٤٥ ذبل القطب الساي Anticathode 845
وأفضل أن تترجم اللفظة بنظير القطب الساي .
فقد عرفت بأنها الصفحة المعدنية أو المَدَف في مصباح كروكس (Crookes)
الشماعي ، ومقرها مقابل القطب الساي ، وتتلقى صدمة الأشعة السلبية مولدة
الأشعة السبئية .

٨٤٧ ضد التخثرات Anticoagulants 847
والأفضل مضادات التخثر ، لأن استعمالها الطبي إنما يكون لتخفيف وطأة
حدَث التخثر لا لكبح جماح مواد مخثرة غير طبيعية .

٨٥١ بادزهر ، ضد السم Antidote, contre - poison 851
وأقر بجمع اللفظة كلمة تَرْيَاق ولا شك أنها تفضل على بادزهر التي سبق
واستعملت في هذا المعنى ولا أرى داعياً الى بيشها .

٨٥٨ ضد الخمج Antiinfectieux 858
وأرجح ضد العفونة أو ضد الانثان^(١) .

(١) لقد تقدم رأي في الخمج (الصفحة ٩٥ من الجزء الأول من هذه المجلة) .

873	Antiputride	ضِدّ التَّدَاعِصِ	٨٧٣
وأرجح ضدّ التفسخ باعتبارها دارجة ومعروفة .			
875	Antisepsie	تَطْهِير	٨٧٥
876	Antiseptique	مُطَهِّر	٨٧٦
877	Antiseptiques désin- -fectants	مُضَادَاتُ الْفَسَادِ ، مُطَهِّرَات - مُطَهِّرَات	٨٧٧
وأقرّ مجمع اللغة لفظة مانع العفونة لـ (Antiseptique) ومطهر لـ (désinfectant) بينما أطلقت اللجنة على اللفظتين الانجليزيّتين كليهما مطهر . وعليه أرجح أن يقال للأولى منع الفساد وللثانية مانع العفونة أو الاتّان ومانعات العفونة أو الاتّان ومطهّرات تباعاً .			
882	Antitoxique	ضد السم	٨٨٢
وكذلك الترياق .			
883	Antitragus	مقابل الوتدة (الأذن)	٨٨٣
وهي الترجمة الحرفية للفظـة الفرنجية . ولعلها المحارة والصّدفة كما جاء في المخصص . فالوَتْدَة كما جاء في الأخير الناشئ في مقدمة الأذن مثل التّؤلول يلي العارض من اللحية ، والمحارة والصّدفة هي ماتحت الإطّار .			
888	Anurie	زُرَام	٨٨٨
وهو انقطاع البول . ففي اللسان وَزَرِمَ دَمْعُهُ وَبَوَلُهُ وَحَلِقَتْهُ وَكَلَامُهُ وَأَزْرَامٌ انقطع ، وكل ما انقطع فقد زَرِمَ . فالزرام اذن لبس خاصاً بانقطاع البول . ألا تفضل الكتّان البيّنّان على الكلمة الواحدة القاموسية والغامضة ؟			
910	Aphasie	حُبْسَة	٩١٠
وأقرّ مجمع اللغة هذه اللفظة ، ودرج كاتب هذه السطور على استعمال			

الخَرَس^(١) . فالخَرَس فقد النطق من جراء إصابة في مركز التكلم الكائن في الدماغ ، والمصاب بهذه العاهة العصبية لا يستطيع الإفصاح عما يجول في خاطره لفظاً ، ويشفى صاحب العلة اذا كان حدثاً ، وعلى ذلك يلزمه فقد النطق دون انقطاع . بينما الحُبْسَة بخلاف ذلك فقد جاء في اللسان : الحُبْسَة والاحتباس في الكلام التوقف وتَحْبُسُ في الكلام توقّف قال المبرد في باب عل اللسان الحُبْسَة تعذر الكلام عند ارادته . وعليه فان الحُبْسَة تنطبق على ما نسميه بالخَرَس الموقّت والعارض (Aphasie transitoire) وهو أن يتوقف المتكلم في أثناء الكلام مدة من الزمن ويستطيع الكلام بعد ذلك شأنه في السابق .

وكلمة الخَرَس سبق للمجوسي أن استعملها في كامل الصناعة^(٢) في عل اللسان .

916 Aphrodisiaques منتظمات 917

ولعلّ اللجنة استعملت هذه اللفظة قياساً . والمشهور عنها متعلّمة . ففي اللسان

- (١) الجزء الأول من علم الأمراض الباطنة طبع سنة ١٩٣٥
 (٢) الصفحة ٣٤٨ من الجزء الأول من كامل الصناعة الطبية . بقوله : وأما ما يعرض للمصّب الذي في اللسان من اللّهل فأنها ما يعرض للمصّب الذي يكون به حسّ المذاق وهي نقصان المذاق وعدمه وهذا يكون اذا لم يحس الانسان بشيء من الطعوم في فمه البتة . ومنها ما يعرض للمصّب الذي يكون به الكلام والحركة وهي ثقل اللسان وعدم الكلام الذي يقال له الخرس وهذه الأشياء تعرض : إمّا لسوء المزاج الغالب على المصّب ، وإمّا لسدة تعرض فيه إمّا من ورم ، وإمّا من ضعف ، وإمّا من خلط بلغمي غليظ ينصب الى الأعصاب ، وإمّا أن يكون من تفرق الاتصال يمرض للمصّب بمنزلة الهلك ، أو يكون ذلك من خلط حار ، أو من ضربة أو من صدمة تقع على الدماغ ؛ والعلامات الدالة على كل واحد من هذه الأسباب كالعلامات الدالة على علل الخواص التي ذكرنا قبل وقد يمرض ثقل اللسان وعدم الكلام لمة تكون في الجزء المقدم من الدماغ الذي ينبعث منه المصّب الذي يأتي اللسان وفي الدماغ نفسه هـ ١ .

الغُلَّة بالضم شهوة الصَّرَاب غَلِمَ الرجل وغيره بالكسر يَغْلِمُ غَلَمًا واغْتَلِمَ اغْتِلَامًا إذا هاج الى أن قال وقد أَغْلَمَهُ الشيء وقالوا أَغْلَمُ الألبان ابن الخِلْفَةِ يريدون أَغْلَمُ الألبان من شربه وقالوا شرب ابن الأبل مَغْلَمَةً أي انه تشدد عنه الغُلَّة .

٩١٩ حُكْلَةٌ Aphantongie 919

عرفت اللفظة الفرنجية بأنها ضرب من اضطراب النطق يتميز بتشنج العضلات المؤكدة باللفظ والمعضبة بمصب قبح اللسان كما أنه جاء في الترجمة الانكليزية للمعجم نفسه ما يفيد المعنى المذكور نفسه ؛ أما الحُكْلَةُ فقد جاء في اللسان : الحُكْلَةُ كالعُجْنة لا يبين صاحبها الكلام ، والحُكْلَةُ والحِكْلَةُ اللشَّعة . ابن الأعرابي في لسانه حُكْلَةُ أي عُجْنة لا يبين الكلام .

لذا أرجح في ترجمة هذه اللفظة كلمة العُقْلَةُ ففي اللسان واعتقل لسانه امْتَسَكَ ، مَرَضَ فاعتقل لسانه اذا لم يقدر على الكلام ، أقول : والاعتقال أكثر انطباقاً على التشنج في عضل اللسان من سواء .

٩٢٣ غشاء عضلي ، لُفَافَةٌ Aponévrose, fascia 923

وأقر بجمع اللفظة كلمة الصِّفاق وهي الدارجة على ألسنة الأطباء . بينما اللجنة خضت كلمة الصفاق بالغشاء المعروف بالبريطون ، وسأعود الى النظر في صحة هذه الكلمة عند الكلام على لفظة البريطون . وقد جاء في اللسان الصفاق جلدة رقيقة تحت الجلد الأعلى وفوق اللحم ، وهو ما ينطبق على معنى اللفظ الافرنجي تماماً .

٩٩٦ عمى البصيرة Apyroxie 997

وفي الأصل من المعجم (Apyrexie) ومعناها لا حُمى ، وهو لاشك غلط مطبعي في اللفظة الفرنجية وغلط ترجمة في اللفظ العربي ، إذ لا محل لعمى البصيرة هنا . ولم تنتبه اللجنة الى تصويب هذا الخطأ .

- ٩٩٧ ذوماء ، مائي Aquatique 997
واللفظة تفيد ما هو منسوب الى المستنقع . وتستعمل في الغالب للحيوان
أو النبات الذي يعيش في المذافع أو الجداول مما ينبغي أن تميز عن (Aqueux)
كأن يقال مستنقعي أو مناقعي .
- ١٠٣٠ لُفوة Aréole du mamelon 1030
والمشهور عنها السمدانة ، فقد جاء في المخصص : السمدانة ما اسود من الثدي
حول الحلمة ، وفي اللسان : والسمدانة الشندوة ، وهو ما استدار من السواد
حول الحلمة ، وقال بعضهم : سمدانة الثدي ما أطاف به كالفلكة . ولم أجد
الى مصدر لُفوة .
- ١٠٤٢ داء لاجيمين ب ، داء اللاجين Ariboflavinose 1042
الناجم عن نقص الريبوفلافين
وأدعوه عَوَز الريبوفلافين .
- ١٠٤٣ جنون حسابي Arithmomanie 1043
وأرجح وكَلَع العدّة ، لأن المصاب بهذا الخلل لا يفتأ بعد الأشياء ،
ويشتغل في الأرقام دوماً .
- ١٠٥٦ دار صناعة الأدوية Arsenal thérapeutique 1056
مصنع الأدوية
جاء في تعريف كلمة (Arsenal) مصنع الأسلحة ومدخرها ، على حين
أن المراد بـ (Arsenal thérapeutique) ليس مصنع الأدوية كما ذهب اليه
اللجنة ، ولو كان ذلك هو المقصود لجاء بالفرنسية (Usine) أو (Fabrique) .
والمراد هو جَعْبَة المداواة أو خزانتها^(١) . وعلى ذلك ترى الترجمة الانكليزية

(١) ككوك ليس في جملة أدويتنا أو مداواتنا أو خزانتها أفضل من السقار الفلاني

في معالجة الداء الذي نحن بمصدده (Il est le meilleur médicament dans)

(notre arsenal thérapeutique) .

لهذا المصطلح في المعجم الأصلي هي (Thérapeutique Armement) ومعناه السلاح الدوائي ، والترجمة الألمانية (Heilschatz) ومعناها خزانة الشفاء .

١١٢٤ عَصَابُ الْمَفْصِلِ ، مُظْلَاع Arthralgie, arthydie 1124

وبعنى باللفظة الفرنسية ألم المَفْصِلِ ووجعه . وأفر جمع اللفظة البدل (ألم المفاصل) فقد جاء في اللسان : والبَدَل وجع في اليدين والرجلين ، بَدِل بالكسر يَبْدُل بَدَلًا فهو بَدِل إذا وَجَع يديه ورجليه .

أما استعمال اللجنة كلمة عَصَاب فقد ذكرت اللجنة في الأسلوب الذي اتبعته في وضع المصطلحات^(١) وزن فُعال للداء في حشَى أو عضو لكبد وعَصَاب وفَلَاب ، مما ينبني معه تخصيص عَصَاب بالألم العصبي (Névrálgie) وألم المَفْصِل لا صلة له بإبلام العصب ، وأما مُظْلَاع فقد جاء في اللسان : الظَّلْعُ كَالْعَمَزِ ، ظَلَعَ الرجل والدابة في مشيه يَظْلَعُ ظَلْعًا عَرَجَ وعجز في مشيه ثم قال : والظَّلَاع داء يأخذ في قوائم الدواب والأهبل من غير سير ولا تعب فتَظْلَعُ منه ، وطبيعي أن ألم المَفْصِل أو المفاصل لا يشترط فيه أن يكون في الرجلين فكثيراً ما يبدو في اليدين .

١١٢٥ التهاب المَفْصِل Arthrite 1125

أقر المجمع الرئية لهذا المصطلح ، والأفضل تخصيص الرئية للروماتيزما ، شأن ما فعلته اللجنة .

١١٢٧ حَرَضٌ ، نَاهِبٌ حَرَضِي Arthritisme, diathèse 1127

اغْتِذَائِي أو حَتَلِي arthritique, bradytro-

-phique ou dystrophique

ويقصد من المصطلح الفرنسي (Arthritisme) التآهب المرضي الناجم عن الإبطاء في التطور الاغذائي والبادي سريريًا بجملة حالات مرضية كالبدانة

(١) الصفحة ٩٣ من الجزء الأول من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة أنها تستعمل .

والداء السكري والرمال البولية والقرس وغيره ، فهو إذن تأهب للإصابة ببعض الملل لا علة معينة وخيمة . أما الحرَض فقد جاء في اللسان أحرَضَه الحرَض فهو حرَض وحرَض إذا فسد بدنه وأشرف على الهلاك وحرَض يحرَض ويحرَض حرَضاً وحرُوضاً هلك . ويقال كَذَبَ كَذِبَةً فَأَحْرَضَ نفسه أي أهلكها وجاء يقول حرَض هالك الى أن قال : وقال الفراء في قوله تعالى : « حتى تكون حرَضاً أو تكون من الهالكين » . أقول بما يدل على أن الحرَض هي حالة الهلاك أو الاشراف عليها ، وليس الأمر كذلك في اللفظة الافرنجية .

لذا أرجح في ترجمة هذا المصطلح : تأهب مفصلي (لأن الآراء الحديثة تكاد تهمس التأهب في الإصابة المفصلية دون سواها وهكذا استبعد الداء السكري منه) إبطاء التغذية (bradytrophie) أو فساد التغذية (dystrophie) . وبعد كتابة ما تقدم اطاعت على تصحيح ورد لهذه اللفظة لم أنبه اليه ، وهو تصحيح اللجنة لحرَض واستبدلها بـ قفاص الذي لا يفيد المعنى المطلوب فقد جاء في اللسان والقفاص داء يصبب الدواب فتببس قوائمها .

١١٣١ حرَض مفصلي Arthropathie 1131

و درج كاتب هذه السطور على ترجمة اللاحقة (pathie) باعتلال تمييزاً لها عن العلة (Affection) ، والمرض أو الداء (Maladie) فأقول إعتلال المفصل أو الاعتلال المفصلي ، ومن المعلوم أن العلة إحدى ظاهرات المرض .

الدكتور حسني سبع

(للبحث صلة)

مختارات مما لم يُنشر من شعر البحتري

- ٤ -

قال البحتري^(١) يمدح الفتح بن خافان^(٢) ، واقترح عليه هذا الوزن لأنه قيل له
إنه ينتحل أشعار العرب :

أُصْدُوهُ غَلا بِهَا أَم دَلالُ يَوْمَ زُمْتُ^(٣) بِرَامةَ^(٤) الأَنجالُ

- (١) القصيدة من الخفيف ، عدد أبياتها ٣٧ ، نقلناها من مخطوطة ديوان البحتري بالمكتبة الوطنية بباريس (رقم ٣٠٦٨ من القسم العربي) الورقة : ٣٣٤ ظ - ٣٣٥ ظ ؛ وما يؤكد صحة نسبتها إلى البحتري أن عبد القاهر الجرجاني أثبت أحد أبياتها - البيت ١٩ - فيما اختاره من ديوان البحتري (المختار من دواوين المتنبي والبحتري وأبي تمام بتحقيق السيد عبد العزيز الميني : الطرائف الأدبية مصر ١٩٣٧ : ص ٢٧٠) .
- (٢) الفتح بن خافان صاحب المتوكل وأمين سره وقد قتل معه عام ٢٤٧ هـ ، وهو أديب شاعر من كبار مثقفي القرن الثالث ؛ كان يملك خزانة كتب حافلة ، وله ألف البحتري (كتاب الحماسة) على نهج حماسة أبي تمام ، ومدحه بما يقرب من ثلاثين قصيدة (راجع ترجمته في الفهرست ، مصر ١٣٤٨ هـ ص ١٦٩ - ١٧٠ ؛ ومجمع الأدباء لياقوت ، المأمون ١٩٣٦ م ج ١٦/١٧٤ - ١٨٦ ؛ وفوات الوفيات ، مصر ١٩٥١ ج ٢/٢٤٦ - ٢٤٧ ؛ وانظر الفصل الرابع من كتاب أخبار البحتري : ٨٣ - ٩٩) .
- (٣) زَمَّ البعير : خَطَّمَه بالزمام .

- (٤) موضع بالبادية ، قيل بالعقيق ، وقيل وراء القريتين في طريق البصرة إلى مكة ، وقيل إنه من ديار بني عامر . (راجع المحيط وما على الهامش من تعليقات) .

أَعْرَضَتْ عَطْفَةَ الْقَضِيبِ وَحَادَتْ^(١) من قريب كما يجيدُ الغزالُ
عَهْدَتْنِي وَلِلشَّبِيبَةِ سِرْبًا لَ جَدِيدٌ فَأَنْهَجَ^(٢) السَّرْبَالُ
وَرَأْتَنِي تَدَارِكُ الْحِلْمُ مِنِّي وَتَنَاهَى عَنِ عَذْلِي الْعُدَالُ
إِنْ يَبْذُ هَجْرُهَا جَدِيدًا فَقَدْ كَا نَ جَدِيدًا مِنْهَا وَمِنَّا الْوِصَالُ
إِذَا حَوَانِي الزَّمَانِ خُضِرَ رِقَاقُ^(٣) وَقَنَاءُ الْأَيَّامِ فِيهَا اعْتِدَالُ
وَأَكْمَا بِالْكَتِيبِ مِنْ جَنْبِ حُزْوَى^(٤) أَنَسُ^(٥) قَاطِنٌ وَحَيٌّ حِلَالُ
ذَكَرْتَنِي الرُّسُومُ وَالْأَطْلَالُ صَبَوَاتِ ذِكْرِي لَهْنٌ ضِلَالُ
تَلَفْتُ الْحِلْمَ أَنْ يُطَاعَ التَّصَايِي وَرَدَى اللَّهُ أَنْ يَشِيبَ الْقَذَالُ^(٥)
أَبْرَحَ^(٦) الْعَيْشُ فَالْمَشِيبُ قَذَى فِي أَعْيُنِ الْبَيْضِ^(٧) وَالشَّبَابُ جَمَالُ
تَوَلَّيْنَا وَأَيْنَ مِنْكَ النَّوَالُ وَعِدِينَا وَوَعْدُكَ مِنْكَ آلُ^(٨)

(١) حاد عن الشيء يجيد : صدته عنه وعدل .

(٢) أنهج الثوب : إذا أخذ في البلى ولم ينشقق .

(٣) 'حزوى' : موضع بنجد في ديار تميم ، وقيل هو جبل من جبال الدهناء (معجم البلدان ، بيروت : ٢ / ٢٥٥) .

(٤) 'الأنس' : الناس ، والحي المقيمون ، والأنس ضد الوحشة .

(٥) القذال : ما بين الأذنين من مؤخر الرأس .

(٦) 'أبرح' : آذى ، وآلم وعذب .

(٧) كناية عن النساء .

(٨) 'سراب' خادع .

أنا واضٍ بأن تجودي بقولٍ كاذبٍ أو يُطيفُ منك خيالُ
 أيها المبتغي مُساجلةَ الفتحِ لحاولتَ نيلَ ما لا يُنالُ
 أين تلك الأخلاقُ منك إذا رُمَتْ مداها وأين تلك الحلالُ
 لن تُجاري البحارَ حينَ يَجيشُ السَّمدُ فيها ولن تُوازي الجبالُ
 يَبْغِدُ البائنُ ^(١) المُبرِّزُ قوتًا وتَداني ^(٢) الضُّرْبُ والأشكالُ
 لم تُسَلِّمْ لهُ المقادةَ حتى عرفتَ فضلَهُ عليها الرجالُ
 رفعتَ مجدها ^(٣) عليه تَنوُّخٌ فله فوقَ غيرِهِ إِطْلالُ
 قائلُ فاعِلٌ وليس يكونَ القولُ مجداً حتى يكونَ الفَعَالُ ^(٤)
 وصحيحُ السَّماحِ بينَ أناسٍ في سَجَاياهم علينا اعتلالُ
 ثابتٌ في المَكْرُ إن زاح ^(٥) للامرِ سانٍ من جانب الصريعِ مجالُ
 ملكٌ يستَقِلُّ في رأيه المُلْكُ ويَحْيَا في فضله الإِفْضالُ
 وإذا ما حَلَّتْ رُبْعَ أي الفضلِ فَنَمَّ السَّماحُ والإِبلالُ
 مَتَمَّلِ على الخطوبِ إذ ^(٦) العا ثُرُ كابٍ في صرفها ما يُقالُ

(١) الغالب في الفضل والمزبة .

(٢) يَحْذِفُ التَّاء : تَدَانِي = تَتَقَارَبُ .

(٣) في الأَصْل : مَجْدُهُ .

(٤) اخْتَارَ الْجُرْجَانِي هَذَا الْبَيْتَ فِي مَخْتَارِهِ .

(٥) تَبَاعَدَ ، وَفِي الْأَصْلِ : رَاحَ لِلْفَرَسَانِ عَنْ جَانِبِ الصَّرِيعِ مَحَالٌ .

(٦) فِي الْأَصْلِ : إِذَا .

ومقيمٌ صَنًا ^(١) الأمور وفيها حَيْدٌ ^(٢) عن جهاتها وانقتالٌ
مُتَحَرِّ ^(٣) عَلَى الخِلافة ما يَنْقُصُ في حظها ولا يَنْتَالُ
شَاهِرٌ دُونَ حَقِّهَا عَزَمَاتٌ تَحَامِيْ مَكْرُوْهَا الْأَبْطَالُ
وسيفاً إِيْمَاضُهَا أَوْجَالٌ لِلْأَعَادِي وَوَقْعُهَا آجَالُ
مرهفات لها ، إِذَا أَظْلَمَ النَّقْمُ عَلَيْهَا ، تَوَقَّدُ وَاشْتَمَالُ
أَبْدَأَ يَسْتَجِدُّ مِنْهَا حَدِيثًا نِ : دَمٌ مِنْ عَدُوِّهِ وَصِتَالُ
كَلِمًا جَنَّتْهُ تَعَرَّفَتْ مَجْدًا مُسْتَفَادًا لِلطَّرَفِ فِيهِ مُخَالُ ^(٤)
حَيْثُ لَا تَدْفَعُ الْحَقُوقَ الْمَعَاذِيْرُ وَلَا يَسْبِقُ الْعَطَاءُ السُّؤَالُ
أَعُوْزْتُ مِنْ سِوَاكَ عَارِفَةُ الْجِوَادِ وَخَابَتْ فِي غَيْرِكَ الْأَمَالُ
أَنَا مِنْ بَلَّةٍ نَدَاكَ وَأَعْلَتْ مِنْهُ آلَاؤُكَ الْعِرَاضُ الطَّوَالُ
وَتَوَلَّيْتُ أَنْعَمُ مِنْكَ يُجَمِّلُنَ خِفَافًا وَهْنٌ وَقَرُّ ^(٥) يُقَالُ
مَالِثٌ بِذِكْرِكَ الْأَرْضَ شُكْرًا وَثَنًا وَسِيرُهَا أَرْسَالُ ^(٦)
طَالَعَاتُ تِلْكَ النِّجَادَ فَعِي كُلُّ مَقَامٍ لَهَا فِيكَ مَقَالُ

* * *

(١) الصَّنَا : الميل .

(٢) جمع حَيْدٍ : اعوجاج والثواء .

(٣) تَحَرَّى الْأَمْرَ : قصده وتوخاه واجتهد في طلبه وفي الْأَصْلِ : منحن .

(٤) فِي الْأَصْلِ : محال ، ومخال من أخال فيه : تفرس وتوسم .

(٥) الْوَقَرُ : الحبل الثقيل .

(٦) أفواج بعد أفواج .

ملاحظات ونظرات

١ - للبحثري في الفتح بن خافان شعر كثير ، أكثره في ديوانه المطبوع ، والذي لا يزال مخطوطاً منه قليل لا يزيد على ثلاث قصائد ، منها هذه القصيدة التي تنشر لأول مرة .

٢ - أول اتصال للبحثري بالفتح كان في سنة ٢٣٣ هـ - كما يذكر الصولي في أخبار البحثري ص ٨٣ - وقد لقي الشاعر من مدوحه تشجيعاً أثار عليه نقمة حسّاده الكثيرين ، فراحوا بكيدون له عنده ، وبتهمونه بانتحال أشعار العرب ، وقد كانت هذه القصيدة امتحاناً لشاعرية البحثري ، ذلك أن الفتح اقترح عليه وزنها ، وقد دأب الشاعر بنجاحه فيها على أصالة موهبته وامتلاكه لخاصية فنه ، وحق له أن يقول في قصيدة أخرى يمدح بها الفتح ، ولا تزال مخطوطة أيضاً :

إذا كسافي الفتح أنواب الفنى فكسوفى إياه مدحٌ منتخبٌ
قصائد تطرب من تهدي له ولذة النفس من العيش الطرب
لم أستمعُ حلينها يوماً ولا أغرتُ حين قلنُها على الكتب

(مخطوطة باريس : الورقة ٣٩ و - ظ) .

٣ - ولهذا نرجح أن يكون تاريخ نظم القصيدة في الفترة الأولى من اتصال البحثري بالفتح ، عام ٢٣٣ هـ ، وقبل أن يتيقن الفتح من أصالة موهبة البحثري وغنى طاقته الشعرية .

٤ - تقع القصيدة في قسمين متميزين : نسب ومدح .

أما النسب فيشغل الأبيات (١ - ١٢) وهو غزل تقليدي يتحدث في رشاقة وبراعة عن صد المحبوبة ودلالها وهجرها وإعراضها عن الشاعر منذ ولّى شبابه ، وأصبحت الصبوات من بعد ذلك ذكريات حلوة تهيجها الأطلال والرسوم ، وأمسى الشاعر يقنع بالوعد الكاذب والخيال الزائر .

وأما المدح فيشغل بقية الأبيات (١٣ - ٣٧) وقد أغناه البحثري بكثرة الصور

وتنوعها ، وفيها يجتد أخلاق الفتح وسجاياه ، فهو فرد لا نظير له ، عرف الجميع فضله فأسلوا له المقادة ، وهو قوتال فعال ، سمح شجاع صائب الرأي ، كريم مضياف ، لا تنال منه الخطوب ، مصلح يقوم اعوجاج الأمور ، ويحمي أجداد الخلافة بعزماته وجهاده وحروبه ، وهو سخي يسبق عطاؤه سؤاله ، والشاعر غارق في فيض من آلائه وعطاياه ، شاكر حامد ، لا يفتر عن الحمد والثناء .

٥ - الانتقال من النسب إلى المديح انتقال مفاجئ ، وذلك عادة من البحرى ألفناها منه ، وقد أهمل في المديح تمجيد شرف نسب ممدوحه ، ووثقى المنصرين الآخرين (الكرم والشجاعة) تصويراً وتلويناً ، وأبرز دور الفتح في دعم الخلافة وإسهامه في تدبير أمورها ، ولم يكن الشاعر في كل ذلك مغالياً ، فالفتح بن خاقان كان دون ريب من أخطر شخصيات عهد التوكل وأشدّها وعياً وأحكمها سياسة وتديباً .

٦ - تمتاز القصيدة بالصنعة الكثيرة المتأنقة ، ففيها فيض من التشابه والاستعارات والمحسنات البدعية ، وذلك تأثير أبي تمام في تليذه البحرى لا يزال غصاً شديداً الوضوح ، ولما تمض على وفاة (الأستاذ) - كما كان البحرى يسمي أبا تمام - سنة وبعض السنة ، وسيتجمل الشاعر كلما امتد به العمر من طوابع مدرسة أبي تمام ومياسمها حتى يصبح الطبع غلاباً على الصنعة في فنه .

٧ - نظرنّا القصيدة على مقدار الجهد الفني الذي بذله البحرى في نظمها ، ففي النسب وحده ثلاثة أبيات مصرّعة (الأول والثامن والحادي عشر) وأكثر القوافي فيه مرشحة ، والصور تزدهم في القصيدة كلها في إحكام متين ، وإيجازٍ خاطف ، وعرضٍ حيٍّ مشير ، وليس هذا عجيباً فهذه القصيدة التي يختبر بها الفتح شاعرية مداحه هي أجود ما نستطيع عبقرية البحرى أن نتخّض عنه آنذاك ، وما كان للشاعر إلا أن يفجر كل طاقته وإمكاناته التي يمتلكها إلى ذلك اليوم ، وهو يثبت للتحدي ، ويخوض معركة الحاسمة مع حساده ، مناضلاً في سبيل مستقبله ومجده الأدبي في بغداد .

٨ - القصيدة إذاً من جيد شعر البحرى ومختاره ، وكفى البحرى فخراً أن يقول مثل هذا الشعر وهو شاب لما يبلغ الثلاثين !

- ٥ -

قال البحرى ^(١) يرثي أم المتوكل ^(٢) :

غروب ^(٣) دمع من الأجفان تنهيل
وحرقة بلبيل الحزن تشتعل
وليس يطفئ نار الحزن إذ وقدت
على الجوانح إلا الواكف ^(٤) الخضل ^(٥)
إن ليج حزن فلا بدع ولا عجب
وقل صبر فلا لوم ولا عدل

(١) القصيدة من البسيط ، عدد أبياتها عشرون ، نقلناها من مخطوطة ديوان البحرى
بالمكتبة الوطنية بباريس ، الورقة : ٣٤٩ ظ — ٣٥٠ و ؛ وما يؤكد صحة نسبتها
إلى البحرى أن المعري يذكر الشطر الأول من المطلع والبيت ١٦ منها في عبث الوليد
(مطبعة الترقى بدمشق ١٩٣٦ : ص ١٦٩ — ١٧٠) .

(٢) أم المتوكل خوارزمية اسمها شجاع ، كانت أم ولد ، وكانت تدعى السيدة ، وبذكر
ابن تغري بردي أنها « كانت صالحة كثيرة الصدقات والمعروف » وقد حزن المتوكل
لوفاتها حزناً شديداً ، وكانت وفاتها لست خلون من ربيع الآخر سنة ٢٤٧ هـ ،
وقتل المتوكل بعد وفاتها بستة أشهر (راجع النجوم الزاهرة : مصر ج ٢ / ٣٢٣
ومروج الذهب للمعتمدى مصر الهبة ١٣٤٦ هـ ج ٢ / ٣٦٨ ، ٣٩١ وتاريخ الطبرى
في حوادث سنة ٢٤٧ هـ) .

(٣) جمع غروب : الدلو العظيمة ، والدمع ومسيله أو انهلاله من العين أو الفيضة منه .

(٤) الدمع السائل .

(٥) الندى المبتل .

عَورِي لَقَدْ نَدَحَ الحُطْبُ الَّذِي طَرَقَتْ بِهِ الْإِيَالِي وَجَلَّ الحَادِثُ الْجَلَلُ
 لِلَّهِ أَيُّ يَدٍ بَانَ الحِمَامُ بِهَا مِنَّا وَأَيُّ نَفْسٍ غَالَهَا الْأَجَلُ
 سَيِّدَةُ النَّاسِ ^(١) حَقًّا بَعْدَ سَيِّدِهِمْ وَمِنْ لَهَا المَأْثُرَاتُ السُّبْقُ الْأَوَّلُ
 جَرَى لَهَا قَدَرٌ حَتَمَ فَعْلًا بِهَا مَكْرُوهُهُ وَقَضَاءُ مُوشِكٍ عَجِلُ
 فَكُلُّ مَنِ لَهَا مِنْ عَنَبَةٍ دَرَرُ ^(٢) وَكُلُّ قَلْبٍ لَهُ مِنْ حَسْرَةٍ شُغِلُ
 عَمَّ البَكَاءُ لَهَا مِنْ ^(٣) المَصَابِ بِهَا كَمَا يَغُمُّ سَحَابُ الدِّيمَةِ التَّهْطِلُ
 فَالشَّرْقُ وَالْغَرْبُ مَغْمُورَانِ مِنْ أَسْفٍ بَاقٍ لِقَدَانِهَا وَالسَّهْلُ وَالْجَبَلُ
 مَثُوبَةٌ لِلَّهِ يَمَّا فَارَقَتْ عَوْضَ وَجَنَّةِ الخُلْدِ مِمَّا خَلَقَتْ بَدَلُ
 قُلُوبٍ لِلْإِمَامِ الَّذِي آلَاؤُهُ جَمَلُ وَبِشْرُهُ أَمَلُ وَسُخْطُهُ وَجَلُ
 لَكَ البَقَاءُ عَلَى الْآيَامِ يُفْتَبَلُ ^(٤) وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ فِي كُلِّ حَادِثَةٍ
 إِذَا بَقِيَتْ لِدِينِ اللَّهِ تَكَلُّوهُ وَالعَمْرُ يَمْتَدُّ بِالنَّعْمَى وَيَتَصِلُ
 فِدَاءُ نَعْيَاكَ أَنْ يَفْتَالَكَ الرَّوْلُ فَكُلُّ رُزْءٍ صَغِيرٍ الْقَدَرِ مُحْتَمَلُ

(١) فِي النِّجْمِ الزَّاهِرَةِ أَنَّ أُمَّ التَّوَكُّلِ كَانَتْ تُدْعَى السَّيِّدَةِ ، كَمَا قَدَّمْنَا ، وَإِلَى هَذَا

يُشِيرُ الْجَعْرِيُّ هُنَا .

(٢) فِي أُسَاسِ الْبَلَاغَةِ : سَحَابَةٌ مِدْرَارٌ وَلَهَا دِرَّةٌ وَدِرَرَةٌ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : وَالْمَصَابِ ، وَلَا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْوِزْنُ .

(٤) يُسْتَأْنَفُ ، اقْتَبَلَ الْبَقَاءَ : اسْتَأْنَفَهُ .

لَتَن دُرُزْتُ التي ما مثلم امرأة^(١) لقد أتيته الذي لم يُؤته^(٢) رَجُلُ
صبراً ومعرفةً بالله صادقةً والصبر أجملُ ثوبٍ حين يُبتذلُ^(٣)
عَزَيْتَ نَفْسَكَ^(٤) عنها بالنبي وما في الحُلْدِ بعد النبي المصطفى أَمَلُ
وكيف نرجو خلوداً لم يُخصَّ به من قبلنا أنبياءُ الله والرُّسُلُ
عَمَرَكَ اللهُ في النِّعَماءِ مُبْتَهِجاً بها وأعطاك منها فوق ما تَسَلُ

* * *

(١) كذا في المخطوطة الباريسية ، وفي عبث الوليد (سرة) وتعليق المعري بقول فيه : (قد جمع أبو عبادة في قوله «سرة» بين شبتين ، تخفيف المحزة التي في قولك «سرة» ، وحذف المحزة الأولى التي هي همزة الوصل ، وهذا جائز على قلته ، ومنه قول بعض اللصوص : ولستُ أرى سراً تطول حياته فتبني له الأيامُ خلاً ولا عمّاً) ومنه أيضاً قول دعبل الخزاعي معاصر البحرى وصديقه :

فاحفظ عشرينك الأذنين إن لهم حقاً بفرق بين الزوج والمرء
(الكامل للمبرد ، طبعة المبارك وشاكر ١٣٥٥ هـ : ج ١ / ٣٥٤) .

(٢) في الأصل : بأنه ، وأثبتنا ما جاء في عبث الوليد ، وقد علّق الماري على قول البحرى (أثبت) بمعنى (أثبت) فهي كلمة لم تستعمل لذلك ، وخيرٌ للبحري أن يقول (فقد حُيت) .

(٣) ابتذل الثوب : لبسه .

(٤) يشير البحرى هنا إلى قول المتوكل عند وفاة أمه ، فقد ذكروا أنه قال في موتها بيتاً من الشعر ، وهو :

تذكّرتُ لما فرّق الدهرُ بيننا فعزّبتُ نفسي بالنبي محمد

وقد أجاز له بعض من حضر فقال :

فقلت لها إن المنايا سبيلنا فن لم يمت في يومه مات في غدٍ

(انظر النجوم الزاهرة : ٢ / ٣٢٣) .

ملاحظات ونظرات

١ - لم يرد لأُم المتوكل في شعر البحتري ذكرٌ في غير هذه المراثية التي بكأها بها في حياة ولدها ، فأدّى بذلك واجب الشاعر الرسمي للخليفة ، وإن لم يكن للحدث الحزن صلة بقلبه ووجدانه ، على أن أم المتوكل كانت - فيما يحكيه المؤرخون عنها - سيدةً جليلةً صالحةً ، تبسط يدها في الإحسان إلى الفقراء من مالها ، وكانت أحزان المتوكل لوفاتها عميقةً ، أنطقته بالشعر الحزين بكاءً عليها ، ولهذا كان المأمول من شاعر الخليفة أن يُعَمِّق إحساسه بآلام سيّده وأن يمثّلها وأن يجد السبيل إلى قولٍ مغموس بدم القلب ، لولا أن البحتري من طبيعة نفسية مرحة ، تنفر من الكآبة ، وتستعصي على المشاركة الوجدانية الصادقة في مآمي الآخرين .

٢ - تاريخ نظم القصيدة سهل التحديد ، فقد توفيت أم المتوكل سنة ٢٤٧ هـ ، ولحق المتوكل بها بعد ستة أشهر من وفاتها ، وفي خلال هذه الفترة دون ربّ نظم البحتري هذه المراثية .

٣ - إذا استثنينا من مرثي البحتري قصيدتين هما رائيته في المتوكل وميمته في أبناء حميد الطوسي (الدبوان : الجواب : ٢٨/١ ، ٥٥/٢) لم نجد للبحتري إبداعاً في الرثاء ، ذلك أن الشاعر كان يبكي في هاتين المراثيتين نفسه وبنّاد أفول مجده بمصرع المتوكل والقادة الطائيين من آل حميد ، فجاء رثاؤه هنا صادق اللوعة ، بغيبض وفاء ويتدفق إخلاصاً وجدةً وأصاله ؛ أما مرثيته الأخرى فهي قصائد يابسة لا تخرج على النهج التقليدي للمراثية ، والبحتري يستهملها غالباً بتعظيم الرزء ، وذم الدهر الخوان ، والتوجع من صروفه قبل أن يصل إلى الفقيد فيعدد مناقبه ويصور الفراغ الكبير الذي خلفه بوفاته ويصف الحزن الطاغى لفقده ، ثم ينتقل بعد ذلك إلى أهل الفقيد فيعزيهم ويمدحهم ، وبذلك يصبح الرثاء جسراً إلى المديح ، ويخلص الشاعر من كآبة جو الموت ، باحثاً بعينه النهمتين أبدأً إلى المال عن ممدوح جديد سخي . من أهل الراحل ، يحل محله ، ويميزي الحمد بالثنى الرقيق .

٤ - ورناء البحري لأن المتوكل يجمع هذه الخطوط العامة التقليدية ، ذلك أننا نلاحظ في القصيدة الأقسام الثلاثة التالية :

أ - تصوير الحزن وتعظيم المصاب : ويشغل الأبيات (١ - ٤) فالدمع مكوب ، والحزن مشتعل الحرق ، والصبر مفول عند هذا الحادث الجلل .

ب - تمجيد الفقيده : ويشغل الأبيات (٥ - ١١) فقد كانت ذات بد كريمة ونفس طيبة ، وكانت سيدة الناس بما أثرها ، فأرداها الموت ، فبكمتها العيون والقلوب ، وعم الحزن الناس في الشرق والغرب ، والسهل والجبل ، ودعوا أن يثيبها الله الجنة .

ج - تمزية الخليفة ومدحه : ويشغل الأبيات الباقية (١٢ - ٢٠) والبحري يصف هنا آلاء الخليفة وبشره وهيبته ، ويدعو له بطول العمر ، ذلك أن بقاءه بقاءً للدين ، وكل خطب حين بعده ، والمتوكل قد أوتي الصبر والايمان فعزى نفسه عن أمه بالنبي ، وكيف يرجو لها خلوداً لم ينله قبلها الأنبياء ! ويسأل الشاعر الله أخيراً أن يمد في حياة الخليفة ويزيده نعمة وبهجة ، وأن يعطيه فوق ما يسأل .

٥ - في القسمين الأول والثاني وصف للحزن بلهجة تقريرية جافة ومبالغات يأنسة تجعل الحداد شاملاً للشرق والغرب ، والسهل والجبل ! ولم يوفق البحري إلى أن يخفي بهذا الطلاء فقر انفعاله وقصور عاطفته ونفور وجدانه من الانفاس في الجوا الحزين القاتم الذي يرسم خطوطه ؛ أما القسم الأخير فيكاد يكون مديحاً خالصاً للخليفة ، مقطوع الصلة بالإطار الأسود الذي تقدمه ، ذلك أننا نرى الشاعر فيه وقد برقت أساريره ، فذكر البشر والنعما والبهجة ، وكأنه نسي ما كان يسكبه من (غروب الدمع) وما كان يشعله من (غليل الحزن) .

٦ - هذه القصيدة لا تقع دون الحسن من شعر البحري وإن لم تلحق بالجيد المختار منه ، ولو لم تكن مرثية ، والرناء الحق نبعة نفور من أعماق القلب ، لنجت من أكثر المساوي التي أشرنا إليها .

كتاب النفس

لابن باجة الأندلسي

- ٧ -

الفصل السادس

القول في الشم

والشم هو إدراك معنى المشحوم كما قلناه قبل ، وهو مرتب في الأنف . وقد يجب أن نسلك ذلك السنن فنفحص عن القابل الأول للمشحوم ما هو ؟ فبذلك تبين لنا ما هو الشم بالذات ، وما هو له بالعرض ، كما تبين ذلك في البصر . فإن اللون هو المرئي ، والقابل الأول هو البسيط . ويشبه أن تكون الحواس الثلاثة الباقية جنساً آخر من الوجود ، كما تبين ذلك ، وإن هذه الحاسة ^(١) أشد ضرورة في سلامة المغتذي من الأولين . وبحق ^(٢) كان ذلك ، لأنها أحوال من أحوال الممتزج . فإن اللون والقرع يوجيان تغير الممتزج ، لما بوجدان ^(٣) للممتزج لا بالعرض < و > لا بالذات . وإن اللون لا يتبع المزاج كما تبين ذلك في مواضع آخر . وقد غلط ذلك الإسكندر الأفروديسي ^(٤) .

(١) المخطوطة : الحواس .

(٢) المخطوطة : بحر .

(٣) المخطوطة : كما يوجد .

(٤) ترجمة ابو عثمان الدهشقي ، نسخة جيدة لهذا الكتاب موجودة بمخزاة اسكوريال ،

ميدرد ، رقم ٧٩٤ (راجع : Casiri : Bibliotheca Arabic-Hispana

17 a - 69 , Foll . I . p . 242 , Escorialensis , vol . I .) . ولقد جهدت لحصول نسخته

الشمسية ولكنهم رفضوا الطاب وقالوا إن الأب ممرّاتاً يريد أن ينشر هذا الكتاب

بتحقيقه . ولكن ابن باجة يشير هنا الى تصنيفه المسمى « بمقالة الاسكندر في

اللون وأي شيء هو على رأي أرسطو » ، وكان في محتويات نسخة برلين

المفقودة الآن : Ahlwardt : Die Handschriften... , vol IV . No . 5060

والمشحوم الاوثل هو الرائحة . فلنقل ما الرائحة . فأما أن كل ذي رائحة فهو يمزج فكذلك تبين عند تصفح الأجسام . فالامتزاج ^(١) يتقدم الرائحة في الجسم بالطبع . فأما أنه ، مع أنه مقدم بالطبع ، ذاتياً فبين أيضاً عند تصفح الرائحة وتولدها ، كما عرض ذلك في (ورقة ١٥٨ ب) الألوان ، فإن التصفح إنما وقع لبعضها ووقع اليقين في الكل . والآخر في أمثال هذه ، على ما يقوله أبو نصر ، إنما يصير يقينية في زمان وهي مباينة للأزمان في الكثرة والقلّة ، فإننا نشاهد في الصيف في بعض البلاد تراباً ليس له رائحة فإذا حدث عليه قطر المطر حدثت له الرائحة عند ملافاة المطر له ، ولا سيما متى كثث المطر من سحاب قريب فانه عند ذلك يكون حاراً وربما كان ثلجاً .

وكذلك أيضاً يتقدم بالطبع وجود الطعم في ذي الرائحة الرائحة فتكاد الرائحة أن تكون هي طمأ ، ولذلك تعرف طعوم أشياء كثيرة من روائحها . وأكثر الحيوان غير الناطق إنما يستعمل هذه الحاسة في معاشه ^(٢) كما يوجد ذلك في النسر وفي الكلاب وفي الدواب . فإن الخيل تنصرف عن أغذيتها إذا اقتربت بها ^(٣) رائحة غير رائحتها الطبيعية . ولذلك كانت هذه الحاسة في غير الإنسان قوبة وكانت في الإنسان ضعيفة ^(٤) لأن الحيوان إليها أحوج . ومن شأن هذه في كثير من الحيوان أن لا يحس ^(٥) حتى يستنشق ^(٦) وهو

(١) هذا الرأي أيده ابن رشد كما يظهر من تلخيص كتاب النفس ، الامواني ،

ص ٣٩ ، حيدر اباد ، ص ٣٤ .

(٢) راجع أرسطو : De Sensu, 5, 443 b 24 sq; 444 b 1 — 14; '30 — 445 a .

(٣) لعل الصواب : اذا اقتربت بها ، او اذا اقتربت منها . (لجنة المجلد)

(٤) راجع أرسطو : De An. ii. 9, 421 a 9 .

(٥) المخطوطة : لا يحس .

(٦) راجع أرسطو : De An. ii. 7, 419 b 1 .

ما كان له رئة^(١) . فإنه لو وضع ذا^(٢) الرائحة على الأنف لما أحس^(٣) حتى يستشق . والرائحة قد يتحرك بها الهواء على بُعد من المستشق بقدر لا تحركه^(٤) هواء النفس وذلك مشاهد .

وهذه الحاسة عليها حجاب^(٥) لا يفتح . فإذا وقع الاستنشاق انفتح ذلك الحجاب فوصل ذو الرائحة إلى الحاسة . ولذلك متى أراد الذي يشم إيصال وجود الرائحة لم يتنفس دفعة بل يتنفس في زمان طويل أو جعل النفس متلبثا . وما يظهر أن القابل للرائحة هو بالجملة مجانس للهواء وليس هذا فقط بل هو

(١) أيضا : De An. ii. 8. 420 b 23; De Sensu. 5. 444 b I sq.

(٢) المخطوطة : ذي .

(٣) هذه هي حال سائر الحواس فانها لا تدرك كل ما يلامسها ، راجع أرسطو :

De An. ii. 9. 421 b 14 — 19 ، أيضا تلخيص كتاب النفس ، الأهواني ، ص

١٥٩ س ١١ . وايضا المخطوطة الفارسية ، بودليانا ، Ous, 95 ، ورقة ٤٧

الف س ٢٠ : « وابن حواس ديكر راکه وصف کرديم نه چنين باعده که آن

حواس قادره وادرميان نباشد محسوسات خرد را يابد ، چون حس بينائي وشنوائي

و بويائي که اگر مردم جيزيدني رابر حده جشم نهده ييد ، و اگر چيز آواز

دهنده برپوصت درون گوش نه آواز آن نتواند شنيد و اگر چيز بويار

ظاهر بجراي بين نه بوي ان يابد .

(٤) بقدر لا يحركه . (لجنة المجله)

(٥) لم يصرح أرسطو أنه هناك غشاء على المناخر يزول وقت الاستنشاق ، ولكنه

زعم ان حاسة الشم لها شيء مثل الغشاء كما ان البصر له غشاء في العين يحفظها .

(De An. ii. 9. 421 b 29 — 422 a 4) ، ولكن ابن باجة يظن به ، لانه أخذه

كما كتبه أرسطو في كتاب الحاس والمحسوس (5. 444 b 21 — 25) ان

الحيوانات التي تنفس يزول فيها شيء شبيه بالغشاء من آلة الشم وقت التنفس ،

والحيوانات التي لا تنفس لا يزال هذا المانع فيها مرتقا ، راجع تلخيص كتاب

النفس ، الأهواني س ١٥٠ . والمخطوطة الفارسية ، ورقة ٤٧ الف : « واما

ديكر جانوران که راه گذر بيني دارند بالاي گذرگاه حجابي بود شان که

هوارا باو دارد از رسيدن بدان منافذ مگر آنکه برکنند و بجنبانند و همچنين

توانند ييد مگر که جشم بکشايد » .

إنما دخان أو بخار ما يعرض للبخورات والكثير من المطبوعات . وقد فصلت هذه كلها في كتاب الحاس والمحسوس^(١) . ولذلك يبقى في كثير من الأجسام الصلدة روائح الأجسام بعد ذهابها ، مثل ما يبقى في أواني النحاس رائحة الخمر والعسل بعد غسلها زماناً طويلاً . فتبقى في الأوعية روائح الأجسام المودعة فيها ، ولذلك قد تشبه على الشم الأجسام التي لها تلك الروائح كما عرض ذلك في السمع^(٢) . فإن هاتين الحاستين تفارق محسوساتها^(٣) وقوابلها^(٤) ما هي منه . وليس كذلك البصر ولا اللمس . فلذلك تدرك^(٥) تلك الحاستان الأطوال والأشكال أكثر من هذه .

وأما الذوق فسنبين أمره كيف هو . ولما كان الممتزج على ما تبين في مواضع آخر ، وقتلناه نحن قبل . إما أن يكون بنضج أو دون نضج ، كما يعرض ذلك في الذهب والنضة ، وما هو بنضج . والنضج يقال (ورقة ١٥٩ الف) بمعوم وخصوص ، فإذا قيل بمعوم كان كالجنس للشيء والطبخ ؛ وإذا قيل بخصوم كان مرادفاً للطبخ .

وتبين أن النضج إنما يكون في المختلط من رطوبة ويس . فإذا أنضجته الحرارة نوعاً من النضج حدث عند ذلك في ذلك الجسم المعنى الذي يقال له الطعم . ولذلك كل ذي طعم فهو ذو رطوبة ما . فإذا اتفق لهذا امتزاج آخر من رطوبة ويبروسة اختلقت بهذه ، ونضجت نضجاً ، فما حدث عن ذلك الرائحة ، وقد تلخص أمرها في الحاس والمحسوس^(٦) .

(١) راجع أرسطو : 30 — 21 a 443 De Sensu .

(٢) راجع النص آخر ورقة ١٥٧ ب .

(٣) المخطوطة : محسوساتها .

(٤) المخطوطة : قوابلها .

(٥) المخطوطة : قابل .

(٦) يبين ابن باجة غاية الشم في كتاب الحاس : 7 a 443 De Sensu .

وتبين أن الرائحة تكون عندما تفصل^(١) الرطوبة اليبوسة ذات الكيفية وتنضج بالحرارة نوعاً من النضج ، ولذلك توجد هذه في النباتات أكثر مما توجد في الحيوانات وفي الأشجار .

فذلك الحاصل في تلك الرطوبة الممزجة باليبوسة التي قد أنضجتها الحرارة - ما كان منها شجراً كان ظاهر الرائحة بنفسه . وما لم يكن ظاهر الرائحة بل كان ذا رائحة للقوة فذلك يحتاج إلى النار وإلى حرارة . ولذلك متى ذلك ذو الرائحة أو فرك^(٢) وبالجملة إذا استقرّ ظهرت رائحته^(٣) . فان الرائحة تحتاج إلى حرارة منضجة أولاً فقد تكفي بذلك مثل المسك واللّبن السائلة^(٤) ، وقد لا تكفي فتحساج إلى حرارة أخرى كهود الطيب^(٥) والسندروس وما شاكل ذلك .

ولما كان الشمّ هو إدراك معنى المشموم ، وكان وجود المشموم هو الوجود ، لم يدرك الشم شيئاً من لواحق المشموم من غير الطعم . ولذلك لا [يدرك] الشمّ إلاّ بالعرض . وذلك إذا اتفق أن يكون ورود المشموم من جهة واحدة تميزت له جهة الشم^(٦) بالعرض . فتميزت له جهة الشم^(٧) بالقصد الثاني .

(١) راجع أرسطو : 4. 441 b 18 ; 5. 443 a 1 ; b 3 ; 445 a 14 ; 4. 441 b 18 .

(٢) أيضاً : 4. 441 b 18 ; 5. 443 b 16 .

(٣) وابن رشد تبع ابن باجة في البيان ، تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ، ص ٤٠ ، حيدر اباد ، ص ٣٤ .

(٤) راجع ابن رشد ، تلخيص ، الاهواني ، ص ٤٠ ، حيدر اباد ٣٤ ، وراجع كتاب النفس ، الاهواني ، ص ١٥٠ ، والمخطوطة الفارسية ورقة ٤٧ ، ص ٦ وحسن بوياني همان شناسد که موافق وخوش بود ویا مخالف وناخوش ، وتتواند که بوی گل را از بوی میه جدا کندونه بوی صبر را از بوی سبیل که همین دایم کدبویهای ناخوش را بویهای ناخوش .

(٥) مشهور بالمود الهندي ، راجع ابن رشد ، تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ص ٤٠ .

(٦) المخطوطة : المشموم .

(٧) المخطوطة : المشموم .

الفصل السابع القول في الطعم

وقد تبين وجود الطعم أي وجود وجوده ^(١) ، وإن الطعم لا يمكن أن يكون لا في رطب ، ولا في يابس ، ولذلك لا يوجد للرماد ولا للماء الصنف ولا للهواء . ولذلك يوجد لماء البحر طعمٌ ولماء الآجام لليبوسة التي تخلط تلك المياه .

ففيولى الطعم الرطوبة ^(٢) ، ولذلك متى يبست آلة الطعم لم تجد طعم الأشياء الغالب عليها ^(٣) اليبس ، وتجد لذلك طعم الرطب . فإن الطعم يحرك رطوبة الفم فيقبلها على نحو ما يقبل الهواء اللون . وتحرك الرطوبة حاسة الذوق ^(٤) . ولذلك متى كان رطباً قامت الرطوبة الحاملة مقام الرطوبة الطبيعية . فالرطوبة يفنقر إليها الطعم أما أولاً ففي ^(٥) أن يكون موجوداً ، وثانياً لأن يكون محسوساً .

ولذلك جعلت الذوائف ^(٦) لتصنع الرطوبة الطبيعية التي بها يكون الذوق .

(١) راجع النسخ لنفسه ، ورقة ١٥٩ الف ، ... فإ حدث عن ذلك الرائحة الخ .

(٢) قال أرسطو إن الجسم المشوم والمطعموم يتعلق بشيء سائل :

De An. ii. 10. 422 a 10

(٣) المخطوطة : عليه .

(٤) راجع أرسطو .

(٥) المخطوطة : هي .

(٦) خالف ابن رشد رأي الاسكندر الافروديسي الذي كان يرى « أن هذه

القوة ليست تحتاج الى متوسط » ، واستدل قائلاً « فن هذه الأشياء كلها قد

يظهر أيضاً أن هذه الحاسة إنما تدرك محسوسها بمتوسط هو هذه الرطوبة ،

وقد صرح بذلك ابر بكر بن الصائغ في كتابه في النفس وقامسطيوس » ،

الاهواني ، ص ٤١ .

وهي ممتزجة من يبس ورطوبة نحرًا من الامتزاج ، ولذلك هي لزجة . وهذه الرطوبة (ورقة ١٥٩ ب) هي غير ^(١) ذات طعم لئلا يعوق طعمها قبول طعم المتضادة لها ^(٢) . فلذلك يجيد المحموم الطعموم كلها ^(٣) ، لأن الرطوبة التي في فمه ممرّة لمخالطة الدخان اياها ، وقد تلخص ذلك في غير هذا الموضع . والطعم ضروري في الحيوان ^(٤) ، ولذلك لا يوجد منه ما لا يطعم إلا قليل مثل جنس ذوات الأصداف واصفنج البحر . ويشبه أن تكون هذه تكفي باللمس في اغشائها لبعدها عن الاعتدال ، ولأنها تجري مجرى النبات . ولذلك لا يحسّ الذوق بشيء من لواحق ذي الطعم غير الطعم ، ولذلك يصير الطعم ألدّ وأكره بكونه أرطب وأيبس وأحرّ وأبرد ، وذلك بين نفسه .

* * *

الفصل الثامن

القول في اللمس

واللمس هي القوة على إدراك الملموس . والملموس قد يظن به أنه أصناف كثيرة ^(٥) ، فتكون قوة اللمس أصنافًا كثيرة ، إلا أنها في موضوع واحد .

(١) المخطوطة : تكرر « هي غير » .

(٢) لعل صحيح التعبير : الطعموم المضادة لها .

(٣) راجع أرسطو : De An. ii. 422 b 8 .

(٤) أيضًا : De An. iii. 12. 434 b 10 — 24; De Sensu, I. 436 b 13 .

(٥) وابن باجة أوضح قوله في كتاب الحيوان (ورقة ٩٥ ب) واللس فقد يظن به أنه أصناف كثيرة ، فإن اللمس هو الحار والبارد والرطب واليابس والصلب واللين ، وهذه القوة واحدة كانت أو أكثر من واحدة فهي اللمس وما جرى (ورقة ٩٦ الف) مجراه . وهذا اللمس يحتاج اللمس أكثر مما يحتاج إليه غيره ولذلك كان الإنسان أحسن لما من سائر الحيوان لأن اللمس فيه كثير وليس له شعر ولا ريش ولا فلوس ولا خزف بل الجلد . وقد أشار إلى هذا أرسطو حينما قال (De An. ii. 422 b 18) : « إن لم يكن اللمس حاسة بل كان مجموعا لحواس فلا بد من أن يكون الملموس أكثر من واحد » .

وهذه الحاسة هي شابعة^(١) في بدن الإنسان ، وليس لها عضو مخصوص كما لسائر الحواس . بل لها قابل محدود النوع في كل حيوان ، وهو اللحم أو ما يقوم مقامه فيما لا لحم له^(٢) . فإن الجلد ليس فيه الحاس الأول^(٣) لأنه اذا كشط أحسن اللحم ليس بأنقص من إحساس الجلد ، بل هو أخرى أن يظن به أنه أشد لمساً .

وهذه الحاسة على ما تقدم ؛ هي التي لا يتخلو^(٤) منها حيوان وبها يكون الحيوان حيواناً . ولذلك متى فقدت هذه الحاسة ارتفع معنى الحيوان عن ذلك الشخص . ولا يتخلو^(٥) من < أن يكون لها لمس .

ولما كانت للمعوسات ، على ما تبين في الثانية من الكون والفساد^(٦) ،

(١) ويثبت ابن باجة ايضاً ، (ورقة ٩٥ الف) . وهذه القوة (أي قوة اللس) ليس لها موضوع منفرد كالعين للبر والمخبر للشم وتنب الأذن للسمع بل تجدهما شابعة في الجسد كله ومحطة به .

(٢) راجع ابن باجة : ورقة ٩٦ الف : والحس منه ما هو شامل الأعضاء كاللس وآلة اللحم أو ما يقوم مقامه فيوجد في كل عضو له شركة في الحس لحم . وأما ان يكون منفرداً كالحواس الأربع . وانظر أرسطو :

. De An. II. 422 b 20; 423 a 13

(٣) استدلل ابن باجة فائلاً : ورقة ٩٦ الف : فجاء الإنسان فقد يظن به أنه الحاس الأول وأما انه ليس الحاس الأول فذلك يثبت لأن اللحم يحس دون الجلد أكثر مما يحس والجلد عليه .

(٤) المخطوطة : لا يتخلو .

(٥) المخطوطة : ولا يتخلو .

(٦) ايضاً ابن باجة ورقة ٨٧ الف : : ان كل واحد من هذه (اجسام اربعة) فهو جسم مفوس وذلك معروف بنفسه ، ولما كانت الأجسام المشاهدة ليست البسائط بل ما كانت اقرب ال البسائط ظن بأن المعرفة بما نشاهد ليست مكنتية بنفسها على ان تردف بالقول . فنقول ان الحار والبارد والرطب واليابس امور عسوسة فهي موجودة . وهذا علم اول مكنت بنفسه فظاهر قريباً من ذلك انها في موضوع واحد وان قوام جسم وصورته من حيث هو ما هو ليست واحدة منها . وانواع الأجسام المشاهدة فكل واحد منها فيه ضرورة اثنان من هذا الارباع لا يتخلو جسم منها ؛ أرسطو : 423, 27 .

يرجع كلها إلى الحار والبارد والرطب واليابس ، وكان هذا < ن > المتضادان ليس يرجع أحدهما إلى الآخر فإن كل حس فإنه لمتضادين ^(١) . وقد يعرض للمتضادين أن يكونا موضوعين لتضاد آخر . مثال ذلك اللون : أطرافه الأبيض والأسود ، والأبيض موضوع البراق والابراق ^(٢) ، والضوء طرفاه النقل والحدة وهذه موضوعة الأملس والخشن والخفي والجهير :

وكما أن تلك حاسة واحدة تنبعا قوى كثيرة كذلك يشبه اللس ^(٣) . وبالجمله فإن القوى تنبع الموجودات في ترتيب وجودها . لكن الرطب واليابس والحار والبارد لا تتابع بينها على ذلك الوجه فإنه لا واحد منها ^(٤) موضوع الآخر لكن بينها تتابع آخر بالذات وتلازم ، وقد تلخص ذلك في غير هذا القول . [ورقة ١٦٠ الف] فلما كانت هذه لا تنفصل في وجودها في الموضوع فلذلك كانت القوى اللامسة لا تنفصل وكانت في حاسة واحدة .

ولما كان كل جسم كاين فاسداً فهو ملموس . ولا يخلو ^(٥) الموضوع من هذه المتضادات كما يوجد الموضوع خالياً من سايرها ، فإنه قد يوجد جسم لالون له ^(٦) ويوجد جسم لا صوت له وذلك في الرائحة والطعم ، فلذلك اتخذت

(١) راجع ارسطو : De An. II. 424 a 7 .

(٢) انظر ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاخواني ص ٤٦ ، حيدرآباد ص ٤٠ .

(٣) وصف ابن سينا قوة اللس في الشفا ورقة ١٦٦ الف : ويشبه ان يكون قوى اللس قوى كثيرة كل واحد منها يختص بمضادة فيكون ما يدرك به المضادة التي بين الثقل والخفيف غير التي يدرك به المضادة التي بين الحار والبارد ، فان هذه افعال اولية للحس يجب ان يكون لكل جنس منها قوة خاصة الا ان هذه القوى لما انتشرت في جميع الآلات بالسوية ظنت قوة واحدة .

(٤) المخطوطة : فان ما لا واحد منها .

(٥) المخطوطة : لا يخلو .

(٦) هذا مخالف لما قال ارسطو في De Sensu. 6. 445 b 12 ، وانظر ايضاً :

آلات تلك من أمثال هذه الأجسام . فأما هذه فلما لم يمكن ذلك كانت من المعتدل لأن المعتدل هو بوجه ما ولا واحد من الطرفين بالقوة . فلذلك كانت آلة اللمس معتدلة من الحار والبارد والرطب واليابس . ولذلك لما ظن جالينوس أن اليد هي آلة اللمس حكم بأن جلدة اليد هي المعتدلة بين الأطراف . فنقل ما للجسم الذي فيه القوة اللامسة إلى بعض آلات اللمس . وهذا الجسم هو الحار الغريزي . ولما لم يكن فيه الاعتدال لذلك وصلته الأجسام التي يسحبها أرسطو سيلاً ويسحبها جالينوس عصباً لأنها تأتي بالبرودة النفسانية من الدماغ . ولذلك أي عضو لم يتصل به سيل من الدماغ لم يكن فيه لمس ، ولذلك لا يلمس الكبد ولا الكلى ولا العروق الضوارب وهي مملوءة من الروح الغريزي . فأما كيف تكون برودة نفسانية ؟ وذلك قد تبين خلافه . فإن آلة النفس هي الحار الغريزي . فإن البرودة تقال على الأطراف وعلى الأوساط ، والتي في الدماغ لا يمكن أن تكون طرفاً ، وإنما هي وسط وهو ما بين المعتدل والطرف . وإنما يكون الوسط وسطاً يخالطه الضد ، فتلك البرودة تخالطها حرارة نفسانية . ولذلك نصير الحرارة إلى الدماغ من القلب في الشرائين ونصير عليه الشبكة المشيحية لتسكنه هذه الحرارة المعتدلة لبرودتها ، وبها تكون في تلك الرتبة . فهي نفسانية من جهة ما هي حرارة لا من جهة أنها هي بالرتبة تلقب بالطرف .

وقد يتشكك على حاسة اللمس . منها أن كل حاسة فإنها متحركة عن المحسوس حسب ما تلخص القول المجمل في الحس^(١) . والحرك منه قريب ومنه بعيد ، ومنه بالذات ومنه بالعرض . والبعيد الذي هو المحسوس ، والقريب

الذي هو الخادم كالهواء للبصر والسمع والشم ، والرطوبة للذوق . فقد ينبغي أن نطلب ^(١) هنا مثل ذلك .

وثامسطيوس يسلّم أن الهواء تخدم مثل ذلك كله . فانه شيء لا يمكن أن يتماسّ السمك ^(٢) في الماء < بغير الماء > ، لأن الرطوبة لا يمكن أن تنسلخ جملة عن الأجسام التي في الماء . فإن الهوائي أحسن ^(٣) بذلك .

والتمس قد يكون بتوسط أكثر من واحد وإن كان غير طبيعي ، كما يعرض ذلك إذا غشي بعينه ، فإنه قد يدرك الصلب واللين (ورقة ١٦٠ ب) والحر والبارد ، وكما يحس بتوسط العكاز ^(٤) مثلاً ، غير أنه وإن كان يحس بذلك فلسنا نحس كل أنواع الملوس ، فإننا لانحس بتوسط العكاز لا الحر ولا البارد . بل إنما نحس بالصلب واللين . ونحس الحر والبارد عندما يغشى الجلد ، وليس إنما يكون الغشاء يخدم بل يتفعل من ذلك ويكون هو المحسوس أولاً .

وأما هل حاسة اللحم هو اللحم أو في اللحم ؟ فإن ذلك ليس ببنين ^(٥) ،

(١) والتفت ارسطو الى هذه المسألة في : De An. II. 11. 422 b 23 .

(٢) راجع كتاب النفس لاسحاق ، الاهواني ، ص ١٥٣ ، والمخطوطة الفارسية ، ورقة ٤٧ ب ١٩ : « جواب گفت حاسه لمس ملوس را بنمايی هوادر باید لیکن هوا پوشیده بودودرین مثل زدگفت : اگر کسی دست بآب فرورد و بیرون آورد بدست سنگی را بر گیرد چارمیان سنگ و دست آب بود لیکن پنهان از غایت لطافتش پس چون آب بتوسط میتواند بود میان دست و آنچه بدست گیرد بی آنکه نتوان دیداز لطافت هوا سوارتر که در توسط پوشیده ماند که هوا از آب بسی لطیفتر است » . وابن رشد اقرب الى ابن باجة واطهر في البيان ، تلخیص : الاهواني ص ٥٥ ، وحیدر آباد ص ٤٥ .

(٣) المخطوطة : احیی ، وبالهامش : « اخرى » .

(٤) المخطوطة : العار ، وبالهامش : « العکاز » .

(٥) راجع ابن باجة : ورقة ٩٦ الف : علی ما نشاهد ان الحس في اللحم ، ولا يبالی ... هل اللحم هو الحاس ام الروح الغریزي ؟ واللحم له آلة . ايضا

لكنه كيف كان فهو متصل باللحم وهو أحد ما به قوام اللحم .
والمحسوسات ، فقد تلخص أمرها في مواضع كثيرة . فإن لها قوى شابعة
في الجسم ^(١) ، قوامها في الجسم من حيث هو جسم . فلذلك تدرك الالامة
الأطوال والأشكال كما يدرك ذلك البصر .

فأما انه لا توجد حاسة غير اللمس ، فذلك قد يبين ما نقوله : وذلك أنه
وإن وجدت فسيكون لها محسوس خاص ، وذلك المحسوس يجب ضرورة أن
يكون محركاً جسمانياً . ولا محرك جسماني إلا هذه الخمس ^(٢) ولذلك لا يمكن
أن تكون حاسة مفردة للمحسوسات المشتركة تحرك ^(٣) أشياء . فأما الحاس
الذي يدركها فسنبين أمره بعد . وأيضاً فإنه إن كان ها هنا حاسة سادسة ^(٤)
وجب ضرورة أن تكون لحيوان ما ، وذلك الحيوان يكون ضرورة غير
الإنسان ، فإنما الإنسان هذه الخمس بالطبع ، فيكون ذلك الحيوان حيواناً
نافعاً ^(٥) . ومحال أن يوجد للناقص ما لا يوجد للتام . وقد تلخص في أول

(١) ايضاً أرسطو : Hist An. I. 3. 489 a 18 ; ابن رشد الاخواني ص ٧ ؛ وحيدرآباد ص ٤١ .

(٢) ايضاً ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاخواني ص ٥٦ ، حيدرآباد ص ٥١ .
(٣) المخطوطة : لا تحرك .

(٤) راجع أرسطو : De An. III. I. 424 b 22 ؛ وابن رشد : تلخيص ، الاخواني
ص ٥٨ ، حيدرآباد ص ٥٣ .

(٥) وفي المخطوطة زيادة : « تحويجة كانت في الأصل المنقول منه هذه النسخة ،
إن هذا القول زيادة ، مثاله انذكرها هنا القول الذي التفت من الحيوان
لأن البصر من ماء والسمع من هواء وكيف يلزم عنه ان لا تكون حاسة
سادسة ؟ ، هذا مفي . »

الحيوان^(١) كيف يشبه ما يوجد للحيوان الناقص ما لا يوجد من نوعه للحيوان الكامل وهو الإنسان كالجحفة للحمار والخرطوم للفيل ، وسائر الأعضاء التي يختص بها حيوان حيوان ، وإن كان ذلك موجوداً^(٢) للإنسان بوجه أكل ، فإن الجحفة والخرطوم هي يد ناقصة . وإذا كانت الأعضاء إنما تحد بغاياتها وبقوتها استعدادها لحصول تلك الغايات ، وكان ذلك موجوداً للإنسان أو ما يكون أفضل منها ، فيجب أن توجد للإنسان هذه الخاصة ضرورة^(٣) لئلا يكون هنا ما هو أفضل . وذلك بين مما تلخص من كتاب الحيوان .

* * *

(١) راجع ابن باجة : ورقة ١١٠ ب : « والاكمل هو الذي يوجد له جميع الاعضاء الافضل ، فان المظلم فيما اعدت افضل من الشوك وكذلك جميع القوى ، والانسان افضل الحيوان لأنه يوجد له جميع أجزاء النفس ولما كانت اجزاء الجسد انما هي آلات نفسانية كالدروقي والمضل ، ومنها ما يتم به قوام جميع جوده كالمظلم لضرورة يجب حيث كانت اجزاء النفس اكثر ان يكون هناك عدد انواع الاعضاء اكثر ، وحيث كملت اجزاء النفس فهناك يكمل عدد انواع الاجزاء بالجملة ما كان منها عضواً وما كان منها شياً حيوانياً . والانسان فله قوى النفس المشتركة ، وفيه قوى يختص بها هو وحده ، فلو كانت نفساً كما يجب ضرورة ان يستعمل آلة فكان يجب ضرورة أن يكون في الانسان نوع من الاعضاء لا يوجد في حيوان اصلاً » .

والنظر ارسطو : Hist. An. I. 2. 488 b 30; 486 b 18 : وابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ص ٥٨ ، حيدر اباد ص ٥٣ .

(٢) المخطوطة : موجود .

(٣) المخطوطة : إلا .

الفصل التاسع

في الحس المشترك^(١)

فأما أن هذه الحواس كلها قوى لحاس واحد^(٢) هو الأول وهو الذي يسمى الحس المشترك . فبين ما نقوله : أما وجود هذه القوة فقد تلخص فيما كتبناه في الحس مجملًا ، وهو الهيولى الذي نصير به المعاني محسوسة^(٣) . (ورقة ١٦١ الف) ولذلك متى التبتت باحدى الحواس تحركت مثل حركة هيولى تلك الحاسة ، فهي بالموضوع واحدة^(٤) وبالقول كثيرة^(٥) ، كما يعرض ذلك لمركز الدائرة^(٦) فإنه بالموضوع واحد وبالقول كثير . ولما كانت هاهنا محسوسات مشتركة فهنا ضرورة قوة مشتركة^(٧) تقبل تلك^(٨) . وفي اللمس والبصر ضرورة قوة واحدة مشتركة تقبل ذلك المعنى . وهذه الحاسة التي كان البحث عنها أي شيء هي ؟ وأيضا فإن ههنا محسوسات مشتركة للحواس الخمس . فبين أن هناك قوة مشتركة لها . وتلك القوة تقضي

(١) عنوان مستقل في نسخة بران .

(٢) راجع ارسطو : De An. III. 2. 425 b 11—22 ابن رشد تلخيص كتاب النفس ، الاخواني ، ص ٤٤ ، حيدر اباد ، ص ٤٨ ، ابن سينا أيضا يصف الحس المشترك فيقول : (الشفا . ورقة ١٨٢ الف) بل الحس المشترك هو القوة التي تتأدى اليها المحسوسات كلها .

(٣) المخطوطة : المحسوسة .

(٤) المخطوطة : واحد .

(٥) راجع ايضا ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاخواني ، ص ٥٥ ، حيدر اباد ص ٤٩ .

(٦) يقول ابن رشد : هذا المثال كثيرا ما يستعمله الفلاسفة ، خصوصا ارسطو وشراحه : المصدر السابق .

(٧) ايضا ، الاخواني ، ص ٥٤ .

(٨) المخطوطة ، ههنا زيادة : هي اللمس والبصر ضرورة قوة واحدة مشتركة تقبل تلك .

على تغاير أحوال المحسوس^(١) وتحسّ له أحوالاً^(٢) كثيرة . فتدرك لكل جزء من التفاحة^(٣) مثلاً أن له طعماً ورائحة ولوناً وحرارة أو برودة ، وتقضي أن كل واحد من هذه غير الآخر . فإنه لو كان في قوالب مضادة لها لما كان ممكناً أن تقضي أن هذا غير ذاك^(٤) . فإنه يجب عندما تؤمّلت المغايرة ، كيف وجودها .

وفي هذه القوة تبقى الآثار المحسوسات^(٥) عند انصراف المحسوس ، كما يعرض ذلك في الألوان ، فإن شأن هذه القوة الاستمساك بالاحساسات وهي آثار المحسوسات فيها^(٦) ، فإذا اتفق أن يؤثر المحسوس أدرك هذا إدراك الأثر . فالقوى الست التي هي الغاية والخمس التي هي الحواس ، بين من أمرها أنها أنفس ، إذ هي استكمالات للأجسام ، والسابعة هي القوة المحركة وسببين أمرها فيما بعد .

فأما أن وجدت قوة لا تستعمل آلة فتلك ليست نفساً إلا باشتراك . فالجسد المشترك لما كان ضرورة صورة للحوار الغريزي وجب ضرورة أن يكون نفساً . وليس بهذا النحو من النسبة قيل له نفس بل يكونه استكمالاً لا لجملة الجسد المؤلف لكن وجوده في الجسد إنما هو بوجوده في هيولاه الخاصة به وبه يصير

(١) قارن أرسطو : De An. III. 2. 426 b 10 : ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ،

الاهواني ، ص ٥٤ .

(٢) المخطوطة : أحوال .

(٣) ابن رشد : المصدر نفسه . ويظن أن أول من ذكر المثال المذكور الاسكندر

الافروديسي .

(٤) وابن سينا أيضاً ذكر هذا الدليل فقال : (الشفا ، ورقة ١٨٢ ، ص ٣) « فإنه لو لم تكن قوة واحدة تدرك اللون والملمس لما كان لنا أن نميز بينهما فالتين أنه ليس هذا ذاك » .

(٥) المخطوطة : المحسوسات القوة .

(٦) ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ، ص ٦٣ ، حيدر اباد ص ٥٨ .

بالجملة^(١) جزءاً من الجسد ، وبوجوده في ذلك أمكن اتصاله بالحواس وتحرّكها عن تحريكها ما لبس بذي جسم . ولبس يتصل بما هو خارج عنه .
 وإنما يصير الحس المشترك صورة للجسم ذي الآلات بالتباسة للآلات .
 كالتباسة بالعين مثلاً . ولذلك لا يسمع النائم ولا يبصر . وذلك بين في
 الحيوان الذي لا يطبق عينيه عند النوم لأن تلك الصورة لبست في الجسم .
 لأن تلك الصورة لا تفارق هيولائها ، فإذا لم يوجد ذلك الجسم الذي له تلك
 الصورة في الحاسة لا تحس . ووجود ذلك في الحاسة هو كالصورة لها على مثال
 ما يكون الرّيان^(٢) ضرورة (ورقة ١٦١ ب) في السفينة . وقد تلخص أمر
 هذه الصورة في غير هذا الموضع .

وأما إذا انفرد^(٣) الحس المشترك فإنما هو نفس بوجه أنه صورة للجسم ما .
 ولذلك لا يوجد النوم في جميع الحيوان لأن الحار الفريزي لها موجود إنما في
 الحاسة لأن التقدم^(٤) والتأخر^(٥) فيها واحد أو كالواحد ، وقد تلخص أمر
 هذا في كتاب الحيوان .

(١) المخطوطة : الجملة .

(٢) وانظر ابن باجة نفسه ، ورقة ٦٠ ألف ، « فان النفس في البدن كالربان في السفينة فان الربان في السفينة صورة الا انها مفارقة » ، وراجع ارسطو :

. De An. I. 3. 406 a 6; II. 1, 413 a 9

(٣) فان ابن باجة : النفس نفسه : ورقة ١٥٥ ألف : فان القوة اذا انفردت عن الحاسة كانت هي الحس المشترك . وقد قال ابن باجة في كتاب الحيوان : ورقة ٩٥ ب : فالحس ينفرد عن الحركة بالقول كما ينفرد الهيول من الصورة بالقول الذي يلخص به ما هي بالاسباب المتومة لها وهي فيها .

(٤) المخطوطة : المتقدم .

(٥) المخطوطة : التأخر .

فإن وجد حيوان ^(١) له قوة أخرى ليست صورة لجسم أصلاً . فذلك ليست نفساً إلا ينحو من اشتراك الامم . مثل أن تكون قوة لحضوره ^(٢) للحس المشترك ويكون الحس المشترك كالمبولى فيها فتكون تلك ^(٣) صورة لمبولى الحس المشترك لكن ليست أولى . فلذلك تكون هذه القوة قوة واسطة بين النفس وبين القوى التي ليست بأنفس يأخذ كل واحد منها بقسط ، وصنيتين ذلك فيما بعد . وهذه القوة هي قوة التخيل .

(يتبع)

محمد صغير حسن المعصومي



(١) المخطوطة : الحيوان .

(٢) يعني ان الجسم عندما وجد في الحس المشترك ينتاج الى قوة مادتها الحس المشترك وصارت القوة صورة للحس المشترك . راجع ابن سينا ، (الشفا) ورقة ١٨٠ الف ١٨ : فان الحس المشترك قابل للصورة لا لحافظ ، والقوة الخيالية حافظة لما قبلت تلك ، والسبب في ذلك ان الروح التي فيها الحس المشترك انما تثبت فيها الصورة المأخوذة من خارج منطبجة مادامت النسبة المذكور بينها وبين المبرر محفوظة أو قريبة المهد . فاذا غاب المبرر انمحت الصورة عنها ، ولم تثبت زماناً يمتد به .

(٣) المخطوطة : ذلك .

التعريف والنقد

قضايا الفكر في الأدب المعاصر

للأستاذ وديع فلسطين

« أصدره المكتب الفني للنشر في القاهرة ،

نجاح في ١٣٢٢ صفحة »

في الأدب العربي الحديث قضايا مهمة كثيراً ما خاض فيها الأدباء والمثادبون في الجرائد والمجلات ، وكثيراً ما اختلفت فيها آراؤهم ، ونشبت مذاهبهم . وقد تناول الأستاذ وديع فلسطين هذه القضايا في كتابه ، فحسبها تمحيصاً دقيقاً ؛ ووازن بين السحين والفت من آراء الكتاب فيها ، وذكر لكل قضية رأياً شخصياً هو في نظرنا من أرجح الآراء علمياً ومنطقياً .

ومن القضايا المذكورة قضية الفصحى والعامية ، والشعر الصحيح وما يسمى الشعر الحر ، والمصطلحات العلمية ، وتفسير القواعد والكتابة العربية ، وتقليدنا الغربيين في مدارسهم « مذاهبهم » الأدبية الحديثة ، سواء في ذلك ما كان منها معقولاً « كالمدرسة السلفية والرومنسية والواقعية والطبيعية » ، أو كان غير معقول ولا مفهوم « كمدرسة الرمنية وما فوق الواقعية » .

وقد بحث المؤلف في هذه القضايا ، وفي موضوع الالتزام في الأدب أي ما يسميه بمضهم الأدب المادف ، ثم بحث في الأسلوب العلمي وأسلوب الاثارة في الأدب ؛ وقايس بين الكتاب في القديم والكتاب في أيامنا هذه ؛ وانتقل الى ذكر النقد وانحراف رسالته ، والى المسرحية وضيق مجالها عندنا ، والى الترجمة وشروطها ، والى أزمة الكتاب العربي ، والى محنة الأدب في هذا الزمن . وأنهى كتابه بكلام طلي على الفكر بين الأرستقراطية والفوغائية .

وبعد إن قيمة الكتب لا تقاس بعدد صفحاتها ، بل تقاس بما فيها من فائدة للقارئ . وهذا الكتاب ، على صفه ، قد عالج المواضيع المذكورة بأسلوب علمي متزن ، فأحاط بأطرافها ، وجلاها على المطالعين في أفكار نيرة ، ولغة صحيحة ، وبيان مشرق ، وغيره على لغة الضاد وعلى الأدب العربي .

مصطفى الشربابي

« وجوب التعاون بين المسلمين ، وموضوع الجهاد الديني »

وبيان كليات من براهين الدين »

تأليف الأستاذ الشيخ عبد الرحمن بن ناصر آل سعدى

هذا الأستاذ أشهر من أن يعرف ، فهو علامة القصيم من نجد لهذا العهد ، وهو صاحب التأليف الجامعة النافعة ، وأوقاته كلها معمورة بالاشتغال بالعلم تعليماً وتدریساً وتأليفاً ، ورسالته هذه (وجوب التعاون) يدعو فيها هذه الأمة المسلحة في عامة أقطارها وأمصارها الى التضامن والتعاون على ما فيه مصلحتها ، وإلى دفع عوادي الشر عنها ، فكل عمل تقوم به للمصالح العامة وسعادة المجتمع ابتغاءاً لمرضاة الله فهو (في سبيل الله) في نظر الإسلام ، وما قيد الشارع « الجهاد » بهذا الشرط (في سبيل الله) ، إلا للدلالة على هذا المعنى . وقد أنشأ فصلاً كثيرة فيه ، يبين فيها أقسام (الجهاد) وأنواعه كجمع الكلمة ، ووجوب المشاورة ، والاستعداد للأعداء ، وأخذ الحذر منهم ، وإعداد وسائل الجهاد ، والوقوف التام على أحوال الأمم والشعوب ، والقيام بالقسط والوفاء بالعهود ، وربط الصداقات وعقد المعاهدات بين الحكومات الإسلامية ، وتخيير الأكرفاء من الرجال في الولايات والأعمال . ثم شذرة من سيرة النبي (ﷺ) وصدقته وصحة دينه ، وما أخبر به من الغيوب المتنوعة ، ومن هذه الفصول : التجدي بالقرآن ،

وما علمه الله للإنسان من أصناف المخترعات ، الكهرباء ، أعمالها ونتائجها ودلالاتها على البعث ، سنة الله في خلقته جارية على مقتضى حكمته ، هداية البشر بالإسلام ، جمعه بين الأمم المتباينة ، حفظ العقلاء منه على قدر عقولهم ، تفسير آيات من القرآن ، أمره بالإيمان بجميع الرسل وما جاءوا به من عند الله ، تفسير شواهد منه ، الشريعة جاءت بالعدل ، وحثت على الإحسان والفضل ، سيرة الرسول من آياته ، وأمنه من آياته ، (وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً ، لا مبدل لكلماته) .

وهذه الفصول مملوءة بالأدلة القرآنية ، ومنها يبين أن الإسلام خير من هذه السياسات العنصرية والمحلية والحزبية ، وكلها ضغائن وأحقاد ، وشروور وفساد ، كما تقرأ عنها في الصحف المنشورة ، وهذا الكتاب من خير ما يهتدي به من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

١ - توضيح الكافية الشافية

٢ - الحق الواضح المبين ، في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين ، من الكافية الشافية .

كلامهما للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر آل سعدني (المطبعة السلفية)

(الكافية الشافية ، في الانتصار للفرقة الناجية) الإمام الرباني شمس الدين ابن قيم الجوزية المحقق الشهير ، وقصيدته هذه قد بلغت مئات الأبيات من السهل الممتنع ، وموضوعها التوحيد وأصول الدين ، والرد على الجهمية والمعتزلة والملحدون ، وثبات ما أثبتته تعالى لنفسه من أسمائه الحسنى ، وصفاته العليا ، والرد على الجبرية من الجهمية ، والقدرية من المعتزلة ، وثبات الكسب للعبد والاختيار ، وفوقهما جريان الأقدار ، وكانت طبعت هذه القصيدة منذ سنين ، ولكن بلا شرح

ولا تعليق ، فقام العالم السلفي الشيخ عبد الرحمن آل سعدي بشرحها شرحاً مطوّلاً ، سماه (توضيح الكافية الشافية) ولكنه لم يورد القصيدة ولا استشهد بشيء منها ، فهو شرح مستقل عن الأصل ، وإن كان مبنيًا عليه ، وعناوين فصوله تدلّ على المراد منها ، وهذا الشرح يبلغ (١٢٤) صفحة ، وفي آخره فهرس مفصل .

في ص ٤٤ س ٦ : و « رحمتي وسعت كل شيء » صوابها : « ورحمتي » .
في ص ٤٦ س ٨ : « هذا من » صوابها : « هذا ومن » .

* * *

وأما الكتاب الثاني ، وهو (الحق الواضح المبين) فقد خلّص فيه شرحه الأول ، وطبعه بعده فبلغ نصف حجمه ، مع أنه أورد فيه مائتين وخمسين بيتاً من القصيدة ، وشرحها شرحاً وجيزاً بيناً ظاهراً ، وبدأه بقول ابن القيم :
فاسمع إذًا توحيد رسول الله ثمّ اجعله داخل كفة الميزان
مع هذه الأنواع وانظر أيها أولى لدى الميزان بالرجحان
قال الشاعر : « وذلك أنت الشيء يعرف بضده » والحق يتضح ويظهر نوره بعرفته ، ومعرفة ما يضافه من الباطل ، فإنك إذا وزنت - بميزان العقل الحقيقي ، والفطر السليمة التي لم تتغير ، والبراهين الدالة على الحقائق - توحيد الأنبياء والمرسلين وتوحيد المعطّلين ، وجدت بينهما من الفروق ما لا يخفى على من له أدنى مسكة من عقل .

أقول : لا يخفى أن هذه الكتب السلفية تبحث في توحيد الله تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله ، على الوجه الذي أثبتته الله لنفسه في كتابه ، أو ورد عن المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى في بيانه ، وإذا نظرنا إلى كتب التوحيد الدراسية التي تداولتها أيدي الخواص والعوام ، في معظم الأمصار الإسلامية ،

وصارت عمدة الدارسين والمدرسين في المدارس الرسمية الحكومية والأهلية نجدها نوعين : (أحدهما) كتب العقائد التي وضعت على طريقة الخلفاء ، وأولت فيها نصوص الكتاب والسنة تأويلاً صرفها عن مدلولاتها اللغوية والشرعية ، ونفى معانيها الوجودية الثابتة بتأويلات جاءت على خلاف الوضع والشرع . (الثاني) كتب الدفاع عن الإسلام وتوحيده ، واثبت أنه دين العقل والفطرة ، وحاجة البشر في كل زمان ومكان ، فهذه الكتب التي تضمنت فلسفة التوحيد وحكمة التشريع هي صلاح علي يحمله المسلمون في صدورهم لحراسة عقائدهم والدعوة إليها والنضال عنها ، لا لتلقى علم التوحيد وعقائده منها ، فهي على نفاستها وضرورة مدارسها ، ليست كتباً موضوعة في فن التوحيد ، ولا هي قواعد لعقائده المستمدة من نصوصه المبنية هي عليها ، بل هي فلسفة تحوم حول علم التوحيد ، وإيضاح لمحاسن الدين ومزاياه .

وهناك نوع ثالث وهي الكتب التوحيدية السلفية ، التي أثبتت معاني النصوص وحقائقها الشرعية من طريق المعقول ، وردت كلام المؤولة رداً لم يبق حاجة في النفوس ، وهي الطريقة التي جرى عليها شيخنا الإسلام ابن تيمية وابن قيم الجوزية في كتبها ، ومن هذا حذوهما من أئمة الإسلام وحماته ، ولكن كتب هؤلاء الأعلام الواسعة ، إما كتب مناظرة وحجاج ، وتأييد لمدلولات النصوص ورداً لشبهات الخصوم ، وإما كتب علمية غير تعليمية .

فترى أن تنشر فصول في التوحيد السلفي ، ملخصة مما كتبه الأئمة الثقات فيه ، وتكون تمهيداً لوضع سلسلة توحيدية تعليمية ، مفرغة حلقاتها بأسلوب مدرسي عصري ، يشرب القلوب حب السلف الصالح وآثارهم ، ويطبعم النفوس بطابع عقائدهم وأخلاقهم ، ويفذي عقول النشء الإسلامي بلبان التوحيد الخالص ، المظهر من كل ما يخالطه من أدران الشوائب ، فتصح العقائد وتزكو الأخلاق ، وتتوحد المبادئ والغايات ، والله هو الموفق والمعين .

كتاب البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار

تأليف : الإمام المجتهد المهدي لدين الله أحمد بن يحيى بن المرتضى المتوفى سنة ٨٤٠ هـ

ويليه : كتاب جواهر الأخبار والآثار المستخرجة من لجة البحر الزخار

للعلامة محمد بن يحيى بهران الصعدي المتوفى سنة ٩٥٧

ولتأم الفائدة ألحقت به تعليقات من مراجع مختلفة ، لمصححه :

القاضي عبد الله بن عبد الكريم الجرافي الباني الصنعائي

تقوم إلى جانب هذه النهضة المباركة في البلدان العربية نهضة دينية اجتماعية تنفجر بناييعها من سلسيل الإسلام الصافي ، وتسقى أصولها من معينه الذي لا ينضب ماؤه ، ولا تبلى جدته ، وإن إمام الين الراحل يحيى حميد الدين الملقب بأمير المؤمنين تضمده المولى برضوانه ، قد ساهم بقسط كبير في هذه النهضة ، فقد جاء في المقدمة ذكر طائفة من الكتب العربية والدينية النافعة النادرة ، التي أمر بطبعها ، وبعث بأصولها من مكتبته العامرة ، ومنها هذا (البحر الزخار) .

يقع هذا الكتاب الضخم الذي طبع بمصر - بإشراف الأستاذين عبد الله محمد الصديق ، وعبد الحفيظ أسعد عطية - في خمسة أجزاء ، وهي تبلغ نحو مائة وألفي صفحة بالقطع الكامل ، عدا مقدمته والفهارس ، وهذا المصنف الكبير « الجامع لمذاهب علماء الأمصار » يذكر المسألة وينبه على ما فيها من إجماع أو اختلاف ، ثم يحكي أقوال العلماء من الصحابة والتابعين ، وأئمة أهل البيت وسائر الفقهاء ، وبذكر دليل كل قول وتعليله ، مع الإشارة إلى ترجيح الراجح وتضعيف غيره . وفي أول « البحر » ترجمة لمؤلفه ، وتليها ترجمة لخرّج أحاديثه ، وقد جرى صاحب البحر على الإشارة لمن يتردد ذكرهم من الفقهاء بحرف أو حرفين ،

وهم طبقات أربع ، الصحابة والتابعون وأهل البيت وسائر الفقهاء ، وهم الأئمة الأربعة ، وإسحاق بن راهويه ، وسفيان الثوري ، والأوزاعي ، والليث بن سعد ، والزهري ، وربيعة ، والحسن بن صالح الكوفي ، وأبو ثور ، وداود ، والمزني ، وأبو يوسف ، ومحمد بن الحسن ، وزفر ، والكرخي من فقهاء الحنفية ، وقد ترجم في المقدمة لكل واحد من أهل الطبقات الثلاث الذين ورد ذكرهم ، ولم يترجم لطبقة الصحابة لشهرتهم .

والعلامة بهران الصعدي مخرج أحاديث الكتاب . ومورد أدلة أحكامه على كثرتها واختلافها ، قد بذل في هذه السبيل جهداً عظيماً ، وإنما بقدره قدره من غاص في بحر السنة نظراً واستدلالاً ، وأمن في كتبها بحثاً واستقراء ، فعاد كليل البصر ، قليل الظفر بطلوبه ، وهذا الكتاب هو عمدة المتأخرين من أهل اليمن فيما يحكونه من المذاهب - خصوصاً مذهب أهل البيت - كالسيد محمد بن اسماعيل الأمير صاحب سبل السلام ، والشوكاني صاحب نيل الأوطار ، وغيرهما .

وجملة القول : ان هذا البحر الزخار دائرة معارف فقهية إسلامية ، كالمنى للموفق القدسي ، مع الشرح الكبير ، واللمحى لابن حزم وغيرهما من الأئمة التي لم تقيد بمذهب واحد ، ومن هذه المراجع الكبرى تبين سعة الفقه الإسلامي ، وأن اختلاف علمائنا رحمة ، والأخذ من متنوع مذاهبيهم نعمة ، وإنما يختار منها في كل عصر ما كانت أقوى دليلاً ، وأكثر مناسبة لحاجة العصر ، وطبيعة الأمة . وإنك لتجد في الأحاديث الواردة في إقطاع الأراضى ، واستمارة دفائنها ، واستخراج ركازها ومعادنها ، ما يدل دلالة واضحة على أن ما يقوم به علماء طبقات الأرض (الجيولوجيا Geologie) وعلماء الآثار والعاديات من الحفر والتنقيب عن المعادن في بطن الأرض والجبال والتلال ، هو داخل في عموم

ما أرشد الإسلام إليه ، وحث أهله عليه ، ومثله ما ورد في إحياء مَوَات الأرض (من أحيأ أرضاً ميتة فهي له) رواه أحمد والترمذي وصححه ، فإِشاء المزارع والمصانع ، وبناء المستشفيات والمدارس ، وتشيد القلاع والحصون ، هو من باب : إحياء الأرض ، وأما ما يستخرج من البحار كالجواهر واليواقيت واللؤلؤ والمرجان ، فتراه وترى معه ما تقدم من الأحاديث وأقوال العلماء ، في الفصول التي عقدها (البحر الزخار) في المعادن ، والركاز ، والكوز ، وغنائم البحر (٢/٢٠٨ - ٢١٨) وفي كتاب السبق والرمي (ج ٥/ ١٠١) الترغيب سيفي السبق بالغف أو الحافر (الإبل والخيل) والرمي بالنصل (السهم) أما فقهاء عصرنا فيجب أن يستمدوا من قوى هذا الزمن وحقائقه وعلومه ومعارفه ، وأن يدعوا إلى السبق مثلاً بصنع السيارات والمصفحات والمدرعات والغواصات والمناطيد والطائرات ، وإلى الرمي بالقنابل والقذائف ، وسائر ما أعدت وسائل الكفاح عملاً بالآية الكريمة «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة» وبآية «وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه» واستنباطاً من هذه الأحاديث الشريفة ، واهتداءً بهدي السلف الصالح ، ومجازاة للأُمم الحديثة .

وقد أحسن الأمير الجليل سيف الإسلام عبد الله كل الإحسان ، فأهدى الكتاب الى والده الإمام الذي كان الباعث على طبعه ، الحريص على نشره ، جزاء الله خير الجزاء .

ومن سهو القلم أو غلط الطبع جاء لفظ : جلسها وعورها ، مكان جَلَسَها وَعَوَرِها (بتقديم السين في الأولى على الياء وبالغين المعجمة في الثانية لا بالعين المهمله) .

وعزاه (في ٢/٢٠٩) من «البحر» إلى سنن أبي داود ، قلت : والحديث برواياته في (ج ٣/ ١٣٨ و ١٣٩) من عون المعبود شرح سنن أبي داود طبع

المهند ، وفي (ج ٣ / ٤١) من معالم السنن للخطابي طبع حاب ، ففيها أن الرسول (ﷺ) أقطع بلال بن الحارث معادن القبلية جالسها وغوربها ، وفي رواية « جالسها وغورها » وهو ما ارتفع من الأرض وما انخفض منها ، يريد أنه أقطعه وهادها ورباها ، والقبلية ناحية من ساحل البحر ، بينها وبين المدينة خمسة أيام .

هذا والمجمع العلمي يهدي إلى من تفضل بالإهداء ، أعطر الشكر والثناء .



فتح الغفار ، المشتمل على أحكام سنة نبينا المختار

للقاضي العلامة شرف الدين الحسن بن أحمد الرُّبَاعِي اليميني المتوفى سنة (١٢٧٦)

أمر بطبعه الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين ملك المملكة التوكلية اليمنية

أشرف على تصحيحه عند الطبع القاضي عبد الله بن عبد الكريم الجرافي اليميني ،

مندوب وزارة المعارف اليمنية

إن كتب السنة الصحيحة ليست إلا مفسرة للقرآن الكريم ، مبيّنة له ، فهي تفصل مجمله ، وتوضح مشكله ، وهل يستطيع مسلم أن يفهم أركان الإسلام البدنية أو المالية كالصلاة والزكاة والصيام والحج على الوجه الصحيح من دون أن يدرس سنة الرسول (ﷺ) في العبادة وسيرته العملية ؟ وهذا هو موضوع هذا الجزء الأول من كتاب (فتح الغفار) الذي بلغ ستائة وستين صفحة بفهرسه المفصل ، وهو من أجمع الكتب وأنفعها في أبواب العبادات ؛ وقد استمد المؤلف هذه الأحاديث في الأحكام من كتاب (منتقى الأخبار) للإمام مجد الدين أبي البركات عبد السلام بن تيمية الحراني المتوفى (سنة ٦٥٢) وهو جد شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (م ٧٢٨ هـ) وجعل كتاب (المنتقى) أصلاً لكتابه (الفتح) . ولكنه زاد عليه الشيء الكثير من أخبار الأحكام ،

وضم إليه الجَمْعُ الفقير من جامع الأصول ، وبلوغ المرام ، وجمع الزوائد ، والترغيب والترهيب ، ومن الجامع الصغير ، وجامع المسانيد ، والمستدرك للحاكم ، وتلخيص الحافظ ابن حجر ، وفتح الباري وغيرها . وقد طبعت هذه الأصول الجوامع في الأمصار الإسلامية ، وهي مشهورة متداولة ، يقرأها محبو السنة ويتدارسونها رواية ودرابة .

ومن مزايا هذا الكتاب الجامع أنه نسب كل حديث إلى أصله المنقول عنه ، وأتبعه بما عليه من الكلام من تصحيح وتحسين ، أو تضعيف وتوهين ، وعزا كل قول إلى قائله ، وفسر ما تضمنته الأحاديث من غريب اللغة ، وضبط بعض أسماء الرجال ، أخذاً من شروح الحديث ، وغريب جامع الأصول ، ومختصر نهايه ابن الأثير ، وصحاح الجوهرى ، والقاموس ، وجمع البحار وغيرها . والمؤلف من أجلّة تلاميذ الإمام محمد بن علي الشوكاني مجدد السنّة في القرن الثاني عشر .

ولا يستكثر هذا الجزء الضخم على العبادات فقد أورد ما ورد فيها من الأحاديث وذكر مخزجها من الكتب الستة وغيرها ، وهذه العبادات عدا ما ورد فيها من الترغيب والترهيب ، فيها مصالح قومية ومنافع اجتماعية ، (فالصلاة) الروحانية البدنية التي هي فرض عام على كل مكلف تنهى عن الفحشاء والمنكر (ما يفعل مرّةً وعلانية) وأشدّ الفواحش والمنكرات فتكاً وعتكاً هي تلك الجيوش المعنوية التي غزت بلاد الشرق وهنّ المسكر والميسر والخنا والربا والانتحار ، فكثير من المستهترين وقع في هذا التيار الذي أسلمه إلى الجنون أو المنون ، فكان ذلك من أشدّ المصائب القومية . (والصيام) الذي يدعو إلى إسائك المعدة عن الطعام ، وسائر الأعضاء عن الآثام ، وصرف جميع القوى والمواهب فيما خاقت له ، يعلم الثبات على خُلُقٍ قويم لا يحيد عنه . (والزكاة) إعطاء

نصيب من المال للفقراء والمساكين وباقي الأصناف الثمانية ، دون الكسالى والمتسولين ؛ فإذا حرمتنا الفقراء الأتقيا ، واضطرتنا إلى العمل ، كثرت الأيدي العاملة في الصناعة والزراعة والتجارة وهي مواد الثروة الأصلية ، وحفظت الزكوات والمعونات المستحقها ، تنفق على إ طعامهم وإيوائهم وتعليم بناتهم وأبنائهم . و (الحج) أكبر مؤتمر إسلامي حر يبحث في شؤون المسلمين ومصالحهم ، ويوازن بين ماضيهم وحاضرهم ، ويدافع عن حقوقهم وحررياتهم ، ويؤلف بين شعوبهم وقبائلهم ، فيصبحون بنعمة الله إخوانا .

ومن أفضل خصائص هذا الكتاب أن المؤلف لما رأى ما وقع من الخلاف بين الأئمة ، وأخذ كل طائفة بجانب من السنة ، جمع أحاديث الأحكام القاطعة للخلاف ، والداعية إلى الائتلاف ، فأحسن بذلك كل الإحسان . فندعو الأمة إلى العمل بما اتفق عليه الأئمة ، وإلى ترك الخلاف جانباً ، فإن الوقت والعمر يضيقان عن استيعابه .

وقد وقع في هذا الجزء هنات مطبعية لم نقصها لتدريتها ، فتنها في (ص ٥ س ٢) وتوهين ، صوابها : وتوهين . ومنها (ص ٤٢ س ١٨) الجند ، صوابها : الجنة .

جزى الله المؤلف ، والآمر بالطبع ، والمشرّف على التصحيح خير الجزاء ، وإنا لبقية أجزاء الكتاب لمنتظرون .

محمد بهجة البيطار

نظرة في أعماق الإنسان

(الجزء الأول)

للدكتور محمد صبيحي أبو غنيمة

قل من العلماء الأدباء في بلادنا العربية من يقدم على التأليف والنشر في الموضوعات العلمية لكساد سوق هذه البضاعة بين القراء ورغبة سواد الناس في مطالعة ما عداها من كتب والاكتفاء في الغالب بقراءة المجلات والصحف التي تعنى بما يروي غليل جمهرة القراء ويسري عن أنفسهم ، أما الخوض في البحوث العلمية المحضة فليس لها غير المضطر إما في إبان سني الدراسة وإما في ما يليها من متابعة في بعض الأحيان .

وموضوع تعريفي في هذا الباب يتناول كتاباً ولا كالكتب التي جرت العادة على التعريف بها ، إذ ليس لمن يقع بين يديه من عامة الناس (ولا أستثني إلا بعض خاصتهم) إلا الاكتفاء بتقليب صفحاته والتجديق في عناوين بحوثه الجذابة متجاوزاً عن الاسترسال في قراءة ما يحويه من آراء تسمو على مستوى فهمه وإدراكه ، بالرغم عن البساطة البالغة التي صيغت بها لغة الكتاب وما بذله المؤلف من جهد لتذليل العقبات في سبيل حبك موضوعاته ليستسيغها غير الأطباء ، وجعلها في متناول الكثيرين ، إلا بعض الشذرات الأدبية والشعرية التي تخللتها فكانت بمثابة الأفاويه والمشهيات التي تضاف الى الطعام لا من أجل تحسين طعمه فحسب بل لكي تزيد من الشهوة اليه أيضاً . وذلك لأن ما حواه الكتاب قد صهر في بودقة واحدة الطب وعلوم الأحياء والفلسفة صهراً كان نتاجه ما يستغلق فهمه إلا على الراغبين في تلك العلوم .

وطبيعي أن لا يخوض غمار هذا النوع الخاص من التأليف إلا ذو بسطة في

علوم الطب والأحياء والفلسفة والأدب ، وهذا لعمر الحق ما تحلى به زميلنا
 الفاضل الدكتور محمد صبحي أبو غنيمة مؤلف (نظرة في أعماق الإنسان) .
 وإني لأكبر عمله هذا أعظم الأكرار لتجشعه الكثير من الصعاب في سبيل
 تأليف هذا الكتاب الذي 'بعد حقاً' نسج وحده ، وقد خلت من أمثاله المكتبات
 العربية ونضب معين مصادر ما كان على شاكلته من المؤلفات ، بين أبناء لغة
 الضاد . وعلى ذلك رأينا المؤلف الفاضل مضطراً في جمع شتات مباحثه إلى أن
 يولي وجهه شطر المؤلفات الأجنبية وقد أربى عددها على المائة والعشرين معظمها
 من الألمانية وبعضها من الانكليزية والفرنسية في جانب النزر اليسير من المراجع
 العربية ، فضلاً عما وعته ذاكرته من آراء ومساجلات لأساتيده في جامعة براين
 إبان دراسته الطب فيها . وإلى جانب هذا الجهد الأدبي الذي لا يقوّم ،
 فقد بذل الزميل جهداً آخر مادياً ليس بالقليل لا لباس مؤلفه ما يستحقه من حلة
 قشبية بدا فيها بجودة طبعه وكثرة الأشكال والرواسم التي زين بها ناهيك
 بحسن تبويب بحوثه وتنسيقها وعنايته البادية في اللغة العربية وانتقاء الألفاظ
 والمصطلحات فيها .

وعندما طلب إلي أن أعرف بهذا الكتاب خلّطني في بادئ الأمر أستطيع
 أن أفيه حقه من التعريف بأهون سبيل ، بأن أكتفي بتصفحه وسرد ما فيه من
 عناوين ، وما إن حادت ذلك حتى رأيتني ملزماً بقراءة الكتاب لا قراءة
 'معرف' وناقد بل قراءة مستطلع ومستعلم ومستزيد من ألفه إلى بائه حينما أجد
 إلى ذلك سبيلاً ، مما أدى إلى التأخر في التعريف في الوقت المضروب فحقت
 المexcuse وأفدت من مطالعة الكتاب فتمت الفائدة .

يقدم المؤلف كتابه بقوله (يحاول أن يستعرض أمامك قصة الإنسان ،
 وقصة الإنسان كانت ولم تزال وستظل أعجب وأغرب قصة في هذا الوجود)

وبفتتح بحوث الكتاب بسرد مشا كل الطب في العصر الحاضر ، وإخفاق العلاج في كثير من الأدواء سارداً أقوال أساطين الطب المعاصرين في ما لا يزال إدراك حقيقته من العلل مستغلقاً ، باحثاً بحثاً مستفيضاً في خوارق الطب وأعاجيبه التي يصعب تعليلها تعليلاً علمياً مقنعاً مولياً وجهه شطر أثر العوامل النفسية في الأمراض والشفاء ثم البحث في أسباب الأمراض من داخلية وخارجية ، واضطراب تطور مواد الغذاء الرئيسية (الآحينات وماءات الكربون والأدهان وأشباهها والمعدنيات) وبلي ذلك البحث في النفس وما قبل عنها في القديم وما يقال في العصر الحالي مع البحث المدقق في آلية ظهور الأمراض والعلل ، والتعمق في جهاز الإثارة أو جهاز الطاقة الحياتية وقبول الإثارة وتطوراتها وأهدافها ثم المبنوزة (النوم المألوف) منتبهاً الى ذكر النكته وعملها الطبي . ويختتم المؤلف هذا الجزء الأول من هذه التحفة الفريدة بكلمة يقول فيها : بهذه النظرة أردت أن أؤدي قسطاً من واجبي العلمي والإنساني فأنتقل إلى قراء العربية أقوال العلماء المجتهدين في الطب عما يروونه في أعماق الإنسان من غرائب و « الفكر » التي تخاطر لهم فيها كما سجلت ما أوحته هذه الفكر من مفاهيم تصح في رأيي أن تتخذ كقواعد علمية فتعرف بها أسرار تلك الغرائب في أعماق الانسان . أما أقوال العلماء فقد أشرت الى مصادرها بالتفصيل وأما ما أستوحي منها فمعرض للبحث والتحصيص ورحم الله امرءاً أهدي إلي عيوبي . ومن الحق أن أؤكد بأن كل ما جاء في هذه النظرة سيظل جزءاً صغيراً من الكون الذي هو الانسان وبكفني وبكفي القاري في مثل هذه الحالة أن نتمثل بصادق قول حكيمنا العربي :

دواؤك فيك وما تبصر دواؤك منك وما تشعر

وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

هذا ولا بد من الإشارة الى لغة الكتاب التي قلت عنها في مطلع هذه الكلمة إنها سهلة وهي صحيحة درج المؤلف في اختيار المصطلحات والألفاظ على ما هو مألوف في كلية الطب من جامعة دمشق ، وجنح في بعضها الى التعريب ولكن عن طريق اللفظ في الألمانية حيث يغلب التعقيد والخروج عما هو شائع في اللغات الأجنبية الأخرى بينما المستحسن في هذا المصنف اختيار اللفظ الأهلون من إحدى اللغات ، كما ان بعض الألفاظ جاءت غير موحدة في بحوث الكتاب فقرأه يستعمل تارة الرئية وأخرى الروماتيزما وروماتيزما عن العلة الواحدة مما يوجب الالتباس على القارئ ، وكذلك لفظة التتاني فجاءت في بعض المواضع (الكزاز) وأخرى التكرز وترجم كلمة (Stress) تارة بجاذب نفسي وأخرى بانفعال وقد جاءت هذه الكلمة بـ (Effect) في موضع آخر ، وذكر الأزمة الصدرية (وقد يكون لهذه الكلمة دلالة خاصة في اللغة) عن الحالة المعروفة بالربو ، واستعمل الصرعة عوضاً عن الصرع ، وغير ذلك من الهنات الطفيفة التي لا تؤثر في جوهر الكتاب مع الأمل أن تصحح في طبعة ثانية .

وصفوة القول اني أهني الزميل الكريم على هذه التحفة الفريدة التي أتحف بها المكتبة العربية مع التطلع الى صدور الجزء الثاني لتتم الفائدة .

الدكتور حسني سبيع

أعلام

قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين

تأليف : خير الدين الزركلي

وهو في تسعة أجزاء ومستدوك يشتمل كل مجلد على نحو (٣٨٠) صفحة من القطع

الوسط . طبع الجزء الأول في مطبعة كوستانتينوس وشركاة بالقاهرة

سنة ١٩٥٤ وانتهى الجزء العاشر عام ١٩٥٩

أدت الطبعة الأولى من قاموس (الأعلام) التي صدرت بأجزائها الثلاثة قبل نيف وثلاثين سنة خدمات جليلة للباحثين والمطالعين ، وأجمع العاملون على أنه قد ملأ يومئذ فراغاً كبيراً ونقصاً شديداً في المكتبة العربية التي هي بحاجة الى معجم في صير الأفراد سهل المتال . وقد استقبلته الأوساط العلمية بلهفة ، وهملت له ، وقرظته بما يستحقه الكتاب ومؤلفه الأستاذ الزركلي من تقدير وإعجاب . ولو كان غير الأستاذ الزركلي لارتضى بما أحرزه من شهرة علمية ، ولطلب الراحة بعد العناء ، وقنع بالقدر الذي أداه لأمته ، وكفى نفسه نصب البحث والاستقراء ، وانصرف الى عالم الخيال ، ميدانه المفضل ، ميدان النظام والقريض ، وهو من فرسانه المجلين . ولكن أبت عليه همته ، إلا أن يتم شوطه ، ويدرك غايته ، فأضاف الى حسنته الأولى ماثرة جديدة خالدة ، بقصر عنها كل ثناء . فقد عاهد نفسه منذ أن اطلع على عورات طبعة الأعلام الأولى ونواقصها على أن يصلحها في طبعة ثانية ، وها هو يفي بعهده ويخرج لدنيا العرب الطبعة الثانية من قاموسه (الأعلام) ، وهي بالحقيقة تأليف جديد ، ارتقى من ثلاثة مجلدات الى عشرة مجلدات .

ومثل هذا السفر لا يحتاج الى تعريف وتقريظ ، فقد سبقته في الطبعة الأولى شهرته وعمت فائدته .

وأبرز ما في الطبعة الجديدة غزارة المادة ووفرة مصادرها ورسوم الرجال وخطوط المؤلفين ، فالكتاب من المصادر الخالدة التي كتب لها أن لا تبلى مع الزمن ، ودعامة راسخة في بنيان تاريخ العرب ، لارملة ولا حصة كما نعته مؤلفه حفظه الله وأمد بحياته .

الوطن العربي الاتجاه السيامي والملائح الاقتصادية تأليف الدكتور عزة النص

عدد صفحاته (٢٩٦) صفحة من قطع الوسط ، نشرته دار البيضة العربية لتأليف والترجمة والنشر بسورية ، وطبعته في مطبعة الجمهورية بدمشق عام ١٩٥٩

صدر حديثاً هذا الكتاب ، في أيام تتأجج في صدور العرب جذوة القومية العربية ، وتثور دنيا العرب لنصرتها وبعثها . قدم فيه مؤلفه الدكتور عزة النص للمكتبة العربية مادة دسمة عن أقطار شقيقة ، يجهل أخبارها عاتنا ، ولا تلم الخاصة إلا بالنذر البسير من أوضاعها . مع أنه لا تتم الألفة والمودة بين الأفراد ، ولا يجتمع شمل ذوي القرى والأخوة ، إلا بالعارف واللقاء ، وما ينطبق حكمه على الأفراد في بلد واحد ، يشمل أيضاً الجماعات في أقطار متعددة ، وإن اختلفت وسائلها . إن الفرد يملك أسبابها وهي طوع ارادته ، ولكنها تتمتع على الجماعات ولا بد لها من وسيط بينها يهديها السبيل ، إن الكتاب في هذه الحالة هو أفضل أداة للتعارف ، وله أبلغ الأثر في محادثة الجماهير ، وسيكون لهذا الكتاب رسالته ، وأثره الطيب في هذا التوجيه ، وهو خير وسيط . وقد أصاب المؤلف هدف غايته ، وأحسن فيه بسط قصة الأقطار العربية ، وسرد موجز تاريخها ، وعرض قضاياها السياسية والاقتصادية عرضاً موفقاً ، تلقفها من أصدق المصادر ، ليقدمها للقارئ العربي جرة سائقة بأمل أن تثير في نفسه نشوة ذكريات تالدة ، وتوقظ فيه عواطف حنانه الراقد ، فيصبو الى يوم التداني ، وحث الخطى لجمع شمل أبناء الأمة الواحدة .

وحبذا لو ضمن الدكتور كتابه هذا بحثاً عن جمهوريتنا العربية المتحدة ينتفع به بقية الأقطار العربية إنه لو فعل ذلك لثم البحث وانتظم العقد .

نشكر للمؤلف جهده ونكبر فيه علمه ودقة بحثه ، ونرجو لهذه الدراسات النتائج المتوخاة من نشرها ، وأن تقرب يوم جمع شمل العرب بما يعيد اليهم عهدهم الزاهر ويحيي مجددم الباهر .

العرب والإسلام

في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط

تأليف الدكتور عمر فروخ

في (٢٠٦) صفحة من قطع الوسط ، نشره المكتب التجاري

وطبعة بمطبعة دار الكتب ببيروت سنة ١٩٥٩

يتجلى الوعي القومي عند الأمم في مبلغ انتاجها الثقافي والمادي ، فها مقياس نهضتها وسلامة وعيها ، وتبشر في البلاد العربية هاتان الناحيتان بمستقبل زاهر ، يثلج الصدور ، وتطمئن له القلوب ، فقد تجارت النهضة في سيرهما قدماً ، دون أن تطفئ الواحدة على الأخرى ، مما جعلنا نؤمن أن وعينا القومي أصبح حقيقة ملموسة ، وأنه سالك السبيل القويم ، على أسس راسخة قوية ، وإن عربي اليوم يتطلع الى مستقبله مستلهماً ماضيه في بناء حاضره ، وما أكثر الشواهد على صحة قولنا ، فإنه في كل يوم يظهر كتاب مفيد ونسجع مباشرة مشاريع اقتصادية وتطورات اجتماعية ، وما هذا الكتاب الا من هذه الشواهد .

وقد شاء زميلنا الدكتور المؤلف أن يوصل في كتابه ما انفصم بين السلف والخلف ، مذكراً بني قومه بأبجاء الغيرة ، وما حققوه من إبداع في بناء الحضارة الإنسانية ، لعلمهم بدركون ما فات وبلحقون بركب هذا العصر الذي تخلفوا عنه ، أو كما قال في مقدمة كتابه : « وتظل الأمة حية مادام أبنائها يشعرون أنهم متصلون بأسلافهم اتصالاً واضحاً » ، وما داموا يؤدون رسالة أمتهم تأدية توافق حاجاتهم المتطورة مع الزمن ، وتحفظ عليهم مثلهم العليا سليحة بارزة ويجعل من تراثهم الروحي نطقاً يحمي وحدتهم ويسدد خطواتهم » . ويحذرهم من مغية التهاون خوفاً عليهم من : « أن ينتهي بهم الأمر إلى أن يذوبوا في من حولهم ، فننقرض دولتهم ، وتزول حضارتهم ، ويخلو موكب التاريخ من أمتهم ، ومن اسم أمتهم » .

وبدل على موضوع الكتاب عنوانه ، فقد بحث فيه المؤلف فتوحات العرب

والإسلام في القرن الأول من الهجرة ونصف الثاني لبلاد المغرب والأندلس ، وزحف جيوشهم إلى أواسط حتى بلغوا أبواب مدينتي ليون وباريس ، فخلد المؤلف فيه أروع صفحات التاريخ العربي ، وخلص للقارئ في مجلد واحد ما جمته المجلدات عن هذه المعجزات .

وأستطيع التزميل الكريم الاذن بإبداء ملاحظات بسيطة على ما جاء في الصفحة (١٢) عند قوله : (جاء الأتراك العثمانيون الى الشرق الأدنى في القرن الرابع ٥٠) صوابه حذف كلمة (العثمانيون) لأن نسبة الأتراك لبني عثمان بدأت في القرن الثامن من الهجرة . وجاء في الصفحة (٢٣) : « ومن أعجب الآثار بها الصنم المنسوب الى هذه الجزيرة » وقد علق المؤلف في الحاشية : « ويقصد جزيرة الأندلس » والأصح انه قصد جزيرة رودس التي اشتهرت بصنمها أحد عجائب الدنيا السبع ، وورد خطأ في ص (١١٠) عام ٨١٧ وصوابه ٧١٨ .
فنشكر للدكتور المؤلف جهده وحسن صنيعه ، ونرجو له دوام التوفيق في خدمة الثقافة العربية .

بعضر الحسني

ديوان ابن الخطاط

« من مطبوعات المجمع العلمي العربي وتحقيق رئيسه

العلامة خليل مردم بك »

صنّف رئيس المجمع الجليل مجموعة من سير الأدباء ، وحقق طائفة من دواوين شعراء الشام المشاهير ، عدّ عن آثاره الأدبية ، ومقالاته القيمة ، ودراساته الممتعة ، وتبعاته الفاضلة .

وقد أخرج في هذا الصنف رابع تلکم المجموعة النفيسة وهي ديوان ابن الخطاط أبي عبد الله ، أحمد بن محمد بن علي بن يحيى بن صدقة التغلبي ، الشاعر ، المتوفى سنة ٥١٧ هـ .

وقد قدم بين يدي الديوان تصديراً فآخرأ قوامه ٤٨ صفحة ، استودعه دراسة

عصر الشاعر وترجمته ، وفصل القول في أسرته وسيرته وعلمه وأدبه وأخلاقه وصفته .
ثم ألحق بها دراسة انتقادية ثمينة لشعره ، أحاطت بأطراف النقد ، واستوعبت
أنواع الدقة ، وجمعت فنون التحقيق .

وقد اتخذ في تلك الدراسة الرائعة نهجاً محكماً ، أرجو أن يوفق الأدباء
إلى سلوك جَدِّه ، واتِّباع سنَّه ، والافتداء بهداه . ولعلَّ مباحثه الممتعة في
شعره (ص ٢٢ - ٣٠) ^(١) من أحسن فصول النقد في تاريخ الآداب العربية
اليوم ، بله فصل لفته (ص ٣١ - ٣٩) ^(٢) ، فأنه دراسة لغوية سديدة ،
ومبحث اشتقاقي أصيل ، ومادة علمية مذكورة ، يعترز بها مؤرخو اللغة ، وكتاب
المعجم العربي التاريخي ^(٣) .

والديوان ١٥٢ قصيدة ومقطعة ؛ عدتها ٣٣٠٠ بيت . وقد عارضه بثاني
نسخ خطية عميقة (زد عليها طبعة النجف) وفَسَّر ألفاظه ، وترجم أعلامه ؛
معتدلاً على ٣٨ مرجعاً ؛ من أصول التاريخ والأدب واللغة الخطية والمطبوعة .
وذبله بأربعة فهراس : للمراجع والأعلام والبلدان والامكنة والقوافي .
أهنيُّ الأدب العربي بهذه الطبعة الجديدة ، وذبياك المجهود المنفيس ، وأبارك
للمجمع العلمي العربي في آثاره الباقية ، ورئيسه العلامة المحقق .

الدركتور حسين علي محفوظ

(١) درس فيها خصائص شعره ، وأثر أبي تمام والبحتري والمنيني وابن حيَّوس فيه .
وذكر قوة طبعه ، وكثرة ارتجاله ، وعذوبة ألفاظه ، وصحة معانيه ، مع الإشارة
إلى فنون شعره ، وأنه أول من قال الشعر في الحروب الصليبية ، ثم وازن
بينه وبين شعراء عصره ، وعيَّن منزلته منهم .

(٢) درس فيها الألفاظ التي أغري الشاعر باستعمالها ، وبيَّن أخذها بالرخس ، وتساهله
في تمدي الحدود القوية ، وغوَّزه في الاشتقاق ، وصوغ المشتقات ، والتوسع
في القياس . وقد حاسب الشاعر في مواطن كثيرة مجال القول فيها ذو سمة .
وكل الظن أنه أراد تزئيه صاحبه من كل ما يخالف المعروف .

(٣) لقد استخرج بعض ألفاظه مثل : روض ، الهناء ، أغل / جمع أفلة ، الخراد /
جمع خريدة ، المُنْدَل ، الأخص ، الأقص / جمع قبص ، النضاج ، فتوك ،
سحور ، نشير / أي منشور ، عطر ، فراد ، استفوس ، استخوس ، استرفس ،
استنزر ، استنزع ، استنشد . وأشار إلى شواهد ذلك كلّها .

المنظمات الاقتصادية الدولية

محاضرات في ٢٠٤ صفحات ألقاها الدكتور جابر جاد عبد الرحمن على قسم من
طلبة معهد الدراسات العربية العالية في القاهرة

مما لا ريب فيه أن محاضرات الدكتور جابر التي تلخص فيها المعاهدات والاتفاقات
الاقتصادية الدولية قد جاءت جامعة ومفيدة ، كيف لا وقد استعان بأكثر
من ٢٤ كتاباً قيماً في هذا الموضوع لتكون مرضية .

وقد قدم الدكتور محاضراته يبحث عن التنظيم الاقتصادي ، وعما ينبغي
أن تكون عليه -هيئة الإنتاج - وأي نوع من السلع التي يجب إنتاجها ،
وكيفية التوفيق بين عوامل الإنتاج وعماله ، وفي توزيع السلع بين الأفراد ،
وتحديد الأثمان ، وإعطاء كل شخص حاجته ، وبين أن الغربيين قد قالوا
بضرورة التنظيم الاقتصادي الدولي ، لأن القيم المشتركة التي تعتنقها الشعوب
هناك ، جعلها تقوم في إيجاد أنظمة للتعاون في العمل ، ومنظمات اقتصادية
دولية ، في شتى المجالات الاقتصادية .

وقد استعرض الدكتور في محاضراته : التعاون الدولي بين المصارف المركزية ،
وبين المنتجين وبين المستهلكين ، والاتحادات العامة الدولية ، وذلك في القرنين :
التاسع عشر والعشرين ، وبين الأعمال الضرورية عند ظهور حالة العجز في
الميزان التجاري ، ومركز انكسار المال الدائنة آتتذ ، وأهمية البنك الاحتياطي
الأمريكي ، واتحاد النقد اللاتيني والاسكندنباني ، وزوال ذلك الاتحاد ،
ثم بحث مؤتمر بروكسل (عام ١٩٢٠) بتأسيس البنوك المركزية وأعضائها ،
والتعاون بين المنتجين ، والترصت والكارتل التجاري ، مع العلم ان ذلك الكارتل الذي
ساهم في الاستقرار الاقتصادي ، وكان لصالح المنتجين الأمر الذي جعل التكتلات
بين المستهلكين والجمعيات التعاونية تظهر لعالم الوجود ، وذلك بين ١٨٩٥ - ١٩٤٦ .

وبين أيضاً اتحاد المواصلات الدولية ، وظهور اتفاقات تنظيم الاتحاد العام للبريد (١٨٧٥) واتحاد النقد الدولي (١٨٧٨) والنقل الجوي والسيارات والقياس المتري ، والتعريفات الدولية ، (١٨٩٠) .

وما يجزئه : بنك التسويات الدولية (١٩٢٩) ومشروع كينز ، وغرفة التجارة الدولية (١٩٢٠) والتدخل الحكومي في الحقل الاقتصادي فيما بين الحربين العالميتين ، والمقاصة الدولية .

ويبحث أيضاً مشروع هابت (١٩٤٣/٤/٥) بإنشاء صندوق نقد دولي لتثبيت النقد العالمي وهذا الصندوق كان ضرورياً ولا ريب ، رغم أنه ترك الحرية للدول بتحديد أسعار نقدها .

ويبحث اتفاقية بريتون وودز (١٩٤٤) التي تقول بإنشاء صندوق دولي برأسمال ٨٠٨ مليارات دولار على أن تدفع كل دولة حصتها ، وما هي أهداف ذلك الصندوق . ويبحث مشروع بنك الانشاء والتعمير الذي بدأ أعماله عام ١٩٤٦ برأسمال ١٠ مليارات دولار دفعتها الدول المشتركة فيه ، بنسبة قوتها ، وأوضح أهداف ذلك البنك ، ولكن الدكتور المحاضر لم يبين أن هذا البنك الذي ساهم فيه جل البلاد العربية ، من هي الدول التي استفادت منه ، وما هي حصة الدول العربية منه ؟ ان هذا البنك قد أقرض حتى اليوم ٣٠٤٠٠ مليون دولار ، لم ينل منها من الحكومات العربية سوى العراق إذ أقرض ستة ملايين و ٢٩٤ ألف دولار ، ولبنان الذي أقرض ٢٧ مليون دولار ، وهذا دليل كبير على أن هذا البنك كان مسيراً من قبل الدول الكبيرة الاستعمارية ، لذلك لم يكن لصالح العرب . ويبحث أيضاً ميثاق هافانا (١٩٤٨) وأغراضه في تنظيم التجارة ، والاتفاق على التعريفات (وكانت حكومتا سورية ولبنان من الأعضاء ، ثم انسجبتا منه (١٩٥١) ان هذا الاتفاق لم يحقق للجماعة الدولية ما ترجوه من المثل العليا . ويبحث مشروع مارشال الذي وضعه وزير الخارجية الأمريكية الجنرال مارشال في خطابه يوم ١٩٤٧/٦/٥ للانعاش الأوروبي .

ويبحث مشروع شومان وزير خارجية فرنسا، الذي ظهر في معاهدة ١٩٥١ / ٣ / ١٩
والذي يهدف إلى إيجاد سوق واحدة للحديد والصلب والفحم، ومشروع المجلس
الأوروبي الذي وقع عليه في أيار سنة ١٩٤٩، كما يبحث المجلس الاقتصادي
والاجتماعي (من قبل الأمم المتحدة) ومنظمة الأمم المتحدة للغذاء والزراعة،
ومنظمة الطيران المدني الدولية، والمنظمة البحرية، ومنظمة الصحة العالمية،
ومنظمة الأمم المتحدة للتعليم والثقافة (اليونسكو).

وقد وفق الدكتور في عرضه لتلك الاتفاقات والمعاهدات، التي ينبغي للمرء
الاطلاع عليها، لأنها جديرة بذلك، بيد أني كنت أتمنى من حضرة الدكتور
المحاضر، أن يبين رأيه بوضوح عن الغاية من تلك الاتفاقات والمعاهدات الغربية،
لأن جلها كان لمصلحة الدول الكبيرة، وخاصة الولايات المتحدة التي تربد
تقوية اقتصادياتها، وإيجاد عمال وأصدقاء وأسواق لها في العالم، ومقاومة الشيوعية
كي تعتمد عن العالم الأوروبي والآسيوي، وكان معظم هذه الاتفاقات يرمي
إلى تقوية المستعمر، دون النظر إلى الحكومات والشعوب الضعيفة، والأمة العربية،
حتى إن منظمة الأمم المتحدة (اليونسكو) التي من أهدافها احترام العدل والقانون
وحقوق الأفراد والحريات الأساسية، كانت رأت ولا تزال ترى بعض الحكومات
الغربية تتهاجم أقطاراً من البلاد العربية، وتدفع بعض أفراد في البلاد العربية
للعبث بحقوق وحريات الأمة العربية، وببيلة السياسة الوطنية هناك، كما إن
منظمة الصحة العالمية، لم تعمل عملاً يذكر لحماية الأمة العربية من نكبات
الأمراض والأوبئة السارية، التي حملها الحكم الشمولي والغربي الاستعماري إلى بلادها.
وكم كان جميلاً لو أن الدكتور المحاضر نوه في ختام محاضراته عن ضرورة
تعاون الحكومات العربية اقتصادياً وسياسياً، بعد أن استعرض تلك الاتفاقات الدولية
التي ولدت السوق الأوروبية الاقتصادية تلك السوق التي هي ضربة على اقتصاديات
وسياسة العرب، على أن ذلك لا ينقص من قيمة محاضراته الهامة وجهوده في وضعها.

منير الشريف

م (١٠)

آراء وأبناء



المرحوم الدكتور منصور فهمي
(١٨٨٦ - ١٩٥٩)

وفاة الدكتور منصور فهمي

في السادس والعشرين من آذار « مارس » سنة ١٩٥٩ فقدت مصر ، بل فقد الوطن العربي ، علماً من أعلام الفكر ، ورائداً من رواد النهضة الحديثة ، وهو الدكتور منصور فهمي . لقد كان رحمه الله فيلسوفاً عميق التفكير ، وأديباً مرهف الحس والشعور ، وباحثاً واسع الاطلاع على تراث السلف الأدبي والفلسفي ، وعلى وسائل النهضة الأوروبية الحديثة ، وداعياً من دعاة الإيمان بالله ، وحب الوطن ، وطلب العلم ، والإصلاح الاجتماعي ، والتحلي بالأخلاق الفاضلة . ولا يجيل أحد من أديباء الجيل الحاضر تلك الشخصية الفذة التي مثلت أجمل تمثيل جانب النبل والمروءة والصلاح والخير في جيلها .

كان الفقيد ينسب الى آل البقلي وهي أسرة مصرية قديمة تنتمي الى أسرة نصر الدين بأسويوط . والمعروف أن أصولها مغربية من تلمسان والساقية الحمراء ، ووالد الفقيد علي فهمي البقلي ، وجده عبد العال فهمي البقلي .

ولد الفقيد سنة ١٨٨٦ م في بلدة طلخا التابعة لمديرية المنصورة من أعمال مصر ، ودرس الدراسة الثانوية في المنصورة وفي مدرسة فرنسية في القاهرة . وفي سنة ١٩٠٦ حصل على شهادة الدراسة الثانوية ودخل مدرسة الحقوق في مصر . وعندما أنشئت الجامعة المصرية الأهلية أوفدته سنة ١٩٠٨ ، هو ورفاقاً له ، في أول بعثة مدرسية الى فرنسا ، ليتلقوا دروساً عالية في مختلف العلوم ، وليكونوا مدرسين في الجامعة بعد عودتهم الى وطنهم .

وكان نصب الفقيد الفلسفة فأنكب على دراستها . ولم يكتف بها ، بل درس أيضاً علوم الفسيولوجية والأجنسة والجغرافية الطبيعية ، فحصل في سنة ١٩١٣ من جامعة باريس على اللبسان في العلوم ، فضلاً عن الدكتوراه في الفلسفة .

ومنذ ذلك الزمن برز ميله الى الإصلاح الاجتماعي في وطنه ، فكان موضوع رسالته الفرنسية للحصول على لقب دكتور في الفلسفة « المرأة في تاريخ الإسلام » . وقد 'عد ما اشتملت عليه الرسالة تطرفاً في الرأي في تلك الأيام ، فحبل بينه وبين التدريس في الجامعة مدة من الزمن .

ولكن سرعان ما تجلت حزاياه وآراؤه الإصلاحية النيرة في مقالاته الأدبية والاجتماعية التي كان ينشرها في الصحف ، فدُعي الى التدريس في مدرسة المعلمين العليا ، ثم عُين سنة ١٩٢٧ أستاذاً للفلسفة في كلية الآداب بالجامعة . وتدرج من الأستاذية فكان وكيلاً للكلية سنة ١٩٣٣ ، ثم كان عميداً لها . وفي سنة ١٩٣٦ عُين مديراً لدار الكتب المصرية . وفي أواخر سنة ١٩٤٤ كان مديراً لجامعة الإسكندرية .

أما مجمع اللغة العربية فقد عُين فيه عضواً منذ تأسيسه سنة ١٩٣٣ . ولما أوجد في المجمع المذكور منصب كاتب السر « الأمين العام » انتخبه المجمعيون لهذا المنصب ، فظل يضطلع بأعماله الى حين وفاته ، وكلما انتهت مدة عمله فيه جددوا انتخابه مرة بعد مرة .

ولم يؤلف الفقيد كثيراً من الكتب . ولكن سيرته في الإصلاح طيلة حياته كانت كلها سفرأً كبيراً . ولو جمعت مقالاته في مختلف الجرائد والمجلات العربية ، وخطبه في النوادي العامة ، ومجونه التي ألغاه في مجمع اللغة العربية لتألف منها كتب ثمينة .

وما طُبع له ترجمة رواية « هرمان ودوروتيا » وهي للشاعر الألماني غوته ، وبضع رسائل اجتماعية منها « الضعف الخلقى وأثره في حياتنا الاجتماعية » ، ومنها « أوقات الفراغ كيف نستثمرها » الخ .

وكتابه المطبوعان اللذان اشتهرا لدى الأدباء هما « خطرات نفس » و « مي زيادة » مع رائدات النهضة النسائية الحديثة « ومن عائشة التيمورية ووردة اليازجي وملك حنفي ناصف الملقبة بباحثة البادية .

فالكتاب الأول مجموعة من المقالات في أخلاقنا ، وتأملات في نواحي حياتنا الاجتماعية . وقد تميز فيها الفقيد بسلاسة التعبير ، ودقة التصوير ، وضبط دلالة الألفاظ على معانيها ، وتركيز تلك المعاني ، وبذلك 'عد في جملة الرواد من الكتاب الذين أحلوا المقالة مكانها المرموق في عصرنا الحاضر .

أما الكتاب الثاني فما من أدب قرأه إلا وقال فيه إنه يحتوي على بيان رائع ، وتصوير جميل ، وتحليل فلسفي دقيق لحياة رائدات النهضة النسوية الحديثة ، وللمجتمع الزمن الذي عشن فيه .

وسيرة الفقيد - على ما ذكرت - هي التي كانت للجيل الحاضر أجمل كتاب . فقد قضى عمره داعياً الى الاستمساك بما عندنا من عادات وتقاليد حسنة ، وبما في الدين من وصايا خلقية ثمينة ، حتى عده بعضهم من المتزمطين أو الجامدين ، على حين أنه لم يكن عدواً للتجديد ، بل كان عدواً لترك الصالح من مقوماتنا القومية ، ولفكرة اقتباس الصالح والطالح من المدنية الغربية من غير تمييز .

أقام فلسفته على مبدأ الخير والشر ، ونفذ الى نواحي المجتمع ، فنجحت دعوته الدينية القومية في جمعية الشبان المسلمين ، ودعوته الإنسانية في جمعية الهلال الأحمر وغيرها من الجمعيات الخيرية ؛ وبرز نشاطه الاجتماعي في جمعية الإصلاح الاجتماعي ، ونشاطه العلمي والأدبي والفلسفي في جامعة القاهرة وجامعة الإسكندرية ودار الكتب المصرية ومعهد الدراسات العربية العالية . أما في مجمع اللغة العربية فأعضاء ذلك المجمع يعرفون أن الدكتور منصور فهمي ، وإن لم يكن لغوياً ، قد خلف الشيخ أحمد السكندري رحمه الله في كرهه للإكثار من تعريب

المصطلحات الأنجمية ، وأنه كان يرى عدم اللجوء الى تعريب ألفاظ المعاني خاصة إلا بعد اليأس من العثور على ألفاظ عربية تقابلها في مجامعنا القديمة وفي كتب السلف العلمية والأدبية ، أو بعد العجز التام عن إيجاد ألفاظ عربية لأدنى ملائمة بوسائل الاشتقاق أو المجاز أو التضمين أو التخت .

ولطالما سمعته في جلسات مجلس المجمع أو مؤتمره يجادل أنصار الإكثار من تعريب المصطلحات العلمية ، ويقول لهم إن اللفظ العربي له جاذبته الخاصة عند أبناء العروبة لأسباب وراثية ، ولأنه يشير في نفوسهم معاني وصوراً يعجز اللفظ الأنجمي المعرب عن إثارتها .

ولا يعرف إلا قلة من أبناء الوطن العربي أن الفقيد كان يؤمن مثلنا بعقيدة القومية العربية ، وأنه من المصريين الأوائل الذين كانوا يتجادلون هم والعاملون في شؤون تلك القومية ، ويفتخون لهم صدورهم ودورهم في الأزمات السياسية . والعرب الذين كانوا يلجأون الى مصر فراراً من ظلم الدول الاستعمارية في بلادهم كانوا يعرفون حذب الدكتور منصور فهمي على قضيتهم ، وتردده على جمياتهم ، ومشاركته لهم في مرائهم وفي ضرائهم .

رحم الله الفقيد وجزاء عن العرب وثقافتهم ولغتهم وقوميتهم جزاء العاملين المخلصين .

مصطفى السرايبي

الدراسات العربية في الاتحاد السوفياتي^(١)

موضوع الدراسات العربية في الاتحاد السوفياتي موضوع كبير لا يمكن استيعابه في حديث واحد ، وذلك لأن الدراسات العربية تؤلف جزءاً من علم واسع معروف بعلم الاستشراق ؛ والشرق العربي كان منذ قرون ممتداً من البحر الأطلنطي غرباً إلى الصين شرقاً .

وإذا أردنا التحدث عن الدراسات العربية بالتفصيل كان لا بد من أن نشرح تاريخ فرع كامل من فروع العلم في بلادنا ، وأنا عاجز عن أداء هذه الوظيفة . أما نشوء الدراسات العربية بمعناها العلمي في روسيا فهو يرجع إلى بداية القرن التاسع عشر ، عندما أصبحت اللغة العربية تُدرّس في جامعات خاركوف وقازان وموسكو وبطرسبورغ . ومن بين أبرز العلماء الذين بدأوا الأبحاث العربية العلمية في روسيا في ذلك الحين نذكر المجمعي فرين (١٧٨٢ - ١٨٥١) أستاذ اللغة العربية في جامعة قزان أولاً ، ثم بجامعة بطرسبورغ ، وهو مؤسس المتحف الآسيوي المشهور في بطرسبورغ ، حيث قام بصورة منظمة وعلى أساس علمي بدراسة المخطوطات العربية . ونذكر أيضاً الأستاذ بولدиров ، كان أستاذ اللغات الشرقية بجامعة موسكو من سنة ١٨١١ إلى سنة ١٨٤٢ . وقد أصدر بولدиров أول كتاب علمي لدراسة الفحو العربي باللغة الروسية ، وأول كتاب منتخبات من الأدب العربي مصحوب بمعجم عربي روسي .

وقد كان المستشرقون ، منذ نشوء الدراسات العربية في روسيا ، لا يقتصرّون على البحث العلمي أو التعليم في الجامعات ، بل كانوا أيضاً يعملون على إطلاع

(١) حديث للمستشرق الروسي الأستاذ عبد الرحمن سلطانوف مدير القسم العربي في معهد الدراسات الشرقية في موسكو . ألقاه في جمعية تعزيز التبادل الثقافي بين سورية والاتحاد السوفياتي .

المجتمع الروسي على الثقافة العربية . فقد قام بولديريف وتلاميذه بترجمة بعض القصائد والأقاصيص العربية الى اللغة الروسية ، واشتهر بهذا النشاط بوجه خاص أستاذ اللغات الشرقية في « بطرسبورغ » الصحفي الروسي المعروف يوسف سينكوفسكي . وقد كان ينشر مقالات في الأدب العربي ، منها مقال رائع في الشعر الجاهلي لم يفقد قيمته العلمية حتى الآن . كما كان ينشر بعض الأقاصيص فيبستقي موضوعاتها من الأقاصيص العربية .

وفي أواخر القرن التاسع عشر بلغت الدراسات العربية ، كسائر الدراسات الشرقية في روسيا ، مستوى مرتفعاً جداً . وكان يتقدم العلماء المستعربين في ذلك العهد الأستاذ غيرغاس والمجمعي روزين . أما غيرغاس فقد تخرج من جامعة « بطرسبورغ » ، وقضى ثلاث سنوات في سورية ولبنان وفلسطين ومصر . وبعد رجوعه إلى روسيا تولى تدريس اللغة العربية ، ووضع عدداً من الأنبحاث العلمية ، ومعجماً عربياً روسياً ، وكتاباً في تاريخ الأدب العربي ، وكتاباً آخر في تاريخ الدراسات النحوية عند العرب . وفي هذا الكتاب انتقد غيرغاس بعض النواقص الموجودة في الطريقة المعقدة التي اتبعها العرب في شرح قواعد اللغة ، تلك النواقص التي يشكو منها اللغويون العرب المعاصرون حتى اليوم ؛ وذلك إلى جانب تقدير كل ما يوجد في كتب اللغويين العرب القدماء من محاسن .

وأما المجمعي روزين فقد برّز في مضمار دراسة المخطوطات العربية . وله يد بيضاء في تربية جيل من المستشرقين وبينهم تلاميذه المجمعي كراتشكوفسكي . وفي بداية القرن العشرين كانت الثقافة العربية تُدرس في عدة مراكز علمية في روسيا . وكان بين كبار العلماء الذين اشتغلوا بالدراسات العربية الأستاذ قريمسكي والأستاذ كراتشكوفسكي .

وفي العهد السوفياتي اتسعت الدراسات الشرقية في بلادنا إلى حد كبير . ونشأت في ليننغراد مدرسة استشراف فيلولوجية مشهورة كان يشرف على الدراسات العربية فيها الأستاذ العلامة اغناطيوس كراتشكوفسكي المشهور .

لقد وضع الأستاذ كراتشكوفسكي حوالي (٥٠٠) بحث علمي في الأدب العربي القديم والحديث ، وفي العلم العربي والفكر العربي . وكان من أهم خدماته في قضية دراسة الثقافة العربية أنه كان أول من جعل الأدب العربي الحديث موضع الدراسات العلمية ، بينما كان المستشرقون في أوربة الغربية لا يهتمون إلا بالأدب العربي القديم .

وبعد وفاة كراتشكوفسكي (في كانون الثاني سنة ١٩٥١) ، قرر المجمع العلمي السوفياتي إصدار مجموعة مؤلفاته . وقد جاء هذا القرار دليلاً على مبلغ احترام الشعب السوفياتي لثقافة العرب التي وقف الأستاذ كراتشكوفسكي حياته على دراستها وإطلاع الشعب عليها . وتتألف هذه المجموعة من ستة مجلدات صدر منها حتى الآن ثلاثة ، يحتوي الأول منها ذكريات كراتشكوفسكي عن خطواته الأولى في طريق دراسة الثقافة العربية ، وعن زيارته لسورية ومصر ، كما يحتوي مقالاته عن اللغة العربية . ويتضمن المجلد الثاني أبحاث هذا العالم في الأدب العربي القديم ، ويتضمن المجلد الثالث أبحاثه في الأدب العربي الحديث . وسيصدر عما قريب المجلد الرابع وفيه جمعت أبحاث الأستاذ كراتشكوفسكي في الأدب العربي الجغرافي ، كما سيحتوي المجلد الخامس على مقالاته في تاريخ الدراسات العربية في روسيا ، والسادس على ترجمة كتاب ابن المعتز (في الشعر العربي) ؟ وعلى وصف كراتشكوفسكي للمخطوطات العربية في مكتبات الاتحاد السوفياتي . وعن يجدر ذكره بين العلماء الذين عملوا في ليننغراد الأستاذ بوشمانوف المتخصص في اللغات السامية والأفريقية ؛ وقد وضع عدة أبحاث في اللغة العربية

قيمة للغاية ، وكذلك الأستاذ فيلبنشك الذي عمل على وضع معجم عربي رومي خاص باللهجة السورية . وقد بذل في هذا السبيل جهوداً تستحق الإعجاب ، ولا سيما إذا علمنا أنه كان مصاباً بالصمم . وقد توفي كلا هذين الأستاذين بعيد الحرب العالمية الثانية .

وفي أثناء الحرب الأخيرة توفي مستشرق رومي كبير آخر عاش في السنوات الأخيرة من حياته في أوكرانيا ، ونعني به الجمعي فريمسكي ، الذي زار سورية خلال السنوات ١٨٩١ - ١٨٩٨ ، وفي المرحلة الأولى من نشاطه العلمي أصدر سلسلة من الكتب للطلبة والمستشرقين ، منها (تاريخ الإسلام) وكتابات (اللغات السامية) و (تاريخ العرب) و (تاريخ الأدب الجاهلي) كما نشر عدداً كبيراً من المقالات عن الشرق في الموسوعات الروسية ، وتجدد الإشارة إلى أن فريمسكي قد أخذ قبيل الحرب العالمية الثانية بوضع كتاب ضخيم في عدة مجلدات في تاريخ الأدب العربي الحديث . ولو أتم فريمسكي بحثه هذا لكان أول كتاب من نوعه في الاستشراق العالمي ، ولكن الحرب حالت دون ذلك فلم ينجز إلا المجلد الأول من كتابه . وتتخذ الآن التدابير اللازمة لإصدار جميع مؤلفات هذا العالم .

وأما في وقتنا الحاضر فإنه توجد مراكز كثيرة للدراسات الشرقية والعربية في الاتحاد السوفياتي . فهناك معهد للدراسات الشرقية في موسكو وله فروع المستقلة في طاشقند وباكو وقزان وتبليسي (تفليس) وليننغراد حيث يتخصص العلماء بوجه خاص في دراسة اللغة والآداب والمخطوطات العربية . وقد قُدم في هذه المراكز في المدة الأخيرة ما يقرب من ثلاثين أطروحة علمية في شتى موضوعات الأدب والتاريخ العربيين .

وقد نشر الأستاذ ييلبايف فصلاً كاملاً عن تاريخ العرب في كتاب « تاريخ الشرق في القرون الوسطى وفي العهد الجديد » ، كما ترجم الأستاذ نفسه إلى

اللغة الروسية القسم المتعلق بتاريخ شعوب آسيا الوسطى من تاريخ الطبري . وقدم لهذه الترجمة بشرح مفصل لحياة الطبري ومؤلفاته العلمية .

وقد أعد الآن للنشر كتاب وضعه فريق من المستشرقين في معهد الدراسات الشرقية عن تاريخ الحركة الوطنية التحررية في البلاد العربية بعد الحرب العالمية الثانية .

ومنذ سنة صدر في موسكو كتاب « تاريخ الشرق الحديث » ، يحوي فصلاً عن تاريخ مصر وسورية ولبنان والعراق وسواها من الأقطار العربية من سنة ١٩١٢ إلى اليوم .

ونشر في طاشقند ترجمة (قانون الطب) لابن سينا . كما صدر في خاركوف بحث في كتاب رحلة ابن فضلان إلى روسيا في القرن التاسع . وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة الروسية الأستاذ كوفاليفسكي مع دراسة ضافية .

وفي هذه السنة ستصدر في موسكو الطبعة الثانية من المعجم العربي الرومي للأستاذ بارانوف من أستاذة جامعة موسكو . ويتميز هذا المعجم بدقة نقل المفردات والمصطلحات العربية إلى اللغة الروسية . وهو بعد حقاً خير مساعد في ترجمة النصوص الأدبية والاجتماعية والاقتصادية إلى الروسية .

وقد هيا القسم العربي لمعهد الدراسات الشرقية (دليل سورية) . وهو كتاب ضخم في خمس وعشرين ملزمة ، يتضمن معلومات مفصلة عن تاريخ سورية وثقافتها في العهد الجديد . وينشر هذا الكتاب في هذا العام إن شاء الله .

ويشترك المستشرقون عندنا في ترجمة نماذج من الأدب العربي الحديث إلى اللغة الروسية . وقد نشر باللغة الروسية حتى الآن بعض الروايات والقصص لأدباء العرب في مصر وسورية ولبنان والعراق ، بينها كتاب (الأيام) لطلح حسين الذي نقله إلى الروسية العلامة كرانسكوفسكي ، ورواية (عودة الروح) لتوفيق الحكيم .

وفي عام ١٩٥٥ صدرت مجموعة قصص اكتاب العرب تحتوي نماذج من قصص محمود تيمور ، وعبد الرحمن الخنيس ، وبوسف إدريس ، ومحمد صدقي ، وعبد الرحمن الشرفاوي ، ووصفي البني ، ومحمد إبراهيم دكروب ، وإميل بوسف عواد ، وعبد المسيح حداد ، ومواهب الكيالي ، وأحمد السيد ، وذو النون أبوب . ونشرت كذلك مجموعة قصص الأدباء المصريين كمحمود تيمور ، وعيسى عبيد ، وبنت الشاطئ ، والشرفاوي ، وبوسف جوهر ، وإدريس وسوام . . .

وفي سنة ١٩٥٦ نشر كتاب ينضمّن مؤلفات ولي الدين يكن وجبران خليل جبران وأمين الريحاني ومحمود تيمور وشحاتة عبيد وسلي صائغ وذو النون أبوب . وأعدت للنشر ترجمات بعض مؤلفات مواهب الكيالي وشوقي بغدادى ومخائيل نعيمة ومارون عبود وحنا مينة وفتح المدرس وسوام .

وكذلك نشر في العام الماضي في موسكو مجموعة تتضمن منتخبات من آثار الشعراء المصريين .

وفي معهد الدراسات الشرقية تصدر شهرياً عدة مجلات علمية ، منها (مجلة الاستشراق السوفياتي) ، و (الرسائل العلمية) ، و (أخبار معهد الدراسات الشرقية) . وعما قريب ستظهر مجلة جديدة اسمها (الشرق الحديث) .

ويوجه القسم العربي في المعهد في الوقت الحاضر اهتمامه الخاص إلى بحث عميق . ألا وهو (قضية الوحدة العربية) ، ويحاول دراسة العوامل التاريخية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية واللغوية التي تنطوي عليها هذه القضية العظمى .

عبد الرحمن سلطانوف

ديوان الحافظ محمد النجار

الشامي

دعاني الأديب المؤرخ الشيخ محمد باقر ألفت الاصفهاني إلى زيارة بلدة اصفهان ،
مدينة العجائب العامرة بالمدارس والمساجد والخزائن ؛ وقد لبثت في بيته عدة
أيام تصفحت في أثنائها خزانته الحافلة بالكتب الخطية والأعلاق العربية النفيسة .
وقد عملت لنفسي فهرست ما بهم من نواذر خزانته ، فأتاحت لي فهرست مخطوطاته
الاطلاع على طائفة كثيرة من المجموعات الأدبية المحفوظة بخزانته التي تعدّ
- والحق أقول - من الدخائر .

ومن تلك الكتب القيمة نسخة من ديوان الحافظ محمد الشهير بالنجار ؛ كما
عبر هو عن نفسه في الأرجوزة التي أنبتها في أواخر الديوان ، المسماة (أولوة
التزبه للرب التزبه عن التعطيل والتشبيه = نظم كتاب مقامات الأولياء للشيخ
عبد الوهاب الشعراني) قال :

قال الفقير حامل الأوزار محمد الشهير بالنجار

وقال - في نظم رموز كتاب الحصن الحصين التي اختارها ابن الجوزي :

قال الفقير الحافظ النجار محمد من مضمه الأوزار

طول أوراق النسخة ٢١٥٠ سنتيمتر في عرض ١٦٧ ، وجميع أوراقها
٢٤٣ وفي كل صفحة ٢٣ سطراً وهي مكتوبة في عصر الشاعر وربما كانت
نسخة الأصل (ظ) فقد أرخ الشاعر الحوادث إلى سنة ١١٧٣ هـ وفي أولها :
(دخل في ملك أقر الورى إليه سبحانه وتعالى السيد مصطفى بن السيد أحمد
خادم أبي الدرداء - رضي الله تعالى عنه - سنة ١١٧٥) . والصفحة الأولى

من الديوان [الورقة ١ ب] ييضاء فارغة لعل الشاعر اتوى كتابة خطبة
الديوان فيها ثم أدركه الموت ، وفي أواخر هذه الصفحة :

لما جحدت مودتي وتعرفي

وضلت في قصد السبيل المقرف

وغددتني ناديت بعد تلوفي

ونتمته في [الورقة ٢ أ] :

لله في عني بين المصحف وعلي كل ذنوب أهل الموقف

الـ . . . الخ

وهذا الديوان حافل بفوائد وحوادث كثيرة مستطرفة ؛ منها :

سنة ١١٥٤ وفاة الشيخ مصطفى المصري الحافظ شيخ القراء بدمشق

١١٥٥ وفاة موسى آغا بن الاردك

١١٥٦ تولية أسعد بشه (كذا - باشا) بن العظم على دمشق وأعمالها

١١٥٩ وفاة السيد محمد فنجي الدفتردار بأمر السلطان عصر نهار الأحد

منتصف جمادى الآخرة .

١١٦٧ تاريخ بناء خان الوزير أسعد باشا بن العظم

أواخر ١١٦٧ وفاة المجذوب الشالح الشيخ خليل الملقب بالبياض

١١٦٨ وفاة الشيخ محمد الداودي

« سنة ١١٧٠ اعشر خلون من شهر رمضان ، وقع شر بين طائفة الينكشارية

وطائفة القول . واستمر في دمشق الى آخر ربيع الثاني

سنة ١١٧١ »

١١٧١ ولي المولى السيد علي افندي المرادي وظيفة الافتاء بدمشق

١١٧٣ « في أوائل شهر ربيع الأول ، ليلة الثلاثاء منه ، قبل ليلة

المولد الشريف بثلاث ليال ، أو ما يقرب من ذلك ، في منتصف تلك الليلة

المذكورة ، جاء في دمشق ونواحيها زلزال هدم البنيان ، وأبتم ، وخرب المنارات ، وغادر المساجد ، والنواحي ، خرابا . . . سقطت أعالي منارة العروس ، وسادت منارة عيسى الأرض ، وسقطت قبة النسر ، وتهدم أعالي الجانب الشمالي من الجامع . . فأمر القاضي بالصيام ثلاثة أيام » .

وفي الديوان مدح لحامد أفندي العمادي شيخ الإسلام ، والوزير سليمان باشا بن العظم ، ويحيى آغا بن طالوا ، وأحمد باشا بن العظم .

ومن طرائفه أبيات « طلبها بعض الأصدقاء لتقرأ يوم ختم درس الحديث ، تحت قبة النسر ، في الجامع الأموي ، والمدرس إذ ذاك - شيخ مشايخنا ؛ علامة القطر الشامي . . الشيخ اسمعيل العجلوني » ، وأبيات قالها لما أكمل نسخ كتاب انسان العيون في سيرة الأمين والمأمون . واخر نظمها « اجابة لمطلب محمد جريجي القباني يشكر هدية نقيب أفندي السيد علي العجلاني - كتاب الكشكول » . وقد نظم بعض قواعد الرمم والنحو . وله مراسلات مع الشيخ عبد الله الحلبي .

الدكتور حسين علي محفوظ

أغلاط مطبعية

وقعت في هذا الجزء أغلاط مطبعية تصحح كما يلي :

الصفحة	الخطأ	الصواب
٤٢٥	أصايجع	أصامع
٤٢٦	من كل فج	في كل فج
٤٢٧	لم يفتحهم	لم يفتحهم
٤٢٧	لو كاد	لو كان

فهرس الجزء الثالث من المجلد الرابع والثلاثين

صفحة

للأستاذ شفيق جبري	٣٨٥	ثلاث رحلات
للدكتور عبد الرحمن الكيالي	٣٩٣	ثقافة الأطباء عند العرب (١)
للطهران غرينفوريوس بولس بهنام	٤٠٩	العلاقات الجوهرية بين اللغتين العربية والآرامية « السريانية » (٤)
للأستاذ شفيق جبري	٤٢٥	بطولات العرب (قصيدة)
للأستاذ مازن المبارك	٤٣١	الترجاعي : حياته وآثاره (٢)
للأستاذ أبو محفوظ الكريم معصوي	٤٤٧	كتاب شرح الألفات (٢)
للدكتور حسني سبع	٤٦٢	نظرة في معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات (٣)
للدكتور صالح الأشر	٤٧٩	عقائدات مما لم ينشر من شعر البحري (٣)
للدكتور محمد صغير حسن المعصومي	٤٩٠	كتاب النفس لابن باجة الأندلسي (٧)

التعريف والنقد

للأستاذ مصطفى الشهابي	٥٠٧	قضايا الذكور في الأدب المعاصر
للأستاذ محمد بهجة البيطار	٥٠٨	وجوب التعاون بين الملمين
	٥٠٩	١- توضيح الكافية الشافية ٢- الحق الواضح المبين
	٥١٢	كتاب البحر الزخار
	٥١٥	فتح الفتار
للأستاذ حسني سبع	٥١٨	نظرة في أعماق الإنسان
للأستاذ جعفر الحمني	٥٢٢	أعلام (لزركلي)
	٥٢٣	الوطن العربي
	٥٢٤	العرب والإسلام
للأستاذ حسين علي محفوظ	٥٢٥	ديوان ابن الخطاط
للأستاذ منير الشريف	٥٢٧	المنظمات الاقتصادية الدولية

آراء وأنباء

للأستاذ مصطفى الشهابي	٥٣٠	الرحوم الدكتور منصور فهمي
للأستاذ عبد الرحمن سلطانوف	٥٣٥	الدراسات العربية في الاتحاد السوفياتي
للأستاذ حسين علي محفوظ	٥٤١	ديوان الحافظ محمد النجار الشامي
	٥٤٣	أغلاط مطبئية

مجلة المجمع العلمي العربي

١ تشرين الأول سنة ١٩٥٩ م ٢٩ ربيع الأول سنة ١٣٧٩ هـ

مَدَى النَّحْتِ

في اللغة العربية

توطئة :

من المعروف أن النحت في لغتنا الضادبة النَّشْرُ والقَشْرُ والبَرْقُ .
يقال نَحَتَ الخشبَ والحجارة إذا يراها . ومن المعروف أيضاً أن النحت في
الاصطلاح انتزاع كلمة من كلمتين أو أكثر ، على أن يكون تناسب في
اللفظ والمعنى بين المنحوت والمنحوت منه . وقد نحت القدماء من (الجملة) فاشتهر
من منحوتاتهم قولهم حَمْدَلٌ حَمْدَلَةٌ من الحمد لله ، وَبَسْمَلٌ بِسْمَلَةٌ من بسم الله ،
وسَجِلٌ سَجَلَةٌ من سجان الله ، وحَسِبَلٌ حَسِبَلَةٌ من حسي الله ، وَجَعَفَدٌ من
جُعَلْتُ فداك ، ودَمَعَزٌ من أدام الله عزه ، وحَوْلَى من لا حول ولا قوة الا بالله ،
وطَلَبَقٌ من أطل الله بقاءك ، ومَشَكَنٌ من ماشاء الله كان الخ .

ونحتوا أيضاً من المركب الإضافي : فن مشهور ما قالوه في النسب الى عبد شمس
عَبْشَمِي ، والى رأس عين « في الجزيرة » رَسْعَنِي ، والى عبد القيس
عَبْقَسِي ، والى حصن كَيْفَا « على دجلة شمالي الجزيرة » حِصْنَكْفِي ، والى
عبد الدار عَبْدَرِي ، والى دار البطيخ في بغداد دَرَبَجِي .

ولم يتبعوا قواعد ثابتة سواء في الحروف التي تُنتزع من المنحوت منه ،
أو في ترتيب حروف المنحوتات . ولكن القاعدة المعروفة أنهم يأخذون من
كلمتين كلمة على وزن فَعْلَل ، وبأخذون من كل كلمة فاءها وعينها ،
ثم ينسبون الى المنحوتة ، كقولهم عَبْشَمِيّ من عبد شمس ؛ فإنهم انتزعوا العين
والباء من كلمة عبد ، والشين والميم من كلمة شمس ، ثم أضافوا الى عبشم
ياء النسبة المشددة .

وقد تمثل عين الجزء الثاني من فعلال ، فيتجاوزون عنها الى اللام ، كما في
عَبْقَسِيّ من عبد القيس فقد تجاوزوا عن ياء قيس الى سينها .
إلا أننا وجدناهم يشذون عن هذه القاعدة في مثل قولهم دربجي في النسب
الى دار البطيخ . فن مقتضى القاعدة أن يقال دربطي .
وكذلك في النسب الى سوق مازن فقد قالوا سقرني حاذفين فاء الكلمة الثانية
أي ميم مازن .

أما موضوع ترتيب الحروف في النحت فقد اختلفت فيه آراؤهم . فعند
ابن فارس يقال حَوَقَل ، بتقديم قاف حواقي على لامها ، مثلاً يقال جعفلة باللام ،
بدلاً من الدال ، في جعفلة المنحوتة من جعلت فداك . وعند ابن فارس
ذلك تفنياً ؛ ولكن ابن دحية قد خطأه في الجعفلة هذه ، وقال إن الحوقلة
هي مشية الرجل الضعيف لا منحوت « لا حول ولا قوة إلا بالله » .

وذكر الخفاجي في شفاء الغليل الطبقة بتقديم الباء على اللام في الطبقة المنحوتة من «أطال الله بقاءك» ، فخطأه بعض العلماء ذاكرين أنه لا بد من ترتيب الحروف في المنحوت ، على حسب ترتيبها في المنحوت منه .

ورأبناهم ، بعد هذا الخلاف ، يتجاوزون في بعض المنحوتات من الجمل عن جميع حروف بعض الحكم ، مثل كلمة دَمَعَز التي ألمت اليها فليس فيها حرف من حروف لفظ الجلالة .

والخلاصة أن هنالك قاعدة وُضعت للنحت ، ولكن ما شذ عنها كثير . وعد القدماء النحت سماعياً ، فلم يميزوه ، وذكر بعض المتأخرين أن ابن فارس قال بقياسيته في فقه اللغة ، والحقيقة أن ابن فارس لم يصرح بقياسية النحت ، بل ادعى أن الكثير مما زاد على ثلاثة أحرف منحوت ، والكثرة تميز القول بالقياسية .

النحت في المصطلحات العلمية الحديثة . — كان مجمع اللغة العربية في

القاهرة أَلَف في سنة ١٩٤٧ ، لجنة من بعض أعضائه ، تنظر في موضوع النحت ؛ فوضع العلامة الشيخ إبراهيم حمروش مقرر اللجنة بحثاً مائماً في النحت ^(١) انتهى فيه الى قوله :

«ونحن نقول بجواز النحت في العلوم والفنون للحاجة الملحة الى التعبير عن معانيها بألفاظ عربية موجزة» .

وقد أقرت اللجنة هذا البحث . وعندما عُرض في الدورة الرابعة عشرة (١٩٤٧ - ١٩٤٨) على المجمع وافق بعد المناقشة على جواز النحت عندما تلجئ اليه الضرورة العلمية ^(٢) .

(١) نشر في الجزء السابع من مجلة مجمع اللغة العربية «س ٢٠١ - ٢٠٤» .

(٢) ج ٧ ص ١٥٨ من مجلة مجمع اللغة العربية .

وليس المهم في بحثي هذا التنبيه الى أن النحت من الألفاظ العلمية أصبح جائزاً لنا ، فكل من بعاني وضع المصطلحات بالعربية يعرف أننا في حاجة الى النحت في بعض الأحيان ، والذي يهم بيانه إنما هو مدى الضرورة العلمية الى النحت ، والشروط التي يجب على الناح أن يتقيد بها في وضع المنحوتات العلمية ، وأرى أن البحث عن حدود النحت ومداه يشتمل على كثير من الملاحظات التي ذكرتها في بحثي عن حدود التعريب ومداه ^(١) .

ففي النحت « كما في التعريب » فريقان من العلماء : فريق يرى أن كلمات « عند الضرورة العلمية » التي جعلها المجمع شرطاً في النحت شيء رخو قابل للمط والتأويل ، ولذلك راح رجال هذا الفريق يكثرون من النحت ، على حسب ما جادت به قرائحهم .

وفريق يرى أن تلك الكلمات قوية في دلالتها ، وأنه يجب مراعاتها بدقة في موضوع النحت ، لذلك تزمت رجال هذا الفريق ، ولم يستسيغوا الا الندرة من المنحوتات الحديثة .

وبين فريق المتهاونين وفريق المتشددين من العلماء يبرز فريق ثالث ممن لم يختصوا بعلم من العلوم ، ولم يطلعوا على خصائص لساننا ولم يهضموها ، فراحوا ينحتون على حسب ما نوحى به إليهم معرفتهم باللغات الأجنبية وتفكيرهم بها ، وإذا بهم يأتوننا بمنحوتات عجيبة لا العلم يحوجنا إليها ، ولا الذوق العربي يستسيغها . ولا بد لكل من يكلف نفسه مشقة النحت ، في نقل العلوم الحديثة الى العربية ، من أن يكون متخلياً بصفتين : الأولى إدراك مدى الحاجة الى منحوت عربي يقابل الكلمة الأجنبية ، والثاني التمس بما يوافق الذوق العربي ولا ينفر منه السمع .

(١) نشر هذا البحث في عدد تموز سنة ١٩٥٦ ص ٥٠٩ - ٥١٢ من مجلة المجمع العلمي العربي .

منحوتات لا حاجة اليها . — من الأدلة على جهل مدى الحاجة الى النحت ما أقدم عليه مؤلف معجم إنكليزي عربي من نحت كلمات مقبحة تدل على أسماء شعب وطوائف ورتب من الحيوان ، على حين أن هذه الأسماء في علم الحيوان وعلم النبات لا حاجة فيها الى النحت .

وهاكم نماذج قليلة من هذه المنحوتات العجيبة :
في رتب الحشرات :

اللفظ المنحوت	اللفظ الفرنسي	اللفظ الصحيح
غَمَجَنَاحِيَّات (من غمد وجناح)	Coléoptères	غَمَدِيَّات الأجنحة
غَشَجَنَاحِيَّات (من غشاء وجناح)	Hyménoptères	غَشَائِيَّات الأجنحة
مَسَجَنَاحِيَّات (من مستقيم وجناح)	Orthoptères	مُسْتَقِيمَات الأجنحة
عَصَجَنَاحِيَّات (من عصب وجناح)	Névroptères	عَصَبِيَّات الأجنحة

النخ

وفي السمك :

الشَوْجَنِيَّات (من شوك وجناح)	Acantoptérygiens	شَائِكَات الزعانف (لا الأجنحة)
الدَّوْقِيَّات (من دائر وفم)	Cyclostomes	حَلَقِيَّات الأفواه
اللَّعْنِفِيَّات (من لين وزعفة)	Malacoptérygiens	لَيِّنَات الزعانف

وفي الرخويات :

البَطْنَجَلِيَّات (من بطن ورجل)	Gastéropodes	مَعِدِيَّات الارجل
-----------------------------------	--------------	--------------------

وفي الأولي :

الجَذَرِجَلِيَّات (من جذر ورجل)	Rhizopodes	جَذَرِيَّات الأقدام «أو الأرجل»
-----------------------------------	------------	---------------------------------

الى آخر أمثال هذه المنحوتات العربية التي لا حاجة اليها البتة في علوم المواليد ، وفيها فوق ذلك ضرر بارز للعيان : ذلك بأن الأوربيين عندما ينتحون كلمة علمية واحدة من كلمتين يونانيتين ، كالكلمات الفرنسية المذكورة ، يهتمون بجمال

الكلمة المنحوتة مفهومة على قدر المستطاع ؛ ثم إن الطالب الفرنسي يتعلم مبادئ اليونانية واللاتينية ، وهو يعرف معاني الزوائد اليونانية ، من صدور و كواسع ، التي تضاف الى الكلمة الأصلية فتتألف منها الكلمة الفرنسية المنحوتة . فأنت اذا قلت للطالب الفرنسي إن هذه الحشرة من رتبة الـ Orthoptères مثلاً فهو يدرك على الفور أن حشرات هذه الرتبة لها أجنحة مستقيمة ، لأنه يكون قد درس في علم اشتقاق الألفاظ الفرنسية أن Ortho من Orthos اليونانية أي مستقيم ، وأن Pière من Pteron أي جناح .

ولكنك اذا ترجمت ناحتاً فقلت للطالب العربي مسجناحيات فهو لا يفهم الا النصف الثاني من هذه الكلمة المنحوتة ، لأنك تركت كلمة جناح على حالها فلم تنزع من حروفها حرفين فقط ، وهما الجيم والنون ، على مقتضى القاعدة . ولو فعلت ذلك لأصبحت المنحوتة مسجنيات ، ولاستغلق المعنى فيها تماماً ، مثلاً استغلق في الشوجنيات واللعنفيات والبطلجيات وأشباه هذه الرطانات المستقبجة . ولو ذكرت للطالب العربي الترجمة الصحيحة بكلمتين فقلت مسنقيات الأجنحة وشائكات الزعانف ولينات الزعانف الخ ، لفهم معانيها من دون حاجة الى الشرح ، ومتى احتاج الأمر الى بيان أوجه نحت المنحوتات ضاع معظم فوائدها .

ويتبين من هذه الأمثال أن الأسماء الانعجمية الدالة على الشعب والطوائف والرتب في الحيوان والنبات يجب ترجمتها بمعانيها ، سواء أُعبر عن الامم الانعجمي الواحد بكلمة عربية واحدة ، أم بكلمتين ، أم بأكثر . واللجوء الى النحت في هذا الباب لا فائدة فيه ، ولا حاجة اليه ، أما ضرره فواضح .

ومن الطبيعي أن كلاسي هذا لا يشمل علوماً أخرى قد يفيد النحت فيها . ولا بد في جميع الحالات الملتجئة الى النحت من إدراك واسع لمدى الحاجة اليه ، ومن تذوق صحيح لخصائص العربية وبيانها .

وموضوع الذوق في النحت لا يحتاج الى شرح طويل ، فجمع اللغة العربية في القاهرة كان أجاز مثلاً ، في لغة العلم ، استعمال (لا) مركبة مع الاسم المفرد (سيفي مثل لا تَوْنِيْجِي Apétale ، ولا ثمرتي Acarpe ، ولا ساقني Acaule ، ولا مائي Anhydre الخ .) ، ولكنه اشترط أن يوافق هذا الاستعمال الذوق ، وأن لا ينفر منه السمع ^(١) .

داء النحت . — لقد أصبح النحت داءً عند بعض أساتيدنا ، حتى عند بعض علمائنا ، وكثير منهم يدعون اليه ذاهبين الى أنه من أكبر الوسائل المفضية الى نمو اللغة العربية وتقدمها ، والحقيقة أنه أداة صغيرة الاثر ، اذا قيست بالأدوات السائرة من اشتقاق وتضمين وتعريب ؛ وكأني بالمساهلين من أنصار النحت لا يبالون بأن تفضي آراؤهم الى خلق لغة نبطية جديدة تحل محل اللسان العربي المبين ، ولذلك وجدنا بعضهم يضربون بقواعد العربية عرض الحائط فيقول أحدهم مثلاً الغُدْبُعْضَلِي والشبهفندي بدلاً من الغدي العضلي ، وشبه الغدي . ويقول الآخر لَفِيْوَرَاتِي بدلاً من ألني الورق أو ذي ألف ورقة . وأشباه هذه الغرائب كثيرة في أحد القواميس الأعجمية العربية .

ولا أدري لماذا يخشى بعض الأساتذة استعمال كلمتين عربيتين مقابل كلمة أعجمية واحدة ؟ ففي لغتنا ألوف من الكلمات لا يستطيع الأعاجم نقل الكلمة الواحدة منها الى لغاهم الا بكلمتين أو أكثر ، ومع هذا لم يهتم هذا النقص ، ولم يجدوا فيه عاراً عليهم ، ولم يعملوا على تلافيه .

وهاكم أمثلة تمثل بها في كتاب « المصطلحات العلمية في اللغة العربية » حيث قلت :

« إذا راجعت مثلاً مادة (Robes et Particularités) في معجمي ^(٢) ،

(١) الجزء السادس من مجلة مجمع اللغة العربية ص ١٧٢ .

(٢) معجم الألفاظ الزراعية بالفرنسية والعربية

وهي الألوان والشيئات ، نجد أن لكل شبة في الخيل اسما عربيا . وثلثا من كلمة واحدة ، بقابلها بالفرنسية كلتان أو ثلاث كلمات ، ومنها الشيات الآتية :

أَعْرَضَ	Marqué en tête	الفرس الذي له عُقْرَةٌ أي بياض في الجبهة
سَابِلَةٌ	Liste en tête	العرة التي تسيل على قصبة الأنف وتعرض في الجبهة
شِمْرَاخ	Petite liste	العرة التي دَقَّتْ على قصبة الأنف ولم تبلغ الجحفلة
بَعْسُوب	Liste incomplète	إذا سال البياض على قصبة الأنف دون أن يبلغ العينين
خَاتَم	Principe de balzanes	أقل التحجيل ، وهي شعيرات بيض في فوائم الفرس
إِنْعَال	Trace de balzanes	عندما يكون البياض واضحا
تَحْدِيم	Petite balzane	عندما يجاوز البياض الأرساغ
تَجْبِيب	Grande balzane	عندما يصعد البياض في الفوائم ولا يبلغ الركبتين أو العرقوبين .
تَسْرُوْل	Blzane haut - chaussée	إذا بلغ التجيب الركبتين أو العرقوبين
		فالفرس مُسْرُوْل

« ونحن نقول (حديدة) وهي كلمة واحدة ، والفرنسيون يقولون (Un morceau de fer) وهي أربع كلمات ، ونقول (مَشَى) في كلمة ، ويقول الفرنسي (il a marhé) في ثلاث كلمات ، وهل كلمتا (تَمَدَّد الخلابا) أطول ، أم الكلمة الفرنسية الواحدة وهي (Multicellularité) ؟ »

ومن الواضح أن لكل لغة قوالها وأسايلها ، وأن العربية لغة اختزال ، فلا يضرها التعبير عن معنى من المعاني العلمية بأكثر من كلمة ، بل يضرها ويشوهها أن يُضَمَّ إليها عدد كبير من المنحوتات الثقيلة الغامضة من غير معرفة بمدى الحاجة إلى تلك المنحوتات ، أو من غير تقدير صحيح لذلك المدى .

وأم ما ينتج له أنصار الإكثار من النحت كون النسبة إلى الكلمة الواحدة

المنحوتة تكون مبسورة ، خلافاً للنسبة الى المركب الإضافي ، ولكن ماذا يجبرنا على ترجمة النسبة بالنسبة اذا تعذرت ؟ فالترجمة لا تكون دائماً ترجمة صيغة بصيغة ، ولا حرف بحرف ، بل تكون بأخذ المعنى وبإفراغه في قوالب اللغة العربية .

فقد افترح أحد العلماء مثلاً نحت كلمة قَبْتَارِيخ من كلمتي قبل التاريخ لجعلها أمام Préhistoire ، وعلى هذا يقال في سهولة قبتاريخي مقابل Préhistorique . ولكن ما هو مبلغ حاجتنا الى هذا النحت ، والى صيغة النسبة في الكلمة الثانية ؟ ولماذا لا نحافظ على أسلوب لغتنا فنقول قبل التاريخ ، كما نقول آثار ما قبل التاريخ ، وزمن ما قبل التاريخ بدلاً من الآثار القبتاريخية والزمن القبتاريخي ؟ وما هو مبلغ الضرر في أن يكون عدد الكلمات في هذه الإضافة أكثر منه في النسبة ؟

ومن المقترحات النحت من ظروف الزمان وظروف المكان لكي تسهل النسبة الى الملاحوت ، فيقال مثلاً :

خامذرمي (من خارج ومدرسة) Extrascolaire

فوسوي (من فوق وسوي) Surnormal

نخشعوري (من تحت وشعور) Subconsient

قبيلوغي (من قبل وبلوغ) Prépubère

الخ .

وواضح أنه من الصعب جداً قبول هذه المنحوتات وأشباهاها ، وأنا لسنا ، على ما قلت ، في حاجة الى ترجمة النسبة بالنسبة ، وفي وسعنا ترجمتها بالإضافة فنقول خارج المدرسة وفوق السوي وتحت الشعور وقبل البلوغ وهكذا . ولا ضرر مطلقاً في ترجمة كل كلمة من هذه الكلمات الفرنسية بكلمتين عربيتين .

ففي وسعك أن تقول التعليم خارج المدرسة بدلاً من التعليم الجامعدي ، مثلاً
تقول التعليم بعد المدرسة بدلاً من التعليم الغيمدوسي (من غب ومدرسة
Postcolaire) ، وتقول التربية قبل البلوغ بدلاً من التربية القبلوغية الخ .
وعندما يجعل العالم المختص بأحد العلوم منجواته على شكل اقتراح متواضع
(كما فعل العالم الذي أملت إليه) يكون الخطب سيراً ، ويكون الرجوع الى
الصواب مبسوراً ؛ أما أن يعتمد غير المختص بعلم من العلوم الى وضع معجم
أعجمي عربي في جميع العلوم العصرية ، ويحشيه بما يعن على باله من مثل المنجوات
السقيمة التي أشرت إليها في عرض هذا البحث ، فهناك يكون الداء الذي
نشق مداواته . فالفرد ، أبا كان ، لا يستطيع معرفة جميع العلوم العصرية ،
ولا يدرك مدى الحاجة الى النحت أو الى التعريب في كل علم من تلك العلوم
الواسعة . وما يدعو الى الارتياح أن يجمع اللغة العربية في القاهرة قد سار
حتى الآن سيراً حكماً ومتشداً في موضوع النحت ، فالألفاظ المنجوة في مجلته
قليلة جداً ، ومعظمها في الكيمياء ، والمختصون بهذا العلم يعرفون أنه من أكثر
العلوم احتياجاً الى النحت والتعريب جميعاً .

مصطفى الشرايبي

نقرة إمامين

عن الرواية والقصة

لم يألف الرواية والقصة فريق من أئمة كتابنا في القرن التاسع عشر وبدء القرن العشرين ، كالشدياق وكرد علي ، فالأول زار «لندن» وشهد فيها التمثيل ووصف هذا التمثيل وصفاً يدل على ذوقه ، ثم وصف بعض الأنواع الأدبية وسمّاها بأسمائها الافرنجية فقال :

«ثم إن التمثيل عندهم على نوعين ، الأول تمثيل ما يحزن من نحو الحروب وأخذ الثأر ويقال له عندهم : تراجيدي^(١) والثاني وهو عكسه ويقال له : كوميدى^(٢) ، وكلاهما يعدّان من الأدبيات ، غير أنّ النوع الثاني يكثر فيه التوريات والمؤاربات والتجنيس » .

وقد نقد بعض هذا التمثيل ، فنقد طول وقت اللعب فيه ، وانه لفي نقد هذا الطول اذ خطر بباله طول الرواية فقال : وهذا كالتزام بعض المؤلفين عندهم لنوع يستحي : نوفل ، وهو أن يجعلوا الكتاب ثلاثة مجلدات ، فيسفسفون وبدنقون ويأتون بالغث والثلث . » .

وكما نفر الشدياق عن الرواية فقد نفر كرد علي عن القصة وهذا رأيه فيها : «أردت غير مرّة على أن أشارك في القصة ، أكتب فيها أو أنقد ، فما طابت نفسي للدخول في موضوع لم بأخذ منها ، وليس لي يد في الفصص التي نشرتها

(١) أطلق على هذا النوع بعد ذلك اسم : الميزونات .

(٢) أطلق على هذا النوع بعد ذلك اسم : المضحكات .

أول أمرى لأنها مترجمة ، وأكبر داعٍ الى عدم عنايتي بالقصة اعتقادي أنها مختلفة » .

هذان رأيان صريحان في زهد كاتبين من كبار كُتّاب النهضة الحديثة في الرواية والقصة ، على أنه كاد هذان النوعان الأدبيان يجلّان أرفع محل في أدبنا .
أمّا نقد الشدياق لطول الرواية الانكليزية فقد كان على حقٍ فيه لأن الرواية الانكليزية في أيامه كانت طويلة ، فهي ضعف الرواية الفرنسية ، وأمّا نقد كرد علي للاختلاق في القصة ففيه بعض النظر .

وقد يطول بي الكلام على الرواية واتساعها لموضوعات شتى ، للتاريخ ودراسة الأهواء ووصف الأخلاق وتحليل العواطف واتساعها للطبيعة وواقع الحياة والمذهب الطبيعي والمثل الأعلى كما يطول بي الكلام على القصة ، على أن موضوعات القصة ليس من الضروري أن تكون مختلفة ، فقد يكون الموضوع مرةً حادثة من الحوادث تستنبط من واقع الحياة فيجهد القاص في التنبش عن أصولها وفي تصور عواقبها ثم في التنبش عن تأثير هذه الحادثة في رجال آخرين وفي بعض الأوقات في المجتمع نفسه وقد يكون الموضوع مرةً قانوناً من القوانين أو عادةً من العادات أو حالة من الحالات فيجهد القاص في تصور ما يمكن أن يعمل به هذا القانون أو هذه العادة أو هذه الحالة في أشخاص يخترعهم ذهنه اختراعاً ، وعلى كل حال الاختلاق بمعناه اللغوي ليس من خصائص القصة وطبائعها ، فالافتراء شيء وتصور أمرٍ ممكن الوقوع شيء آخر ، فأصحاب الروايات لا يخترعون أبطالاً فوق الواقع أو خارج الواقع ولكنهم يضعون أبطالهم في هذا الواقع .

وكيف كان الأمر فالظاهر أن بعض الأدباء يميلون في هذا العصر الى أن يجمع المؤلف وثائق شخصية انسانية يعرضها على القراء ، فهم قد أخذوا يفضلون المذكرات على الروايات .

ولم يمن أدبنا في قديم الدهر بالرواية والقصة العناية كلها ولا ألف هذين

النوعين الألفه كلها واني أعتقد أن أدبنا كان أدب تركيب لا أدب تحليل ، فاذا رجعنا الى طائفة من كتبه كالعقد الفريد أو كاليان والتبيين فأننا نجد في أكثر هذه الكتب عبارات وجيزة ، كثيفة في معانيها ، مختصرة في مبانيها تكاد تشتعل على موضوع رواية في هذا العصر ، من هذه العبارات ما ينسب الى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : ما تزبد متزبد إلا لنقص في نفسه ، ولست مستوثقا كل الاستيثاق من ألفاظ هذه العبارة ولكن هذا هو معناها ، فهذه العبارة قد تكون في عصرنا موضوع رواية من الروايات الفلسفية ، فاذا أراد كاتب روائي شرحها في رواية استطاع أن يبين لنا ما يستونه في الفلسفة : مركب النقص ، أما العرب فان أذواقهم تنفر عن مثل هذا الشرح وهذا التطويل ، فقد تغنيهم الإشارة أو الملح عن كل ذلك وقد أعربوا عن هذا الغناء في كثير من مواضع كتبهم الأدبية ، وليس معنى هذا أن أدبنا يخلو من التحليل فأننا اذا رجعنا الى بعضه وجدنا فيه من التحليل المبني على التجربة والعيان ما يدهش العقل ، من ذلك تحليل الجاحظ للحسد في بعض رسائله ، فقد فطن الى دقائق من الحسد لا يكاد يظن اليها إلا الراسخون في علم النفس ، وكما لم يخل هذا الأدب من التحليل فكذلك لم يخل من القصص ، ومع هذا كله فالتركيب غالب على أدبنا أكثر من التحليل .

إلا أن الذي أعجب منه بعد هذه المقدمة وبعد هذا الاستطراد نفرة الشدياق عن الرواية وقد اجتمعت له خصائصها وأمرارها ، فالروايات في معظم الأحوال تشتعل على كثير من الوصف والتصوير اشتغالها على تحليل فكر من الأفكار أو مذهب من المذاهب ، فهي لا تستغني عن الوصف ولا عن التصوير ، واذا قرأنا رواية لكاتب راسخ في فن الروايات فان أول ما يبلغ متأ من هذه الرواية انما هو الوصف والتصوير .

لقد وصف الشدياق في كتبه أموراً كثيرة وصوّر أموراً كثيرة ، لقد وصف الشوارع والآثار والابنية والمآكل والثياب والسحن والاخلاق والحياة

الاجتماعية ووصف الفنون الرفيعة كالوسيقى والتمثيل ووصف بعض مخترعات عصره كالبرق وماء في رحلته باسمه الافرنجى : التلغراف وفي هذا الوصف كله ظهرت شخصيته وظهرت عبقريته فان له قدرة على الوصف غريبة ، فعينه شديدة البصر وأنفه شديد الشم وأذنه شديدة السمع ولسانه شديد الذوق .

نجد في بعض وصفه لعادات أهل مالطة وأحوالهم وأخلاقهم وأطوارهم وصفاً بسيطاً مجرداً من كل زينة إلا أن ألفاظه وحدها كافية أن تربنا الأشياء الموصوفة بسبب الصلة القوية بين الاسم والمسحى ، بين اللفظ ومعناه كما نجد ميل في وصفه الى بعض ألفاظ العامة المتعاقبة بالثياب كالبرنيطة والطربوش والصدربة والكفوف ، وشأنه في هذه المساعدة في اللغة شأن أكابر الكتّاب في القديم كالجاحظ الذي نرى في بعض كتاباته ألفاظ العامة لقوة تأثيرها في الأذهان . وكما قدر الشدياق على الوصف فقد قدر على التصوير فصور فضول أهل مالطة وتلمهم بالإسفاف من القول والعمل تصويراً يطول الكلام على خصائصه وعلى خصائص جملة ، فررة تكون هذه الجمل مربعة ومرة تكون بطيئة وأريد بالسرعة في هذا المقام تصوير الكاتب لفكرته دون التعرّيج على التفاصيل والدقة غالباً على الأسلوبين ، أسلوب الوصف وأسلوب التصوير .

وكما عجبت من نفرة الشدياق عن الرواية وقد نهأت له أسباب فنّها فكذلك عجبت من نفرة كرد علي عن القصة وقد اجتمعت له بعض أسبابها ، لقد روى في مذكراته قصة : قاضي دومة ، وهي وإن كانت بضعة سطور إلا أننا نجد لها عرضاً وعقدة وخاتمة وقد عرضت حوادثها في أوضح معرض وتسلسلت تسلسلاً منطقياً زاد في وضوحها واشتبكت فيها الحوادث اشتباكاً أخذاً ، وأسلوب هذه القصة واضح فكل لفظ مناسب لمعناه وفي بعض القصة حوار ولا شك في أن الحوار ينفخ في القصة روحاً وحياة .

فلماذا نفر هذان الكاتبان الإمامان عن الرواية والقصة ولم تغب عنهما أصرار فنّهما .

ثقافة الأطباء عند العرب

- ٢ -

ولما تأسست دار الحكمة في أيام المأمون وانتظم أمر التأليف والترجمة واستكمل جمع الكتب من كل أنحاء العالم ، واتسع نطاق النشر والتعليم أيام جعفر ، والرشيد ، والمأمون ، والمعتمد ، واستوفى العرب حظهم من التحصيل والمعرفة والاطلاع ، انتقلوا الى دور التعمق والتجربة والاستقراء والكشف والاختراع والتأليف وإنشاء المعاهد والمشافى ، وساعدتهم عليه ظروفهم الى العلم وتحصيله ، واهتمام الملوك والولاة والسلاطين والأمراء والوزراء وأصحاب الغنى به وبالعلماء ، وبذل هؤلاء الأموال لاستكمال ما كانوا يريدونه هم ويريدونه الأطباء والعلماء . ولم يقتصر الاهتمام على الطب بل تناول الفلسفة ، والفلك ، والرياضيات ، والجغرافيا ، والقياسات والرصد ، والكيمياء ، عدا اهتمامهم ومساعدتهم وبذلهم الحبات والعطايا بسخاء وكرم للشعراء والأدباء ورجال الدين وإطلاقهم الحرية لهم في البحث والقول والعمل .

وفي الحقيقة ان الطبابة لم ترتق وحدها بل ارتقت في هذه العهود المستنصفيات والبيمارستانات والمؤسسات والملاجئ الخيرية وانتشرت بكثرة في جميع البلاد الإسلامية : في بغداد والقاهرة ودمشق وحلب ومكة والمدينة وفلسطين ، وفي غرناطة واشبيلية وطليطلة والقيروان .

وفي عهد عبد الرحمن الثالث وولده الحاكم الثاني كانت اسبانيا في جامعاتها ومكتباتها ومدارسها وبيمارستاناتها من أرقى ما وصلت اليه الحضارة العربية ، وكان

من أطباؤها وفلاسفتها الذين اشتهروا وأثروا في تقدم العلم والطب ابن رشد ، وابن الطفيل ، وبنو زهر ، وأبو القاسم الزهراوي وغيرهم .

وبما يدل على عناية العرب واهتمامهم بتشبيد المعاهد العلمية والبيمارستانات والخانقاهات وترتيب ادارتها وتنظيمها ، ووقف الأموال والايادات الكثيرة لتجهيزها وإدامتها :

- أولاً — كثرة عددها وانتشارها في جميع المدن والعواصم الاسلامية .
- ثانياً — اهتمام العالم العربي ملوكاً وأفراداً ووزراء وشعباً بتحويلها ووقف المزارع والأملأك والمرافق لدوام عملها وترقية شؤونها .
- ثالثاً — تنظيمها وحسن ادارتها وبذل العناية في هندستها وأثاثاتها .
- رابعاً — تخصيص أهم الأطباء للتعليم والتدريس والتمريض فيها .
- خامساً — فتحها للعامة والخاصة ، للذكور والاناث .
- سادساً — تقسيمها الى فروع وجعل كل فرع خاصاً بقسم من الأمراض .
- سابعاً — ربط المدارس الطبية والمكتبات والصيدليات بها .
- ثامناً — تزويدها بكل ما تحتاج اليه من مؤونة وزاد وغذاء وأدوية وألبسة ومفروشات ، وأشربة وأدوات ، ومياه نقية ونور وتهوية ، وأسرة وأغطية ، وجعل وظائف أصحابها من أجل الوظائف ورتبهم من أرقى الرتب .
- تاسعاً — اعطاء أطباؤها وناظرها المرتبات الوفيرة عدا تقديم ما يقوم بكفائتهم من الأرزاق والهبات والجرابة وعلوفة الدابة .
- عاشراً — جعلها مرجعاً للتجارب ، وتدوين المشاهدات والنتائج ، ومركزاً للتأليف والاكتشاف والاختراع ، ودائرة لامتحانات الأطباء والصيدلة واعطاء الاجازات .

وفي كتاب تاريخ البيمارستانات في الاسلام للدكتور أحمد عيسى تفصيل هام وأدلة وافية وصور عن الوقفيات المتعلقة ببيمارستان المنصوري ، والمعتمد ،

والنوري ، وصور عن المراسيم التي كان يصدرها المملوك لمن يتولى الطبابة والادارة والخدمة فيها ، والكل يؤيد ما قلناه عن عناية العرب ومبلغ اهتمامهم بها وبإيصال النفع العام لرعاياهم .

وكمثال على مقدار العناية والاهتمام بقول الدكتور في صحيفة ٨٦ وفي صفر ٦٨٠ هـ الموافق لعام (١٢٨١) م :

« ولما تكامل البيجاستان (يعني المنصوري) الذي أنشأه الملك المنصور سيف الدين قلاوون الأتقي الصالحى بخط بين القصرين (هما القصر الكبير الشرقي الذي بناه جوهر قائد الفاطميين عام ٣٦٠ والقصر الصغير الذي بناه العزيز بالله أبو منصور نزار سنة ٤٥٠ هـ) من القاهرة ، وكان ذرعه (١٠٦٠٠) ذراعا . ركب السلطان وشاهده وجلس بالبيجاستان ومعه الأمراء والقضاة والعلماء ، وأخبر بعض من شهد السلطان وشهد عليه أنه استدعى قدحا من الشراب فشربه ، وقال قد وقفت هذا على مثلي فن دوفي وأوقفه السلطان على الملك والمملوك ، والكبير والصغير ، والحر والعبد ، والذكر والأنثى ، وجعل لمن يخرج منه من المرضى عند برئه كسوة ، ومن مات جهز وكفن ودفن . ورتب الحكماء الطبائعية ، والكحالين ، والجراحيين ، والمجبرين لمعالجة الرمد والمرضى والمجروحين والمكسورين من الرجال والنساء . ورتب به الفراشين والفراشات والقومة لخدمة المرضى وإصلاح أماكنتهم وتنظيفها وغسل ثيابهم وخدمتهم في الحمام ^(١) ، وقرر لهم على ذلك الجامسيات الوافرة ، وعملت الفرش والفخوت والطرايح والأقطاع والمخدات واللحف والملاءات لكل مريض فرش كامل ، وأفرد لكل طائفة من المرضى أمكنة يختص بهم ، فجعلت الأواوين الأربعة المتقابلة للمرضى بالحليات وغيرها ،

(١) كان الأوربيون يجولون الحمام ، وكانت مشافيتهم كالأرباب ينام المريضان منهم في فراش واحد ، وكان غسل الجسم بالماء والصابون غير مستحب في نظر أطبايهم ، وفرش المرضى كانت متنتة من الراحة القذرة والعرق . م (٢)

وجعلت قاعة للرمد ، وقاعة للجرحي ، وقاعة لمن أفرط به الاسهال ، وقاعة للنساء ، ومكان حسن للممرورين ^(١) من الرجال ومثله النساء ، والمياه تجري في أكثر هذه الأماكن ، وأفردت أماكن طبخ الطعام والأشربة والأدوية والمعاجين وتركيب الأعكال والشيافات ^(٢) والسفوفات ، وعمل المرامم والأدهان ، وتركيب الدرياقات (الترياقات) ^(٣) وأماكن لحواصل العقاقير وغيرها من هذه الأصناف المذكورة ، ومكان يفرق منه الشراب وغير ذلك مما يحتاج إليه ، ورتب فيه مكان يجلس فيه رئيس الأطباء لإلقاء درس طب ينتفع به الطلبة ، ولم يحصر السلطان أنابه الله هذا المكان المبارك بعده في المرضى يقف عندها المباشر ويمنع عداها ، بل جعله سبيلاً لكل من يصل إليه في سائر الأوقات من غني وفقير ، ولم يقتصر فيه على من يقيم فيه من المرضى بل رتب لمن يطلب وهو في منزله ما يحتاج إليه من الأشربة والأغذية والأدوية حتى أن هؤلاء زادوا في وقت من الأوقات على مائتين غير من هو مقيم بالبيمارستان .

ولا يقل الاعتناء والاهتمام ببقية البيمارستانات أبناً كانت عما تقدم بيانه ، ولكن ظروف الزمن وتبدل الحكام ووقوع البلاد العربية تحت حكم الأعاجم والأجانب من مغول وتاتار وصليبيين وعثمانيين جعلها قفرة ، وأضاع أوقافها ووقفياتها ، وبدل معالمها ، وهدم أقسامها ، وشوه محاسنها ، وكانت في ذلك الحين صورة حية تنطق عن حضارة العرب وما أسدته للعالم من فضل على العلم والطب وخدمة الإنسان وحفظ الحياة والمجتمع .

وإذا كنا في استعراضنا لم نستوف المطلوب لبيان سلسلة التطور الطبي والطبابة ، وكان علينا أن نسهب في ذكر الكتب التي ألفها العرب والمسائل التي فاقوا بها

(١) الممرور : من تهببت فيه المرأة أي السوداء فأثرت على عقله .

(٢) الشيافات : هي التنايل . مفردا شيافة أو فتيلة .

(٣) الترياق : هو المركب الذي يشفي من السم .

من تقدمهم والمكتشفات التي اكتشفوها في أسباب العلل والأمراض ، والأدوية التي اخترعوها لمداواتها ، والآلات الجراحية التي توصلوا إلى صنعها للقيام بالعمليات الجراحية ، ومن هم الأطباء الذين غدوا نجومًا في سماء العلم والتعليم بضيئيتهم بنورهم على من كان في زمانهم ومن أتى بعدهم ، وما هي الاختراعات التي وصل إليها العرب في الكيمياء والصيدلة ، والمعالجة ، والتشخيص ، والتحليل وبقيّة العلوم الطبية وغير الطبية ، فلأن استيفاءها والتفصيل فيما يقتضيه الشرح والتفصيل يحتاج إلى مجلدات ويخرجنا عن الموضوع ويبعدنا عن النتيجة التي نريد أن نصل إليها . وخير لنا أن نجيب أخيراً على السؤال الذي سألناه : هل من الضروري أن تتغير أخلاقنا وآدابنا الطبية وتراثنا المهني وصفاتنا الاجتماعية التي اتصف بها أجدادنا الذي رفعوا شأن العلم والطب ؟ فأقول كلا ! لأن المقاييس العلمية والطبية والأخلاقية التي رفعت شأنهم وشأن من تقدمهم وحفظت مكانتهم لا تزال ذات المقاييس في فيجيتها وصحتها ولو تبدل الزمن ، وتبدلت مناهج التعليم ، وتضاعفت مواد التدريس وعلا شأن الطب في ساحة المعرفة والاكتشاف والاختراع .

أما أما كن التدريس وكيفية التحصيل وأنواع الكتب التي كانت مواد دراساتهم ومناهج تلك المعاهد فيمكن الوصول إلى معرفتها مستخلصين ذلك مما قاله ابن أبي أصيبعة ، والقفطي ، وتاريخ الطب للدكتور أمين أسعد خير الله . فابن أبي أصيبعة يقول : « وكان يلحق بالمستشفيات الكبيرة مدارس للطب ، فكان الطلبة يجتمعون في القاعة الكبرى حيث كانوا يراجعون دروسهم وينسخون المخطوطات الطبية التي راجعها أساتذتهم وأصلحوها لهم ، وكان هؤلاء يلقون عليهم الدروس من مؤلفات جالينوس والرازي وابن الجوزي حتى ظهر قانون ابن سينا ^(١) الذي كسف التعاليم السابقة . »

(١) هو أهم كتاب طبي عربي جمع ما وصل إليه علم الطب والطبابة حتى زمن الشيخ الرئيس أبي علي بن سينا ، وبقي مرجعاً للدرس والتدريس لكل من أتى بعده مدة ثمانية قرون في الشرق والغرب .

« ولمشاهدة التطبيقات ونتائج النظريات التي بدرسوها كان الطلبة والمساعدون يفتحون المرضى في العيادة الخارجية ويعرضون الحوادث الصعبة على رئيس العيادة ، وكانت الحوادث المهمة تشرح لهم شرحاً وافياً ويوصف لها العلاج اللازم » . ويصف لنا في كتابه (عيون الأنبياء) كيف كان يتلقى هو الطب ، وكيف كانت الأستاذة يلقون دروسهم ويمرّون طلابهم ، قال : « ولما أقام الشيخ مذهب الدين ^(١) بدمشق شرع في تدريس صناعة الطب واجتمع إليه خلق كثير من أعيان الأطباء وغيرهم يقرأون عليه وأقمت أنا بدمشق لأجل القراءة عليه ، وقبلها كنت أشتغل عليه في المعسكر لما كان أبي والحكيم مذهب الدين في خدمة السلطان الكبير - يريد به الملك العادل نور الدين منشي البيارستان الكبير في دمشق - فبقيت أنودد إليه مع الجماعة ، وشرعت في قراءة كتب جالينوس وغيرها . وكان خبيراً بكل ما يقرأ عليه من الكتب ، وكان طلق اللسان ، حسن التأدية للمعاني ، ثم لازمته أيضاً في وقت معالجته للمرضى في البيارستان وتدرّبت معه في ذلك وباشرت أعمال الصنعة . وكان في ذلك الزمن في البيارستان الشيخ رضي الدين الرحيبي وهو من أكبر الأطباء سناً وأعظمهم قدراً وأشهرهم ذكراً فكان يجلس على دكة ويكتب لمن يأتي إلى البيارستان ويستوصف منه للمرضى أوراقي يعتمدون عليها يأخذون من البيارستان الأثرية والأدوية التي يصفها ، فكنت بعدما يفرغ الحكيم مذهب الدين والحكيم عمران

(١) الشيخ مذهب الدين : هو أبو محمد عبد الرحيم بن علي بن حامد ويعرف بالخوار ، انتهت إليه رئاسة صناعة الطب وميراثها . مولده في دمشق وكان أبوه علي بن حامد كمالاً مشهوراً ثم أخوه حامد بن علي . وجد له مائة مجلد وأكثر بخطه بالطب وغيره من العلوم . خدم الملك العادل أبا بكر بن أيوب بصناعة الطب ، وترأس البيارستان النوري (نور الدين محمود بن زنكي) ثم في عام ٦٠٤ أصبح طبيب الملك العادل وطبيب المعسكر وكان يتناول مائة دينار كل شهر ورواتب مثلها ، وتول رئاسة أطباء مصر أيضاً .

من معالجة المقيمين بالبيارستان وأنا معهم أجلس مع الشيخ رضي الدين الرحي فأعابن كيفية استدلاله على الأمراض وجملة ما يصفه للمرضى وما يكتب لهم وأبحث معه في كثير من الأمراض ومداواتها .

وعما سبق يتضح أنه عدا المحاضرات التي كانت تعطى للطلبة على المرضى كانت تكتب التعليمات اللازمة (الوصفات) وتنفذ بدقة وتدوّن الملاحظات عن كل مريض متبعة سير المرض . وقد قيل ان الرازي بنى كتابه (الحاوي) على هذه الملاحظات . وكان للأطباء الحربة بالتجربة للأدوية الجديدة التي كانت تدوّن معلوماتها في كتاب خاص تنشر تحت عنوان (المخرّبات) .

ولم تكن مدارس الطب تابعة للمستشفيات دائماً ، فقد كان هنالك مدارس خاصة ، فالطبيب الغني والمشهور مهذب الدين الدخوار المار ذكره سابقا والذي مات بلا عقب أوقف منزله بدمشق ليكون مدرسة للطب ووقف عليها الممتلكات والقرى ليقوم إيرادها بنفقات المستشفى .

ويقول ابن أبي أصيبعة : « ولم يكن يصرح لأحد بتعاطي الطبابة إلا بعد فحص قانوني . وقد بلغ الخليفة العباسي المقتدر بالله في عام ٩٤٩ أن أحد الأطباء في بغداد أخطأ علاج مريض وتوفي المريض بسبب الخطأ ، فأصدر أمره بفحص جميع الأطباء (ماعدا الأطباء القائمين بخدمته) قبل التصريح لم بتعاطي الطب وكان عددهم في بغداد وحدها (٨٦٠) طبيباً عدا أطباء الخليفة .

وكان أطباء المستشفيات يختارون بعناية خاصة دقيقة ، فالرازي انتخب لرئاسة المستشفى العضدي في بغداد من بين مائة طبيب . ويقال ان عضد الدولة لما بنى البيارستان العضدي قصد أن يكون فيه جماعة من أفاضل الأطباء وأعيانهم فأمر أن يجلسوا له ذكر المشهورين ببغداد وأعمالها ، فكانوا متوافرين على المائة فاختر منهم خمسين بحسب ما علم من جودة أحوالهم وتمهرهم في صناعة الطب ، فكان الرازي منهم . ثم انه اقتصر من هؤلاء أيضاً على عشرة فكان الرازي

منهم ، ثم اختار من العشرة ثلاثة فكان الرازي أحدهم ، ثم ميّز بينهم فبان له أن الرازي أفضلهم فجعله (ساعور) البيارستان العضدي و (الساعور) معناه (عميد الأطباء والمشرّف على المستنفي) . وكانت المستشفيات الإسلامية أشهرها المستنفي العضدي في بغداد ، والمستنفي المنصوري في القاهرة ، والمستنفي النوري في دمشق . وكان يوجد غيرها في مختلف العواصم العربية بما يزيد عن ثلاثين مستنفي لم تصل الى ما وصلت اليه من الرقي والروعة والكثرة وضخامة البناء ، واتقان الهندسة ، وحسن الادارة ، ، ووفرة الأطباء إلا بعد أن استكمل العرب نهضتهم ونفوج معارفهم واتساع علمهم .

ونحن مها ذكرنا عن فضل العرب في انقاذ الطب والعلوم القديمة المتصلة به من الضياع ، ومها قلنا عن ترتيبها والاضافة اليها وتسليمها الى أوروبا منسقة واضحة فيكفي أن ننقل ما قاله (لمستون) وغيره عن ذلك كبرهان على صحة قولنا . يقول (لمستون) : « ان لم يكن للعرب من فضل غير هذا الكفاح فخرا » . ويقول الدكتور أمين خير الله : « ولو فرضنا أن العرب لم يضيفوا شيئاً الى معلومات القدماء فن الاهمية بمكان أنهم أنقذوا تعاليم أبيقراط وجالينوس وحفظوها للعلم والانسانية . والواقع أنهم لم يكتبوها بانقاذها فحسب بل أضافوا اليها أشياء كثيرة وقاموا بنقل العلوم اليونانية والهندية والفارسية وعلوم باقي البلدان المتحضرة في زمانهم ، ووعوا وتفهموا المنطق والفلسفة والفلك والهندسة ، والتاريخ ، والآداب ، والموسيقى ، والكيمياء ، والزراعة ، والبناء والعمارة ، وتفهموا جميع هذه العلوم وأضافوا اليها دروسهم واختباراتهم وأنشأوا مدينة صربية صحيحة وأعطوها الى العالم » .

ثم يقول : « واذا عدنا الى الماضي القريب لننتفقد عصر التمدن الإسلامي وزهوه في الغرب والشرق نجد أنه من أكبر الأسباب سبب نهضة أوروبا ، فالمداهب العلمية فيها وليدة الثقافة والعلوم العربية ، ونهضتها نتيجة تعاليم ابن سينا

والرازي والمجوسي وابن زهر والزهرادي في الطب ، والكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد والغزالي وابن طفيل وابن العربي في الفلسفة ، والطوسي وعمر الخيام وابن بونس والمجريطي والبيروني والخوازمي في الفلك والحساب ، وابن الهيثم وابن الكندي وابن الصلت في الطبيعيات ، وابن البيطار وابن الصوري وابن وحشية في النبات ، وابن حيان والرازي والزهرادي في الكيمياء .

والعرب يعود الفضل في رفع مقام الطب وفي اقامة المستشفيات الراقية وفي انشاء وتوسيع الصيدلة ، وجعل الجراحة قسماً منفصلاً عن الطبابة ، وفي التصريح الشرعي لممارسة الطب والصيدلة ، وكان لهم الحظ الأوفر في توضيح المذاهب الفلسفية وحفظها للذرية ، وفي فصل العلم عن الدين ومحاولة التوفيق بين الاعتقاد والبرهان ، وهم الذين أعطوا الروح العلمية الصحيحة للغرب ، وكانت سبباً لايجاد طريقة (باكسون) العلمية ، وعلموا العلماء البحث عن أسباب الأشياء ذاهبين من المعلوم الى المجهول ، فلا يقطعوا حقيقة أمر إلا بعد التثبت من صحته بالتجربة المكررة أو بالملاحظة الدقيقة . وكانت الكيمياء عند العرب كيمياء تجربة ، فالرازي عرف خواص الزئبق بتجربة استعماله على القرد ، وماسويه شرّح قرداً كبيراً وكتب كتاباً عما وجده ، وكانوا اذا لم توصلهم الملاحظة الى الغاية المطلوبة يلجأون الى طريقة المنطق والتحليل وبها اكتشف ابن نفيس الدورة الدموية الرئوية ، واكتشف ابن الخطيب العدوي في الوافدات . وقبل أن يبدأ باراسلوس اصلاحه الطبي في أوروبا كان العرب قد أدخلوا المنطق والبحث الطبي العالمي وخالفوا التعاليم التي لا تنطبق على منطقهم واختبارهم مما كان مصدرها .

وكما استقبل (سقراط) الموت في سبيل عقيدته وعلمه كذلك ثلاثة من أطباء العرب المشهورين استقبلوا الموت بهدوء وشجاعة ، فابن سينا رفض أن

بتعاطي الدواء وباع كل ما يملكه ووزع ثمنه على الفقراء ، وانقطع الى العبادة وكان يتلو القرآن مرة كل ثلاثة أيام . والرازي رفض أن يعالج مقلتيه بعد أن أضى بصره في التجارب والبحث والكتابة قائلاً بأنه قد رأى من العالم ما يكفيه . وابن زهر رفض أي اسماف وقال لولده الذي كان يقوم بخدمته أنه اكتفى من الحياة .

وبعد هذا ما هي الكتب التي كانوا يدرسونها ؟ هل هي كتب الترجمة فحسب أم كتب أخرى ألّفها العرب ؟

من بدق فيما قدمناه من الاستعراض يتبين له أن طلاب الطب في المستشفيات والمعاهد العلمية كانوا يدرسون أولاً الكتب الأدبية ، ثم الكتب الدينية ، ثم الكتب الطبيعية ، ثم الكتب الرياضية والفلسفية ، ثم ينتقلون الى الكتب الطبية . وكانت الطلاب يذعنون سيرة أساتذتهم الذين يلازمونهم في جميع مراحل الدراسة حتى إذا أتموها ووثقوا من أنفسهم في بلوغ الغاية ، ووثق أساتذتهم من كفايتهم وأخلافتهم وعلمهم تقدموا للامتحان وأخذ الإجازة في البيمارستانات الشهيرة بعد نجاحهم .

أما الكتب فكانت حتى أيام ابن سينا المجموعة المترجمة عن أبقراط وجالينوس ودبوسقوريدس^(١) ، وقد أثبتنا على ذكرها ، ثم ما ألّفه الأطباء الذين أتى بهم جعفر المنصور والرشيد والمأمون ومعظمهم من السريان النسطوريين ومن الصابئة كجورجيس بن بختيشوع وجبرائيل أخيه وعبد الله بن جبرائيل ، وبختيشوع ابن حنا ، وحنين بن اسحاق ، وحبيش الأعسم ، والكندي ، واسحاق بن

(١) ويحيى النحوي ، وقسطا بن لوقا . أما الكتب فقد ذكرناها وهي لأبقراط وجالينوس وعددها (١٦) كتاباً كان يقرأها المتطببون على الولاء ، وهناك كتب أخرى هي من ترجمة حبيش ودبوسقوريدس وأصله من عين (زري) من أعمال حلب ويقال له السائح في البلاد .

حنين ، وثابت بن قره ، ومنان بن ثابت ، وأبو بشر بن متى ، ويوحنا بن ماسويه . وقد تبين أن معظم الكتب المترجمة كانت بين عام (٢٥٠ - ٨٥٠) بعد الميلاد .

ومن هذه الكتب المترجمة التي ذكرها ابن النديم في فهرسته وابن أبي أصيبعة في تاريخه طبقات الأطباء : (٤٦ كتاباً طبياً ليوحنا بن ماسويه ، و ٨٤ كتاباً ورسالة طبية لحنين بن اسحاق وهي لابقراط وجالينوس عدا ما ترجمه من غير الكتب الطبية ، ولقسطن بن لوقا البعلبي ٣٢ كتاباً في الطب و ٢٩ كتاباً في الفلك والمنطق والرياضيات والفلسفة ، ولاسكندي ٣٢ كتاباً طبياً ، والثابت بن قرة ٤٥ كتاباً) .

وأما التي ألّفت فهي شروح ، أو اختصارات ، أو تعليقات ، أو زيادات على ما ترجم ، ولكن عندما ظهر أبو بكر محمد بن زكريا الرازي عام ٣٢٠ - ٣٦٤ هجري بدأ العرب في اثبات كفايتهم وتدوين ثمار اختباراتهم وتأليف كتبهم الطبية بعد نضوج تحقيقاتهم وتجاربهم وتحرياتهم ، وبذلك يكون الطب والطبابة قد انتقلا من المرحلة القديمة إلى المرحلة الجديدة في تاريخ النهضة العربية والثقافة العلمية الطبية ، مرحلة الاكتشاف ، والاختراع ، والتقرير عن التجارب ، والتأليف .

والرازي طبيب المسلمين غير مدافع ، مسلم النحلة ، مشهور في علم المنطق والهندسة ، كان في ابتداء أمره يضرب بالعود ثم تركه وأقبل على تعلم الفلسفة فنال منها كثيراً ، وألف كتباً كثيرة أكثرها في صناعة الطب ، وسائرها في ضروب من المعارف الإلهية والطبيعية . وكان طبيب المارستان في الري ، ثم طبيب المارستان في بغداد ، بقي فيه طويلاً ، وكان بينه وبين منصور بن إسماعيل

صداقة وله ألف كتابه « المنصوري » ^(١) ثم في آخر عمره عمي بلاء نزل على عينيه ولم يسمح بقدحها ، وكان في دولة المكنفي وفي بعض زمن المقتدر . والرازي من حيث وصفه وسيرته يقول أحد عارفيه محمد بن الحسن الوراق : « كان شيئاً كبير الرأس ، مسطواً ، وكان يجلس في مجلسه ودونه تلاميذه ودونهم تلاميذ آخر ، وكان يحمي الرجل فيصف ما يجد لأول من تلقاه فان كان عندهم علم والا تعدهم الى غيرهم ، فاذا أصابوا والا تكلم الرازي في ذلك وكان كريماً متفضلاً باراً بالناس ، حسن الرأفة بالفقراء والاعلاء ، حتى كان يجري عليهم الجرابات الواسعة ويمرضهم ، وكان لا يفارق المدارج والنسخ ، وما دخل عليه واحد إلا وجده بنسخ أو يسود أو يبيض . وقد تلقى الفلسفة عن البلخي ، وكان البلخي يطوف البلاد ويمول الأرض ، حسن المعرفة بالفلسفة والعلوم القديمة » .

وبما هو معروف في كتب الطب أن الرازي كان أول من وصف الحصبة والجدرى ولا يزال وصفه معروفاً في جميع الكتب القديمة والحديثة . وصنف كتاباً آخر سماه « الملوكي » قدمه لعلي ابن صاحب طبرستان ، وفي أول أبيامه تعلق بالكنهيا وله تصانيف أيضاً فيها .

وكان الرازي يرمي إلى اثبات امكان تحول العناصر ووحدة الجوهر ، وفي سبيل هذه العقيدة قام بتجاربه التي أدت إلى اكتشاف كثير من المركبات

(١) « المنصوري » : السفة الرازي لمنصور بن اسماعيل بن خاقان صاحب خراسان وما وراء النهر . وكتابه « الحاوي » وضعه في ثلاثين مجلداً ويسمى (الجامع الحاصر لصناعة الطب) . وله تأليف وكتب أخرى يبلغ عددها ما يزيد عن مائة وخمسين عدداً ، وكان عمره ثلاثين سنة عندما قدم الى بغداد وفيها تعلم الطب ودرس . ومن رسائله المشهورة : (كتاب الجدرى والحصبة ، كتاب الأدوية الموجودة في كل مكان ، كتاب الفالج ، كتاب القوة ، كتاب النفوس والمرق المداني ، كتاب اوجاع المفاصل ، كتاب الأذنين ، كتاب هيئة العين الخ)

الكيميائية . وكتابه « الحادي » المشهور بين كتبه الثلاثة آلفه لابن عباد ولكن الأجل لم يفسح له المجال فلم يخرج به إلى الوجود ولكن أخرج ورتب بعد وفاته ، وأما كتبه الأخرى ورسائله فهي كثيرة تناولات علوم الطب ، والآليات ، والفلسفة والطبيعات ، والكيمياء ، وعلم النفس . وفي كل ما كتب وألف كان علماً لا يجارى في قوة تفكيره ، وسعة إحاطته ، ودقة ملاحظته ، وعمق فلسفته ، وصحة منطقته ، وصدق تجاربه .

وبعد الرازي ظهر الفارابي وذلك في عام ٣٣٩ هـ ، وكان الفارابي من مدينة (فاراب) وهي مدينة من بلاد الترك في أرض خراسان ثم سافر إلى بغداد وبقي فيها مدة وانتقل إلى الشام ، ولما دخل بغداد كان يعرف التركية وعدة لغات غير العربية ، فأتقن اللغة العربية وبلغ فيها غاية الاتقان وأخذ المنطق عن أبي بشر بن متى يونس الحكيم المشهور ثم ارتحل إلى مدينة (حران) وفيها يوحنا بن حيلان الحكيم النصراني فأخذ عنه طرفاً من المنطق أيضاً وبعدها رجع إلى بغداد وقرأ علوم الفلسفة وتناول جميع كتب أرسطاطاليس وتعمق في اخراج معانيها والوقوف على أغراضه فيها . ويقال أنه وجد كتاب النفس لأرسطاطاليس وعليه مكتوب بخط الفارابي أنه قرأ هذا الكتاب مائة مرة ولم يزل ببغداد مكباً على الاشتغال بهذا العلم إلى أن برز فيه وفاق أهل زمانه وألف به معظم كتبه ^(١) ، ثم سافر من بغداد إلى دمشق ولم يبق بها ثم توجه إلى مصر عام ٣٨٣ هـ .

-
- (١) الفارابي لم تطبع كل كتبه ، والمطبوع منها : (١) آثار أهل المدينة الفاضلة (٢) الإبانة عن غرض أرسطاطاليس (٣) كتاب ما بعد الطبيعة (٤) الثمرة المرضية في بعض الرسائل الفارابية . (٥) رسائل الفارابي . (٦) شرح الفصوص . (٧) عيون المسائل . (٨) كتاب الموسيقى . (٩) مبادئ الفلسفة القديمة . (عن مجمع المطبوعات العربية - للسيد يوسف اليان سر كيس) .

ويقول عنه ابن أبي أصيبعة : « كان رحمه الله فيلسوفاً كاملاً » ، وإماماً فاضلاً ، قد اتقن العلوم الحكمية ، وبرع في العلوم الرياضية ، زكي النفس ، قوي الذكاء ، متجنباً عن الدنيا ، مقتنعاً منها بما يقوم بأدبه ، يسير سيرة الفلاسفة المتقدمين ، وكان له قوة في صناعة الطب وعلم بالأُمور الكمية منها ولم يباشر أعمالها ولا حاول هزئياتها . ولما دخل دمشق كان في أول أمره ناطوراً في بستان ، وهو على ذلك دائم الاشتغال بالحكمة والنظر فيها والتطلع إلى آراء المتقدمين وشرح معانيها ، وكان ضعيف الحال حتى أنه كان في الليل يسهر للطالعة والتصنيف ويستضيء بالقنديل الذي للحارس وبقي كذلك مدة ثم عظم شأنه وظهر فضله واشتهرت تصانيفه وكثرت تلاميذه وصار أُوحد زمانه وعلامة وقته ، واجتمع به الأمير سيف الدولة أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان التغلبي وأكرمه أكراماً كثيراً وعرفت منزلته عنده وكان له مؤثراً . »

« وقيل ان الفارابي لزهده لم يكن يتناول من سيف الدولة من جملة ما ينعم به عليه سوى أربعة دراهم فضة في اليوم يخرجها فيما يحتاجه من ضروري عيشه ، ولم يكن معتنياً بهيئة ولا منزل ولا مكسب . وكان في أول أمره قاضياً فلما شعر بالمعارف نبذ ذلك وأقبل بكليته على تعلمها ، ولم يسكن إلى نحو من أمور الدنيا البتة ، وكان يذكر أنه كان يخرج إلى الحراس بالليل من منزله يستضيء بمصابيحهم فيما يقرأه ، وكان في صناعة الموسيقى وعملها قد وصل إلى غاياتها وأتقنها انتقائاً لا مزيج عليه ، وهو الذي صنع آلة غربية يسمع منها الحاناً بدبعة يحرك بها الانفعالات . »

وقال القاضي ابن صاعد بن أحمد بن صاعد في التعريف بطبقات الأمم : « أن الفارابي أخذ صناعة العلم الحكمي على يوحنا بن حيلان المتوفى في مدينة السلام . وكان يجتمع بابن السراج فيقرأ عليه صناعة النحو وابن السراج يقرأ

عليه صناعة المنطق . وسئل « أبو نصر » من أعلم أنت أو أرسطو ؟ فقال :
« لو أدركته لكنت من أكبر تلاميذه » .

وبدلنا على شغفه في أرسطو وكتبه أنه قال : قرأت السماع لأرسطو
أربعين مرة وأرى أنني محتاج إلى معاودته .

ولأبي نصر من الكتب ما ينوف عن السبعة وتسعين كتاباً ورسالة ومقالة
تنوعت مواضيعها في شتى العلوم والأدب والاجتماع ، والفلسفة ، واللاهيات ،
والرياضيات ، والكيمياء ، والموسيقا ، وعلم العدد وغيرها .

وحياة الفارابي تمثل الانقطاع للعالم ، والتجرد للدرس ، والزهد في الدنيا ،
وما في الدنيا من زينة ومفاخر وتكاثر في الأموال والأولاد . وكان قد لقي
الأمير سيف الدولة الحمداني وهو في حلب ثم صحبه الأمير معه إلى دمشق ، وفي
عام ٣٣١ ألف كتابه (المدينة الفاضلة) وسافر إلى مصر عام ٣٣٨ ورجع إلى
دمشق وتوفي بها في رجب سنة ٣٣٩ عند سيف الدولة في خلافة الرازي وصلى
عليه الأمير في خمسة عشر رجلاً من خاصته .

وللفارابي دعاء صوفي شهير وقد جاء فيه هذه الأبيات وهي من شعره تكشف
لنا عما انطوت عليه روحه الصوفية من عقيدة وحب آلهي . قال الفارابي :

يا علة الأشياء جمعاً والذي	كانت به عن فيض المنفجر
رب السماوات الطباق ومركز	في وسطهن من الثرى والأبحر
اني دعوتك مستجبراً مذنباً	فاغفر خطيئة مذنب ومقصر
هذب بفيض منك رب الكل من	كدر الطبيعة والعناصر عنصري

ومع أنه تعلم الطب ولكن ميله للفلسفة والعلوم الطبيعية والرياضيات غلب عليه
فكان من أكبر فلاسفة الاسلام ، ولم يزاوِل الطب الصنعة بل أحاط به احاطة
تامة وارتشف من حياضه حتى اطفأ ظمأه ثم انعكف على التبحر في المنطق وما
وراء الطبيعة فكان له ما أراد من فهم وعلم واطلاع وتأليف وانتاج ، ومع

ما كتبه من الكتب العديدة التي أشرنا إليها فإنه ألف في الطب كتباً كثيرة ودبر مارستان الري ثم مارستان بغداد أيام المكتفي . ومن الأسف أن كتبه الطبية ضاع أكثرها ولم ينشر منها ما يذكر ، وأما كتبه الفلسفية فقد نشر منها وطبع : (آثار أهل المدينة الفاضلة ، وما بعد الطبيعة ، والإبانة عن غرض أرسطاطاليس ، وبعض رسالات ترجمت الألمانية ، وكتاب عيون المسائل في المنطق ومبادئ الفلسفة ، وشرح فصوص الحكم ، وكتاب عيون المسائل ، وكتاب الموسيقى) وبقية تآليفه لا تزال في عالم الخفاء كما خفي قبره من الوجود . وبعد الفارابي نجد رينا ذكر شيخ الأطباء « جالينوس » عصره الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسين بن علي بن سينا . وهو وإن كان أشهر من أن يذكر وفوائده أظهر من أن تسطر ، فإنه وصف سيرته وأحواله بما يغني غيره عن وصفه . ولد عام ٣٧٠ وتوفي عام ٤٢٨ .

قال ابن سينا : « ان أبي كان رجلاً من أهل « بلخ » ^(١) وانتقل منها إلى بخارى أيام نوح بن منصور واشتغل بالتصرف والعمل في أثناء أيامه بقرية يقال لها « خرميشن » من ضياع بخارى وهي من أمهات القرى وبقرىها قرية يقال لها « أفشنه » وتزوج أبي منها بها ، وقطن بها ، وولدت منها بها ، وولد أخي ، ثم انتقلنا إلى بخارى وأحضرت معلم القرآن ومعلم الأدب حتى كاد يقضى مني العجب . وكان أبي ممن أجاب داعي المهربين وبعد من الاسماعيليين ، وقد سمع منهم ذكر النفس والعقل على الوجه الذي يقولونه ويعرفونه هم وكذلك أخي . وكان ربما نذاكرا بينهما وأنا أسمع منها وأدرك ما يقولانه وابتداء بدعواني أيضاً اليه ويجريان على لسانها ذكر الفلسفة والهندسة وحساب الهند ، وأخذ يوجهني

(١) بلخ : كانت القصة السياسية لولاية خراسان ثم أصبحت المركز الثقافي والديني

لمملكة طخارستان . وفي عام ٣٣ هـ شدة عليها الحصار ابن قيس الأنصاري فتحها ،

وبعد زمن اجتاحتها قبائل جنكيزخان تدهورتها وذلك في عام ٦١٦ هـ و ١٢١٢ م .

إلى رجل كان يبيع البقل ويقوم بحساب الهند حتى أتعلّم منه ، ثم جاء إلى بخارى أبو عبد الله النائي وكان يدعي الفلسفة وأنزله أبي دارنا رجاء تعلّم منه ، وقبل قدومه كنت اشتغل بالفقه والتردد فيه إلى اسماعيل الزاهد وكنت من خيرة السائلين وقد ألّفت طرق المطالبة ووجوه الاعتراض على الوجه الذي جرت عادة القوم به ، ثم ابتدأت بكتاب (إيساغوجي) ومعناه (المقولات) أو المقدمة للفلسفة (على النائي ولما ذكر لي حدّ الجفّس أنه المقول على كثيرين مختلفين بالنوع في جواب ما هو ؟ فأخذت في تحقيق هذا الحد بما لم يسمع بمثله وتعجب مني كل العجب وحذر والذي من شغلي بغير العلم ، وكان أي مسألة قالها لي أنصّورها خيراً منه حتى قرأت ظواهر المنطق عليه ، وأما دقائقه فلم يكن عنده منها خبر . ثم أخذت أقرأ الكتب على نفسي وأطالع الشروح حتى أحكمت علم المنطق وكذلك كتاب اقليدس في الهندسة فقرأت من أوله خمسة أشكال أو ستة عليه ثم توليت حلّ بقية الكتاب بأمره ، ثم انتقلت إلى « المجسطي » (كلمة يونانية معناها الأكبر) وهو كتاب يبحث عن الفلك ، ولما فرغت من مقدماته وانتهيت إلى الأشكال الهندسية قال لي النائي تولّ فراءتها وحلّها بنفسك ، ثم اعرض عليّ ما تقرأه لأبين لك صوابه من خطئه . وما كان الرجل يقوم بالكتاب ، وأخذت أحلّ ذلك الكتاب . فكّم من شكل مشكل ما عرفه إلا وقت ما عرضته عليه وفهمته إياه ، ثم فارقتي النائي متوجّهاً إلى (كركانيج = مركز لمقاطعة خوارزم) واشتغلت بتحصيل الكتب من الفصوص والشروح من الطبيعى واللاهى ، وصارت أبواب العلم تنفتح عليّ ثم رغبت في علم الطب وصرت أقرأ الكتب المصنفة فيه . وعلم الطب ليس من العلوم الصعبة فلا جرم أني برزت فيه في أقلّ مدة حتى بدأ فضلاء الطب بقراؤني عليّ علم الطب .

(يتبع) عبد الرحمن الكيالي

العلاقات الجوهرية

بين اللغتين العربية والآرامية « السريانية »
في النواحي التاريخية والفنية واللغوية والأدبية
- ٥ -

٢ - صور الحروف الأبجدية وعددها في اللغتين الآرامية والعربية :
إذا أردنا إيجاد وحدة صورية بين هاتين الأبجديتين يجب علينا الرجوع إلى
أقدم صورة باقية لكتبيهما وهما القلم الاسطرنجيلي الآرامي ، والقلم الكوفي العربي
فعند مقابلة هذين القلمين يتضح لنا اتجاذهما في شكل جميع الحروف تقريباً ، الأمر
الذي يؤدي تأثير القلم الكوفي بالقلم الاسطرنجيلي تأثيراً قوياً بعد استقلاله عن القلم
النبطي الآرامي القديم ، وهذا هو السبب في جعل العلماء الخط الاسطرنجيلي وحده
أصلاً للخط الكوفي العربي الذي تولدت منه سائر الأقلام العربية إلى يومنا هذا .
أما عدد صور الحروف في الأبجديتين فإنها اثنتان وعشرون صورة ، مع أن
اللغة العربية تحتاج إلى أكثر من هذا العدد . وقد أظهر العرب حكمة بالغة
وحذقاً عظيماً في تلافي النقص في عدد الحروف المستمدة من الآرامية . وذلك
أنهم لم يقتصروا صوراً جديدة للحروف الزائدة عن حاجة السريانية الآرامية ، بل
عمدوا إلى الحروف نفسها فاستولدوا ستة منها سبعة أحرف جديدة نفي بحاجة
اللغة العربية بعد اضافتها إلى الحروف الاثنتين والعشرين المعروفة الموجودة في
السريانية الآرامية ، وتركوها على صورتها الأصلية ، إنما عالجوا الحرف الجديد
بوضع النقط اللازم بحسب الاصطلاح الجديد . وهذه الأحرف الستة التي
وآدوا منها الأحرف السبعة الجديدة هي د . ح . ط . ع . ص . ت .

فصدرت عنها بالتسلسل سبعة أحرف هي ذ . ج . خ . ظ . غ . ض . ث .
وإنك ترى أن كل حرف أصبح حرفين الأصلي بدون نقط . والجديد وضعت
له النقط اللازمة . الا (الحاء) وحدها . فقد استولدوا منها حرفين هما (الجيم
والحاء) بواسطة نقطتيهما المعروفتين .

ومما يجدر ذكره أن العرب سلكوا سلوكاً فيلولوجياً بارعاً في هذه الطريقة
لتلافي عجز الحروف القديمة التي استمدوا منها أنجديتهم الجديدة . وهذا ما عمله
الآراميون عند عودتهم إلى كتابة العربية بحروفهم الآرامية . وهو الأسلوب
المسمى بـ (الكرشوني) الذي أشرنا إليه سابقاً . الا أن هناك اختلافاً بين
الجانبيين في بعض الحروف . فان الآراميين استعملوا (الجومل) بوضع نقطة
تحتها لكي تصبح (غينا) ، وبوضع نقطة في داخلها لكي تصبح (جيا) في
الكتابة الكرشونية . أما العرب فلم يسلكوا هذه الطريقة بل أدلدوا الغين من
العين بوضع نقطة فوقها . وأولدوا الجيم من الحاء بوضع نقطة تحتها . وهكذا
تم لهم ما أرادوا .

الا أن العرب لم يضعوا النقط لتمييز الحروف المزدوجة صورة الا بعد شعورهم
بوقوع التباسات كثيرة في الكتابة ، وهذا هو السبب في لجوئهم إلى هذه
الطريقة السهلة مع ابقاء الحرف على صورته الأصلية الممثلة في الصورة الفرعية
أيضاً مع العلم أن كتباً عربية كثيرة كتبت بدون استعمال التنقيط
حتى بعد اختراع هذه الطريقة . وما خلا ذلك ، فمع تهادي الزمان
وكثرة الاستعمال تقاربت صور أحرف أخرى بعضها من بعض فأصبحت
كأنها حرف واحد لا يميز إلا بالنقط أيضاً كالزاي والراء (ز . ر) والشين
والسين (ش . س) والقاف والفاء (ق . ف) . وتشابهت أيضاً صور النون
والباء والياء والفاء في أول الكلمة وفي حشوها ، وهكذا تجد كثيراً من صور

الأحرف كل منها يعبر عن حرفين أو أكثر ، وصارت الحروف العربية ثمانية وعشرين حرفاً ، ولكن يعبر عنها بخمسة عشرة صورة فقط .

ان حرف الخاء بولده الآراميون عند كتابتهم العربية بالأحرف الآرامية من (الكوف) أي (ك) ؛ أما العرب ففضلوا أن يتولد من (الخاء) نفسها بوضع نقطة فوقها ، وما نجب الاشارة إليه أيضاً أن صورة (السين والشين) في الآرامية والآرامية النبطية هي واحدة فقط ، فملك العرب هذه الطريقة وميزوا بينهما بوضع ثلاث نقط صغيرة فوق السين لكي تصبح (شينا) .

هذه هي الوحدة الكاملة بين صور الحروف الآرامية وعددها في اللغتين الآرامية والعربية .

٣ — الخواص العددية في الحروف الآرامية والعربية :

تتفق الأبيجديات الآرامية والعربية بكونها تستعملان علامات للأعداد عوضاً عن الأرقام العددية . وهذه الطريقة قديمة جداً في الآرامية وربما يرتقي تاريخها إلى العصور السابقة للمسيحية ، مع العلم أن الأمم الآرامية القديمة قد اخترعت علامات خاصة للأعداد ، فقد ظهرت هذه العلامات في الرقم الكنعانية والآرامية القديمة في انقاض مدن سورية المندسة كما ظهرت أيضاً في نصب تدمر وكتابات الآراميين في ضواحيها ^(١) ثم استمدت منها طريقة خاصة في عهد المسيحية الأول في الكتب لتأريخ السنين ، ولتصوير عدد آيات فصول الكتاب المقدس ، وعلى الأخص الانجيل ، ولترقيم اعداد كرايس الكتب ، واستمرت هذه الطريقة إلى العصور المتأخرة ^(٢) .

أما الأرقام الهندية المعروفة اليوم في العالم العربي فلم تعرف إلى القرن السابع

(١) اللغة الشبية ليوسف داود الجزء ١ ص ١٥٧ .

(٢) اللغة الشبية ج ١ ص ١٥٨ .

الميلادي ، قد نبغ في هذا القرن العلامة الفيلسوف والفلكي الرياضي ساويرا سابوخت ، وعلى يده وصلت للمرة الأولى الأرقام الهندية إلى العرب ، ويظهر أن استعمالها لم يشع فبقيت عصوراً أخرى حتى أخرجت إلى الاستعمال ، ويعود الفضل في اعدادها لنا إلى الرياضي السرياني الكبير المشار إليه ^(١) .

أما طريقة الحروف في العلامات العددية فقد شاعت عند السريان الآراميين أكثر جدّاً ، فنجد جميع مخطوطاتهم مؤرخة بهذه الطريقة وعنهم أخذها العرب في العصور الأولى لظهور أبجديتهم فاستعملوها كما استعملها الآراميون قبلهم ^(٢) . وهذه الحروف تنتظم في الأبجديتين للغاية العددية كما يأتي :

١ : أ	٤ : د	٧ : ز	١٠ : ي	٤٠ : م	٧٠ : ع	١٠٠ : ق
٢ : ب	٥ : هـ	٨ : ح	٢٠ : ك	٥٠ : ن	٨٠ : ف	٢٠٠ : ر
٣ : ج	٦ : و	٩ : ط	٣٠ : ل	٦٠ : س	٩٠ : ص	٣٠٠ : ش
٤٠٠ : ت						

وبقية الاعداد يعبر عنها بتركيب هذه الحروف نحو :

١١ : يا	١٧ : يز	٦٧ : مز
١٢ : بب	١٨ : يح	١٤٨ : قح
١٣ : يج	١٩ : بط	٣٩١ : شصا

وإذا رغبت في تأليف عدد بعد الـ ٤٠٠ فاقرن حروف المئات كما يأتي :

٥٠٠ : تق	٨٠٠ : تت	٧٠٠ : تش
----------	----------	----------

ثم تجعل حروف الآحاد نفسها للآلاف وحروف العشرات للمئات التابعة للأربعمئة . ويشترط أن تكون أولاً الآلاف ، ثم المئات ، ثم العشرات ثم

(١) المشرق البيروية المجلد ١٤ ص ٢٣٩ سنة ١٩١١ .

(٢) استعمل هذه الطريقة المبرانيون أيضاً أخذاً عن الآراميين وكذلك اليونانيون -

اللمعة الشبية ج ١ ص ١٥٧ و ٤٣٩ .

الآحاد ، خوفًا من الالتباس نحو (افعو : ١٨٧٦) ، (بعنا : ٢٧٥١) ٥ (جقمه : ٣١٤٥) . وقد اصطاحوا أن توضع نقطة فوق حروف العشرات للدلالة على المئات ، ومن تحت حروف الآحاد خطب على الدلالة على الآلاف . ومن تحتها أيضًا خطب للدلالة على الربوات نحو (ع : ٧٠٠) ٥ (ننج : ٥٥٣) ، (اعمه : ١٧٤٥ الخ) . نستنتج من استعمال الحروف الأبجدية علامات للعدد في اللغتين . ان العرب اعتبروا صراحة عدد الحروف الأبجدية ٢٢ فقط . اذ لم يخالفوا السريان الآراميين في هذه الطريقة مطلقًا وهو الذي يؤيد أن الأبجدية الآرامية هي أم الأبجدية العربية بحروفها الاثنتين والعشرين الراهنة . وبالتالي اعتبر العرب أيضًا أن الحروف الأبجدية الأصلية هي الاثنان والعشرين الآرامية فقط . وأما الحروف الزائدة في اللغة العربية فهي مشتقة من الحروف الأصلية كما بينا سابقًا .

٤ — التطور اللفظي في حروف بعض الكلمات المشتركة بين الآرامية والعربية : من الرامن أن اللغتين الآرامية والعربية باتصالهما التاريخي الطويل ، الذي يمتد إلى قلب نشوئها ويرتقي إلى عهد ازدهارهما ونضجها ، تبادلتا مادة غزيرة يصعب حصرها في بضع صفحات ، وذلك من حيث الألفاظ والأصاليب وغيرها . وأما الآن الناحية اللفظية من المادة المشتركة بين اللغتين ، وتطور الحروف من حالة إلى حالة من حيث النطق بها في اللفظة نفسها . ولا ندعي أننا سنحيط بجميع تلك الألفاظ المشتركة لأن ذلك يحتاج إلى مجلدات كاملة بل نورد نماذج من ذلك التطور لنقف على حالة الحروف الأبجدية النطقية عند استعمالها في هذه المادة المشتركة بينها مع العلم أن هناك ألفاظًا تكون الحروف هي عينها في كلتا اللغتين .

قبل أن نستعرض التطور اللفظي في الحروف المشار إليها يجب أن نعلم أن الحروف الأبجدية في اللغتين نوعان حروف علة وهي (الالف والواو والباء) ،

غير أن السريانية قد تضيف (الهاء) إلى أحرف العلة أحياناً لخضوعها في بعض الحالات اللغوية إلى ما تخضع له أحرف العلة في الاعلال والقلب والتغيير . وأما في المبرانية فإن (الهاء) ملحقة بأحرف العلة دائماً تقريباً . وسميت أحرف العلة كذلك لأنها تدخل الكلمات إما أصلية أو زائدة فيطراً عليها تغيير كبير من حذف ، وقلب ، وإبدال ، أو يصيب حركاتها أو حركات الحروف التي قبلها شيء من التغيير ، وتشارك اللغتان في هذه الناحية .

ومن المعروف أيضاً أن أحرف العلة كانت تقوم مقام الحركات في اللغتين قبل ظهور الحركات فيهما ، كما هي الحالة في كثير من اللغات الحية الآن ؛ ويظهر أنها لم تف بحاجة النطق الصحيح ، لذلك اضطر علماؤهما إلى اختراع الحركات . والنوع الثاني من الحروف هي الصحيحة ، وهي بقية الحروف الأنيجدة ؛ وأما التطور اللفظي في حروف بعض الكلمات المشتركة بين اللغتين فنجد كما يلي :

٢ - الألف (ا : ١) الألف في السريانية وفي العربية ، إذ لم ترد حرف علة على غرار ما أشرنا إليه الساعة ، تكون حرفاً صحيحاً حقيقياً ، ويسميه نحاة العربية (المحزة) ، ومن المعلوم أنه ليس هنالك اسم خصوصي للمحزة في السريانية كما في العربية ، ولبس لها إلا علامة خاصة كما هي الحالة في العربية ، ولذلك فإن المحزة السريانية لا تكتب إلا بالألف أبناً جاءت .

وتكون المحزة في اللغتين إما زائدة وإما أصلية ، والأصلية تكون في فاء الفعل وعينه ولامه (اُكَل) أكل (حَلَا) سأل (حَا) قرأ . وقد تكون في لام الفعل أحياناً مقلوبة في السريانية إلى حرف علة فيقال (حَا) قرأ (حَا) يقرأ .

وأما التطور الذي أصاب حرف الألف في بعض الكلمات فقد يكون أحياناً في السريانية عوضاً عن العين في العربية فيقال في قرع (حَا) عوضاً عن (حَا) .

وترد الألف في السريانية عوضاً عن التاء المربوطة في الأسماء المؤنثة وبقلب الفتح الذي قبل هذه التاء الى زقاق^(١) نحو (حَلَا) (عَلَا) (حَبَلًا) (مَدِينَة) (مَحْصُوتًا) مجدة ، وقد نجد في العربية الدارجة أمثلة كثيرة لهذه الصيغة فيقال (مَدِينًا ، نعمًا ، عظماً) عوض (مَدِينَة ، نعمة ، عظيمة) وهو ما يدل على تأثير السريانية الآرامية في العربية من هذه الناحية .

٢- الباء (ك : ب) كل الكلمات المشتركة بين اللغتين تستعمل الباء فيها باء دون تطور ، إلا في كلمة واحدة فتطور الباء الآرامية الى مي في العربية ، وهي كلمة (أَحَلَا) زمن ، والأظهر أن الميم في هذه اللفظة هي أصح من الباء فقد كانت لغة بابل القديمة تقول (أَحَلَا لا أَحَلَا) وفي اللهجات الآرامية المحكية في قرى الموصل هي الميم لا الباء فيقال (أَحَمَّ) لا (أَحَجَّ) .

٣- الجومل (ك : ج) أو حرف الجيم وهذا يلفظ كالجيم المصرية وهو السبب في أن نخاء العرب اعتبروا الجيم من الأحرف القمرية لا الشمسية ، مع أنه يمكن التلطف به كالأحرف الشمسية ، وقد أصاب هذا الحرف تطور كبير في بعض الكلمات المشتركة بين اللغتين فما يرد في السريانية (الجومل) ينقلب في العربية الى الضاد فيقال في لفظة (حَسَر) ضحك . وبقلب في العبرية الى الصاد فيقال في (حَسَر) سَحَا . صَصَصَ صَحَقَ ، سَحَقَ . بقلب الضاد أو الجومل الى الصاد أو السين .

٤- الدال (ك : د) الدال في السريانية تمثل في العربية حرفين هما الدال والذال ، وكما كانت هذه الدال ذالاً في العربية انقلبت زبناً في العبرية فتكون ذالاً في كلمات خاصة نحو دَح داس دَوَّعَ درس . دُ دَان دَوَّ دَار دَوَّعًا دَار دَوَّعَ دَحَقَ (طرد) انخ وتكون ذالاً

(١) الزقاق حركة الغم الخفيفة تشبه الهاء الفرنسية .

١٠ - الياء (ه : ي) ان الياء في السريانية تنقلب الى الواو في العربية وذلك في المثال العربي نحو **يَمَك** ولد **مُحِب** وهب **حَبِي** ودد **مُهَن** وقر **مُكاف** وتر **الخ** .

١١ - الكاف (ح : ك) الكاف السريانية لا تأتي الا مقاربة للكاف العربية .

١٢ - اللام (ل : ل) قد تنقلب اللام السريانية الى النون في العربية نحو **لُحْكَا** صنم .

١٣ - النون (ن : ن) النون في السريانية قد تنقلب الى ميم في العربية وذلك في الضمائر وأمثالها ، وهي كثيرة لا يسعنا ايرادها الآن .

١٤ - السين (س : هـ) السين أو السمكت السريانية قد تنقلب الى شين في العربية وبالعكس وهذا متأ من عدم التمييز بين الحرفين في الأبجدية الآرامية القديمة ، فقد كانت علامة واحدة لتمثيل الحرفين ، بل بالحري ان الحرفين كانا حرفاً واحداً كما سبق في بحث الابجدية النبطية .

١٥ - العين (ع : ع) العين السريانية قد تمثل ثلاثة أحرف عربية وهي العين والعين والضاد فمن الأول **حَكَا** ساعة **حَكَا** عين **حَكَا** عمل **حَا** رعى . ومن الثاني **حَب** غرب **حُه** غراب **حَك** غاب **حَكَا** غيم **حَكَا** مغارة **حَا** بغي ومن الثالث **أَمَكَا** أرض **صَكَا** بيضة **حَكَا** ضان **حَكَا** ضرة **حَب** ضرب **حَكَا** رضوان .

١٦ - الصاد (س : ص) قد تنقلب الصاد السريانية الى الضاد العربية نحو **شَر** عرض **شَر** غمض **شَر** شمس **شَر** نفض .

١٧ - الراء (ر : ر) قد تقابل الراء السريانية نون في العربية ومن ذلك لُجِمَ اثنين حَا ابن حُنَا بنت إلا أن الراء السريانية تنقلب الى نون أيضاً فيها عند الجمع فيقول في حَا ابن حُنَا بنون حُنَا بنت حُنَا بنات .

١٨ - الشين (ش : ش) فلما تقابل الشين السريانية بشين عربية بل تقابلها غالباً السين كما سبق الكلام في السين السريانية نفسها .

١٩ - التاء (ت : ت) تمثل التاء السريانية حرفين في العربية هما التاء والتاء، وهكذا تكون بعض الكلمات المتحركة في اللغتين تارة تاء عربية نحو لَأَكُهُمَا تنور لَأَسَلَا تنين لَأَعَا نيس وطوراً تاء نحو بَأَوَّأْ ثدي لَأَهُؤَا ثور لَأَهْهْ ثقل لَأَكَا ثلاث .

هذا ما يمكن قوله في تطور الحروف ولفظها في المادة المشتركة بين اللغتين العربية والسريانية الآرامية . ولو عاد المتبصر الى معاجم اللغتين لوجد بجرأ خضماً من المادة المشتركة فيها واهتدى إلى أمثلة كثيرة على غرار ما ألمعنا إليه في بحثنا هذا .

(الموصل) غريغوريوس بولس بهنام

نسخة تاسعة

من ديوان ابن عُنين

أغارني الحكيم (الطبيب) السيد مظفر حسين بكراجي في ٩ شعبان سنة ١٣٧٨ هـ
نسخته من ديوان ابن عُنين . وكان طال مقامه بمحيدراباد الدكن . ومن
غرامه وهواه في الأسفار والآثار اجتمع لديه منها مبلغ لا ينكر قدره .
فباع منها جملة لخزانة ميرپور وفيها نسخة جليظة من ديوان ابن الساعاتي .
وقد بقيت عنده بقايا أكثر من نصفها فيها كل على مفنة يشد إليه الرحال .
والظاهر أنه يبيعها لخزانة دار التحف بكراجي .

ولما سرحت فيها نظري وعارضتها بطبعة الصديق الأستاذ الفاضل خليل مردم بك
من ثمان نسخ وجدت فيها نحو ٣٤ ما بين مقاطيع وقصائد فانت النسخ ،
وبعض أخبار وروايات لا يخلو تقييدها من فائدة زائدة ، فصحت عزيمتي على
تعليقها ولم شعثها وضبط شواردها وعرض فرائدها .

وهي بقطع وسط أميل الى الثمن في ١٠٨ أوراق . والمسطرة تتراوح بين
١٨ الى ١٥ سطراً في الغالب وربما تقل وتزد . بعدة خطوط لا تقل عن
خمس . مما يدل على أن بعض الزوار أو الحجاج يكون زار الشام ، فأوفزته
الرحلة عن استنساخ الديوان على وجهه ، فوزعه على نحو مئة من كاتبين ،
وما كانوا كراماً بررة ، فخطبوا وحرّفوا . وكلها بالنسخ . وهي عربية المنصب
ليست من نتاج الهند أو السند وإنما تهتدت منذ قديم . وهذا يدل على أن

الهند استأنست* يزايرها فحافظت على وُدّه كما حفظت نسخة من شعره وإن كان لم ينصفها بعد مفادرتها لها إذ قال :

وإذا سقى الله البلاد فلا سقى بلد الهند سوى الصواعق والدماء
وقد تعاورت النسخة أبدي عدة من الأصحاب بدل على ذلك خطوطهم
التي لم أستطع قراءة بعضها لمحو أصابها . وعليها ختم (اورنگ زيب عالم گير)
أو بعض أمراء عهده ، وثبت عليه خط إلهي ممداني وتمام اسمه ميرعماد الدين
محمود وهو من آل آباد من نواحي همذان وهو عصري الشافعي المقدسي وصاحب
النقي الأوحدي من شعراء الفرس الذين زاروا الهند ومات سنة ١٠٦٤ هـ .

وقد لقيت عرق القرية وجهداً جاهداً في إصلاحها وردّها الى أصلها .
فقد وفقت في بعض الأماكن كما قد أخفقت في بعضها الآخر . وبعض هذه
الخطوط مشكول شكلاً أكثره مغلوط وما كان يضره لو فقد الشكل والاعجام
بالمرة . هذا إلى ما أحدثته الأرضة من ثقب وخروق حالت دون قراءتها كما هي ،
وإلى أن بعض الأوراق قلبت فوضعت في غير أماكنها من الأبواب التي هي
منها . والنسخة كاملة على علاقتها ، غير أن المقطوعة التي رقت رقم ٢٥ بطرئتها
قد خلت من عنوان ، وهي في أول الورقة ، وهذا مما يؤم بوقوع خرم وسقوط
ورقة أو أكثر دون جزم وبت .

ونسختنا على ترتيب الأبواب الخمسة التي مردها الاستاذ الناشر في ص ٢٤٨
من طبعته سواء .

وقصيداته الأوليان في الديوان في مدح صلاح الدين (مخوف وأرسخ)
اللذان طرّز بها باب المدح قد خلت عنها النسخ الثمان ، وكلّ بها ابن نيهان
وجه الديوان من صنعه . ولكن سائر المقطوعات ملحقه بآخر الأبواب الزائدة .

هذا وقد أكتت العراض فأثبت بعض أخبار زادته نسختنا أو خالفت فيها بعض ما عند أخواتها ، هذا إلى أنها تحل ببعض ما أنين به وأثبتته .
 وأما طريقي التي سلكتها فاني اعتبرت بترتيب نسختنا الأول فالأول .
 وقد سهل عليّ فهرس القوافي الملحقه بآخر الطبعة البحث عما فيها ، إذ لم يكن لي عن ذلك مندوحة . نظراً إلى أن مخطوطتنا تخلو عن فهرس يمكن من فحص باقي المطبوعة عما فيها . وهذا ظاهر . فعذري واضح فيما سلكته .
 وها أناذا أنقل مقدمة النسخة بعد الحمد والصلاة :

(قال العبد الفقير إلى رحمة الله تعالى أبو الحسن محمد بن نصر الله بن عنين تجاوز الله عن زلته ، وألحقه بن تفعده بجزيل رحمته وأصله من زرع قرية ببلد حوران وهو من بني غالب ووُلد بدمشق المحروسة يوم الاثنين تاسع شعبان سنة ٥٤٩ وتوفي يوم الاثنين أيضاً العشرين من ربيع الأول سنة ٦٣٠ بدمشق المحروسة . مما عني بجمعه محمد بن المسبب بن نهبان التغلبي ^(١) الدمشقي إحياء لذكره ولما لحقه من بديع شعره الخ) .
 وظاهر أن تاريخ وفاته ألحقه ابن نهبان بعده . وهو الذي أراد ابن خلكان بقوله (وقد جمع له بعض أهل دمشق ديواناً صغيراً لا يبلغ عشر ماله من النظم) . وكان مُقرّماً به وبشعره يتردد إليه ويحضر مجالسه ويسأله عما أشكل عليه منه أو اعتاص ويستوضحه عنه ، ولما رآه ابن عنين حريصاً على ذلك أُملي عليه بعض ما تبقى عنده من شعره في هذا الديوان الصغير .

كراتشي

عبد العزيز الميمني

(١) كذا جاء بالعين المجمة ثلاث مرات أو أكثر . ولست أدري إهمالاً إلا تصحيحاً .

قال يمدح السلطان الملك الناصر صلاح الدين أبا المظفر يوسف بن أيوب (١)
رحمه الله وذلك في سنة خمس وسبعين وخمس مائة ، وأنشده إياها بالساحل :

ما للاماني عنك منصرف	ولا لها عن ذراك منصرف
أنصفت أهل الزمان كلهم	منه ولولا أذاك ما انتصفوا
إني بانهامك الذي امتلأت	به مناي الفداة معترف
لذاك شكري الذي غريت ^(١) به	دأبي فاض منه ومؤتف
ضافت [عن] المدح والثناء على	بعض الذي قد أتيت العصف
يا طالبي المارفات دونكو	ندى ملك الزمان فأعترفوا
فما اخطئ الطامي غواربه	ولولا الفيوث الهواطل النطف
عليكو منه بأين مكرمة	تندح أمواله وتغترف
ما دونها ذائد ولا حرس	إلى حراها الآمال تختلف

حراها : نواحيها

ما بين هذا الانام كلهم	في أنه أكرم ^(٢) الوري خلف
يوسف مصر الذي ممالكه	جنة عدن فيها لنا غرف
مشحونة بالنعيم صافية	ظلالها بالخلود متصف ^(٣)
أبقى على الدهر من حوادنه	محوطة لا بناها الوكف

الوكف : العيب .

لها من الناصر الملك صلاح الدين حام سيفه رُغف

وقال أيضاً يمدحه رحمه الله وبذكر فتوح مصر وخطبة بني العباس أدام الله (٢)

أبائهم بها :

(١) الأصل عريت به .

(٢) بعضه مأكول الأرضة .

(٣) كذا ولعل الأصل تتصف .

'حلومك أرمى من شمام^(١) وأرسخ^(٢)
 وذكرك ما بين الأنام كأنه
 بقيت صلاح الدين فينا مخلدا
 إذا ذكرت أبناء فضلك في الوري
 سمى الملك من أبناء أبوب ماجد
 فضائله تُرني على الرمل كثرة
 عقود صلاح الدين فينا أكيدة
 مهابته درع عليه حصينة
 إذا الحرب حشنتها الكفاة كأنها
 غدا مطفئا نيرانها بعزائم
 لمجد صلاح الدين يوسف همة
 أقام بمصر دعوة الحق فأنثت
 وكم أروس للأدعياء وعدائته
 يجود بما تحوي بداه تبرقا
 كما سمحت الأنواء طلاء ووابلا
 بلام على بذل المواهب والندی
 فيعرض إعراض الكرم بسمة^(٣)
 فيا حسنها من سيرة عمرية
 رعاها الإمام المستضيء وولده

ومجذك أعلى من [جبا^(٤)] ل واشمخ
 وقد ضاع بالمسك السحيق مضخ
 فأنك معها دومت فالردع مفرخ
 لدى معشر أننوا عليك وبجخوا
 همام شديدا البأس أصيد أبلخ
 على أنها ترؤى وتنتلى وتنتسج
 أبت أنها ما دامت الأرض تفتسج
 وبين حماه والحوادث برزخ
 طهارة قدري في الشتاء وطبخ
 تفلق هامات الملوك وتشدخ
 تطول دراري النجوم وترسخ
 تدون في أبنامه وتورخ
 ترسخ بمرداة الهوان وترسخ
 ويجزل ما يعطيه طورا ويرسخ^(٥)
 وجاءت بما يروى البلاد وينسخ^(٦)
 ويأجى على إحسانه ويرسخ
 ويثبت كالطود الأشم ويرسخ
 وملة عدل بها لبس ينسخ
 وقام لها يزهي كرميا ويشمخ

(١) كقطام جبل لباهه .

(٢) مأكول .

(٣) يعطى عطاء دون الجزل . ويرسخ في البيت المتقدم يشدخ ويكرس .

(٤) 'يروى ومنه عيان فصاخران .

(٥) الأصل بسمة .

قال محمد بن نيهان التغلبي الدمشقي رحمه الله جامع الكتاب فأعطاه الملك الناصر صلاح الدين ألف دينار وأرسل له من بغداد ألف دينار .

ص ٣ س ٣ : وقال يمدح السلطان الملك العادل سيف الدين ابا بكر بن أيوب رحمه الله وأنشده إياها بمدينة دمشق سنة ٥٥٨٥ هـ القصيدة والبيت العشرون ومرآتين على الرجال كأنما البيت

ص ٩ س ١ زاد : وأنشده إياها بمدينة دمشق بالقلمة في شهر سنة ٦٢٦ هـ

ص ١٤ س ١٢ زاد : من قصيدة طويلة لم يوجد منها غير هذه الأبيات الثلاثة .

ص ١٨ س ٥ : لا يُثَبِّهُهَا .

ص ٢٢ س ١ : يتقدّم البيت :

ألا أيها الملك المعظم والذي مواهبه ترجى ويُخَشَى عقابه

ص ٣ : من نشاد دور بلاد العجم إلى دمشق . وهي نيسابور .

ص ٩ يتلوه :

ذو مُقْلَةٍ دَعَاءٍ أَدْمَى لِحْظَهَا قَلْبِي وَأَنْقَذَ سَهْمَهَا أَدْرَاعِي

ص ٢٣ بعد س ١ : قال جامع الكتاب محمد بن نيهان التغلبي الدمشقي رحمه

الله سألتُ الشيخ شرف الدين رحمه الله يوماً بمحضرة الشيخ نجيب ^(١) الدين

أبي الفتح نصر الله بن الصفار المعروف بابن الشُّقْبَشُقَّة عن معنى هذا البيت وقد

استغربه لأن عادة الخمر أن تبدل الوقار بالطيش فقلت له أهذا المعنى لك

مبتكر أم سمعته ؟ فقال لا أعلم أنه لآخر غبري فابتدر الشيخ الامام نجيب الدين

وقال بل هو لغیره وأنشد في المعنى لابن وكيع :

(١) المتوفى سنة ٦٥٧ هـ كان يُرَى بركة الدين براعي أرباب الجاهات كثيراً ترجمته

في ذيل الروضتين ٢٠١ وغيره .

كيف [لي] أن أراك منجم المذ—— طق سكران است توضح حرفا
 وأنادي من المسرة مات ال—— كرفادعوالي بالكأس صرفا
 إن للراح منة است أدري شكرها كلما أظلت الوصفا
 ليئت مخلق قسور وأعاره—— سماحا وعلته العظفا
 كلما رمت قبة قالت الفسرة مات الغلا نخذ لك ألفا

فتمجيب الحاضرون من حسن استحضاره وعظم افتداده .

ص ٢٣ س ٢ :

في روضة بالتينوبين أريضة موشية يبدائع الإبداع
 مخاضة (كذا) وشائع بردها كفت الخضب وأي كفت صناع

ص ٢٦ س ٣ : جاورث (بالراء المهملة) ، هذا عمران بن حطان
 لما خرج على عبد الملك بن مروان وطلبه فهرب منه فلم يجد له ملجأ في الأرض
 إلا روح بن زنياع فقصده فلما وصل اليه وهو مطحن القلب به لم يجره
 وطرده ١٠ الميمني والخبر مرده أبو العباس على طوله يعض اختلاف في الكامل
 ٥٣٠ - ٥٣٤ .

س ٥ : أرقح كي أسدد .

س ٨ زاد : وتسجها على منوال الأفور والأودي في قصيدته المحرصة ١٠
 ولعلها داليتة في الديوان صنع العاجز بقم (ز) ص ٩ .
 ص ٢٨ س ٣ دالجة : والدالج الذي يمشي بالدلو من البئر الى الخوض .
 والسفر القوم المسافرين .

ص ٢٩ س ٦ : أهوم أو في بطن دوية أسري

٧ : عن سنا البدر . هذا البيت بقرطس في غرض البلاغة
 بإصابته وتأنس به الأسماع على غرابته وتمنو لديه الأوصاف والمدائح وتنجل
 عند سماعه لقصورها طلايات (كذا) القرائح .

- ص ٢٩ س ٢ : ولو حاول المرتج البيت بتلوه ببثان وعليها الختام - وسائر الأبيات التي تتلوه هنا تتقدمه عندنا - وهما :
- من القوم لو جارهم البحر في الددى لأصبح قاعاً صفصفاً مضيد البحر
إذا استلأموا يوم^(١) النزال حسبتهم أسود العرين الغلب تسبح في غدر
- لقد أصاب شاكلة التشبيه وأصبح فرداً في معناه بلا شبيهه ١ هـ .
- س ٩ : عندنا سنة ثمان عشرة .
- ص ٣١ س ٨ : سنأها وللأذى . وأراه الصواب .
- ١٠ : وأفرجت . ولا أرى عليه غباراً .
- ص ٣٢ س ٥ : ومعها ارتجاس .
- ص ٣٢ س ٨ : أرضاً تداس .
- س ١٠ : بيت الذئب طاوراً يزيرو جارو ربوبه الكناس .
- ص ٧١ س ٤ : بأصلنا الخوول من أسماء الدواهي ١ هـ فهو بالفتح .
- ص ٣٤ س ٤ : زاد : وأنشده إياها بمدينة عدن في سنة ٥٨٩ هـ .
- س ٧ : وإن بعيداً لا يورجسى اقترا به .
- ص ٣٥ س ٨ : لا بناصب .
- ص ٣٦ س ٢ : على الرمل في إثر المطي .
- ص ٣٧ س ٦ : من خلوة الفحل .
- ص ٧٢ س ٥ : سنة ٥٨٩ هـ .
- س ٨ : حنين العطاش .
- ص ٧٣ س ٨ : قوله منها يوم أن هنا شبتاً من القصيدة لم يورد هنا .
- والكثما تظهر تامة في نسختنا .

ص ٧٤ س ١ : سهله ٤ ولا يظن سهل .

س ٣ : الباب الغياثي .

ص ٣٩ س ٨ : قوله ومنها كأنه حذف البيت الآتي من أجل خلل أو تصحيف وهو :

وكأنه في الحرب خرصان به ذي العز (?) الملك العزيز قد احتبي

ص ٤٠ س ٣ : وقال يمدحه وأنشده اباها بمدينة عدن في سنة ٥٩١ هـ بظاهر البلد .

ص ٤٢ س ١ : النفل بلا تحريف .

س ٥ : لأفصح معجم غرل .

ص ١٠٢ س ١ : عندنا : ولما ملك الملك الناصر صلاح الدين بعض البلاد الساحلية أرسل الى أخيه السلطان الملك العزيز ظهير الدين صاحب اليمن يعرض عليه النزول عن اليمن والحقاق به لبستلم الساحل الفرنجي ويحضر الغزاة . فشاور الشيخ شرف الدين بن عنين وكان حاضراً عنده في ذلك . وكان شرف الدين قد مرق له بمكة فمأش اهتم به بعض الأشراف الذين بها بمن كان حوله . فأنشد سيف الإسلام هذه الأبيات يحرّضه على قتال أهل مكة وبثني عزيمته عن الساحل وأدّ لها :

ثم بعد تمامها : قال جامع الكتاب سألت الشيخ العلامة نجيب الدين بن الشقيشقة عن هذه القصيدة فقال لم يوجد منها غير هذه الأبيات ولتأهاها سبب . فسألته عن السبب فقال حدثني الشيخ شرف الدين أبو المحاسن محمد بن عنين بداره في ليلة من ليالي الشتاء في ثالث ربيع الأول من سنة ٦١٣ أنه لما كان باليمن وعمل هذه القصيدة ظظ قلب الملك العزيز على أهل مكة ووصل الى أشرافها شيء من مكروهه . قال ففرضت مرضاً شديداً بلغت فيه الموت

أو كدت فرأيت في إحد [ى] لبالي مرضي كأن مولاتي الست فاطمة صلى الله عليها وسلم وهي واقفة بازائي تشير باصبعها الكريمة إليّ وتقول :

حاشا بني فاطمة كلهم من خسة تعرض أو من خنا
وإنما الأيام في صرفها وفعلاها السوء أصامت بنا
لأن أصا من ولدي واحد تلحق هذا الشتم عمدا بنا
فتب الى الله فمن يقترف ذنبا بنا بأمن ثما جنسى
وأكرم^(١) لأجل المصطفى أحمد وآله من أهله أعيننا
فكلما نالك منهم أذى^(٢) تلق به في الحشر معنا^(٣) هنا

قال فاستيقظت شديد الرعب وقد شيمت رائحة العافية فوثبت الى القصيد فزقناها وعمت :

عذراً ! الى بيت نبي الهدى تقبله من عبد سوء جنى
وتوبة تقبلها من أخي جرم بعيد الخير مرّ الجنى
والله لو قطعني واحد منكم بسيف البغي أو بالقنا
لم أك في ظنّي مسيئاً به بل أراه في الفعل بي محسناً

وكان لا يؤثر أن يحفظ أحد من هذه الأبيات شيئاً حتى إن الملك الأشرف كان^(٤) إذا أراد أن يغيظه ذكر بيتها .

ص ٥٥ س ٧ : فتربني أنه حذرا .

س ١٠ : إذا استسقيت وأبله ، على الظماء (كذا) سقاني .

(١) بالتسهيل ضرورة .

(٢) الأصل عزا .

(٣) الأصل مفا .

(٤) الأصل وكان اذا أراد مغيظه .

- ص ٥٧ س ١٠ : فظلت تباري الشمس .
- س ١١ : أزال على الصواب .
- ص ٥٨ س ٤ : به مَثَل . وهو الأليط .
- س ٥ : ما أحلى قوله إلا أن ظفرت برا . يريد لم أحصل على
سوى القافية فانها كقافيته « وإنما الشعر لم ألحق فيه من شأوه شيئاً ٨١ : اليميني :
فاتضح أنه برا أي يحرف الراء وهو روي القافية لا غير .
- س ٨ : يتلو البيت الأخير : وهذا آخر مدائحه للملوك ٨
ثم يتلوه مدح الوزير ابن شكر وهو في ص ٤٥ .
- ص ٤٥ س ١ أصلنا : وقال بمدح الوزير صفي الدين أبا الحسن علي
ابن عبد الله (وفي الفوات ١ / ٢٨٠) وملكة الزمان عبد الله بن علي (بن شكر
وزير الملك العادل صيف الدين أبي [بكر] بن أيوب وأنشده إياها بدمشق
سنة ٥٩٣ وبذكر فيها حصار الأفضل والملك الظاهر العادل (؟ للعادل)
ورجوعها عنه بحسن تدبير الوزير الممدوح .
- ص ٤٩ س ١٣ : ولو مات وجدا .
- ص ٥٠ س ١٠ : ألقى .
- س ١٢ : فلو عاجلتُ حداً (؟ جُداً) .
- ص ٥١ س ١٣ : يأتي بالأُمس يذهب رداً .
- ص ٥٢ س ٣ : وهو فاعلٌ .
- ص ٥٣ س ١ : ألى جنابك رداً .
- س ٢ : والثناء أكرم مُهْدَى .
- ص ٩٤ س ١٢ : بأصلنا زيادة : وذلك بمدينة سمرقو في مدرسته التي بُلقي
بها الدروس .

- ص ٩٥ س ٧ : يمشي بقلب .
 ص ٩٣ س ٦ : أصلنا فكذب إليه من نيسابور وسيّرَها إليه الى نشادور^(١)
 وذلك في سنة ٦٠٢ .

- ص ٥٤ س ٨ : رياح الطيش .
 ص ٩٨ س ٩ : محلّة الجناح .
 ص ٩٩ س ٣ : وحلّة المزاح .
 ص ٧٤ س ٧ : من نشادور .
 ص ٧٦ س ٢ : جواسق كالدراري .
 س ١٠ : لغيامي وعزمه .
 ص ٧٧ س ٢ : بين الذئاب .
 س ٥ : زاد : وصيرَها اليه أيضاً من بلاد^(٢) العجم إلى دمشق .
 ص ٧٨ س ٦ : يتلوه بيتان وعليهما الختام :
 عسى عطفة بدرية تعكس النوى فألفى قريو العين بالاهل والوطن
 فقد ملأت النفس البعاد وبرحت بها سعة الشكوى وضاقت بها العطن
 ص ٧٩ س ١ : عندنا : وقال يمدح النجيب بن يمين العرضيّ وكان اجتماعا
 كلاهما وعاد النجيب الى الشام فكذب بها اليه :
 ص ١٠٤ س ١٣ : بات عنه غني .
 ص ١٠٥ س ١ : سبيّة ألفت .
 ص ٥٩ س ٨ : في صفيح الحدا .
 ص ٦٠ س ٩ : غمر .

(١) كذا وهي نيسابور نفسها عامية .

(٢) وفي الأبيات من عدن .

- ص ٦١ س ٤ : فيها وأصبحت الموالى .
- ١١ : يربد بالأخشاب المجانيق ٥١ .
- ص ٦٢ س ٥ : بعده بيت وعليه الختام :
- فألملك عينٌ خاطبته كأن^(١) بها رمداً فكان لما صراها إثمدا
- س ١٢ : وجنوا المعالي . هذا غلط صرفي من ابن عنين .
- ص ٦٣ س ٥ : الخسيس . والغم من خطأ الطباعة .
- ص ٦٤ س ٤ : با لإرعاد .
- س ٨ : زاد : وكانت بينها صداقة ومودة أكيدة وكان
دفن بدمشق ثم نقلوه الى قلعة جعفر .
- س ١٢ : عن طريق رشادها .
- ص ٦٥ س ٤ : رزى الكرام الخ كما في صلب المطبوع .
- ص ٦٧ س ٧ : بعده وعليه الختام :
- لا غب قبرك مرجع زاهر زجل النواحي مسيل هدار
- ص ١٤٠ س ١١ : يتهد لو حملته بعضا - الجبل . أي يهد الجبل
(ضد السهل) لو حملته (بالشد) الداهية بعضا . وهذا ظاهر .
- ص ١٤١ س ٣ : منتعل في شعر الأعشى رقم ٦ وتمام البيت :
- هر كولة فئن درم مرافقها كأن أخصها بالشوك منتعل
والنضمينان غير موجودين في نسختنا .
- س ٥ : منتفخ وكذا نسختنا والصواب : منتفج بالجيم لا غير .
- س ٦ : في بيضة القنيط وأراه الأقد وفي زائبة الشمخ :
- طوى ظمأها في بيضة القنيط بعدما جرى في عنان الشعور بين الأماضر
- (١) أو بأن .

ص ١٤٢ بعد س ١ : يريد بنظام الدين ابن القلانسي . فاللطف أنها المتأمل ما ألفت هذا الاستطراد وما أحلى موقعه من الفؤاد حتى لو سمعه الذي قيل فيه لشغله استفادة هذا الخرج عن أن يرقل في ثياب المخرج ١٥ الميني لا أعرف المخرج إلا الخرج وهي ثياب تبسط على جبل لتجف . فلعل المخرج عامية .

ص ٩١ س ٢ : فيما وقع له من الوقائع والملاجريات والمكائبات والمجاوبات والطآبات والشفاعات والأغراض والمجون والهدايا والاستهداآت والطرف والننف والالطف والحنين والأشواق الى بلده وغير ذلك مما يجري مجراه ١٥

ص ٩٢ س ١٠ : بتلو (مسلماً) :

(٣) رأى صبيّاً مليحاً تركباً قد رأى غراباً على شجرة فرماه بهم .
من الخزر العيون رأى غراباً فأوترَ قوسه ورعى بهم
فختُ البدر أرسل عن هلال الى الليل البهيم شهاب رجم
ص ١٠١ س ٨ : عندنا وكتب الى الملك العزيز سيف الإسلام باليمن
يطالب منه خمرأ على طريق اللغز .

ص ٤٤ س ٥ : ما قَطَّبَا لي أد [ر] ي عَدَاكَ الدَّمُ

ص ٧٣ س ٣ : عندنا أربعة أبيات من هذه القصيدة وهي في الأسطر

٣ و ٤ و ٦ و ٧

ص ٨٠ س ٩ : بلوح وآذِي الدُّجْنَةِ .

ص ٨١ س ١١ : من أن تُنَالَ وتُلْتَمَا .

ص ٨٣ س ٤ : على وكز بالزاي المعجمة لا بالمهمل .

ص ١٤ : راحلا - وأحدانه بي .

- ص ٨٦ س ١١ : بعد (عن ذكر الشئ) زيادة :
- أصبحتُ بعد فراقكم متجميعاً ^(١) بلوى فصر ^(١) كذا في الخطوب مشتبهاً
- ص ٨٧ س ٥ : بين النعائم والفقر . وبالنسر يحصل الإبطاء .
- ص ٨ : يتلوه : يريد بذلك أن تؤم سعد السعود صعبه
- باقي الأنواء المُنطِرة إذا لازمها بكثرة الغيث ويصير مكان الضب وهو البراري المفقرة كمكان الحوت وهو البحر وربما زاد ماء البحار والأنهار وطفا السحك الى أن يتلاقى به والضب في وكره وهذا بليغ حسن .
- ص ١١١ س ١ : عَبَثَ السَّقَامُ .
- ص ١١٦ س ٤ : يداء كما قيل فأما .
- ص ١٤٢ س ٨ : قيد ضيق .
- ص ١٢٢ س ٥ : شعرك الأنجم .
- ص ١١١ س ٨ : عند ذاك .
- ص ١٠ : والبنتان اللذان أشدهما ابن الجاور :
- بالكووس الملاء 'حفا' إلياً لا تجرباً (كذا) بالمُدام لاً علياً
- من بدّي فاتر اللواحق كالبد ر اذا حَفَّه نجوم الثريا
- ص ١٢٠ س ٢ : لقد حصت قوادمها .
- ص ١٢٢ س ٩ : عندنا في الترجمة : وكان لما كتب هذين البيتين (جناحي ص ١٢٠) مريضاً طلب أن يزوره وكتب اليه مع هدية ١٥٠ .
- ص ١١٢ س ٢ : لو مك عذرا .
- ص ١٣١ بعد س ٨ : فلما وقف عليها السلطان أمره أن يستدعي ما يحتاج ضيوفه اليه في كل يوم من سائر الحوائج .
- ص ١٢٣ س ٣ : لو كان ما بهدي على مقداركم ٤ لم يرتض الشمس .
- (١) لعله بصبر في الخطوب تشتتاً ، على الإبطاء .

- ص ٩٠ من ٦ : في أعالي البان .
 ص ٨٩ من ٤ : ومَرَّجَتُهَا :
 من ٥ : ضاع بضوع فاح .
 ص ٩٠ من ٣ : وقد : أو غتُ .
 ص ١١٢ من ١١ : فكم أشهب .
 ص ١٠٠ من ٧ : بأجراري ، والأجرار شقّ لسان الفصيل والقلم أيضاً
 'يشقّ' لسانه . ثم بتلو الأبيات وقال مخاطباً للسلطان الملك المعظم وقد جرى
 يوماً حديث قسمة الغنائم شرعاً وكيف ترحّضت الرسوم الشرعية :
 (٤) بأبيها المالك المولى الكريم ومن يستحق الملك والدنيا اذا سبّ
 إذا لقيت الأعداء يوم معركة فإنّ جمعهم المفرور منتهب
 لك النفوس وللطير اللحوم وللحش العظام وللخيالة السكّاب
 فضحك الملك المعظم وقال هذه قسمة على بيت المال فيها حيف .
 وكان عند الملك الناصر الخ مافي ص ١٢١ س ٤ وبتلو بيتيها :
 فقال الملك المعظم الناصر سمعاً وطاعة ، ثم أمر بنشف لحبته فاستغاث الشاعر
 وأقسم أنه ليس من القصيدة . ومراً ذلك اليوم في نوادر الشعراء .
 وكان مع الملك المعظم في 'بحيرة طبرية' فركبا في الزيزب^(١) فقال بديها : (٥)
 واني لأعجب من زيزب به بحر (?) كيف لا يفرق
 فن تحتها بحر (?) واحد ومن فوقه أبحر تدفق
 وأعجب من ذا وذا أنه يلامسه وهو لا يرزق (كذا)
 (يتبع)

(١) هذه الأبيات معروفة للخلوق الشاعر في طاهر بن الحسين والرواية :
 عجبت لحرافة ابن الحسين كيف يقوم ولا تفرق
 وبحران من فوقها واحد وآخر من تحتها مضطرب
 وأعجب من ذاك عيادتها وقد مسّها كيف لا تورق
 والزيزب نوع من السفن .

الزجاجي

حياته وآثاره

ومذهبه النحوي من خلال كتابه «الإيضاح»

- ٣ -

١٣ - كتاب معاني الحروف :

عدّ بروكّن بين مصنفات الزجاجي كتاباً باسم «حروف المعاني» . وأما «معاني الحروف» فلم يذكره أحد غير ابن خبير الاشبيلي^(١) . إلا أن القفطي قال في الإنباء إن «لأبي علي الفارسي كتاب «الأغفال» فيما أغفله الزجاجي في المعاني^(٢)» ! وكلام القفطي هذا ، يهّد السبيل لوهم القارئ ، إذ يدلّ على أن «أغفال» الفارسي يتصل بمعاني الحروف للزجاجي . والحق أن في كلام القفطي نقصاً وسهواً ؛ أما النقص فلأنه كان ينبغي له أن يشير إلى أن «الأغفال» إنما هو في معاني القرآن . وأما السهو فلأن «الأغفال» هو تعقيب واستدراك على كتاب «معاني القرآن وإعرابه» لأبي اسحاق الزجاج ، لا على معاني الحروف لأبي القاسم الزجاجي ، ولم يشير محقق الإنباء إلى ذلك^(٣) .

(١) فهرست ابن خبير : ٣١٩ .

(٢) إنباء الرواة ١ : ٢٧٤ .

(٣) أقول زيادة في الإيضاح : للأغفال نسختان ، أحدهما في مكتبة الأوقاف

بطرابلس القرب رقها (خزانة ١ رف ٤ رقم ٩٤) وهي مكتوبة سنة

٦٧١ . والنسخة الثانية في دار الكتب بالقاهرة تحت الرقم (٥٢ تفسير) ونقلت

عن هذه النسخة نسخة أخرى في دار الكتب أيضاً .

وقد ذكر ابن خبير كتاب الأغفال بنسبته الصحيحة في فهرسته (ص ٣١٠)

كما ذكر كتاب «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج في ص ٦٤ .

١٤ - شرح رسالة كتاب سيبويه :

لم يذكر هذا الكتاب أحد من ترجموا للزجاجي ولم يشر الباحثون إليه على كثرة عنايتهم بكتاب سيبويه وما يتصل به . والذي ذكر هذا الكتاب هو صاحبه نفسه ، فقد أشار إليه أكثر من مرة فقال في كتابه « إيضاح علل النحو » : وفي ذلك احتجاج وانظر لم نقصد إليه في هذا الكتاب ، لأننا قد شرحناه في كتاب شرح الرسالة بجمع ما فيه . » وقال في موضع آخر « فأما القول فيما قاله سيبويه في كتابه « هذا باب علم ما الحكم من العربية » وما في ذلك من الألفاظ والوجوه ، فقد ذكرته في كتاب أوردته لتفسير رسالة كتاب سيبويه . » وقال أيضاً « وقد أشبعت المعنى في تفسير كلام سيبويه هذا ، في تفسير رسالته . »

وما ما أراد الزجاجي من هذا الكتاب ، فهو - فيما أعتقد - شرح الصفحات الأولى من كتاب سيبويه ، تلك التي بحث سيبويه فيها أموراً عامة قبل الدخول في أبواب النحو الجزئية التي تبدأ في الصفحة الثالثة عشرة من الكتاب بباب الفاعل . وبؤيد ذلك :

١ - أنه من عادة الزجاجي أن يستعمل لفظ « رسالة » بمعنى مقدمة الكتاب أو خطبته ، وقد رأينا يستعملها غير مرة في حديثه عن مقدمة أدب الكاتب لابن قتيبة .

- وبمناسبة الحظ بين الزجاج والزجاجي ، يجدرني أن أبه على أن الكثير من فهرس المكتبات العامة ذكرت « كتاب فلك وأملك » منسوباً للزجاجي ، حتى أخذ بذلك بعض المحققين . فمدته الأستاذ محمد بن أبي شنب فاشر الجبل بين آثار الزجاجي ، زاعماً أنه ينقل عن كشف الظنون . والحق إن هذا الكتاب من وضع أبي إسحاق الزجاج ، استاذ أبي القاسم الزجاجي ، كما في كشف الظنون نفسه (٢ : ١٤٤٧) وكما في فهرست ابن خير (٣٥٢) وقد طبع هذا الكتاب في القاهرة سنة ١٣٢٥ هـ (١٩٠٦) ضمن مجموعة باسم « الطرف الأدبية » :

٢ - من المعروف أن كتاب سيبويه لا مقدمة له ، إلا أن في الصفحات الثلاث عشرة الأولى منه ما يصلح أن يكون مقدمة للكتاب ، لأنه يبحث في أمور عامة يدخل أكثرها في مقدمات كتب النحو . وأما أبواب النحو بتفصيلها وتفرعها فتبدأ في الصفحة الثالثة عشرة من الكتاب ، حيث يبدأ الكلام على باب الفاعل .

٣ - قول الزجاجي أنه شرح في هذا الكتاب قول سيبويه « هذا باب علم ما الحكم من العربية » بدل على أن هذا الباب من « الكتاب » داخل في « رسالة كتاب سيبويه » وهذا يتفق مع ما أشرت إليه في الفقرة السابقة من اعتبار الصفحات الثلاث عشرة الأولى هي مقدمة الكتاب .

١٥ - كتاب غرائب مجالس النحويين الزائدة على تصنيف المصنفين :

لم يشر إلى هذا الكتاب غير اثنين ممن ترجموا للزجاجي هما السيوطي وبروكات . أما السيوطي فقد أشار إليه شاكاً في نسبه حين نقل عنه بعض مجالسه . وأما بروكات فقد عدّه في جملة آثار الزجاجي . قال السيوطي في الأشباه والنظائر : « مجلس الخليل مع سيبويه ، ذكره أبو حيان في تذكرته ^(١) وأظنه أخذه من كتاب غرائب مجالس النحويين الآتي ذكره » ^(٢) وقال فيما بعد « مجلس أبي إسحاق الزجاج مع جماعة ، ذكره أبو حيان في تذكرته وهو في كتاب المجالس المشار إليه وأظنه تأليف تلميذه أبي القاسم الزجاجي ^(٣) » وأثبت ظنه ثانية فقال « مجلس ذكر صاحب الكتاب

(١) التذكرة في العربية لأثير الدين محمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي المتوفي سنة ٧٤٥ . وذكر في كشف الظنون ١ : ٣٩٣ .

(٢) الأشباه والنظائر ٣ : ١٦ .

(٣) المصدر السابق ٣ : ١٧ .

المسمى غرائب مجالس الفويعين الزائدة على تصنيف المصنفين» ولم أفق على اسم مؤلفه وأظنه لأبي القاسم الزجاجي^(١) . وقد نقل عنه ذلك صاحب خزنة الأدب^(٢) ومع أن السيوطي لم يتر لنا السبيل ولم يذكر مادفعه إلى هذا الظن إلا أننا نستطيع إذا رحنا نلمس له الدليل أن نجد بعض ما يؤيده وبوشك أن يرجح ظنه .

إذا عدنا إلى ما نقله السيوطي من أخبار هذه المجالس وجدنا :
١- أن أسلوب الرواية في هذه المجالس هو نفسه أسلوب أبي القاسم في أماليه فكلهما أسلوب يعني صاحبه فيه بالسند عناية كاملة ، رأينا ذلك حين تحدثنا عن الأمالي ونراه هنا في أخبار المجالس الوارد ذكرها في الأشباه والنظائر (٣ : ٣٥ و ٣٦ و ٣٧) .

٢- أن الذين يروي عنهم صاحب كتاب المجالس هم أنفسهم أساتذة الزجاجي وزملاؤه الذين روى عنهم في كتبه ؛ فمنهم البيهقي (أشباه ٣ : ٣٣) والزجاج (٣ : ٣٤) وأبو جعفر الطبري (٣ : ٣٥ و ٣٩) والأخفش (٣ : ٣٧ و ٣٩ و ٤٠) وابن الخطيب وابن شقير (٣ : ٤٦) وهؤلاء جميعاً ممن اجتمع الزجاجي بهم وصرح في « الإيضاح » بالأخذ عنهم .

٣- أن عنوان الكتاب الذي هو « غرائب مجالس الفويعين الزائدة على تصنيف المصنفين » فيه رغبة ظاهرة في الحرص على ذكر الغرائب التي لم يذكرها المصنفون من قبل ، وهذا يتفق مع ما عرفناه من رغبة الزجاجي وحرصه على أن يذكر في مصنفاته ما لم يذكره غيره ، وأن يضمن تأليفه ما لا يوجد في غيرها ، قال عن كتابه « الإيضاح في علل الفهر » : « وان أكثر ما أودعته

(١) المصدر السابق ٣ : ٢٩ .

(٢) الخزنة ٣ : ٣٥٣ .

إياه لا يكاد يراه متفرقاً ولا مجموعاً في غير هذا الكتاب . » وقال عن المسائل التي أودعها كتابه : « منها ما تلقيناه من علمائنا رضي الله عنهم تلقياً ومشاهدة مما لم يودعوه كتبهم ولا يوجد فيها البتة . »

وبعد ذلك فأنا لا أدعي أنني أرضيت العلم أو وصلت بالظن الى اليقين ، إذ ينبغي للجزم في معرفة صاحب كتاب المجالس أن نعود الى النسخ المخطوطة من كتب المجالس وتقارن بين مجالسها وننظر في تاريخ أصحابها . . . وليس هذا التمهيد الذي أقدم فيه آثار الزجاجي هو موضع هذا التحقيق العلمي الدقيق .

١٦ - الإذكار بالمسائل الفقهية :

ومما يجب ذكره بين آثار الزجاجي تلك المسائل المتفرقة التي نقلت عنه في كتب المتأخرين وكان منها ما يتصل بالفقه ومنها ماله صلة بغير الفقه . فما كان منها فقهياً فقد جمعه وأطلق عليه اسم « الإذكار بالمسائل الفقهية » ونقل السيوطي هذه المسائل في الأشباه والنظائر ونحن نذكر مقدماتها لوضوح دلالتها عليها : « قال أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي النخوي رحمه الله تعالى : أما بعد حفظك الله وأبقاك ، وهدانا وإياك ، ووفقنا فيما نحاول ديناً ودنياً للرشاد ، ورزقنا علماً نقرن به عملاً بقرّب منه ويزلف لديه ، إنه سميع بصير وعلى ما يشاء قدير . فإنك أذكرتني بالمسألة التي سألتني عنها في البيت الذي سئل الكسائي عنه وهو قوله :

فأنت طلاقٌ والطلاق عزيمة ثلاثاً ومن يخرق أعق وأظلم^(١)

وتفسيري وجه الطلاق بالنصب في ثلاث مسائل فقهية من العربية يتلاقى بها النخويون ويسأل عنها متأدبو الفقهاء ، وكنت جمعتها قديماً ، منها مسائل ذكر لي

(١) عد الى ما قبل حول هذا البيت في الأشباه والنظائر ٤ : ٢٤٠ .

أبو بكر محمد بن منصور المعروف بابن الخياط النخوي أنه اجتمع هو وأبو الحسن ابن كيسان مع أبي العباس ثعلب على تلخيصها وتقريرها ، ومنها مسائل ذكر لي أن أبا العباس ثعلباً أفاده أباها . ومنها مسائل مثورة جمعت بعضها عن شيوخي شفاهاً ، وبعضها مستنبط من كتبهم ، فأحببت أن أجمعها في هذا الكتاب وأسميه « كتاب الإذكار بالمسائل الفقهية » فاعتمدت ذلك حين نشطتني له ، فجمعتها فيه كلها وما اتصل بها وجانسها ومسألة الكسائي التي جرى ذكرها ، وجعلته نهاية في الاختصار ، وموجزاً غاية الإيجاز ، لئلا يطول فيل ، وبكثر فيضجر ، وبالله التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل » (١) .

ثم أورد بعد ذلك أربع عشرة مسألة كلها في الطلاق .

١٧ - مسائل متفرقة :

ومما تركه الزجاجي مسائل متفرقة جمعها في كتاب بعث به إلى أبي بكر الشيباني ، وكان هذا قد سأله عن بعضها ، فدفعه السؤال إلى الجمع والتأليف . جاء في الأشباه والنظائر : « هذه إحدى عشرة مسألة سأل عنها أبو بكر الشيباني أبا القاسم الزجاجي في كتاب أنفذه إليه من طبرية إلى دمشق فكتب إليه في الجواب :

بسم الله الرحمن الرحيم . حفظك الله وأبقاك ، وأتم نعمته عليك وأدامها لك . وقفت يا أخي - جعلني الله فداك - على مضمّن كتابك الوارد مع أخينا حفظه الله ، والجواب عنه يصدر إليك ولا يتأخر بحول الله ومشيتته . ووقفت على ما ضمنته آخره من المسائل التي اشغبت عليك ، وبادرت إليك بتفسيرها في هذا الكتاب ، لعلّي بتملّق قلبك بها ، وليعجل أخونا حفظه الله الانتفاع بها .

(١) الأشباه والنظائر ٤ : ٢٣٣٤ .

وأتبعتهما مسائل من عندي منتخبة من ضروب شتى أنت تقف عليها وتذكرني بها ،
ومها عرض لك من أمثال هذا فلا تنقبض بي في مفتاحي به فإني أمرت بذلك ،
وأقضي إليك فيه ما عندي على مبلغ ما ينهائى إليه علي إن شاء الله تعالى . » ^(١)
ثم يورد المسائل الإحدى عشرة ونحن نكتفي بإيراد المسألة الأولى منها . قال :
« أما قولهم هذا زيد السعدي سعد بكر ، وقولك كيف يعرب سعد وما
الاختيار فيه . فإن هذه المسألة يختار فيها الكوفيون الخفض فيقولون زيد
السعدي سعد بكر ، قالوا لأن معنى قولنا زيد السعدي : زيد من سعد ، ثم
نقول سعد بكر على الترجمة (يعني البدل) ، لأننا نريد بهذا الكلام الإضافة ،
وليس ينعون من إجازة نصبه .

فأما أصحابنا البصريون فلا يميزون خفض هذا البتة ، لأن قولنا زيد السعدي
سعد مرفوع وليس بمرفوع وإنما الياء المقتلة في آخره دلت على النسب إليه ،
ولا يكون المضاف إليه أولاً والدال على الإضافة آخرأ . ولعمري إن
النسب إضافة ، لأننا إذا قلنا رجل بكري وتيمحي ، فإنما نضيف إليه ، ولكنه ليس
على طريقة المضاف والمضاف إليه . وليس هاهنا لفظ خافض ولا مخفوض ، وقد
سمى سببويه النسب إضافة على الوجه الذي ذكرته لك ، فيقول أصحابنا : أزيد
السعدي سعد بكر بالنصب على أعني سعد بكر ، ولا ينعون من الرفع على
معنى هو سعد بكر .

ولست هذه المسألة مسطرة لأصحابنا في شيء من كتبهم البتة ، وهي مسطرة
في كتب الكوفيين ، ولكني سألت عنها أبا بكر بن الخطاط وابن شقير فأجاباني
بما ذكرته لك . . .

١٨ - الأسئلة الواردة على البسمة وأجوبتها :

أضاف بروكلمان الى ما ذكره من كتب الزجاجي السابقة كتاباً آخر باسم « بيان الأسئلة الواردة على البسمة وأجوبتها » ولم أجد أحداً أشار الى هذا الكتاب سواء .

والخلاصة ان مكتبة الزجاجي هذه لم يبق منها إلا ثمانية كتب الى جانب المسائل الصغيرة التي حفظها لنا السيوطي . وقد طبع من هذه الكتب اثنان هما الجمل والأُمالي . ودفعت بالثالث منها وهو « الإيضاح » الى الطبع وبدأت بإعداد كتاب « اللامات » وأنا أسأل الله أن يمدني بعونه وتوفيقه لأنابع تحقيق سائر آثار الزجاجي فهي نعم الدخر في النحو واللغة والأدب .

وهاكم نماذج عن كتاب « الإيضاح في عل النحو » وشرح مقدمة « أدب الكاتب » وكتاب « اشتقاق أسماء الله تعالى وصفاته المستنبطة من التنزيل وما يتعلق بها من اللغات والمصادر والتأويل » وكتاب « اللامات » للزجاجي :

مازن المبارك

(يتبع)



بسم الله الرحمن الرحيم وفيه أسرار
 الحمد لله ذي المنن الجزيلة والعطاء العظيمة التي لا يقطع امتدادها ولا
 عرقها فانيها وصلى الله على نبيه محمد وآله الطيبين الطاهرين
 وسلم تسليما اعلم وفقنا الله وإياك للترسياد والفدى وحسنا
 سبل القوافي والزواجر التي كتبت للمصنف وفنون العلم كثر جدا
 فلا تحصى كل فنون انفسهم في التأليف في النوع الذي تجاوزوه منه
 حتى لو ان كل كتاب كانت الاخطاة بما صنف من فن واحد من
 العلم لجمع لغير ذلك عليه ولم يسلعه الا شعبة واقفا اكثر
 زمانه في اعله لم يكنه الاخطاة بذلك حتى بقي على نفسه يائه لم
 يفته مصنف في ذلك الفيزيائي السلام يسقط عن محصور والفرغ
 مختلفه غير مؤلفه والاراء متباينه غير متسايله كل نول على
 فركناهم واختار نفسه ومجمله من ذلك العلم الذي يعاينه ويرى
 منه للتصنيف منه علوا واقتدارا عليه ومضاعفه وسلا
 فيه او شطآن من المبرزين لم يبق له مع هذه اللغات
 التي كثر ان يكون كل من نظره في نفسه مواظا له طعا
 وزايا واختيارا ومجلا من ذلك كل اهل أكثر من نظره في مخالفة
 له في ضرب من هذه الصروب او في اخبرها فيميلة عنه ما
 نافرة منه الرما اليه وعرفه واذا كان قادرا به صحتا على
 ذي له في موقف كل مستهد في عمله الناس ومغز من مقداره من
 العلم للعبارة والتوازية يعرضه بتصنيف كتاب في فن من
 فنون العلم التي قد كان من جداوله ان يثابر على صوابه
 طول عمره من حافيه وعمله ومجمله ويحمد نفسه في سر ما ستره
 الايام من خفي أسراره وعامير اخباره لانه قل خلقه دلا

كتاب الإيضاح في علل النحو للزجاجي

صورة وجه الورقة الثانية وفيها أول الخطبة

في سر كفيف يقفون خبيث وجيز ربيع من الخيال الحينة
 عليه وأطلى في الألبسة في الأفاصة من شر معاجه أو محاسنه
 هذا مع نقدنا لاسماع عليه من محاملي ادخاله في طلبة العشب
 والوقوف على عوارض كان من عن الناس خافنا فذل ذلك
 وسعنا في تعلم ان اشد الناس وأبرههم ان ينظر في نصيبه لا
 نظر مضادله ومحا شغلنا رضى الله عز وجل في الامر السريفة
 من المناقصة في العلم وطلب الرتب العالمة ولزجنا لخذلنا هذا
 في حال الا طلب العلم من ان نضعه في الى الا في من مطلوبه
 نظيره عليه في العلم واعلا به اياه وعليه فان الهمة غالية عليه
 وهذا بات بطول جد او انا او ما باليه ليعلم بالطريق هذا الكتاب
 اننا نال هذا في تديسه وترتبه ونظيره واحصاره حش الطامية
 ومع ازخالنا اياه وذلك لما جمعه من مواقع غير عابرة على حال
 سقه ولا يحد من علمه بقدرته . وهذا كتاب انشائه من
 على النحو خاصة والاحكام له وذكر اشراؤه وكشف المستور من
 لطائفه وعواميه ذور الاصول لان الكتب للصفحة في الاصول
 كثيرة جدا ولذا اركنا بالهدى العالمة مفرذا في على النحو منها
 فيه جميعها وانا يدكر في الكتب بغير الاصول التي النور منها
 مع جلوا اكثر منها . ونضم الى لعل بعد هذا مما سأل مجموعة مشورة
 من سائر الحدود . منها ما استخرجناه من كتب العلماء ومنظرة
 وهذا العاطفة وفرنا . ومنها ما تلقناه من علمائنا رضي الله عنهم
 تلقينا ومناصحة مما لم يود عوة كتبهم ولا يوجد فيها الله وثقا
 مسائل خربت . من العبد من سلف في مجالسهم وافيها حتمنا
 بها الكتاب ذا خير احذر ذلك ما من العبد في الحروف ويرى

كتاب الإيضاح في علل النحو للزجاجي

صورة ظهر الورقة الثانية وفيها أول الخطبة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالصَّلَاةُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
 قَالَ أَخْبَرَنَا السَّيْحُ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِسْحَاقَ الزَّجَاجِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ
 قَالَ ثَمَّ بَعْدَ أَمْعَ اللَّهِ الْأَدَبُ مَقَالِيكَ وَرَبِّكَ الرَّحْمَنُ وَرَبُّكَ وَعَصْدُ
 أَذَلِّ الْعَالَمِ بِأَمْرٍ إِذَا مَا لَمْ يَزَلْ يَجْرُ وَشَأْنُهُ لَمْ يَمُوتْ طَائِفَةٌ أَمْرٌ لِلْعُلَمَاءِ
 وَفِي كُلِّ عَصْرِ يَنْفَرُ نَوْزٌ إِلَى التَّوَسُّلِ وَالشَّادَةِ بِطَائِفٍ خَيْرٍ عَنِهَا وَمِنْهَا
 يَنْبَغِيهَا لِبَنَوِاعٍ مِنْهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَهُمْ أَحَرُّ الْعَمَلِ الرَّؤُوسُ وَفِي دُخْرِهِمْ وَدُكْرِهِ
 مَرَّضَتْ مِنْ أَجْلِ ضَرْبٍ مِنْ تِلْكَ لِلصَّفَاتِ عَلَى مَرُورِ الْأَيَّامِ وَطَائِفٌ مِنَ الْأَرْوَاحِ
 تَلْقَاهُ غَيْرُ عَرَضٍ سَالِفٍ وَتَلْقَاهُ الدُّوَاءُ وَتَلْقَاهُ الْأَيَّامُ فَرَّاقُهَا وَفِي
 لَمَّا أَعْرَضَ عَلَى بَنِي حُسَيْنٍ وَبَنِي أَبِي وَبَنِي أَبِي الْأَبِ وَالْعَلْبُ فِي بَعْضِ الْأَحْصَاءِ
 وَفَوْقَ عَلَى خَلْقٍ مِنْ تِلْكَ فِي ضَرْبٍ مِنَ الْعِلْمِ يَنْبَغِيهَا مَعَ مَرُورِ الْعِلْمِ إِلَى
 أَنْجَلِهِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْعِلْمِ وَفَرَّاقُهَا أَنْ تَنْجَحَ زَيْلُهَا مِنَ الْكُتُبِ الْمَوْسُومِ بِأَدَبِ
 الْكُتُبِ لَا بِمَنْ لَدَيْهِ ذِكْرُهَا خَلْقٌ مِنَ الْأَدَبِ عَدُوٌّ وَأَعْرَضَ عَنْ تَرْجُمَانِهَا
 تَسْجِعُ فِيهَا الْمَقَالُ وَتَسْجِعُ الْخُلُوفُ فَتَسْجِعُ مَا تَسْجِعُ مِنَ الْعِلْمِ بِأَدَبِهَا
 رِجَالُهَا وَمِنْهَا مَعْنَاهُ وَمِنْهَا سَبْعٌ وَسِتُّونَ فَالْوَقْتُ الْمَعْنَاهُ أَذَلُّهَا
 الْكُتُبُ إِلَيْهِ مِنْ مَعْنَاهُ الْمَصَادِرُ وَالْأَسْمَاءُ وَالْأَعْلَاءُ بِطَائِفٍ مِنَ الْأَوَّلِ وَالْأَوَّلِ
 عَنِ النَّبَاءِ وَالْأَوَّلِ عَنِ تَرْجُمَانِهَا وَفَرَّاقُهَا مِنَ النَّبَاءِ وَفَرَّاقُهَا مِنَ النَّبَاءِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى ذِكْرِهِ وَلَمْ يَسْجِعْهَا وَوَصَلَتْ بِهَا مَا حَاسَتْهَا وَوَصَلَتْ
 سَوَاءُ الْخُلُوفِ الَّتِي خَضَاهُ عَنِ الْمَطْبَعِينَ وَالْعَدَسِينَ وَخَلْقٌ مِنَ الْمَسَاجِدِ
 وَخَلْقٌ مِنْ نَظَرِهَا مِمَّا سَوَاهُ وَخَلْقٌ مِنْ جَمْعِهَا مِمَّا حَوَاهَا الْأَخْبَارُ
 لَعَلَّ حُسْنَهُ وَخَيْرُهَا لَدَيْهِ وَلَمْ يَحُلْ خَلْقٌ فَصْلًا مِنْ تَرْجُمَانِهَا خَيْرًا
 طَرَفًا بِسَبْعِهَا وَأَسَا بِمَا لَدَرَهُ أَوْ سَبْعِينَ لِمَنْ تَرْجُمَانِهَا الْكُتُبُ إِلَيْهِ
 عَلَى مَا لَدَرَهُ لِلْمَنْ تَلْعَلُ مَعَ قَدَرِهِ الْأَسْمَاءُ بِسَبْعِينَ وَأَسْرَعَ أَمْعًا
 مِنَ الْكُتُبِ الْمَقْصُودِ بِالرَّسَائِلِ الرَّسَائِلُ اللَّهُ تَعَالَى وَمَا لَيْتَ التَّوَمُّونَ

شرح مقدمة «أدب الكاتب» للزجاجي

صورة وجه الورقة الثانية وفيها أوله

قال ابن قتيبة أما بعد حمد الله بجميع نعمه وإسئال عليه ما هو أهله
 والصلوة على سبطه المصطفى وعلى آله فإني رأيت أختراهم إلهاماً من سبل
 الأدب ما حيز ومن أشبه منطيرين ولا هله فاجزين قال ابن قتيبة
 أما خروف منجمن مع الشراء ولا بد له من الخوارب بالقاء النصفه مع الخوارب
 أما ريد فحصره وأما عند الله فمستطاب ترفع ما بعد ما لا يبدل وهو مقدر
 مما بعد القاء قال سبويه منهما بعض من شفعه الله مستطاب
 فالاسم الذي على ما بعد تر مما بعد القاء ولا يجوز أن يطبق إلا الاستمالات
 ما بعد عن جزو الجراء والفعل المجاري ولا بد للتعلم من فاعل فليبدل ولسنا
 الاستمالات والافعال فإن وقع بعد القاء ففعل فاصب في عمل الاسم الذي
 بعد أما فحصره ورأى الاستمالات في غير هذا الموضع من دخول الفعل
 ففعل أما ريداً فليسب وأما عند الله فاحترمت قال الله عز وجل فإنا
 السبويه فحصره وأما السبويه فلا شفره وفي كلام العرب إنما الحركي
 وهي من حصره من خرف من رزق وما ودل ذلك قولك أما أنت منطلقاً انطلقت
 معك وأما أنت سائر سيرت معك قال سبويه بعد من أن كنت سائر
 سيرت معك أي من حصره سائر سيرت معك فموضع أن نصب معك
 له ولا بد من شأن اللفظ والضمير وذلك ما عوفا من حصر
 الفعل ولا بد من ما بعد الألف من حصره من حصره من حصره من حصره
 والسبويه أما خراسه أما أنت دافق فافق فموضع أن نصب معك
 الصغرة السبويه المحذرة السبويه قال وينزل لروم ما هاهنا عوفا من حصره
 الزم ما عوفا من الفعل كانه قال ففعل أو حذر أن كنت لا تفعل غيره
 موضع ما هاهنا معك وقال غير سبويه وأنت في الهمزة خاف
 فيها الألف قال سبويه وإن أطقت الفعل السبويه أما لم حصر
 مني وأنت أما أنت منطلقاً انطلقت معك ولا يجوز أن يطبق إلا الاستمالات

شرح مقدمة «أدب الكاتب» للزجاجي

صورة ظهر الورقة الثانية وفيها أوله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ اسْتِقْزَاجِي وَقَرَأَهُ عَلَيَّ الْحَدَّثُ
 الْمَلِكُ لَعَنَ سَعْدَ بْنَ تَدْرَةَ وَالْجَدَّالَ وَالْغَزَّوَةَ وَالْعُظْمَى وَالْأَسَافَةَ
 الْحَكِيمُ الْقَدِيمُ الْأَصْدُ الْفَرْدُ الصَّمَدُ الْعَلِيمُ ذِي الْأَسْمَاءِ الْحَسَنِ
 وَالْأَصْنَافِ الْعَلِيِّ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ مِثْلَهُ وَلَا وَلَدًا خَالِقُ الْخَلْقِ
 بَعْدَهُ وَمُصَوِّرُهُ عَلَى أَرَادَتِهِ وَمُضَيِّقُهُ عِنْدَ انْقِضَاءِ مَدَّةِ أَهْلِهِ
 عَلَى مَا بَلَى وَانْقَرَأَ وَأَوَّلَى وَاسْتَلْهُ الْعَرَبَ عَلَى طَاعَتِهِ وَالْعَرَبُ يَكُونُ
 وَيَرْضَى وَصَلَّى لَهُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَأَفْضَلِ النَّبِيِّينَ مُحَمَّدٍ
 وَالِدِ الطَّبِيِّينَ الطَّاهِرِينَ هَذَا الْقَابُ أَفْرَدَتْهُ لَشَرْحِ اسْتِقْزَاجِي
 أَسْمَاءُ اللَّهِ مَزُجِلٌ وَصِفَاتُهُ الْمَذْكُورَةُ فِي الْأَثَرِ مِنْ جِصَافِهَا
 دَخَلَ لِيَهْدِي حَسْبَ أَرْوَاهَا أَصْلُ الْعِلْمِ وَاسْتَبْطَوَهَا بَعْدَ
 الرُّوَايَةِ بِنَوَاحِدِ كِتَابِ اللَّهِ مَزُجِلٌ فَاسْتَحْسِبْ مَا مِنْهُ
 لَمْ يَلْعَنِي فِيهَا شَيْءٌ وَلَا يَحْتَاجُ فِي الصَّدِّ وَذِيغِ فِي أَسْمَاءِ
 بِهَا عَلَى خَدَّيْهِ الْعَرَبِيَّةُ الْعُلَمَاءُ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِأَسَالِبِ
 عِلْمِهِمْ وَاسْتَفَانَا وَقَصَا بِهَذَا غَيْرَ عَادِلٍ مَحْفُودٍ صَبْرًا
 الْعَرَبِ فِي ذَلِكَ فَاصْتَوَافَتِ الْكُتُبُ بِالْفَرْقِ بَيْنَ أَرْسَمِ وَالْفَتْ
 وَوَجْهِ الْفَتْ فِي طَرِيقِ الْعَرَبِ وَمَحَافِظِ صِفَاتِ اللَّهِ مَزُجِلٌ
 وَتَوْحِيدُهُمْ مَنْ دَلَّ وَكَرِهَ مِنْ تَكْلِيفِ الْإِسْتِفَاقِ وَمِنْ أَيْسَرِ فَهْلِي

كتاب استقاق أسماء الله تعالى وصفاته المستنبطة من التنزيل
 وما يتعلق بها من اللغات والمصادر والتأويل للزجاجي
 صورة وجه الورقة الثانية وفيها خطبته

والله عليه وبالله التوفيق فهو حسبا ومع الوكيل ^{عن} الحسن بن سعيد
الحسين بن محمد الرازي الفقيه قال حدثني أبو بكر محمد بن محمد الرازي
قال حدثني أبو الفضل عبد الرحمن بن حمزة العبدي بمصر قال
حدثني حبان بن نافع بن مخزوم مولى أبيه قال حدثني سفين عن
أبي الزناد عن الأصم ج عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحسنها
دخل الجنة قال حبان فحدثني داود بن عمر بن قيس المكي قال سألتني
سفين أن يملأ عليا التسعة والتسعين اسما التي لله عز وجل من
فوقها أن يخرجها لنا فلما أبطأ علينا اتبنا أبا زيد فاملى علينا هذه
الاسماء فاتينا سفين فعرضناها عليه فخطب فيها أربع مرات وقال
هي هذه فقلنا له أقرها علينا فقرأها علينا سفين في فاتحة الكتاب
يا الله يا رب يا من يا من يا ممالك وفي البقرة ستة وعشرون اسما
يا محيط يا قدير يا عليم يا قواب يا حكيم يا بصير يا واسع يا بديع يا سميع
يا ذا الجلال والإكرام يا ذا الشاكر يا الله يا واحد يا غنى يا عليم يا قايض يا باسط
يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم يا حي يا قدير يا وقي يا غنى يا حديد وفي آل عمران
أربعة اسما يا قاتم يا وقار يا ريع يا خبير وفي النساء ستة اسما
يا رقيب يا حسيب يا شهيد يا غنى يا مقرب يا وكيل وفي النعام خمسة اسما
يا ذا الجلال والإكرام يا ذا الشاكر يا ذا الشاكر يا ذا الشاكر يا ذا الشاكر

كتاب اشتقاق أسماء الله تعالى وصفاته المستنبطة من التنزيل
وما يتعلق بها من اللغات والمصادر والتأويل للزجاجي
صورة ظهر الورقة الثانية وفيها خطبه

بسم الله الرحمن الرحيم ومن يوفقك على الله فهو حسن
 قال أبو الفهر عبد الرحمن بن اسحق الزجاجي رحمه الله عليه
 هذا كتاب مختصر في حيز اللامات ومراجعتها في كتاب العرب
 وكتاب الله عز وجل ومراجعتها ونصرتها والاحتجاج لكل نوع
 من أنواعها وما من العلماء في مقام من الخلفاء الله التوفيق
 قال اللامات اجزية ثلثون لاما
 لام اضلته لام العجرب لام المالك لام الاشجاف
 لام كني لام الحور لام بات لام الابداء
 لام الثعب لام تدخل على الضمير لام تكون الضمير لام السيف
 لام المسافر على لام الامر لام الضمير لام يدخل على الضمير
 لام يدخل في الداء من الماوية العاد اليه لام تدخل على الفعل
 لام في الضمير ولا يجوز حذفها لام تكرر في اللام اذا حقت في الفعل
 لام الحاقبة وتسمى الضمير لام الضمير لام التبيين
 لام لواء لام لولا لام النكتين لام تراذو غل وما استشه
 لام تراذو غل لام اضاح القول من احذله لام تعاقب حروفها
 وتباينها لام تكون بمعنى اني لام الشرط لام توضح الافعال
 الى القول وقد يجوز وصل الفعل برفاء ما ذكره الامام
 اعلم انما حيز في الاستاد الافعال والحروف وحرف قاء وعين ولاما
 فحرفها قاء فولد لغت ولهو ولحام وما استشه ذلك كتاب الله عز وجل
 انما الحماة الاينالعت ولهو وكذا ما استشه وكونها عا فرك
 تلو وتسلام حسنا قال تعالى السلام للمؤمنين المؤمنين وكذا الصل
 حسنا قال تعالى ان يحو التل فاحذ لفاء وكونها لام الفعل قوله
 حظل وحبل وقابل ووضيل وحبل وكذا ما استشه هذا هو في الاسما

كتاب اللامات للزجاجي

صورة وجه الورقة الثانية وفيها خطبة الكتاب وأوله

کتاب اللامات لازجاجة

صورة ظهر الورقة الثانية وفيها خطبة الكتاب وأوله

نظرة في معجم المصطلحات الطبية

الكثير اللغات

اللدكتور أ. ل. كليفل

نقله الى العربية الأستاذة سرمد خاطر وأحمد حمدي الحياط
ومحمد صلاح الدين الكواكي
(لجنة المصطلحات العلمية في كلية الطب من جامعة دمشق)

- ٤ -

رقم المصطلح	رقم المصطلح
1132	Arthropathie nerveuse tabétique
1135	Arthrose, Arthropathie dystrophique dégénérative ou déformante

مرض مَفْصَلِي عَصَبِي سُهَامِي

وأفضل أن يقال: اعتلال المفصل التابي^(١).

فَقَاسٌ مَعرَقٌ، داء مفصلي

حَثَلِي متدن أو مشوّه -
tative ou déformante

ويعني بـ (Arthrose) التبدل الطارئ على أحد المفاصل بسائق الشيخوخة
والمزم . وترجمه بجمع اللغة بداء المفصليات ، وترجم Deptrophie بسَقَل
و (Dégénération) بفساد .

ودرج كاتب هذه السطور على ترجمة الكاسعة Ose بتنكس كما هو الواقع
الشريحي في هذه الفئة من العال فيكون ترجمة (Arthrose) تنكس

(١) سبقت الملاحظة على كلمة تابس و Arthropathie الأولى في الصفحة ٩٨ من
الجزء الأول من المجلد الرابع والثلاثين ، والثانية في الصفحة ٤٧٨ من الجزء
الثالث من المجلد نفسه ،

المفصل ، ثم اعتلال المفصل (Arthropathie) بسوء التغذية (Dystrophia) التنكسي (Dégénération) أو المشوه ، وهي الترجمة الكاملة لما جاء في كتاب هذا المصطلح .

أما ما جاء في ترجمة اللجنة : ففاس فقد جاء في اللسان الفقاس داء شبيه بالتشنج ولا أراه يفيد المعنى المطلوب وكذلك كلمة مَرَق في اللسان أيضاً ومَرَق الشيء مَرَقاً خَفِيّاً ، ومَرَقَتْ مفاصله وانسَرَقَتْ ضَعُفَتْ . وأما حَتَل وسَعَل^(١) كلاهما يدل على سوء الغذاء وحري بأن يخصص بما يعرض للرضع من ضعف وهزال من سوء الغذاء . ولا أظن التنكس إلا أفضل من التدني والفساد^(٢) في ترجمة (Dégénération) .

١١٤٧ فَحَخَّج ، مفصل ارتعاشي - Articulation de poli-chinelle, amphiarthrose 1147

وصقط في الطبع من الأصل الفرنسي كيتان لم تنبئه اللجنة اليها . في الأصل : Art. ballotante de polichinelle amphiarthrose, articulation mixte

وتكون الترجمة لهذا المصطلح بكامله : مَفَصِّل خيال الظل^(٣) الممتر

(١) لقد جاء في اللسان الحَتَل سوء الرضاع والحال ، وقد احتلته أمه والمَحْتَل الشيء الغذاء إلى أن قاله احتلَّت الصبي إذا أساءت غذاءه واحتلته الدهر أساء حاله . أما سَعَل فقد جاء في اللسان أيضاً السَعَل الدقيق القوائم الصغير اللجنة الضعيف والاعم السَعَل ، والسَعَل والوَغِيل الشيء الغذاء المضطرب الأعضاء الشيء الخُلْدَق يقال صبيٌّ سَعِيلٌ يَتَن السَعَل .

(٢) في اللسان التَنكسُ قلب الشيء على رأسه ، وقال وقوله تعالى : ومن مُعْبِرُهُ مُتَنَكِّسُهُ في الخُلُق معناه من أطلنا عموه تَنَكَّسْنَا خلفه نصار بدل القوة ضعفاً وبدل الشباب هرمًا . وفي اللسان أيضاً والمدنسي من الناس الضعيف الذي إذا آواه الليل لم يَبْرَحْ ضعفاً .

(٣) (Polichinelle) عُرِف بِخيال الظل وتدعوه العامة في ديار الشام كراكوز وفي مصر أراجوز وكلاهما تصغير لكلمة قره كوز التركية ومناها العين السوداء .

المفصل المزدوج ، المفصل المختلط . أما الفَصْحُ فقد جاء في القاموس المحيط :
الفَصْحُ استرخاء الرجلين كالْفَصْحِ والفَصْحَةِ . ولا أراها تفيد المعنى المطلوب
والمفصل الارتفاعي أفضل منها .

1156 Arythmie عدم انساق 1156

والمشهور هو عدم الانتظام وإن شئت اللا انتظام ، وهو ما نراه في كتب
الأقدمين الطبية^(١) أيضاً كما أن مجمع اللغة أقر عدم النظم ونشوز النظم .

1158 Arythmie perpétuelle, عدم انساق دائم 1158
delirium cordis ثم هذيان قلبي

والأصح أن يقال عدم الانتظام الدائم وهذيان القلب بسبب حركته اللا نظامية ،
وقد يفهم من هذيان قلبي هذيان من منشأ قلبي .

1162 Ascaride lombricoïde ، حَيَّة البَطْن ، صَفَر ، دودة خراطيمية 1162

وأقر مجمع اللغة اسكارس لمبريكويد والصفر الخراطيمي .
وعندي أن يقتصر على اسكارس . فقد جاء في اللسان : والصَفَر داء
في البطن يصفر منه الوجه والصفر حَيَّة تلزق بالضلوع فتعضها الواحد والجميع
في ذلك سواء وقيل واحده صَفَرَة وقيل الصَفَر دابة تعض الضلوع
والشراسيف ، وقيل الصَفَر حَنَس البَطْن . أقول ونحن في غنى عن هذا
كله باقتصارنا على اسكارس أو اسكاريد ، ولا صلة بين هذه الديدان
وصنف الحيات .

(١) فانون ابن سينا الفن الثاني الفصل الأول كلام كلي في النبض الصفحة ٦٤ من
طبعة روما . وكذلك في الصفحة ٢٦٣ من الجزء الأول من كامل الصناعة
للجوسي .

- 1165 Ascite, hydropéritoine (سَقِي (سائل الجن) ١١٦٥
استسقاء الصفاق
وأفر مجمع اللغة استسقاء للكلمة (Ascite) . والأفضل أن تخصص كلمة
استسقاء بـ (Hydropisie) أو (Anasarque) شأن ما عملته اللجنة .
أما الصفاق فقد تقدم ترجيحي تخصيصها بـ (Aponévrose)^(١) .
- 1172 Asile d'aliénés مأوى المجاذيب ١١٧٢
ونقدمت . لاحظني على المجاذيب^(٢) وأرجح أن يقال مأوى أو ملجأ المجانين .
- 1184 Assainissement تصحيح ١١٨٤
وأرجح أن يقال اصلاح صحي .
- 1200 Assourdissement des bruits اصمام الأصوات ١٢٠٠
والأرجح اصمام الدتئين أو خفتها إذا كان الأمر متعلقاً بالقلب^(٣) .
- 1202 Assurance contre les تأمين ضد الطوارئ ١٢٠٢
accidents du travail استمهاد ضد الطوارئ
وأفضل أن يقال تأمين ضد الإصابات .
- 1205 Astasie غَيْف (عدم القدرة على الوقوف) ١٢٠٥
وأفر مجمع اللغة العجز عن الوقوف . والأفضل أن يقال لا وقوف قياساً
على ما تقدم في المصطلح ذي الرقم ٧^(٤) . لأن المصاب بهذا الخلل لا يستطيع
الوقوف بينما حر كات رجله تبقى صحيحة .

(١) الصفحة ٤٧٥ من الجزء الثالث من المجلد الرابع والثلاثين .

(٢) الصفحة ٣١٥ من الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين .

(٣) الصفحة ٣٠٥ من الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين في اللفظة ذات الرقم ٦٩

(٤) الصفحة ٣٠٢ من الجزء الثاني من هذه المجلة (المجلد الرابع والثلاثون) .

أما التغيّف وقد جاء على وزن فَعَلَ الوزن الذي اختارته اللجنة للدلالة على المرض بالاشتقاق من تغيّف فقد جاء في اللسان تغيّف تَبَخَّرَ ، وتغيّف مشى رَشِيَّة الطَّوَال ، وقيل تغيّف مرّاً مرّاً سهلاً مربوفاً وتغيّف الفرس اذا تنطف ومال في أحد جانبيه . ولا أرى في هذه الكلمة ما يفيد معنى (Abasie) .

١٢٠٥ رَجَز ، خَطَرَان بنقص Astasie - abasie, 1205
الاتظام الانطلاقي ataxie par défaut
de coordination automatique

وأقر مجمع اللغة كلمة قُعاد^(١) .

وأرجح أن يترجم هذا المصطلح بلا خطأ ولا وقوف والأناكسيا بفقد الانسجام التلقائي .

أما الرَّجَز فقد جاء في اللسان داء يصيب الاول في اعجازها ، والرَّجَز أن تضطرب رجل البعير أو فخذه اذا أراد القيام او ثار ساعة ثم تنبسط ، والرَّجَز ارتعاد يصيب البعير والناقة في أفخاذها ومؤخرهما عند القيام .
وأما الخطَرَان ففي اللسان: خَطَرٌ يَخْطُر اذا تبختر، والخطِرُ والخطَرَان عند الصولة والنشاط وهو التناول والوعيد .

ولا أرى في كليهما دلالة على معنى الالفة المذكورة .

١٢١٥ رَبُو تجاوي Asthme allergique 1215
أقول رَبُو آليرجياي^(٢) .

١٢١٦ رَبُو قلبي Asthme cardiaque 1216

(١) الصفحة ٣٠٢ من الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين ، وقد تقدم فيها وأي كاتب السطور في هذه الكلمة .

(٢) الصفحة ٣١٨ من الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين .

وأرجح رَبَوُ قُلَابي نسبة الى القُلاب وهو علة القلب ، لأن هذا النوع من الربو يبدو في المقلوب (العليل بعلة قلبية) .

- ١٢١٨ رَبَوُ الحشائش ، حمى Asthme des foins
الحشائش ، زكام الحشائش fièvre des foins
rhume des foins

أقول رَبَوُ الكَلأ ، حمى الكَلأ ، زكام الكَلأ . فقد جاء في اللسان الكَلأ العُشب رَطْبُهُ وبإسه ، وهو المقصود هنا لأن هذا النوع من الربو الآليرجياي منه ما يتأتى عن الرطب من الكلا ومنه ما ينجم عن إبسه .

- ١٢٢١ رَبَوُ عَرَض ، ربو موم Asthme symptomatique
أقول رَبَوُ عَرَضِي ، رَبَوُ كاذب ^(١) .

- ١٢٢٣ حَرَجُ البَصَر Astigmatisme, astigmie

وأقر بجمع اللغة الابورية والاستجمية معرفة . وهو خلل في طبقات العين من شأنه أن يجعل ارتسام المرئيات على الشبكة لا يتم بشكل تقطي بل بشكل خطي ، مما يجوز استعمال الابورية على هذا الخلل .

أما حَرَجُ ^(٢) البصر فلا أراه في بالمعنى المذكور فقد جاء في اللسان : وَحَرَجَتْ عينُهُ تَحَرَجَ حَرَجاً أي حارت ، وقيل معناه أنها لا تنصرف ولا تَطُرَف من شدة التَنَظَر وقال الحَرَجُ أن ينظر الرجل فلا يستطيع أن يتحرك من مكانه قَرَقاً وَغَبَظاً .

(١) الصفحة ٤٦٩ من الجزء الثالث من هذه المجلة (المجلد الرابع والثلاثون) في اللفظة ذات الرقم ٧٣٤ .

(٢) أراه في ضبط هذه اللفظة غَلَطاً مطعياً لم تنبه اللجنة الى تصويبه إذ لم أفت في اللسان ولا في التاج إلا قوله وَحَرَجَ الرجل أنياه يحرُجها حَرَجاً حاك بعضها الى بعض من الحَرَد .

1232	Ataxique	مُتَهَزِّع ، هَزَّاعِي	١٢٣٢
1233	Ataxie	هَزَّاع ، اضطراب الحركة	١٢٣٣

وأفر جمع اللغة تَخَلَّج لكلمة (Ataxie) •

أقول ان الترجمة اللفظية لهذا المصطلح هو اللاتنظام أو عدم الانتظام ، وتطلق على الاضطراب البادي في حركة العضلات في الطرفين العلويين أو السفليين . وقد درجت على استعمال أناكسيا • أما تَخَلَّج فقد جاء في اللسان : وتَخَلَّج المجنون في مشيته تجاذب بيناً وشمالاً والمجنون بتَخَلَّج في مشيته أي يتمايل كأنما يجذب مرة بمئة ومرة بسرة ، وتَخَلَّج المفلوج^(١) في مشيته أي تفكك وتمايل والتَخَلَّج في المشي مثل التخلع • فالتَخَلَّج إذن خلل خاص بالمشية وذو صلة بالطرفين السفليين بينما الأناكسيا ينبغي أن تشمل اضطراب الحركة في عضلات الطرفين العلويين والسفليين على السواء •

وأما التمزع فقد جاء في اللسان أيضاً التَمَزَّع والتمزع الاضطراب ، تمزع الرمح اضطرب وامتز وامتزاع اقناة والسيف اهتزازهما اذا هزرا ، وتمزعت المرأة اضطربت في مشيتها • أقول واذا دلّ التمزع على الاضطراب في الحركة فلا أراه يفي بالمعنى المقصود من أناكسيا •

1234	Atélectasie, état	هُمُود الرئة ، حالة جنينية	١٢٣٤
	foetal du poumon,	لرئة ، ذات الرئة الهامشية	
	pneumonie marginale; apnematosis		

(١) ودرج كاتب السطور عن استعمال التَخَلَّج في المشية أو المشية التخلفية للدلالة على (Démarche en fauchant) وهي المشية البادية في المفلوج •

وأقر مجمع اللغة لامتداد ترجمة *Atélectasie* ، ودرجت على استعمال كلمة
 انخماص^(١) فأقول في ترجمة هذه الألفاظ : انخماص ، حالة جنبية للرئة ،
 ذات الرئة الهامشية واللا رئوية (وقد أهملت اللجنة ترجمتها) .

١٢٣٩ 'فَنُور ، لا سَعْتَرِيَة Athymie 1239

وأرجح أن يقال لا شعور ولا توتة . فالكلمة الأولى هي الترجمة الحرفية
 لـ (*Athmie*) في معناها الأول . أما إطلاق الغدة السَعْتَرِيَة عن (*thymus*)
 فلا أظن الكلمة مشتقة من السعتر ، وهي التوتة وقد أقر مجمع اللغة هذه الكلمة .

١٢٨٤ غير مثالي Atypique 1284

وأرجح لا نموذجي .

١٣٠٩ خَمَج ذاتي Autoinfection 1309

وأرجح أثنان ذاتي وعنونة ذاتية^(٢) .

١٣٣٦ داء لا حَيَمِينِي Avitaminose 1336

أقول عَوَز الفيتامين ولا أرى لزوماً لاستعمال حَيَمِين عوضاً عن فيتامين
 الكلمة الدارجة في جميع اللغات .

(١) في اللسان : والخمَص - خاصة البطن وهو دقة خلفته ورجل مُخْصان وخميص
 الحشا أي ضامر البطن إلى أن قاله والخمَص الجُرْحُ والخمَص الجُرْحُ يَخْمَصُ
 مُخْرِصاً والخمَص بالحاء والحاء ذهب وروءه كخَمَص وخَمَص .

(٢) للصفحة ٩٥ من الجزء الأول من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

حرف B

1383 Bacille du charbon عَصِيَّةُ الْجَمْرَةِ الْمُشَوَّمة symptomatique ١٣٨٣

وأرجع عَصِيَّةُ الْجَمْرَةِ العَرَضِيَّةُ مَا دُمْنَا نَطَاقُ العَرَضِ عَلَى (Symptome) .

1384 Bacille diphtérique عَصِيَّةٌ غِشَائِيَّةٌ (عَصِيَّةٌ ١٣٨٤
كَلْبِس - لَوْفَلر) (de Klebs - Loeffler)

وأرجع عَصِيَّةٌ دِفْتَرِيَّائِيَّةٌ أَوْ خَانَوْقِيَّةٌ ، وَأَنْ نَخْمَصْ غِشَاءَ لَتَرْجَمَةَ
(Membrane) .

1386 Bacille pseudodiph- عَصِيَّةٌ مُشَبَّهَةٌ بِالْغِشَائِيَّةِ ، عَصِيَّةٌ ١٣٨٦
térique شَبِغْشَائِيَّةٌ

وأرجع عَصِيَّةٌ دِفْتَرِيَّائِيَّةٌ كَاذِبَةٌ .

1397 Bacille du rouget عَصِيَّةٌ حَصَّةُ الْخِنْزِيرِ ١٣٩٧
de porc

وَالصَّحِيحُ عَصِيَّةٌ حُمْرَةُ الْخِنْزِيرِ لِأَنَّ الْأَمَمَ النَّفِي لِهَذِهِ الْعَصِيَّةِ هُوَ
(Bacillus legripelas mès)

1409 Bacilles anaérobies عَصِيَّاتُ التَّدْعُصِ اللَّاهَوَائِيَّةِ ١٤٠٩
de la putréfaction

(وَالْمَوْلَدَةُ لِلْغَازِ) . (provoquant la formation de gaz)

وأرجع عَصِيَّاتُ النَفْخِ اللَّاهَوَائِيَّةِ بِاعْتِبَارِ النَفْخِ كَلِمَةً دَارِجَةً وَمَعْرُوفَةٌ .

1415 Bacillus botulinus عَصِيَّاتُ نَقَانِيَّةٍ ١٤١٥

وَأَفَرُّ مَجْمَعُ اللَّفْسَةِ بِأَسْمَالِ النِّسْمِ الْحَبَارِيِّ ، بِأَسْمَالِ النِّسْمِ اللَّقَاتِقِيِّ .
وَدَرَجَتْ عَلَى اسْتِعْمَالِ النِّسْمِ الْوَشْبِقِيِّ تَرْجَمَةٌ لِرَ (Botulisme) وَهُوَ الْأَنْسَامُ
الْأَنْسَامُ النَّاجِمُ عَنْ أَكْلِ اللَّحْمِ الْمَقْدَّدَةِ (الْمَحْفُوظَةِ) . فَقَدْ جَاءَ فِي اللِّسَانِ :

الوَشِيقُ والوَشِيقَةُ لحمُ يُغلى في ماءٍ ملح ثم يُرفع ، وقيل هو أن يُغلى إغلاءً
ثم يرفع وقيل يُقدَّد ويحمل في الأسفار وهي أبقى قد يد .

١٤١٨ عُصَيَات خازية Bacillus oedematiens 1418

وأقر مجمع اللغة لهذه اللفظة باسيل اوديمي . والوَدَمَة كلمة شائعة تعريب
(Oedeme) استعملت في الكتب القديمة وأرجح إبقاءها فأقول عصيات موزمة .

١٤٢٠ عُصَيَات سُومِيَّة Bacillus prodigiosus 1420

وأقر مجمع اللغة الباسيل العجيب . لأن المعروف عن (Prodigieux)
أنه العجيب أو الخارق للعادة وللطبيعة ولا أظن أن لهذه الكلمة من صلة بالسوم .
لهذا أرجح أن يقال العُصَيَات العجيبة .

١٤٣٢ مُثَبِّتَةُ الجراثيم Bactériostatique 1432

وأرجح مَوْقِفَةُ الجراثيم ، لأن من شأن هذه الفئة من العقاقير أن توقف نمو
الجراثيم وتكثرتها لأن تثبتها ، والتثبيت يخص لـ (Fixation) .

١٤٨٥ داء الزَقِيَّات Balantidiose (balantidiase) 1485

وأقر مجمع اللغة معرباً هذه اللفظة بالبالاتيديه وهو الأرجح .

١٥٣٢ لَحْيَةُ البَال ، بال Barbe de baleine, baleine 1532

وأرجح أن يقال ريش الحوت أو البال اذا جهننا الى التعريب والمقصود من
هذه اللفظة كما جاء في معجم لاروس النهايات الدقيقة من الصفحة القرنية البادية
في فم الحوت والتي تتخذها لضبط صغار السمك . وجاء في الترجمة الانكليزية
لهذه اللفظة (Whobbom) ومعناه عظم الحوت وفي الألمانية (Féochbèn)
ومعناه عظم السمك .

١٥٤١ سد المائع الدماغى Barrière encéphaloliquidienne 1541

وأرجح العائقة الدماغية السائلة .

١٥٥١ أسمر الى السواد Basané 1551
أرجح أَسْمَر . ففي اللسان والشُعْرَة والسَّعَر لون يضرب الى السواد
فَوَبَق الأدمة ورجل أَسْمَر وامرأة سَعْرَاء ، وجاء في ترجمة اللفظة الانكليزية
(Sunburned) وهي الوَمْجَة فقد جاء في اللسان أيضاً الوَمْجَة الأثر
من الشمس .

١٦٢٩ هُزال رُزِّي Béri - béri, Kakke 1629
وأقر بجمع اللفظة البري ، وتشير هذه اللفظة الى علة مردها الى عَوَز
الفيتامين ب ، وقد يفهم من هُزال رزّي أن أكل الرز هو الباعث عليها
وصلتها بالرز هو من الاقتصار على الغذاء به وخلوه من هذا النوع من الفيتامين
لبس إلا .

١٧١٣ (٤) حصار التَشَجُّرات Blocage des arborisations (4) 1713
وأفضل حصار الغُصَيّنات .

١٧٥٦ انسمام بالبَحْص ، انسمام فصيدي Botulisme, allantiasis 1756
وأرجح الانسمام الوَشْبِي أو الانسمام بالوَشْبِي (ينظر الى ماورد في اللفظة
ذات الرقم ١٤١٥ آنفاً) بعد أن سبق للجنة أن استعملت الانسمام التناققي في
ترجمة تلك اللفظة .

أما البَحْص فلا أراه بفي بالمراد ^(١) وكذلك الفصيد ^(٢) .

(١) في اللسان : البَحْص في العين لحم عند الجفن الأسفل ، والبَحْص لحم
القدم ولحم فَرْسَيْن البعير ولحم اصول الاصابع مما يلي الراحة . إل أن قال :
هو لحم يخالطه بياض من فساد يحل فيه قال مما يدل على ان اللحم خالطه
الفساد . اقول وهذا لا يدل على انه اللحم المقدد والمحافظة شأن الحال في
كلمة الوَشْبِي .

(٢) في اللسان : والفصيد دم كان يوضع في الجاهلية في معنى من فصيد عرق البعير
ويثنوى وكان أهل الجاهلية يأكلونه ويطمونونه الضيف في الأزمة .

- 1759 Bouche d'égout صُنْبُور ١٧٥٩
وأرجح الكُورِباس ، ومدلول اللفظة الفرنجية المجرى أو الفتحة البادية في
الشوارع والمتصلة بالكثيف (السياق) وعلى ذلك كانت الترجمة الانكليزية لهذه
اللفظة (Street - grelly) وترجمتها مجرى الشارع وكذلك اللفظة الألمانية
(Strossen eimlauf) أيضاً .

فقد جاء في اللسان : والكُورِباس الكثيف ، وقيل هو الكثيف الذي
يكون مُشرفاً على سَطْح بقناة الى الأرض . أما الصنبور فقد جاء في اللسان
فم القناة (دون أن تخصص بالكثيف وربما كانت القناة الرمح أو العصا) ،
كما أن لهذه الكلمة معانٍ عديدة أخرى .

- 1781 Bouffée de chaleur هُبُوب ١٧٨١

وأرجح هَبِيب الحرارة أو فورتها . وهو ما تشعُر المرأة القاعد^(١) من حس
الحرارة المبالغت بين حين وآخر في بدء انقطاع طمثها ويعرف بين العامة
بـ (الهبلّة والهبلات) . وهي ثورة من الحرارة تدوم مدة قصيرة .
ولم أجد في الهُبُوب^(٢) ما يدل على هيبب الحرارة المذكور .

(١) يجمع اللفّة وفي اللسان : وقَمَعَت المرأة عن الحيض والولد تَقَعُد مُقَوِّداً
وهي قاعد القطع عنها واجمع قواعد .

(٢) في اللسان : الهَبَاءُ التراب الذي تطيره الرياح ، وما دَقَّ من التراب ، وهبا
الرماد يهبو اختلط وحمّد ، إذا سَكَنَ لهب النار ولم يطفأ تجرّها قَيْل
سَخَدَتْ فإن طافيت البتة قيل سَهَدَتْ ، فإذا صارت رَمَاداً قيل هبا يهبو وهو
هابٍ ، الى أن قال الهَبَاءُ في الأصل ما ارتفع تحت سنابك الخيل ، والشيء
المُنَبَّه الذي تراه في ضوء الشمس فشبّه بها اتباعه الى أن قال الهَبُوبُ الظلم .

- 1808 Boule émotive لُقْمَة نَأْثِرِيَّة أو لُقْمَة هَرَعِيَّة ١٨٠٨
ou hystérique ,
globe hystérique كَرَة هَرَعِيَّة
أقول لُقْمَة انفعالية أو لقمة هيسترائية ، كَرَة هيسترائية ^(١) .
- 1811 Boulimie, fringale سَعَار ، ضَوْر ١٨١١
وأرجح أن يقال بوليميا تعريباً أو الشَّهْوَة السَّكْبِيَّة .
فدلالة اللفظة الشعور بالجوع الشديد الذي لا يشبع به المصاب شأن ما يبدو
في بعض العائل العصبية الخفية والنفسانية .
- وافترض مجمع اللغة الاستجاعة (الجوع البقري ، الجوع السَّكْبِي) هذا ولا
شك أن السَّعَار والضَّوْر كلاهما بفضل على الاستجاعة ، إلّا أن الأمر لا يتعلق
في الحقيقة بالجوع الحقيقي بل الأمر جوع كاذب والأحرى شعور بالجوع
لا يستند الى أساس يبرره ، لذا أرجح الشهوة السَّكْبِيَّة وبوليميا ، اللفظتين
اللتين استعملهما من القديم أطباء العرب في مؤلفاتهم ^(٢) .
- 1894 Bruit cardiaque صوت قلبي ، نَفْخَة قَلْبِيَّة ١٨٩٤
souffle cardiaque
وأرجح دَفْعَة القَلْب ^(٣) ، نَفْخَة قَلْبِيَّة .
- 1896 Bruit clangoreux صوت رَنّان معدني (في ١٨٩٦
التهاب الوتين المزمن)

(١) ينظر الى الصفحتين ٣٠٠ و ٣٠٥ من الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين
من هذه المجلة .

(٢) الجزء الأول من كامل الصناعة ٢٣٥ والكتاب الثالث من قانون ابن سينا
الصفحة ٢٣٩ (فعل في الجوع واشتداده وفي الشهوة السَّكْبِيَّة) .

(٣) الصناعة ٣٠٥ من الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة في
اللفظة ذات الرقم ٦٩ .

ودرجت على استعمال اللفظة المَذَوِيَّة ما دام الأمر عائداً للقلب مترجماً
(Clangor) بالدَوِيّ وتاركاً الرنين والرنفلة لترجمة (Résonance) شأن
ما فعلته اللجنة في ترجمة هذه اللفظة (رقم ١١٧٦٤) .

١٩٠٦ صوت الطاجن المشقوق Bruit de pot fêlé,
صوت معدني bruit métallique
وأرجح صَوْتُ الحَقِّ المشقوق ، صوت معدني ، لأن اللفظة تشير الى الصوت
الصادر عن الحَقِّ الآتية المصنوعة من الفخار .

حرف C

١٩٣٣ رَمْرَحُضُ باقٍ فيه التراب النحيمي آلياً Cabinet auto-
matique à la tourbe

وأرجح 'حَجْرَةُ التراب' التلقائية لتخصيص المِرْحَاض لبيت الخلاء .

١٩٣٤ 'غُرْفَةُ معاينة Cabinet de consultation
وأرجح غُرْفَةُ الاستشارة .

١٩٣٩ حَارِضٌ ، حَرَضِي Cachectique

١٩٤١ حَرَضٌ Cachexie

وأفر جمع اللغة الدَّافِ وهي الكلمة الشائعة بين الأطباء ، لذلك أرجح
إبقاءها ، فأقول في اللفظة الأولى دَافِي وفي الثانية دَافٍ .

١٩٤٣ حَرَضٌ سِلمِي ، حَرَضُ الانحدار Cachexie stru-
miprive, c. thyrooprive
الدرقي ، خبز مخاطي بضمي myxoedème opératoire

وأرجح دَتَفٌ سِلْمِي ، دَتَفٌ حَرْمَانُ الدرق ، وَدَمَةٌ مخاطية بضمية .

١٩٦١ 'بِنِين' ، مثلاً التيل كزانين Caféine, triméthylxanthine

وأرجع تعريب اللفظة فأقول كافئين أو كفتين شأن ما أفره مجمع اللغة ،
ونرى متبل كزانتين ترجيحاً أو متبل كزانتين الثلاثي .

١٩٨٠ Calcium (carbonate de) ، فحمات الكالسيوم 1980

الكليس ، انظر طباشير مهياً carbonate de chaux

وأرجع كربونات الكلسيوم وكربونات الكليس .

٢٠١٤ حرّة ، سحر Calorie 2014

وأفر مجمع اللغة السحور وأرجع تعريب اللفظة فأقول كالوري أو كالوريا .

٢١٢٩ صفة غالبية ، طبع غالب Caractère dominant 2129

ودرجت على استعمال صفة سائدة .

٢١٣٠ صفة غالبية أو حاكّة في مرض Caractère prédo- 2130
minant d'une maladie

وأرجع هنا الصفة الراجحة في مَرَض .

٢١٣١ صفة مكوّنة ، طبيع مكوّن Caractère récessif 2131

وأفر مجمع اللغة صفة قهريه ودرجت على ترجمة (récessif) بتقهقر
فأقول صفة متقهرة .

٢١٣٢ صفة شقية ، طبيع شقي Caractère sexuel 2132

٢١٣٢ صفة شقية بدئية Caractère sexuel primaire 2132

٢١٣٢ صفة شقية ثانوية Caractère sexuel secondaire 2132

وأفر مجمع اللغة صفة جنسية وهي اللفظة الشائعة بين الناس

٢١٣٣ فحمات التوتياء الطبيعية (مشوبة) Carbonate de 2133
zinc naturel (impur)

وأرجع كربونات الزنك الطبيعية (مشوبة) .

- 2135 Carbone ٢١٣٥ فحم
وأرجح كربون تعريباً تاركاً فحم لـ (Charbon) .
- 2153 Cardia ٢١٥٣ 'سدفة'
والمعروف عن اللفظة الفرنجية انها تعني فؤاد المعدة أو الفؤاد ، وهذا ما أقره
بجمع اللغة وكتب النشريح قديمها وحديثها نستعمل كلمة فؤاد وهي الفوهة الكائنة
بين المريء والمعدة ، ولم أجد في كتب اللغة التي بين يدي ما يشير الى أن
السدفة تعني فؤاد المعدة .
- 2157 Cardiopathie ٢١٥٧ 'مرض قلبي' ، 'قُلاب'
وأرجح اعتلال قلبي^(١) تاركاً القُلاب لـ (Maladie cardiaque) .
- 2158 Cardio - thyroïse ٢١٥٨ قُلاب درقي
وأرجح انسداد درقي قُلابي ، لأن خلل القلب يتأني عن الانسداد الدرقي
لأن الغدة الدرقية بجذ ذاتها .
- 2161 Carence ٢١٦١ فاقة
وأرجح عَوَز .
- 2161 Carence alimentaire ٢١٦١ فاقة غذائية
عَوَز غذائي .
- 2261 (2) Carence en protéines ٢١٦١ (٢) بفاقة الهيو لينات (داء)
(maladie par)
أقول داء عوز البروتينات .

(للبحث صلة)  الدكتور حسني صبح

(١) الصفحة ١٧٨ من الجزء الثالث من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة
في اللفظة ١١٣١ .

کتاب النفس

لابن باجة الأندلسي

- ۸ -

الفصل العاشر

القول في قوة التخيل

والقوة المتخيلة هي التي تدرك بها معاني المحسوسات ^(۱) . وقد اضطرب الناظرين نظرهم فيها . ففهم من رآها حساً ^(۲) ، ومنهم من رآها ظناً ^(۳) ، ومنهم من حكم عليها بأنها مركبة من رأي وحس ^(۴) ، وبين أن هذه القوة ليست واحدة من القوى ولا مركبة منها ^(۵) . لأن ^(۶) ما يصدق على واحدة منها بالكل

(۱) راجع أرسطو : Arist. : De An. III. 3. 427 a 17; II. 12. 424 a 18 : ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، احوالي من ۶۲ من ۱۷ : ۱۵۰۶۵ ، حيدر اباد : ۵۷ و ۶۲ .

(۲) المخطوطة : نفسها .

(۳) عرف ابن سينا الطمان ، فقال : الشفا ، ورقة ۱۹۲ الف ۳ : والظن هو الاعتقاد المميل إليه مع تجوز الطرف الثاني .

(۴) راجع أرسطو : Arist. : De An. III. 3. 427 a 21 : وابن سينا عرف الرأي بقوله (شفا ، ورقة ۱۹۲ الف ۳) : فالرأي هو الاعتقاد المجزوم به .

(۵) أرسطو : Arist. : De An. III. 3. 427 b. 6; 428 a 25 : ابن رشد تلخيص ، احوالي : ۵۹ ، حيدر اباد ، ۵۳ ، والمخطوطة الفارسية ، ورقة ۴۹ الف ۱۱ :

پس باید کرد مردمانی را که ویم راقوتی پنداشتند از رای وحس محمود مرکب ، وگفت نه چنانست از آنکه اگر مرکب بودی از حس و رای محمود بایستی که حس و رای محمود کار کردند در یک چیز در سپید و سیاه و مانه چنین می بینم . . . »

(۶) المخطوطة : لا ما يصدق .

يكذب على الجزء من الآخر ، وبأثلف في الشكل الثاني من الضرب الرابع منه وبنتج الثالث الجزئي ^(١) .

أما الظن مقامه أن يصدق عند من يظنه ، ومن التخيل عند من هو له لا يمكن أن يصدق ، مثل أن يتخيل أن هذا الفرس ذو قرنين وهذا ما لا يظن ولا يمكن وجوده عنده ^(٢) .

وأما الحس فإن كل حس فمحسوسه موجود ^(٣) عند ما يحسه . وليس كل متخيل كذلك ^(٤) ، بل قد يتخيل ما قد تلف ، وما لا يمكن أن يحسه .

ولا مركب من هذين . وذلك بين بما قلناه مما هذه القوة .
فنقول : أما أنها ^(٥) قوة تدرك الأمور التي تقدم الإحساس بها - وهبها ^(٦)
غاية عنا إما بفسادها أو بكونها غير معرّضة للمدرك - فذلك بين بنفسه .

(١) ولإنتاج الشكل الثاني من القياس يجب أن تختلف المقدمةتان في الكيف (أي في الاثبات والنفي) وأن تكون المقدمة الكبرى كلية ، والأقسام المنتجة منه اربعة . والقسم الرابع يشمل الصغرى جزئية سالبة ، والكبرى كلية موجبة ، وينتج مثل القسم الثالث ، سالبة جزئية ، نحو بعض الانسان ليس بابيض ، وكل انكليزي ابيض ، فبعض الانسان ليس بانكليزي . او ، بعض الخيالات ليست ثابتة ، وكل الآراء ثابتة ، فبعض الخيالات ليست بآراء .

(٢) راجع أرسطو : Arist. De : An. III. 3 427 b 17 ؛ ابن رشد : تلخيص ، اهواني ، ٦٠ ، حيدر اباد ٥٥ .

(٣) أرسطو : Anist. De An. II. 5. 417 b 20 - 24

(٤) ايضاً : De An.. III. 3 428 a 6 ؛ ابن رشد ، اهواني ١٠٠٥٩ ، حيدر اباد ٥٠٥٤ .

(٥) المخطوطة : أن .

(٦) المخطوطة : وجه .

وهذه القوة ليست للإنسان فقط بل وفي أكثر الحيوان غير الناطق ^(١) ، وليس للحيوان غير الناطق قوة أشرف منها ، وسنبين ذلك فيما بعد .
وهذه القوة تعرض لما أن تصدق وتكذب بل هي في كثير من الأمور كاذبة ^(٢) ، وهذه القوة بالطبع إذا كانت صادقة فإنها ضرورة تدرك الأمر وهو بالحال الذي أدركه الحس . وبين أن الأمور التي أدركتها هذه القوة ليست المحسوسات ^(٣) (ورقة ١٦٣ الف) فإنها ^(٤) تدرك محسوسات قد فسدت ، وأيضاً فلا يمكن أن تدرك بالذات المحسوس إلا بعد أن يتقدم إدراك الحس له إلا بعرض . وقد لخص كيف ذلك في الثانية من كتاب الحس ^(٥) .
وقد قيل ^(٦) من قبل أن الحس المشترك قد بقي فيه أثر المحسوس بعد فنيته

(١) فارن ابن سينا : الشفا ، ورقة ١٦٠ الف ١٢ : أعمال النفس ثلاثة : أعمال يشترك فيها الحيوان والنبات كالنغذية والتربية والتوليد ، وأعمال يشترك فيها الحيوانات كلها ولاحظ فيها للنبات مثل الاحساس والتخيل والحركة الإرادية ...
(٢) راجع أرسطو : De An. III 3. 428 a 11 : ابن رشد : تلخيص ص ٦٠ ، حيدر اباد ٥٤ .

(٣) فارن تدبير المتوحد ، تحقيق أسين پلاسيوز ، ص ٧٢ : وأما التي توجد من العقل الفاعل فكما صادقة بالذات لا بالعرض ، وكذلك ما يوجد عن الفكر الصادق ، وهذه الصور ليست صور الأجسام بينها فتكون خاصة ، ولا هي أيضاً مجردة عن الهيولى فتكون مقولات عامة ، وليس توجد لها النسبة الخاصة ولا توجد لها حالات المقولات العامة ، بل توجد بين الصور الخاصة والمقولات .
(٤) المخطوطة : فانما .

(٥) فارن أرسطو : Arist. : De Memoria et Rem. I. 449 b 31; 450 a 10 sq. : وهذه الرسالة قد ظهرت في جوامع ابن رشد العربية وكذلك في النص العربي وفي مخطوطات التراجم العبرية التي نُقِشت عنها كأنها كتاب ثان من كتاب الحس والمحسوس لأرسطو ، انظر : Averroes Cordubensis Compendia Librorum Aristotelis qui Parva Naturalia Vocantur edd. Shields — Blumberg (The Medieval Academy of America, Cambridge MSS, 1949) , P. 47.

(٦) المخطوطة : كان .

عنه^(١) . ولكن تبين أن ذلك الأثر الذي قيل هنا هو الإحساس فإن
للحس المشترك مع قوته على قبول صورة المحسوس قوةً على التمسك^(٢) بها ؛
وبهذه القوة إذا صارت فعلاً بعرض الكثير من الناس أن يرى شخصاً من غير
أن يكون ذلك الشخص حاضراً^(٣) . وهذا يبين في المبرسمين الذين يمرض لهم
في اليقظة^(٤) ، فقد يعرض لبعض الأمراض أن يكون ذلك صادقاً^(٥) ،
كما يمرض لذري الحس المحمود . وذلك أن الحس^(٦) المشترك إذا قوي وضعف

(١) فارن ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ص ١٣٠٦٤ ، حيدر آباد ٥٩ .

(٢) راجع ارسطو : De Somniis, 2. 459 b 8—9 ; 460 b 1 : ابن رشد :
الاهواني ص ٦٣ .

(٣) ايضاً : De Memoria I. 450 b 18 ; De Somniis, 3. 461 b 1 .

(٤) ايضاً : De Somniis. 2. 458 b 26 — 29 ; 3. 460 b 29 — 30 ويقول الفارابي
وابن سينا : « المررون والمررون » في موضع « المبرسمين » واللفظ
الآخر شائع في كتب المتأخرين (انظر الهدية السعيدة لفضل الحق
الحير ابادي ، ص ١٧١ : ولعل الفطرة السليمة يحكم بأنه لا يفرق الانسان بين
مشاهدة صور يدركها بجواسه الظاهرة وبين مشاهدة صور يشاهدها في الرويا
أو عند الابتلاء بالبرسام ، ص ١٧٢ : وكذا الحال في الرويا وبالجملة فحال
تلك الصور المشاهدة للمبرسم أو النائم كحال الصور المشاهدة لصاحب اليقظان
في كونها مدركة جسمية ، وفي ص ١٧٧ : وفيه ان المشاهدة قد تكون
من دون الحضور عند الحواس كما في مشاهدة المبرسم والنائم .) ، والبرسام
التهاب في الحجاب الذي بين الكبد والقلب ، وانظر المدينة الفاضلة تحقيق ديتريشي ،
ص ٥٣ ، والشفا (ورقة ١٨٠ ١٩٠ : والصورة اذا كانت في الحس المشترك
كانت محسوسة بالحقيقة ايها حتى اذا انطبع فيها صورة كاذبة في الوجود احسّه
كما يعرض للمرورين .

(٥) لعل ابن باجة اشار الى كيفية « الهذيان » (Hallucination) ، انظر
ابن سينا ، الشفا ، ورقة ١٨٣ ب : فإن شملت المتخيلة من الجهتين جميعاً
ضعف فعلها ، وإن زال عنها الشغل من الجهتين كليهما كما يكون في حال النوم ،
او من جهة واحدة كما يكون عند الأمراض وكما عند الخوف
ووقوع امر جسدية فتلوح الصور التي في الصورة في الحاس المشترك ،
نترى كأنها موجودة خارجاً .

(٦) المخطوطة : بحس .

مزاج الحاسة انفعلت الحاسة عن الحس المشترك ، وقبلت الاثر ثم تحرك عنها الهواء الضام فقبل الاثر وصار كالشبح ^(١) ، ثم عاد الاثر فحرك الحاسة ، وحركت الحاسة الحس المشترك ، وقد تلخص ذلك في الثانية ^(٢) من كتاب الحس ^(٣) وتبرهن السبب فيه .

وهذه الاحساسات هي معاني المحسوسات ، ومن شأن المعاني كما تبين في الحس أن تحرك الميولي التي هي قابلة بالطبع . فهي اذا كانت احساسات وفارقت ^(٤) كانت < أخرى بذلك . وبين أن الميولي ^(٥) أخرى مجانسة للحس المشترك موجودة ، فتحركها الاحساسات فتدرك معاني المحسوسات . وليس يمكن أن تصير الاحساسات بعينها فيها ، فإن ما لا ينقسم لا يتحرك . وأيضاً فلا يمكن ذو الميولي الميولي إلا على ذلك النحو بأن يحرك قوة أخرى هي ميولي له . وهذه الأنواع من الميولي ليست الميولي الأولى بل هي متباينة لها ، كما تبين ذلك قبل . بل يقال على كل واحد منها ميولي باشتراك . فهذه هي القوة التخيلة .

والخيال يقال بتقديم منه ^(٦) وتأخير ، وهو يقال بالجملة على محايي الشيء . فإذا قيل بتقديم قبل على ما يحايي شخصاً شخصاً من أشخاص المشار اليه . وقد يقال على ما يحايي النوع ، وقد يقال على شخص النوع من جهة ما يحايي ذلك

(١) راجع أرسطو : 14 - 10 a 462 De Somniis. 3. ؛ وابن سينا ، الشفاء ، ورقة ١٨٣ ب : ولهذا ما يرى الانسان المجنون والخياف والضعيف والنائم أشباحاً قائمة كما تراها في حال السلامة بالحقيقة ويسمع أصواتاً كذلك .

(٢) المخطوطة : الثامنة .

(٣) قارن أرسطو : 25 - 5 b 460 De Somniis. 2. .

(٤) أيضاً : 27 - 25 a 459 Arist. 2. .

(٥) المخطوطة : ميولي .

(٦) المخطوطة : منها .

النوع^(١) . ولذلك يسمى فلاطن المحسوسات خيالاً . وقد يقال على غير هذه الالتماء . ويبيّن أن الاحساسات خيالات المجسمات ، فالقوة^(٢) التي تدرك بها هذه الخيالات هي القوة التي بها تخيل . وهذه الخيالات متى لم تفعل في هذه القوة ولا حركتها لم يوجد الحيوان متحركاً بها ، وإن الحيوان يتحرك حركات كثيرة من جهات كثيرة . فإن الحيوان يستغن ويحذف من جهة أنه من الاسطوانات من طريق أنه ذو كيف^(٣) . (ورقة ١٦٢ ب) فبالقوة ينتقل من جهة أنه ذو أين فهو يستحيل بالقوة الانفعالية . وينفعل^(٤) بالقوة المنفعلة ، وببصر بالقوة الباصرة . فبعض هذه في الجسد كله مثل القوة الانفعالية ، وبعضها في عضو خاص مثل القوة السامعة . وكذلك أيضاً يتحرك بالقوة المتخيلة .

ولما كان كل متحرك فله^(٥) محرك كانت هذه القوة محركها في الاحساسات الموجودة في الحس المشترك وتحرك هي . فأما الذي عنه يتخيل شيء بعد شيء في وقت بعد وقت فهو^(٦) المحرك الأبعد ، وهل هو واحد أو أكثر من واحد فقد تلخص الأمر فيه في الثانية من كتاب الحس^(٧) . فقد تبين ما القوة الخيالية ، وما التخيل في الجملة .

(١) تاون زيلر (Zeller) : فلاطون (Plato) ، ترجمة ابن وكدوين

(Alleyne and Goodwin) ص ٢٣٩ : والجمهورية : Republic X. 596 A/

Ritter, II. 306; 303 A 3

(٢) المخطوطة : بالقوة .

(٣) قارن أرسطو : (qualitative Change) : De Somniis. 2. 459 b 1—5

(٤) المخطوطة : سئل .

(٥) المخطوطة : فانه .

(٦) المخطوطة : وهو .

(٧) قارن أرسطو : (The residuary movements are like these) : Arist. 3. 461 b 16—24

والخيالات وهي كمال هذه القوة هي في هذه القوة نظير الإحساسات في الحس المشترك ، وبين أن صور الموجودات - إذا كانت خيالات - أشدّ تهرّياً (١) عن المادة من الإحساسات ، وإن القوة التخيلية نسبتها إلى القوة الحساسة هذه النسبة إلا أنها غير منبربة جملةً عن الصور الهولانية من جهة ما هي هولانية . ولكنها بعيدة في الرتبة عنها . لأن هذه قد تفعل وإن لم تكن تلك حاضرة موجودة ، لكنها في وجودها مفتقرة إلى تلك ضرورة . فإن كان خيال يوجد عن غير تلك فذلك من غير جنس هذه ، وقد تلخص كيف الأمر فيها في مواضع .

والقوة التخيلية لا تتحرك حتى تحركها الإحساسات (٢) ، ومتى لم يكن إحساس لم تتحرك هذه القوة ، وإذا لم يوجد ذلك الإحساس لم تفعل فيها ، فلذلك يعرض لها - إن قبل فيما لا ينقسم - انتقال (٣) من شيء إلى شيء . فأما كيف ذلك فقد تلخص في الثانية من الحس . فلذلك متى شغل الحس المشترك ، أو أترناه بطل ، لم تفعله القوة التخيلية وكانت قوة فقط . على ما يظن أنه يوجد ذلك عندما يحس بالأشياء الهائلة في (٤) العشاء (٥) . فلذلك عدت القوة التخيلية في جملة القوى الهولانية . ولذلك صار فعلها في النوم (٦) أظهر فإن النوم هو وجود الحس المشترك بالقوة فقط . وهو عند ذلك حافظ للوجودية الحاضرة ، فهو غير متحرك ، فهو محرك فقط والقوة التخيلية متحركة عنه فقط .

(١) قارن أرسطو : Arist. : De An. III. 4. 430 a 7

(٢) أيضاً : Arist. : De Memoria. I. 450 a 11 - 14

(٣) أيضاً : I. 451 a 8

(٤) المخطوطة : وفي .

(٥) قارن أرسطو : De Somniis. 3. 462 a 13 - 14

(٦) أيضاً : De Somniis et Vigilia, 3. 456 b 10 - 16 ; 457 a q, See Note 17

وأما في اليقظة عندما يحس بالحسوسات المفرطية^(١) فبشبه أن يكون عند ذلك متحركاً فقط ، فعند ذلك إما أن يبطل أو^(٢) نصير قوته فقط ولا يشعربها تحركه ، وقد تلخص هذا في مواضع كثيرة . فلذلك إذا بطلت الحواس بطلت هي . وإذا بطل الحس المشترك بطلت . فلذلك تفسد (ورقة ١٦٣ الف) بفساد الحس المشترك ، وتوجد ، وجوده وهي تابعة له على ما المتحرك^(٣) تابع للمحرك^(٤) في الحال التي بها 'يحرك' . لكنها في وجودها أشرف لأنها كالفانية له .

وعن هذه القوة يتحرك الحيوان حر كات مختلفة ، وبها يتحرك الجزء النزوعي^(٥) ، وبها يوجد الحيوان كثيراً من الصنائع وبها يرى الحيوان أولاده كالنمل^(٦) والنحل^(٧) ، وهي أشرف قوة في الحيوان غير الناطق ، ولا يوجد في الحيوان < غير > الناطق قوة أكمل من هذه القوة . فان القوى المحركة للحيوان

(١) قارن أرسطو : 22 - 10 b 459 , 2. Somnii , 4 ; 31 a 429 De An. III.

ابن رشد : الأهلالي ، ص ١٥٤ س ١٧ - ٢٢ .

(٢) المخطوطة : و .

(٣) المخطوطة : المحرك .

(٤) المخطوطة : المتحرك .

(٥) قارن أرسطو : 20 a 433 De An. III. 10.

(٦) المخطوطة : ويكون كالنمل .

(٧) قارن أرسطو : 5 a 429 De An. III. ؛ ابن سينا : الشفا ، ورقة ١٩١ الف ٢٥ :

والحيوانات الأخرى وخصوصاً للطير صناعات أيضاً فانها تصنع بيوتاً ومساكن لا سيما النحل لكن ذلك ليس مما يصدر عن استنباط وقياس بل عن إلهام وتخييل ولذلك ليس مما يختلف ويتنوع واكثرها صلاح انواعها ولفرضورة النوعية وليست لفرضورة الشخصية .

وايضاً ورقة ١٩١ ب ٥ : وربما وقع هذا المارض في الجيلة ومن الإلهام الإلهمي كعب كل حيوان ولده من غير اعتقاد للبنة بل على نوع تجل بعرض الإنسان لشيء فافع او لتزيد وفقرته عنه ؛ وابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الأهلالي ، ص ٧١ .

م (٧٠)

بالطبع التي هي فيه هي القوة الفاذية والحساسة وعن هذه كلها يوجد الحيوان الأفعال التي يقال لها أنها من ذاته ، لأن المحرك والمتحرك معا فيه ، وقد تلخص كيف ذلك في ثمانية السماع ^(١) .

فيتن أن القوة المتخيلة كمال الجسم طبيعي آلي ، فهي إذا ^(٢) نفس . وبيننا مما قلنا أنه لا يمكن أن توجد قوة أخرى غير هاتين أعني الحس المشترك والقوة الخيالية . وذلك أن الموجودات هي إما هيولانية وإما منتزعة . والهيولانية هي في [جسم] مشار إليه . والانتزاع حركة ، وكل حركة تغير أو تابع لتغير ^(٣) . والانتزاع تابع لتغير ، والتابع إما أولاً وإما ثانياً . فالأول هو الإحساس ، كما تبين قبل ، والثاني هو هذا . وإن كان هناك ثالث لزم ضرورة أن تكون في الموضوع حالاً ينفصل بها الثاني من الثالث إذا كانا معاً من جنس واحد وإلا فبماذا يكون الثاني غير الثالث .

وهناك تحريك الموجود في الهيولى ، وهنا التحريك وهو ليس في هيولى أنواع ، والثواني معادة للأنواع ما لا في هيولى ، لكن ما لا في هيولى يقال على أنحاء : إما أن لا يمكن أن يكون في هيولى أن يبرهن وجود شيء بهذه الصفة ، أو ما يمكن أن يكون له هيولى لكنه مأخوذ بالحال التي هو مباين للهيولى وهو بها ما هو بأن يكون مأخوذاً بالوجود الذي يخصه - وهذا هو النطق على ما سنبين - أو ما هو في هيولى ، غير أنه مأخوذ من جهة ما هو . وهذا لجواز إما أن يكون يمكن فيه المفارقة ، وهذا هو الحس ، أو ما قد فارق ، غير أنه مأخوذ بالحال التي هو بها في هيولى - فهذه هي القوة المتخيلة الخيالية . ولذلك كانت

(١) فارن ارسطو : Phys. VIII. 256 a 02 .

(٢) المخطوطة : ذا .

(٣) فارن ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الأهواني ، ص ٧٤ . وقد استعمل

« قريب » و « بعيد » في موضع « أول » و « ثاني » .

القوة الخيالية تدرك الاشخاص^(١) فقط ، فلأن الصور الهيولانية إنما حركت هذه القوى بالقوة التي فيها ، وهي التي تقدم تلخيصها قبل هذا^(٢) . فصارت الاحساسات موجودة وكان لها قوة تحرك بها ، فحركت القوة الخيالية فصارت الخيالات موجودة . وهذه كلها عن غير الصور الهيولانية وهي هيولانية^(٣) . ولم يمكن (ورقة ١٦٣ ب) فيها أن تحرك القوة المدركة الأمر الكلي^(٤) حتى تحرك هذه الهيولانية المشار اليها ما يحركه جميع المشار اليه فتكون تحركها غير متناهية ، لأن التحريك عن وجود ، والوجود يقترب به التناهي . والمتحرك عن الهيولي وعن التناهي هو هيولي من جهة ما هي هيولي . وإنما يحرك الموجود المفارق تحريكاً غير متناه من جهة أنه لا يتحرك . وليس هناك ضد فليس هناك مفارقة . وإن كانت الهيولي قابلة أبداً فهو محرك أبداً لأنه لو لم يحرك لكان متحركاً ، وكل متحرك فهو منقسم وكل منقسم فهو هيولاني . ولذلك تدرك القوة المتخيلة الصور الهيولانية من أحوالها التي تخصها في الوقت الذي تدركها فيه ولا تدرك منها ما لا يخصها في وقت الإدراك . ولا يمكن أن تدركها بجميع أحوالها التي تلحق الصورة بحركة عن الأعراض المفارقة لها . ولذلك تدرك جميع لواحقها الذاتية وغير الذاتية كشيء واحد .

لكن قد يسأل سائل فيقول : كيف يتخيل الشيء الواحد بأحوال مختلفة

(١) إدراك الشخص هو إدراك المعنى في هيولي ، انظر ابن رشد : تلخيص كتاب

النفس ، ص ٦٧ ، حيدرabad ، ص ٦٢ .

(٢) راجع النص نفسه : آخر الورقة ١٥٤ الف .

(٣) فاون أرسطو : 19 — 14 a 431 III. De An. .

(٤) إدراك الكلي هو ادراك المعنى العام مجرداً من الهيولي ، والحس والتخل إنما

يدركان المعاني في هيولي . انظر ابن رشد : ٦٧ ، حيدرabad ص ٦٣ .

بعضها أدركت وبعضها لم تدرك فيه بل بعضها ممكنة فيه وبعضها غير ممكن .
 إلا أن ذلك في الإنسان فقط . فإنه الذي يركب ويفصل ^(١) . وهذه الحركة
 هي من قبل أسباب آخر وقد عدت في الثانية من كتاب أرسطو في الحس ^(٢) .
 ولو كانت الخيالية تدرك المعنى وتدرك ماله أمكن أن يدرك فلا يمكن ^(٣)
 ذلك في العقل النظاري . وأما في الظن فهو شيء ^(٤) ممكن ، إلا أن الظن
 وقوته سنيين . إذآ بيتن ما القوة الناطقة . فأما في العلم فهو فعل القوة الناطقة ،
 فلا يمكن ذلك فيه البتة وسنيين لم كان ذلك بعد هذا .

فالقوة الخيالية كالبحر بين الموجودات التي من شأنها أن تفارق الهوى وبين
 الهوى لانية قد أخذت من كل بقسط على ما من شأن الطبيعة أن تفعل دائماً ،
 فإنها لا تنتقل من جنس إلى جنس دون متوسط وقد لخص ذلك في مواضع
 كثيرة . وهذا آخر ما يحركه المحسوس المشار اليه .

ولما كان كل متحرك فهو مجانس للمحرك على ما تلخص في غير هذا الموضع ،
 وكان الخيال شخصاً ولم يكن كلياً . فان السكي هو الطرف المقابل للشخص .
 وليست هاتان القوتان أوساطاً على ما هي الأوساط في الحرارة والبرودة حتى
 توجدان ^(٥) في الحس . والخيال جزء من الكلية كما يوجد ذلك فيما بين الحرارة
 والبرودة وإن الوسط فيه حر وبرد . فإنه ليس في الإحساس ولا في الخيال

(١) قارن أرسطو : De An. III. 6. 430 b 5 : وابن سينا ، الشفا ، ورقة ١٨٣ الف :
 وإن الحس المشترك يؤدي إلى القوة المصورة على سبيل استغزان ما يؤدي
 إليها الحواس فتخزنه وقد تخزن القوة المصورة أيضاً أشياء ليست من الأخوات
 عن الحس . فإن القوة المفكرة قد تنصرف بالتركيب والتحليل ،
 وابن رشد : ص ٣٠٦٨ ، حيدرآباد ص ٧٠٦٢ .

(٢) قارن أرسطو : De Somniis, 2. 459 a 23 sq. .

(٣) المخطوطة : يدرك ما لا يلى .

(٤) المخطوطة : سا .

(٥) المخطوطة : يوجد .

شيء من الكلبي ، بل توجد لها ^(١) أحوال يكون بها بعضها أقرب إليه من بعض . وتلك الأحوال في الخيالات أكثر وأحرى بها ^(٢) ، وأظهر منها ^(٣) في الإحساسات . فإن الشخص ليس بمضاد للكلبي (ورقة ١٦٤ الف) بل هو غيره بوجه ما ، وقد غلب أمره ^(٤) أرسطو فيما بعد الطبيعة ^(٥) .

وأما وجود الكلبي فهو ضرورة عن أسباب آخر ، ولا يخلو < من > أن يكون الكلبي كابنأ أو غير كائين . فإن كان كابنأ فهناك هيولى أو قوة تجري مجرى الهيولى ، وإن كان غير كائن حتى يكون التعلم تذكراً فقد يلزم إما أن يكون للصور على ما يراه فلاطن وهي التي نصّها سقراط في كتاب فاذن ^(٦) ، فيكون للعقل حساً أو مجانساً له ، وإما للعقل قبل أن يعقل فيكون التعلم تذكراً .

وإذا نظر في الكلبي ، وجدت له أحوال يلزم عنها أن يكون أزلياً ، وأحوال يلزم عنها ضرورة أن يكون متكوناً . وبالجملة فإن اللاواحق الموجودة له توجد فيه على حال مقابلة لوجودها في الصور الهولانية . وكيف كان وجودها في الصور الهولانية ، وكيف كانت ، فإن وجودها مبائن للوجود الهولاني مبابة ظاهرة جداً . وأحراها أن تكون موجودة بنحو آخر من الوجود حتى يقال عليها وعلى الهولانية الموجودة باشتراك ، وأخلق أن يكون الموجود يقال عليها بتقديم ، وإن كانت أخرى بالوجود .

(يتبع)

محمد صغير حسن المعصومي

(١) المخطوطة : لها .

(٢) فارن أرسطو : 10 — 3 a 432 . De An. iii.

(٣) المخطوطة : عنها ، والهامش : منها .

(٤) المخطوطة : امرها .

(٥) فارن أرسطو : 29 b 1035 . Met. Z. VII.

(٦) Arist. Met. A. i. 991 b 3 .

قبور العظماء في دمشق

مقدمة

درجت جميع أمم الأرض منذ الأزمنة القديمة على تمجيد عظمائها وأبطالها وتجليد ذكراهم بعد موتهم ، حتى بلغ الأمر عند بعض الأمم درجة تقديسهم وعبادتهم .
واليوم تحرص جميع البلدان الراقية على إقامة مقابر خاصة بالعظماء الذين أخلصوا أبلادهم وضحوا في سبيلها بأرواحهم أو سخروا سيوفهم وأقلامهم في سبيل خدمة أمتهم والرفع من شأنها .

ان تجليد ذكرى هؤلاء العظماء بقيم الدليل أمام المواطنين على أن الأمة لا تنسى أبناءها المخلصين العاملين ، وتحفز المواطنين كي يقتدوا بهم ويسيروا على نهجهم . ولا تخلو أمة من أمثال هؤلاء العظماء الذين يجود بهم الزمان من حين لآخر .

وقد عرفت دمشق كثيراً من الشخصيات التاريخية وضم ثراها رفاة عظماء وشهداء أقيمت لبعضهم المدافن اللائقة التي تخلد ذكراهم وأهمل البعض الآخر فاندثر قبورهم . وشاب بعض هذه الأضرحة مزاعم خاطئة ونسبت لأشخاص دون أساس صحيح ، وقد رأيت من المفيد في هذا الظرف الذي نهتم فيه الدولة بإقامة النصب التذكارية والأضرحة لعظماء البلاد أن ألقت الأنظار الى مجموعة من العظماء المدفونين حقاً في دمشق خلال عصور التاريخ . مصنفاً إياهم الى الطبقات التالية :

- ١ - طبقة الملوك والسلاطين .
- ٢ - طبقة الأمراء والولاة .
- ٣ - طبقة الصحابة .
- ٤ - طبقة آل البيت .
- ٥ - طبقة العلماء .

ذلك ان في التاريخ عهوداً مضيئة تحفل بالإنجاد ومشاهير الرجال وأخرى مظلمة يخنفي فيها المظلماء ، وما أكثر العهود المظلمة التي عاشتها دمشق وأقساها ، حين كانت فريسة الفوضى والفتن أو طعمة للفرزاة أو نهبا للحكام الظالمين ، في عهد الفاطميين وأغلب عهد المماليك ثم في أيام الحكم العثماني والاستعمار الغربي .

وخلال تلك العصور كلها فترات ثلاث نالت فيها نجم دمشق وغدت مراكز إشعاع لسائر العالم العربي والإسلامي بما نالته من نهضة وعزة وحياة حرة كريمة على يد رجالها .

وتكاد هذه الفترات الثلاث تتوزع توزيعاً عادلاً بين القرون الثلاثة عشر من تاريخها العربي .

كانت الفترة الأولى في فجر هذا التاريخ أيام الدولة الأموية . وكانت الثانية في أواسطه ، أيام نور الدين وصلاح الدين . والفترة الأخيرة هي في هذا العصر الذي نمبشه فترة الثورة على الأجنبي الدخيل والكفاح من أجل الاستقلال والحرية وإقامة أسس الوحدة العربية .

أ — طبقة الملوك والسلاطين

١ — معاوية بن أبي سفيان :

مؤسس الدولة العربية في الشام وأحد صحابة الرسول (ﷺ) وكتبة الوحي ، اشترك في الفتوحات مع أخيه يزيد بن أبي سفيان وأبلى بلاءً حسنًا ، بنسب إليه فتح قيسارية أكبر مدن فلسطين عام ١٨ أو ١٩ وولاه عمر الشام بعد وفاة أخيه يزيد عام ١٨ وظل في ولايته لها حتى أصبح خليفة المسلمين بعد معركة صفين عام ٤٨ للهجرة حتى توفاه الله في دمشق سنة ٦١ هـ وكان قد بلغ من العمر ستًا وثمانين سنة .

أما قبره فقد اختلف الناس فيه فبعضهم يقول بأنه ضاع وزال أثره إثر الانقلاب العباسي وانتقام بني العباس من الأمويين أحياء وأمواتًا . وينسب العامة اليوم لمعاوية ثلاثة قبور في دمشق ، إلا أن الثابت في المصادر العلمية والروايات التاريخية أن معاوية دفن في مقبرة الباب الصغير ^(١) .

ويشاهد اليوم قبره ضمن غرفة صغيرة من الطين حديثة البناء تقع في ركن المقبرة الجنوبي ، تلصق بها قبور كثيرة بينها عدد قديم لمشاهير الرجال تدل عليها شواهد كتبت بخطوط كوفية .

وإذا صح ما ترويه المصادر عن نبش قبور بني أمية ، فليس ما يمنع أن يحتفظ الناس بمكان قبر معاوية اكرامًا لمثلزه ، حتى أتى وقت خف فيه حقد العباسيين وقتل نفوذهم في دمشق فأصبح من المتيسر إعادة قبره الى ما كان عليه وأقبلوا يخصونه بالزيارة والتبرك . ثم قدم أحمد بن طولون دمشق عام ٢٧٠ هـ فحضر

(١) راجع التحقيق الذي نشره الأستاذ الأمير جعفر الحسي في مجلة الجمع المجلد ١٩ (١٩٤٤) ص ٤٣٤ .

على قبره قبة عالية ، وزاره بعد ذلك المسعودي عام ٣٢٢ فقال « ان عليه بيتاً مبنيًا بفتح كل يوم اثنين وخميس » . وهذا يدل دلالة أكيدة على احتفاظ الناس بقبر معاوية وعلو منزلته في قلوبهم رغم ما قام به العباسيون . ولعل هذا البيت الذي بناه ابن طولون ووصفه لنا المسعودي قد تهدم خلال أحداث التاريخ وتقلبات الدول ، ولكن في كل عصر كان قوم يحرسون على الإبقاء عليه والإشارة اليه حتى بقي الى يومنا هذا على هيئته المتواضعة البسيطة . وقد ظهرت محاولات حديثة من قبل الغيورين لبناء ضريح عليه يلبق بمكانة صاحبه وعظمته وفضله في إرساء قواعد الدولة العربية في بلاد الشام خاصة وفي العالم الاسلامي عامة .

٢ - الخلفاء الأمويون :

تولى الخلافة من البيت الأموي أربعة عشر أميراً مات بعضهم في دمشق ومات البعض الآخر في أماكن متفرقة فعمر بن عبد العزيز دفن في دير سمعان وهشام في الرصافة وسليمان في مرج دابق . . . وتذكر الروايات التاريخية عن ابن عساكر والمسعودي أن قبر عبد الملك في مقبرة الباب الصغير وكذلك قبر ابنه الوليد ويزيد بن معاوية . غير انا اذا ففتشنا اليوم في هذه المقبرة لا نجد من الأمويين غير قبر معاوية الذي تكلمنا عنه وقبر عبد الملك الواقع على عدة أمتار الى الشمال الغربي من قبر معاوية في غرفة مهتمة من الطين تضم قبرين نسب أحدهما لعمر بن عبد العزيز ونسب الآخر الى عبد الملك . ونحن نذني نسبة الأول الى عمر بعد أن أكدت الروايات دفنه في دير سمعان قرب حلب . ونرجح أن يكون لأحد خلفاء بني أمية ، ولعله الوليد الذي تذكر الروايات دفنه في هذه المقبرة والأمر بنطلب تحقيقاً أكثر دقة . أما القبر الثاني فيرجح أن يكون لعبد الملك بدليل اشارة المصادر التاريخية الى وجوده في هذه المقبرة ووجود كتابة كوفية على التابوت الحجري يرجع الى عدة قرون ، تؤيد ذلك .

وأي حرج في اعتباره قبره حقيقة والعناية به تخليداً لذكراه بالرغم من احتمال وجود خطأ في تحديد مكان دفنه على وجه الدقة ، لأن تخليد ذكرى العظماء ببناء المقابر اللاحقة بهم لن يكون من أجل ما تبقى من عظامهم ورفاتهم البالية بل من أجل أمجادهم وأعمالهم العظيمة .

٣ - محمود بن زنكي :

لم تعد دمشق مقراً للخلفاء والسلاطين بعد زوال الدولة الأموية حتى دخلها نور الدين في القرن السادس الهجري ، فهو أول من تسلط فيها بعد تلك الحقبة الطويلة واقتب بالسلطان الملك العادل نور الدين ، محمود بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر .

وكان نابغاً لخليفة بغداد العباسي من الناحية الاسمية فقط . وكان حاكماً عادلاً مخلصاً لأُمته وبلاده وقائداً بطلاً نذر نفسه للجهاد والدفاع عن البلاد من أخطار الصليبيين وعدوانهم ، ولذلك أحبه الناس وأشاد المؤرخون الذين عاصروه بأخلاقه ودينه وعدله وتواضعه وجهاده وحبه للعلم والعلماء وبناء المدارس والحصون .

ولد نور الدين محمود عام ٥١١ هـ بمدينة حلب حيث كان أبوه والياً عليها من قبل سلاجقة بغداد ثم خلف أباه عليها سنة ٥٤١ هـ ثم ضم دمشق وسائر بلاد الشام الى مملكته عام ٥٤٩ هـ وتوفي في قلعة دمشق سنة ٥٦٩ هـ فدفن سيفي تربة كائنة في ركن من أركان المدرسة النورية التي بناها في سوق الخياطين . ويبدو قبره لكل من يمر من هذا السوق من خلال نافذتين في تربة جميلة عالية القبة بسيطة المظهر ، ومن المستغرب أن ينسى الناس هذا الرجل العظيم ولا يحتفون به كما يحتفون بصلاح الدين ، مع أن نور الدين أستاذه ومؤسس دولته وواضع حجر الأساس في تحرير البلاد وتوحيدها .

٤ - يوسف بن أيوب :

هو صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب بن شادي الملقب بالسلطان الملك الناصر ، ولد بتكريت عام ٥٣٢ هـ ودخل في خدمة نور الدين محمود بن زنكي مع والده فبعثه مع عمه القائد أسد الدين شيركوه لتحرير مصر عام ٥٦٤ هـ . فصار وزيراً للخليفة الفاطمي العاضد ثم انفرد بحكم مصر وقضى على الخلافة الفاطمية عام ٥٦٦ هـ ثم ضم الشام الى حكمه بعد وفاة نور الدين وبذلك وحد مصر والشام وأقام دولة تمتد الى ما وراء الجزيرة شمالاً والى البحر الهندي جنوباً وتونس غرباً والعراق شرقاً . وقضى حياته في محاربة الفرنج وتحرير البلاد من أيديهم الى أن توفي في قلعة دمشق عام ٥٨٩ هـ فدفن بها ثلاث سنين ثم نقل الى حيث هو اليوم في تربة بناها له أولاده بعد موته وبنوا الى جوارها مدرسة سميت بالمدرسة العزيزية وقد تهدمت وبقيت التربة ذات القبة العالية وأحيطت في كل العصور بالعناية والرعاية فزينت جدرانها بألواح القاشاني عام ١٠٣٧ هـ .

وضع قبره ضريح عند وفاته من خشب الجوز مزين بالنقوش الهندسية المحفورة تحيط به آية الكرسي بخط كوفي مزهر جميل ، كما صنع له تابوت جديده من الرخام عام ١٨٧٨ م في عهد السلطان عبد الحميد العثماني ، وقد فرشت دائرة الأوقاف أرضه بالسجاد وعينت له قياً خاصاً به .

٥ - محمد أبو بكر بن أيوب :

هو الملك العادل سيف الدين محمد أبو بكر بن أيوب ، من أكبر شخصيات الدولة الأيوبية بعد أخيه صلاح الدين . اشترك معه في محاربة الفرنج وإدارة البلاد . وكان المستشار والعضد الأمين لأخيه ، ثم تولى السلطنة على دولة العرب في مصر والشام واليمن سنة ٥٩٦ هـ . بعونه أولاده عندما دب الخلاف بين أولاد

صلاح الدين ، ولم يبق بأبديهم سوى حلب . ثم توفيت سنة ٦١٥ في قلعة دمشق ودفن فيها ريثما تم بناء تربته في المدرسة العادلية مقر المجمع العلمي اليوم . ودفن معه بعد ذلك ابن حفيده المقيث عمر سنة ٦٤٢ وكان نائباً لأبيه الصالح أيوب على دمشق حين استولى عليها عمه الصالح اسماعيل فأمر سيف القلعة ومات فيها .

٦ - الملوك الأيوبيون الآخر :

لم يمت في دمشق من أولاد صلاح الدين سوى الملك المنصور حسن الذي توفي في حياة أبيه سنة ٥٧٥ وقبره معروف في التربة النجمية الكائنة في سوق صاروجة غربي المدرسة الشامية . وفي دمشق من أولاد أخيه العادل ثلاثة ملوك ، المعظم والأشرف والكامل .

أما المعظم فهو عيسى بن العادل ولد في القاهرة سنة ٥٧٦ وتولى دمشق لأبيه وحارب الفرنج ثم خلف أباه في السلطنة ومات في قلعة دمشق سنة ٦٢٤ ودفن بها ثم نقل الى مدرسة له تعرف بالمعظمية في الصالحية ، وقد تهدمت ودرست . وأما الكامل فهو محمد بن الملك العادل تولى مصر في عهد أبيه ثم تسلطن بها ودخل دمشق وضمها الى ملكه ومات بها سنة ٦٣٥ ودفن في القلعة ثم نقل الى تربة أعدت له خلف جدار الجامع الأموي الشمالي شرقي خانقاه السبسطية تعرف بالتربة الكاملية ولها باب من الجامع يؤدي اليها .

وأما الأشرف مومى بن الملك العادل فقد تسلطن في دمشق أيضاً سنة ٦٢٥ ومات في قلعتها سنة ٦٣٥ ودفن بتربة تعرف بالأشرفية كائنة شمالي الجامع الأموي بين المدرسة الجقمقية والمدرسة العزيزية وقد تهدمت وأصبح في مكانها اليوم ملجأ ضد الغارات الجوية ولا يزال القبر ظاهراً .

٧ - السلطان بيبرس :

هو السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري أشهر سلاطين دولة المماليك وأول من وطد حكمهم في الشام بعد زوال دولة بني أيوب بدخول جيش هولاكو دمشق ، كان له فضل في النصر على التتار في معركة عين جالوت التي أدت الى طردهم من الشام وتوحيدها مع مصر من جديد . تولى السلطنة عام ٦٥٨ بعد مقتل سلفه السلطان قطز . قضى أكثر أيامه في محاربة الفرنج وتخليص ما تبقى من البلاد من أيديهم فحفظت أيامه بالانتصارات عليهم وخلد اسمه على أكثر من حصن وقلاع ومدينة . وقام بأعمال عمرانية كثيرة وتوفي سنة ٦٧٦ في القصر الأبقى الذي كان يقطنه في دمشق حيث تقع التكية السليمانية اليوم ودفن في المدرسة الظاهرية وترتبه من أجمل التراب ذات قبة عالية مزينة بأصناف الزخرفة كالفسيفساء الزجاجية الملونة الشبيهة بفسيفساء الجامع الأموي والرخام الملون والكتابات المذهبة وزخارف محفورة على الحجر ، وفيها محراب رائع ، وتعد أجمل تربة في دمشق وأغناها بالزخارف .

٨ - السلطان العادل كتبغا :

لم تعرف دمشق بعد السلطان الظاهر سلطاناً أقام أو مات فيها فقد استقر المماليك في القاهرة ولم يقيموا في دمشق إلا أياماً أو يزورها إلا لماماً ، وكذلك سلاطين آل عثمان . سوى أن في المهاجرين مدرسة وثروة منسوبة الى أحد سلاطين المماليك ، هو الملك العادل زين الدين كتبغا تسلمن بفي القاهرة سنين ثم خلع عام ٦٩٦ فالتجأ الى صرخد (صرخد) ثم أعطي حماة فمات بها ونقل ليدفن بترتبه بسفح قاسيون الكائنة في الحديقة التي تضم ضريح الشهيد المالكى .

ب — طبقة الأمراء والولاة

كثيرون هم القواد والولاة الذين ماتوا في دمشق ودفنوا في ثراها منذ بداية العهد العربي الى اليوم . وكان لأكثرهم بطولات وأعمال جليلة يستحقون معها أن تحفظ الأجيال ذكراهم ، إلا أننا مع ذلك لا نعرف قبراً واحداً من عاش منهم قبل العصر الأيوبي ، ولعل السبب في ذلك عدم اعارة الأوائل أهمية للقبور والمدافن كما حدث في العصور المتأخرة . وقد رأينا كيف تعرفنا بصعوبة زائدة على قبور قليل جداً من خلفاء بني أمية أنفسهم .

لذا لن يكون أمامنا من وفيات هذه الطبقة من نتحدث عنه قبل زمن الأيوبيين الملىء برجال الدولة من قواد أبطال وولاة وأمراء . ولا غرابة في ذلك لأن زمنهم بعد الفترة المضيئة الثانية في تاريخ دمشق بعد الفترة الأموية كما ذكرنا في المقدمة .

١ — شاهنشاه بن أيوب : أخو صلاح الدين حارب مع نور الدين محمود بن زنكي واستشهد في إحدى المعارك ضد الفرنج عام ٥٤٣ هـ ودفن في تربة أيوبية تعرف اليوم بالتربة النجمية الكائنة في سوق صاروجة الى القرب من المدرسة الشامية .

٢ — توران شاه بن أيوب : أخو صلاح الدين وأكبر قواده فتح اليمن وولي دمشق لصلاح الدين عام ٥٧١ هـ . توفي في الاسكندرية واليا عليها سنة ٥٧٦ هـ فنقل جثمانه ليدفن في تربة أخيه الكائنة في المدرسة الشامية سنة ٥٧٨ هـ .

٣ — فروخ شاه بن شاهنشاه بن أيوب : ابن أخي صلاح الدين صار والياً على دمشق سنة ٥٧٦ هـ وكان من كبار القواد والمجاهدين حارب الفرنج وأبلى بلاءً حسناً في موقعة مرج عيون وكان الى شجاعته عالماً كثير الأدب مطبوع النظم

والنثر وله أشعار كثيرة . لقب بـعز الدين مات سنة ٥٧٨ هـ والياً على دمشق فدفن في تربة تعرف بالفرخشاهية كائنة شمالي حديقة المنشية .

٤ - الملك الأحمـد بهرام شاه بن فروخ شاه : ولاء صلاح الدين بـعـلـك بعد موت أبيه وكان شاعراً . اغتيل في دمشق ودفن في المدرسة الأحمـدية المجاورة لتربة أبيه الفرخشاهية المتقدمة الذكر .

٥ - الأمير ناصر الدين محمد بن شيركوه : زوج ست الشام أخت صلاح الدين توفي سنة ٥٨١ هـ والياً على حمص لصلاح الدين فدفنت زوجته في تربتها الكائنة في المدرسة الشامية في دمشق .

٦ - الأمير عز الدين ايبك : كان والياً على صرخد مدة طويلة توفي في الاسكندرية ونقل جثمانه ليدفن في مدرسته المعروفة بالعزبة قرب مدرسة التجهيز الأولى .

٧ - الأمير حسام الدين محمد بن عمر (ابن ست الشام) : توفي سنة ٥٨٧ هـ ودفن في تربة أمه الشامية البرانية المتقدمة الذكر . وهي تربة واسعة مزينة بزخارف ذات طابع أبوي تضم عدة قبور للأسماء الأيوبيين وبنهم قبر ست الشام صاحبة التربة والمدرسة .

٨ - الأمير فخر الدين مر كس أو جهاز كس : أحد قواد الجيش الأيوبي كان نائباً على بانياس وتوفي سنة ٦٠٨ هـ ودفن في تربته في المدرسة الجهاز كسية الكائنة في العفيف .

٩ - الأمير فخر الدين ابراهيم بن الأمير شمس الدين محمد بن عبد الملك ابن المقدم توفي سنة ٥٩٧ هـ وكان والياً على قلعة بارين وعدة حصون توفي بدمشق ودفن بالمدرسة المقدمية خارج باب الفراديس في طريق مقبرة الدحداح ويطلق العامة على ضريحه خطأً ضريح طلحة .

١٠ — الأمير غورلو : تولى نيابة السلطنة في دمشق عام ٦٩٥ هـ في عهد سلطان المماليك العادل كتبغا وتوفي سنة ٧١٩ ودفن في دمشق في تربة لا تزال باقية الى اليوم الى جانب جامع الحنابلة .

١١ — الأمير تنكز : تولى نيابة السلطنة في دمشق من عام ٧١٢ الى ٧٤٠ حيث اعتقل وأخذ الى الاسكندرية فقتل ثم نقل الى تربته التي شيدها الى جوار جامع المشهور في دمشق .

١٢ — سيف الدين جقق : تولى نيابة دمشق سنة ٨٢٢ وقتل في القلعة عام ٨٢٤ ودفن بتربته في المدرسة الحقيقة الى جوار باب الجامع الأموي الشمالي وهي من أجمل مدارس العصر المملوكي بهندستها وزخرفتها .

١٣ — درويش باشا : ولي دمشق في عهد السلطنة العثمانية عام ٩٧٩ هـ وكانت سيرته حسنة وقام بأعمال عمرانية كثيرة منها جامع الدرويشية الذي بناه سنة ٩٨٢ . توفي عام ٩٨٥ ودفن بتربته التي عمرها الى جوار جامع .

١٤ — مراد باشا : تولى دمشق سنة ٩٧٦ فعمر الجامع المعروف حالياً باسم جامع النقشبندي في السوبة وتوفي في دمشق ودفن بتربته الى جوار الجامع المذكور .

م — طبقة الصحابة

يتناقل العامة ذكر عدد كبير من الصحابة ماتوا في دمشق أو استشهدوا عند الفتح ويشيرون الى قبور ومزارات نسب أكثرها خطأ اليهم . وكذلك تفعل بعض كتب التاريخ الضعيفة ، وهذا ما يجعل البحث عويصاً يحتاج الى كثير من المطالعة والدرس للوصول الى حقيقة مقبولة ، ولم يتأكد لدينا بعد الاستقصاء والتحقيق أكثر من قبرين لاثنتين من الصحابة فقط ثبت موتها في دمشق وتضافرت أكثر الروايات على تعيين مكان قبرها وهما :

١ - بلال الحبشي : وهو بلال بن رباح من موالي قريش وأوائل الدين اعتنقوا الإسلام فمذبوا في سبيل الرسالة الجديدة . وهو أول من أذن في الإسلام ثم خرج الى الشام مجاهداً بعد وفاة الرسول (ﷺ) فتوفي في دمشق ودفن في مقبرة الباب الصغير حوالي ١٧ أو ٢٠ للهجرة ، وما يزال قبره معروفاً الى اليوم تحت قبة عالية عمرت في العهد العثماني ، وله ضريح من الخشب حديث الصنعة ركب فوق قبره الترابي القديم . وتذكر كثير من الروايات خطأ وجود قبره في مدن أخرى .

٢ - أبو الدرداء : عويمر بن عامر الخزرجي الأنصاري ، كان من أفاضل الصحابة ، ولاء عمر بن الخطاب القضاء على دمشق في عهد ولاية معاوية فكان أول قاض فيها ، توفي في خلافة عثمان حوالي سنة ٣٢ للهجرة ودفن في مقبرة الباب الصغير وظل قبره معروفاً بذكره الرحالة الى جانب قبر زوجته أم الدرداء . وقد عثرت دائرة الآثار عام ١٩٣٨ على شاهدين احدهما تخص قبره والأخرى قبر زوجته مكتوبتين بخط كوفي يرجع الى القرن الرابع أو الخامس عثر عليهما مردومتين على بعد عشرين متراً الى الجنوب الغربي من قبر معاوية ، وهما محفوظتان في المتحف الوطني . ولا تبي الدرداء مشاهد ومزارات في أماكن أخرى منها مقامه الكائن في قلعة دمشق الذي ذكره المؤرخ ابن طولون في الشجرة للضيئة في القرن العاشر الهجري .

وهناك قبور أخرى لعدد من الصحابة نشك في صحة نسبتها الى أصحابها ، ولعل السبب في إشاعة ذلك وادعائه التبرك بأكثر عدد من الصحابة وجعل دمشق تنقدم على غيرها في هذا المضمار . ومن هؤلاء نذكر :

١ - صهيب الرومي : له قبر في الميدان يطلق عليه الناس اسم سيدي صهيب ، ويريدون به الصحابي صهيب الرومي . وقد أجمعت أكثر الروايات على وفاته في المدينة سنة ٣٩ هـ . م (٨)

٢ - أبي بن كعب : مات في المدينة أيضاً وله قبر عند باب شرقي خارج السور .
وقد بني عليه جامع يرجع الى عام ١٠٣٠ هـ .

٣ - شرحبيل بن حسنة : أحد أمراء جيش الفتح الذين قدموا الى الشام مع أبي عبيدة ، مات في طاعون عمواس مع أبي عبيدة بن الجراح عام ١٨ وعمواس قرية بين الرملة والقدس في فلسطين حيث دفن أبو عبيدة ، ولا تشير رواية ما الى مكان قبره وأول من ذكر أن قبره في دمشق صاحب كتاب تحفة الأنام أمين البصري من القرن العاشر الهجري ، وضريحه وضريح خولة بنت الأزور التي هي أيضاً لم يتأكد وصولها الى دمشق موجودان ضمن تربة واحدة يحويها مسجد بني عام ٩٠٩ هـ خارج باب توما .

٤ - ضرار بن الأزور : أحد الأبطال الكبار في صدر الإسلام اشتهر بجهاده في حروب الردة تحت قيادة خالد بن الوليد وقتل في هذه الحروب في اليمامة كما يذكر بعض المؤرخين أو في أجنادين أو في الكوفة كما يذكر البعض الآخر .
إلا أن العمري صاحب مسالك الأبصار المتوفى سنة ٧٤٩ يذكر بأنه قتل أثناء فتح دمشق ، خلافاً لما ذكره الواقدي ، ودفن في القبر المنسوب اليه .

٥ - الصحاب السبعة في جامع الأقصاب : في هذا الجامع غرفة كتب عليها بخط حديث هذا مدفن سبعة من أصحاب رسول الله حجر بن عدي الكندي ورفاقه ، والثابت أن حجرأ وأصحابه قتلوا بأمر معاوية وهم قادمون من الكوفة عند قرية عذراء سنة ٥١ هـ وذكرت أكثر الروايات بأن قبورهم هناك في عذراء .

٦ - صحابة جامع الشهداء : في الصالحية مسجد صغير يعرف بالشهداء فيه قبور ثلاثة من الصحابة هم حرمة بن وائل وجابر بن مسعود ومساعد ، ولا نعتقد بوجود أساس لصحة هذا الادعاء .

د — طبقة آل البيت

إن أكثر قبور آل بيت الرسول (ﷺ) رغم شهرتها وفخامتها لا تمت اليهم بصلة ، وهي قديمة في دمشق بذكرها الرحالة ويؤمها الزوار من كل مكان وخاصة الشيعة وأغصانهم . ولعل إقامة هذه المزارات يرجع الى عهد الحكم الفاطمي حيث اشذت الدعوة لآل البيت والحاس لهم ولا غرابة لأن يتقبل الناس شيعة وغير شيعة مثل هذه البدع نظراً لمكانة الرسول العظيمة وكل ما يمت اليه بصلة ، وأصحاب هذه القبور هم :

١ — سكينة بنت الحسين : توفيت في المدينة كما تذكر أكثر الروايات ولكن لها قبراً فخماً في مقبرة الباب الصغير عليه قبة نخمة مفروشة بالسجاد مزينة بمختلف الهدايا والزخارف والضرىح قديم مصنوع من الخشب المحلى بالزخارف المحفورة المخزمة والكتابات الكوفية ، ويرجح أنه صنع في العصر الفاطمي .

٢ — فاطمة بنت الحسين : لها قبر في مقبرة الباب الصغير أيضاً وعليه قبة وضريح من الحجر عليه اطار من الكتابات الكوفية المزهرة بخط غريض جاء فيها : «هذا قبر فاطمة ابنة أحمد بن الحسين بن السبطي توفيت رضي الله عنها في رجب سنة ٤٣٩ هـ ، ومعنى ذلك بأن صاحبة القبر ليست بنت الحسين كما يظن عامة الناس وإنما هي واحدة تدعى فاطمة مانت في القرن الخامس ربما كانت من آل البيت اذا صحت نسبتها الى بيت علي بن أبي طالب ، ومما يمكن فان قبرها محاط بالاحترام والتقدير من قبل طائفة الشيعة مما يظن معه بأنه حقاً قبر فاطمة بنت الحسين بن علي .

٣ — زيب الصغرى بنت علي : وتلقب بأُم كلثوم لها قبران في دمشق الأول في قرية راوية المعروفة حالياً بالسـ الواقعة الى الجنوب الشرقي من دمشق على بعد عدة كيلومترات .

وهو مزار شهير محنق به يؤمه الزوار من مختلف أنحاء العالم الإسلامي ويقدمون عنده الذنور وحوله الأبنية لنزول الغرباء وعليه قبة نفحة محلاة بالمارياضمن مسجد واسع ، وقد أهدته الحكومة الإيرانية حديثاً ضريحاً ثميناً من الفضة .
والقبر الآخر في مقبرة الباب الصغير في قبة خاصة به نضحه الى مقام الست مسكينة .
ورغم كل ذلك ففحن لا نعتقد بصحة نسبة هذين القبرين الى زينب بنت علي ابن أبي طالب لأن هذه ماتت في المدينة كما يقول المؤرخ عز الدين بن شداد .
ويذكر صاحب كتاب أعلام النساء بأن قبرها بمصر عند قناطر السباع .

٤ - مشهد الحسين : كلنا يعلم بأن الحسين بن علي قتل وهو في طريقه الى الكوفة في معركة كربلاء سنة ٦١ ونقل رأسه الى دمشق ليراه الخليفة يزيد ابن معاوية . ويوجد للحسين مزارات كثيرة يطلق عليها اسم مشهد تشير الى قبره ، ولعل الأصح أن تعتبر نصباً تذكارية ، لأنه لا يعقل أن يدفن رأس الحسين أو جثته في عدة بلدان . له مشهد شهير في كربلاء حيث قتل يرجح أن يكون القبر الذي وارى جثته ، كما أن له مشهداً في جامع بني أمية في دمشق ، في مكان يطلق عليه اسم مشهد الحسين حالياً وقد أطلق عليه في القديم مشهد علي وكذلك مشهد زين العابدين (ابن الحسين) ، وله مشهد آخر في القاهرة . وتؤكد المصادر بأن رأس الحسين نقل الى دمشق ولكنهم لا تشير الى مكان دفنه ، ثم تذكر بعض الروايات التاريخية حادثة نقل رأسه من دمشق الى المدينة في عهد يزيد وبعضها يذكر أنه نقل في العهد العباسي ، ويذكر البعض الآخر قصة نقله الى القاهرة في العهد الفاطمي .

• - الست رقية : في داخل باب الفراديس مسجد صغير فيه قبة يرجع عهد بنائها الى العصر الأيوبي تضم ضريحاً عليه قفص معدني جميل أهدى إليها من قبل الحكومة الباكستانية منذ سنوات ويظن الناس بأن هذا القبر لرقية بنت

الرسول . ولكن هذه مانت في المدينة وقبرها هناك ، فنسبة هذا القبر لها خطأ ولعله لواحدة من سلالة علي يهتم بها الشيعة .

٦ — أم حبيبة : هي زوجة الرسول وأخت معاوية بن أبي سفيان لها قبر في مقبرة الباب الصغير عليه قبة صغيرة بنيت في عهد السلطان عبد الحميد العثماني . ولعل ما يجهلنا تقبل نسبة هذا القبر إليها ، ما ترد به المصادر من زيارة زوجة الرسول لأخيها معاوية في الشام ، وما ينقله ابن عساكر عن ابن الأثير كفا في خبر مشاهدة هذا الأخير قبرها فيما شاهد من قبور الصحابة والخلفاء في مقبرة الباب الصغير وذلك في القرن الخامس الهجري .

هـ — طبقة العلماء

كثيرون هم العلماء الذين اشتهروا في دمشق خلال العصور كقضاة أو محدثين أو مؤرخين أو أطباء أو صوفية الخ وهم فوق الحصر والتعداد وأخبارهم تملأ كتب التراجم الا أن قبورهم ضائعة لا يعرف عنها سوى أنها في مقبرة الباب الصغير أو في سفح قاسيون أو الروضة أو مقابر الصوفية في الشرف القبلي (يعني منطقة الجامعة والمستشفى) أو مقبرة الدحداح خارج باب الفرائس أو مقبرة الشيخ رسلان ، وقد اخترت من هؤلاء العلماء من تعرفت على قبره على وجه الدقة .

١ — ابن نيمية : هو تقي الدين أحمد بن نيمية الحراني ثم الدمشقي . لقب بشيخ الإسلام الفقيه العالم المجاهد ولد بجران سنة ٦٦١ هـ وقدم مع والده وأهله الى دمشق وهو صغير وتوفي بها مجيئاً بقامتها من قبل السلطان المملوكي في أيام ولاية تنكز نائب الشام سنة ٧٢٨ هـ . وقد احتفل أهل دمشق بجهنائه احتفالاً لا يحظى به إلا العظماء القلائل . لقد خرج أهل دمشق نساءً ورجالاً ومعهم أهل القرى والأطراف لتشيعه . صلى عليه في الجامع الأموي

وأخرجت جنازته من باب البريد فلم يتمكن الناس من الخروج وراءها فتوزعوا على أبواب الجامع وضافت بهم الطرقات فخرجوا من أبواب البلد جميعها ليتمكنوا من تشييع الجنازة الى مقرها الأخير في مقبرة الصوفية ، وأبرزه هناك معروف ومضان في حديقة تقع خلف دار التوليد .

٢ — ابن عساكر : هو علي بن الحسن بن القاسم الدمشقي محدث الشام ومؤرخها المشهور بؤلفه التاريخي الضخم الذي وضعه قديماً في ثمانين مجلداً ، ولد عام ٤٩٩ ورحل كثيراً في طلب العلم ثم توفي في دمشق عام ٥٧١ ودفن بمقبرة الباب الصغير شرقي قبر معاوية . وقبره ضائع يحتاج الى شيء من التحريات للعثور عليه .

٣ — ابن كثير : هو عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير الملقب بالحافظ الكبير من أبناء بصرى الشام ، قدم دمشق وعمره سبع سنوات فتعلم ونبغ في الحديث والفقه ، وله كتب كثيرة أشهرها كتاب في التاريخ سماه البداية والنهاية وضعه في أربعة عشر مجلداً ، ويعتبر من المصادر الهامة . ولد سنة ٧٠٠ وتوفي سنة ٧٤٧ ودفن الى جانب أستاذه ابن تيمية وقبره هناك معروف .

٤ — محيي الدين بن عربي : هو أبو بكر علي الحاتمي الطائفي الأندلسي المشهور بابن عربي ، ولد بمرسية في الأندلس سنة ٥٦٠ وساح في البلاد ومات في دمشق سنة ٦٣٨ ، وضع عدة مؤلفات في التصوف جعلته من أئمة المتصوفين والفلاسفة الإلهيين ، واختلف الناس فيه فبعضهم من أنكر عليه فلسفته وصفها ومنهم من راعه الى مرتبة الأولياء . وقبره مشهور في الصالحية له مزار وقبة أمر ببنائها وبناء جامع الى جانبها السلطان سليم الأول سنة ٩٢٢ هـ ، وتضم تربته قبور عدة أشخاص منهم الأمير عبد القادر الجزائري .

عبد القادر السبحاوي

التعريف والنقد

الامام محمد بن عبد الوهاب

مولده سنة ١١١٥ هـ وفاته سنة ١٢٠٦ هـ

تأليف الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار

لا شك أن الإمام محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله تعالى) هو مجدد أمر الدين في القرن الثاني عشر هـ في أرض نجد وما جاورها من الأقطار العربية ، فقد نشأ المترجم ، ورأى الناس منغمسين في الجاهالة والضلالة معا ، ووجد أكثر من يقول : لا إله إلا الله ، منهكين في دعوة سواه ، ممن لا يضر ولا ينفع ، لقضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ، وهم ينكرون على من دعا إلى عبادة الله وحده ، ويزعمون أن ذلك بدعة وضلالة ، ويعادون من عمل بالتوحيد وأحبه ، وأنكر الشرك وأبغضه ، وبعضهم لا يعدّ التوحيد علماً ، ولا يلتفت إليه لجهله به ، وعدم محبته له . ونحن نعلم بالضرورة أن النبي صلوات الله وسلامه عليه ، لم يشترع لأحد أن يدعو أحداً من الأموات بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها ، وأن ذلك مما نهى عنه الله ورسوله قال تعالى : « فلا تدعوا مع الله أحداً » ولكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يبين لهم ما جاء به الرسول ﷺ مما يخالفه . كما جرى للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب في ابتداء دعوته فإنه كان رحمه الله إذا معهم بدعون زيد بن الخطاب رضي الله عنه قال : الله خير من زيد ، فمريباً لم على نفي الشرك بلين الكلام ، ونظراً إلى المصلحة وعدم النفرة .

أمامنا الآن هذا الكتاب ، المسمى (محمد بن عبد الوهاب) البالغ (١٣٦ صفحة) المطبوع هذه الطبعة الثانية على نفقة المحسن السيد حسن شربلبي ، (سنة ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٦ م) المشتمل على مقدمتي الطبعتين للمؤلف وثلاثة الأستاذ محمد جميل شقदार تبين مزينة هذا الكتاب من الناحية الفنية على غيره .

وأما مباحثه فأولها : (الحياة في نجد) (ص ١٧ - ٣٢) بين الأستاذ العطار فيه كيف كان الناس يتخبطون في دبابير الجهل والكفر والظلام ، وكيف يقتل الأمراء والحكام - مَنْ يُذَكِّرهم يوم الله ، ويخيفهم عقابه الأليم ، فاغتالوا كثيراً من العلماء الأجلاء رحمهم الله ، وفي هذه الصفحات الثلاث (٢٠ - ٢٣) وصف حوادث القتل ، عن تاريخ نجد للشيخ عثمان بن بشر ، وهي مما :
بصم السميع وبعمي البصير ويسأل من مثله العاقبة

ثم نقل المؤلف ما ذكره المؤرخ ابن غنم في تاريخه عن فساد الحياة الدينية في القرن الثاني عشر في نجد والأحساء وغيرهما من البلاد العربية ، وعبادة الصالحين والأولياء ، والتبرك بالأشجار والأحجار ، وضرب لذلك الأمثال .
والمبحث الثاني في ولادة محمد ونشأته (٣٣ - ٣٧) وكان أكمل ناشئ في قومه . والثالث : حجه البيت وزيارته المدينة . وقد أخذ العلم في المدينة عن أعلامها . والرابع : من المدينة إلى نجد ، ولم يطل به المقام في نجد حتى تجوز للسياحة في جزيرة العرب ، ولما دخل البصرة ، ودعا إلى الله على بصيرة ، لقي من أهلها الأذى والعدوان ، ومكث في الزبير أياماً ، ثم عاد إلى نجد وبيم (حرمل) داعياً ، آمراً ناهياً في كنف أبيه ، ولكنه نجح بموته رحمه الله (سنة ١١٥٣) فوجد عليه أشد الوجد ، واستقل بأعباء الدعوة في نجد ، صابراً محتسباً ، ولقد تأمر العبيد ، الأتجاس المناكيد ، على حياته ، ولكن الله سلم ، ثم انتقل إلى بلدة العيينة ، وكان أميرها عثمان بن حمد معمر ، فأكرمه ، وزوجه من ابنته جوهرية وكانت امرأة عاقلة فاضلة ، فأعانت الشيخ

في أمر الدعوة ، ثم ناصبه العداء ، الأشرار والسفهاء ، فدخل بلدة الدرعية ، ونزل عند عبد الله بن سويلم ، فنقل خبره إلى أمير الدرعية محمد بن سعود . فجاء الأمير بنفسه ومعه بعض رجاله إلى دار ابن سويلم ، ورحب بالشيخ ، وأنزله عنده ، وتعلمذ له هو وأشقائه وكبار الدرعية ، وعمم العلم جميع الطبقات ، وتتابعت الوفود إلى الدرعية ، يستقون من معين العلم الصافي الذي لم تكدره البدع والأوهام .

ولما رأى ابن معمر أن شأن صهره الذي أخرجه من بلده طربداً قد عظم ، قصّد الدرعية ودعا الشيخ مؤكداً أنه سينصره نصرأ عزيزاً ، فأجابه الشيخ بقوله : إن الفرصة قد ضاعت .

وعاد عثمان بن معمر إلى الدرعية سرّة ثانية لاسترضاء الشيخ ولكنه لم يفلح ، أمّا أهل العبينة فقد بايعوا الشيخ كأهل الدرعية مبايعة صادقة كان منها : « كما نبايع على عداء كل من عادى الشيخ وموالاة من والاه ولو أنه أميرنا عثمان » لكن عثمان لم تكن مبايعته عن صفاء نية وصدق عقيدة . قال ابن بشر : في سنة ١١٦٣ هـ قتل عثمان بن معمر في مسجد العبينة بعد صلاة الجمعة ، انتدب لقتله أناس من جماعته ، ذكروا أنهم تحقّقوا منه نقض العهد وموالاة الأعداء وبمالاتهم اهـ ، ثم أقام الشيخ شقيق القنيل شاري أميراً مكانه وأمر أهلها بالطاعة له ما لم يدع إلى منكر . واكتظت الدرعية بطلاب العلم ورواد الحق . نقلت أخبار الإمام محمد إلى الكبراء ، فخاف الأشرار الأقوياء أن يمتد سلطان المصلح الجديد إلى ممتلكاتهم ورعاياهم ، وكان من ألد أعدائه دهام ابن دواس أمير الرياض ، وسليمان أمير الأحساء ، وبنو خالد ، وابن مغلق أمير القطيف ، وابن ثوبني أمير البصرة ، وكان أشد الأشرار عداء لدعوة الحق والإصلاح دهام ، فدارت حروب طاحنة بينه وبين الأمير محمد بن سعود ، وانتصر ابن سعود عليه ، فخادع دهام ، وكان الأمير والشيخ بانضمامه مع

جيشه إليهما ، وفي ربيع سنة ١١٧٨ هـ خرج ابن سعود ومعه دهام بأهل الرياض لحرب العجمان الذين استنجدوا بصاحب نجران وغيره من القبائل فأفجدهم ، وخان دهام ، فكان على الأمير ابن سعود مع العجمان ، وبسبب هذه الخيانة هزم ابن سعود وقتل رجاله . وأعاد الله له الكرة بعد ذلك ، وخرج دهام خارجاً على وجهه ، من بعد أن قامت الحرب بينه وبين الأمير سعود نحو سبع وعشرين سنة . وابتلى الأمير والشيخ بعد دهام بعرير أمير الأحساء ولم يكن أقل شراً وضراً من غيره ، ثم صرفه الله كما صرف ابنه بطين من بعده ، قال المؤلف (ص ٨٩) : ومن أراد أن يشبع رغبته من الاطلاع على الوقائع كلها ، فليرجع إلى تاريخي ابن بشر وابن غنام .

ولما شعر الشيخ بدنو أجله ، اعتزل السياسة والحكم تاركاً أمر إدارة المملكة إلى الأمير عبد العزيز نجل الأمير محمد آل سعود ، وتفرغ للتدريس والتصنيف ، وذكر له الأستاذ العطار ثمانية عشر مؤلفاً ، قال (ص ٩٧) : وللشيخ رسائل أخرى وفتاوى كثيرة ، لو جمعت لكانت أجزاء عدة لكتاب ضخمة .

(المشابهة بين عهدين)

تحت هذا العنوان عقد المؤلف فصلاً في المشابهة بين عصر الضلالة قبيل النبوة ، وعصر الجهالة قبيل قيام الأئمة ابن عبد الوهاب بنشر الدعوة . فرفعت راية التوحيد في العهد الأول ، وراية التجديد في العهد الثاني ، وكانت الهجرة والنصرة للموحدين في العهدين ، فنصر الله عبده وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده .

(الدعوة الوهابية)

ذكر المؤلف في هذا المبحث الدعوة الوهابية وخلاصتها : الدعوة إلى الدين الخالص ، والكلم الطيب ، والعمل الصالح . وقد أورد المؤلف طائفة من كلام مشاهير العلماء والكتاب في المذهب الوهابي ، وأنه المذهب الحنبلي بعينه ، وجعلوا

محمد بن عبد الوهاب ثالث الرجلين في الإصلاح والتجديد : ابن تيمية وابن القيم الدمشقيين .

وفي جوهرة الدعوة الوهابية (ص ١٩) ومبحث القبور والخور (ص ١٢٥) إلى آخر الكتاب ، أهم المسائل التي دعت إليها الوهابية ، والتي حذرت منها أو نهت عنها ، فالأولى تضمنت صرف جميع أنواع العبادة لله وحده ، ومنع التوصل بغير العمل والدعاء ، والاستعانة بغير الله فيما لا يقدر عليه الخلق ، وطلب الشفاعة من مالئها ، والغلو في أهل القبور ، وتحريم المسكرات ، ومنع الدخان ، وذكر أدلتها من السنة والقرآن ، ونقل عن بعض من تكلم فيها من الائمة الأعلام .

ولا يخالو الكتاب من أغلاط قليلة ومطبعة نشير إلى صفحاتها :

الصفحة	الخطأ	الصواب
٧٨	خير	خير
٧٩	سبعاً وعشرين	سبع وعشرون
٨٠	عن بعضها	بعضها عن بعض
٩١	في عصر	في عصره
١٠٥	حمر النعم	من حمر النعم
١٠٥	هقا	هذا
١٠٨	وابن القيم الجوزية	وابن قيم الجوزية
١١٦	عمر بن النصر	عمر أبي النصر
١١٦	جزيرة العرت	العرب
١١٩	ولا نخشوم	(فلا نخشوم) .
١٢٩	وينجزاه	ولم ينجزاه

واعلم المؤلف قد وضع فهرس للكتاب ، والله الموفق وإليه المآب .

× الشيوعية والإسلام

تأليف عباس محمود العقاد — أحمد عبد الغفور عطار

كتاب يقع في مائة وستين صفحة . أوله (إلى ص ١٠٨) للأستاذ العطار .
والقسم الثاني عنوانه « الإسلام والشيوعية » وهو فصل كبير من مؤلف ضخيم ،
للأستاذ الشهير العقاد ، سماه « الشيوعية والإنسانية » ، وقد أحسن الأستاذ
العطار بضم هذا الفصل إلى كتابه ، إذ دافع فيه الأستاذ العقاد عن الإسلام
في قضايا الرِّق وتعدد الزوجات ، وحدود العقاب ، وشروط المعاملات الاقتصادية
وغيرها دفاعاً مقنعاً لا يحتمل الجدل الباطل ، وبين فيه جناية المذهب المادي
على المرأة والأمرأة ، ثم على المجتمع في حاضره ومستقبله ، قال (ص ١٤٢)
فلن يكون خلاصها من الاستغلال على يد النظام الذي يرسلها إلى الأسواق ،
والمصانع ومعارك السياسة والكفاح ، ولن يتخلص من الاستغلال إلا إذا ملكت
بيتها أمًا وربة أسرة ، وسيدة للعالم الصغير ، وذكر القيود والشروط لإقامة
الحدود والتعازير ، وأوضح حلّ الإسلام لمشكلة الفقر والحاجة بإيجاد العمل على
القادرين ، وإسعاد العجزة والعظام النخرة ، من طول السنين . وأما الأستاذ
العطار فقد حارب الشيوعية حرباً لا هوادة فيها ، ولما سأله بعض الإخوان عن
رأيه فبين بنقاب شيوعياً من المسلمين ؟ أجاب بأن الشيوعية تنكر وجود الله
ورسالة الرسل عليهم السلام (قال ص ٨) وهذا وحده كاف لأن يهديننا إلى
الحكم على معتقها ، (قلت) وهذا القدر معرف بالحق ، وهو يغني عن كل
ماسبقه ولحقه من سب وشتم ، لا سيما بعد أن عادت الشيوعية واعترفت بالأمرأة ،
وبالملكية الفردية ، وقال (ص ١٠٦) لقد لحق التبدل والتغيير كل قواعد
المذهب وأساسه ، فالأمرأة قامت من جديد ، والملكية اعترفت بها ، واعترفوا
بالوطنية والقومية ، ورفّع النقد الأدبي رأسه ، فصارت الصحف الروسية تفسر
النقد ، ولكن ليس الأداة الحكومية وجهاز الحكم ، ومن يهدم مقادير البلاد ،

ومع ذلك فهو بشري خبر إن شاء الله ، وكذا تقرأ في الفصل الذي عقده الأستاذ العقاد ، رجوع الشيوعية عن عوامل الهدم والفساد ، في الأسمرة والمجتمع ، وإثبات الحرب الشخصية ، والملكية الفردية ، في المزارع ، وهزيمة المذهب القديم (ص ١٥٦ و ١٥٩) . وهذا بذل دلالة صريحة على أن الشيوعية كانت شيوعية أرض لا شيوعية عرض .

وكان لبني مجمعنا العلمي بدمشق دعوة المجمع الموسكوي سنة ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٤ م ، واجتمعت هنالك باخواني المسلمين ، وصليت الجمعة في جوامع موسكو وطاشقند ، وزرنا نفق بن العباس (رضي الله عنهما) الذي استشهد في سمرقند ، وشاهدنا جامع لينين كراد الذي بنوه بعد الانقلاب الأخير في عاصمة الروس القديمة ، وكنا نسمع خطب الجمعة بلغة القرآن ، واجتمعنا في طشقند بالشيخ المعمر المفتي العام رحمه الله ، وتناولنا الطعام على مائدته مع القاضي الفاضل ، وأخبرونا أن أربعة عشر جامعاً في هذه العاصمة تقام فيها الصلاة ، وعدد نفوسها نحو مليون نسمة ، ورئيس جمهوريتها مسلم ، وأكثر أعضاء المجمع العلمي في طاشقند من المسلمين ، وأكثر من ثمانين بالمائة منهم أيضاً ، وهم يذهبون الشرقي وعمائمهم كما رأينا في مكة والمدينة وجدة والطائف من أرض الحجاز ، وفي بلاد الشام ، وشهدنا - في سمرقند - تجديد عمران المساجد القديمة ، ورأينا صورة داعية الإسلام في بلاد الروس الشيخ طنطاوي عياد المصري (رحمه الله) الذي توفي من نحو نصف قرن ، مرتفعة على الجدران مع صور مشاهيرهم وأكرم رجالهم ، وإنما ذكرت هذا عملاً بقوله تعالى « وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَنْ لَا تَعْدِلُوا : اْعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ » (أي لا يحملنكم بغض قوم لكم ، أو بغضكم لهم ، على ألا تعدلوا فيهم : اعدلوا هو أقرب للتقوى) وهذا أمر إلهي لا يستطيع المسلم أن يعدل عنه ، أو يماري فيه ، فاللهم ألهمنا رشدنا .

أسرار العربية

للإمام أبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري

بتحقيق الرميل الأستاذ محمد هبة البيطار من أعضاء المجمع العلمي العربي

عدد صفحاته ٢٩٠ غير الفهارس ، وطبع بدمشق (١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م)

إن من أظهر صنائع المجمع العلمي العربي الجديرة بوقف الأستاذة على شكرها اهتمامه بنشر ذخائر سلفنا العربي الصالح التي تعين على بحث لغتنا وإحياء آثارنا العلمية والأدبية ، ومن أنفس تلك الذخائر الدالة على مبلغ عنايتنا سلفنا بالعربية وعلومها (كتاب أسرار العربية) للإمام عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري الحكم الفصل بين المذهبين البصري والكوفي في النحو ، وغير المتجهز لمذهبه البصري إن كان الحق يؤيد الكوفي ، وفي ذلك ما فيه من بث روح الانصاف في طلاب النحو ، والحث على التزام الحيدة العلمية في التأليف والتعليم ، ولا أئين لما ذكرت ولا أوصف لموضوع هذا الكتاب مما وصفه به في المقدمة مؤلفه إذ يقول :

« وبعد فقد ذكرت في هذا الكتاب الموسوم « بأسرار العربية » كثيراً من مذاهب النحويين المتقدمين والمتأخرين من البصريين والكوفيين ، وصححت ما ذهب إليه منها بما يحصل به شفاء الغليل ، وأوضحت فساد ما عدها بواضح التعليل ، ورجعت في ذلك كله الى الدليل ، وأعفيت من الإسهاب والتطويل ، وسهّلت على المتعلم غابة التسهيل ، والله تعالى ينفع به ، وهو حسبي ونعم الوكيل . »

وقد صرف الأستاذ الناشر الفاضل نظره عن إبداء ملاحظاته والمبالغة في التعليل والتطويل من الإملال والتطويل ، مكتفياً بإخراج نسخة صحيحة

من النسخ المخطوطة والمطبوعة التي بكل بعضها بعضاً ، كما عني بتفسير غامض اللغة وشرح الشواهد وعزوها الى أهلها مع ايراد تراجم لما في الكتاب من العلماء والشعراء ، كما كشف عن مكامن فوائده بفهارس مفصلة تعين على الرجوع الى المسائل التي يحتاج المطالع أو المراجع اليها ؛

وهناك لأسرار العربية ثلاثة أصول مخطوطة : أحدها مخطوطة مدينة السلام القديمة القوية التي اعتمد عليها المستشرق الألماني فريدريك سيبولد لكتابتها فاعتمد عليها الناشر لذلك ، ولسقوط أبواب كاملة من النسختين المغربيتين ؛ وقد مضى على طبع أسرار العربية بليدن ثلاثة أرباع القرن ، وفقدت النسخ المطبوعة كلها ، وفي بلادنا العربية خاصة ، وأصبح بذلك هذا الكتاب المطبوع كالمخطوط ، ويبعد عن العيون كالمدفون ، مما دعا مجمعا العلي إلى إعادة طبعه لتعميم نفعه . هذا وقد أكل الناشر المحقق هذا الكتاب الجليل بترجمة ضافية للمؤلف في حياته العلمية والخلقية وبين ماله من مؤلفات ممتعة أحسن للقراء وصفها ، وبذلك أصبح هذا الكتاب المنشور داني القطوف للراغب وقريب المنال للطلاب ، لا تشوبه سوى هفوات مطبعية لا يخلو منها كتاب ، فآله يجزي المؤلف والناشر عن العربية خير الجزاء ، فلقد بقصر عن حقها طوبل الثناء .

التنوي

اقتصاديات العراق

محاضرات الدكتور عبد الرحمن الجليلي في ٢٥٥ صفحة

إن درس الحالة الاقتصادية ، في كل قطر من الأقطار العربية ، من قبل الإخصائيين ، فيه فوائد جمة ، للعرب أجمع ، إذ يعرف بعضهم بعضاً ، ويتفاهمون في الأمور الاقتصادية ، ويتقاربون في الأعمال ، وقد أحسن معهد الدراسات العربية العالية ، في جامعة الدول العربية ، في الطلب الى بعض الاقتصاديين بالقاء محاضرات على طلبة المعهد ، وفي جمها في كتاب على حدة .

لقد كان الدكتور عبد الرحمن الجليلي من الذين حاضروا عن اقتصاديات العراق . وقد بحث الدكتور الجليلي في محاضراته هذه ، عن مساحة العراق ، والأراضي القابلة للزراعة هناك ، وحالة الأمطار ، ومقدار الإنتاج ، وعدد السكان والبدو ، وعدد عمال الزراعة ، الذين يبلغون ٦٠ — ٨٠ في المئة من مجموع السكان .

وبين حالة التعليم في المدارس وان عدد التلاميذ قرابة ربع مليون أي ١٢٪ من مجموع السكان ، وان عدد المدارس قد ارتفع الى ١١٠٠ مدرسة كما بين أن لكل ٧٠٠٠ شخص طبيباً واحداً ، وان الملاريا تقضي على ما يقرب من ٥٠ الف نسمة في كل عام .

وقدر متوسط دخل الفرد السنوي بحوالي ٣٠ ديناراً للفرد ، على اعتبار ان مجموع دخل العراق العام السنوي هو ١٥٠ مليون دينار ، وهو دخل ضعيف ولا شك مما يدل على أن الحكومة العراقية كانت نائمة عن تحسين اقتصاديات البلاد ، وعلى أنه لولا النفط ، الذي بلغ دخل الحكومة منه عام (١٩٥٣) ٥٢ مليون دينار ، ثم ارتفع الى قرابة مئة مليون دينار في عام ١٩٥٨ ، لكانت بقيت اقتصاديات العراق سيئة لزم من طويل .

ثم بحث عن صادرات العراق ، وعدد الجرارات والدراسات الحاصدات ،
ومعبشة الفلاح السبئة الذي هو عبارة عن أجير عند صاحب الأرض .
ثم بحث عن الماشية (كل أنواع الحيوانات) التي تبلغ قرابة عشرة ملايين
رأس ، وهي قليلة ولا ريب .

ويبحث عن الصناعة وقال ان العراقيين لم يعتادوا توظيف أموالهم في الصناعة ،
ولام الحكومة عند بيان السبب بقوله : « عدم قيام الحكومة بتوفير الناحية
الفنية والإدارية لتشجيع الناس على الدخول في المجال الصناعي لأن مجرد الإعفاء
من الضرائب لا يغير الأشخاص الذين لا يعرفون كيف يستثمرون أموالهم
في الصناعة (ص ٦٣) .

ثم بين أن الحكومة العراقية قامت ببعض الصناعات ، كصناعة الأقمشة ،
والاسمنت ، والسكر ، ولكنها لم تدر مصانعها بمهارة مما جعل الدكتور المخاضر
يقول : « ان التبذير في الأعمال الحكومية قضية مسلم بها وعدم وجود الدافع
الشخصي والمنفعة الذاتية ، يجعل كفاءة المصانع الحكومية أقل من كفاءة
المصانع الفردية » (ص ٧٢) .

وقد انتقد الإقليمية الضيقة في البلاد العربية ، التي لم توجد صناعات ثقيلة ،
فقال : « وبكفي أن نشير الى أن صناعات عسكرية كبيرة ، وميكانيكية
يمكن أن تنشأ وتنجح في البلاد العربية لو كانت الوحدة بينها حقيقية وصحيحة »
(ص ٧٥) وهذا قول حق .

وقال إن إحداث المصرف الصناعي في العراق عام ١٩٥٠ برأسمال مليون دينار
ثم ارتفاع رأس المال الى ثلاثة ملايين عام ١٩٥٢ قد أفاد الصناعة في العراق .
ويبحث عن التجارة في العراق وبين العجز التجاري المتواصل ، وان المستورد
في عام ١٩٥٣ كان بقيمة ٥١ مليون دينار ، بينما لم يكن المصدر إلا بقيمة
م (٩)

٢٠ مليون دينار ، أي ان العجز كان ٣١ مليون دينار وهذا دليل على اهمال الحكومة آنئذ .

ثم بحث النظام النقدي في العراق ، وان المصرف الوطني قد أسس عام ١٩٤٧ ، وبين أن مجموع الودائع التي في حوزة المصارف التجارية في عام ١٩٥٢ كان ٣١٦٣ مليون دينار وهو قليل ولا ريب .

وبحث عن النفط العراقي والشركات التي تستثمره وتاريخها ومقدار الانتاج وحصة العراق ، ومساهمة العراق في الشركات والمصافي هناك ، وخط الانابيب بين كركوك وبانياس وطوله ٥٦ ميلاً ، وسعته ١٤ مليون طن ، وتأثير النفط في الاقتصاد العراقي ، ونسبة الدخل من النفط الذي بلغ عام ١٩٥٣ ٥١ مليون دينار الى الدخل القومي الذي هو قرابة ١٥٠ مليون دينار ، وان حصة الحكومة من النفط هي ٥٠٪ فقط .

ويظهر أن الحكومة العراقية ، قد قصرت في استهلاك مقدار كبير من أسهم شركات النفط ، التي تحسب بموجبها حصة العراق ، لأن العراق يحرم من جراء تلك الأسعار ، ما يزيد على ١٠ - ١٥ مليون دينار في كل عام .

وتحدث عن مجلس الاعمار الذي أحدثته الحكومة العراقية عام ١٩٥٠ ، ووزارة الاعمار التي أوجدتها عام ١٩٥٣ وبين الصلاحية الواسعة للمجلس والوزارة ، وقد بلغت واردات المجلس في عام ١٩٥٤ مقدار ٣٨٨ مليون دينار والنفقات ٣٠ مليون دينار فقط ، وان المجلس أقرض مبلغ ١٤ مليون دينار الى المصالح والدوائر المستقلة ، وان المجلس أوجد برامج للزراعة والصناعة والمواصلات والمباني لمدة خمسة أعوام ، وكل ما خصص لذلك ، هو من موارد النفط .

وختم محاضراته يبحث سيامي اقتصادي ، وهو اشتراك سورية والاردن

ولبنان مع العراق في العمل ليصبحوا منطقة من العالم ، وان لبنان يلقى العنت من سورية (ص ٢٥٠ - ٢٥٥) .

وقد قال في ذلك : « ونجد كيان العرب السيامي والعسكري في هذه المنطقة من العالم ، وفي العلاقات الدولية ، قائمة على تجمعهم في كيان ينظم أول الأمر ١٤ مليون من السكان ، لهم من الموارد الطبيعية والثروة المستقلة ، ما يساعد على سرعة بناء كيانهم السيامي والعسكري على أحسن وجه وأقواء » (ص ٢٥٤) . وقوله هذا هو من خطة الحكومة العراقية (عام ١٩٥٥) بينما قد رأت سورية مصلحتها واتحدت مع مصر التي تكن لها أجمل العواطف ، والتي تربطها بها « روابط اقتصادية وقومية وتاريخية وعسكرية هامة لا انفصام لها ، وما على العراق الشقيق إلا أن يندمج في الوحدة العربية .

في الحق أن الدكتور المحاضر ، قد توسع في استعراض اقتصاديات العراق ، وكان موفقاً في ذلك وقد أفاد طلبة المعهد ، وغير المعهد ، في الاطلاع على اقتصاديات القطر العراقي العربي ، ولو أنه توسع أيضاً في انتقاداته للحكومة العراقية (آثذ) فيما يتعلق بضعف الاقتصاد القومي ، وعدم أخذها حصة كافية من النفط ، وقلة عدد المدارس والأطباء رغم مواردها العظيمة من النفط ، لكان أسدى الى العراق خدمة جلى ، إذ ينبه الشعب الشقيق الى تسبب واهمال حكومته ، ويدعو الحكومة الى العمل المجدي .

وصفة القول : ان هذه المحاضرات قيمة ، وجديرة بالتقدير .

منير الشريف



آراء وأبناء



الأستاذ الرئيس خليل مردم بك
(١٨٩٥ — ١٩٥٩)

خليل مردم بك

(١٨٩٥ — ١٩٥٩)

في صبيحة الثلاثاء الواقع في ١٥ محرم ١٣٧٩ هـ ، والموافق لـ ٢١ تموز ١٩٥٩ ، قضى رئيس مجمعنا العلامة الشاعر الأستاذ خليل مردم بك ، إثر مرض لازمه شهوراً ، فبكته البلاد ، وشيعه أعلام العرب ، ومشى وراء نعشه رجال البين . وكان لنعيه رنة حزن وأمى في القلوب جميعاً ، لما كان عليه الراحل الفقيد من مزايا نادرة وصفات باهرة في الخلق والأدب والنتاج . وبموته انطوى علم من أعلام الجيل الماضي ظل خفاقاً منذ أهل القرن .

كان الفقيد نموذجاً رائعاً من رجال البيان لصدر هذا العصر في أدبه ونتاجه ، يلز بالفحول من الشعراء في مصر والعراق ولبنان ، ويلحق بكبار الأدباء من الصفة المختارة ، رفع اسم بلاده عالياً ، وقضى حقها كاملاً ، وناضل في سبيلها كل حياته ، فأصبح منارة يستضيء بها الجيل الصاعد ، وغدا أمثلة تحذى وسيرة تقرأ . فقد كان من الأوائل الذين استساغوا الأدب الضخم والعبارة الفخمة والشعر المتين ، عكف على تراثنا الخالد ، وأفاد منه ، وحببه إلى الناس فخدم الأدب المعاصر خدمة لا تنسى ، وكان صلة الوصل بين القديم والحديث ، جمع أطايب القول وأحسن الصور ، وعرضها في أجمل ثوب وأحسن حلي ، وقامى في سبيل ذلك ما لا يقاسيه جيلنا من فقد المصادر ، وندرة الخزائن ، وقلة الثقافة ، وضآلة التعليم ، وجفاف الينابيع .

كان القرن التاسع عشر بئس آخر سنيه ، شقياً بما شهد من ظلم وعسف وضيق ، وكانت الأنوار تظهر حيناً وتختفي أحياناً . وفي سنيه الأخيرة ، قبل

أن يموت هذا القرن ، ولد خليل مردم بك حوالي سنة ١٨٩٨ ^(١) بدمشق ،
 لأب هو أحمد مختار مردم بك ، وأم هي السيدة فاطمة الحزايي ابنة السيد
 محمود الحزايي مفتي دمشق وعلاقتها ، وصاحب التصانيف المعروفة من شعر ونثر .
 ولم يكن له إخوة من الذكور ، وإنما كانت له خمس شقيقات ، فدفع به
 أبوه إلى التعلم ، وسلكه في مدارس ذلك الزمان ، وهي ضعيفة الثقافة ، فنشأ
 الصبي كما نشأ أقرانه ، ودرج في مدرسة الملك الظاهر الابتدائية . ولكنه
 ما كاد يتم الرابعة عشرة من عمره حتى فقد أباه ، ثم فقد أمه بعد أربع سنوات ،
 فتدا في صدر حياته بنجم الأب والأم ، يسير بين أشواك الدنيا حذراً قلقاً
 متردداً ، حبيباً خجولاً ، وكان المصيبة طبعته بطابع الصحة والحذر والسكون
 ولازمه ذلك طوال حياته .

ومضى الشاب إلى إكمال تحصيله رغم بيمه ، يتم علمه على أساليب تلك الأيام ،
 فأقبل على الحديث والفقه والنحو والصرف ، فدرس الحديث على المحدث الشيخ
 بدر الدين الحسني ، والفقه على قاضي الشام الشيخ عطاء الله الكسم ، والصرف والنحو
 على الشيخ عبد القادر الإسكندراني ، وهم علماء دمشق والمقدمون في مجالي
 الثقافة والمعرفة ، فأفاد منهم ، وأخذ عنهم ، حتى علفت به أساليب القدماء وطرقهم ،
 فوقف على العربية وهو ما يزال يزحف نحو العشرين من سنه ، وراح يقرض
 الشعر ، ويتلوه بقوافيه ، يقلد القدماء ، ويجري على منتهى حتى أصبحت له
 ملكة في الشعر ، فدار اسمه ولمع صيته في بلده .

وانقضت سنة ١٩١٨ بويلاتها وشروها ، وجلا الأتراك عن دمشق ،
 فعين الشاب مميزاً لديوان الرسائل العامة ، بنقح ما بين يديه من أوراق ،

(١) ذكر بروكلمن ٣/ ٣٥٦ في ترجمته للفقيه ، أنه ولد سنة ١٨٩٥ ، ولله ظله
 عن كاهنهم الذي استكتب أدباء دمشق سيرهم ، بأفلامهم . ولكننا نتابع في
 حساب السنين ما كان الراحل يريد أن يجعله سنة لولادته في أوقافه الرحمة .

ويختار أشرف الألفاظ ، ويمارس الوظيفة مترقياً في مراتبها حتى أواخر سنة ١٩١٩ .
وقد شهد خلال هذه الحقبة كثيراً من الرجال الرسميين عن كثب ، واستمع
إلى أحاديثهم ، ورأى بعينه تاريخاً جديداً للأمة العربية يسطر ويكتب ،
فاهتز قلبه للأعجاب ، وفتحت نفسه للمناصب ، وظل عمره كله يذكر تلك الحقبة
السعيدة من سنيه ، ويتفنى بأنه رأى أمته تنشئ الحياة وتبني العز من جديد
بعد ركود طويل . فأمن بعرويته ، وتعشق بطولاتها ، وسحر بتاريخها ،
وأحب أن تعود كما كانت لنسابق النجوم وتصافح المفاخر ، فقال قلبه إلى الشعر
الوطني ، وتفننى لسانه باستقلال العرب .

ولما دخل الفرنسيون دمشق ترك الوظيفة ، وانصرف عن خدمة القوم ،
وتغلغل في قلبه كرههم ، وعرف بذلك كل حياته ، وعشق الشعر المهجري ، وأطال
صحبته لإنتاج الرابطة في نيويورك ، فكان من ذلك أن أسس مع صحبه « الرابطة
الأدبية » ، دخلها معه أدباء ذلك العهد ، وفيهم : محمد الشربقي ، ايفانوس ،
شفيق جبري ، حيدر مردم بك ، سليم الجندي ، حلیم دموس ، أحمد شاكر
الكرمي ، بلال الرياشي ، عبد الله النجار ، جورج ريس ، نسيب شهاب ،
ماري عجمي ، عز الدين علم الدين ، نجيب الريس ، فخري البارودي وغيرهم . . .
وعقد أعضاء الرابطة أول اجتماع لها في شهر آذار سنة ١٩٢١ ، ووضعوا قانوناً
لجمعيتهم ، وانتخبوا خليل مردم بك رئيساً للجنة الإدارية وعمره ثلاث وعشرون سنة .
وكانت الجمعية تعقد كل أسبوع اجتماعاً ، يلقي فيه أحد الأعضاء محاضرة
في موضوع معين . ثم أنشأت الرابطة مجلة باسمها « مجلة الرابطة الأدبية »
فكانت من خبرة الصحف لذلك الزمان في موضوعاتها وفي أسلوبها ، تختار أطايب
القول في الشعر والنثر ، وترجم عن تحول الغربيين ، وتعنى باللغة ومفرداتها .
وقد صدر العدد الأول منها سنة ١٩٢١ ، وفي صدرها شعارها : « انشاء جامعة
أدبية تلم شملهم وتوحد قوتهم » .

وفي هذه المجلة نشر الفقيه شعراً ودراسات ، وكان الشعر في الغزل ،
وهذه مطالع بعضه :

الموى يامي صعب فارحي من لك يصبو
أما بنفك فلبك مستطارا إذا ما البرق أدهض واستطارا
هل تذكرين بسفح دمر ساعة فيها افتشت بدّي وفضل ردائي

وهذه القصائد مشبوبة العاطفة ، مضطربة اللاوعة ، تمثل الشاب في هذه السن ،
وقد تفتح قلبه للهوى وخفت ضلوعه للحنين ، وسالت في دروب حفظه أشعار المجتري
وابن المميز وقصائد العذويتين ، فكان صورة عنهم في الرقة والاسلوب وفي كثير
من معانيه ، فقد سلك الشاب في حب الشعر القديم والتراث الخالد منذ هذه
السن مسلماً عجيباً ، وعكف على المخطوطات ، وأخرج مع زملائه من أعضاء
الرابطة كتاب «معاني الشعر» للأستاذاني ،^(١) وطبعه بدمشق سنة ١٩٢٢ .
وطبق بعد ذلك بكتب مقالات ودراسات في مجلة المجمع العلمي عن المخطوطات
ونقد الكتب المحققة ، فكان لأساتيده القدماء فيما نظن أثر في توجيهه هذه
الوجهة ، بل كان للمحققين في زمانه يد في هذا الحب ، وفيهم الشيخ طاهر
الجزائري والأستاذ محمد كرد علي .

وظلّ الرجل يعمل للرابطة وحلقاتها ومجلتها حتى شعر المستعمرون أنه محور
بقظة ، وموضع بحث فأغلقوا المجلة ، وحلّوا الجمعية ، وانتثر العقد ووقفت الرابطة
بعد أن قامت بنشاط منتج ، وأصدرت من المجلة تسعة أعداد سدت بها فراغاً كبيراً .

ولا شك في أن هذا النشاط وهذا الانتاج دفعا بالمجمع العلمي العربي إلى
تقدير شاعرنا وانتخابه عضواً في المجمع^(٢) ، فتقدم إليه برسالة عن «شعراء الشام

(١) طبع بنفقة الرابطة سنة ١٩٢٢ في ٢٠٨ صفحات .

(٢) انتخب في ٩ كانون الثاني سنة ١٩٢٥ .

في القرن الثالث» نمت على حذق وفهم وحب عميق للشعر الأصيل ، وعكوف على هذه الطبقة المختارة من شعراء العرب ، ظل فقيدنا يغذيها بقراءاته وبجوته ، وجهوده في جمع الدواوين طوال عمره حتى كاد يستكمل حلقة الشعر في الشام منذ القرن الثالث حتى السابع . وقد نشر دراسته هذه في مجلة المجمع ^(١) أولاً ، ثم طبعها على حدة في كتاب صدر سنة ١٩٢٥ .

وهكذا احتل الرجل مقعداً من مقاعد الخالدين . وكانوا خلاصة الأعلام وسادة الثقافة والبيان ، ينظر إليهم العرب في أقطارهم على أنهم معقد الأمل وحصن العريية ومصنعا الضخم ، عنهم تصدر المقالات الرصينة ، وفي دارهم تعقد الندوات الأدبية الرفيعة ، ويبدع تحرراً وثق مجلة علمية نشأت مع الاستقلال العربي . وما زالت كذلك إلى اليوم نظيف على عالما كوؤوس المعرفة صافية ، ودراسات الأدب نقية ، خالية من شوائب العصر ، بعيدة عن السياسة كل البعد ، حتى غدت منارة وحدها بين صحف تولد وتموت ، وتظهر وتطوى ، ولكنها كالجمجم نفسه جبلت على الخلود ، والخلود لا يمسه عيب ولا يلحق به نقصان . وكان هذا المجمع مثلاً ناجحاً احتذاه علماء القاهرة وبغداد ، فأنشؤوا في كل من الحاضر تين مجمعا ومجلة ليسيروا بها على غرار دمشق .

وفي هذه المجلة نشر الفقيد مقالات يجب أن تجمع ليوم ذكره ، كما فعل في جمع مقالات غيره ، فقد كان الرجل مثال التواضع والتفاني فصرف همهته إلى دواوين غيره ومقالات زملائه ، ولا يصح أن ينصرف زملاؤه عن العمل لمقالاته ودراساته .

وفي هذه السنة نفسها (١٩٢٥) نشر فقيدنا « كتاب وقف الوزير لالا مصطفى باشا » وكتاب وقف فاطمة خاتون بنت محمد ابن السلطان الملك

(١) انظر مجلة المجمع سنة ١٩٢٥ (ص ٢٩٤ وما تليها) وكتاب شعراء الشام ، طبع دمشق سنة ١٩٢٥ ، في ٩٦ صفحة .

الأشرف قانصوه الغوري» وكتب على الغلاف : « وقف على طبعهما خليل بن أحمد مردم بك »^(١) .

ولم تكن أعمال النشر والتحقيق والمقالة وحدها هي التي تسبب بوقت فقيدنا ، فقد كان يؤمن بأن للنضال عليه حقاً ، لذلك عاش حياته كلها بمحمل للأدب وبتغني بالثورة ، فهو في برزخين أبداً ، ينتقل من هذا إلى ذاك ، كما ينتقل الطير من فنن إلى فنن ، فكان ينظم الشعر في الجبال كما ينظمه في خير وطنه وفي إثارة الشعب ورد الطغيان ودفع الظلم ، فكانت منه قصائد عاصرة أنظمتها في الوطنية والعروبة وطرد الفرنسيين ، ردّبتها دمشق وتغنت بها ، فلما نشبت الثورة السورية سنة ١٩٢٥ ، وقام اللهب والحريق والقتل في جنبات الغوطة الغناء وفي رحاب دمشق الفيحاء أرسل قصيدته المشهورة « يوم الفزع الأكبر » ومطلعها^(٢) :

أمدّه الدمع حتى غاض جائده فن بأدمع عينيه يرافده
فتناقلها الناس ، ونشرتها الصحف العربية ، وتلفت الفرنسيون إلى هذا النور ليطفئوه ، وأرسلوا في أثره يطاردونه ، ففر إلى لبنان ، واستخفى فيه بقرية « المروج » بمساعدة صديقه الشاعر أدب مظهر . وما علمت السلطة بوجوده هناك حتى راحت تلاحقه للقبض عليه ، فهرب إلى الاسكندرية سنة ١٩٢٦ ، ونزل عند شقيقته السيدة فائزة زوجة المرحوم الدكتور أحمد قدري (وهو من أعلام الثورة العربية ومن رجال فيصل الأول المقربين) .

ولبث الفقيد في مصر أربعة أشهر كان لها أثر كبير في حياته ، فقد كان يقرأ عن بعد لأعلام المصريين ، ويستمع إلى أخبارهم ، ويتلف آثارهم ،

(١) طبع بدمشق على نسخ قليلة ، سنة ١٩٢٥ في ٣٠٠ صفحة .

(٢) انظر ديوان الثورة ، جمع محمد ياسين عرفة ، مصر ١٩٢٦ ، ص ١٢٤ .

ويشتاق إلى معادن العربية من مكانها ، فلما بلغ اليهم اتصال بالأعلام ، وعرفهم كما عرف من قبل رجال السياسة العربية في بلده . وقد عرفنا من أحاديثه الشخصية ما كان يلقى من إكرام وما يصيب من ود ، ورجونه أن يسجلها لجيلنا ، فكان منه مقالان في ذكرياته مع حافظ إبراهيم بالإسكندرية وحلوان ، نشرهما في مجلة المجمع العلمي العربي ^(١) ، تحدث فيها عن شاعر الشعب في أدق عبثه وحركاته .

وتأثر الفقيه من غير شك بجو الإسكندرية وثقافتها ، فمزم على الدراسة في الغرب ، وقرر أن يقصد إلى انكلترا ، فسافر إليها وانتسب إلى جامعة لندن ، ولقي فيها آفاقاً رحبة واستمع إلى كتاب الإنكليز ، وظل طوال عمره يذكر أثر ذلك ، وما كان من استماعه إلى ويلز وغيره من الكتاب الغربيين . ولبت في تلك البلاد أربع سنوات درس فيها الآداب وحصل على شهادة تعادل الدكتوراه . وقد كان لوقوفه على الأدب الانكليزي ورحلته في الغرب أثر هام في شعره . وظهر الأثر في قصائده : سكران وسكرى ، والغوطة ، ويردى والرقص ، فجمع جزالة العبارة إلى براعة الصورة ، وأفاد من الشعر الفحل في مصر ، واللون الغربي ، ووفق في الموسيقى والخيال ، وارتفع بالشعر الشامي المعاصر إلى مراتب الجودة والتوفيق .

وعاد إلى دمشق سنة ١٩٢٩ مشوقاً ظمآن إلى ربوعها ومواطن صباه ، والجراح تحت ردهائه لما أصابها من نكبات وهزات ، فاستقبلها بقصيدة لعلها من خير شعره ؛ حيا فيها عاصمة بني أمية ، وجمل عنوانها « سلام على دمشق » قال في مطلعها :

تلاقوا بعد ما افترقوا طويلاً فما ملكوا المدامع أن تسبلاً

فاهتزت مشاعر قومه ، وصفق له الأديباء ، ورأوا فيه شاعراً ألان القوافي لبراعته ،

(١) انظر مجلة المجمع العلمي بدمشق سنة ١٩٥٦ (ص ٣٥٣ - ٣٧٠) ،

(ص ٥٢٩ - ٥٤٣) .

فأكبروه وأحلوه مكانة الود والاكرام . وعيّن مساعداً لرئيس الأدب العربي في الكلية العلمية الوطنية ، وظل فيها تسع سنوات من (١٩٢٩ - ١٩٣٨) وفي هذه الكلية تخرج على يديه أدباء وعلماء سلكوا في دروب المعرفة ، ورفعوا بلدهم في مختلف الميادين ذكراً لا ينسى .

وفي سنة ١٩٣٣ حنّ من جديد إلى الصحافة الأدبية ، فأصدر مع الدكتورة جميل صليبا ، وكاظم الداغستاني ، وكامل عياد مجلة « الثقافة » جاء في مقدمتها كلام يبين عن بعض أهدافها : « للأدب أبلغ أثر في تكوين هذه الثقافة ، فهو روح النهضة ، ومظهر حياة الأمة ، ولقد طفت عليه جلبة السياسة في هذه الأيام حتى كادت تخفّص صوته في ضوضائها ، فأصبح من الواجب إفلاته من عثرته والأخذ بيده ، وتقديس حرمة ، وانتهاج طريق واضح له في الدراسة والوضع » . وهذه السطور تغني عن شرح كثير في وصف الحال ورسم البواعث التي أهابت بالفقيد ورصفائه إلى إنشاء هذه الصحيفة .

وكانت « مجلة الثقافة » صورة للصحف الراقية في بحوثها ومقالاتها وصورها الفنية ، تختار الشعر الجميل والقصص البديع والترجمات الحسنة . وكان للفقيد فيها شعر ونثر ، كما كان في مجلة الرابطة من قبل . ولكنّه هنا أبلغ وأحسن ، فقد سار الفقيد بخطى نحو الجمال والاتقان ، وأصبح يفهم الشعر على أحسن ما تفهمه الآداب الراقية . وكتب مقالاً نشره في هذه المجلة تتخذة دليلاً على أسلوبه في الكتابة والنثر ، وشاهداً على ما نقول من فهمه لرسالته في الأدب قال ^(١) : « الشاعر : مخلوق خالق ، وروح خالد ، يصور من خفقات قلبه وخلاجات ضميره وإبداع فكره أشباحاً ينبفخ فيها من روحه فاذا هي من الخالدين . ملك أو جني ، هبطت روحه من عالم الغيب ، فتمثلت بشراً سوياً ، فهو مع بني الإنسان ،

(١) انظر مجلة الثقافة بدمشق ، تموز ١٩٣٣ (س ٣١٧ - ٣١٨) .

ولكنه غريب عنهم ، فما يزال يصبح إلى هينمة الملائكة في السماء أو عزرب
الجن في الصحراء ، ويستشف من وراء الأفق عالمًا نورانيًا ، ويتبين في الجو
مسارح أنسه الأولى ، ومعاهد هواه القديم :

لابنة الجنى في الانس طلل

فهو يقظان حالم ، أنكر الناس أمره وحاروا في شأنه ، وقالوا : شاعر
أو مجنون .

« بأنس بالوحدة لأنه من نفسه في عالم ، وبوثر السكون لبسمع جالجلة
الوحي وأصداء الأرواح ، ويسكن إلى الظلام لبشاهد الرؤى والأشباح ،
وبفحص عينيه ليرى ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى » .
وهذا أسلوب جميل ، يجري بغير تكلف ، ويقتبس من القرآن الكريم ،
ويسمو في فهم الشاعر ، لأن كاتبه يصف نفسه في حال الوحدة والسكون
حين يصطاد خفقات قلبه وما يحبك في صدره وما يشع في بصره وما يفيض
من عينيه . والذين أطلوا الاستمتاع بمحدث الفقيده وسكروا معه بكؤوس
الصدقة هم الذين يعرفون كيف كانت تحوم أشباح الشعر حول عينيه وبصره وفمه ،
وهم الذين يعرفون نشوة الشاعر حين يحس أضلاعه تهمس همسًا ألد من نسمات
الصباح على أوراق الشجر مع أوائل النور ، يجوس خلالها الشعر وتطرق القوافي ،
فينشرح صدره وتضحك عيناه .

والأدباء الذين قرأوا الشعر المعاصر يعرفون أن شعر الفقيده كان يحوم حول
جمال الكون ، وفتنة المرأة ، وجلال الدين ، وعظمة الحرية ، وكرامة الوطن .
ويعرفون أنه كان ينسج من خيوطها قصائده منذ أوتر شبابه حتى خبا آخر شعاع
في عينيه ، فكانت أغاني وألحانًا أسلمها إلى كرايس دفن فيها أقدس أمراره ،
ولم يفضح منها إلّا ما ارتضى خطبته وإشاعته ^(١) .

(١) هذه الكرايس يقوم بحمنا العلمي بطبها وانثرها إحياء لذكراه .

وفي هذه الكراريس ألوان من الشعر والخيال ، ليس هنا مكان الافاضة فيها ، فهي تلم بصور الغزل على ألوانه ، منه اللين ومنه العنيف ، وفيه القبل تترى والأشواق تنساب ، فتلحق بالرومانسية الأوربية ، وتتصل بالأساليب العباسية ، وهي في كثرتها كسعر العذربين ، أو الغزلين المتعفين يسقط على القبلة ولكنه لا يهوى إلى ما بعدها ، فيقول :

فكأننا إذ ذاك زوج من قطا بتطاعمات بروضة غناء

قد كان في طوقي بلوغ مآربي لولا زواجر عفة وحياء

وهذا يذكرنا بالعباس بن الأحنف أو بأبي فراس الحمداني ، حين بقدر العاشق ويعف . وهذه الكراريس تفص بالصور الفاتنة في وصف دمشق وغوطتها وأنهاها وجبالها ، وليلها ونهارها ، وما فيها من مؤذن وأذان ، وما في أعيادها من ضحايا تلح فيها مدبة الجزار ، وما في الجو من فراش ، وما في الأرض من زنبق . وهو في ذلك كله مؤمن أعمق الإيمان بالله ونيته يقول فيه :

شب أمياً ولكن نال في العلم الإمامة

وهو وطني مخلص لعروبه وبلاده ، بكرم الأبطال في ميسلون فينابي « بوصف العظيمة » :

غضبت لامة منها « معد » فأرضيت العروبة والامسا

فيالك راقداً نهت شعباً وأبقت النواظر من كراها

وبكرم دمشق في الثورة التي ألهمتها وبغيتها إثر عودته من لندن :

دمشق ولست بالباغي بديلاً وعن عهد الأجمة ان أحولا

ذكرتك والهبب له وميض ينشتر من شقائقه ذبولا

له وهج إذا وازاه طير رماء ولو علا في الجو ميلا

وأمرت الرصاص فكان وبلاً شديد الوكف منهجراً ويسلا

ولعله في هذا الشعر القليل الذي روينا يشير بنفسه الى طريقته وأسلوبه ، فما يحوجنا إلى دليل أو تحليل ، بل لعله إذا جمع إلى النثر الذي بسطنا وهو قليل كذلك ، يكفي لرمم صورة عن أدبه وقد اشدت عوده واستندت ساعده ، ونضج فنه .

وخلال هذه السنوات السعيدة الخصبه (١٩٢٣ - ١٩٣٩) التي كان بدرّس فيها الأدب العربي بالكليه العلمية - كما قلنا - راح يؤلف الدراسات الادبية ويترجم افحول الادباء القدماء ، فأصدر عدداً من الكتب جعلها بعنوان : « أئمة الأدب » ، ونشر منها خمسة : « الجاحظ » ، وابن المقفع ، وابن العميد ، والصاحب ، والفرزدق » ^(١) وهي دراسات مبسطة تجمع حياة الشاعر إلى مختار شعره ، وتعرضه عرضاً واضحاً وموفقاً تمين طلاب البكالوريا وتفتح باباً للكتب المدرسية في الأدب العربي ببلادنا .

*
**

ووقعت الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ ، وقد جاوز الفقيه الأربعين من العمر ، وعرفه العالم العربي ، وأكبره قومه ، واحتل بين إخوانه في المجمع مكانة سامية ، فانتخبوه أميناً للسنة ١٩٤١ ، وراح يعمل سجيابة أيامه مع الرئيس الأسبق المرحوم محمد كرد علي في انسجام وصفاء .

وكانت المجالس الصباحية في المجمع أشبه بمجالس القدماء تطوف فيها كؤوس النوارد الأدبية ، والصفحات العلمية ، فكان الصبوح في « دائرة الخالدين » أشهى ما يشرب الناشئة وألذ ما يعالج الشيوخ ليومهم . وكان الحرب ما دارت منها رحي ، وكان ظلام الدنيا ما اختلف إلى هذه العقول النيرة ، وعاش الرضي

(١) الجاحظ ٩٦ صفحة - ابن المقفع ٩٦ صفحة - ابن العميد ١٤٤ صفحة -
الصاحب ٢٥٦ صفحة - الفرزدق ١١٢ صفحة ، وكلها من القطع المتوسط .

بين جدران « المدرسة العادلية » ^(١) شهوراً جميلة أعاد إليها جهاد العلم ، وانتصار الثقافة ، وسمو الانتاج .

وفي سنة ١٩٤٢ ، شاعت الحكومة أن تختطف العلامة الأديب من جدران المجمع لتجعله وزيراً للمعارف في ظروف قلقة ، فترك ما بين يديه من دواوين إلى حين . ولكنه عاد بعد ذلك إلى أمانة السر لتقرر به عيوت الأعضاء ، ويفرح به الرئيس الجليل .

ومنذ سنة ١٩٤٦ ، أصبح العلامة الفقيد يحيا حياة جديدة أحياها منذ صباه ، وهي المكوف على المصادر القديمة ، وحياء الشعر الشامي بترنم به وبتغنى ، ويبحث وينقب ، حتى عرف كل حي من أحياء دمشق في قديمه وحديثه ، وأتقن كل لفظة دمشقية جاءت على لسان الشعراء قبله ، فغدا مرجعاً وثقة في هذا ، كما كان رئيسه ثقة في تاريخ الشام وحضارة الإسلام . والذين يتذوقون الأدب القديم ويعشقون الرحلة في مطاويه ، ويصبرون على التجوال في هوائش الكتب يجدون في تعليقات علامتنا سطوراً لا تضاهيها صفحات كثيرة ، ففيها من اللذة والجمال ما ليس في كتابات كثير من العصريين المجددين المتأدبين ، فهي حدائق من الأدب لا يسعو إليها خيالهم ، ولا تحملهم إليها قوائهم .

وهذه التعليقات نجدها في الدواوين التي حققها فقيدنا واحداً إثر واحد على كمال متصاعد ، ما يزال يحسن فيه حتى يبلغ الذروة . فقد حقق ديوان ابن عنين الدمشقي سنة ١٩٤٦ ، وديوان علي بن الجهم سنة ١٩٤٩ ، وديوان ابن حبوس سنة ١٩٥١ ، ثم ديوان ابن الخياط سنة ١٩٥٨ . وطبعها كلها المجمع العلمي بدمشق ، وصدرها علامتنا بمقدمات ودراسات تقارب كل مقدمة منها خمسين صفحة ، لو جمع بعضها إلى بعض ، ولو جردت من صدور الدواوين

(١) مقر المجمع العلمي الرمي منذ نشأته إل اليوم .

لكانت تاريخياً للأدب في الشام ، بكل الدراسة التي أنشأها عن القرن الثالث للهجرة في صدر شبابه . فقد كان الفقيه ، منسجماً مع ماضيه يسير على خط مستقيم في عمله ، يعرف كيف بدأ ويعرف كيف يتم ، لا يصرفه نقد بعض المنتظمين لأعماله وأعمال المجمع ، ولا بغضبه قولهم فيه ، فهم يرون أن التحقيق والنشر من العبث والترف ، ويظنون أن الأدب كل الأدب قصة تنشر وقصيدة تخطر ، ومقالة تزوج ، وخطبة تلقى فحسب .

وقد كان الفقيه يلقى عند المستشرقين اكباراً و إعجاباً وثناءً لو جمع بين ذكره لأغنى القائلين في مدحه ، كما كان يلقى عند رصفائه من أعضاء الجامع العربية والدولية اكباراً وثناءً ، فتماهت عليه الجامع العلمية والمدارس العالية تهدي اليه عضويتها ، وتلتبس اليه قبول الانساب اليها . فانتخبه بجمع اللغة بمصر عضواً سنة ١٩٤٨ ، والمجمع العلمي العراقي عضواً كذلك سنة ١٩٤٩ ، ومدرسة الدراسات الشرقية بلندن عضواً سنة ١٩٥١ ، ودائرة المعارف الإسلامية للمستشرقين عضواً في تحريرها سنة ١٩٥١ ، وجمع البحر المتوسط في بالرمو عضواً سنة ١٩٥٢ ، والمجمع العلمي السوفياتي عضواً سنة ١٩٥٨ .

وفي سنة ١٩٥١ ، عادت اليه الحكومة السورية لتدعوه الى تسلم منصب وزير مفوض لها في بغداد ، فسافر اليها وكان فيها موضع الحب والتقدير ، وغدت دارتنا هناك ملتقى العرب الأعلام .
وفي سنة ١٩٥٣ اخير وزيراً للخارجية .

وفي السنة نفسها ، انتخب رئيساً للمجمع العلمي العربي بدمشق ، فبلغ أعلى ما يطمح اليه عالم وأديب ، وقضى أماني قلبه ووثبات روحه واشراقه نفسه ، وأصبح في الذروة تعقد عليه الآمال وترنو اليه الأبصار .

فلما انصرف عن السياسة والمناصب ، عاد الى المجمع العلمي لبسير بمنشوراته العلمية سيرة مجامع الغرب ، فاطرد العمل ومضت الحلة في ثوبها الجديد ، تذب

في قوة وجلاء حتى قطعت إلى اليوم من عمرها قرابة أربعين سنة ، وقد كان فقيدنا يقطعها أجل ساعاته ويخصها بأخص عنايته ، يكاد يقرأ مقالاتها كلها قبل النشر ، ويراقب ترتيبها ، ويبحث على المضي في طبعها وتصحيحها ، وأخراجها في نظام موقوت ، فكأنها قطعة من حياته ، كما كانت قطعة من حياة سلفه قبله .

أما مطبوعات المجمع فكانت يعمل لها في جد متواصل بنظر فيها وبدقةها كأنها بقلمه ، وكل راجع أصحابها وزودهم بما يعرف من أمور ، واشترك معهم في التعليق والتصويب . وكان بهذا الحرص المتواضع والجهد الدائم يدفع الشباب إلى العمل ، ويجب برسالة المجمع ، ويستزبد من الأصدقاء ، ويجمع حوله القلوب .

ولم يكن يدفع إلى الإنتاج فحسب ، وإنما كان يضرب الأمثال بنفسه ، فيجهر المقالات في دراسة الأدب ونقده وتحقيق نصوصه كما كان يفعل منذ أول نشأته في « الرابطة الأدبية » . فهو في السنين من عمره كما كان في الخامسة والعشرين ، يعشق الأدب ، ويميل إلى التحقيق ، فيقبل على شعره يسجل همسات خاطره ، ويقبل على شعر أهل الشام فيمضي به ، وكان آخر إنتاجه « ديوان ابن الخطيب » - الذي ذكرناه - أتمه قبل عام من وفاته على أحسن ما يصنع المحققون في العالم العربي ، فحشد له ثمانين نسخة خطية ، جمعها من أطراف الدنيا ، وصار في التعليق عليها وموازنتها صيراً لا انقطاع فيه ، فإذا خلا من زواره انقلب إلى عمله يرمم بخطه الجليل أبيات الشعر ، كما رمم غيره من الدواوين لا يعتمد على ناسخ أو ناقل ، فكأنه في الثلاثين من عمره جداً وجهاً ، لا يفتر ولا يفي ، حتى ملك الإتقان في هذا الديوان ، وكان لنا شرف الحديث عنه في مجلة المجمع ^(١) ، فألعمنا إلى أباديه على الجليل في هذا الكتاب وفي غيره ، وبسطنا خطنه في تاريخ الأدب العربي لأفليمنا - كما قلنا - ورجونا أن يتم

السلسلة إلى القرن السابع الهجري حيث وقف الشعر العربي عن قبض إبداعه .
ولو قد مد الله في عمر الفقيه لعمد إلى طبع ابن منير الطرابلسي وابن القيسراني ،
وقد حدثني عنها ، وأطال في الشوق إلى اخراجها ، فوفر لها النسخ والمصادر
ولكن المنية بالمرصاد للنفوس الكبيرة الجاهدة التي تستقل ساعات الحياة دون
تحقيق مشاربها الضخمة .

ولعلّ هذا الإجهاد من غير راحة بعد بلوغه الستين قد أضر بجسمه ، فأورده
موارد المرض والعلّة ، فأقعده عن السعي إلى المجموع ، فافتقده إخوانه وصحبه
وهم كثير ، وراوا مكانه خاليًا لا يسدّ ، فلا مرجع يرجعون إليه ، ولا مشير
يعلقون على رأيه الأمل . فقد كان مستودع الأمرار ، شديد الحرص عليها
وفيا لصحبه ، جميل التواضع ، كأنّ الشعر الرفيع سكب عليه برداً من أجل
أبراده ، فكساه بأجل الحلي وزينه بأقنى الصفات . فقد كان رحمه الله صورة
للرفقة في حديثه ومجاسه ، ما تنقطع بشاشته عن خديته ، حتى لكأنه ورد الربيع
بنشر العطر ، ويحمل الذكر ويكسو الحديث أطيب النكهة . فما عرفنا أن
لسانه الحيّ المتروّد انطلق مرة إلا في خير الناس ونفع الأدب ، وخدمة المجموع
ومجد العرب . وكانت عيناه الواسعتان تشعان أبداً بنور النبيل والحياة الجم
والتواضع الجميل تفرحان للجمال ، وتضحكان للنكتة البريئة ، وتسهران غور
المحدث ، وكان في حركاته مثالا للرجل الرصين الرزين الوقور ، على مر
السنين : فتى بانعا ، وأديبا ناشئا ، ومدرسا نافعا ، وعضوا عاملا ، ووزيرا
مناوضا ، ورئيسا مخلصا ، تغلب في حياته على الفنى والجاه وتنقل في المراتب والمناصب ،
فما أبطرت ولا أسكرته ، لأنه كان فوق ما أعطته ، وكانت دون ما يستحق .
ولهذا غدت سيرته في صحبه ورفقائه من أعضاء المجموع وأصدقائه الأدياء
نفحة عطر وأوراق زهر وصفحات خلود وسطور أجداد ، ما يستطيع قلمها أدق

من قوة أن يرسم مبلغ صفاتها وقائتها ، وما يبلغ بيان إلى وفائتها حقها . فهي جوانب كثيرة لا يلم بها مقال مهما طال ، لأنها أخذت من كل روض وجمعت من كل أفق فعدت باقة في الأعمار ، كلما كشفنا عن زهرة منها فاح عبق ، وكلما قلبنا ورقة منها ملأت وجه الأفق ، فهي سيرة تفيض على السنين التي عاشها ، ولا تعد الأعمار الكريمة بالأعوام ، ففي كل مرحلة من مراحل عبثه التي ألمتنا إليها أثر كبير وخير كريم .

وقد حاولنا في هذه الصفحات أن نوجز في سيرته لنصف فاجعة المجمع العلمي العربي ، وحزن المجتمع ، ونكل الشعر وحداد الأدب ، وألم المهين والصحب والأهل ، فقد فقدوا شاعراً محلقاً ، وأديباً محققاً ، ورئيساً لا يجارى ، وصديقاً وفياً لا يبارى ، وإماماً في التواضع والتبذل لا تنسى محامده على الزمان .

رحمه الله رحمة واسعة ، وألمحنا العزاء والسلوان على فقده .

الدكتور محمد سامي الدقانه

ترجمة جديدة

لابن خداويردي

كان ابن خداويردي (واسمه محمد الراعي) من أدباء القرن الثاني عشر ألف كتابه المشهور «البرق المتألق في محاسن جلدق» ، وهو كتاب جمع فيه ما قيل في مدح دمشق ثراً ونظماً ، وكنا نشرنا له «أرجوزة في محاسن دمشق» ، وترجمنا له ترجمة موجزة في مقدمتها^(١) ، لم نستطع يومئذ التوسّع بها لعدم وجود مصادر ترجمت له .

وكان من المفروض أن يترجم له المرادي . ولكننا لم نجد شيئاً عنه في سلك الدرر المطبوع .

ثم صور معهد المخطوطات العربية من مكتبة عارف حكمة بالمدينة المنورة نسخة مخطوطة من كتاب البرق المتألق . فوجدنا في أول صفحة منها ترجمة المؤلف منقولة من تاريخ المرادي . وهي ترجمة لطيفة . فأحببنا أن ننقلها هنا ؛ لأنها لا توجد عند المرادي المطبوع :

« هو محمد بن مصطفى بن خداويردي بن مراد بن ابراهيم الشهير بالراعي ، «بفتح الراء» ، الحنفي الدمشقي الكاتب المنشي الأديب ، أحد الكتاب الماهرين «بالفنون» . ولد بدمشق في سنة تسع عشرة ومائة وألف ، وأنشأ بها ، وأخذ «الكتابة والمعارف عن أربابها» ، وتخرج بذلك على يد محمد عاصم بن عبد المعطي «أحد أعيان الكتاب بدمشق» ، ومهر بصنائع النظم والنثر ، وصار يكتب «المخطوط المتنوعة كالرقعة ، والدبواني ، والقرمة ، والسيافة ، والفسخي ، وغير ذلك» . وبرع باللغتين الفارسية والتركية . وصار مقاطعياً بباب الدفتري «بدمشق» ، وكاتباً في أوقاف الحرمين المحترمين . وكان يغلب على شعره الهجو .

(١) انظر مجلة الجمع العلمي العربي ، المجلد ٢٧ (سنة ١٩٥٢) ص ٢٢٥

« وله أهاجر في الناس كثيرة ، ونكت ونوادر مقبولة ، وفي آخر أمره تراكت عليه الأمراض والعلل والأكدار ، وفل ما بيده ، الى أن مات . »
 « وله من الآثار البرق المثلث في محاسن جلتي يحتوي على ذكر دمشق ورياضها وغياضها ومياها . ورسائل أخر في الأدب . وشعره كثير . »
 « وكانت وفاته في يوم الثلاثاء خامس صفر الخير سنة خمس وتسعين ومئة وألف . »
 « رحمه الله تعالى . »

« انتهى ملخصاً من تاريخ جناب المولى المهام العالم الامام السيد محمد خليل أفندي المرادي المتقي بدمشق الشام » .
 وهذه الترجمة تبين لنا أطرافاً من أحوال ابن خداويردي ، وتدلنا على أن تاريخ المرادي المطبوع ناقص .
 الدكتور صلاح الدين النجد



هدية مخطوطات

أهدى الى دار الكتب الوطنية (الظاهرية) فضيلة الأستاذ المرحوم الشيخ محمد جميل الشطي مجموعة من المخطوطات الثمينة هذا ثبتها :

العدد	
٢	شرح الغاية لعبد الحلي بن أحمد بن العماد الدمشقي
٦	شرح الجامع الصغير لعبد الرؤوف المناوي المصري
٦	شرح الاقناع بخط مؤلفه منصور بن يونس البهوتي الحنبلي
٣	شرح المنتهى لمؤلفه منصور بن يونس البهوتي الحنبلي
٤	الانصاف في معرفة الراجح من الخلاف لعلي المرادوي

٢١ المجموع

وكذلك أهداها الأمير جعفر والأمير إدريس الحسني الجزائري المخطوطات التالية وعددها ثلاث وسبعون مخطوطاً :

المؤلف	اسم الكتاب
أحمد بن علي بن المذهب بن نصر الخواري	تحفة البررة في المسائل العشرة
محمد بن عبد الغني الازديلي	شرح الانموذج في النحو
محمد سبط المارديني	رقائق الحقائق في حساب الدرج والدقائق
	الصلاة الأحذية على الذات الهاشمية
محمد نسب الجزاوي	تحفة الاستماع بملوك حسن الأخلاق والطباع
الصدر القنوي	شرح الشجرة النعمانية
محمد الحفناوي	مجموع أوله رسالة على رسالة الوضع
أبو علي بن سينا	كتاب النجاة في العلوم الحكيمية
الأمير أحمد بن الأمير عبدالقادر الحسني	حاوي المختصرات في العمل بربع المقنطرات
عبيد الله محمد بن أحمد بن جعفر	تفسير غريب القرآن
السقطي البغدادي	
محمد بن مالك الطائي	تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد
	اختيار المختار في كشف الأسرار
	رسائل في العقيدة الدرزية أولها رسالة التنزيه
محمد بن عباد النفري	شرح الحكم
علي بن عطية الملقب بعلوان الحموي الهبني	شرح قصيدة ابن حبيب الصفدي
عبد الوهاب بن محمد بن علي بن أحمد ٠٠	تحفة الأكياس في حسن الظن بالناس
ابن سلطان تلمسان	
	مجموعة رسائل وأشعار
	شرح قصيدة محمد العربي بن يوسف الغامي في الزكاة عبد العزيز بن الحسن بن يوسف بن مهدي الزياتي

المؤلف	اسم الكتاب
عبد الرحمن الخبازي	عيون المذاهب الكمالية المظفرية
القشيري	شرح أسماء الله الحسنى
	الفتح المبين شرح الأربعين
محمد بن أبي الفضل فامم المرعي التونسي	تذكرة المعجبين في أسماء سيد المرسلين
النجم الغزي	مجموع أوله رسالة شرح لامية ابن الوردي
القاضي عياض	شرح حديث أم زرع
	تلخيص المفتاح (في علم البلاغة) (الأول من مجموع)
	رسالة في العقيدة والفروض والواجبات والنوافل عبد الله بن أبي زيد القيرواني
	الدر الحسان في اختصار كتاب التبيان شرح مورد الظمان (مخرومة في بعض المواضع)
محمد البركوي	الطريقة المحمدية
	مجموع أوله مشتمل على العقول في منتهى النقول
	موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب (شرح القواعد) خالد بن عبد الله الأزهرى
عصام الدين بن محمد	شرح السمرقندية
مصطفى البكري	مجموع أوله أورد البكري
	مجموع أوله سلك طريق العمل وفيه عندليب المناظرة
عبد السلام اللقاني	إتحاف المرید بجمهرة التوحيد
الشيخ علي الحاي	فرائد العقود العلوية لحل ألفاظ الأزهريّة
خالد بن عبد الله الأزهرى	تمرين الطلاب في صناعة الإعراب
سعد الدين عمر التفتازاني	مختصر شرح تلخيص المفتاح
عبد الله محمد القزويني	عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات
أحمد بن غلام الله الكوم الريشي	اللمعة في حل السبعة (مختصر نزهة الخاطر)

المؤلف	اسم الكتاب
محمد بدر الدين	كلمات على نظم الصغرى للونكري (البدور الجليلة شرح نظم السنوسية) تلخيص المفتاح في علم البلاغة مجموع أوله شرح السلم المروني
عبد الغني النابلسي	كشف السر الغامض شرح ديوان ابن الفارض
عبد الله بن محمد الكردي البيتوشي	صرف العناية في كشف الكفاية
محمد بن ابراهيم التتائي	غرة الأبصار على الثلاثة الأذكار
عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري	شرح الزرقاني على متن العزبة
•• ان اذا ظرف فيه معنى ••	كتاب في النحو (مخروم الأول) أوله ••
مصطفى البناني	حاشية البناني على هوامش الصبان على شرح التلخيص للتفتازاني (الأول)
•• المذكورة علمنا معرفة النجس •••	كتاب في الفقه مخروم الأول والآخر أوله ••
•• النفس نشيطاً وإلا أصبح	كتاب في الحديث مخروم الأول والآخر أوله ••
••	خبيث النفس كسلان ••
محمد البناني	تجريد البناني من هوامش الصبان على شرح التلخيص مصطفى بن محمد البناني
محمد التتائي	القرآن الكريم
محمد التتائي	الدرة البهية شرح المقدمة القرطبية
•• وقد علمت بكنه ذلك عدنان وقحطان	كتاب في النحو مخروم الأول والآخر أوله ••
••	(وهو شرح قصيدة)
••	حواش على عمدة أهل التوفيق شرح عقيدة أهل التوحيد الحسن بن مسعود البومبي
••	حاشية الكمال بن أبي شريف على المحلى (الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع)
••	الخامس من القسطلاني أوله فضائل النبي (ﷺ)

المؤلف

اسم الكتاب

الثالث من صحيح مسلم

شرح مقصورة أبي الحسن بن حازم الأنصاري محمد بن أحمد بن محمد الحسني الفرناطي

فتح الباري على صحيح البخاري (الأول) ابن حجر

المنصف من الكلام على مغني ابن هشام أحمد الشعي الخفي

السيرة النبوية (مخرمة الأول)

كتاب في الحديث مخروم الأول أوله : ابن الخيار أخبره أن المقداد . . .

إكمال الأكمال (الثالث) الأبي (شارح مسلم)

عنوان النفاسة في شرح ديوان الحماسة (الأول)

(مخرمة الأول) ابن نلكور ؟

كتاب في الفقه كتب عليه الجزء الثامن الأجور

كتاب في الحديث مخروم الأول أوله . . ان الشياطين تأكل حقيقة . .

جزء من الجامع الصحيح أوله . . كتاب الحج البخاري

شرح مقامات الحريري أحمد بن عبد المؤمن . . القبسي الشريشي

القواعد الكبرى ابن عظموم

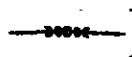
كتاب الخيل عبد المؤمن الديماطي

الأول من المناوي الكبير على الجامع الصغير

(فيض القدير) المناوي

مواد ابن حجر الهيتمي

فنقدم إلى المهدين المشار إليهم أطيب التثناء والشكر على هديتهم النفيسة .



الفهرس العام

لمواد المجلد الرابع والثلاثين

منسوقاً على حروف الهجاء

الإمام الصادق عليه السلام الكيمياء (كتاب):

٣٧٦

الإمام محمد بن عبد الوهاب (كتاب):

٦٦٣

أنا والشعر (كتاب): ٣٥٨

انتخاب عضو جديد: ١٥٠

الإبلافا أو المعونات غير المشروطة: ٢٤٣

الأمم الاثنا عشر (كتاب): ٣٥١

(ب)

الحجر الزخار (كتاب): ٥١٢

بطولات العرب (قصيدة): ٤٢٥

(ت)

تاريخ قبّة الصخرة المشرفة والمسجد

الأقصى المبارك (كتاب): ٣٦٤

ترجمة جديدة لابن خلدون ودي: ٦٩٣

تعليق على مقال الأستاذ عبد الحلق

عضيمة: ٣٨٣

تفسير القرآن الكريم (كتاب): ٣٥٣

(أ)

ابن حزم في أمهات الخلفاء (رسالة): ٢٩١

ابن الخياط (ديوان): ٥٢٥، ١٢٧

أحمد شوقي (مهرجان): ٣٥

أمرار العربية لكمال الدين الأنباري: ٣٧٦

أمرار العربية (كتاب): ٦٧٠

أسماء الشهور في العربية: ١٤

أعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون:

١٤٧

أعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون:

١٤٥

أعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون:

١٤٥

الأعلام (كتاب): ٥٢٤

أغلاط مطبعية: ٥٤٣

الإفصاح عن أبحاث مشكلة الإيضاح

للفارقي: ١٩٢

اقتصاديات العراق: ٦٧٢

(ر)	توضيح الكافية الشافية (كتاب) :
رسالة ابن حزم في أمهات الخلفاء : ٢٩١	٥٠٩
(ز)	(ث)
الزجاجي (٣٠٢٤١) : ٢٥٦	الثقافة الإسلامية في الهند (كتاب) :
٦٠٢ ٤٣١	١٣٣
(س)	ثقافة الأطباء عند العرب (٢٤١) :
سخرية الشدياق : ٢٠٩	٥٥٩ ٤ ٣٩٣
(ش)	ثلاث رحلات : ٣٨٥
شاعر العرب (قصيدة) : ٤٢	(ح)
الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة	الحق الواضح المبين (كتاب) : ٥٠٩
(كتاب) : ٣٤٩	الحياة الجفسية عند العرب (كتاب) :
شرح الألفات (٢٤١) : ٤٤٧٢٢٧٣	٣٤٥
الشيوعية والإسلام (كتاب) : ٦٦٨	(خ)
(ع)	(٥٥) ألف كيلومتر على دراجة نارية
عبد الوهاب عزام (وفاته) : ٣٦٨	(كتاب) : ٣٦٥
العرب والإسلام (كتاب) : ٥٢٤	خليل مردم بك (وفاته) : ٦٧٦
العلاقات الجوهرية بين اللغتين العربية	(د)
والآرامية « السريانية » (٥٤٤٣٤٢) :	الدراسات العربية في الاتحاد السوفياتي :
٥٧٦ ٤ ٤٠٩ ٤ ٢٢٥ ٤ ٣٠	٥٣٥
علاوة خامسة من حياة شيخ الإسلام	ديوان ابن الخطيب (كتاب) : ١٢٧
ابن نبيية : ٣٧١	٥٢٥
العنوان في ضبط مواليد ووفيات أهل	ديوان محمد النجار الشامي : ٥٤١
الزمان : ٢٠٤	ديوان مومى الطالقاني (كتاب) : ١٣٨

معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات

(نظرة) : ٦١٨٦٤٦٢٤٣٠٠٤٨٨

ملاحظات على الجزء الثالث من كتاب

الوافي بالوفيات (٢) : ١٩٨

منصور فهمي (وفاته) : ٥٣٠

منصور النري في الرشيد (قصيدة) : ٣

المنظومات الاقتصادية الدولية (كتاب) :

٥٢٧

مهران أحمد شوقي : ٣٥

موسى الطالقاني (ديوان) : ١٣٨

(ن)

نثر شوقي : ٦٦

نسخة تاسعة من ديوان ابن عنين : ٥٨٦

نظرة في أعماق الإنسان (كتاب) : ٥١٨

نقرة إمامين عن الرواية والقصة : ٥٥٨

(هـ)

هدية مخطوطات : ٦٩٤

(و)

وجوب التعاون بين المسلمين (كتاب) :

٥٠٨

الوصف والفضل في شعر شوقي : ٤٨

الوطن العربي (كتاب) : ٥٢٣

(ف)

فتح الغفار (كتاب) : ٥١٥

(ق)

قبور العظماء في دمشق : ٦٤٦

قصيدة منصور النري في الرشيد : ٣

قضايا الفكر في الأدب المعاصر

(كتاب) : ٥٠٧

(ك)

كتاب النفس لابن باجة الأندلسي

(٨٦٧٦٦٥) : ٤٣٣٢٤١١٢

٦٢٤٤٤٩٠

كلمة الدكتور جميل صليبا في جلسة استقبال

الدكتور محمد كامل عياد : ١٥١

كلمة الدكتور محمد كامل عياد : ١٦٥

(م)

محاضرات عن الأمير شكيب أرسلان

(كتاب) : ٣٤٧

محمد النجار الشامي (الحافظ) : ٥٤١

مختارات مما لم ينشر من شعر الجعري

(٣٦٢٦١) : ٤٧٩٤٣٢١٤١٠٠

مدى النحت في اللغة العربية : ٥٤٥

مستدرک على تصويبات في الوايف

بالوفيات : ١٩٦

فهرس الأعلام

أي أسماء كتآب المقالات المنشورة في هذا المجلد

منسوقاً على حروف الهجاء

(س)

سامي الدهان : ٣٥ ، ٤٨ ، ١٢٧ ،

٦٧٥

(ش)

شفيع جبري : ٤٢ ، ٣٠٩ ، ٣٤٥ ،

٣٤٧ ، ٣٨٥ ، ٤٢٥ ، ٥٥٥ ،

شكري فيصل : ٦٦

(ص)

صالح الأشتر : ١٠٠ ، ٤٧٩ ، ٣٢١ ،

صلاح الدين المنجد : ٢٠٤ ، ٢٩١ ، ٦٩٣ ،

(ظ)

ظافر القاسمي : ٢٤٣

(ع)

عبد الرحمن سلطانوف : ٥٣٥

عبد الرحمن الكيالي : ٣٩٣ ، ٥٥٩ ،

عبد العزيز المنفي : ١٩٢ ، ٥٨٦ ،

(أ)

أبو محفوظ الكريم معصومي : ٢٧٣ ،

٤٤٧

(ج)

جعفر الحسني : ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٥٢٢ ،

٥٢٤ ، ٥٢٣

جميل صليبا : ١٥١ ، ٣٥٨ ،

(ح)

حسن حسني عبد الوهاب : ١٩٦

حسن السقا : ٣٦٧

حسني سبيع : ٨٨ ، ٣٠٠ ، ٤٦٢ ،

٥١٨ ، ٦١٨ ،

حسين علي محفوظ : ٥٢٥ ، ٥٤١ ،

(خ)

خايل مردم بك : ٣

(ر)

رشدي الحكيم : ١٩٨

٣٨٣ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٢ ،	عبد القادر الريحادي : ٦٤٦
٥١٥ ، ٦٦٣ ، ٦٦٨ ،	عز الدين التبوخي : ٦٧٠
محمد صغير حسن المصومي : ١١٢ ،	(غ)
٣٣٢ ، ٤٩٠ ، ٦٢٤ ،	غريبفوريوس بولس جهنسام : ٢٠ ،
محمد عبد الخالق عضية : ٣٧٦	٢٢٥ ، ٤٠٩ ، ٥٧٦
محمد كامل عياد : ١٦٥	(م)
مصطفى الشهابي : ١٤ ، ٥٠٧ ، ٥٣٠ ،	مازن المبارك : ٢٥٦ ، ٤٣١ ، ٦٠٢ ،
٥٤٥	محمد بهجة البيطار : ١٣٣ ، ١٣٨ ،
منير الشريف : ٥٢٧ ، ٦٧٢ ،	٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٣ ، ٣٧١ ،

مركز تحقيق كامبوتر علوم اسلامی

فهرس الجزء الرابع من المجلد الرابع والثلاثين

صفحة

- ٥٤٥ مدى التبحر في اللغة العربية . . . للأثير مصطفى الشاذلي . . .
- ٥٥٥ نفرة إمامين عن الرواية والقصة . . . للأستاذ شليق جبري . . .
- ٥٥٩ ثقافة الأطباء عند العرب (٢) . . . للدكتور عبد الرحمن الكيالي . . .
- ٥٧٦ العلاقات الجوهرية بين اللتين العربية والآرامية { للطهران غريغوريوس بولس بهنام
« المراتبة » (٥)
- ٥٨٦ نسخة تاسعة من ديوان ابن عني (١) . . . للأستاذ عبد العزيز الميهني . . .
- ٦٠٢ الزجاجي : حياته وآثاره (٣) . . . للأستاذ مازن المبارك . . .
- ٦١٨ نظرة في معجم المصطلحات الطبية للكثيرات (٤) . . . للدكتور حسني صبح . . .
- ٦٣٤ كتاب النفس لابن باجة الأندلسي (٨) . . . بتعقيق الدكتور محمد صفيح حسن المصري . . .
- ٦٤٦ قبور المظالم في دمشق للأستاذ عبد القادر الزيماني . . .

التعريف والنقد

- ٦٦٣ الإمام محمد بن عبد الوهاب . . . { للأستاذ محمد بهجة البيطار . . .
- ٦٦٨ الشيوعية والإسلام
- ٦٧٠ أسرار المربية للأستاذ هز الدين التتوخي . . .
- ٦٧٢ اقتصاديات العراق للأستاذ منير الشريف . . .

آراء وأنباء

- ٦٧٦ الأستاذ الرئيس خليل مردم بك للدكتور سامي الدهان . . .
- ٦٩٣ ترجمة جريدة لابن خلدون ودي للدكتور صلاح الدين المنجد . . .
- ٦٩٤ مدينة غطوطات إلى دار الكتب الوطنية (الظاهرية)
- ٦٩٩ الفهرس العام لمواد المجلد الرابع والثلاثين
- ٧٠٢ فهرس الأعلام (أي أسماء كتاب المقالات المنشورة في المجلد الرابع والثلاثين) . . .